



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
أَسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)

سورة القصص - آية (5)

صدق الله العلي العظيم

وقائع المؤتمر الوطني الأول للحدّ من التطرف والإرهاب

الجزء الثاني

الكتاب / وقائع المؤتمر الوطني الأول للحدّ من التطرف والإرهاب
المؤلف / باحثي لجنة المؤتمر الوطني الأول للحدّ من التطرف والإرهاب
/ الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
التصميم والإخراج الفني / حسين خضير الخطاب
عدد الصفحات / ٥١٦ صفحة
عدد النسخ / ٥٠٠ نسخة
طباعة / دار الوارث للطباعة والنشر
الطبعة الأولى / ٢٠٢٣ م - ١٤٤٤ هـ
الناشر / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
الترقيم الدولي /

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة قانونياً

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٠٩) لسنة ٢٠٢٣

الإرهاب النفسي وانعكاساته على المنظومة المجتمعية

م . د. خمائل شاكر الجمالي

جامعة بغداد / مركز إحياء التراث العلمي العربي

dr.khamael_sh@yahoo.com

(ملخص)

الإرهاب ظاهرة قديمة عرفتها كثير من المجتمعات على اختلاف أنواعها واكتوت بنارها ، فخسرت أبناءها وأموالها، وشتت شملها وشوّهت عقائدها ، وأغرّت بها أعدائها حتى وصلت هذه الشعوب بعد طول محنة إلى قناعة مهمة ، وهي أن إكذاء نار الخوف والرعب بين الضحايا لا يخدم مصلحة المجتمع ولا يحقق أهدافه الشاملة.

وإن كلمة ارهاب اصبحت اليوم على كل لسان، خصوصاً بعد تطبيقها على عدد من اعمال عنف لا يمكن وصفها بالإرهاب. بعض الحكومات تسمى ارهاباً كل عمل عنف يقوم به خصومها السياسيون، بينما اعداء الحكومات يحسبون انفسهم ضحايا إرهاب الدولة.

فالإرهاب مفردة تختلط في أوسع معانيها بمفهوم الخوف والرعب من جانب ، بحق تقرير المصير من جانب آخر؛ فهو يستعمل وسائل، هي في حد ذاتها ، وسائل غير مشروعة، إن خوف الأشخاص أو المجموعات، من تعرضها لحالات من الخوف والإرهاب من قبل السلطة أو المعارضة إلى جانب انعدام الثقة بالآخر، يخلق لديهم بعض الميول المدمرة للحفاظ على حرياتهم وعقائدهم وقوانينهم وأحياناً حياتهم .



Psychological terrorism and its repercussions on the societal system

M . Dr. Khamael Shaker Al Jamali

(Abstract)

Terrorism is an old phenomenon known to many societies of all kinds and stifled by its fire, losing their children and their money, dispersing them, distorting their beliefs, and tempting their enemies until these peoples, after a long ordeal, reached an important conviction, which is that fueling the fire of fear and terror among the victims does not serve the interest of society and does not achieve its overall goals Today, the word terrorism is on everyone's lips, especially after it has been applied to a number of acts of violence that cannot be described as terrorism. Some governments call terrorism every act of violence carried out by their political opponents, while the enemies of governments consider themselves victims of state terrorism

Terrorism is a single word that is mixed in its broadest sense with the concept of fear and terror on the one hand, and the right to self-determination on the other. He uses means that are in and of themselves illegal. The fear of individuals or groups of being exposed to situations of fear and terror by the authority or the opposition, along with mistrust of others, creates some destructive tendencies to preserve their freedoms, beliefs, laws and sometimes their lives

مقدمة

الإرهاب مفهوم لم يخضع لتحديد واضح متفق عليه، يفسر من خلاله معنى الارهاب والأعمال الارهابية، لذا تعجز العلوم الإنسانية عن أن تعطي الارهاب تفسيراً مقبولاً عالمياً. فيبقى الارهاب والاعمال الارهابية دون تعريف واضح ومحدد تتفق عليه كل الشعوب والدول. إن كلمة ارهاب اصبحت اليوم على كل لسان، خصوصاً بعد تطبيقها على عدد من اعمال عنف لا يمكن وصفها بالإرهاب. بعض الحكومات تسمى ارهاباً كل عمل عنف يقوم به خصومها السياسيون، بينما اعداء الحكومات يحسبون انفسهم ضحايا إرهاب الدولة. ولأن الإرهاب مفهوم لأفعال عنف تتميز بالسرعة والخفية، يمارس فيها القتل والتدمير والتخويف لتحقيق اغراض سياسية، فإن الاسلام وقف بالضد من هذه المفاهيم، وما يكافؤها في المفردات العربية ومنها الفيلة (القتل بالغدر والخيانة)، اما الجهاد فهو إعلان صريح للحرب حدد استناداً إلى نصوص ومتغيرات الواقع ، وبذلك لا يدخل في مفهوم الإرهاب، فالإسلام اوسع دعوة للحوار عرفتها البشرية.

المبحث الأول

أولاً - جذور الإرهاب

الإرهاب ظاهرة قديمة عرفت من المجتمعات على اختلاف أنواعها واكتوت بنارها ، فخسرت أبناءها وأموالها ، وشتت شملها وشوّهت عقائدها ، وأغرّت بها أعدائها حتى وصلت هذه الشعوب بعد طول محنة إلى قناعة مهمة ،

وهي أن إنكاء نار الخوف والرعب بين الضحايا لا يخدم مصلحة المجتمع ولا يحقق أهدافه الشاملة ، وإن المنطق يقتضي التعايش بين أبناء المجتمع بأمن وأمان بعيداً عن الخوف والذعر الذي تمارسه الجماعات الإرهابية ضد المجتمعات ،

والإرهاب أخذ شكله الرسمي من الغرب ، وقد عرف بعد الثورة الفرنسية (1789-1799) ؛ وهي فترة حكم اليعاقبة بزعامة (روبسبير) ، وحتى قبل تلك الفترة مارس الإرهاب في أوروبا ، بين أطراف عديد من أجل السلطة والجاه ألم تكن عمليات إبادة الهنود الحمر إرهاباً ؟ فلماذا يتهم الإسلام بالإرهاب؟

فالإرهاب مفردة تختلط في أوسع معانيها بمفهوم الخوف والرعب من جانب ، بحق تقرير المصير من جانب آخر؛ فهو يستعمل وسائل، هي في حد ذاتها ، وسائل غير مشروعة، إن خوف الأشخاص أو المجموعات، من تعرضها لحالات من الخوف والإرهاب من قبل السلطة أو المعارضة إلى جانب انعدام الثقة بالآخر، يخلق لديهم بعض الميول المدمرة للحفاظ على حرياتهم وعقائدهم وقوانينهم وأحياناً حياتهم .

والإرهاب رافق الفرد والمجتمع منذ ظهوره على وجه البسيطة، إلا أنه تطور مع تطور الإنسان فاختلقت وسيلته وغايته، فهناك إرهاب الدولة، عندما لم تستطع تحقيق احتياجات مواطنيها، وهناك إرهاب الأفراد والمجموعات .

إذ إن الإرهاب حقيقة قائمة في كل الشعوب وإن اختلفت شدة وتأثيراً من بلد لآخر، بل هي الظاهرة الأكثر رسوخاً في واقعها السياسي، والتي شكلت العائق الأهم في طريق أي بناء سياسي ديمقراطي عصري، كما كانت تاريخياً الجاذب الأهم للقوى الخارجية للشعوب أو لتمكين سيطرته فيه ، وهو اليوم يهدد وجود كيانا البلدان الخاضعة للإرهاب كوطن ومجتمع واحد (شمس الدين، 2004: ص7).

ثانياً - مفهوم الإرهاب

1 - الإرهاب لغة

الإرهاب هو الإخافة، وبه يزداد معنى الخوف، إما الفرع فإنه يطلق أيضاً على الإرهاب إلا إنه يطلق على الحالة الحاصلة النفسية عند الخائف، وهو في اللغة ؛ (انقباض ونفار) يعتري الإنسان من الشيء المخيف.(شليبي، 1985: ص2) ؛ ولذلك لا يقال فرعنا من الله سبحانه، بينما يقال (خفنا منه) قال تعالى: ” لا يحزنهم الفرع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون“ الأنبياء : 103 ؛ بينما الرهبة أو الرهب مخافة مع تحرز واضطراب قال سبحانه وتعالى : ” لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ” الحشر: 13

2 - الإرهاب اصطلاحاً

فقد عرّف بأنه ” استعمال أو التهديد باستعمال عنف غير عادي وغير مألوف لتحقيق غايات سياسية وأفعال الإرهاب عادةً ما تكون رمزية لتحقيق أثر نفسي أكثر منه مادي ” (أباضة والغنام ، 1973 : ص78)

ثالثاً - خصائص الإرهاب

لما كان الإرهاب عملاً من أعمال العنف المسلح تشنه الجماعات الإرهابية ضد الأفراد ، وهذا العمل الإرهابي له خصائص تتميز بالآتي :-

- 1 - الأثر النفسي الذي يحدثه العمل الإرهابي وهو الرعب والفرع .
- 2 - العنف أو التهديد بالعنف .
- 3 - التنظيم المتصل بالعنف .
- 4 - الهدف السياسي للإرهاب .
- 5 - الإرهاب يعدّ بديلاً للاستعمال العادي للقوة العسكرية في الصراع .
- 6 - تكون الآثار النفسية للعمل الإرهابي أكثر تأثيراً من الآثار المادية .
- 7 - يكون السلوك المتبع لدى المجموعات الإرهابية هو سلوك غايته التأثير على سلوك مجموعة مستهدفة أوسع من الضحايا المباشرين.

(طحان ، 2003 : ص83)

المبحث الثاني

أولاً- غايات الإرهاب

إن الاستمرارية في خلق الرعب والخوف هي التي تقوي العمل وتدفع العمل الإرهابي، وإن الرعب والخوف التي يخلقها الإرهاب لا تنحصر في الفعل الإرهابي الواقع ، بل في الأعمال التي يحتمل وقوعها مستقبلاً فحالة الاستمرارية هي التي تخلق الخوف والفرع ، لأن حالة الانتظار هذه تشل حركة المجتمع ؛ وبالتالي تؤثر على أفراد المجتمع في تلك الدول مما يؤدي على تأثيرها سلباً في مجتمع هذه الدول ؛ لذلك فإن للجماعات الإرهابية غايات تؤدي إلى تحقيقها عن طريق ممارستها هذه الأعمال ومن هذه الغايات هي :

- 1 - الإرهاب عمل تهديدي تخريبي يراد منه زرع الخوف والذعر في نفوس الأفراد مما يؤدي إلى تأثيرها اجتماعياً ونفسياً في نفوس الأفراد والمجتمع .
- 2 - خلق الاضطراب وزرع الفوضى ، بهدف الوصول إلى غايات معينة يراد تحقيقها عن طريق الأعمال الإرهابية ، وإشاعة الخوف والرعب .
- 3 - طريقة تحاول بها جماعة منظمة أو حزب تحقيق أهدافها عن طريق استعمال العنف

(ليلة ، 1995 : ص87)

4 - قتل السياسيين أو الاعتداء على الممتلكات.

5 - يكون الإرهاب مسرحاً ، وهو يستهدف المستمعين بشكل أساسي أكثر من الضحية نفسها فعند قتل شخصاً واحداً لإخافة عشرة آلاف ، والقتل يكون من المدنيين لأن قتل مدني واحد يخيف عشرة آلاف.

6 - الإرهاب عمل من أعمال العنف ترجح فيه كفة التأثير النفسي على كفة النتائج المادية ؛ وبذلك تضعف إرادة المواطنين لتحقيق غايات الإرهابيين داخل وحدة الدولة المستهدفة .

(عثمان ، 2004 : 106)

ثانياً - ما يحققه الإرهاب في المجتمع

مع إن الناس كثيراً ما يتعرضون للعمليات الإرهابية من قتل وإصابات مأساوية في هجمات الإرهابيين ، إلا إن الإرهاب بطبيعته يرمي لأحداث تغيرات اجتماعية بعيدة المدى بشكل يتجاوز الضحايا وما استهدفهم عنفهم ؛ فالإرهابي يرمي إلى غرس الخوف والرعبة في المجتمع ، وبالتالي إلى زعزعة وذعر المجتمع والتأثير على سلوكه ، قد يكون هذا التأثير محدداً لجمهور معين ، أو أنه ربما يكون هذا التأثير يستهدف قطاعات وجماهير متعددة ، فالمقصود من تكثيف الهجمات الإرهابية وانتشار وذيوع عملياتها داخل المجتمع ؛ هو إكساب الإرهابيين القوة وتشجيع نشوء بيئة من الخوف والرعبة ملائمة لاستغلال الجماعات الإرهابية لها والاستفادة منها

(غندر ، 2005 : ص 98)

ومن هذه الناحية يقاس نجاح الإرهاب على أفضل وجه ليس بمقاييس الحرب التقليدية (عدد قتلى في المعركة ، أو حجم القدرات العسكرية المدمرة ، أو المساحة الجغرافية التي يتم الاستيلاء عليها) ؛ وإنما بقدرته على جذب الانتباه إلى الإرهابيين وقضيتهم وبالأثر الاجتماعي والآثار الضارة التي يأمل الإرهابيون بإحاقها في المجتمع المستهدف.

(المتيت ، د. ت : ص-64 72) ، ويستعمل الإرهابيون العنف وهو أمر بالأهمية نفسها ، يستعملون تهديد العنف (لأنهم يعتقدون بأن العنف الوحشي هو السبيل الوحيد الذي يمكن عن طريقه تحقيق انتصار قضيتهم وأهدافهم السياسية البعيدة الأمد ؛ ولذا فإنه يتم تعمّد تخطيط العمليات لإحداث صدمة وتأثير كبير وترهيب) ؛ إذ يُضمن إن تكون أفعال الجماعات الإرهابية جريئة دموية بما فيه الكفاية لجلب اهتمام وسائل الإعلام ؛ وبالتالي الشعب والحكومة أيضاً ؛ وعليه فإن الإرهاب ليس عمليات كيفما اتفق يتم القيام بها بدون تمييز أو دقة في الاختيار، بل هو واقع الأمر استعمال متعمد جداً

ومخطط جيد للعنف داخل مجتمع الدول ، وذلك عن طريق ما يأتي :

1 - يرمي الإرهاب عن طريق منهجه إلى فرض سيطرته بالرهبة على المجتمع ، أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة أو من أجل تغييرها أو تدميرها“ .

(زيد ، 1985 : ص178) فالإرهاب باستعماله القوة أو التهديد يهدف بها للسيطرة على حالة معينة فاستعماله العنف أو تهديد بشكل قسري وغير مشروع لخلق حالة من الخوف والرعب بين أفراد المجتمع ؛ لما لهو من تأثير اجتماعي معين و إلى المجتمع كله“ (العكرة ، 1983 : ص 143-147)

2 - يخلق الإرهاب صراعات سياسية ، وهذا صحيح لأن الإرهاب له لفظ كبير ومخيف ، إلا أنه لا يحسم (الصراع فإن الإرهابيين غير قادرين على القضاء على خصومهم ، والغرض من الإرهاب إضعاف الخصم فقط ، وهيمنته على سياسة مجتمع الدولة .
(عطية ، د. ت : ص 83)

3 - يهدف الإرهاب إلى قتل السياسيين والاعتداء على الممتلكات ، فأن الاعتداء على الممتلكات من أعمال الإرهاب ، وقتل السياسيين ليس هو الهدف الأساس لأن الهدف الأساس هو خلق حالة من الرعب لدى المجتمع ، وهذه الحالة تتحقق بقتل غير السياسيين.

4 - يسهم الإرهاب على إرهاب الأفراد ضد الدولة ، وإرهاب الدولة ضد الأفراد هو الأشد والأكثر فتكاً ، فاستعمال العنف من الأفراد إلى الدولة إرهاباً.(رفعت ، 1987 : ص74) ، يستهدف الإرهاب الأمن والاستقرار في المجتمع المحلي ، والمجتمع الدولي ويكون ذلك بقتل الأفراد أو إتلاف الأموال والممتلكات ،

وبذلك يكون انعكاسات سلبية واضحة على أفراد المجتمع تؤثر اجتماعياً في ذلك المجتمع .(الغزالي ، 1987 : ص202-196) ؛ الإرهاب لا يستهدف أشخاص معينين فهو في أغلب الحالات يستهدف الأبرياء ، لأن حجم الرعب يزداد مع ازدياد حجم الضحايا ؛ فأن الغرض منه ، هو خلق جو من الرعب والخوف تساعد الارهابي في تحقيق اهدافه عبر التأثير النفسي الذي تحدثه ممارسة العنف المنظم على الخصم.

ثالثاً - الآثار النفسية للإرهاب

إن الآثار النفسية تهدف إلى إحداث بعض التغييرات في نفسية المواطن عن طريق الإقناع أو الإغراء فالخوف من نتائج الأعمال الإرهابية كوقوع عمليات قتل وتفجير إرهابي حتى عندما تكون مجرد تهديدات بحد ذاتها هي وسيلة لإرهاب المواطن ، ويرتبط هذا التهديد مع حقيقة وجود ظاهرة الإرهاب والتشكيلات الإرهابية وغياب القوى الرادعة للقضاء عليها وتكرار حدوث وتعاقب العمليات الانتحارية الإرهابية يعزز القناعة لدى المواطن من خطر الإرهاب وعليه . إن العنف والإرهاب الذي تمارسه المنظمات الإرهابية سيعاني ليست دولة واحدة فقط ؛ وإنما كل الدول لن تكون في غنى عنه ، فالشر الذي يعتلي تلك النفوس المجرمة ستحرق حتى من يحتضنها ويدعمها فكرياً ، وروحياً وسياسياً ، وإعلامياً ؛ مما يؤدي إلى آثار نفسية عميقة في نفوس المواطنين (الغزال ، 1990 : ص58-52) ، وذلك عن طريق :

1 - إن عدد الأشخاص الذين يواجهون تهديداً صارماً لحياتهم سوف يتخلون عن ولائهم ومبادئهم ومعتقداتهم من أجل إنقاذ حياتهم ؛ وبالتالي تضعف عزيمتهم أمام تلك الجماعات الإرهابية ، مما يؤدي إلى سهولة سيطرة هذه الجماعات على نفوس المواطنين .

2 - يؤدي الإرهاب بصورة حتمية إلى إرهاب الهدف أو الضحية.

3 - إن الأشخاص الذين يتعرضون إلى قدر ما من التخويف أو الرعب يعانون بصورة حتمية من انهيار الإرادة مما يدفعهم للخضوع والخنوع .
(الأسود ، 1990 : ص 86)

النتيجة

الحقيقة أن علاج أية ظاهرة اجتماعية ، لا يكون بإنكارها وتجاهلها ، كما لا يكون بردها إلى قوى خارجية شيطانية تأمرية ، وإنما يكون عن طريق التصدي لها وتحليلها ، وبيان مسببات استمرارها واستفحالها في الثقافة والواقع المجتمعي ، والتي توفر للخارج الدولي والإقليمي إمكانية توظيفها لصالحه ، بكل ما يتطلبه ذلك من جرأة وصدق وصراحة.

فالإرهاب ظاهرة سياسية ودينية واجتماعية ولا بدّ من معرفة خطرها وآثارها النفسية العميقة وانعكاساتها على الأفراد في مجتمع تلك الدول ومناقشة الآثار والتداعيات السياسية والاجتماعية لهذه الظاهرة؛ ومناقشة منظمات حقوق الإنسان الدولية ؛ وذلك بتحقيق الاحترام الكامل لحقوق الإنسان، وتأمين حرياته الأساسية ،

وخلق حالة من الأمان لدى الأفراد والشعوب، وتحقيق أهدافها في الحرية وتأمين حقوقها الأساسية في عدم وجود الجماعات الإرهابية في أراضيها والامتناع عن جميع الأعمال وأساليب الإرهاب بوصفها أعمالاً إجرامية تهدد الأفراد والعوائل في مجتمع تلك الدول .

المصادر

- القرآن الكريم

- 1 - شلبي ، إبراهيم احمد . تطور الفكر السياسي، بيروت: الدار الجامعية ، 1985 .
- 2 - أباضة والغنام ، إبراهيم دسوقي أباطة وعبد العزيز الغنام . تاريخ الفكر السياسي، بيروت: دار النجاح، 1973 .
- 3 - طحان ، احمد . عولمة الإرهاب ، بيروت: دار المعرفة، 2003.
- 4 - ليلة ، محمود . الأبعاد الاجتماعية للعنف السياسي، في ظاهرة العنف السياسي، في منظور مقارن، في الندوة المصرية-الفرنسية، القاهرة: مركز الدراسات الإستراتيجية، 1995 .
- 5 - عثمان ، إبراهيم . مقدمة في علم الاجتماع، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ، 2004.
- 6 - غندر، أنتوني . علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصباغ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005 .
- 7 - المتيت ، أبو ليزيد علي . النظم السياسية والحركات العامة، ط3، الإسكندرية: مؤسسة الشباب الجامعي، د-ت .

- 8 - زيد ، احمد . الدولة في العالم الثالث، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985 .
شمس الدين ، الشيخ محمد مهدي . فقه العنف في الإسلام ” بغداد ، وزارة الثقافة العراقية ، مركز دراسات فلسفة الدين ، 2004 .
- 10 - العكرة ، أودنيس . ظاهرة الإرهاب السياسي: بحث في أصول الظاهرة وإبعادها الإنسانية، بيروت: دار الطليعة، 1983.
- 11 - عطية الله ، احمد . القاموس السياسي، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت.
- 12 - رفعت ، احمد محمد . العنف السياسي في مجال القانون الدولي: الجوانب القانونية لجريمة الإرهاب الدولي – العنف والسياسة في الوطن العربي، عمان: منتدى الفكر العربي، 1987 .
- 13 - الغزالي ، أسامة حرب . الإرهاب كأحد مظاهر استخدام العنف عربياً ودولياً / سلسلة الحوارات العربية: العنف والسياسة في الوطن العربي، عمان: منتدى الفكر العربي ، 1982 .
- 14 - الغزال ، إسماعيل . الإرهاب والقانون الدولي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990 .
- 15 - الأسود ، صادق . علم الاجتماع السياسي، بغداد: دار الحكمة للطباعة، 1990 .

تشويء المرأة في الرواية العراقية ما بعد 2014 قراءة في نماذج مختارة

أ.م.د. بشرى ياسين محمد م.م. يحيى مزبان بديوي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

bushra.yaseen@Ircoedu.uobaghdad.edu.iq

(ملخص)

حين تقرر الإنسانية التخلي عن ثوبها الوجداني، وتلبس لبوس الجمود العقلي والسلوكي؛ فأنها بكل تأكيد ستتحدر، وتختفي فيها مظاهر التحضر والاستجابة العاطفية. وفي كل أطواره مارس الإنسان دوراً فاعلاً في تحريك الكون ما حوله باتجاه صنع عالم متماسك من القيم النبيلة،

وعلى إعترافنا بأن هذه المسيرة حفتها منحدرات غاية في التدني، كان نتيجتها أن فقد الناس جزءاً من كينونتهم حين حكموا التشدد الأعمى معياراً لكل سلوك، والتشدد في أغلب فعالياته يستلزم أن يتخلى المتشدد عن إترانه، ويجنح بعيداً عن الاعتدال والتسامح، فالتحديد وهو آلية ضمنية لعملية التشدد، سيعني السكون، والتوقع كما يرى هيجل،

فإنه بحساب الحالة المركبة لمعنوية التشدد، فإن فيه إلغاء للآخر، وعدم السماح له بفعله الإنساني المعتاد، ولو أنصفنا تحليل الوعي البشري المدرك لحقيقة إنه يختار، وبالغ الإدراك في تعيين ما يلزمه وما لا يلزمه، سنشخص قصوراً (تعاملياً) مع المرأة ولاسيما المرأة العراقية التي ما فتأت (مجتمعيًا)

تعاني وهي تلم شتاتها الفكري والسلوكي لتقف على ناصية التساوي والتوازي مع الرجل، لكنها محاولات ستبوء بالفشل عطفاً على سيطرة الذهنية النافذة للرجل الشرقي (المدني) فما بالك بالرجل المسلح الذي يعرف إن المرأة كيان ضعيف، ومن ثم ستكون وسيلة لا غاية، ممر مناسب يلقي في نوازعه وشيطانياته المستبدة، ومن هنا سنحاول الدخول لعمق العلاقات الشخصية التي تدرس نماذج مختارة في الرواية العراقية أبان سيطرة الجماعات الهمجية (داعش)،

ونرى كيف تعامل الروائيون مع حالة الجمود الفكري والإنساني الذي مورس على نطاق واسع ضد المرأة، وفي سبيل إستغلالها في هذه الأصقاع ..

والتشيؤ الذي سيكون عماد دراستنا، له ابعاد فلسفية مائزة ناهيك عن إسقاطاته الأدبية التي تشغل حسب مفهومه العام على تحويل الإنسان عموماً، والمرأة بشكل خاص الى أشياء لا قيمة لها؛ لأن (المتشيؤ) سينزل الناس من منازلهم الإجتماعية العليا الى قيم متدنية، ومن ثم سيؤول وجودهم الى حاجة وقتية يستثمر فيها عقليته المستبدة.

وسنقف في دراستنا على أعمال روائية مهمة (زمنياً) لأنها ستشكل وثيقة صالحة لمحاكمة سلطة الجمع المتشدد، والمنغلق (دينياً- فكرياً- سلوكياً) ، وكيف كان ينظر للنساء، في بيئة كانت قبل مرحلة الاجتياح الداعشي أكثر ما تكون إنفتاحاً وثقافة، في هذا الإطار اخترنا اربع روايات: (الكافرة) لعلي بدر ٢٠١٥ ، (شتات نينوى) لغادة صديق رسول ٢٠١٦ ، (عذراء سنجار) لوارد بدر السالم ٢٠١٦ ، (شظايا فيروز) لنوزت شمدين ٢٠١٧ ، وبدورنا سنأخذ في منهجية التشيؤ وعملياتها النفسية والسلوكية ضمناً في الفعل الروائي المتكون من مكان وشخوص وأحداث عن طريق تحليل النصوص التي تحمل تداعيات عنيفة خلفتها النظرة الأحادية للنساء.

وعلى ذلك قسمنا بحثنا الى مقدمة: في التشيؤ فلسفة ونقداً، مع ملاحظة توظيف التأريخ الديني والإجتماعي الذي تمكنت من خلاله الجماعات الإرهابية من بسط هيمنتها على الناس، ثم الى مبحثين: الأول: الإنتهاك الجسدي ومدياته المادية، والآخر في الإنتهاك النفسي وتأثيره العميق في وجدان المرأة.. وفي كل ما بحثنا وما حللنا حاولنا أن نقف على دكة صلبة لترصين المخرجات، وتدعيم النتائج من خلال الإعتماد على مجموعة قيمة من المصادر والمراجع في هذا الشأن.

التمهيد

التشيؤ في الفلسفة والنقد

في مجمله هذا الكون يشغل على إيجابية المشاعر، وعلى دورها في تحضير حياة أكثر إجتماعية وسلاسة، ولا بد للإنسان بصفته الحركية أن يبقى لصيق ذاته، وذات نظرائه؛ ليرسم طرقاً تتصل مع الآخر البعيد، وهنا ستمارس الثقافات دوراً في تعشيق الممارسات الانسانية؛ لإحكام نقاط التقارب في معمار الحضارة.

إن قيمة السلوك كائنة في قدرته على المرونة في التعايش، وتسويق الظروف المتعبة؛ لتحفيز المشتركات وتعزيز الاواصر، ولو نظرنا لمسيرة الحضارة التي بدأت من بديهيات الجمع والالتقاط، ومروراً بحديثيات المشاركة في حصد مثمرة الارض، وإنهاءً بتطويع المكننة كي لا تكسر الترابط القيمي بين الذوات المختلفة،

في كل إنتقالاتها إحتفظت بجزء غير يسير من الإلفة كقاعدة في دمج المختلف، للخروج من تنافر الجزئيات، ودعم عدم الإنفلات الذي قد يخرق النسيج ويشوه القاعدة، لكننا نفترض مضموناً احادي الجانب يميل المثاليون فيه للفترة الأولى المبنية على التعارف والاحترام والتقدير، بيد أنها على كل حال نظرة رومانسية عطفاً على تأريخ مخزٍ من الحروب، والغزوات، والانتهاكات، وهنا تتجلى فرضية التمايز المسوغة للتفاوت الثقافي والطبقي والحضاري، ومن ثم كل ما فعلته البشرية بنفسها يبدو منطقياً حين تبرز الحاجة،

وتستثمر القوة والغلبة للهيمنة، ومن يقول عكس ذلك فانه يعتكز على تنظير أخلاقي لا أثر له في أرض الواقع، لم يمنع ظهور مفاهيم مثل (العشيرة، العرق، الادلجة، التحزب، الغلو) .. حاولت تأصيل الإستقطاب، وتركيز الجماعات العرقية، أو البيئية، من جانب آخر، لا ننفي قدرة الناس على صنع عوالم متحابية ومتكيفة.

الفسانيون ينظرون لنموذج وسطي سوي لديه روح تعطي، وتأخذ بالقدر نفسه، والسياسيون يحبذون إنساناً حركياً يقود القطيع لبر الامان بحكمة، لكن الأدباء غير هؤلاء وهؤلاء، فهم يرسمون أناسهم بالألوان مغايرة، فيها من الواقع شيء والخيال شيء، لذلك ستندمج الألوان فتخرج لنا بحديثة جديدة قد تكون مضخمة للحياة بكل ما فيها تتيح لنا الرؤية بتجل أكبر.

وعلى كل حال لم يكن الانسان وحده في هذه الأرض بل كانت هناك بيئة تؤطر حضوره وتمكن اجراءاته في معاشة الجمادات، وتشكيل واقع مناسب لمتطلباته، ناهيك عن ما يحيطه من كائنات أخرى تتنفس من ذات الهواء الذي تتنفسه رئتنا،

وكانت هذه الشئيات تعمل معه وبواسطته ومن خلاله، وهي في خدمة وجوده وديمومة نسله؛ من حيث هو الأصل في الخلق، وكان من دواعي جعله أن لم يكن أهمها هو اصلاح البائر من الأرض، وتقويم المعوج من السلوك؛ لتكوين حقيقة مثلى واولى يكون الانسان هو الباعث والمحرك لكل شيء.

عملياً تأخذ علاقة الإنسان بما حوله أبعاداً متعددة، وفي الخروج من دائرة غير المماثل الى المماثل قد نشهد فرضيات شائكة يتدخل في كثير من تفصيلاتها علم النفس والسياسة والتاريخ وعلم الاجتماع؛ لاننا إزاء تصنيفٍ ندّ مشابه نظرياً (إنسان يقابل إنسان)،

لكنه واقعاً متباين معه أشدّ تباين بحكم التناثر في العادة والمعرفة والثقافة والسلوك، وحين إنطلقت شرارات التبشير الواعي بوجود رب مهيم، حاكم، راعي، سانس، مقدس، ظهرت الصنمية بتجليات عدة، وبدأ التفاضل الديني يتجلى،

رمى هذا التفاضل حجراً جديداً من أحجار الاختلاف في بئر الإنسانية الواحد، وهنا بدأت رحلة الإخضاع تأخذ مسارات عدة أهمها القسري، والعاطفي، فالأفضلية تتطلب التحشيد، والتحشيد صانع للهيمنة، والهيمنة تعني القوة، ولعلنا لا نبالغ حين نعزو جشع الاستغلال والسيطرة؛ لتعطش النفس لتحسين وجودها، وتوفير ملاذات حامية لديمومتها.

ولكون الإفراط في القوة يصنع نماذج شنيئة، فالقوي ينظر لما حوله وكأنه حضور شكلي خادم لرغباته حصراً،

وهنا كان التشيؤ جزءاً من عملية إنقلابية على قيمة والإحترام الذي نادى به الفطرة العتيقة، والأولى بالمتشئ أن يصنع نزاعاً مغايراً يسميه هورنيث صراعاً من أجل الهوية (1)، لكننا سندخل في متاهة الأنا والآخر، الأول والتالي، الأعلى والأسفل، وهي نداءات الإنسان قديماً وحديثاً من خلال شعب الله المختار، العنصر الاسمي، الجنس الأفضل، وهكذا.

والتشيؤ بطيفه الاوسع كان مفهوماً تدرجت تنظيراته، ومن ثم تنوعت مفاهيمه وكان بادئ ذي بدء يقوم على هيمنة المكننة على فعاليات البشر المستحقة للتقدير والاحترام إذ يصفه لوكاش « إن جوهر البنية التجارية غالباً ما دلل عليه؛ إنه يركز على واقع أن رباطاً، أو صلة بين الأشخاص يأخذ طابع شيء، وبهذه الصيغة طابع (موضوعية وهمية) في نظام قوانينها الخاص الصارم والمغلق تاماً، والعقلاني بالظاهر، تخفي كل أثر لجوهرها الأساسي الصلة بين الناس» (2)

(1) (يضمن هورنيث إن في تحقيق ثلاثة مبادئ (الحب، الحق، التضامن) كفيل بحلحلة كل النزاعات وتأمين حق الاعتراف.. ينظر: التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف، اكسل

هورنيث، تر: د كمال بو منير، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص10

(2) ((التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ط2، 1982، ص 80

ولعله أي (لوكاش) إنطلق من بنائه لهذه الفرضيات من عقيدته السياسية والإقتصادية الماركسية التي ترفض هيمنة الرأسمالية، وتدعو في صميمها الى المشاركة والمشاعة الجماعية في العمل والاقتصاد⁽³⁾،

ومن (توثينية) السلع التي يراها ماركس المتأتية من قوانين السوق التي تسود ما بعد الإنتاج، والهيمنة على علاقات الافراد ببعضهم وبالمجتمع كذلك، الى نظرية الإغتراب التي نادى بها هيجل والتي تتصور مفهوم التشيئ في السلب في جزئيتها المطلقة ومن ثم تتمحور حول الحرمان تالياً " أن تكون مغترباً هذا يعني حرمانك من شيء خاص بك، ينطوي ذلك على فكرة الحرمان والخسارة، ولا شك أنه يأتي كنتيجة سببية لظروف تاريخية غير مواتية تماماً للوجود المطلق" ⁽⁴⁾.

ومن ثم جاءت نظرية الإعتراف التي تستند على العقل التواصلي بين البشر الذي يقوم أساساً على البنية اللغوية قبالة العقل الأداتي المفرغ من التعاملات الاجتماعية الأخلاقية، وعليه فسيكون التفاهم وسيلة مهمة للخروج من ربقة الإنغلاق هذا ⁽⁵⁾،

وعلى أية حال هناك جزئية يمكن إستغلالها في كل ما تقدم تقود الى أن المشيئة الإنسانية ظلت محفوفة بتهديدات عدة، وعلى تنوع المفاهيم السالبة (حرفياً) للحقوق، سار البشر جنباً الى جنب مع إضطهادات متنوعة بتسويغات متعددة.

وفي التشيء الذي نراه ينحدر سلاله من مفاهيم عدة يقف في مقدمتها الاعتراف والاعتراب، ومع تنوع مدارس النقد فلسفياً وإجتماعياً، بقيت قيمة التحجيم، ومن ثم الإلغاء جلية في تدوير عنوانات (التكفير، التطهير) وغيرها،

ممن تعلّى الأنوية الأحادية، أو الجماعية، ولكننا بعد هذه المقدمة القصيرة يهمننا أن نخرج على التشيئ الأدبي حصراً، ذلك المفهوم المتداول الذي يحول الإنسان كيئاً وجماعات الى جمادات لا حول لها ولا قوة، ولعلنا سنحذر أيدينا للتعرف على ماهية التشيئ (أدبياً) ومن ثم كيفية إستغلال معانيه السالبة في النص الروائي، مع تذكير مستمر بأننا بصدد معالجة تشيء المرأة حصراً ..

(3) (ينظر : من غيورغ لوكاش الى اكسل هونيث نحو إعادة بناء مفهوم التشيئ، د كمال بو منير، مجلة هيرمس، جامعة القاهرة، مج2، عدد4، 2012، ص 83
(4) (نقد مفهوم الإغتراب عند هيجل، محمد امين بن جيلالي، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 14، شتاء، 2014، ص 229
(5) (ينظر : أكسيل هونيث: براديعم الاعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية، د فاطمة فرودة، مجلة مقاربات فلسفية، مج 8، عدد 1، 2021، ص 120

الواجب أولاً أن نلفت لدور العولمة والحادثة في تسليع المرأة، وسلبها عقلها الواعي والمدرک، من خلال إستغلالها جسدياً، وتقديمها كمادة محرّضة على الجنس، وتبدو متبنيات التحضر الأخيرة ترتکز على تحرير المرأة، لكنه تحرير في طبيعته واهم وسالب ومهيمن على المرأة عن طريق ضخ كم هائل من الاعلام الذي يهدف الجسد خاصة مع محاولات لترميمه بشكل يبدو مثيراً قبل كل شيء، وعطفاً على هذا الفعل مَورس التشيؤ على أنه ”إستغلال لأجسادهن بصورة مادية ونفعية، كذلك خضوع الجسد للتوجيهات السوقية أو الإنتاجية المقصودة، سواء كان ذلك بوعي أو غير ذلك، كنتاج للتعرض الدائم والمستمر لمؤثرات خارجية أهمها وسائل الإعلام المرئية“ (6).

وحين نتعمق دلاليّاً في معنى التشيؤ نجده يقترب من معنى الثبات المرمز له بخاصية الشيء الجامد غير العاقل، وهو تحويل كل ما هو حركي متفاعل الى وسط ساكن وثابت، هذا المعنى كان مرجعياً وتمتد أصوله كما سردنا الى واقع العمل والعمال، والإقتصاد بشكل اعم، لكنه سايكولوجيا يأخذ جزئية الإزدراء، والعزل، والتحكم بالذات الإنسانية، والتفريط بكرامتها، بالإضافة الى تحييد عقليتها الرافضة، ومن ثم تصير شيئاً مملوكاً مسلوب الإرادة، وقد إقترب سارتر كثيراً من هذا المعنى إذ ربط بين الإستعباد الكامل، والشينية، لكنه أوجد تأثيراً مشابهاً للإستعباد وهو الخضوع الكامل الذي يحول الذات الى شيء أيضاً .. (7).

هذا من جانب، أما من جانب آخر فإن صناعة الأدب له مدخلية مباشرة ببنيات المجتمع وتحولاته التي تلقي بظلالها على المنجز السردى خصوصاً، لأننا إزاء عامل مؤثر يحرك في وعي الروائي تفاصيل حكاية تصب في قالب الحدث والزمان والمكان، وحين نتيقن أن الحدث غاية في الفداحة، سننجذب نحو فرضية شمولية التأثير، ومن ثم تصبح ثيمة فنية، وتبدأ الأوراق تتخمد بتفاصيلها ومخلفاتها، ولذلك يمكننا عطفاً على تأثيرات إجتياح العصابات المسلحة (داعش) لأجزاء من العراق، أن نميز تشيئاً مَورس على نطاق واسع، وإزدراء لقيمة الانسان وفكره ومعتقد، ناهيك عن إستغلال النساء أبشع إستغلال، وبيعهن كسلعة في سوق النخاسة، ”فالتشيؤ هو تسليع المنجز الذهني والعقلي للإنسان حيث خضوع الانسان ككل إلى قيم التسليع وإختزال كينونته في مقدار ما يحققه منجزه الذهني من منفعة مادية مباشرة، يمكن القول إن التشيؤ هو أن يتحول الإنسان إلى شيء، وتتمركز أحلامه حول الأشياء“ (8) ..

(6) (أثر الإعلام المرئي على تشيؤ المرأة: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د. مروة محمد تهايمي، مجلة كلية الآداب، قنا، مصر، عدد 53، تموز 2021، ص 1072)

(7) (ينظر: القضايا الأدبية من منظور فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية، القاهرة، ط1، 2005، ص 428)

(8) (رقمنة الإنسان: تحديات فلسفة ما بعد الحداثة في ظل جائحة كوفيد – 19، محمد إبراهيم عبد العال، مجلة البحوث البيئية والطاقة، مصر، مج 10، عدد 17، 2021، ص 10)

وبعد كل ما ذكرنا نستطيع إستدراج المفهوم الفلسفي للتشبيء بعد فهمه وفهم إجراءاته نحو النص الروائي وتطبيقه على نماذجنا الروائية، وكان بإمكاننا التصريح هنا الى أن مساحة التوظيف ليست واحدة، ولا متماثلة بين روائي وآخر، بحساب أن شكل السرد مختلف، ولأننا إزاء تجريب تحليلي يأخذ النص، ويوجه حالات التعنيف، والازدراء نحو تحول المرأة المسحوقة قبلاً، وبعداً الى منتج إستهلاكي تتناوله الأيدي تبعاً لتقضي حاجتها دون الالتفات الى كرامتها وكيانها.

توظيف الارهاب في النصوص الروائية العراقية

يشكل العراق كان وما زال عمقا مؤثراً وحاضراً برغم حالات الإنكسار والتخبط والإنحدار إقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً، ولعل كثافة العقلنة التي تبوتقت على هذه الأرض ما يعطيه رصيذاً لا ينضب من تراثيات الجدل والتفكير وإحترام منجزات العقل بشتى مجالاتها، ولم يكن لأي بلد محصلة ضخمة ومتنوعة من الفنون والآداب والعلوم والتناقضات الفكرية مثلما لدى هذا البلد، وهذا الأمر غير مقتصر على الزاد البشري المسلم الذي تضخمت الإبداعات اللسانية على يده، بل إن تنوعاته العرقية لها يد طولى في تحريك فهم الآخر، والإستجابة لطروحاته، ومن ثم التآلف معها كقيمة إنسانية بحتة، وفي حقلنا التجريبي نتفهم أهمية هذا البلد المقاوم للنكبات، الحي على الدوام قدرته على الإنبعاث كرة أخرى، وتقديم منجز أصيل يجعل أوليته حاضرة على الدوام.

المؤرخ للحركات المتشددة ذات الطابع الديني يجدها تستقطب الناس بالقوة، تارة وبالتهديد تارة، وأحياناً بليّ الحقائق وتزوير العقائد، ويحتاج المتتبع لكم معرفي ليتسنى له الإحاطة بإيدلوجية هذه الحركات وقدرتها على المناورة وتخدير العقل بأساليب تعبوية تدخل في صميم إقصاء الآخر المخالف وتكفيره، ومن ثم إستبعاده من معادلة المشاركة بتاتاً، ولذلك نرى أن خطاب هذه الجماعات يركز على الإلغاء على وفق طريقة إذا لم تكن معي فانت ضدي، ويبدو إستهلاك المناطق المقدسة الموروثة جلياً في الخطاب مع سبغ هالة من التبجيل المطلق والغلو باتجاه صنع إنموذج غير قابل للنقد، ولا للعصيان من قبيل بعث مفاهيم الخلافة، والدولة الإسلامية، وشعار الرسول والغزوات وغيرها من المصطلحات ذات البعد القيمي التاريخي المؤدية لدور الولاء والطاعة ” الخلافة في الفكر والتفكير الإسلاميين المعاصرين رمز، تاريخ تليد مضيع، ويوتوبيا بناء تاريخ مجيد مقبل، إنها الماضي والمستقبل في إتحاد مكين، علة طلب الخلافة هي إستعادة الدولة، وإستعادة الدولة شرط أساسي لاستعادة الإسلام نفسه ..“ (9)

(9) ((دولة الخلافة التقدم الى الماضي، فالج عبد الجبار، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، ط1، 2017، ص 55

وفي ربط الحشيتين أعلاه (الانتاج)، و(التصدير) نتصور حضوراً متزايداً للتطرف الفكري، وبالتالي تتحول صفة رفع الشخص، أو الفكرة، أو السلوك لأكثر من طبيعتها الى منهجية ذات أيولوجية تتطور مراراً لتكتسب ميزة التقديس، ومن ثم الإلزام، ويميز الدكتور عبد الله سلوم بين غلويين: الأول ساذج والآخر هادف ” يجيء نتيجة إدراك ومعاينة فكرية عميقة في قضية دينية، أو فكرية يعبر عنها بسلوك، أو أقوال غالية تهدف الى أغراض معينة ..“ (10)، أما المتطرف والتطرف فهو كما ورد في المعجم ” المغالاة السياسية أو الدينية أو المذهبية أو الفكرية، وهو أسلوب خطر مدمر للفرد والجماعة“ (11) ..

وعلى ضوء ذلك نجد علاقة تكافلية بين الغالي والمتطرف، وهما ينتجان القيمة المؤثرة نفسها لنكران الآخر وتهوين حضوره، ومن ثم إلغائه، مادام لا يتوافق أيولوجياً، دينياً، إجتماعياً معه.. ففي رواية عذراء سنجار مثلاً رصد لنوعية الآخر غير المسالم المسمى في ادبيات داعش (العدو الحربي) يقول وارد بدر السالم متحدثاً عن شخصية ايزدية في أثناء معيشتها في أجواء الرعب (الداعشي): ” لم يقلق سربست كثيراً حينما دقق الملتحي بأوراقه الشخصية وقرأ (غير كـافـر) في وثيقة العبور التي تسمح له بالتجول بين ولايات دول الخلافة..“ (12)، وهذا منتج حقيقي مرني في أوان السيطرة، اذ ينظر للمخالفين بأنهم كفار ومن ثم سيتوجب عليهم الجزية أو السيف.

وقد مارست الرواية العراقية ما بعد 2003 دوراً فاعلاً في أرشفة سنوات الانفجارات، والخطف، والقتل، والتهجير، وقد نجحت بالفعل في بلورة ثيمة تسجيلية نستطيع أن نسميها ثيمة الإرهاب الذي يعد بحكاياته الموجعة مادة دسمة للكتابة وللسرد فقد ” شكّل الإرهاب هاجس الرواية العراقية الجديدة، كونه الممثل الحقيقي للواقعية المتمثلة بهموم الإنسان العراقي ، وهو ما جعل بعض السرود الروائية تخرج عن المألوف، بموقفها الأيديولوجي المنفعل، والمنفلت أحياناً؛ لأنها حاولت وبشدة إيصال رسالتها التي أدانت الإرهاب ..“ (13) ،

(10) ((الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، د عبد الله سلوم، دار واسط للنشر، ص 15

(11) ((معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008، ص 1396

(12) ((عذراء سنجار، وارد بدر السالم، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، ص 19

(13) أنساب بناء الجملة السردية في روايات الإرهاب العراقية 2005 – 2017، أحمد عبد الجبار فاضل، مداد الاداب، الجامعة العراقية، مج 1، عدد 20، سنة 2020، ص 221

وبعيداً عن مجال الدرس الناقد الذي يرى قصوراً فنياً في رواية الإرهاب بحجة تعجزها التام على الثيمة قبل القيمة الجمالية والفنية، لكن هذا الأمر لا يعيننا تماماً عطفاً على رغبتنا في استخراج النص المتشئ للمرأة، ومحاولة تحليله وتقييم مقداره ومدى تأثيره على المدى الطويل في نفس المتشئ بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، فالروائي يمسك الواقع من خنقه، يفعل ماهيته ليصنع منه ثيمة تخدم نصه أولاً، ومن ثم تستجلي حقيقة ما رأى وما أحس ثانياً، بعدها يسوق كل ما كتب على إنه شاهد عيان .

المبحث الأول: الانتهاك الجسدي..

النهك معجماً المبالغة في كل شيء، أو هو الشتم والتدنيس وإزالة الحرمة (14)، ويتضمن الخرق والتعسف والشدة سلوكاً وإدارة للمجموعات العرقية الأقل رتبة، ومع تحفظنا الشديد على تفضل البشر وتماييزهم الإنساني، فإن الواقع يثبت عكس ذلك، إذ ما نزال ونحن في قمة صعود المدنية نرى تعريضاً مستمراً لكرامة الإنسان، وإتهاناً متواصلًا لكيونته، وبشتى الذرائع، فالإنسان عموماً الذي ينشد الوحداية والتفرد لا بد يسعى من ضمن سعيه المحتدم للسيطرة والغلبة، ومن ثم سيعمل بوعي أو بدون وعي للانتهاك والقهر والإكراه..

في الرواية العراقية الفاعلة في رصد حالات الانتهاك الجسدي في ظل المرحلة المظلمة التي شهدت همجية (داعش)، وجدنا تفاعلاً بينا بين الرصد الإنساني الواقعي، وذلك المتخيل، لأننا في كلا الحالين قبالة تعنيف مستمر للأنموذج المغاير، المغاير عقائدياً نقصد، لأن الجماعات المسلحة كانت أيولوجيتها الرئيسة قائمة على التكفير، وفي هذا المجال سنفتح قوساً كبيراً يشمل متباينات عقدية عديدة تعدها (داعش) عدواً يهدد إمتدادها، ومن ثم سيمكن تطهيرها (دينياً) من مد السطوة، ونشر الخلافة المزعومة، واسوء ما يمكن لمح في هذا الإطار ما تتعرض له المرأة بكونها جنس أقل رتبة من الرجل أولاً، أو بكونها تنتمي لمجموعات مختلفة عقدياً ثانياً ما يجعلها على الدوام في مرمى سهم المتشدين، لأنها أحياناً تكون غاية (قصوى)، لا وسيلة لإشباع النزوات وتحقيق المراد، وربما سنشهد تسويغاً لممارسات عنيفة تجاهها بحجج أهمها عدم الستر، والتبرج، وعدم الالتزام بالحجاب الشرعي، أو حتى طاعة الزوج، المؤدى منها تكميم رأيها، وتحجيم إرادتها، وجعلها خاضعة كلياً للرجل دون نقاش، أو إعتراض ..

((لسان العرب، مادة نهك)) (14)

في رواية الكافرة لعلي بدر تصوير دقيق لما يسمى بحادثة الرجم التي تنتهجها (داعش) على وفق عقيدتها لامرأة إتهمت بالكفر والزنا، فالبطلة التي كانت شاهد عيان تصف الحادثة ” دخلوا الى السيارة، أنزلوا الشابة، وهي ذاتها التي رأيتها صباحاً في الممر، كانت ترتجف، مانعت أول الأمر، الا أنهم سحلوها سحلاً.. وضعوها وسط الدائرة المرسومة بالطباشير البيضاء، قامت المرأة بربطها بحبل كان مشدوداً على خصرها، ربطتها به كي لا تتحرك، جعلوها تجثو على ركبتها وشدوا يديها الى الوراء ليستقر الجسم بلا حراك.. جاءت سيارة تحمل صخراً، وقلبوها قرب الموضع، رمقت الفتاة بعينيها الحجارة الساقطة هناك إرتاعت، وبان الرعب في وجهها وعينيها، إبتسم المسلحون حين رأوها ارتاعت.. ” (15)

في هذا المشهد الدرامي المحسوس تنتفض الإنسانية رفضاً لهذا الفعل القاسي، فالتشيؤ دال ومدلول في ذات الوقت، إذا اعتبرنا كلمات مثل (أنزلوا، سحلوا، وضعوا، ربطوا، إبتسموا) فيها ضمانات معنوية على أن المرأة هذه حتى لا شيء بالنسبة لهم، تحولت بمجرد إختلافها معهم الى كيان منبوذ يجب رميه والتخلص منه، ناهيك عن مقابلتهم الرعب والخوف البادي في عينيها والارتجاف في جسدها بابتسامة خرقاء ” طلبوا منها أن تنظر الى الناس، وقف على رأسها أحد المسلحين له لحية إنسابت الى أسفل، يعلوها شارب المخلوق، أنفه الكبير يلتهم وجهه وقد برزت عظام وجنتيه .. اشار بيده الى الناس برميها بالحجر “ (16)

حسناً فعل الكاتب حين أحالنا لأوصاف القتلة والهمجيين الذين نؤمن بانهم يتشابهون في السحنة والسلوك، يستمر الكاتب عبر بطلته الواصفة تشديد الخناق على مشاعرنا الرافضة لمثل هكذا سلوكيات، وحنقنا الشديد على من يقوم بها، وإستطرادنا في هذا النموذج باعته أن الإنتهاك هنا تجلى بأقبح صورته، والتشيؤ واضح في عدم الإكتراث بحال (المرجومة) ” أما هي فقد أرسلت لي زفيراً مضمخاً بالدم، وهي ترفس بأقدامها على الارض، لم تكن قادرة أن تتقي الضربات عن وجهها، أو رأسها، فيداها موثوقتان، كان الضحك يتعالى، وهم يمعنون بضربها على الراس وعلى الوجه .. ” (17)

(15) ((الكافرة، علي بدر، منشورات المتوسط، ميلانو، ط1، 2015، ص 44 وما تليها))

(16) ((المصدر نفسه))

(17) ((المصدر نفسه))

والنص باذخ في أذى المشاعر، وتضخيم المعاناة التي تستحقها الحادثة، لكوننا إزاء تفعيل للتوحش بكل معنى الكلمة، ولعلنا سنواجه مشهداً عنيفاً آخر صوره قلم الروائي (الشاهد) على فداحة وسوء التشيي ” توقفت السيارة في منتصف السوق وهبط منها أربعة رجال يتكبدون البنادق فيما بدا حوضها الخلفي يحمل ست صبايا عاريات مقاربات الاعمار.. ” (18)

وسنكتفي بهذا القدر الواصف؛ كي لا نخدش حياء القارئ، وننتقل مباشرة لسبب ابراز الفتيات أمام الناس.. “بسم الله الرحمن الرحيم، ولاية الجزيرة قضاء سنجار، بالنظر لإمتناع الكافرات المدرجة اسمائهن في أدناه بالدخول الى الدين الإسلامي الحنيف، ونظرا لصغر أعمارهن، وبعضهن غير بالغات فقد حكنا شرعاً بحقهن الحكم التالي: حلق رؤوسهن في مكان عام ويشهد على ذلك العامة.. ” (19) ،

وهذا النص نابض بالتعنيف والتجاهل، ونبذ الآخر، بل والتحكم به بحجج عقديّة ودينيّة.. ولو إن بعض الضحايا بادرن وأعلنن الطاعة، ربما لحفظن حياتهنّ كما فعلت دليّن الايزدية: ”زوجي أعطاني حريتي شرط أن أدخل الإسلام وأتزوجه، لأنني صغيرة وجميلة مثلما ترين... هناك أخريات لا احد يأبه بمرضهن، دليّن همست أنها بهذه الطريقة تضمن عدم بيعها، أو إغتصابها مثلما جرى لأخريات رفضن أن يسلمن“ (20)،

وبصرف النظر عن النجاة، أو الموت فإن مجرد تخيير الإنسان بين ما إعتاد عليه، وإعتنقه، وأمر آخر لا يعرفه بالقوة والقسر، ولاسيما وإن كان التخيير خاضعاً لمتطلبات السطوة والقوة، فإننا سنكون لا محالة إزاء تعنيف غير مسوغ، وتصرفات لامتناهية القسوة .

وغير ذلك لدينا المزيد من مظاهر الإتهاك المعمول بها أ————ان سطوة (داعش) على نحو: ” ومع أول سوط إنفتحت الأجساد عن صراخ مكبوت، وتوسلات طفولية غير مفهومة، في فوضى اللغظ الذي أثاره السكان.. كانت السياط ترسم تقاطعاتها على الأجساد الناعمة، وتترك آثارها بخطوط حمراء. ومع إشتداد الجلد نفر رذاذ من الدم، بل إن الفتاة الثالثة من الصف الأول هطل رأسها، وكفت عن الصراخ وجلدها يتمزق... ” (21)

(18) المصدر نفسه، ص 40

(19) المصدر نفسه، ص 44

(20) شتات نينوى، غادة صديق، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2016، ص 301

(21) عنراء سنجار، ص 47

هذه الفعالية ممنهجة في تدابير (داعش) الرامية لبث الرعب في قلوب الناس، وإستخدام النساء كجزء من سياسة فرض القوة، يتأتى من سهولة تجيير التهمة وتلفيق السبب المؤدي لهذه الأفعال.. فامرأة (كافرة، متبرجة، غير مطيعة) مجموعة لازمات إجرائية لتقنين القسوة وتوجيه حالة التشيئ اللاحقة على المعنفة، أو غير المعنفة ” الجمعة الماضية أعدمتم امرأة شناقاً؛ لأنها لم تطاوع زوجها المجاهد.. ” (22)،

ونستمر في إبراز النصوص التي تحمل في طياتها تسخييراً للقوة الغاشمة التي لا تفرق بين حلال وحرام، ففي رواية شتات نينوى نجد هذه الجزئية على لسان أحد الشخصيات: ” خضر روى لي إنهم هددوا المرأة بقطع إصبعها إذا ما رفضت أعطائهم خاتم زواجها، وإن الأقراط الذهبية في إذني إبنيتها ذات الثلاثة أشهر لم تسلم من المصادرة “ (23) ،

في النص وشاية على معتد لا يهمله الإنسان، ولا يراعي حرمة المرأة، ولا طفلتها، ومن ثم فهو من باب أولى لا يعبأ بأي مظهر من مظاهر الإنسانية بانتزاعه خاتم الزواج قسراً، ولا نريد أن ندلل على إن الإسلام بريء من أفعال هؤلاء، وإن انتسبوا له زوراً، أو رفعوا شعاراته بهتاناً ..

وعملية التشيئ تبدو أكثر إتضحاً في النص الآتي الذي يتحدث عن سوق للسبايا: ” أوقفن في صف واحد مطرقات الرؤوس، وعلى صدورهن أرقاماً تعريفية، قابلهن إثنان وخمسون شخصاً متحمساً قدموا من مختلف أنحاء دولة الخلافة وفي عيونهم نظرة جوع.. “ (24)

وعلنا نفهم تقهقر الحضارة ونكوص تعاليمها الى ما دون عصر الجاهلي، فزمن العبيد والنخاسة ولى الى غير رجعة، لكن هؤلاء أعادوه متوهجاً من خلال جلب البضاعة الرائجة، نسوة لا حول لهن ولا قوة، تدنس أجسادهن الايدي القذرة، فتتجلى الإنتهازية بأجلى صورها حين نجد صراعاً لاقتناء أجودهن، والفوز بالجميلة الحسناء قبل الآخرين ” وكاد أن يتحول المزاد الى نزاع مسلح عندما أصر عدد من الحضور على إستثناء فتاتين جميلتين من العرض وشرائهما دون المرور بالإجراءات خشية إرتفاع أسعارهن.. ” (25)، حين نبحت صدقاً عن التشيئ، فهذا المثال صارخ وكافٍ جداً

(22) المصدر نفسه، ص 74

(23) شتات نينوى، ص 277

(24) شطابا فيروز، ص 88

(25) شطابا فيروز، ص 89

المبحث الثاني: الانتهاك النفسي

كان ما سبق في تتبع امثلة الإنتهاكات الجسدية التي تعرضت لها النساء أبان سيطرة (داعش) ومحاولاتهم المستمرة لتغيير سمة المرأة الانسان الى سلعة تتناقلها الأيدي وتفتershها الاسرة، والآن سنتقصى نوعاً من التشيئ النفسي وهو لا يختلف البتة في فضاءاته عن أي انتهاك جسدي، بل سيكون أكثر إيلاًماً وتأثيراً على المدى الطويل، وتبدو أولى الانتهاكات في هذا المجال ما يظنه المتشدد إن المرأة مهما بلغت ومهما كانت درجة قرابتها تبقى امرأة متحكم بها من قبل من هو اهل للقيادة والقوامة، ومن ثم فإنها لن تستطيع التصرف بأي شيء دون إذن رجلها (اب، زوج، ابن) المهم أن يكون ذكراً، ولن نبالغ اذا قلنا إن جسد المرأة أيضا لا يعد ملكها بل هو مشاع الملكية بين سلطة الاب أولا، ثم الزوج في المقام الثاني، فحوار فاطمة في رواية الكافرة مع والدها ينبيء بذلك: ” لكنه جسدي، انت لا تملكينه، ليس لك، جسدي ليس لي ! .. شعرت تلك اللحظة بأنه يسحقتي، فجسدي الذي لا يؤلم غيري يتبخر، ويتحول الى شرف الرجال المحيطين بي! ” (27)،

ولو كان الحوار بين رجل وابنته دون إضافات فكرية او ايدلوجية، لقلنا بأن الخوف من المجهول هو الذي يحكم علاقة الاب بابنته حين يرجو لها مستقبلاً أفضل برعايته وتجربته المديدة، لكن حين نعلم أن الأب هو قيادي في (داعش) لتغيرت الشعور من خوف على الابنة الى الإستحواذ، ومن ثم سلب الإرادة، وأخيراً التحكم بها كأنها جزء من ممتلكاته، هذا الأمر سيولد شعوراً ساحقاً بالدونية والقلّة عند أية فتاة، وسيجعلها أسيرة الالهواء والأفكار المريضة..

ولابد من الإشارة قبلاً الى إن الإنتهاك النفسي سيشمل (الإشارة الجنسية، التعنيف اللفظي، الحرمان، والفرص والقسر) وكلها مقدمات لتحوّله من إنتهاك نفسي الى جسدي من قبيل التعذيب، التشريد، الاكراه الجنسي) وفي هذا الإطار سنحاول تعزيز النماذج المختارة برويتنا التحليلية لدور الانتهاك في تسليع المرأة وتغيير كنهها، وعدها شيء غير ملزم الا وقت الرغبة الجنسية ” أبلغ عن الغرباء راقب الحريم (28) جيداً، لا نسمح بأن تخرج الحرمة بلازيها الإسلامي الكامل، النقاب والجبة الطويلة والكفوف والجواريب ... لا توجد حريم كثيرات حجي خان كما تعلم سوى العجائز والبقية في السجن، أو تزوجهن المجاهدون وكل شيء تمام، السنجاريات سبايا دولة الخلافة وهن غنائم (29)

(27) المصدر نفسه ص 71

(28) الحريم، مشتقة من الحرم، ما يدافع عنه الرجل ويحميه، والحرمة ما لا يحل انتهاكه من ذمة وحق، وايضاً بمعنى المرأة.. ينظر: الحريم في القصر العثماني، د. ماجدة صلاح مخلوف، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1، 1998، ص 10، ويبدو ان اطلاقها بمعنى حاشية الملك او السلطان من الجواني قد اخذ مداه ابان السلطنة العثمانية، إذ كان السلاطين يحشدون الجواني، والمحظيات، والسبايا في قصورهم، ولكي يسبغوا عليهم هالة من الممنوع والمحظور اطلقوا عليهم لقب الحريم..

(29) الغنائم، جمع، والغنم في كل مظهر به من جهة العدى وغيرهم، مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تج: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009، ص 615

(30)، ونلمح تفكيراً فوقياً يجاريه فعل متعسف في التعامل مع النساء، إذ إن وجودهن مقصور على خدمة المقاتلين، مع عدهن جزءاً لا يتجزأ من ملكية الرجل التي سوغها له ما تحصل عليه من غنيمة.. مثال ذلك: ” اسمها هالة وعمرها ثلاثون سنة، يشهد صاحبها انها ملبية في الفراش ومفيدة للخدمة، نفتتح السعر بخمسين دولاراً فمن يزيد..“ (((31)،

وكأننا أمام عرض مسرحي، سوق مزدحم بأصحاب الرغبات، وبضاعة رائجة من النساء، والمحصلة امرأة مسحوقة، أنثى تدفع ثمناً باهضاً كي تبقى فقط على قيد الحياة وسط ذئاب بشرية تتربصها وتتداولها كل حين.

ومع عظم ما أرتكب من جرائم بحق المرأة المسلمة، وغير المسلمة على حد سواء على يد المتطرفين، فإن ما نوردته قد يكون أقل من المقدار الواقعي بكثير، لكنه سيبقى وثيقة إدانة لكل المرتكبات اللاإنسانية بحق المرأة، والطفلة أياً كان دينها، ” عندما أفقت كان الملتحون قد أكملوا جمع غنائمهم من النساء والأطفال والمواشي، بعد أن أعدموا كل الرجال والشباب الذي عثروا عليهم ... قبل أن يأتي رجل أصلع منتوف اللحية قصير القامة ليلقي علينا خطاباً باللغة الكردية، دعانا فيه الى إعتبار ذلك اليوم أول أيام حياتنا بخروجنا من الظلام الى النور، وإننا أصبحنا ملكاً للمجاهدين في سبيل الله ..“ (32)

إن إستباحة المخالف الديني في عرف الجماعات المسلحة متاح، وإتيان القرى المسالمة وقتذاك، ومباغتتها، وإقتياد نسوتها مبرر شرعاً، فلا داعي للدخول في تفاصيل المتون الفقهية المتضمنة ذلك، لكن الذي يعيننا هنا أن الإنسان المخالف سيتعرض لكل جزاء على وفق مبدأ المنتصر والقوي، بلا رعاية ولا تبصير بما يجري، فلسن إحدى الايزديات يتمتم للرفيقة: ” إن المجاهدين سيفعلون بنا ما يشاؤون، يبيعوننا أو يتزوجوننا .. بقيت صامتة لحظات تحديق في وجهي ثم سألتني بحماسة (ماذا تعني كلمة سبايا ؟) ..“ (33)

وفي مشهد مماثل نقرأ: ” هم يجمعوننا هنا لكي يوزعوننا فيما بعد على مقاتليهم كهدايا، ونصبح عبيداً لهم بقية حياتنا.. نحن الآن سبايا يا فيروز، هنا تدخلت عمتي بعد أن إستيقظت فجأة (هل سبايا شيء يجلب العار حقاً ؟“ (34)

(30) عزاء سنجار، ص 37

(31) شطابا فيروز، ص 89

(32) شطابا فيروز، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017، ص 58

(33) المصدر نفسه، ص 60

(34) المصدر نفسه، ص 77

ولأن الإنسان مجبول على المقاومة في ظل ظروف طبيعية، فما بالك في كون الوضع غاية في التعقيد، فالنفاذ منه مستحيل فعلاً، ستتحرك حينئذ مجسات الحماية الذاتية لدى النساء لتقليل الخطر الممكن لا درئه، من قبيل توزيع الأطفال بين النساء غير المتزوجات لإيهام المقاتلين إنهن أمهات غير باكرات لتقل رغبتهم بهن، أو تلطخ الحسناوات وجوههن وتسخمها ليبدن بشعات الى آخره من وسائل الدفاع البسيطة، ناهيك عن إن بعضهن لم يستطعن تحمل القسوة، فبادرن للإنتحار وقتل أنفسهن بدل أن يصرن أسيرات، فهذه الفتاة تطلب من عمتها خلاصاً أبدياً عن طريق قتلها: ”أرجوك ساعديني لكي أظل طاهرة“،⁽³⁵⁾

هذه الأمنية العزيزة تصدر من قلب يانس من أي إمكانية للعيش بكرامة.

ولداعش سياستها المائزة في نشر الرعب بين صفوف المدنيين، من خلال فبركة الصور، وصنع معامل الإخضاع عبر تسليط مشاهد القتل، وإجبار الناس على مشاهدتها، وهذا الأمر له تأثير مدمر على نفسية المتلقي الخاضع أصلاً، وللنساء من هذا الإخراج الدرامي نصيب، لتسهيل عملية السيطرة، وقد لا يسمح لنا الوقت في تصنيف درجة الإتهيار النفسي طويل الأمد، ومشاكل التعايش بعد ذلك جراء هذه الممارسات، لكننا بالتأكيد نمتلك تصوراً عن قسوة ما خلفته الجماعات التكفيرية من ذكريات في وجدان من عشن تجربة الأسر والسبي ” عند منتصف النهار دخل علينا أبو عائشة العفري ومعه ثلاثة أشخاص كنا نراهم للمرة الأولى، أمر الحراس بحشرنا في زنزانة واحدة، وإبقاء الفتيات مكسورات الأذرع في الزنزانة الأخرى، على أن يرتدين ثياباً برتقالية اللون جلبت خصيصاً لهن ..“،⁽³⁶⁾

في هذا المشهد نلاحظ تلاعباً بالمشاعر، وتفتيتاً لمدرجات الصمود عند الفتيات من خلال عدة إستراتيجيات: (وضعهن محشورات في زنزانة، حضور الملتحي قائد مجموعة فاتكة، وأخيراً جلب الملابس ذات اللون البرتقالي التي تعني الإعدام في اعراف (داعش)، ومن ثم جاء التصريح العلني ” المحكمة الشرعية أصدرت أمراً بقتل الفتيات اللواتي كسرن أذرعهن لأنهن أصبحن معاقات من الناحية الفعلية، ولن تستفيد الدولة الإسلامية منهن كخدمات، ولن تتمكن من بيعهن أيضاً؛ لأن لا أحد يشتري نصف سبية..“ ((⁽³⁷⁾

(35) شظايا فيروز، ص 109

(36) المصدر نفسه، ص 116

(37) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها

وهنا تكمن ذروة التخويف، ومن ثم توقع الانهيار الذي سيكون متوافقاً مع التبشير بهدايا الخليفة وفيوضاته الرحيمة، فقد أمر بأن يُعفى عنهنّ مقابل إشهار إسلامهنّ، وقبولهنّ الطاعة لمن سيملكهن باعتبارهنّ أسيرات حرب جيء بهن لبلاد الإسلام.

إن في إمكانية إختزال الألم في سوق النساء كما تساق البهائم، سنكون عاجزين؛ لأن مجرد التفكير في جعل النسوة كشيء يملك يضعنا أمام تساؤلات في مقدار ما يمكن أن تقدمه الحضارة الإسلامية لحماية المرأة، وتحويل شعار البراق في التساوي والتماثل بين الجنسين الى واقع ملموس، ولاسيما وهي تتعرض لانتكاسات قيمية متتابعة، بعد ظهور موجات التشدد السلفي، وركوب النص القبلي وتوجيه تأويله باتجاه الغاية المتوخاة، من قبيل: ” لا يحل وطء السبية إلا لمن تملكها ملكاً تاماً، أما من كان ملكه منقوصاً بشراكة فلا يحل لها وطؤها حتى يشتري نصيب الآخرين فيها“ (((38)، وعلى هذه الشاكلة يتم تطويع النص الديني لتأسيس نوع من التحصين المقدس قبالة أي تهوين أو تقليل من شأن ما يقترف.

ولعل السحنة التي يلتزم بها المسلحون والشكل المميز لهم ما يجعل وجوههم أبعد شيء عن التودد، أو الإبتسام، وتبدو أشكالهم مرآة مميزة لقلوبهم السوداء: ” كانت وجوه الرجال المحيطين قاسية مثل المعدن، وعيونهم صلبة مثل الحجر، كنت أخاف عبوسهم الذي يحدث في داخلي إرتجافاً غامضاً، أشعر إنهم مؤهلون لأن يمدوا أيديهم ويلمسوني.. ” (39)

وهم بهذا الوصف سيتغلبون على أي تعاطف تجاه النساء سوى تعاطف الامتلاك والسيطرة، ولعلنا نواجه تغيراً سايكولوجياً يحتمه إدمان مشهد العنف واللامبالاة، وبذلك سيتحول هذا المسلح بدوره لآلة، فقط يطيع وينفذ، ويرى الناس أعداءً مهما كانت صلة القرابة معه، والا كيف نسوغ إقدام المسلح بقتل أخيه، أو أبيه بحجة مخالفتهم الشرع، لكن الكاتب لا يفلسف هذا التغير؛ لأنه ليس معنياً سوى بمشاهداته، فالبطلة عند علي بدر تصف أبيها الذي تغير حاله تماماً، وصار مرعباً مخيفاً منذ أن انضم للمقاتلين، بل إنها تفاجأت بردة فعله يوماً: ” دخل أبي الى الحجرة ، وكنت ألعب بدمية في يدي، ومن دون أن ينظر نحوي ناداني بإسمي ..

(38) المصدر نفسه، ص 143

(39) الكافرة، ص 62

وهم بهذا الوصف سيتغلبون على أي تعاطف تجاه النساء سوى تعاطف الامتلاك والسيطرة، ولعلنا نواجه تغيراً سايكولوجياً يحتمه إدمان مشهد العنف واللامبالاة، وبذلك سيتحول هذا المسلح بدوره لآلة، فقط يطيع وينفذ، ويرى الناس أعداءً مهما كانت صلة القرابة معه، والا كيف نسوغ إقدام المسلح بقتل أخيه، أو أبيه بحجة مخالفتهم الشرع، لكن الكاتب لا يفلسف هذا التغير؛

لأنه ليس معنياً سوى بمشاهداته، فالبطلة عند علي بدر تصف أبيها الذي تغير حاله تماماً، وصار مرعباً مخيفاً منذ أن انضم للمقاتلين، بل إنها تفاجأت بردة فعله يوماً: ”دخل أبي الى الحجرة، وكنت ألعب بدمية في يدي، ومن دون أن ينظر نحوي ناداني بإسمي .. طلب مني أن أتبعه الى الحجرة الثانية، نهضت من مكاني كي أذهب وراءه، فأوقفتني أمي، أشارت لي أن أرتمي النقاب أمامه.. دخلت من دون حجاب الى الحجرة، نظرت له شعرت باختفاء تلك النظرة الحنونة التي كان يغدقها بعض الأحيان نحوي.. لحظات من الصمت وهو ينظر الى الحائط عابساً لا ينظر نحوي، ثم جاء صوته عميقاً كأنه قادم من قعر بئر (لم لم ترتدِ النقاب أمامي؟)“ (40)

الذي يعيننا من هذا النص مقدار التحول الملموس الذي يطرأ على أفكار وأخلاق المسلح، الذي يرى حوله مكملات تخدم وجوده فقط، فليس على الموجودات (نظرائه) سوى الركون والطاعة العمياء له، فلا رأي يسمع ولا قرار يتخذ. وإذا ما كان لنا بد من إنهاء ما تصورنا أنها نماذج روائية ناهضة في التدليل على شيئية المرأة أبان حكم داعش، ولكي نطمئن لمستخرجاتنا نورد هذا النص كإجراء ختامي، ومتوهج على كل ما سردنا: ”

ستعرض كلي معك للبيع يوم غد، مثل أن يبيع شخص بقرة مع عجلها، مائدة مع كرسي، سريراً مع فراش، ويتوقف الأمر على من يشتريك من المجاهدين..“ (((41)، ففيه كل ما نريد ان نقول وندلل.

(40) المصدر نفسه، ص 69

(41) شظايا فيروز، ص 211

الخاتمة

حين تتعرض الامم لهزات أمنية عنيفة فإن الحال ينتج مجتمعاً مختلاً قيمياً، ترتفع أسهم المتحكمين وهم في العادة مسلحون بايديولوجيتهم الخاصة قبالة المثاليات المحلية، وهنا علينا أن ننتظر سيادة جديدة لسلوكيات غريبة، بعدها يكون التعامل معها كأمر واقع مفروض قسراً..، في الحال الذي هيمنت (داعش) على أجزاء من العراق، شهدنا تحولات مغايرة إتسمت في معظمها بالعنف والإفراط في الإقصاء، وكان نصيب الديانات والعقائد المغايرة كبيراً من التقتيل والتهجير والسبي.

وكانت المعالجات الروائية غاية في الإلتزام من أجل إنصاف المظلومين ورفع صوتهم، وشهدنا كمّاً ونوعاً من الأعمال العراقية، إنبرى فيها الروائيون لتصوير مجريات الأمور بشكل فني ملفت، ونستطيع هنا أن ندعو لمزيد من الدراسة للنصوص السردية التي عملت على ثيمة العنف والإقصاء في هذه المرحلة بالذات.

اما التشيؤ مدار بحثنا فقد تجلى لنا واضحاً في نصوص إختارناها، لان ثيمتها السردية ذات تركيز عال على (في أثناء، وما بعد) داعش المظلمة، فكانت روايات مثل الكافرة (علي بدر) تحفل بمرجعيات صورية عن مشاهد التشيؤ للمرأة واستغلالها، وكذلك الحال في رواية عذراء سنجار (وارد بدر السالم) التي إتسمت بمعالجات دقيقة لحياة الايزديين في سنجار، وما تعرضوا له من سلب ونهب، وكانت المرأة الايزدية أرخص ما تكون تداولاً عند أوباش (داعش)، وأما رواية شظايا فيروز (نوزت شمدين) فهي وثيقة دامغة عن أسواق السبايا، وكيف تعرض النساء جهاراً نهاراً وتُمنّ كاي سلعة، بل ولا تدري مصيرها الى أين نهايته، بالإضافة الى رواية شتات نينوى (غادة صديق) التي إستعرضت رحلة الألم والهروب الكبير من الوطن الأول المتعرض لأقصى حالات التدمير والنهب.

وعند معالجتنا لظاهرة تشيؤ المرأة وجدنا إن الدوافع لها في الغالب جنسية بحتة، إذ إن المقاتل المدفوع بعقيدة ما، والمدافع عن منطقة فكرية ما، يقدر على تطويع، وليّ المعتقد المعتقد بشكل يرضي رغباته بالدرجة الأولى، ناهيك عن إن موضوع السبي والسبايا مما له عمق تاريخي يرتبط بالغنيمة والاستغلال المتاحة دون عودة لمسوغات الحلال والحرام، وكان التفاعل الجنسي هو المهيمن على مجريات الانتهاك والتشيؤ، مع إعترافنا بأن هناك مسوغات أخرى لهذا الفعل من قبيل العصبية القبلية، وسطوة القوة، وتمايزات الفرق الكافرة، وكذلك الانتقام وسوء الخلق، كلها تعاضدت وأنتجت مثلاً مشوها للمتطرف الذي ينظر للأمور بشينية محضة .

وقد عانى البلد ويلات عدة جراء هذه الممارسات اللاإنسانية، وبات على شفير هاوية، وتدهورت عند ذلك العلاقات الإنسانية بالمجمل، بل يمكننا القول إن كل ما فيه تحول لشيئية مقبولة، يباع ويشترى ويهدى، دون مراعاة لحرمة ولا لدين "يالها من كارثة تحل على العراق، ففساؤه واطفاله سلع ومكافآت تمنح للذئاب" (42)، وكان نصيب الجمال والرقعة التشويه المتعمد، فالمرأة نالت اوفر نصيب من التعسف والاذى والاضطهاد.

المصادر

1 - الروايات

- 1 - شتات نينوى، غادة صديق، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2016
- 2 - شظايا فيروز، نوزت شمدين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2017
- 3 - عذراء سنجار، وارد بدر السالم، منشورات ضفاف، بيروت، ط1
- 4 - الكافرة، علي بدر، منشورات المتوسط، ميلانو، ط1، 2015

2 - المراجع

- 1 - التاريخ والوعي الطبقي، تر: حنا الشاعر، دار الاندلس للطباعة والنشر، ط2، 1982
- 2 - التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف، اكسل هورنيث، تر: د كمال بو منير، كنوز الحكمة للنشر، ط1، 2012
- 3 - الحريم في القصر العثماني، د. ماجدة صلاح مخلوف، دار الافاق العربية، القاهرة، ط1، 1998
- 4 - دولة الخلافة التقدم الى الماضي، فالح عبد الجبار، المركز العربي للأبحاث، الدوحة، ط1، 2017
- 5 - الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، د عبد الله سلوم، دار واسط للنشر
- 6 - القضايا الأدبية من منظور فلسفي، محمد شبل الكومي، الهيئة المصرية، القاهرة، ط1، 2005
- 7 - معجم اللغة العربية المعاصرة، د احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008
- 8 - مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 2009

3 - الدراسات

- 1 - أثر الإعلام المرئي على تشيؤ المرأة: دراسة ميدانية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د. مروة محمد تهامي، مجلة كلية الآداب، قنا، مصر، عدد 53، تموز 2021

الهوامش

- 2 - أساليب بناء الجملة السردية في روايات الإرهاب العراقية 2005 – 2017، أحمد عبد الجبار فاضل، مداد الاداب، الجامعة العراقية، مج 1، عدد 20، سنة 2020
- 3 - أكسيل هونيث براديجم الاعتراف نحو تأسيس عدالة اجتماعية أخلاقية، د فاطمة فرفودة، مجلة مقاربات فلسفية، مج 8، عدد 1، 2021
- 4 - رقمنة الإنسان: تحديات فلسفة ما بعد الحداثة في ظل جائحة كوفيد – 19، محمد إبراهيم عبد العال، مجلة البحوث البيئية والطاقة، مصر، مج 10، عدد 17، 2021
- 5 - من غيورغ لوكاش الى اكسل هونيث نحو إعادة بناء مفهوم التشيؤ، د كمال بو منير، مجلة هيرمس، جامعة القاهرة، مج2، عدد4، 2012
- 6 - نقد مفهوم الاغتراب عند هيغل، محمد امين بن جيلالي، مجلة الاستغراب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، العدد 14، شتاء، 2014

سيكولوجية العنف في الاعلام المرئي للجماعات الإرهابية و تأثيرها النفسي على المجتمع العراقي تنظيم داعش أنموذجا

اعداد : قحطان عدنان هاشم الزبيدي

(ملخص)

ان ظاهرة العنف قديمة منذ عصور و هي منتشرة منذ بداية البشرية , وبداية الصراع الاول بين بني ادم والى يومنا هذا و اصبح انتشاره بشكل واسع وكبير حول العالم وما سببه اليوم من اثار كبيرة هددت السلم الاهلي و المجتمعي , ان الارهاب من ابرز المشكلات التي يواجهها العالم في الوقت الحالي و استطاع ان يجر له مكاناً في وسائل الاعلام ومحطات التلفاز ومانشيتات العواجل في القنوات العالمية , وكيف وظف تنظيم داعش الارهابي الاعلام في تسويقه لإرهابه واجرامه للمجتمع و السلوكيات التي يمارسها من قتل وتعذيب اتجاه خصومه , و ان سيكولوجيا التنظيم الارهابي و توظيفه للعنف في الاصدارات المرئية يجعلنا ان نهتم و نبحت لهذا سلوكيات و لمعرفة كيفية التعامل معه و تسعى الدراسة لتحليل و رصد سيكولوجيا العنف في الاصدارات المرئية لداعش و اثرها على العامل النفسي للمجتمع العراقي .

والدراسة كيفية وصفية استعمل فيها الباحث منهج التحليل الكمي واستعمل فيها اداة تحليل المضمون العنف في الاصدارات المرئية و الكشف عن مدلول العنف و توظيف الاعلام لاستخدامه و تأثيره على العامل النفسي للمجتمع .

واشارت اهم النتائج ان التنظيمات الارهابية تستخدم العنف واستراتيجية صناعة الخوف لدى المقابل من لأجل السيطرة عليه نفسياً و تحطيمه و هزيمته دون معركة و خلق الذعر والانكسار لدى المجتمع من خلال بثه لصور القتل والارهاب والذبح عبر الاصدارات المرئية للتنظيم الارهابي , كذلك اظهرت الدراسة ان تنظيم داعش الارهابي استخدم كل انواع العنف الجسدي واللفظي و من خلال دراسة ظاهرة الارهاب سيكولوجياً وجدنا حب الذات و التدمير والاقصاء وحب السلطة والتملك والتوسع من اهم ما يميز تنظيم داعش الارهابي



(Abstract)

The phenomenon of violence is ancient for ages and has been prevalent since the beginning of humanity, and the beginning of the first conflict between Bani Adam and to this day, and its spread has become widely and widely around the world and the great effects it has caused today that threaten civil and social peace. Terrorism is one of the most prominent problems facing the world. At the present time, he was able to gain a place in the media, television stations, and Al-Awael posts in international channels, and how the terrorist organization ISIS employed the media in marketing its terrorism and criminality to society and the behaviors it practices from killing and torturing towards its opponents, and that the psychology of the terrorist organization and its use of violence In the visual versions, it makes us care and look for such behaviors and to know how to deal with it and seek The study to analyze and monitor the psychology of violence in the visual versions of ISIS and its impact on the .psychological factor of Iraqi society

The study is a descriptive method in which the researcher used the quantitative analysis method and used the content analysis tool of violence in the visual versions and to reveal the significance of violence and to employ the media to use it and its impact on the psychological factor of .society

The most important results indicated that terrorist organizations use violence and the strategy of creating fear in return to control it psychologically, destroy it and defeat it without a battle and create panic and breakup in society by broadcasting images of killing, terrorism and slaughter through visual versions of the terrorist organization. The study also showed that ISIS terrorist organization He used all kinds of physical and verbal violence, and by studying the phenomenon of terrorism psychologically, we found love of self, destruction, exclusion, love of power, possession and expansion of the most important characteristics of the terrorist organization ISIS

المبحث الأول: منهجية البحث مقدمة

تشكل مرحلة سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على أجزاء كبيرة من المنطقة العربية و أكثر من نصف العراق والتي مارس فيها مختلف أشكال العنف والحرب النفسية و جرائم القتل والسبي والتهديد وكل أنواع الجرائم ضد الإنسانية , وتعتمد التنظيمات الإرهابية سيكولوجية تختلف عن التشكيلات والتنظيمات الأخرى والتي تميزت بالعنف والإجرام و استخدم الاعلام المرئي في بث رسائل الخوف والرعب كي تؤثر على العامل النفسي و إخضاعهم دون دراية تحت الحكم الإرهابي و خلق بروبوغندا مزيفة لتلك العصابات المجرمة .

إن اعتماد التنظيمات الإرهابية للعنف ضد البشرية من اجل فرض إرادتها بالقوة والقتل هو السلوك التي تنتهجها القوة الظلامية ضد كل من يختلف معهم , و من اجل التوصل الى الأسباب التي دفعت البعض من الانتماء الى تلك الجماعات و أسباب ظهور وسيطرة تنظيم داعش الإرهابي و توظيف البحث العلمي و الطرق العلمية والمنهجية و في مجال البحوث والدراسات التي تتناول الإرهاب و تزويد أصحاب القرار و المختصين بالشأن الأمني بالمعلومات و البيانات والخطط في محاربة الحرب النفسية والإشاعات التي يطلقها الإرهاب ضد المجتمع والتي تؤثر على العامل النفسي للمواطن , و إيماننا منا بان السلاح ليس حلاً وحيداً لحسم المعركة بل لا بد من طرق أخرى توظف في مجال مكافحة الفكر الإرهابي .

إن سيكولوجيا داعش في استخدام العنف وبثه عن طريق الاعلام المرئي الخاص به جعلنا نهتم ننتعمق في أهمية محتوى المادة الإعلامية وتأثيرها على جمهور المتلقين , و أهمية الاعلام في ظل التحول الكبير في مجال الفضاء السبراني و بما يمتلك تنظيم داعش الإرهابي من من إستراتيجية إعلامية تميزت بالتفوق على الكثير من وسائل الاعلام العربية والأجنبية ووظف الثورة الرقمية والتكنولوجية لصالحه و جند الآلاف من خلاله و اثر وأرعب الملايين بإعلامه المرئي الذي تصدر المشهد في فترة ظهوره وسيطرته على أجزاء كبيرة من المنطقة , وسنقوم ببيان تأثير العنف في الاعلام المرئي للتنظيم و مدى تأثيره على العامل النفسي في المجتمع .

أولاً : مشكلة البحث

إن الإرهاب دائماً ما يهدد المجتمع واليوم في عصر التطور التكنولوجي حيث أدرك التنظيم الإرهابي أهمية الاعلام في المعركة ضد خصومه و المجتمع و عملوا على توظيف الاعلام والحرب النفسية و العنف و من هنا فان دراستنا ” سيكولوجية العنف ” له أهمية كبيرة في فهم استراتيجية التنظيم و استخدامه للعنف في تحطيم العامل النفسي للمجتمع , ويمكن صياغة المشكلة البحثية بالتساؤل الآتي (ما سيكولوجية العنف في الاعلام المرئي للإرهاب وتأثيرها على العامل النفسي في المجتمع) و ما هي ابرز صور العنف في الاعلام المرئي والإصدارات التي يبثها تنظيم داعش الإرهابي و الوقوف على أهمية المحتوى الإعلامي و الإخراج الفني في الإصدارات و الرسائل التي يريد التنظيم إيصالها لخصومه و المجتمع من خلال بثه لمشاهد العنف والقتل في الاعلام المرئي .

و من الملاحظ إن الإرهاب من المشاكل المعقدة التي تحتاج إلى دراسة عميقة ووقت طويل كي نصل إلى الطرق المناسبة في حل تلك المشكلة أو الحد منها على الأقل و يوجد الإرهاب والعنف عندما تصل الأمور إلى طرق مسدودة و خاصة عن التداول السلمي للسلطة و يبدأ بفرض الإرادات بقوة السلاح والعنف ضد كل من يخالفه في الآراء والاتجاهات عندها يجد الإرهاب والعنف طريقه و مكاته المناسب في المجتمعات .

ثانياً : أهمية البحث

- ان أهمية البحث من الخطوات المنهجية لأي بحث رصين إذ تكون معبرة عن مدى استيعاب الباحث للظاهرة أو موضوع دراسته و أهميتها في الواقع الاجتماعي وان حل إي مشكلة لا يتم إلا بمواجهتها و السعي لحلها و التقرب منها بصورة واقعية وحقيقية . ويمكن تحديد أهمية البحث في الآتي :
- 1 - تسعى لفهم سيكولوجية التنظيم الإرهابي واستخدام العنف وكيفية التصدي لتأثيره على المجتمع وتفكيك كيانه الدعائي .
 - 2 - الاستعانة بتحليل الإصدارات المرئية للتنظيم الإرهابي و معرفة دلالات استخدامه للعنف وفهم استراتيجيته الإعلامية التي يستخدم بها العنف .
 - 3 - رصد وتحليل استخدام العنف في منهج التنظيمات الإرهابية واستخدام عنصر الخوف للتأثير على الخصوم وإخضاعهم نفسياً لسلطته .
 - 4 - استخدام المنهج التحليلي في شرح مضمون الإصدارات المرئية للتنظيم .
 - 5 - بيان مدى تأثير العنف و صورته على العامل النفسي لدى المجتمع .

ثالثاً : أهداف البحث

لكل دراسة أهداف تسعى للوصول إليها من خلال البحث والتحقيق العلمي ويستهدف أغراض عديدة أهمها :-

- 1 - التعرف على ماهية الإرهاب وتشخيص أسباب الإرهاب وتأثيرها على المجتمع والتعايش السلمي .
- 2 - معرفة سيكولوجية داعش و مدى تأثيرها على العامل النفسي للمجتمع.
- 3 - تشخيص الأهداف التي يسعى التنظيم الإرهابي لتحقيقه باستخدامه للعنف في إصداراته المرئية و تأثيرها على نفسية الأفراد في المجتمع .
- 4 - رصد وتحليل صور العنف في المحتوى الإعلامي الذي ينشره تنظيم داعش و كيفية تسويقه لمشاهد القتل والرعب في الاعلام .
- 5 - تحديد ملامح التأثير الحاصل جراء عرض عمليات داعش الإجرامية و مدى تأثيرها على العامل النفسي في المجتمع العراقي .

رابعاً : نوع البحث و منهجه و أدواته

يعتبر البحث من البحوث الكيفية الوصفية والتي تسعى الى الوصف الدقيق للظاهرة واستخدام المنهج المسحي وأداة تحليل المضمون ” سيكولوجية العنف في الاعلام المرئي للتنظيمات الإرهابية ” و تحليل و تفكيك المحتوى الإعلامي المرئي لتنظيم داعش الإرهابي وتفسير سيكولوجية العنف لديه.

خامساً : مجتمع البحث

إن إعلام التنظيم الإرهابي هو المصدر الوحيد الذي ينشر نشاطاته وإجرامه الى العالم وعليه تم تحديد مجتمع البحث بالمناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش الإرهابي في العراق واعتمدنا على ما ينشر في الاعلام المرئي الخاص به عبر مواقعه المختلفة التي ستتناولها في البحث .

المبحث الثاني : المفاهيم والمصطلحات العلمية

- 1 - **السيكولوجية :** أو ما يسمى بعلم النفس هو العلم الذي يهتم بدراسة السلوك البشري وتفكيرهم، كما يُعنى بدراسة عمليات الإدراك الحسي والتفكير والتعلم والانفعالات، والدوافع، كما يدرس تكوين الشخصية، والسلوك غير الطبيعي عند الإنسان، كما يهتم بدراسة التفاعل بين الأشخاص والبيئة المحيطة بهم، ويرتبط علم السيكولوجي ارتباطاً وثيقاً بكل من الأنثروبولوجيا

وعلم الاجتماع والذي يعنى بالتأثيرات الاجتماعية والبيئية على السلوك . وتم تعريف السيكولوجية أنها دراسة للعقل و الظواهر العقلية فهي تتبع في دراستها المنهج العلمي القائم على الملاحظة والقياس والتقريب وتنقسم وفقاً للمبادئ التي يستند عليها علم النفس السلوكي و الفرضية والتكوين والتحليل النفسي وفقاً لموضوعها : سيكولوجيا عامة و السيكولوجية الصناعية و السيكولوجية الاجتماعية وسيكولوجيا الحيوان وسيكولوجيا العلم و السيكولوجية المرضية وسيكولوجيا الجمال و تبعاً للمنهج : فهي السيكولوجية النظرية السيكولوجية التجريبية السيكولوجية التحليلية السيكولوجية الإحصائية السيكولوجية الإكليلية .

2 - العنف : لغوياً : جاء في معجم اللغة العربية ”المنجد“ في مفهوم العنف لغوياً : (عنف، عنفاً، عنافة) بالرجل وعليه: لم يرفق به وعامله بشدة فهو عنيف، وعنفه واعنفه: عامله بشدة، واعنف الأمر: أخذه بشدة، والعنف: ضد الرفق، إي الشدة والقساوة. ((3) وتطلق كلمة العنف على 1- كل ما يفرض على الكائن، بحيث يكون متناقضاً مع طبيعته .

2- نستعمل كذلك كلمة عنيف، عندما نتحدث عن الأحاسيس أو الأفعال: بل حتى على الطباع، والتي تلتقي في فكرة واحدة هي: وجود اندفاعات تنفلت من قبضة الإرادة، لكن مع ذلك يمكننا، عند الاقتضاء، أن نتحدث عن قول، أو فعل ”عنيف بشكل إرادي“، لكن هذه الحالة استثنائية، نكون دائماً فيها إزاء نوع من التصنع .

3- نستعمل كلمة عنيف، عندما يتعلق الأمر بشخص (أو بطبعه) : ويعني ذاك الذي يتصرف بطريقة عنيفة، ضد كل ما يقاومه ؛ كل ما يحيل على العنف: فذاك الذي يعمل من أجل العدالة، يعمل لما فيه مصلحة الجميع، بينما أولئك العنيفين، لا يعملون إلا لما فيه مصلحة لأنفسهم، وفي بعض الأحيان يكونون، في نهاية المطاف، عنيفين ضد البشرية وأن العنف الطبيعي من أبرز أشكال العنف، إذ أنه يظهر بشكل جلي عند الحيوانات المفترسة، وإنه من الخصائص الطبيعية لها، ولما كان العنف، ومنذ البدء، حقيقة ملازمة للوجود الإنساني؛ هذا ما دفع بالكثير من الباحثين والمفكرين إلى البحث في الطبيعة الإنسانية، بقصد معرفة مدى إمكانية تفسير العنف البشري على ضوء الفطرة الطبيعية البشرية؛ وعلى هذا الأساس هناك من يعرف العنف على أنه: ((سمة من سمات الطبيعة البشرية، ويظهر حين يعجز العقل عن الإقناع أو الاقتناع فيلجأ، الأنا تأكيداً لذاته ووجوده وقدرته على الإقناع المادي باستبعاد الآخر .

3 - الاعلام المرئي ” الإصدارات ”

الإعلام المرئي والمسموع هو المجال الحديث والمتطور للتعبير الحر عن التعدد السياسي والتنوع الفكري. وهو الإطار الأشمل والأوسع انتشاراً لتلبية حق المواطن في الاستعلام واستقاء الأخبار والمعلومات وفي ممارسة حرية الرأي والتعبير والمعتقد وهي الحقوق التي باتت من مبادئ حقوق الإنسان الأساسية في عصر ثورة المعلومات والاتصالات .

وقد جسدت تشريعاتنا للتعدد الإعلامي مفهوما تعتمده الدول المتحضرة في اعتبار الاعلام المرئي والمسموع متمائزاً عن الصحافة المكتوبة بأدوات الاتصال التقنية وباستخدامه مرفقاً عاماً بالث عبث الأثير وبالتالي قدرته على تغطية جميع الأماكن من غير حاجة لاستئذان المتلقي وبغض النظر عن إرادة المتلقي بالقبول أو بالرفض. وبناء عليه فالإعلام يعني تقديم الأفكار والآراء والتوجهات المختلفة إلى جانب المعلومات والبيانات بحيث تكون النتيجة المتوقعة والمخطط لها مسبقاً أن تعلم جماهير مستقبلية الرسالة الإعلامية كافة الحقائق من كافة جوانبها، بحيث يكون في استطاعتهم تكوين آراء أو أفكار يفترض أنها صائبة حيث يتحركون ويتصرفون على أساسها من أجل تحقيق التقدم والنمو والخير لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه.

كما يعني تقديم الأخبار والمعلومات الدقيقة الصادقة للناس، والحقائق ويمكن تعريف الإعلام بأنه : ”نقل المعلومة سواء كانت مقروءة /أو مرسومة، مرئية /أو مسموعة بأي وسيلة كانت بهدف إيصالها إلى المتلقي ”(الجمهور). وهذا بدوره يشمل الصحف والمجلات، الدوريات والكتب (الصحافة المطبوعة بكافة أشكالها)، البث الإذاعي والتلفزيوني والفيديو والسينما، المدونات المواقع الإلكترونية، البث عبر الخليوي وخدمات المشاركة في العوائد (خدمات التكاليف المضافة) Add- ed Value Services ” أو ما يسمى حسب قانون الإعلام المرئي والمسموع خدمات ذات صفة الإعلامية تمرر للجمهور عبر أي وسيلة من وسائل الاتصال التي تساعدهم على إدراك ما يجري حولهم وتكوين آراء صائبة في كل ما يهمهم من أمور . (7)

و يمتلك تنظيم داعش الإرهابي (أدوات إعلامية يواجه بها خصومه ويحشد أنصاره. تصدر عن ديوان الإعلام المركزي الديوان المسؤول عن الإعلام في تنظيم الدولة الإسلامية، وتنقسم هذه الوسائل الإعلامية إلى مؤسسات إعلامية عدة كل منها تتخصص في مجال معين، بالإضافة إلى وكالة أنباء وصحيفة ومحطة إذاعية ومجلات عديدة.

4- التنظيمات الإرهابية

الإرهاب: يرجع أصل ظهور مصطلح الإرهاب عموماً بصفته مظهراً من مظاهر العنف منذ تاريخ نشوء الحضارة البشرية , حيث عن طريق الإرهاب تم تحقيق السيطرة الاجتماعية للأفراد من قبل الحاكمين من خلال تخويفهم أو توبيخهم فالإرهاب في الحقيقة وسيلة لتحقيق هدف معين بوسيلة غير مقبولة اجتماعياً . (8)

إن تطور ظاهرة الإرهاب في الصراعات أدى استخدامها كأساليب جديدة للعنف , فالإرهاب يكون بديلاً عن الحروب التقليدية أو كأداة عنف تستخدم في الصراعات السياسية من خلال القضاء على الخصم السياسي أو حتى أداة حكومية لغرض منها هو التحكم بالمجموعات البشرية فالإرهاب إستراتيجية عنف قابلة للتطوير وتستعمل بدورها للتقديم الشفهي في مجال ثورة الاتصالات و المعرفة التقنية المعلوماتية للقيام بالجرائم الإنسانية . (9)

ومفهوم الإرهاب لغوياً كلمة إرهاب تشتق من الفعل (ارهب) حيث يقال ارهب فلاناً أي خوفه و فرعة و هو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل (رهب) إما الفعل المجرد من المادة نفسها و هو (رهب) يرهب , رهيباً , ورهباً فيقال رهب الشيء ورهبة ويقال ترهب الرجل , إذ صار راهباً أي يخشى الله . (10)

إن تعريف الإرهاب لم يحدد بشكل واحد أو من منظمة أو دولة واحدة بتعدد المشارب والجهات وكلها لها وجه نظرها حول مفهوم الإرهاب وحاولت المنظمات الدولية للأمم المتحدة أتحدد الفعل الإرهابي من جانب إن الإرهاب هو شكل من أشكال العنف المنظم بحيث أصبح هنالك اتفاق دولي على الكثير من صور الإرهاب و أعمال العنف مثل التفجير بالقنابل و العبوات الناسفة و الاختطاف والتعذيب وتفخيخ السيارات التي ينفذها الإرهابيون . (11)

يعرف الدكتور عصام رمضان الإرهاب بأنه ” استخدام التهديد باستخدام العنف ضد الأفراد و يعرض للخطر أرواحا بشرية بريئة أو يؤدي بها أو تهديد الحريات الأساسية للأفراد لإغراض سياسية بهدف التأثير على موقف وسلوك معين وتغير وجهات نظرهم بالقوة . (12)

بينما تعرف لجنة مكافحة الإرهاب المشكلة من قبل نائب الرئيس الأمريكي الإرهاب بأنه ” استخدام التهديد غير الشرعي للعنف ضد أشخاص أو ممتلكات من أجل تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية ” (13) ويعرفه الدكتور احمد جلال عز الدين الإرهاب بأنه ” عنف منظم ومتصل بقصد خلق حالة من التهديد العام الموجه الى دولة أو اجتماعية سياسية والذي ترتكبه جماعة منظمة بقصد تحقيق أهداف سياسية . (14)

5 - التأثير على العامل النفسي

التأثير هو القدرة التي يمكن أن يمتلكها شخص معين أو مجموعة أو موقف معين ، في حالة تأثير عواقبه على غالبية كبيرة من الناس ، لممارسة سلطة محددة على شخص أو بقية الناس . والعامل النفسي هو من أهم العوامل المؤثرة على سلوك الإنسان و تصرفاته فان كان الإنسان متوتراً و مضطربا جاءت تصرفاته و ردود أفعاله غير منطقية و غير منتظمة إما إن كان الإنسان هادئاً متوازناً جاءت تصرفاته مدروسة و منظمة و أكثر عقلانية .

وفي هذا السياق يرى بعض الباحثين أمثال (لاينا رجر) بان الحرب النفسية هي : ” تطبيق بعض أجزاء علم النفس من اجل معاونة وخدمة أي مجهود يبذل في المجالات كافة الاقتصادية والسياسية والعسكرية... الخ

في المعركة بغية تحقيق الغاية والهدف المنشود ” ، والحرب النفسية لا تستخدم أسلحة مادية تطلق النار من خلالها ولكنها تستخدم الأفكار والعواطف والسلوكيات من اجل تحقيق هدفها ، وإن هذا الاستخدام للأفكار والسلوكيات لا يكون عشوائيا بل منظما تنظيما دقيقا وقائم على أصول علمية .

6 - المجتمع العراقي

المجتمع في اللغة هو مصطلح مشتق من فعل الجمع وهو عكس كلمة الاختلاف ، حيث أنه مشتق من وزن مصطنع ، ويعني مكان الاجتماع ، والمعنى المقصود بهذه الكلمة هو مجموعة من الناس ، وهذا رد على أولئك الذين يعتقدون أنها كلمة خاطئة ويقولون أنه يجب استخدام كلمة group بدلاً من ذلك ، ان العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع من جميع جوانبه يسمى علم الاجتماع ، والمجتمع هي و هو اللغة و كما ورد في قاموس المعاني الشامل.

إنهم مجموعة من الأشخاص الذين يشكلون مجموعة تعتمد على بعضها البعض ، ويعيشون مع بعضهم البعض ، وتربطهم روابط ومصالح مشتركة ، ويحكمهم نفس العادات والتقاليد والقوانين. (15) هناك عدة تعريفات للمجتمع من منظور سياسي ومنظور اجتماعي ومنظور نفسي وغيرها ، ويمكن تعريفه بشكل اصطلاحي على أنه عدد كبير من الأفراد المستقرين الذين تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة مصحوبة بأنظمة تهدف إلى ضبط سلوكهم وتحت رعاية السلطة ، والمجتمع عبارة عن مجموعة من البشر كائنات حية ، وليس مجرد مجموعة من الأفكار . (16)

ويمكن إن نعرف المجتمع العراقي إجرائيا على انه مجموعة من الأفراد العراقيين تقطن في بقعة جغرافية محددة في كل مساحة العراق و تتمسك بمجموعة من القيم والمبادئ و المقاييس والروابط الاجتماعية و الأهداف المشتركة بينهما التي أساسها التاريخ واللغة العربية و المصير المشترك الموحد , ربما قد يكون معنى المجتمع العراقي واضحاً بحكم انه مجتمعنا الذي نعيش فيه .

المبحث الثالث : تحليل كيان داعش و استراتيجية الإعلامية

إن الاستراتيجية مصطلح يرتبط بالعلوم العسكرية بشكل أساسي و كثرة استخدامها في هذه المجال فهي ترجع الى أصل إغريقي و التي تعني (قائد الجيش) و مع تطور المفاهيم أصبحت الاستراتيجية تدخل في العلوم كافة و تكون جزءاً أساسياً لعمل خطة لنجاح أي برنامج يجب إن تضع له و بإحكام . و سنقوم ببيان مفهوم تنظيم داعش و تفكيك استراتيجية الإعلامية .

1 - مفهوم كيان داعش ونشأه

في وقت بسيط ظهر اكبر تنظيم سلفي جهادي في العالم وفاجئ الجميع بسرعة انتشاره وسيطرته على أراضي كبيرة من المنطقة العربية والعراقية و بدءاً من ثاني اكبر مدينة عراقية الموصل و تبعاً في صلاح الدين والانبار وأجزاء من ديالى و كركوك وإطراف بغداد , ونشأه الكيان وتطور و مر بمراحل عديدة و الواضح انه انبثق من تنظيم القاعدة في العراق والذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي في 2004 و إن اغلب أعضاء داعش كانوا تحت ظل القاعدة , وفي مطلع العام 2006 غيرت القاعدة اسمها من (كيان القاعدة في بلاد الرافدين) الى (مجلس شوري المجاهدين) والذي بايعه قيادة ما يسمى بجيش أهل السنة والجماعة و بعد فترة من مقتل زعيمه أبو مصعب الزرقاوي تغير الاسم الى (الدولة الإسلامية في العراق) (17)

وبعدها تم تعيين أبو عمر البغدادي قائداً للكيان خلفاً للمقتول الزرقاوي و لكن في نيسان 2010 قتل البغدادي في عملية وثبة الأسد و في اقل من شهر تمت مبايعة أبي بكر البغدادي (إبراهيم عواد إبراهيم البدري) أميراً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق و في عام 2013 تم الإعلان والتحالف بين كيان الدولة الإسلامية في العراق وجبهة النصرة تحت اسم (الدولة الإسلامية في العراق والشام) داعش . (18)

وفي حزيران 2014 أعلن الكيان قيام دولته المزعومة تحت اسم الدولة الإسلامية .

2 - الماكنة الإعلامية للتنظيم

كانت التنظيمات الإرهابية تعتمد الأسلوب المباشر في التواصل والحديث مع أنصارها في المساجد و التجمعات على العكس من ذلك فقد اهتم كيان داعش بالطرق الحديثة مستغلاً التكنولوجيا من خلال استخدام شبكات الانترنت ونشر إخباره و أفكاره عن طريقه ,و بالرغم من سيطرته على العديد من القوات الفضائية وأجهزة البث الفضائي وسيطر على خمس قنوات في المناطق التي سيطر عليها في العراق في عام 2014

هي (سما الموصل , الموصلية , نينوى الغد , صلاح الدين , سما صلاح الدين) انه بقي يعتمد بشكل أساسي على الانترنت و زود المؤسسات كلها بالمواد الصورية عن طريق الانترنت , و كيان داعش كان بارعاً في استخدام الوسائط التقنية الحديثة و طرق إيصال مواده الإعلامية بصورة سريعة و موسعة حول العالم كي تدعو لمبادئها وتروج لانتصاراتها في العراق عن طريق استخدام تويتر و بعض التطبيقات الالكترونية (19) .

و استخدم التنظيم القوة الناعمة والحرب النفسية اتجاه المناطق التي سيطر عليها وحتى التي خارج سيطرته حيث وظف وسائل الاعلام لترويج انتصاراته على الأرض و ابهر العالم بقدرته الإعلامية واستخدام وسائل الاعلام والهواتف النقالة وشبكات التواصل الاجتماعي والتطبيقات الحديثة وإنتاجها للأفلام فائقة الجودة و الإصدارات العديدة أشهرها ” صليل الصوارم ” و ” ولا تنظرون ” التي تشبه و تضاهي أفلام هوليوود بإنتاجها التقني الحديث , و زرع بذلك الخوف والرعب بقلوب المجتمع .

وان أهمية الاعلام لدى داعش واضحة و هي من ضمن الهيكلية الإدارية له والتي ترتبط بشكل مباشر بالخليفة و من الملاحظ إن الأفلام التي يبتثها التنظيم هي ذات ترتيب عالي و عدم وجود عشوائية بإنتاجها و عدم وجود إي خلل وتسريب للأفلام إلا عن طريق الوسائل الرسمية التي ينشر بها التنظيم حتى انه اصدر امراً لجنوده بالالتزام بالمركزية الإعلامية و عدم نشر إي صورة أو فيديو إلا عن طريقه .

و يمتلك تنظيم داعش الإرهابي مجموعة من المؤسسات الإعلامية أشهرها : ديوان الاعلام المركزي وهو الديوان المسؤول عن ما يصدر عن الدولة الإسلامية، سواء كان مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً. وينقسم إلى: مؤسسات مؤسسة الفرقان أقدم مؤسسة إعلامية تابعة لتنظيم الدولة الإسلامية، والتي أسسها أبو محمد الفرقان إبان دولة العراق الإسلامية عام 2006.

وأبرز إصدارات سلسلة «صليل الصوارم» والمكونة من أربع أجزاء؛ كما يصدر منها الكلمات الصوتية للخليفة والناطق الرسمي للدولة الإسلامية مؤسسة أجناد مؤسسة إعلامية تختص بالمواد الصوتية، أصدرت المؤسسة مجموعة واسعة من الأناشيد إضافة إلى التلاوات القرآنية.

ومن أشهر أناشيدها نشيد «صليل الصوارم» للمنشد أبو ياسر، ونشيد «قراع الأسنة» لأبي الحسن المهاجر ونشيد قريباً قريباً مجلة الفاتحين باللغة الإندونيسية، مجلة الفاتحين مجلة تصدر عن مركز الفرات للإعلام (20) والجدير بالذكر أنه لم تستخدم أي جماعة إرهابية أخرى المواد المرئية بشكل متقن ومهني كـ «داعش»، لاسيما من حيث قدرتها على الدمج بين الصور والنصوص والأصوات بما يضمن تسويق الأعمال، وفاعلية تأثيرها الفكري والعاطفي على المُتلقي، حيث يمتلك التنظيم وزارة إعلام افتراضية على الإنترنت تُدير عدة منصات، ومنتديات، ومؤسسات إعلامية فاعلة على شبكات التواصل الاجتماعي، تقوم على نشر بيانات التنظيم الخاصة بتوجهاته الفكرية وأنشطته وعملياته في إطار ما يطلق عليهم «جنود الخلافة الافتراضية».

وتتمثل أبرز خصائص الإعلام «الداعشي» المرئي في ما يلي :

أولاً: اختلاف جودة ومحتوى الأعمال باختلاف المؤسسات المنتجة لها، وباختلاف الفئة، والجمهور المُستهدف، حيث يتم توجيه خطاب «داعش» المرئي لثلاثة فئات: الأولى، المُستهدفين للتجنيد. والثانية، المُحايدون والمُستمعون لجميع الأطراف. أما الفئة الثالثة، فهم الأعداء والدول المُستهدفة. **ثانياً:** يتم ربط عناوين إصدارات التنظيم المرئية بمصطلحات تركز على الفعل المادي للقتال والعنف كفيديو «السهم الخائب» وسلسلة «صليل الصوارم» لتحفيز أنصاره وإثارتهم للقتال، أو بآيات مُقتبسة من القرآن الكريم لإضفاء هالة من «القدسية الدينية» على أعمالهم، كفيديو «واقتلوهم حيث تقفتموهم».

ثالثاً: دمج الصور والفيديوهات بموسيقى ومؤثرات تصويرية تنطوي على أصوات واقعية من ميادين القتال للقتال والرصاص والتهليل والتكبير، فضلاً عن الآيات القرآنية والأناشيد التحفيزية لعناصره الإرهابية.

رابعاً: يقوم التنظيم بإعادة تقديم صورة «البطل الخارق»، التي تروج لها أفلام هوليوود، وذلك في قالب إسلامي عاطفي يُثير المشاعر ويُشجع على الانضمام إلى «الحلم المُتخيل» و«الخلافة المزعومة». إذ يتم التركيز على «أسطورة الجهادي» بتصوير المقاتلين في الأعمال المرئية كـ «فرسان» و«أبطال» يحاولون استرجاع الحق الذي سلب منهم، وإضفاء القدسية على صور ومشاهد موتهم وهم مبتسمون لـ «نيل الشهادة».

خامساً: الحبكة في التسلسل الزمني للمعارك والتحركات الميدانية، وإتقان أساليب التهريب بمشاهد الإعدام وقطع الرؤوس والإحراق.

سيكولوجية العنف ودلالاتها في إعلام داعش

من خلال الاطلاع على مجموعة من الإصدارات المرئية و الصور التي يبثها تنظيم داعش الإرهابي لتحليل المحتوى الإعلامية و استخدام العنف فيه نبين القراءات السيكولوجية للعنف و هي الآتي :

أولاً : السيكولوجية العامة للتنظيم

1 - الذاتية : إن أول ما يتم ملاحظته على تنظيم داعش هو الذاتية إي حبه لنفسه فقط و كيف كان مهشما لسنوات عديدة يعيش بين الوديان وفي أعماق الصحراء حيث اعتاد على محدودية العيش و مع صراع مع القبائل والجهات الأخرى حتى مر بأصعب مرحلة في حياته في سنة 2008 الى 2010 حتى أنها لا تتواصل مع الجهات الأخرى و التنظيمات و لا تصدر متحدثين أو شخصيات يمكنها التواصل مع الآخرين , و يمكن وصفهم ببدايات العصابات التي تتعايش على قطع الطرقات و تستخدم الدين كشعارات فقط او لتغطية عن جرائمها تحت اسم الدين الإسلامي الحنيف , ويمكن ملاحظة الانعزال و رفض الاندماج مع الآخرين خاصة بعد رفض أكثر القبائل في العراق والشام له و كذلك انفصالة عن تنظيم القاعدة حيث انفصل عن الظواهري و تتجلى ذاتيته في التعدي على الأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمعات و انفراده بالعنف والوحشية اتجاه من يخالفه في الرأي و المعتقد .(21)

2 - تملك المكان وكسر الحدود

الجماعات الإرهابية كانت تعاني من التفرد وملكية المكان حيث تعيش في أطراف البلدان والقرى و بشكل مخفي لكن داعش اختلف كثيراً فقد طلق جنونه و تفرد بسيطرته على أجزاء كبيرة وأصبحت تحت سيطرته مما جعلهم أكثر سيطرناً وتفرداً بالقيادة وأسس دولة و انشأ مؤسسات وزارة الخ , وتحولت الشعارات الى مدلولات أخرى مثل ” باقية و تمدد ” دلالة على البقاء والتمدد وهذا الأمر طبيعياً في سيكولوجية داعش لتفرد بالمكان و حبه للسيطرة والتفرد بالحكم , بالإضافة الى كسر الحدود الإستراتيجية التي عمل بها التنظيم بتلك الفترة بحيث قام بتوحيد البلدان حسب ادعاه في الكثير من الإصدارات المرئية و إنشاء دولة إسلامية موحدة في المنطقة تحت مسمى ” دولة الخلافة الإسلامية ” (22).

3 - التوحش والنصر بالرعب

إن الرسائل الإعلامية التي يقوم التنظيم بنشرها كلها توحى بأنه تنظيم دموي يريد أن يسيطر بالرعب والقتل والسيطرة على نفوس الناس ويبث تلك المشاهد من رعب وقتل ونحر للناس والسيطرة عن طريق البعد النفسي للمجتمع , و مفردة النصر بالرعب تعبير اعتيادي و مألوف لدى التنظيم و يقوم بتصويرها بشكل طبيعي من خلال تصويره وبثه بشكل يومي.

4 - الرجل الصائب

داعش التنظيم الذي يريد أن يظهر عظمته لأن الفرد الداعشي قد تعب من التهجير والتغرب , ويتجلى هذا المفهوم من أن التنظيم يرى نفسه صائبا بكل شيء يعمل و لا يقبل النقد أبدا , وظل التنظيم يريد تمييز نفسه عن بقية التنظيمات الأخرى بالتمسك بالرأي وفرضه بالقوة وطغيان الأنا المثالية نجده لدى المتطرفين وخاصة داعش .

5 - سجن الجماعة

إن التشابه بين عناصر التنظيم الإرهابي هي احد عناصره السيكلوجية إي إن جميع عناصره لديهم وحده تشاركيه في مواضيع عده منها التفكير والتصرف اتجاه القضايا المختلفة , يشترك بعض الإرهابيين غير المنتمين لجماعة ما مع الجماعات المسلحة في بعض الخصائص، مثل القتال من أجل دعوة دينية أو إلهية. وينطبق على هذه الحالات الفردية مصطلح اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، حيث تكون أفكار وآراء الأشخاص المصابة بهذا الاضطراب مشوبة بالخلل والعدوانية، ويفتقرون إلى الشعور بالتعاطف، ويتصفون بالتعجرف والاندفاع، والاستخفاف برغبات الآخرين، ولا يغيرون اهتمام إلى ما هو صواب أو خطأ، ويتعاملون بجفاء ولا مبالاة مع الآخرين. وعادة ما يكون هؤلاء مدمنون للمخدرات وكثيراً ما يخالفون القانون في تصرفاتهم.

6 - نزع القيمة من الضحية

إن الأساس الذي بني عليه تنظيم داعش هو بناء طائفي بحت , وتبني أدبياته على القتل والتهجير الطائفي و العرقي ويهاجم أعداءه بشتى الطرق حتى يقوم بانتزاع قيمته منه مثلاً اجبر المسيحيين و الايزيديين و الديانات الأخرى على الدخول بالإسلام و ترك معتقداتهم , وجعلهم بلا قيمة تحت حكم الإكراه .

ثانياً : العنف في الاصدارات المرئية

من خلال ملاحظة العديد من الاصدارات المرئية والصور التي يبثها تنظيم داعش الإرهابي على منصاته المختلفة يمكن بيان دلالات العنف فيها كالآتي:

1 - الملابس : اتناول ما يمكن بيانه من سيكولوجية داعش هو المظهر الذي يظهر به للعلن وهو الملابس السوداء و اللثام ” النقاب ” و هو سيمياء تدل على القوة و الخوف من نفس المشاهد و الزى الأفغاني على الأغلب هو يرتادوه في الغزوات حتى في الأماكن العامة . الذباحون والجلادون : يرتدي هؤلاء ملابس خاصة ويقومون بحز الرقاب وبمشاهد عنيفة جداً في معظم الاصدارات التي ينشروها و له دلالات أخرى للتخويف و زرع الرعب في قلوب الناس . الضحايا : يرتدي الضحايا اللون البرتقالي وهو من الالون الحارة المحفزة للنشاط العقلي لاستقبال المعلومات و يمنحه الطاقة والدفع ويكون بالحالة مستقرة وحتى تصل الرسائل خاصة للولايات المتحدة اذ انهم يلبسون معتقلي غوانتانامو اللون نفسه , ويلبس النساء اللون الأسود والنقاب الإلزامي حيث لا حقوق للمرأة لدى التنظيم و الأطفال يعتبرون الرصيد للتنظيم و يعتمد عليهم كثيراً في تنفيذ العمليات الانتحارية ضد خصومه و يدربوهم بمختلف فنون القتال وإدخالهم في معسكرات خاصة و حتى ينفذوا الإعدامات بأيديهم بدون خوف و لا تردد . وينشر التنظيم صور الاطفال في المدارس وبعدها في ساحات التدريب للدلالات على انهم سيعون جيلاً يدافع عن دولتهم المزعومة .

2 - تطبيق الحد وإقامة القصاص

إن ابرز ما تحتوي اصدارات التي يبثها التنظيم هي إقامة الحدود والقصاص من المذنبين حسب ادعائهم ولديهم فكرة أساسية إن المنطقة التي يسيطرون عليها هي دار الإسلام ودونها هي دار كفر ويجب السيطرة عليها , و يقيمون الحدود وفق أهواهم الشخصية و بطرق عنفيه وإمام الناس كي يكونوا عبرة لغيرهم و زرع الخوف والرعب في نفوس المجتمع , وأعطوا لنفسهم سلطة القضاء و الإفتاء والتنفيذ اي أنهم أصبحوا قضاء وشرطة و مفتين في نفس الوقت , تحت ذريعة إقامة حدود الإسلام .

وتتم عمليات إقامة الحدود في الشوارع العامة والتجمعات و تصويرها بتقنيات عالي الدقة و بإخراج هوليود مما يشد حالة الجذب لدى المتلقي , و من خصائصه تضخيم الحدث و الخداع والإيهام كما يسميه عالم الاجتماع ” جان ليوتر ” ابرز منظري ما بعد الحداثة _ إن ابتداء الحيل لتحقيق انتصارات تواصلية معكوسة بالتركيز على جوانب العرض وجماليات الصورة للتغاضي عن بشاعة الحكاية مسرح الرواية التي يؤدي فيها الأدوار الممثلين (23)

ج- الطعن بالسكين : وصية العدناني التي أطلقها في سبتمبر 2014 التي يمكن استخلاص منها 4 طرق جديدة للقتل، وهي الذبح أو الدهس أو القذف من أعلى مبنى، أو القتل بحجر، وهي وسائل 4 للقتل بديلة لإطلاق الرصاص أو استخدام العبوة الناسفة أو الحزام الناسف، وهو ما دفع العروسي عبد الله أحد المنتمين للفكر الداعشي إلى طعن شرطي فرنسي ورفيقتة قرب العاصمة الفرنسية باريس بالسكين خلال شهر يونيو الماضي.

7- الذبح : القتل ذبحاً بحسب ما جاء في وصية أبو محمد العدناني المعروف لدى أجهزة الاستخبارات الغربية بوزير الهجمات لدى داعش، نفذها عناصر التنظيم أكثر من مرة لعل أشهرها ذبح 21 قبطياً مصرياً في ليبيا، حيث بثّ التنظيم فيديو لعملية ذبح المصريين الأقباط المختطفين، وأظهرت الصور معاملة مشينة من عناصر التنظيم للأسرى، حيث ساقوهم واحداً واحداً، وأظهرت إحدى الصور تلون مياه البحر بلون الدم، في استعراض متوقع من التنظيم الإرهابي. كما بثّ التنظيم فيديو وصورا لعملية ذبح 15 من جنود الجيش السوري، ويظهر الشريط عناصر من التنظيم يجرون أشخاصاً يرتدون ملابس كحلية اللون مطاطني الرؤوس، قبل أن يستلوا سكاكين من علبة خشبية موضوعة جانباً، في حين تظهر في الشريط عبارة ”ضباط وطيّارو النظام النصيري في قبضة جنود الخلافة“، وبعد ذلك قام العناصر الذين ارتدوا زياً عسكرياً موحداً وكانوا مكشوفى الوجوه، باستثناء ملثم ارتدى زياً أسود، بإركاغ الأشخاص على الأرض وتثبيتهم، وذبحهم.

3- ذبح 3 عناصر من قوات البيشمركة : نشر التنظيم شريط فيديو يظهر قيام عناصرها بذبح 3 من عناصر قوات البيشمركة في شمال العراق، وتوعدت ”داعش“ بإعدام المزيد من الأسرى الأكراد، في حال واصلت البشمركة قصف مناطق يسيطر عليها.

4- الموت حرقاً : كما ابتكر تنظيم داعش طريقة بشعة للموت عن طريق الحرق، وهو ما اتضح في طريقة قتل الطيار الأردني معاذ الكساسبة، واستندت طريقة القتل إلى فتوى صادرة عن التنظيم كما أقدم تنظيم داعش على حرق 4 عناصر من مجاهدي الحشد الشعبي، الذي يقاتل إلى جانب القوات الأمنية ضد الإرهابيين، بحسب ما ظهر في شريط مصوّر نشره التنظيم، ويظهر الشريط الذي تداولته حسابات الكترونية مؤيدة للتنظيم، أربعة أشخاص يرتدون زياً برتقالى اللون، وفي نهاية الشريط، يبدو هؤلاء الأربعة مقيّدين بالسلاسل، ومقيّدين بيديهم ورجليهم من هيكل حديدي، والنار تندلع أسفلهم، قبل أن تبدأ بالتهايمهم.

5 - القتل رمياً بالرصاص : أعدم تنظيم داعش الإرهابي، 8 أشخاص عراقيين ، بتهمة التجسس لصالح القوات العراقية في مدينة الفلوجة. ووثق التنظيم الإرهابي جرائمه، من خلال شريط مصور، يُظهر لحظات إعدام العراقيين، رمياً بالرصاص أو بتفجير رقابهم، أو عن طريق الذبح.

6 - الرجم حتى الموت : نفذ عناصر تنظيم "داعش" حد الرجم بحق امرأة بريف حماة الشرقي بتهمة الزنا، بحسب مقطع مصور نشرته مصادر إعلامية تابعة للتنظيم، والذي أظهر عناصر من التنظيم، وهم ينفذون حد الرجم بالمرأة المتهمة بالزنا.

7 - إلقاء المواطنين من ارتفاع عالي : وأيضاً قام تنظيم "داعش" في العراق بقتل 3 مواطنين في الموصل، وذلك بالقائهم من مبنى شاهق ارتفاعه 100 متر، بحجة أنهم كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي، وكشفت الصور عن إلقاء الضحايا من أعلى المبنى المرتفع، وأجسامهم مدلاة إلى أسفل، وعصابة سوداء على أعينهم، وأيديهم ظهورهم. وبدأ في الصور، توقف سيارات المواطنين وسط الطريق، لمشاهدة الطريقة المروعة للإجهاز على المواطنين الثلاثة بالحجارة في حال بقاء أحدهم على قيد الحياة بعد سقوطه من أعلى المبنى المرتفع، وظهرت في صورة غائمة مشهد جثة غارقة في بركة من الدماء أسفل المبنى.

د- القتل غرقاً : وكذلك بث التنظيم لفيديو يوضح طريقة قتل جديدة، حيث أدخل عدد من عناصر التنظيم الإرهابي مجموعة من المحتجزين لديهم، في صندوق وأغلق الصندوق بالأقفال، وأنزلهم في الماء لفترة، وأخرجهم قتلى. ه- القتل بالألغام : فيما أعدم التنظيم، مجموعة أخرى، بعدما وضع ألغام حول أعناقهم، ما أدى لتفتيت أجسادهم.

الاستنتاجات

- 1 - استخدام وسائل الإعلام من أجل الترويج لعمليات القتل من أجل زرع الخوف و الرعب في نفوس المجتمع والسيطرة عليها نفسياً دون قتال بسبب الهالة الكبيرة التي رسمها لنفسه عن طريق الاعلام .
- 2 - ان سيكولوجية العنف التي كان يستخدمها التنظيم تهدف للسيطرة على العقول و التسليم لهم دون اي قتال او اعتراض .

- 3 - إن ما يميز داعش عن غيرها من التنظيمات الإرهابية هو تفرد و حبه لكيانه و نشاءه دولته المزعومة على الأرض على العكس من التنظيمات الأخرى التي كانت لا تملك شبراً .
- 4 - أثبتت الدراسة إن التنظيم الإرهابي استخدم العنف لصناعة الخوف وكسب مرديه وترهب الأعداء و تحذير سكان المجتمع من العقاب الذي قد يلحق بهم إذ فعلوا نفس الجرم .
- 5 - إن دلالات الصور التي ينشرها هي دلالة واضحة للجميع ورواها أيولوجية يريد تحقيقها و تحمل معان سيكولوجية و جزء من التخطيط النفسي الذي يستخدمه التنظيم الإجرامي .
- 6 - إن صور العنف المتعددة سببت أذى نفسي كبير في قلوب المجتمع و صار الخوف واضحاً لدى الناس إثناء سيطرة التنظيم على مناطقهم حتى استسلم له دون قتال.
- 7 - إن أسماء الإصدارات التي يبثها ذات دلالات دينية تحمل معاني للقوة وعلى دعاية أنهم ينفذون تعاليم الدين الإسلامي .
- 8 - إن هنالك تحولاً كبيراً في مجال الإنتاج الإعلامي للتنظيمات الإجرامية و خاصة بعد بث كيان داعش أفلام هوليوود و إنتاج عالي الدقة و اظهر العوامل الرئيسية التي يركز عليها خاصة العنف .
- 9 - استخدم التنظيم الإرهابي عبر إعلامه المرئي أكثر من أسلوب دعائي لتخويف منه : استراتيجية الرعب , التهديد بالقوة , فرق تسد , القولية والتنميط , استغلال العمل الديني , إثارة العواطف , التضخيم والمبالغة , إطلاق التسميات , التشويه .

المصادر والهوامش

- 1 - كريستيان نور دكفيس (2019-1-2) ، "ما هو علم النفس وماذا يشمل؟" ، -www.medical-news.com ، استرجاع 17-4-2019
- 2 - جلال الدين محمد صالح , الارهاب الفكري اشكاله وممارساته , جامعة الملك نايف للعلوم الامنية , الرياض , 2008 , ص54.
- 3 - مغلف ، لويس: المنجد – معجم اللغة العربية، المطبعة الكاثوليكية، ط١٣ ، بيروت، ١٩٥٣ ، ص٥٥٨ . ٢
- 4 - انظر: لا لاند، اندريه: دفاتر فلسفية ونصوص مختارة – العنف، إعداد وترجمة: عزيز لزرق ومحمد الهلالي، دار وبقال للنشر، ط١ ، الدار البيضاء، ٢٠٠٩ ، ج١٧ ، ص٩-١٠ . ٣

- 5 - منيب ، تهاني محمد عثمان و عزة محمد سليمان: العنف لدى الشباب الجامعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٧، ص١٨.
- 6 - رحيمة الطيب عيساني ، الوسائط التقنية وأثرها على الاعلام المرئي والمسموع ، الرياض , جهاز الإذاعة وتلفزيون الخليج , 2010 , ص 54.
- 7 - نهيم طراوته , وسام طراوته , تاريخ الإرهاب , ورقة عمل مقدمة في مؤتمر الإرهاب في العصر الرقمي , جامعة الحسين بن علي طلال , الاراده , 2008 , ط1, ص132 .
- 8 - علي محمد الشويلي , الإرهاب وأثره على الشخصية العراقية , المجد للنشر , 2015, ص20 .
- 9 - محمد فتحي عبد , واقع الإرهاب في الوطن العربي , مركز الدراسات العربية , الرياض , 1999, ص23.
- 10 - عصام طارق رمضان , الإبعاد القانونية للإرهاب الدولي , السياسية الدولية , عمان , 2005 , ص 16 .
- 11 - Bender and ledne,opcitp, b16.
- 12 - محمد إبراهيم الحلوة , الإرهاب الدولي ماهيته وأسبابه وسبل المكافحة , المجلة العربية للدراسات الدولية , المجلد السابع , العدد الأول , 2010, ص 107 .
- 13 - احمد زكي بدوي , معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية , مكتبة لبنان للنشر والطباعة , 2017, ص 182.
- 14 - حسن عبد الرازق منصور (2013)، بناء الإنسان (الطبعة الثانية)، عمان- الأردن: أمواج للنشر والتوزيع، ص 187.
- 15 - د. محمد بن علي الجزولي، ”الشَّمَائِلُ النَّبَوِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي إِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ- الجزء الثالث“، www.arrabita.ma، اطلع عليه بتاريخ 2021-12-2.
- 16 - علي محمد الشويلي , الارهاب واثره على الشخصية العراقية , المجلة السياسية والدولية , العدد 76 , 2019, ص 198.

- 17 - أنظر: خدعة إعدام الصحفي الأميركي جيمس فولي مترجم للعربية، فلم فيديو فرنسي منشور على موقع يوتيوب على الرابط: [WCew5wU_kIT=v?watch/com.youtube](https://www.youtube.com/watch?v=WCew5wU_kIT).
- 18 - أبو خطاب اليماني: لماذا أحرقنا معاذ، منشور على مدونة أبو خطاب اليماني وعلى على الرابط: com.blogspot.alyemeni-aboukhatab://http/2015/04/post-45.html.
- 19 - جهاد عودة ، عبد المنعم عدلي ، داعش والازمة الاستراتيجية ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، 2015 ، ص 71.
- 20 - مصمم خدع بصرية يكشف حقيقة حرق داعش للطيار الأردني معاذ الكساسبة، منشور على موقع يوتيوب وعلى الرابط: [F1oY39HkoaM=v?watch/com.youtube](https://www.youtube.com/watch?v=F1oY39HkoaM).
- 21 - علي رزق : نظريات في أساليب الإقناع دراسة مقارنة، بيروت ، دار الصفوة ، 1994 ، ص 11.
- 22 - ريم حنوش: الخالفة الافتراضية يشرح كيف ينجح داعش بنقل المساجد المتطرفة الى شبكة الانترنت، جريدة الشرق الأوسط، العدد 13415، 24 اب 2015 ، منشور على الرابط: [aawsat://http article/home/com/436691](http://aawsat.com/article/home/com/436691).
- 23 - <https://www.youm7.com/story/2016> احمد ابو حجر ، التتار الجدد .

تخريب (داعش) الاماكن الاسلامية في العراق محافظة نينوى مثالا

دراسة استقصائية

ا.د. عامر عبد الله الجميلي
كلية الأثار / جامعة الموصل

ا.د. محمد فهد القيسي
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

(ملخص)

تعد المدة من 10 حزيران 2014 وحتى 4 تموز 2017 من اقصى المدد التي مرت على مناطق واسعة من العراق , ذلك انها شهدت سيطرة تنظيم داعش عليها , ولان هذا التنظيم قائم على منظومة فكرية عقائدية متشددة ومنغلقة ترفض اي حالة من حالات الارتباط بالموتى او بناء مراقد او مزارات او اي فعل من هذا القبيل , لذلك عندما استولت على محافظة نينوى وصلاح الدين واجزاء من كركوك والانبار , فقد عمدت الى حملة ممنهجة لتدمير المراقد المقدسة او اماكن اسلامية مخصصة للشعائر الدينية كالحسينيات والتكايا والربط مثلاً .

وهناك قناعة راسخة انه لم تتعرض هذه المناطق في العراق طوال الحقب والعصور التاريخية التي مرت بها , كالتى تعرضت لها على يد (داعش) من هجمة شرسة استباحة ودمرت أغلب المعالم المدنية الحضارية والآثارية والدينية , فلقد دمروا كل تراث ولم يبقوا معلماً الا ازالوه في توجه ومقصد لاستئصال الانتماء للهوية والحضارة .

توزع البحث على اربع فقرات وخاتمة فضلاً عن تمهيد تناول ابرز مفردات البحث , وجميع هذه الاماكن اسلامية حصراً , لان (داعش) قد دمرت اماكن مقدسة اخرى تعود للمسيحيين والايديين فضلاً عن الآثار التي تعود الى حقب موعلة في القدم للعراق , وهذه ليست محل بحثنا هنا , وسنعمد في بحثنا هذا الى استقصاء التهديم والتخريب الذي جرى وفقاً للسبقية الزمنية وليس حسب اهمية المكان المدمر او المهدم.

نأمل صادقين ان نكون قد وجهنا النظر الى الانتهاكات والتدمير الذي تعرضت له مناطق يفترض ان تكون مقدسة ومحترمة , وصولاً الى بناء حالة من التحصين والوقاية ضد الفكر المتطرف الاقصائي.



(Abstract)

Terrorism is an old phenomenon known to many societies of all kinds and stifled by its fire, losing their children and their money, dispersing them, distorting their beliefs, and tempting their enemies until these peoples, after a long ordeal, reached an important conviction, which is that fueling the fire of fear and terror among the victims does not serve the .interest of society and does not achieve its overall goals

Today, the word terrorism is on everyone's lips, especially after it has been applied to a number of acts of violence that cannot be described as terrorism. Some governments call terrorism every act of violence carried out by their political opponents, while the enemies of governments consider themselves victims of state terrorism

The period from June 10, 2014 to July 4, 2017, is considered one of the harshest periods that have passed over large areas of Iraq, as it witnessed the control of ISIS over them, and because this organization is based on a closed and rigid ideological system that rejects any case of association with the dead or building shrines or any other He did such a thing, so when it captured the province of Nineveh, Salah al-Din, and parts of Kirkuk and Anbar, it embarked on a systematic campaign to destroy holy shrines or Islamic places dedicated to religious rites, such as Husseinias, for example

There is a firm conviction that these areas in Iraq have not been subjected throughout the historical eras and eras that they have gone through, such as those they were exposed to at the hands of (ISIS), from a fierce attack that has robbed and destroyed most of the civil, cultural, archaeological and religious monuments. Belonging to identity and civilization

التمهيد

سنعمد الى اعطاء نبذة موجزة عن مفردات عنوان البحث حتى نحدد المفاهيم والمصطلحات التي نحن بصدد دراستها وكالاتي :

اولا - داعش : هو اختصار لمصطلح “ الدولة الإسلامية في العراق والشام) داعش (، وهو تنظيم مسلح يسير وفقا لفكر الجماعات السلفية الجهادية، ويهدف -حسب اعتقادهم- إلى إعادة “الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة”، ويتواجد أفراد ونفوذه بشكل في العراق وسوريا (1).

ثانيا - الاماكن الاسلامية : المقصود بالاماكن الاسلامية في هذا البحث هو ما يشمل المساجد والمرقد والمزارات والربط والمدارس والحسينيات , وسنفصل في تعريف كل واحدة من هذه الاماكن المقدسة حسب فقرتها التي سيتم ذكرها في البحث .

اولا - المساجد : هي ” دار عبادة المسلمين وتقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها، وسمي مسجداً لأنه مكان للسجود لله، ويُطلق على المسجد أيضاً اسم جامع وخاصةً إذا كان كبيراً، وفي الغالب يُطلق على من يجمع الناس لأداء صلاة الجمعة فيه فكل جامع مسجد وليس كل مسجد بجامع“ .

(2) ومن المساجد التي تفجيرها وانتهاكها من قبل داعش هي :

ا- جامع النبي دانيال (ع) : ويعود تاريخ بنائه الى الفترة الاتابكية , ويقع في بقايا العاصمة الآشورية نينوى بمحلة اليهود -الاحمدية- (3) , وقد تم تفجيره بتاريخ 23/7/2014 .

ب- مسجد الشيخ أبو العلا : ويعود تاريخ بنائه الى الفترة العثمانية المتاخرة ويقع بمدينة الموصل/ باب الطوب (4), وقد تم تفجيره بتاريخ 25/6/2014 .

ج- جامع النبي يونس (ع) : ويعود تاريخه الى الفترة الحمدانية - الاتابكية - الايلخانية - العثمانية, ويقع في مدينة الموصل في تل التوبة , وقد تم تفجيره في 24/7/2014 (5)

(1) تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) – ويكيبيديا: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(2) <https://ar.wikipedia.org/wiki> < مسجد

(3) نقولا سيوفي , مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل, مطبعة شفيق, بغداد, 1956, ص 120.

(4) عن جامع الشيخ أبو العلا, ينظر: المصدر نفسه , ص 61.

(5) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: سعيد الديوه جي, جامع النبي يونس, مجلة سومر, مج 10, 1954, ص 250-266.

علما انه تم تفجيريه بشكل مصور ومباشر على المحطات التلفزيونية , وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته وذكر له فضلا وان الناس كانوا يقصدونه بشكل كبير , كما ان الحجاج الاتراك كانوا يمرون عليه في طريق حجهم ويتبركون به.⁽⁶⁾

د- جامع النبي شيت بن ادم (عليه السلام) : ويعود بناؤه الفترة العثمانية المتأخرة, ويقع في مدينة الموصل/ محلة النبي شيت, وقد تم تفجيريه بتاريخ 24/7/2014.⁽⁷⁾

د - جامع النبي جرجيس : ويعود بناؤه الى الفترة الاتابكية - الايلخانية - العثمانية , ويقع في مدينة الموصل في سوق الشعارين/ باب النبي, ذكره ابن بطوطة في رحلته عندما مر بالعراق⁽⁸⁾, وقد تم تفجيريه بتاريخ 27 /7/2014.⁽⁹⁾

هـ- مسجد الصاغر جي : ويعود بناؤه الى العهد العثماني المتأخر, ويقع في مدينة الموصل بباب الجديد, وقد تم تفجيريه بتاريخ 2/9/2014.

و- مسجد عيسى دده الكيلاني والمقبرة المجاورة له : ويعود تاريخ بناؤه الى الفترة الايلخانية - العثمانية, ويقع في مدينة الموصل بمحلة الشهوان, وتم تفجيريه بتاريخ 2/9/2014.⁽¹⁰⁾

ز- مسجد الشيخ السلطان أويس الجائري : ويعود بناؤه الى الفترة الجلائرية - العثمانية , ويقع في مدينة الموصل/ محلة الخاتونية/ الفاروق, وقد تم تفجيريه بتاريخ 30/12/2014.⁽¹¹⁾

ح- مسجد المتصوف محمد الرضواني : ويعود بناؤه الى العهد العثماني المتأخر , ويقع في مدينة الموصل/ باب الجديد, وقد تم تفجيريه بتاريخ 30/12/2014.

(6) ابن بطوطة , تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , أكاديمية المملكة المغربية, الرباط , 1417 هـ, ج 2 , ص 83 .

(7) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: سعيد الديوه جي, جوامع الموصل في مختلف العصور, دار ابن الأثير للطباعة والنشر, جامعة الموصل, 2012, ص 242-249.

(8) ذكره ابن بطوطة في نفس المصدر السابق والصفحة .

(9) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: سعيد الديوه جي, جامع النبي جرجيس في الموصل, مجلة سومر, مج 17, 1961, ص 100-112.

(10) عن تاريخ هذا المسجد, ينظر: علي الأغا النجماوي, محلات مدينة الموصل القديمة, الموصل, 2014.

(11) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: سعيد الديوه جي, جوامع الموصل في مختلف العصور , ص 187-194.

ط - جامع الشيخ عجيل الياور - شيخ مشايخ عشيرة شمر البدوية العربية :

وتاريخ بناؤه حديث , ويقع في مدينة الموصل/ الطيران/ الجوسق , وقد تم تفجيره بتاريخ 30/12/2014 . (12)

ي - **الجامع المجاهدي - مجاهد الدين قايماز :** وهو الجامع الأحمر المعروف عند عامة أهل الموصل بـ (نبي الله الخضر) -العبد الصالح- , ويعود تاريخ بنائه الى الفترة الأتابكية (572-576 هـ), ويقع خارج اسوار مدينة الموصل/ ربض الموصل/ جوبة البغارة-الكورنيش, وقد تم تفجيره بتاريخ 26/2/2015 . (13)

ك - **مسجد العباس :** ويعود تاريخ بناؤه الى الفترة الأتابكية - العثمانية , ويقع في مدينة الموصل/ شارع النجفي , وقد تم تفجيره بتاريخ 15/2/2015 . (14)

ل - **مسجد الشيخ محمد الأباريقي :** ويعود تاريخ بناؤه الى العهد العثماني المتأخر , ويقع في مدينة الموصل/ محلة تحت الدار, وقد تم تفجيره بتاريخ 20/2/2015 .

م - **جامع العمريّة :** ويعود الى العصر العباسي الأول من فترة الخليفة المأمون العباسي, ويقع في مدينة الموصل/ محلة باب العراق محلة باب الجديد, وقد تم تهديمه بتاريخ 17/12/2014 . (15)

ن - **جامع مريم خاتون الجليلي :** ويعود بناؤه الى العهد العثماني , ويقع في مدينة الموصل/ محلة حوش الخان, وقد تم تهديمه بتاريخ 12/5/2015 . (16)

س - **جامع وحسينية روضة الواد :** ويقع في مدينة الموصل/ محلة الفيصلية, وقد تم تفجيره بتاريخ 23/7/2014 .

ع - **جامع (السيد علي الهادي) :** ويقع في قرية القبة قرب الرشيدية/ قضاء تليكف, وقد تم تفجيره بتاريخ 13/5/2015 .

ف - **جامع قرية گوگجلي :** ويقع في قرية گوگجلي/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014 .

ص - **جامع الرسول الاعظم (ع) :** ويقع في قرية الدراويش/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره شهر آب 2014 .

(12) عن بناء هذا الجامع, ينظر: المصدر نفسه , ص 294-295.

(13) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: سعيد الديوه جي, الجامع المجاهدي في الموصل, مجلة سومر, مج 11, المؤسسة العامة للآثار والتراث, بغداد, ص 177-187.

(14) عن تاريخ هذا المسجد, ينظر: الديوه جي, سعيد, جوامع الموصل في مختلف العصور, ص 290-292.

(15) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: المصدر نفسه , ص 147-158.

(16) عن تاريخ هذا الجامع, ينظر: المصدر نفسه, ص 278-282.

- ق- مسجد الامام المنتظر : ويقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ر- جامع أهل البيت - سيد علي - : ويقع في قرية بازوايا/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر تشرين الثاني 2014.
- ش- جامع الامام علي (ع) : ويقع في قرية الموقفية/ ناحية برطلة, وتم تفجيره بتاريخ شهر شباط 2015.
- ت- جامع قائم آل محمد : ويقع في قرية طوبزوا/ ناحية بعشيقه, وتم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ث- جامع المحسن - محسن قاسم- : ويقع في قرية خرابه سلطان/ ناحية النمرود, وقد تم تفجيره بتاريخ نهاية شهر آب 2014
- خ- جامع المرحوم حمد الله مجيد علي : ويقع في قرية السماقية/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ذ- جامع قمر بني هاشم : ويقع في قرية تليارة/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ض- مسجد الامام زين العابدين (ع): ويقع في قرية كبرلي/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيره بتاريخ أيلول 2014.
- ظ- مسجد الامام المهدي ع : ويقع ف قرية كبرلي/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيره بتاريخ أيلول 2014.
- غ- جامع الامام المنتظر (ع) : ويقع في قرية منارة شبك/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ 19/3/2015.
- ا- جامع الامام علي (ع) : ويقع قرية منارة شبك/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ 19/3/2015.
- ب- جامع الامام الحسن المجتبى: ويقع في قرية أورطه خراب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ج- مسجد حسينية الحكيم : ويقع في قرية منارة شبك/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ 19/3/2015.
- د- جامع قرية طبرق : ويقع في منطقة زيارة سفلى/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.

هـ- جامع وحسينية قائم ال محمد : ويقع في قرية خزنة تبه/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرهما بتاريخ شهر آب 2014.

ثانيا - الربط والمدارس : الرباط : هو ” الحصن الذي يقيم فيه المقاتلين الذين يدافعون عن الثغور في قبال العدو، والدفاع عن ديار المسلمين, او قد اقتبست من القرآن الكريم وذلك في قوله: ”وَأَعِذُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ“.(17) وقوله تعالى: ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ“.(18) ولقد كانت الرُّبُط منطلق لنشر العقيدة الإسلامية من عبادة وأخلاق ومعاملات. ونتيجة مكوث المرابطين فيها مدة طويلة تطورت الرُّبُط فغدت مدارس علمية تدرس علوم الدين من فقه وحديث وتفسير“.(19)

اما المدارس فهي معروفة ونقصد بها المدارس الدينية . ومن الربط والمدارس التي تم تفجيرها وانتهاكها من قبل داعش هي :

أ - رباط المتصوف الفتح بن وشاح الأزدي الموصلية المعروف عند عامة أهل الموصل بالشيخ فتحي: ” وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْعِبَادَةِ وَالْفَضْلِ، وَهُوَ فَتْحُ الْمُؤَصِّلِي الْكَبِيرِ، لَا فَتْحُ الصَّغِيرِ، وَلَقَدْ بَالَعَ الْأَزْدِيُّ فِي ” تَارِيخِ الْمُوَاصِلَةِ “ فِي تَرْجَمَةِ هَذَا، وَجَمَعَ مَنَاقِبَهُ“.(20) ويعود تاريخ بنائه الى العصر العباسي الأول (بحدود نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) ويقع داخل اسوار مدينة الموصل بمحلة الشيخ فتحي, وقد تم تهديمه بتاريخ 16/6/2014 .

(17) الأنفال: 60.

(18) آل عمران:200.

(19) حول الربط ينظر : عاصم محمد رزق , معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية , مكتبة مدبولي , القاهرة , 2000 , ص 116 . وحول مادة ربط ينظر : ابن منظور , لسان العرب, دار صادر . 2003 , ج 6 , ص 82 .

(20) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي , تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام , تحقيق : بشار عواد , دار الغرب الإسلامي , 2000 , ج4, ص 475.

ب - المدرسة الحمدانية : وتعرف عند عامة اهل الموصل بمشهد الامام يحيى ابن القاسم ابن الحسن ابن الامام علي بن ابي طالب (عليهم السلام) ويعود تاريخ بنائها الى الفترة الحمدانية - الاتابكية - الايلخانية - العثمانية (719-637هـ) , ” وتبلغ مساحة الجامع والمرقد حوالي 1000م2 تقريباً، ويعتقد بعض الباحثين أن عدداً من أقسام المرقد يعود تأريخها إلى عهد الفترة الأتابكية بدليل أن الأعمدة والمحاريب ذات طراز معماري أتابكي، أما مصلى الجامع فيتكون من أعمدة مزدوجة رباعية الأبدان لها تيجان مكعبة مزينة بزخرفة بينما يبدو المحراب مسطحاً وهو يتضمن كتابات لنصوص قرآنية وكتابات أخرى لتذكارات الزائرين عبر العصور“⁽²¹⁾، وتقع في مدينة الموصل بمنطقة الشفاء قريباً من آثار قلعة باشطابيا، وقد تم تفجيرها بتاريخ 23/7/2014 .⁽²²⁾

ج - رباط المتصوف قضيبي البان الأزدي الموصل : ويعود بناؤه الى الفترة السلجوقية - الاتابكية بحدود القرن السادس الهجري، ويقع في مدينة الموصل بباب سنجار خلف ملعب الادارة المحلية، وقد تم تفجيره بتاريخ 14/8/2014 .⁽²³⁾

د - المدرسة الزينية : التي سميت فيما بعد بالكمالية والمعروفة عند عامة أهل الموصل بمسجد شيخ الشط : ويعود بناؤها الى القرن السادس الهجري - الفترة الأتابكية، وتقع في مدينة الموصل بمحلة الشهوان، وبناه زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين المتوفي عام 563 هـ/1168م، وتم تعميره في عهد الدولة العثمانية⁽²⁴⁾، تم تفجيرها بتاريخ 2/9/2014 .⁽²⁵⁾

هـ - المدرسة العزّية : وتعود الى عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود⁽²⁶⁾ - المعروفة عند عامة اهل الموصل بالامام عبد الرحمن (589-574هـ) , ويقع في مدينة الموصل بمحلة الخاتونية الطوالب، وقد تم تفجيرها بتاريخ 2/9/2014 .⁽²⁷⁾

(21) ديوان الوقف السني ، دليل الجوامع والمساجد التراثية ، ص 140 .

(22) عن تاريخ مدارس الموصل في العهد الاتابكي، ينظر : سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1957، ص 43 .

(23) عن تاريخ هذا المسجد، ينظر : سعيد الديوه جي، مسجد الشيخ قضيبي البان، مجلة سومر، مج 8، 1952، ص 99-106 .

(24) ديوان الوقف السني في العراق ، دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية ، ص 117 .

(25) سعيد الديوه جي، مدارس الموصل ، ص 60 .

(26) هو احد الأمراء الزنكيون الذين تولوا إمارة الموصل .

(27) سعيد الديوه جي، مدارس الموصل ، ص 70 .

و- المدرسة النورية : وتعرف نسبة للأمير نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن عماد الدين زنكي المعروف عند عامة أهل الموصل بالأمام محسن (607-589هـ)، وتقع بمدينة الموصل، محلة الشفاء، وقد تم تفجيرها بتاريخ 2/1/2015 . (28)

ز - رباط المتصوف الخزازي : ويعود تاريخ بناؤه الى العهد العثماني المتأخر ، ويقع في قرية القاضيّة/ القصور الرناسية -حي الاندلس-، وقد تم تفجيره بتاريخ 1/3/2015 . (29)

اولا - المراقد والقبور :

تعرف المراقد المقدسة بانها ” العمارات التي تضم مراقد أنمة أهل البيت عليهم السلام والبنيات التابعة لها، ويلحق البعض بها مكة ومدينة والقدس أيضا، كما ويعد آخرون المدن التي يقع المزار فيها ضمن حدود العتبة (30).

وما يلحق عرفا بهذه العمارات قبور اصحاب الرسول او الائمة او الصالحين من اهل الكرامات ، ولقد تعرضت المراقد والقبور الى حملة ممنهجة لازالتها بشتى الطرق سواء تفجير ام تجريف ام تهديم وهذا الامر يعود الى المتبنى الفكري والعقائدي لتنظيم (داعش) القائم على حرمة تشييد القبور وزيارتها ، لذا فقد دفعت المدن والمناطق التي وقعت تحت سيطرتهم ثمنا باهظا في هذا الاتجاه ، وتم ضياع جزء مهم من التراث العماري والعقدي والاجتماعي الذي مثلته هذه المراقد والقبور .

ومن هذه المراقد والمزارات التي تم ازالتها وتجريفها وتفجيرها هي :

أ - قبة مؤرخ الموصل عز الدين ابن الأثير الشيباني الموصل: صاحب كتاب الكامل في التاريخ وأسد الغابة في معرفة الصحابة والمعروف عند عامة أهل الموصل بـ (قبر البنت) ونش وإزالة قبره (31)، وهذا البناء يعود الى الفترة العثمانية المتأخرة، وقد تمت ازالتها وهدمها من قبل داعش، وهذا القبر يقع خارج اسوار الموصل في باب سنجار بمنطقة قضيب البان/ رأس الجادة، وقد تم هذا الهدم بتاريخ 20/6/2014 م

(28) المصدر نفسه ، ص 73.

(29) عن تاريخ هذا الرباط، ينظر: ابراهيم العلاف، جامع الشيخ ابو سعيد بن عيسى الخزازي، جريدة فتي العراق، الموصل، 2006.

(30) جعفر الخليلي ، المدخل إلى العتبات المقدسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1987 م، ص 41.

(31) عن اكتشاف أصل الموقع ينظر : احمد قاسم الجمعة، قبر عز الدين ابن الأثير في الموصل، مجلة مناهج جامعية، السنة الأولى، 2005، العدد 5، ص 51-50.

علما ان عز الدين أبي الحسن الجزري هو مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي ورصد أحداثها، ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي.

ب - مزار ومرقد المتصوف السيد محمد الموسوي المعماري: الذي يعود بناء قبره الى العهد العثماني المتأخر ويقع في قرية (أبو وجنة) - في ناحية زمار باوشنايا- السريانية المعروفة في العصر العباسي , وقد تم هذا التهديم في شهر آب 2014.

ج - مقام المتصوف السلطان عبد الله : وهو يقوم على أطلال وبقايا دير برقان/ الطين للسريان الارثوذكس في قرية السلطان عبد الله/ ناحية القيارة, ويعود تاريخ بنائه الى العهد العثماني المتأخر , وقد تم تفجيره بتاريخ 4/7/2014.⁽³²⁾

د - قبر يعود الى الشيخ محمد بن عبد القادر الكيلاني: ويقع في مسجد حمّو القدّو , ويعود الى العهد العثماني المتأخر, ويقع في مدينة الموصل بمنطقة باب الطوب, وقد تم التفجير بتاريخ 10/12/2014.⁽³³⁾

هـ - مشهد الأمام عون الدين ابن الحسين ابن الامام علي بن ابي طالب (ع) : يعود بناؤه الى الفترة الاتابكية نحو (646 هـ), ويقع في مدينة الموصل بمحلة الامام عون الدين, ويقع في المحلة التي سميت باسمه في مدينة الموصل, ويعرف ايضا بمرقد (ابن حسن) , بناه حاكم الموصل الاتابكي بدر الدين لؤلؤ في سنة 640هـ/1243م⁽³⁴⁾, وقد تم تفجيره بتاريخ 25/7/2014.⁽³⁵⁾

و - مقام ومرقد الامام الباهر ابن الامام زين العابدين⁽³⁶⁾: ويعود بناؤه الى الفترة الاتابكية في القرن السابع الهجري, ويقع في مدينة الموصل بمحلة الامام الباهر- المشاهدة, وتم تفجيره بتاريخ 2/9/2014.⁽³⁷⁾

ز - مقام الامام زيد بن علي: ويعود بناؤه الى سنة 700هـ/1300م, ويقع في الموصل , محلة باب البيض.

ح - مقام الشيخ أحمد الرفاعي : ويعود بناؤه الى العهد العثماني المتأخر, ويقع في ناحية المحلبية وقد تم تفجيره بتاريخ 4/7/2014.

(32) عن تاريخ هذا الدير واكتشافه ومطابقته. ينظر: الاب جان فييه الدومينيكي. آشور المسيحية. ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتدقيق: الأب د. يوسف توما، ج 1، منشورات مجلة الفكر المسيحي، شركة الأطلس للطباعة المحدودة، بغداد، 2011، ص 80-81.

(33) عن تاريخ هذا المسجد. ينظر: سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، ص 286-289.

(34) ابراهيم خليل العلاف، "مدونة الدكتور ابراهيم العلاف: تاريخ مرقد الامام عون الدين في الموصل"، مدونة الدكتور ابراهيم العلاف، (الجمعة، 9 فبراير 2018): <https://areq.net> محلة_الامام_عون_الدين

(35) عن تاريخ هذا الجامع. ينظر: سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، ص 217-224.

(36) جمال الدين أحمد ابن عتبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، 1961، ج 1، ص 252. علما انه هذا المصدر لم يذكر انه دفن في الموصل.

(37) عن تاريخ هذا الجامع. ينظر: سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2012، ص 217-224.

ط - مقام الامام ابراهيم : ويعود الى الفترة الأتابكية- الايلخانية (القرن السابع والثامن الهجري) ويقع في مدينة الموصل بسوق الشعارين - باب النبي- رأس الكور وقد تم تفجيره بتاريخ 2015./11/3 .

ي - مشهد السيدة زينب (ع) : ويعود تاريخ بناؤه الى الفترة الأتابكية - العثمانية, ويقع في قضاء سنجار, وقد تم تفجيره بتاريخ 3/8/2014.

ك - مشهد الإمام الشيخ غوث الدين بن عبد القادر الكيلاني: ويعود تاريخ بناؤه الى العهد العثماني المتأخر, ويقع في ناحية المحلبية , وقد تم تفجيره بتاريخ 2/8/2014.

ل - مشهد الست نفيسة (ع) : ويعود بناؤه الى الفترة الاتابكية في القرن السابع الهجري, ويقع في مدينة الموصل/ محلة الجامع الكبير قرب سور الموصل, وقد تم تفجيره بتاريخ 10/3/2015.⁽³⁸⁾

م - مقام الامام العباس : ويقع في قرية البساطلية/ ناحية النمرود, وقد تم تفجيره بتاريخ 2/7/2014.
س - مقام أبو الفضل العباس : ويقع في قرية القبة قرب الرشيدية/ قضاء تلكيف, وقد تم تفجيره بتاريخ 3/7/2014.

ع - ضريح ارناؤوط : ويقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.

ف - مزار الامام سعد وخضر الياس: ويقع في مدينة تلعفر, وتم تهديمه بتاريخ 25/7/2014.

ص - مقام الإمام العباس بن علي (ع): ويقع في قرية بازوايا/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر تشرين الثاني 2014.

ق - مقام الامام العباس : ويقع في قرية عمركان/ ناحية النمرود, وقد تم تفجيره بتاريخ 3/7/2014.

ر - مزار امام اياس : ويقع في قرية طوبزوا/ ناحية بعشيقية, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.

(38) عن تاريخ هذا المشهد, ينظر: احمد قاسم الجمعة, محاريب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتابكة, رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة القاهرة, ١٩٧١م.

- ش - مشهد الامام الحسين :** ويقع في قرية خزنة تبه/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ت - مشهد كلاو كچه (حاج بكتاش ولي) :** ويقع في قرية تيس خراب كبير/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ث - مقام الامام الرضا (ع):** ويقع في قرية تيس خراب كبير/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- خ - مقام الامام الباقر :** ويقع في قرية قره تپه عرب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ذ - مزار احمد الخراساني/ شيخ محمد :** ويقع في قرية باريم/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ض - مزار الاثني عشر امام :** ويقع في قرية باريم/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ظ - مقام الامام الحسين (ع) :** ويقع في قرية أورطه خراب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- غ - قبة لمزار شيعي أثري :** يقع في قرية أورطه خراب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ا - مقام الامام علي بن موسى الرضا:** يقع في قرية تيس خراب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ب - مزار سيد هياس :** وهو مزار للطائفة الكاكنية (الصارلية) ويقع في قرية وردك/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر ايلول 2014.
- ج - مزار تكية سيد حسين :** ويقع في قرية طهراوه/ ناحية برطلة.
- د - قبة مزار قلي ره ش :** ويقع في قرية طبرق زيارة عليا/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.
- ه - مقام الامام زين العابدين علي بن الحسين السجاد :** يقع في قرية علي ره ش/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيره بتاريخ شهر آب 2014.

رابعاً- الحسينيات :“هي مكان لإقامة الشعائر الحسينية، اذ كان الشيعة يحيون عزاءهم على مقتل الإمام الحسين (ع) والذي استشهد في كربلاء في بيوتهم ، ثم خصصت مباني خاصة سميت بالحسينية أو المجلس الحسيني (39). وتقام في الحسينيات مجالس العزاء والمحاضرات الدينية في المناسبات الخاصة بأهل البيت أو العامة كإقامة مجالس العزاء والفاطحة لسائر الناس وهي ليس لها احكام المسجدية (40).

ومن الحسينيات التي تم تفجيرها وتهديمها من قبل داعش هي :

ا - حسينية زينب الكبرى : وتقع في قرية باشبيثا/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرها بتاريخ 19/3/2015.

ب - حسينية قرية القبة : وتقع في قرية القبة قرب الرشيدية/ قضاء تلكيف, وقد تهدمها 13/5/2015.

ج - حسينية عسكر ملا : وتقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

د - حسينية هاشم عنتر : وتقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

هـ - حسينية الامام الصادق : وتقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

و - حسينية الامام العباس : وتقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

ز - حسينية ورار محمود : وتقع في مدينة تلعفر, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

ح - حسينية الزهراء : وتقع في مدينة تلعفر, وتم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

ط - حسينية فاطمة الزهراء (ع) : وتقع في قرية الدراويش/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

ي - حسينية آل عرفات : وتقع في قرية عمركان/ ناحية النمروذ, وقد تم تفجيرها بتاريخ 3/7/2014.

ك - حسينية آل عرفات : وتقع في قرية الرزاقية/ ناحية النمروذ, وقد تم تفجيرها بتاريخ 3/7/2014.

ل - حسينية آل عرفات : وتقع في ناحية السلامية, وقد تم تفجيرها بتاريخ 3/7/2014.

م - حسينية الرسول الاعظم : وتقع في قرية الموقفية/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر شباط 2015.

ن - حسينية الزهراء : وتقع في قرية طوبزوا/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

س - حسينية الزهراء : وتقع في قرية خزنة تبه/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

ع - حسينية بابوخت : وتقع في قرية بابوخت/ قضاء بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

(39) Juan Eduardo Campo ,Encyclopedia of Islam. InfoBase Publishing. p.318,1 January 2009

(40) محمود الزبيعي، المساجد والجوامع والحسينيات، شبكة النبا المعلوماتية، أيلول 2008. نسخة محفوظة 02 يونيو 2012 على موقع واي باك مشين.

- ف - حسينية شاقولي :** وتقع في ناحية برطلة.
- ص - حسينية المصطفى :** وتقع في قرية قره شور/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ق - حسينية الامام الصادق :** وتقع في قرية قرقشة/ ناحية النمرود, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر ايلول 2014.
- ر - حسينية فاطمة الزهراء :** وتقع في قرية بازكرتان/ ناحية برطلة.
- ش - حسينية حاج بكتاش ولي :** وتقع في قرية تيس خراب كبير/ ناحية بعشيقه, وتم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ت - حسينية الزهراء :** وتقع في قرية تيس خراب كبير/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ث - حسينية الامام زين العابدين :** وتقع في قرية ابو جربوعة -باجربوغا- / ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- خ - حسينية قره تپه :** وتقع في قرية قره تپه شبك/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ذ - حسينية قره تپه عرب :** وتقع في قرية قره تپه عرب/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ض - حسينية گوره غريبان (قبور الغرباء) :** وتقع في قرية گوره غريبان/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- ظ - حسينية الزهراء :** وتقع في قرية تلياره/ ناحية بعشيقه, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.
- غ - حسينية مقام الامام العباس بن ابي طالب :** وتقع في قرية العباسية/ قضاء تلکيف, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر حزيران 2014.
- ا - حسينية السادة وبعويزا :** وتقع في قضاء تلکيف, وقد تم تفجيرها بتاريخ 3/7/2014.
- ب - حسينية شيخ أمير :** وتقع في قرية شيخ أمير/ قضاء الحمدانية , وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر ايلول 2014.
- ج - حسينية الطواجنة :** وتقع في قرية الطواجنة/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر ايلول 2014.
- د - حسينية الزهراء (ع) :** وتقع في قرية منارة شبك قرية منارة شبك/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرها بتاريخ 19/3/2015.

٥ - حسينية الزهراء : وتقع في قرية بدنة كبير/ قضاء الحمدانية, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر ايلول 2014.

و- حسينية في مجمع الزهراء : وتقع في مجمع الزهراء/ ناحية برطلة, وقد تم تفجيرها بتاريخ شهر آب 2014.

الخاتمة

بعد اكمال البحث يمكن ايراد ابرز الافكار التي وردت فيه وكالاتي :

1 - تركزت معظم عمليات الهدم والتفجير في شهر اب سنة 2014 اي بعد نحو شهرين من استيلاء التنظيم على محافظة نينوى , ولعل ذلك يعود الى ان التنظيم قد استتب له الامور وعلم انه مستعد لاي ردة فعل من الاهلين تجاه عمليات التفجير هذه.

2 - كانت اقصى عملية هدم تعرضت لها الاماكن الاسلامية في العراق من قبل داعش , هي ما تعرض له مرقد النبي يونس (ع) و الذي يعرف كثيرا في الموصل وباقي المحافظات والدول الاخرى , فضلا عن ذلك فقد كانت عملية التفجير مصورة وبثت عبر الفضائيات والمواقع الاخرى بشكل واسع ومتداول .

3 - تنوعت الوسائل والادوات التي تم تهديم هذه المراقد والاماكن الاسلامية من قبل داعش , وتوزعت بين التهديم والتفجير والتجريف , لكن اغلب عمليات تهديم المراقد استخدم فيها التفجير , ولعل هذا الاسلوب يعود لكون التفجير يتم بشكل سريع ونتيجة التدميرية اكبر , فضلا عن عدم حاجته الى افراد كثر لغرض التدمير .

4 - لم تسجل حالات اعتراض علنية من السكان على عمليات تفجير هذه الاماكن الاسلامية , ولعل هذا الامر لا يعود الى قلة اهتمام الناس بهذه الاماكن او قلة اعتقادهم بها , بل من المؤكد ان الخوف من بطش داعش واسلوبهم القاسي في انزال العقوبات كان سيد الموقف آنذاك , لذا لم يجروا احد على اظهار رفضه العلني لذلك .

5 - لا يوجد دليل شرعي ناهض قد اجمعت عليه الامة على تهديم القبور او انتهاك حرمتها , سوى ان الجماعات المتطرفة والسلفية قد غالت في هذا الامر وبرزته كثيرا , والغريب انه تم تهديم وتفجير اكثر من ثلاثين مسجد في محافظة نينوى , علما ان المساجد اماكن لا اشكال في حلية بنائها او النذب لها .

6 - تعرضت اماكن و قبور تعود الى شخصيات تاريخية مشهورة ومعروفة في خارج العراق , وذات ثقل اسلامي ملحوظ الى الانتهاك والتفجير , كتفجير مرقد ابن الاثير ومرقد ابن عبد القادر الكيلاني .

- 7 - من خلال البحث عرفنا انه تم تفجير نحو (33) مسجد وجامع في محافظة نينوى. ومن خلال البحث عرفنا انه تم تفجير نحو (7) مدارس وربط في محافظة نينوى.
- 8 - من خلال البحث عرفنا انه تفجير نحو (32) مرقد ومزار ومشهد في محافظة نينوى . ومن خلال البحث عرفنا انه تفجير نحو(33) حسينية في محافظة نينوى .

المصادر

الكتب العربية والمعرية :

- 1 - ابن بطوطة , تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار , أكاديمية المملكة المغربية، الرباط , 1417 هـ، ج2 .
- 2 - ابن منظور , لسان العرب، دار صادر، 2003 ، ج6 .
- 3 - احمد قاسم الجمعة، محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧١م.
- 4 - جان فييه الدومينيكي، آشور المسيحية، ترجمة: نافع توسا، مراجعة وتدقيق: الأب د. يوسف توما، ج1، منشورات مجلة الفكر المسيحي، شركة الأطلس للطباعة المحدودة، بغداد، 2011.
- 5 - جعفر الخليلي ، المدخل إلى العتبات المقدسة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1987 م.
- 6 - جمال الدين أحمد ابن عنبه ، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، 1961، ج 1 .
- 7 - ديوان الوقف السني ، دليل الجوامع والمساجد التراثية .
- 8 - سعيد الديوه جي، جوامع الموصل في مختلف العصور، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 2012.
- 9 - سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1957.
- 10 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، 2000 ، ج4.
- 11 - عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000.
- 12 - علي الآغا النجماوي، محلات مدينة الموصل القديمة، الموصل، 2014.
- 13 - نقولا سيوفي ، مجموع الكتابات المحررة في أبنية مدينة الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، 1956.

المجلات :

- 1 - ابراهيم العلاف, جامع الشيخ ابو سعيد بن عيسى الخرازي, جريدة فتى العراق, الموصل, 2006 .
- 2 - احمد قاسم الجمعة, قبر عز الدين ابن الأثير في الموصل, مجلة مناهج جامعية, السنة الأولى, 2005, العدد 5.
- 3 - سعيد الديوه جي, الجامع المجاهدي في الموصل, مجلة سومر, مج 11, المؤسسة العامة للآثار والتراث, بغداد.
- 4 - سعيد الديوه جي, جامع النبي يونس, مجلة سومر, مج 10, 1954.
- 5 - سعيد الديوه جي, مسجد الشيخ قضيب البان, مجلة سومر, مج 8, 1952.

المصادر الاجنبية ومواقع الانترنت :

- 1 - wiki < <https://ar.wikipedia.org> > مسجد
- 2 - ابراهيم خليل العلاف , ” تاريخ مرقد الامام عون الدين في الموصل“. مدونة الدكتور ابراهيم العلاف, (الجمعة، 9 فبراير 2018) : <https://areq.net>
- 3 - تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) : <<https://ar.wikipedia.org>> wiki
- 4 - محمود الربيعي، المساجد والجوامع والحسينيات، شبكة النبا المعلوماتية، أيلول 2008.
- 5 - Juan Eduardo Campo ,Encyclopedia of Islam. InfoBase Publishing, - 2009
<https://annabaa.org/munasbat/ramadan1429/020.htm>

((مكتشفات أثرية من القرن الثالث الهجري في منطقة أسواق

(الموصل القديمة رغم الارهاب))

الباحث : أ.م.د. اكرم محمد يحيى الحيالي

جامعة الموصل - كلية الاثار - قسم الاثار

Tell:07518762902

Email :aalhayaly@yahoo.com

(ملخص)

نتيجة للاحداث الاخيرة التي مرت بها مدينة الموصل ونيوى القديمة وما صاحبها من احوال الدهور ومصائب العصور، وماتتج عنها من دمار فاني وخراب دامي اصاب الحرث والنسل والحجر ، فذب الجوع و الخوف والمرض على بلاد كانت آمنة مطمئنة ، فاجاها البلاء من كل حوب وصوب ، من اناس لايعرفون شيء من الانسانية ، احتلوا مساحات واسعة على طرفي نهر دجلة وما حواها ، ولكن رحمة الله اقوى واشد ، فلتشرقت بنور الله ونصره، وخرج سكان هذه المدينة من ظلمات الارهاب الى نور السلام والاستقرار ، ليكون ما كان و ما صار احاديث تروى و قصص تحكى عن اشد خلق الله كفرا ، فشمغت السواعد لتبنى ما خرب و تحيي ما هدم وتترحم على من مات شهيدا تحت اثار امة عريقة عمرها الاف السنين ، وهكذا دون المدونون وارخ المؤرخون و اكتشف المكتشفون ما ظهر تحت ثرى ارض نينوى والموصل الحدياء من مكتشفات هي الاقدم في العراق و الاقدس في المكانة لما اشتملته من اثار معمارية و ريازة اسلامية كان من ابرزها محاريب مساجد و مراقد ال البيت الاطهار التي تعود في اصولها لبدايات الفتح العربي الاسلامي لهذه المدينة العتيقة العتيقة ، كمحاريب مشهد اولاد الحسن ومشخد ام التسعة و اضرحة الشيخ العمري و الشيخ عبدال و الشيخ عثمان الخطيب و الشيخ الالوسي و الست نفيسة وغيرها من المكتشفات الاثرية التي تم لاتزال اثارها شاخصة الى يومنا هذا وهي ممتزجة بدماء و اجساد الشهداء من ابناء هذه المدينة الابرياء والتي سنتناولها تباعا ضمن بحثنا ودراستنا هذه



Archaeological finds from the third century AH in the)) ((area of the old Mosul markets despite terrorism

Prof. Dr. Akram Mohammad Yahya Al-Hayaly

(Abstract)

As a result of the recent events experienced by the ancient city of Mosul and Nineveh and the accompanying horrors of ages and calamities of the ages, and the resulting mortal destruction and bloody ruin that affected plowing, seed and stone, hunger, fear and disease spread to a country that was safe and reassured, and the affliction came from all sides and towards, on both sides. The Tigris and its environs, and as soon as God's mercy came and shone with the light of His victory and deliverance, then God brought the people of this city out of darkness into light, so that what was and what has become hadiths told and stories told about the most infidels of God's creation. And have mercy on those who died as a martyr under [the revolt of an ancient nation that is thousands of years old, and thus bloggers recorded and historians and discoverers discovered what appeared under the soil of the land of Nineveh and Al-Hadba Mosul of discoveries that are the oldest in history and the most sacred in status because of what they included of [architectural relics and Islamic leadership that were] The most prominent of them are the mihrabs of mosques and shrines of the pure family, whose origins go back to the beginnings of the Arab Islamic conquest of this ancient city, such as the mihrabs of Mashhad Awlad al-Hassan, Mashhad, Umm al-Nisa, and the mausoleums of Sheikh Al-Omari, Sheikh Abdul, Sheikh Othman Al-Khatib, Sheikh Al-Alusi, Al-Sitt Nafisa, and others. Among the archaeological discoveries that have been traced are still visible to this day and are mixed with the blood and bodies of the martyrs of the innocent sons of this city, which we will address successively within our research and study this tagged" (archaeological finds from the third century AH in the old city of Mosul

المقدمة :

تعد مدينة الموصل من المدن العراقية الموعلة في القدم ،والتي تضم بين جنباتها وازقتها الضيقة، نوادراً من القطع الأثرية والمخلفات المعمارية والفنية،التي ترقى بزمانها الى بدايات الفتح العربي الاسلامي لمدينة الموصل،والتي تم اكتشافها في الالونه الاخيرة من خلال الدراسات الحديثة والمسح الميداني في احياء مدينة الموصل القديمة ومحلاتها واحيانها الممتدة على طرفي نهر دجلة ، ونتيجة للاحداث الاخيرة التي مرت بها مدينة الموصل من تخريب و تدمير واسع استمر لثلاثة اعوام كاملة، حتى استقرت الالوضاع السياسية والعسكرية في المدينة ، برزت العديد من المكتشفات الأثرية التي تم العثور عليها في المساجد والمشاهد والمرائد الواقعة في الجزء القديم من مدينة الموصل والمنسوبة بتاريخ انشائها الى بدايات العصر العثماني ،

حيث عدها الباحثون والمتخصصون في مجالات العمارة والفن الاسلامي من نوادر التحف الفنية في العصر الاسلامي على مدى تاريخه الطويل،

وقد تمت دراستها والتحقق من عانديتها وتاريخ انشائها ومقارنتها بمثيلاتها من مكتشفات العصر الاسلامي ،

والذي نتج عنه اعتبارها من مكتشفات العصر العباسي الاول المحدد بتاريخه بين سنة (132 - 232 هـ \ 750 - 847 م)،

والتي كان من ابرز تلك المكتشفات الأثرية،محاريب مسطحة ، وبهئية مستطيلة راسيا، صنعت جميعها من مادة الرخام الموصلية الشهير بمادة الفرش المرمرى ،

ومنها محراب مرقد الشيخ قاسم العمري ومحراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب، ومرقد الشيخ عبدال والشيخ الالوسي والشيخ ابي العلا ،

ومحراب مشهد الست كلثوم،والست نفيسة ،

وجميعها من القرن(3 هـ 9م)،

والتي لا تزال اثارها شاخصة الى يومنا هذا وهي محتفظة بكافة عناصرها المعمارية والفنية والخطية التي تضمنتها معالم المحراب الاسلامي ذات الاعمدة الاسطوانية والتيجان الكاسية والعقود المفصصة والاطر الهندسية .

التمهيد :

من بين أكثر المكتشفات الأثرية التي سلمت من عمليات القصف والتخريب والتدمير التي شهدتها المدينة على مدى ثلاثة أعوام مضت ، كانت المحاريب الإسلامية ، وهي إحدى أبرز العناصر المعمارية المهمة في إنشاء وتشيد المساجد منذ القدم ، والمحارب عند العامة الذي يقيمه الناس اليوم مقام الإمام في المسجد ، فهو صدر المجلس،

وقيل هو صدر المسجد وأشرف مكان فيه وأقدسها وأجلها ، كما وردت لفظة المحارب مأخوذة من المحاربة لأن الإنسان إذا صلى فهو يحارب الشيطان ونفسه الأمرة بالسوء، وهو مقام الإمام، وقبله المسجد ،

وقد ارتبطت بخصوصية سامية فيما يتعلق بالمكان أو الإنسان ، ولم ترد لفظة المحارب على السنة العرب قبل الإسلام بمعناها المستخدم في المساجد، حيث ارتبطت لفظة المحارب على اتجاه القبلة في المسجد حصراً لخصوصيته باداء فرائض الصلوات الخمس والجمعة (1)

وقد وردت لفظة المحارب صراحة بمعناها الحقيقي، في مواضع عدة في القرآن الكريم (2)، وللمحارب مكانة مقدسة عند العرب والمسلمين لما يمثله من علامة دالة على اتجاه القبلة في المساجد كافة حتى عد من العناصر الأساسية التي لا غنى عنها عند تصميم المساجد وإنشائها، وقد تنوعت المحاريب الإسلامية تنوعاً كبيراً من عصر إلى آخر،

ارتبط إنشائها بإنشاء المساجد والمدارس والمرابد والأضرحة والمزارات، كما تنوعت أشكاله وأحجامه وطرق صناعته ومواد بنائه كالحجارة والرخام والجص والاجر والخزف، اشتمل على كثيراً من

(1) المحارب: بكسر الميم وسكون الحاء، جمعه محاريب، وهو الموضع العالي، وصدر البيت، وأكرم موضع فيه وأشرفه، وقيل هو الغرفة المشرفة على البيت أو المجلس وأشرف موضع فيه، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج 1، دار صادر، بيروت، 2003، ص 305، رزق، الدكتور عصام محمد: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مطبعة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 262، فكري، أحمد: مساجد القاهرة ومدارسها، المدخل، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1961، ص 277، شافعي، فريد: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ط 1، الرياض، 1982، ص 152، بهنسي، عفيف: معجم مصطلحات الفنون، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1981، ص 5، 136، غالب، عبد الرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، ط 1، بيروت، 1988، ص 310، 351، التوتنجي، نجاة يونس: المحاريب العراقية منذ العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي، وزارة الأعلام، مديرية الآثار العامة، 1976، ص 22، 30،

(2) قوله تعالى (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا). سورة مريم، الآية (11)
وقوله تعالى (وَكَلَّمَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) سورة آل عمران الآية (37)، وقوله تعالى (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَانِ إِذْ نَسُوا الْإِيمَانَ الْيَوْمَ وَكَانُوا فِي الْمِحْرَابِ) سورة ص الآية (21)، وقوله تعالى (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِجَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ) سورة سبأ الآية (13)، وقوله تعالى (فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَصَنبِقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَخَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ) سورة آل عمران الآية (39)

النقوش والكتابات الدالة عليه تميزا له وزيادة في قدسيته⁽³⁾

كما تعد دراسة المحاريب الاسلامية واحدة من ابرز الدراسات الاثرية والعمارية الضرورية لاسيما وانها الركن الاساس والاوحد الواجب تحديده عند التوجه الى الله عز وجل بالطاعات والمبرات والفرائض، منها فريضة الصلاة في أوقاتها الخمسة، فمن ابرز شروطها تحقيق الوقت والمكان والاتجاه عند ادائها، حيث شرع المسلمون ومنذ السنة الاولى للهجرة انشاء المساجد الجامع اقتداء بسنة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما خط اول مسجد في الاسلام، كان المحراب من العناصر المعمارية الرئيسية فيه، لما له من اهمية وضرورة في تحديد مكان واتجاه القبلة لسهولة اهتداء المسلمون التعرف عليها ليكون وجهتهم الصحيحة في اداء العبادات، فكانت اول الامر نحو المسجد الاقصى في بيت المقدس، ثم حولت بعد ذلك باتجاه الكعبة المشرفة عند المسجد الحرام بمكة⁽⁴⁾

كما اصبح موضع المحراب المكان المحدد الذي يقف عنده الامام ليؤم بالمصلين، فيوفر (صفا) اسكوبا من اساكيب المصلين، فضلا عما يقدمه المحراب من مزايا تساعد في تضخيم صوت الامام أثناء القراءة والصلاة فيسمعة من خلفه من المصلين، وتميز الامام عن سائر المصلين كونه القدوة ومركز الاتجاه في المسجد، لذا فقد تبارى الخلفاء والامراء والملوك في عمارته والتركيز على شكله وريازته وتعظيم دوره ومكانته، حتى صار تحفة معمارية تنطق بالجمال والابداع الذي عبر عنه المعمار المسلم بعبقريته وابداعاته الفنية⁽⁵⁾

وكانت بداياته الاولى ضربة رمح لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند منتصف خط القبلة، ليكون معلما لمكانه ورمزا لاتجاهه، اذ تشير المصادر التاريخية والاثرية وكتب الرحالة العرب، ان محراب المسجد النبوي الشريف، يعد من اقدم المحاريب المشيدة في الاسلام، واكدت تلك المصادر ان المحراب كان من النوع المسطح، حيث تم انشائه في السنة السابعة للهجرة النبوية الشريفة الموافق للسنة (628 م)، ثم توالى بعد ذلك انشائه في المساجد التي كانت تشييد في المدن والامصار المحررة الواقعة خارج ربوع الجزيرة العربية، ومنها محراب المسجد القصي ببيت المقدس، ومسجد الكوفة في العراق، والمسجد الجامع بدمشق، وجامع القيروان بتونس، وجامع عمرو بن العاص بالفسطاط في القاهرة، وخلال العصر الاموي تطورت عمارة المحاريب المجوفة تطورا كبيرا اخذت تحذو حذو المحاريب المسطحة والتي ظهر جنبها الى جنب، حيث جعل الخليفة الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد

(3) الجمعة، احمد قاسم الحاج عبد الله: محاريب مساجد الموصل حتى نهاية العهد الاتاكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة القاهرة، 1970، مجلد 1، ص 6 - فما بعدها، ذنون، يوسف: الواسطي موصليا، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1998، ص 13، 20، معروف، ناجي: علماء النظمات ومدارس المشرق الاسلامية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1973، ص 9-11، التوتنجي: المحاريب العراقية، ص 8، فما بعدها،

(4) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى، 458 هـ، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1996 م، ج 4، ص 66، النقيب، أمثال كاظم: المحاريب العراقية تاريخها، انواعها، في العصر العباسي، مجلة التراث العلمي العربي، ع 3، جامعة بغداد، 2017، ص 267 - 270،

(5) الجمعة، الدكتور احمد قاسم: الدلالات المعمارية وتجزئها الحضاري، موسوعة الموصل الحضارية، مجاد 3، جامعة الموصل، 1992، ص 331،

العزیز، للمسجد النبوي محراب على هيئة حنية غائرة عند جدار القبلة من جهته الجنوبية موقعه في الروضة الشريفة أمام مصلى النبي (صلى الله عليه وسلم)
(6) ثم توالى انشاء المحاريب المجوفة في العصر الاموي في المسجد الاقصى والجامع الطولون وجامع الازهر بالقاهرة (7) وجامع المنصور (الخاصي) في بغداد (8) وجامع حصن الاخضر في كربلاء (9) وجامع سامراء وقصورها (10)،

ابرز النماذج المكتشفة في المدينة القديمة

نتيجة للدراسات الميدانية الحديثة التي اجريت في احياء المدينة القديمة وما صاحبها من مسح ميداني واحصاء اثري متخصص لكافة احيائها الموصل ومحلاتها واسواقها القديمة لحصر ودراسة المخلفات الاثرية والعمارية التي لاتزال شاخصة الى الوقت الحاضر بعد ما اصاب المدينة من احوال ومصائب جراء الحروب والاقتتال، تم التوصل الى عدد من المحاريب الاسلامية من النوع المصطح والمصنوعة من مادة الرخام الموصل الشهير بالفرش او المرمر الذي شاع استخدامها في عموم مدينة الموصل

(6) ابن النثير: عز الدين ابو الحسن علي ابن كرم محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ، القاهرة، ج5، ص496، الفراهيدي، أحمد بن خليل: العين، دار صادر، بيروت، ج2، ص464، رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص262، الباشا، الدكتور حسن: مدخل الى الآثار الاسلامية، مطبعة جامعة القاهرة، الناشر دار النهضة العربية، 1990، ص101 - 103، ابن سيده: المخصص، ج4، ص66، حميد، عيسى سلمان: العمارات الدينية، حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، ج9، بغداد، 1985، ص46، 45،

(7) سامح: الدكتور كمال الدين: العمارة في صدر الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982، ص121 - 128، شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر، مجلد 1، القاهرة، 1970، ص95،

(8) الدوري، ابراهيم عبد الغني: البيغاديون اخبارهم ومجالسهم، مطبعة الرابطة، بغداد، 1958م، ص292، دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية، ديوان الوقف السني في العراق، ص70، حميد: العمارات الدينية، ج9، ص51،

(9) حميد، عيسى سلمان: تخطيط المدن، حضارة العراق، نخبة من الباحثين العراقيين، ج9، بغداد، 1985، ص33، محمد، غازي رجب: العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق، مطابع وزارة التعليم العالي، بغداد، 1989، ص77، ص111، سامح: العمارة في صدر الاسلام، ص68 - 76، رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص262، حميد: العمارات الدينية، ج9، ص47،

(10) (هرتسفلد، ارنست: تنقيبات سامراء، حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها، جزء الاول، ترجمة الدكتور علي يحيى منصور، بغداد، 1985، ص20 - 123، الجمعة، د.احمد قاسم: في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل، مؤتمه، الاردن، 2014، ص21 - 29، شافعي، فريد: زخارف وطرز سامراء، مجلة كلية الاداب، بجامعة القاهرة، مجلد 13، القاهرة، 1951، ص8-2، حميد، عبد العزيز: الزخارف المعمارية، حضارة العراق، ج9، نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد، 1985، ص369 - 389،

وعمانرها على اختلاف وضائفها من دينية ومدينة وسكنية وخدمية وجنائزية، كان من أبرزها محاريب مراقدة علماء الموصل ومشايخها، التي عدها الباحثون والمختصون من أهم التحف المعمارية والفنية التي تم اكتشافها في مدينة الموصل وأندرها على مدى تاريخها الطويل الممتد منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر العثماني، وتبرز أهمية هذه الدراسة في كونها قد انفردت بالكشف عن خمسة محاريب إسلامية من النوع المسطح الذي شاع تنفيذه وصناعته في مدينة الموصل خلال القرون الأولى للإسلام والمتمثلة بالمحارب الأول (محارب مرقد الشيخ قاسم العمري) الذي تم الكشف عنه في جامع العمريّة من قبل المستشرق الألماني هرتسفيلد أثناء أعمال الحفر والتنقيب التي كان يجريها في مدينة الموصل وأشور خلال مواسم التنقيب التي استمرت عدة سنوات ابتداء من سنة (1903 - 1906)، ونشره في كتابه بطبعته الأولى سنة (1911)، ثم أعاد نشره سنة (1920) (11) وكان الدور الكبير للاستاذ يوسف ذنون في اكتشاف محارب مشهد الست كلثوم في مسجد الست كلثوم رضي الله (12) عنها، والذي نشره ضمن موسوعة الموصل الحضارية، في مجلدها الثالث، فيما تم الكشف عن محارب مرقد الشيخ عثمان الخطيب في مسجد الشيخ عثمان، ومحارب مرقد الشيخ عبدال في جامع العبدالية، من قبل الباحث (13)، وتبرز أهمية محاريب مراقدة الموصل في كونها ترقى إلى بدايات العصر العباسي (656-132 هـ-749م) (14) حيث شهدت تلك الحقبة الزمنية تطورا كبيرا في إنشاء المدن والامصار الإسلامية وما صاحبها من نشاط معماري تمثل في تشييد المساجد ودور الامارة وخطط المساكن والاسواق، وما صاحبها من تنوع في عناصرها وفخامة محاريبها التي تميزت بالرقى والتطور والازدهار، الذي انعكس ايجابيا على تطور الحركة العمرانية والفنية وازدهارها في مدينة الموصل، كما ان جميع محاريب مراقدة علماء الموصل، تعاصر مكتشفات مدينة سامراء والعالم الإسلامي من القرن (3 هـ 9م) والمتمثلة بالمحاريب المسطحة في مساجد مدينة سامراء (15)

(11) بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، الناشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1993، ص 605-606،

SARRE, F and E. HERZFELD, D. (1920). Archaeologische Reise Im Euphrat-Vnd Tigris - Gebiet Band II, Berlin. p284

(12) ذنون، يوسف: الخط العربي في الموصل منذ تصورها إلى نهاية القرن العاشر الهجري، موسوعة الموصل الحضارية، المجلد 3، جامعة الموصل، 1992، ص 222-234،

(13) تم اكتشاف المحاريب بمشاركة ومساهمة الأستاذ الدكتور محمد مؤيد، المدرس في كلية الآثار، بجامعة الموصل.

(14) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، ج2، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط1، شركة الاعلمي للمطبوعات، ص 430 - 435، طقوش، الدكتور محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، بيروت، 2009، ص8، 9، 17،

(15) حميد: الزخارف المعمارية، ج9، ص369 - 389، النقيب: المحاريب العراقية، ص173، 283،

سهيل: تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، بيروت، 2009، ص8، 9، 17،

ومحارب مسجد قبة الصخرة ببيت المقدس، ومحارب جامع احمد بن طولون في القاهرة (16)، كما تبرز أهمية محارب مرقد علماء الموصل، بتمثالها وتشابهها في جميع عناصرها بمحارب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية الحجرية والجصية والاجرية والخشبية، التي ترقى بتاريخها الى القرن (3 هـ 9م) زمن حكم الخليفة المأمون واخاه المعتصم، بن هارون الرشيد، حيث شهدت تلك الحقبة الزمنية وفرة في الاحداث التاريخية والعمرانية كان لها بالغ الاثر على تطور مدينة الموصل وازدهارها، والتي كان من ابرزها حادثة (المحنة بخلق القرآن)، زمن الخليفة ابو جعفر عبدالله المامون بن هارون الرشيد (198 – 218 هـ / 833 813 م) (17)، وانشاء مدينة سامراء زمن اخيه الخليفة ابو اسحاق محمد المعتصم (218 – 227 هـ / 833 – 841م) (18)، كما تبرز أهمية محارب الموصل في كونها قد اكتشفت في مساجد الموصل وجوامعها المنسوبة للعصر العثماني، بينما تعود هي بتاريخها الى حدود القرن المنسوبة للقرن (3 هـ 9م)، كجامع العمرية المشيد سنة (971 هـ / 1563م)، ومشهد الست كلثوم المشيد سنة (961 هـ / 1553م)، ومسجد الشيخ عثمان الخطيب المشيد سنة (1090 هـ / 1679م)، وجامع الشيخ عبدال المشيد سنة (1082 هـ / 1671م)، ومسجد الشيخ حسان البكري المشيد سنة (1112 هـ / 1703م)، حيث تم نقلها من اماكنها القديمة وتثبيتها عند مرقد علماء الموصل ومشايخها التي تم تشييدها على انقاض ومخلفات المساجد القديمة بعد اتخاذها مرقد للصالحين والعلماء العارفين من مشايخ اهل الموصل وصلحائها مطلع العصر العثماني، والتي هي عليها الان، حيث وردت لفظة المرقد في اللغة على انها (المضجع)، أي محل النوم، ولما كان النوم هو اخ للموت جعل المرقد استعارة عن مضجع الميت لقوله تعالى (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (19)

(16) سامح : العمارة في صدر الاسلام، ص 83- 97، 104- 116، 121- 128، شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر، مجلد 1، القاهرة، 1970، ص 95، النقيب: المحارب العراقية، ص 173، 283، رزق: مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، ص 263،
(17) خلق القرآن، وهو فكر انتشر في عهد الخليفة العباسي المأمون من قبل فرقة المعتزلة والتي تعتبر أن القرآن مخلوق وليس كلام الله المنزل على نبيه محمد كما يؤمن المسلمون، واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كل قاض لا يؤمن به وهو ما لقي معارضة واستهجان كثير من الائمة مثل الإمام أحمد بن حنبل الذي تحمل السجن والتعذيب على عهد الخليفة المعتصم المتوفى سنة (227 هـ / 842م)، والواق المتوفى سنة (232 هـ / 847م) حتى أفرج عنه الخليفة المتوكل توله الحكم، وإنهى المحنة التي دامت خمسة عشر سنة (218 – 234 هـ)، ابن الاثير، الشيخ ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ: ج 9، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص 3- 8، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 430- 435، الزهيري، شريف عبد العزيز: محنة الامام احمد بن حنبل، 2016، ص 2، التميمي، ابو العرب محمد بن احمد بن تميم: كتاب المحن، تحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2006، ص 339، 340، طقوش: تاريخ الدولة العباسية، ص 121، ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل: البداية والنهاية في التاريخ، ج 10، ط2، دار المعاف، بيروت، 1977، ص 121، ابن خلكان، ابي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 1، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 63- 65،
(18) مدينة سامراء: قرر الخليفة العباسي المعتصم بن هارون الرشيد بعد توليه الخلافة الخروج من مدينة بغداد بعد مضايقة جنده لسكانها ورغبة منه في انشاء مدينة جديدة تخلد اسمه وتكون عاصمة له ولادارته وجنده، فانتقل شمالا، فاختار مكانا واسعا فسيحا محصنا طبيعيا وغني بارضه وخيراتّه وانهاره من جميع جهاته، فشرع في بنائها وسط ارض فسيحة خالية من العمران سنة (221- 223 هـ / 834- 836م)، وجلب اليها البنائين والنحاتين والمعماريين والمهندسين، حتى غدت مركزا من مراكز الفن والعمارة الاسلامية، دامت زهاء (51) عام، واستمرت حتى بعد وفاته سنة (227 هـ / 842م) حيث دفن في قصر الجوسق الخاقاني في سامراء، النقيب: المحارب العراقية، ص 283، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 430- 435، سامح: العمارة في صدر الاسلام، ص 83- 97، 104- 109، حميد: تخطيط المدن، ج 9، ص 38، 39، طقوش: تاريخ الدولة العباسية، ص 121، 138، ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 121، 295،
(19) سورة يس، الآية (52)

وقد انتشرت المراقد بشكل واسع في مدينة الموصل⁽²⁰⁾ وستتناولها تباعا وكما يلي.

المبحث الاول :

(محراب مرقد الشيخ قاسم العمري في جامع العمرية)

الموقع : يقع مرقد الشيخ قاسم العمري في جامع العمرية الكائن بمحلة باب العراق⁽²¹⁾ على الطريق العام الممتد الى الباب الجديد⁽²²⁾ جنوب مدينة الموصل القديمة ، وتعد محلة باب العراق احدى المحلات القيمة التي ورد ذكرها بداية الفتح الإسلامي، حيث وردت في المصادر التاريخية والاثرية اثناء ولاية سعيد بن عبد الملك بن مروان ادارة الموصل سنة (89-65هـ/674-709م)، حيث شرع بتعمير سورها وفتح بابا من جهة الجنوبية نحو العراق عرف بباب العراق ، فطغى اسمه على المحلة ومنه عرفت بمحلة باب العراق⁽²³⁾ وقد سكنت في هذه المحلة العديد من القبائل العربية التي هاجرت الى مدينة الموصل بعد الفتح الإسلامي واستقرت فيها وكان من بينهم العمريين ، وكانوا ذو خيرات واملاك وضياع ، من الاسر العريقة التي كان لهم الفضل الكبير في نشر العلم والفقه والادب في محلة التغالبة في باب العراق جنوب مدينة الموصل، وهم من نسب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ثم تطور ذلك في القرن (3 هـ / 9م)⁽²⁴⁾ حيث اورد الخطيب البغدادي ان من محدثي الموصل وعلمائها ، ابراهيم العمري الموصل ، توفي سنة (306 هـ / 896م)⁽²⁵⁾ ، وبمطلع العصر العثماني ، شرع الحاج قاسم بن الحاج على ألعمرى بأشياء جامع العمرية ومدرسته الدينية سنة (971هـ/1563م)⁽²⁶⁾ على أنقاض مسجد قديم يعود بتاريخه الى حدود القرن

(20) فالمرقد ، اسم من اسماء القبر يدل عليه ، وإطلاق لفظة المرقد على القبر الذي يرقد فيه الجسد ومنه أخذت المباني المقامة عليه تعرف بالمرقدا ، بن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 182 ، العاني ، علاء الدين أحمد : المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1979 ، ص ،

(21) سيوفي ، نقولا : مجموع الكتابات المحرر في ابناء الموصل ، تحقيق ، سعيد الديوه جي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1956 ، ص 28 ، الربيعي ، عماد غانم : موجز تاريخ اهالي نينوى ، مطبعة الزهراء ، الموصل ، 1999 ، ص 125 ، 160 ، الديوه جي ، سعيد : جوامع الموصل في مختلف العصور ، تقديم الدكتور ابي الديوه جي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، 2014 ، ص 159 ، 200 ،

(22) الباب الجديد : قام على أفندي العمري بن قاسم العمري (مفتي الموصل) بفتح باب جديد قريب من داره الكائن عند هذه المحلة وموصلا الى بستانه التي كان يخرج اليها من باب العراق لكنه كان يتعذر عليه العودة ليلا الى داره فتح باب جديد سنة (1138هـ/1725م) عرفت المحلة باسمه ، الديوه جي : سعيد ، تاريخ الموصل ، ج 2 ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ص 144 ،

(23) العمري ، ياسين بن خير الله الخطيب : منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء ، حققه سعيد الديوه جي ، مطبعة الهدف ، الموصل ، 1955 ، ص 113 ، 114 ، مديرية اوقاف نينوى : سجل الحجج والوقفيات المحفوظة في سجلات الاوقاف والمحكمة الشرعية في الموصل ، سنة (979هـ) ص 4 ، 364 .

(24) ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي النصيبيني : صورة الارض ، القسم الاول ، الطبعة الثانية ، مطبعة بريل ، مدينة لندن ، 1938 ، ص 216 ، العمري ، محمد امين بن خير الله الخطيب : منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدياء ، تحقيق سعيد الديوه جي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ، 1967 ، ص 17 - 22 ، العبيدي ، ازهر : الموصل ايام زمان ، بغداد ، 1990 ، ص 26 ،

(25) المحدث ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، من محدثي الموصل توفي سنة (306 هـ / 896م) ، وورد في كتاب الازدي ، طبقات العلماء والمحدثين من اهل الموصل انه من الرواة المحدثين الثقة ، الخطيب البغدادي ، الامام الحافظ ابي بكر احمد بن علي بن ثابت : تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء ، ج 7 ، حققه الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، ط 1 ، 2001 ، ص 51 ، الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور ، ص 159 ، 200 ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج 6 ، ص 150 ،

(26) سيوفي : مجموع الكتابات المحرر في ابناء الموصل ، ص 28 ، العلي بك ، منهل اسماعيل حسن : تاريخ الخدمات الوقفية في الموصل ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2006 ، ص 128 ، 570 ،

(3 هـ 9م)، بدلالة المخلفات الاثرية المنسوبة له وبشكل خاص، المحراب الرخامي المثبت في الجدار الشمالي من الرواق الخارجي المطل على فناء الجامع الى جانب بعض العناصر المعمارية والمخلفات الاثرية التي تعود لفترات مختلفة سابقة لعهد انشاء الحاج قاسم العمري، وقد تم تجديد عمارة الجامع مرات عدة في سنة (1073هـ)، وفي سنة (1133هـ/1720م) ⁽²⁷⁾ استنادا للالواح الرخامية والوقفيات المثبتة في جدران المصلى الداخلي والرواق الخارجي وغرفة المرقد و المدرسة الدينية والسبيل خانة ، ولا يزال جامع العمري يحتفظ بكافة عناصره المعمارية والفنية الرخامية والاجرية و المتمثلة بابرز معلم اثري يعود الى تاريخ انشائه الاول وبالتحديد الى نهاية العصر العباسي الاول منتصف القرن(3 هـ 9م)، والمتمثل بمحراب مرقد الشيخ قاسم العمري،

موقع المحراب:

يقع المحراب المكتشف في الجدار الشمالي لرواق المصلى الصيفي، على يمين الداخل الى فناء الجامع من مدخله الرئيس ، عند غرف مرقد الشيخ قاسم بن الشيخ علي العمري منشأ الجامع والمتوفي سنة (1001هـ/1592م)،

تاريخ اكتشاف المحراب:

تم اكتشاف محراب مرقد الشيخ قاسم العمري ولاول مرة من قبل المستشرق الالماني ارنست اميل هرتسفلد، على اثر زيارته للعراق ومشاركته في حفائر التنقيبات الاثرية التي كان يجريها في مدينة الموصل واشور في موسم التنقيب الذي ابتداه سنة (1906-1903)،وامتد عدة سنين ، كان محراب مرقد الشيخ قاسم العمري احدي مكتشاته الاثرية الرائعة والنادرة ، فدون معلوماته الاثرية عن الجامع ونشره في كتابه (رحلة اثرية في منطقة الفرات ودجلة)،بطبعته الاولى سنة(1911)،واعاد

(27) الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور ، ص131 ، ذنون ، يوسف: الخط العربي في الموصل ، ص222، العلي بك : المصدر السابق ، ص250، 251، الحمداني ، سالم : التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر، مجلة آداب الرافدين ، ع10، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، 1979 ، ص-415 416، الطائي ، ذنون يونس: الاتجاهات الاصلاحية في ولاية الموصل اواخر العهد العثماني وحتى تاسيس الحكم الوطني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة الموصل، 1990، ص7.

طباعته ثانية سنة (1920)⁽²⁸⁾ وهكذا يعد هرتسفلد هو أول من اكتشف المحراب الرخامي المسطح الذي نحن بصدد.

تاريخ صناعة المحراب :

يرجح بعض من الباحثين والمختصين ،ان تاريخ صناعة محراب جامع العمريّة يعود الى نهاية العصر العباسي الاول ، وبالتحديد خلال الحقبة الزمنية التي حكم فيها الخليفة العباسي ابو جعفر عبدالله المامون بن هارون الرشيد(198 – 218 هـ / 833 813 م) واخيه الخليفة ابو اسحاق محمد المعتصم(218 – 227 هـ / 833 – 841م) على انه قد صنع في زمن حادثة المحنة الشهيرة (بمحنة خلق القرآن)،احدى ابرز الحوادث التاريخية والدينية التي وقعت في يرجح بعض من الباحثين والمختصين ،ان تاريخ صناعة محراب جامع العمريّة يعود الى نهاية العصر العباسي الاول ، وبالتحديد خلال الحقبة الزمنية التي حكم فيها الخليفة العباسي ابو جعفر عبدالله المامون بن هارون الرشيد(198 – 218 هـ / 833 813 م) واخيه الخليفة ابو اسحاق محمد المعتصم(218 – 227 هـ / 833 – 841م) على انه قد صنع في زمن حادثة المحنة الشهيرة (بمحنة خلق القرآن)،احدى ابرز الحوادث التاريخية والدينية التي وقعت في العصر العباسي⁽²⁹⁾وقد ورد ذكر العمريّة في الموصل منذ القرن(3 هـ 9م)،فقال الخطيب البغدادي ان من محدثي الموصل كان (ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب في القرن (3 هـ 9م)،وعلى هذا كان في الموصل عمريون من نسب عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقد اسسوا مسجدا صغيرا لهم قرب سكنهم في محلة باب العراق⁽³⁰⁾

(28) إرنست إميل هرتسفلد: Ernst Emil Herzfeld، مستشرق ألماني، وعالم آثار متخصص بدراسة تاريخ وآثار بلاد الرافدين وبلاد فارس وبلاد الشام ، ولد سنة(1879) في مدينة (celle) في ألمانيا ، ودرس في جامعة مئنتن وجامعة برلين ، في قسم دراسة اللغات الشرقية والآثار و التاريخ ، وحصل على شهادة الدكتوراه سنة (1907) وفي عام(1918)فصل من التدريس في جامعة برلين بعد قدوم النازيين الى الحكم ، فطرد من عمله لأنه كان مسيحي من اصل يهودي فغادر ألمانيا حتى توفي سنة(1948)في مدينة بازل في سويسرا ، شارك في تنقيبات آشور وكرديستان ولورستان وبرزبولس ، وحفائر سامراء سنة (- 1911 1913) وحفائر سستان جنوب إيران ، بدوي ، عبد الرحمن : موسوعة المستشرقين ، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1993 ، ص 606-605 ، الديوه جي : جوامع الموصل في مختلف العصور ، ص167 ، دنون ، يوسف : الخط العربي في الموصل ، ص221 ، 234 ، هامش (10)،

SARRE, F., and E. HERZFELD, D. (1920). Archäologische Reise Im Euphrat-Vnd Tigris - Gebiet Band II, Berlin. p284

(29) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج9 ، ص 3 – 8 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، ص 430 – 435 ، الأزدي، الشيخ ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم : تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبة ، القاهرة ، 1967 ، ص 412، الخليلي، الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان: الحق الدامع ، مطابع النهضة، 1409 هجرية، ص 85 ، طقوش : تاريخ الدولة العباسية، ص121، 138، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 10، ص 121، 295 ،

(30) الديوه جي : جوامع الموصل ، ص162-159، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج 6 ، ص 133،

الوصف العام للمحراب :

يتبع المحراب في تخطيطه واسلوب عمارته نظام المحاريب المسطحة المستوية المصنوع من مادة الرخام المرمرى الشهيرة بالفرش الموصل، حيث شغلت جميع عناصر المحراب المعمارية والزخرفية والخطية على قطعة واحدة مستطيلة الشكل وبوضعية راسية أفقية شغلت سطح المحراب بصورة متزنة وتوزيع متناسق، يبلغ طوله نحو (80 سنتمتر) ، بينما يبلغ عرضه نحو (40 سنتمتر) تقريبا.

العناصر المعمارية الفنية :

تنوعت العناصر الزخرفية والفنية المنفذة على سطح محراب الرواق في جامع العمريّة بين العناصر المعمارية و الزخارف النباتية والنقوش الخطية والكتابية نوردها وكما يلي :

العناصر المعمارية :

تتألف عناصر محراب الرواق في جامع العمريّة بالعقد نصف دائري مدبب الراس ومنفوخ من الجانبين ،

يرتكز عقد العمود على تيجان كاسية الشكل تتوج زوجين من الاعمدة الاسطوانية البارزة عن مستوى سطح المحراب، حيث نفذت عامودين على كل جهة من جهتي المحراب اليمنى واليسرى، كما شغلت تيجان الاعمدة المزدوجة لمحراب جامع العمريّة بزخرفة معمارية قوامها العنصر الكاسي الشكل عرفت (بالزخارف الجرسية) ،

ورد ذكر اقدم نماذجها في مدينة سامراء، متمثلة بتاج عمود ذي شكل كاسي عثر عليه في المخلفات الاثرية لمكتشفات مدينة سامراء من القرن (3 هـ 9م)⁽³¹⁾، والذي كان له الاثر الكبير على زخارف محاريب مدينة الموصل ،

ظهر متجسدا في محراب جامع العمريّة تعود في اصولها وتاريخ انشائها الى اقدم من ذلك⁽³²⁾ وبالتحديد الى عهد الخليفة العباسي المامون واخيه المعتصم

(31) شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الاسلامية، المجلد الاول ، عصر الولاة ، مصر ، 1970 ، ص411، النقيب : المصدر السابق ، ص 280 ، حميد : الزخارف المعمارية ، ج9، ص369 – 389 ،
(32) طقوش : تاريخ الدولة العباسية ، ص121 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج10 ، ص121 ، 295 ، دنون : الخط العربي في الموصل ، ص222، دنون : الواسطي موصليا ، ص 19 ،

العناصر النباتية :

شغلت ركني محراب جامع الهمرية بزخرفة نباتية قوامها المراوح النخيلية خماسية الفصوص ،والتي نفذت بأسلوب بارز عن مستوى سطح اطار المحراب ،ذي ارضية غائرة واسلوب الحفر المشطوف المائل المشطوف ،الذي ساد في تنفيذ الزخارف النباتية المنفذة على سطح محراب الست كلثوم ومحراب مسجد الشيخ عثمان الخطيب من القرن (3 هـ 9م)⁽³³⁾

العناصر الكتابية والخطية :

امتازت الكتابات الخطية المنفذة على كوشتي عقد محراب مرقد الشيخ قاسم العمري بمميزات نادرة لم تظهر في محاريب مساجد الموصل واثارها الشاخصة الاخرى ، حيث شغل اسم لفظ الجلالة (الله) بصورة متقابلة في الجهتين ،

وبالخط الكوفي القديم من النوع البسيط ،استعمل الخط الكوفي البسيط في مدينة الموصل وما جاورها حيث تظهر اقدم النصوص الكتابية الباقية على العمارن المتمثلة بالمحاريب وشواهد القبور التي شغلت بالخط الكوفي البسيط الذي يطالعنا على سطح محراب جامع العمرية والذي يعود الى القرن (3 هـ 9م) ، تقديرنا من النص المدون عليه والذي جاء فيه ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وهذا يظهر انه قد صنع في وقت المحنة زمن الخليفة العباسي المأمون واخيه المعتصم ، التي ورد ذكرها سابقا⁽³⁴⁾ كما يوضح ذلك نوع الخط المسطر عليه وهو الكوفي البسيط وكذلك التوزيع المعماري لتصميمه ،

واساليب تنفيذه ،والزخرفة التي يحتويها والتي تماثل الى درجة كبيرة نقوش و زخارف محاريب سامراء ،وبذلك يعد محراب العمرية من اقدم المحاريب المسطحة في العراق والعالم الاسلامي مقارنة بما ذكره الدكتور فريد شافعي في تقديره لمحراب قبة الصخرة بانه يعود لعصر المأمون⁽³⁵⁾

(33) مرزوق ، محمد عبد العزيز : الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ، مطبعة اسعد ، بغداد ، 1965 ، ص 183 ، 272 ، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثيرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ، ص 183 ، 272 ،

(34) ابن الاثيرا : الكامل في التاريخ: ج 9 ، ص 3 - 8 ، الازدي : تاريخ الموصل ، ص 412 ، طقوش : تاريخ الدولة العباسية ، ص 121 ، 138 ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 10 ، ص 121 ، 295 ،

(35) شافعي ، فريد : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، مصر ، 1970 ، ص 606

وهذه الظاهرة المتمثلة بالمحاريب المسطحة وكتابة الاحداث الدينية المتفجرة واحداث المحنة بشكل خاص لم تقتصر على الموصل فحسب بل كذلك نجد لها مثيلا في المحراب المسطح في جامع الزيتونة في مدينة تونس من القرن (3 هـ 9م)⁽³⁶⁾ ، وكذلك النموذج الموجود في نص كتابي المنحوت على بلاطة رخامية تحت قبة جامع سوسة ، وهو مؤرخ بسنة (237 هـ 851م) ، ونموذج اخر مؤرخ ومنحوت تحت مدخل القبو الحلزوني ومدخل منارة مسجد رباط سوسة والمؤرخ بسنة (206 هـ 821م) ، ونماذج اخرى في مدينة سوسة والمنستير⁽³⁷⁾ ، كما تميز المحراب بوجود نموذج للاشكال المتعكسة في الخط ممثلة في لفظ الجلالة على كتفي المحراب يعد اقدم نموذج من نوعه على الرغم من بساطة الخط الكوفي من النوع البسيط مما يدل على الامكانات الفنية المبكرة في تطور هذا الفن ، امتازت الكتابات مناسبتها للسطور والمساحات الطويلة المحدودة والمخصصة للكتابة والنقوش الخطية الدعائية والتذكارية والجنائزية خلال القرن (3 هـ 9م) ، فيما شهد الخط العربي تطورا واضحا خلال القرنين التاليين ، (4-5 هـ 10 - 11م) ، حيث امتزجت فيه التشكيلات الزخرفية المتنوعة ، فظهرت انواع شتى من الخطوط المورقة والمزهرة ذات المهاد الزخرفي⁽³⁸⁾ ، جميعها على محاريب الموصل نهاية العصر العباسي ، كما في محراب الشيخ شمس الدين ، ومحراب مزار الامام علي الاصغر⁽³⁹⁾

(36) عثمان ، الكعك : جامع الزيتونة ، مجلة العربي ، ع 118 ، 1968 ، ص 155

(37) سالمح ، الدكتور كمال الدين : العمارة في صدر الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ص 141 ، فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص 250 ، سالم ، السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب الكبير من اقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، 1964 ، ج 2 ، ص 445 ، 454 ، زبيس ، سليمان مصطفى : الفنون الاسلامية في البلاد التونسية ، تونس ، 1978 ، ص 21 ،

(38) شحاته ، عزت علي عبد الحميد : النقوش الكتابية بالعمارة الدينية في العصرين المملوكي والعثماني ، العلم والايمان للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 11 ، ، الباشا ، حسن : الخط الفن العربي الاصيل ، المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم ، الاجتماعية ، القاهرة ، 1968 ، ص 23 ،

(39) دنون : الخط العربي في الموصل ، ص 223 ، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ، الجمعة ، احمد قاسم : الزخارف الرخامية ، موسوعة الموصل الحضارية ، مجلد 3 ، جامعة الموصل ، 1992 ، ص 342 ،

يقع مسجد(مشهد)⁽⁴⁰⁾ الست كلثوم في محلة الميدان قرب القلعة الداخلية (ايح قلعة) القديمة قبل انهدامها،

تجاور سوق الميدان وسط محلات بيع الاخشاب المعروفة بالسكلة، وقد تم تجديد عمارة مشهد الست كلثوم مطلع القرن الثاني عشر للهجرة استنادا الى الالواح الرخامية التي كانت مثبتة على جدران الشهد والمرقد قبل انهدامها ،

وقد جرى تعمير المشهد والمرقد نهاية العصر العثماني على يد احد الرجال الصالحين من ابناء محلة الميدان حتى عرف بمسجد الميدان استنادا لاقوال المعمرين من سكان محلة الميدان، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل له قبة قديمة مائلة للانهدام وحولها قبور لال مسطوني في الموصل، ولكنها اصبحت كومة من الانقاض،⁽⁴¹⁾

والست كلثوم هي بنت الامام الحسين بن الامام علي عليه السلام ،هذا هو المشهور والمتواتر في بلدتنا وعند ساداتنا الحسينية ،

ولها مشهد قديم ومحترم من بناء الملوك المتقدمين فتهدم وعمره وجدد بنيانه مرات عدة ،ولعلها ام الامام يحيى بن القاسم تزوج بها ابوه القاسم في مدينة كربلاء ،

ويرى البعض ان الست كلثوم لها مرقد الست كلثوم قرب القلعة راها رجل في المنام فطلبت منه ان يخرج قبرها فاخرجه وبني عليه مرقد وقبة ،

اما العمري : منهل الاولياء ، يقول ،لها مرقد الناس يزورونه ويقولون انها بنت الامام علي عليه السلام⁽⁴²⁾

(40) المشهد: لغة : هو محضر الناس او مجمع من الناس وقيل الموضع الذي يتشاهد فيه القوم غيضر بعضهم بعضا للمشاهدة ،وقيل هي الموضع التي يجتمع فيه الناس ،وفي العمارة المشهد هو الموضع الذي يدفن فيه الشهيد عندما يقتل في الجهاد في سبيل الله ،العاني : المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق،ص13 ، 14 ،الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حماد : الصحاح ،تاج اللغة وصحاح العربية ، ج 1 ،تحقيق احمد عبد الغفور ،دار العلم للملايين،ط2 ، بيروت، 1979 ، ص 491 ، ابن منظور : لسان العرب ، ج3 ، ص241،

(41) العمري : منية الادباء ، ص104، 102 ، الديوه جي، سعيد : قلعة الموصل في مختلف العصور ، مجلة سومر ،مجلد (10)،ص107،

(42) الخياط : ترجمة الاولياء ، ص 63، العمري : منية الادباء ، ص104 ، 106 ،

الوصف العام لمحارب :

يتبع المحارب في تخطيطه واسلوب عمارته نظام المحاربي المسطحة المستوية المصنوع من مادة الرخام المرمرى الشهيرة بالفرش الموصل، حيث شغلت جميع عناصر المحارب العمارة والزخرفية والخطية على قطعة واحدة مستطيلة الشكل وبوضعية راسية افقية، يبلغ طول المحارب نحو (100 سنتمتر) وعرضه نحو (55 سنتمتر) تقريبا،

وقد شغل سطح المحارب بصورة متزنة وتوزيع متناسق، ساد استخدامه في مدينة الموصل منذ بداية العصر العباسي ، استمرت حتى نهاية العصر العثماني، واصبحت سمة تتميز بها مساجد الموصل ومدارسها الدينية ومرافق الاولياء والصالحين ومقاماتهم، والتي لاتزال اثارها شاخصة الى يومنا هذا وهي محتفظة بكافة عناصرها العمارة والفنية والخطية الدعائية والجنائزية ، والتي كان لزخارف الموصل العمرية والست كلثوم تاثيرات بعد ذلك على تيجان اعمدة محارب مسجد الشيخ شمس الدين من القرن الرابع الهجري ،

ومحارب الشيخ فتحي من القرن (5 هـ 11م)⁽⁴³⁾،

كما يلاحظ ان المساحات التزيينية الزخرفية المحدودة تماثل وتشابه الى حد كبير، خصائص ومميزات زخارف مدينة سامراء ، وبعض القطع الاثرية المحفوظة في متحف القاهرة من الفترة ذاتها، والمنفذة باساليب الحفر المائل المشطوف ذي القطاع الراسي البسيط ، وهو ما يسمى بالطراز الثالث المتقدم والمتطور عن الطرز الاول والثاني⁽⁴⁴⁾، الذي شاع تنفيذه في مدينة الموصل على الرخام الموصل (الفرش)، تمثلت بالعديد من الالواح التزيينية ومنها محارب مشهد الست كلثوم، والذي يرقى بتاريخه الى منتصف القرن (3 هـ 9م)⁽⁴⁵⁾،

كما شغل اعلى قوس المحارب بكتابات من الخط الكوفي المروس الذي نشاء وتطور خلال القرن (3 هـ 9م)، ولكنها كانت اقل مستوى من التطور الذي شهدته الكتابات والنقوش الخطية في محارب القرن (5 هـ 11م)، والتي سادت فيها كتابات بالخط الكوفي المتطور ذي التشكيلات الزخرفية ، ومنها المورق والمزهر والمظفور والمعشق والمربع وذي المهاد الزخرفي ،ومن ابرز نماذجها محارب مرقد الشيخ فتحي ومسجد الشيخ شمس الدين ومسجد احسان البكري والمدرسة المظامية⁽⁴⁶⁾

(43) الجمعة ، الدكتور احمد قاسم : الدلالات المعمارية وتجزيرها الحضاري، موسوعة الموصل الحضارية ، مجاد 3 ، جامعة الموصل ، 1992 ، ص 331-336 ، شكل (24)،

الجمعة ، الدكتور احمد قاسم : محارب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتاكية برسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، 1971 ، ص 126 ، (127)،

(44) حسن ، الدكتور زكي محمد : اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية ، الاشكال (315 ، 317) ، هرتسفلد : حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها ، ص 20 - 123 ، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ، شافعي : زخارف وطرز سامراء ، ص 8-2 ، الجمعة : الزخارف الرخامية ، ص 342،

حميد : الزخارف المعمارية ، ج9، ص 369 - 389،

(45) دنون : الخط العربي في مدينة الموصل ، ص 234 ، هامش (15)،

(46) الجمعة: الزخارف الرخامية ، ص 342، الجمعة: محارب مساجد الموصل الى نهاية حكم الاتاكية، ص 126 ، وما بعدها، حميد : الزخارف المعمارية ، ج9، ص 369 - 389،

تاريخ اكتشاف المحراب:

لقد تم العثور على محراب مسجد الست كلثوم من قبل الاستاذ يوسف ذنون ، سنة 1970 ، بين الانقاض في المبنى المجاور لدائرة بلدية الموصل القديمة عند محلة الميدان على انقاض المسجد القديم، وكان للاستاذ يوسف ذنون الفضل الكبير في المحافظة عليه ، حيث نقله الى متحف التراث الحضاري في مدينة الموصل ، (47)

المميزات المعمارية والفنية لمحراب :

اولاً : تضاول الارضيات بين العناصر وتحولها الى ما يشبه القنوات المنحنية والحلزونية بأسلوب هندسي متقن وقصر العروق التي تصلها و ضاهرة الحروز التي توتر بعض العناصر الزخرفية في سامراء وفي كوشة عقد محراب مسجد الست كلثوم والمهدي في مار توما ،

ثانياً : ظاهرة تقسيم السطوح الى مناطق هندسية تشغلها العناصر الزخرفية مثل عبدال بالطن وعثمان الخطيب بالكوشات

ثالثاً : الاطار الهندسي الذي يوتر جميع عناصر المحراب والممتد راسيا حول محيط المحراب والمؤلف من عناصر الخطوط الهندسية المنكسرة والتي تعد نسخة طبق الاصل الاطر الخارجية المحيطة بنقوش وزخارف محاريب مدينة سامراء وخطوطها المنكسرة (48).

رابعاً : ظاهرة العيون بين انصاف العناصر والاوراق والقيعان المجوفة في اسفل بعضها التي تشابه سامراء جدا ، في باطن وكوشة محراب جامع الجويجاتي من قرن (3 هـ 9م)، وكوشة عقد محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ، ومحراب الشيخ عبدال الصدر والبطن و جامع العمرية .

خامساً : انتشار وتنفيذ عنصر الورقة الجناحية (انصاف المراوح النخيلية البالمنت- الجمعة يسميها الورقة الجناحية) ذات القطاع المجوف التي ظهرت في سامراء وباطن الجويجاتي ونفسها بالضبط في صدر محراب عبدال.

سادساً : تنوع الوحدة الموضوعية وتعدد مشاهدتها المنفذة على سطح محراب الست كلثوم وامتزاجها بين العناصر المعمارية والعناصر الزخرفية النباتية والهندسية الى جانب تنفيذ عناصر الكتابات الخطية، (49)

(47) ذنون : الواسطي موصليا ، ص 12-3، يوسف ذنون : الخط العربي في مدينة الموصل ، ص 234 ، هامش (15)،

(48) هر تسفلد : حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها ، ص 11 – 234 ،

(49) حميد : الزخارف المعمارية ، ج 9، ص 369 – 389، الجمعة: الزخارف الرخامية ، ص 342،

العناصر الفنية والعمارية :

تنوعت العناصر الزخرفية والفنية المنفذة على سطح محراب مرقد الشيخ قاسم العمري بين عناصر عمارية وزخارف نباتية ونقوش خطية وكتابات تاريخية وتذكارية وعبارات دينية ودعائية نوردها وكما يلي:

العناصر العمارية:

لقد نحتت جميع العناصر العمارية والفنية لمحراب مرقد الست كلثوم على قطعة واحدة من مادة الرخام الاسمر الداكن الشهير بمادة الفرش الموصلية والتي ساد استخدامها في جميع مساجد الموصل ومبانيها الدينية ، حتى اصبحت من ابرز سمات العمارة الدينية في مدينة الموصل منذ بداية العصر العباسي استمرت قرونا طويلة ، حيث اشتملت العناصر العمارية لمحراب مسجد الست كلثوم على قوس خماسي الفصوص يمثل عقد المحراب البارز عن مستوى سطح المحراب ، يعلوه قوس خماسي الفصوص مناصر للقوس الاول البارز ولكنه نحت هنا بأسلوب غائر هن مستوى سطح المحراب والذي يمثل عقد المحراب الثاني ، وبذلك فان المحراب يحتوي على عقدين مفصصين احدهما بارز والآخر غائر ، وكلا العقدين يستندان على تيجان كاسية اشبه ما تكون بالتيجان الجرسية التي سادت في محاريب مدينة سامراء من القرن (3 هـ 9م)، والتي تماثلها في الشكل والهيئة واسلوب التنفيذ ، كما نجد ان كلا التيجان قد استندت على اعمدة اسطوانية بارزة عن مستوى سطح المحراب ، توزعت بصورة متزنة ومتوازية على جانبي المحراب الايمن والايسر ، كما تنتهي كلا العمودين الجانبيين من الاسفل بتيجان كاسية نفذت بصورة مقلوبة نحو الاسفل وبصورة معكوسة عن اسلوب تنفيذ التيجان العليا، كما احيط المحراب بالكامل من الخارج باطار معماري بارز حوى جميع عناصر المحراب الفنية والزخرفية والخطية ،

العناصر النباتية :

امتازت الزخارف النباتية المنفذة على سطح المحراب والموزعة على كتفي عقد المحراب وكوشي القوس المفصص ، بنماذج مختلفة ومتنوعة من الزخارف النباتية المتشعبة تمثلت بالمرابح النخيلية الثلاثية الفصوص ، وانصاف المرابح النخيلية ، والاوراق الجناحية ، فيما اشتملت زخرفة باطن صدر المحراب بعناصر الاوراق النخيلية ثلاثية الفصوص ممطولة الراس تعلوها باوراق العنب الثلاثية ، والتي تحيط بهما من الجانبين انصاف مرابح نخيلية تمتد مع بعضها من الاسفل والاعلى (50)

(50) مرزوق : الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ، ص 183 ، 272 ، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ،

العناصر الهندسية :

شغلت الزخارف الهندسية على مساحة واسعة من باطن صدر المحراب ، تمثلت بشرائط زخرفي مؤلف من حبيبات المسبحة الدائرية المثقوبة ، حيث شغل الشريط الهندسي على شكل عقد محراب ذو قاعدة مستطيلة وعقد نصف دائري في الأعلى ، يقع بين عقدي المحراب البارز المفصص خماسي الاقواس ، وبين الزخارف النباتية التي تتوسط باطن صدر المحراب ،

الكتابات الخطية:

تطور الخط الكوفي البسيط الذي كان بداياته في مرقد الشيخ قاسم العمري ، فظهر متطورا في محراب الست كلثوم ، من النوع المسطح المحفوظ في المتحف الحضاري في الموصل والمعمول من مادة الرخام المرمر ، استنادا الى عناصره الزخرفية والفنية المشابهة للطراز الزخرفي الاول المعروف بطراز سامراء الاول ، بالإضافة الى تنوع كتاباته الخطية (51) التي هي تقليدا لما كان شائعا من انواع شتى ظهرت بشكلها المتطور على الاحجار والاجر والجص في مختلف العمان العربية والاسلامية

الاساليب الفنية :

تنوعت اساليب تنفيذ عناصر محراب الست كلثوم الفنية والعمارية بين البارز والغانر والمشطوف البسيط ، حيث نحتت عناصر المحراب العمارية بأسلوب الحفر البارز ، تمثلت بتيجان الاعمدة المزدوجة الموزعة على جانبي المحراب ، والاعمدة المزدوجة الرباعية الموزعة على الجهة اليمنى واليسرى ، وكذلك في نحت وتجسيم عقد المحراب المفصص الخماسي الاقواس البارز ، فيما استخدم اسلوب النحت الغائر المشطوف في تنفيذ عناصر المحراب العمارية المتمثلة بعقد المحراب المزدوج الغائر الواقع بين كوشتي المحراب وعقده البارز ، كما استخدم الاسلوب الغائر في تنفيذ العناصر النباتية المنفذة على واجهات التيجان الكاسية المزدوجة العليا والسفلى ، وباطن صدر المحراب الذي شغل بمختلف العناصر الهندسية ، كما امتازت زخرفة تيجان اعمدة محراب الست كلثوم بشيوع زخرفة الأرابيسك ، (انظر شكل رقم 1-5)،

وقد شغلت الزخارف النباتية المحورة بحيث ابتعدت عن طبيعتها لتأدية الأغراض الجمالية ، وقد أطلق عليها المختصون ، بالتوريق ، اذ ان أصل اشتقاقها في الغالب من الكلمة العربية التوريق (52) .

(51) هر تفسلد : حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها ، ص 20 ، 123 ، شحاته ، عزت علي عبد الحميد : النقوش الكتابية بالعمارة الدينية في العصرين المملوكي والعثماني ، العلم والايمان للنشر والتوزيع ، 2008 ، ص 11 ، الباشا ، حسن : الخط الفن العربي الاصيل ، المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم ، الاجتماعية ، القاهرة ، 1968 ، ص 23 ،

(52) مرزوق : الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ، ص 183 ، 272 ، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثيرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ، الجمعة : الزخارف الرخامية ، ص 342 ،

المبحث الثالث:

(محراب مرقد الشيخ عبدال مكتشف في جامع العبدالية) الموقع :

يقع جامع العبدالية في منتصف اسواق الموصل القديمة عند باب السراي الكائن في الجهة الشرقية من مدينة الموصل القديمة،، انشأه الحاج عبدال التاجر بن ملا مصطفى الشافعي الموصل سنة (1082هـ/1669م)⁽⁵³⁾،

على انقاض مسجد قديم يعود بتاريخه الى حدود القرن (3 هـ 9م)، بدلالة المحراب الرخامي المثبت في الجدار الجنوبي من غرفة المرقد عند الجهة الجنوبية لصندوق قبر الحاج عبدال ،الذي توفي سنة (1100هـ/1688م)

بعد اعمار الجامع والمدرسة الدينية الواقعة في فناءه من جهته الشمالية المطلة على أسواق الموصل، وقد تم تجديد عمارة الجامع سنة (1203هـ/1788م)⁽⁵⁴⁾، ولا يزال الجامع محتفظا بكافة عناصره المعمارية الفنية،

تاريخ اكتشاف المحراب :

تم العثور على محراب مرقد الشيخ عبدال، في جامع الشيخ عبدال بن ملا مصطفى الموصل ، من قبل الباحث اثناء عمليات المسح العام والدراسة الميدانية التي جرت اخيرا للبحث عن ابرز المخلفات الاثرية والتراثية الشاخصة في مساجد الموصل وجوامعها المنسوبة الى العصر العثماني ، وتم بعون الله العثور على محراب المرقد الذي نحن بصدده ، والذي يعد بحق من التحف المعمارية والفنية النادرة في مدينة الموصل القديمة ، اذ لم يسبق من قبل دراسته والبحث في مجمل عناصره المعمارية والفنية والخطية واساليب تنفيذها ، والتي سنوردها تباعا،

(53) الديوه جي:جوامع الموصل في مختلف العصور ، ص-152 155 ، العلي بك : المصدر السابق ، ص189، 250، السلطان ، هبة سالم عبد الله محمد : التركيب الداخلي لبعض المحلات السكنية في مدينة الموصل القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل ، 2003، ص75، خارطة رقم (9) .

(54) العلي بك : المصدر السابق ، ص 251 308، الجلي ، داود : مخطوطات الموصل ، بغداد، 1927، ص164، مراد، خليل علي : أوضاع التعليم في الموصل منذ نهاية القرن 19 حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، (مجلة دراسات موصلية – العدد 8 – 2005)، ص4-11، الحمداني : المصدر السابق ، ص415-416 ،

والمحراب مثبت داخل غرفة المرقد الواقعة داخل مصلى الجامع في قسمه الغربي ، وهي تنخفض بنحو مترين عن مستوى مصلى المسجد ، وتتألف من عرفة مربعة الشكل اطوالها ثلاثة امتار ، وتحتوي على صندوق قبر الحاج مصطفى التاجر ، وقد ثبت على يساره المحراب المكتشف من قبل الباحثان ، حيث لم يرد له ذكر في جميع المصادر والمراجع التي تناولت الحديث عن اثار مدينة الموصل وتاريخها ، مما كان علينا الاهتمام به ودراسته وتفريغ عناصره المعمارية والفنية والخطية وريازته المعمارية وتحديد فترة انشائه وتصميمه والتني رجح انها تعود الى حدود القرن (3 هـ 9م)، استنادا الى مقارنة ودراسة عناصره الزخرفية والخطية واساليب تنفيذه ، ثبت في الجدار الغربي من غرفة الضريح الكائنة في الجزء الغربي من مصلى جامع الحاج مصطفى التاجر الموصل ، الحضره بجامع الحاج مصطفى التاجر الموصل :يتبع المحراب في تخطيطه واسلوب عمارته نظام المحاريب المسطحة ، فقد نحتت عناصره المعمارية والفنية كافة على قطعة واحدة من مادة الرخام الاسمر الداكن ،

الوصف العام للمحراب :

يتبع المحراب في تخطيطه واسلوب عمارته على نظام تخطيط المحاريب المسطحة المستوية والمنفذة على هيئة مستطيلة الشكل ومن قطعة واحدة من مادة الرخام الاسمر الداكن الشهير بالفرش الموصل ، يبلغ طول المحراب نحو (130 سنتمتر)، وعرضه نحو (70 سنتمتر) تقريبا، نحتت عليه كافة عناصر المحراب الاسلامي المولفة من قوس مفصص سباعي الفصوص يستند على اعمدة مستقيمة ومنكسرة من الاسفل تمتد لتلتقي مع بعضها وبشكل متناظر من الاسفل ، والملاحظ ان قوس المحراب العلوي ، نحت على شكل عقد مدبب الراس منقوخ من الجانبين ، بينما نحتت الاقواس الجانبية بهيئة انصاف دوائر متناصرة في كلا الطرفين ،

في حين نحتت الاقواس السفلى على هيئة الخطوط الهندسية المستقيمة والمنكسرة نحو الداخل والخارج لتشكل بحركتها الملثوية زوايا حادة ومنفرجة ، تستند على اعمدة المحراب التي سرعان ما تلتقي من الاسفل بصورة افقية ،

والملاحظ ان قوام زخرفة عقد المحراب واقواس السبعة تكونت من امتداد الخطوط الزخرفية باسلوب هندسي شكلت مواضيع متشابكة و متنوعة من الوحدات الزخرفية والعناصر الفنية لعبت الخطوط الهندسية العنصر الرئيس فيها حتى كونت لنا عناصر عمارة متنوعة منها اقواس المحراب سباعي الفصوص واعمدته المتناصرة ،

العناصر المعمارية والفنية :

تنوعت العناصر المعمارية والفنية التي شغل فيها محراب مرقد الشيخ عبدال الى اربعة عناصر عناصر عمارية ونباتية وهندسية وكتابية الزخارف النباتية والهندسية والمعمارية والكتابات الخطية توزعت بالتوازن على كافة سطح المحراب نوردها كما يلي :

العناصر المعمارية :

شغلت المنطقة الواسعة الوسطى المحصورة داخل اقواس عقد المحراب السباعي الفصوص ،المنفذة في صدر المحراب وباطنه والتي قوامها تنوع متناظر للوحدات المعمارية التي شغلت بأسلوب التجريد والتحوير عن الطبيعة ،تمثلت بعقد المحراب واقواسه المفصصة السباعية واعمدته وتيجانه واطاره الخارجي الذي يحف بواجهة المحراب من جميع جهاته .

العناصر النباتية :

شغل سطح المحراب بالعديد من نماذج الزخرفية النباتية المؤلفة من عناصر المراوح النخيلية وانصاف المراوح النخيلية التي بمجموعها تشكل نموذجا متماثلا لما كان سائدا في زخارف طرز سامراء من النوع الثالث المحور عن الطبيعة ذي الاسلوب البسيط حيث تبدأ العناصر بشكل مسطح ثم تنحني خطوطها فتستقر بشكل مائل على ارضية المحاريب في سامراء والقع الاثرية مكونة بدورها ظللا واضحا متناظرا ،

كما ان العناصر الزخرفية النباتية في محراب الحضرة في جامع عبدال تماثل العناصر التي انتشرت في الطراز الثالث من عناصر سامراء والمؤلفة من المراوح النخيلية وانصافها ،وهو بذلك تتجلى فيه زخرفة الأرابيسك ،هي الزخارف النباتية المحورة بحيث ابتعدت عن طبيعتها لتأدية اغراض جمالية ومنها عرف بالتوريق العربي (الارابيسك)⁽⁵⁵⁾

(55) سامح ، الدكتور كمال الدين :المعمارة في صدر الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ، شكل رقم (43) ، مرزوق عبدالعزيز : الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، بغداد 1965م، ص 183 ، معروف ،د. ايمان خزل عباس معروف: طرز زخارف سامراء ،كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل ، ص2، الجمعة : الزخارف الرخامية ،ص342،

العناصر الخطية والكتابية :

لقد شغلت بواطن اقواس عقد المحراب في فصوصه الثلاث العليا ، شغلت بكتابات خطية من النوع الكوفي القديم المروس الذي يعد تطورا للخط الكوفي القديم البسيط والذي يعد بداية لتور الكوفي من البسيط الى المروس منتصف القرن (3 هـ 9م)، بعبارة قرانية (اية 99) سورة الحجر (وعبد ربك حتى ياتيك اليقين) وهي نفس العبارة القرانية المنفذة في باطن القوس العلوي لعقد محراب مسجد المهدي المنقول الى كنيسة مار توما من القرن (3 هـ 9م) (56)

رابعا : اطار المحراب : وقد احيط المحراب بكاملة بشريط زخرفي ممتد يوتر كامل المحراب من جهاته الاربع ، يتالف الشريط العلوي من العناصر النباتية المؤلفة من ورقة العنب الرشقة الثلاثية الفصوص نفذت بأسلوب التتابع وتمتد بصورة متواصل مستمرة ، اما الشريط السفلي فقد اندثر تحت الارض ضمن بناية الحضره ، اما الاشرطة الزخرفية الجانبية فقد شغلت بنفس عنصر ورقة العنب ولكن بأسلوب التدابر المتعاكس، وجميع صفاته تشابه سامراء في كل شيء خاصة أسلوب تنفيذ العناصر المشابه لطراز سامراء الثالث وهو الحفر المشطوف ذي القطاع الراسي البسيط، التخلص من الارضيات العائرة العميقة و اعتماد عناصر العنب والورقة النخيلية الكاملة والانصاف مراوح تخيلية و الورقة الجناحية والكاسية و تحوير بعيدا عن الطبيعة واصبحت العناصر النباتية بأسلوب هندسي محور بحيث لم يكن من القدرة التعرف على الاصل او معرفة بدايتها و نهايتها واصبحت من ابتكار الفنان العربي المسلم وكذلك استخدام مادة الجص والنورة في التطعيم وضع القوالب، وهي تقليدا متوارثا لما كان شائعا من اساليب فنية وزخرفية في العالم العربي والاسلامي منتصف القرن (3 هـ 9م) (57)

(56) الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل، ص21 – 29 ، الجمعة : الزخارف الرخامية، ص342،
(57) حميد، عبد العزيز وآخرون: الفنون الزخرفية العربية الاسلامية، بغداد، 1982م، ص 59،75 ، هرتسفلد: حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها، ص44-11،
بدوي ، عبد الرحمن : موسوعة المستشرقين ، الناشر دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، 1993، ص 22،606، ديماند (م.س) : الفنون الإسلامية ، ترجمة
أحمد محمد موسى ومراجعة وتقديم أحمد فكري ، القاهرة 1958م، ص 93 ، شافعي ، فريد : مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر ، ص 58،

المميزات المعمارية والفنية للمحراب:

امتازت العناصر المعمارية المنفذة على سطح محراب مرقد الشيخ عبدال في جامع العبدالية بتوزيعها بصورة متوازية وبمتناضرة داخل تقسيمات هندسية توّطرها سلاسل من عناصر ما يسمى بالاشكال الدائرية التي تحصر داخلها عنصر ورقة العنب الثلاثية او النخيلية المحورة التي تمتد من اسفلها باغصان رشيقة لتعود ثانية باستمرار المشهد بالتتابع المستمر، التي امتازت بالتحوير الكبير والتجسيم والبساطة ووجود العيون بين أنصالها والثقوب في وسطها ، والاقتضاب الشديد لأرضياتها التي ملئت بالجبس، النورة والتي تماثل ما شاع في محاريب مدينة سامراء (58)

اساليب التنفيذ :

اعتمد النان الموصلي هنا في تنفيذ عناصر الزخرفية والوحدات الفنية لمحراب جامع عبدال بالتميز تماثل الى درجة كبيرة اساليب تنفيذ عناصر العمارة في الطراز الثالث في سامراء تمثلت في تشابك العناصر وتنوعها كالأوراق اللوزية والجناحية والمراوح النخيلية الثلاثية والخطوط المنسكرة التي تحدث بحركاتها الملثوية زوايا حادة وقائمة ، اتباع مبدا التجريد الفني والمعماري ، فمن أهم مميزات الفنية الهيئة التجريدية للعناصر المعمارية والفنية المنفذة على سطح محراب الحضرة في جامع عبدال نتيجة التحوير الشديد عن الطبيعة وتناضرها، وتلاصقها مع بعضها وانعدام البروز للعناصر كافة والاعتماد على تنفيذها بقطاعات محدبة وجوانبها المشطوفة التي أضفت عليها شيئاً من الظلال والتجسيم .

ونفذت الزخارف بواسطة الحفر المائل المشطوف التي ملئت أرضياتها بمادة الجبس الابيض المعروفة بالنورة وهي تماثل الى حد كبير اسلوب تنفيذ العناصر المعمارية للمخلفات الاثرية المكتشفة في مدينة سامراء والمنفذة اغلبها من مادة الجص التي شاعت كثيراً منتصف القرن (3 هـ 9م)، نهاية العصر العباسي الاول في محاريب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية، (59)

(58) الديوه جي ، سعيد : الزخارف الرخامية في الموصل، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص 470 – 488
(59) الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثيرها بزخارف الموصل ، ص 21 – 29 ، الجمعة : الزخارف الرخامية ، ص 342، ص 23، سماح : العمارة في صدر الاسلام ،

المبحث الرابع :

محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب في مسجد الشيخ عثمان : الموقع :

يقع مسجد الشيخ عثمان الخطيب في محلة الشيخ ابي العلا (60)

على الطريق العام الممتد من الشارع النجفي الى السوق الصغير، أنشاه الشيخ يوسف بن عز الدين الخلوتي قبل وفاته سنة (1090هـ/1679م) على أنقاض مسجد قديم يعود بتاريخه الى حدود القرن (3 هـ 9م)، وقد سعى الشيخ عثمان الخطيب (61)

حفيد الشيخ يوسف الخلوتي بتجديد عمارة المسجد وزيادة مساحته سنة (1135-1140 هـ/1722-1727م)، كما أنشأ في فناءه مدرسة دينية لتحفيظ القرآن الكريم واصل الحديث الشريف (62)

ثم جدد عمارته ووسعه الشيخ عثمان بن الشيخ يوسف بن عز الدين الخلوتي الخطيب الموصلية ووسعه واصبح يضم المسجد مصلى كبير وفناء مسقف ومدرسة دينية اتخذ الشيخ عثمان الخطيب له فيها مجلس وعظ وارشاد وتدریس حتى توفي سنة (1196 هـ \ 1772م)،

فخلفه ابنه الشيخ يوسف، والذي سعى الى هدم المسجد وإعادة عمارته من جديد سنة (1236 هـ \ 1820م) واتخذ له فيه تكية عرفت بتكية الشيخ يوسف، ثم خلفه ولده الشيخ يونس بن الشيخ عثمان الخطيب (63)،

(60) محلة الشيخ ابي العلا، نسبة الى الشيخ احمد بن حمزة المعروف بابي العلا، الذي انشاء مسجدا قديما لاداء الصلوات الخمس ويكون دار علم وقرآن، وقد زرد ان الشيخ ابي العلا دفن فيه بعد وفاته، جاء عنه انه امام زاهدا وعالما من علماء الصوفية، غلب اسمه على المحلة فعرفت به، الديوه جي : مدارس الموصل في العهد العثماني ، القسم الثاني، ص 54، الجلي : مخطوطات الموصل ، ص 188 ، سيوفي : المصدر السابق ، ص 60 ، 175-174 ،

(61) الشيخ عثمان بن الشيخ يوسف بن عز الدين الخلوتي القادري الخطيب الموصلية، من علماء الموصل وصلحاتها وادبائها وشعراتها ، درس على يد الشيخ خير الله محمود العمري الموصلية سنة (1089-1147 هـ/1678-1734 م)، وترجم عنه بانه عثمان الخطيب الموصلية الشيخ الصوفي الزاهد العالم الرباني الأوحد الشاعر البارح لم يسمع له في عصره بمناظر له في الفضل والبلاغة حج في سنة سبع وأربعين ومائة وألف مع الشيخ عبد الله المدرس واجتمع بالأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي وكتب ديوانه وترجمه صاحب الروض، ذكر الشيخ عثمان بانه (فارس ميدان ورهان الأذهان العابت بأنواع المعاني والبيان ديمة الفضل والحكم لسان السيف والقلم نتجة الأعصار وشهاب جميع الأمصار سراج الزوايا ونفائس الخبايا الزند القادح والنسيم الطيب البارح صاحب الأنفاس القدسية والملكات الأنسية فاتح أبواب اللاهوت معمر آثار ربع الناسوت جمع الجمع ونفس البصر والسمع)، وكان شاعر من شعراء الموصل، ومن أبلغ شعراء عصره. تزهّد وتصوف وحج ، وله ديوان شعر عرف (بديوان الموصلية) مخطوط في خزانة الأوقاف ببغداد ، وشعره ما يزيد على الخمسين موشحا أشهرها الموشح المسمى (سلسلة الرست) ومطلعه «صلوا على طه الحبيب الرحمن»، العمري : منهل الأولياء ، ص 102، 176، الخياط : ترجمة الأولياء ، ص 101،

(62) الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج 2، ص 208، 209، العلي بك : المصدر السابق ، ص 107، 108، العمري : منية الادباء ، ص 176 ، سجل الحجج والوقفيات لسنة 1313 هـ ، ص 202.

(63) مراد : المصدر السابق ، ص 8-2 ، الطائي : مرفولوجيا الحواضر العربية في العهد العثماني ، ص 233 ، العمري : منهل الأولياء ، ص 102، 176، الجلي : مخطوطات الموصل ، 188 ، سيوفي : المصدر السابق ، ص 60 ،

الوصف العام للمحراب :

يتبع المحراب في تخطيطه واسلوب عمارته نظام المحاريب المسطحة المستوية ذات الشكل المستطيل بهيئته وتصميمه ، والمصنوع من قطعة واحدة بوضعية افقية من مادة الحجارة الكلسية المعروفة بالرخام الموصل (الفرش)، يبلغ طول المحراب نحو (80 سنتيمتر)، وعرضه نحو (40 سنتيمتر) تقريبا . يتكون المحراب من قطعة واحدة ، نحت على سطحه الخارجي معالم المحراب الاسلامي الذي يتألف من عقد اسلامي مدبب الراس ثلاثي الاقواس يستند على اعمدة جانبية متناظرة ومتشابهة في الجانبين ، بارزة عن سطح المحراب ، وهي بذلك تماثل اعمدة المحاريب الاسلامية التي سادت منتصف القرن (3 هـ 9م)،

نهاية العصر العباسي الاول ، كما اشتمل عقد المحراب على اقواس ثلاثية مفصصة، نحت الفص العلوي بهيئة راس مدبب، بينما نحتت الفصوص الجانبية على هيئة الفصوص النصف دائرية الشكل ، وقد شغلت كوشتي عقد المحراب بين كتفي القوس المفصص العلوي المدبب الراس ، بزخارف نباتية متشابحة ومتنوعة مؤلفة من عناصر المراوح النخيلية خماسية الفصوص تمتزج مع حركة الاغصان النباتية الملففة على نفسها والتي تشابه الى حد كبير المراوح النخيلية المنفذة على كتفي كوشة عقد محراب مسجد المهدي المنقول الى كنيسة مار توما من الفترة ذاتها وكذلك المراوح النخيلية المنفذة على كتفي عوشة عقد محراب الرواق في جامع العميرية و محراب الست كلثوم ، وتحيط بها امتداد حركة الاغصان الافعوانية الملثوية الصماء التي تماثل الى حد كبير كوشتي عقد محراب مسجد الست كلثوم ومحاريب مساجد سامراء ، وقد احيط المحراب بكامله من الخارج باطار زخرفي مستطيل الشكل و بوضعية افقية راسية ،

قوام عناصرها يتألف من امتداد الخطوط الهندسية المنكسرة على نفسها نفذت باسلوب زخرفي وبطريقة التتابع والتناوب التي تمتد بصورة مستمرة حول محيط المحراب من الخارج لتشكل اطاره الخارجي ،

نفذت باسلوب الحفر المائل المشطوف البسيط ، والذي يماثل الى حد كبير اسلوب تخطيط وعمارة الاقواس المفصصة لعقد محراب مرقد الشيخ قاسم العمري⁽⁶⁴⁾، ومحاريب مساجد سامراء ، وزخارفها من الطراز الاول ، وجميعها من القرن (3 هـ 9م)⁽⁶⁵⁾

(64) دنون : الخط العربي في الموصل ، ص 222 - 234 ،

(65) شافعي : مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر ، ص 58 ، الجمعة : الزخارف الرخامية ، ص 342

العناصر المعمارية والفنية للمحراب:

ان ابرز العناصر المعمارية والفنية المنفذة على سطح محراب مسجد الشيخ عثمان الخطيب تكمن في ثلاث وحدات زخرفية تتضمن مايلي:

العناصر العمارية:

- 1 - وقد اشتملت العناصر العمارية التي نفذت على سطح محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب على بروز الاعمدة الاسطوانية المنفردة البارزة عن مستوى ارضية المحراب،
- 2 - تنفيذ عقد المحراب الثلاثي الاقواس والمفصصة التي تتوج الاعمدة الجانبية للمحراب ،
- 3 - تتويج الاعمدة بتيجان كاسية او جرسية شبيهة الى حد كبير تيجان الاعمدة الكاسية المنفذة على محاريب مساجد سامراء⁽⁶⁶⁾،

العناصر النباتية:

- 1 - المراوح النخيلية الثلاثية الفصوص ،
- 2 - انصاف المراوح النخيلية ،
- 3 - حركة وامتداد الاغصان والفروع النباتية الرشيقة الملتوية على نفسها،

العناصر الهندسية:

- 1 - وتتمثل بالاطار الهندسي البارز عن مستوى سطح المحراب الغائر والمنفذ بأسلوب التتابع المستمر والممتد حول محيط المحراب من جميع جهات لتشكل الاطار الخارجي للمحراب الذي حوى جميع العناصر الزخرفية والفنية والخطية ، وهو تقليد متوارث عن الاطر الهندسية المنفذة على المخلفات الاثرية الحجرية والجصية التي عثر عليها في مدينة سامراء من القرن مطلع القرن (3 هـ 9م)⁽⁶⁷⁾،

(66) الجمعية : طرز سامراء الزخرفية وتأثرها بزخارف الموصل ، ص 21 - 29 ، الديوه جي : الزخارف الرخامية في الموصل ، ص 470 - 488

(67) هرتسفلد : تنقيبات سامراء ، حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها ، ص 20 - 123 ،

العناصر الخطية والكتابية :

اشتملت العناصر الخطية المنفذة على سطح محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب على عبارة التوحيد، الشهادتين (لا اله الا الله محمد رسول الله) ، حيث شغلت المنطقة المحصورة بين اعمدة المحراب المتناضرة واقواسه المفصصة ، بكتابات خطية تضمنت عبارة التوحيد والمنفذة بالخط الكوفي المروس المتطور، والذي يمثل البدايات الاولى لظهور حركة تطوير الخط العربي واستخداماته على الاحجار والعمائر ، وانتقاله من الكوفي البسيط القديم الذي كان شائعا خلال القرنين (1 - 2 هـ 7 - 8 م) الى الكوفي المروس الذي شاع في القرن (3 هـ 9 م)، والذي يماثل الى حد كبير الكتابات الخطية المنفذة على محراب مشهد الست كلثوم، ومحراب مرقد الشيخ قاسم العمري، منتصف القرن (3 هـ 9 م) (68)،

اسلوب التنفيذ:

اعتمد الفنان الموصللي على نوعين من الاساليب الفنية في تنفيذ عناصره المعمارية والفنية والخطية لاشغال نقوشه الزخرفية المنفذة على سطح محراب مسج الشيخ عثمان الخطيب نوردها وكما يلي : **الاسلوب الاول :** هو اعتماد الفنان في اسلوب تنفيذ عناصر المحراب المعمارية والفنية والزخرفية بالاعتماد على اسلوب الحفر المائل المشطوف والذي يماثل اسلوب تنفيذ نقوش وزخارف محاريب مساجد سامراء، ومحراب الرواق في جامع العمرية ومحراب مسجد الست كلثوم ومحراب مسجد المهدي المنقول لكنيسة مارتوما، وجميعها من القرن (3 هـ 9 م)،

الاسلوب الثاني : اعتماد الفنان الموصللي على اسلوب الحفر الغائر عن مستوى سطح المحراب المسطح وذلك في تنفيذ النقوش الخطية التي شغلت بها باطن المحراب والمولفة من عبارة التوحيد لفة (لا اله الى الله محمد رسول الله)

المميزات المعمارية والفنية لعناصر المحراب :

اولا : تضاول الارضيات بين العناصر وتحولها الى ما يشبه القنوات المنحنية والحلزونية باسلوب هندسي متقن وقصر العروق التي تصلها وضاهرة الحروز التي توتر بعض العناصر الزخرفية في سامراء وفي كوشة عقد محراب مسجد الست كلثوم والمهدي في مار توما ،

ثانيا : ظاهرة تقسيم السطوح الى مناطق هندسية تشغلها العناصر الزخرفية مثل عبدال بالبطن وعثمان الخطيب بالكوشات

(68) الجبوري، الدكتور يحيى وهيب : الخط والكتابة في الحضارة العربية ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1994 ، ص 114 - 122 ، 201 - 251 ، 272 ، 273 ،
اليقوي : تاريخ اليقوي ، ج 2 ، ص 430 - 435 ، اليقوي : كتاب البلدان ، طبعة لندن ، 1892 ، ص 264 ، ، دنون : الواسطي موصليا ، ص 3 - 13 ، الجمعة : الزخارف
الرخامية ، ص 342 - 344 ،

ثالثا : الاطار الهندسي الذي يؤثر جميع عناصر المحراب والممتد راسيا حول محيط المحراب والمؤلف من عناصر الخطوط الهندسية المنكسرة والتي تعد نسخة طبق الاصل الاطر الخارجية المحيطة بنقوش وزخارف محاريب مدينة سامراء وخطوطها المنكسرة (69)

رابعا : ظاهرة العيون بين انصاف العناصر والاوراق والقيعان المجوفة في اسفل بعضها التي تشابه سامراء جدا ، في باطن وكوشة محراب الست كلثوم ومحراب الجويجاتي من قرن (3 هـ 9م)، وكوشة عقد محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ، ومحراب مرقد الشيخ عبدال ومحراب مرقد الشيخ قاسم العمري ، سألقة الذكر .

خامسا : انتشار وتنفيذ عنصر الورقة الجناحية (انصاف المراوح النخيلية البالمنت- الجمعة يسميها الورقة الجناحية) ذات القطاع المجوف التي ظهرت في محاريب مساجد سامراء ، مما يوحي بالتقليد المتوارث فيما بينهما (70) ،

سادسا : تنوع الوحدة الموضوعية وتعدد مشاهدتها المنفذة على سطح محراب مسجد الشيخ عثمان الخطيب وامتزاجها بين العناصر المعمارية والعناصر الزخرفية النباتية والهندسية الى جانب تنفيذ عناصر الكتابات الخطية المتمثلة بلفظة الشهادتين .

الخاتمة والاستنتاجات :

تتبعنا عبر صفحات بحثنا الموسوم ((مكتشفات اثرية من القرن الثالث الهجري في مدينة الموصل القديمة)) اقدم المحاريب الاسلامية المكتشفة في مدينة الموصل قاطبة والتي ترقى بزمنها الى حدود القرنين (3 هـ 9) لاتزال شاخصة ومحتفظة بكافة عناصرها المعمارية والفنية الى يومنا هذا، تمثلت بمحراب مرقد الشيخ قاسم العمري ومحراب مشهد الست كلثوم ومحراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ومحراب مرقد الشيخ عبدال ومحراب مرقد الشيخ احسان البكري ، وقد تم اكتشافها في مباني دينية منسوبة للعصر العثماني نتيجة للتجديدات المعمارية والفنية المستمرة التي اجريت على جميع تلك المباني التي ورد ذكرها فيما سبق ، ومن خلال الدراسة التي تمت على مجمل محاريب مراقده علماء ومشايخ الموصل فقد خرجنا بعدة نتائج تم استخلاصها مما سبق ، اذ امتازت جميع تلك المحاريب بمميزات معمارية وفنية متشابهة ومتماثلة في اغلب عناصرها ضمن اساليب فنية حرفية متنوعة ، عدها الباحثون والمتخصصون في مجالات العمارة والفن الاسلامي على انها من نواذر القطع الاثرية التي تم الكشف حتى الان ومن ابرز الاستنتاجات التي يمكن ان نخرج بها حول مجمل المحاريب المسطحة والمكتشفة في مدينة الموصل هي:

(69) الديوه جي : الزخارف الرخامية في الموصل ، ص 470 – 488
(70) هرتسفلد: حلية جدران المباني في سامراء وفن زخرفتها، ص 44-11، الجمعة : طرز سامراء الزخرفية وتأثيرها بزخارف الموصل ، ص 21 – 29 ، الجمعة : الزخارف الرخامية ، ص 342 ، النقيب : المحاريب العراقية ، ص 263 – 283 ، علام، نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، القاهرة ، 1974م، ص 47؛

- 1 - ان مجمل المحاريب التي تم التطرق الى ذكرها عبر صفحات البحث والدراسة هذه ، من محاريب العصر العباسي، وبالتحديد القرن (3 هـ 9 م)، والتي تعد بحق من الاكتشافات الحديثة التي لم يرد ذكرها او دراستها قبل اعداد هذه الدراسة ، وعلى وجه الخصوص (محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ومحراب مرقد الشيخ عبدال) ،
الذان اكتشفا ولاول مرة من قبل الباحث بمشاركة الاستاذ محمد مؤيد اثناء البحث والدراسة ، فيما تمكن الاستاذ يوسف ذنون من اكتشاف محرابي (مرقد الست كلثوم)، اثناء قيامه بالمسح الاثري الميداني في مدينة الموصل القديمة سنة (1970) ،
بينما استطاع المستشرق الالماني هرتسفلد من اكتشاف ودراسة محراب مرقد الشيخ قاسم العمري اثناء عمليات البحث والتنقيب التي كان يجريها في مدينة الموصل بين سنة (1903-1906) ودون معلوماته الاثرية في كتابه الذي نشره في طبعته الاولى سنة (1911) <
- 2 - لقد تم الكشف عن جميع هذه المحاريب في محلات الموصل القديمة، وضمن المباني الاثرية التي ترقى بتاريخها الى بدايات العصر العباسي الاول، حيث شيد على انقاضها مساجد فخمة خلال العصر العثماني، اتخذت مراقدا لعلماء الموصل ومشايخها ، في حدود (القرنين العاشر والثاني عشر للهجرة، السادس عشر والثامن عشر للميلاد) .
- 3 - جميع هذه المحاريب لا تزال شاخصة في مواقعها القديمة التي تم الكشف عنها فيها ،وهي محتفظة بكافة عناصرها العمارية والفنية ونقوشها الخطية وعباراتها الدعائية والتذكارية والجنائزية باستثناء محراب مشهد الست كلثوم حيث نقل الى متحف التراث الحضاري في الموصل وقد تعرض اخيرا للخراب .
- 4 - اتبع في اسلوب عمارتها وتخطيطها نظام المحاريب المسطحة التي سادت في عموم العالم الاسلامي على مدى القرون الخمسة الاولى من العصر الاسلامي، صنعت من قطعة واحدة من مادة الفرش الشهير بالرخام الموصل (المرمر) والذي اشتهرت به مدينة الموصل على مجمل العمارات الاسلامية المختلفة، والتي سبقت استخدام وصناعة المحاريب المجوفة في مساجد الموصل ومبانيها الدينية.

5 - استخدام اساليب متنوعة في تنفيذ عناصر محاريب مراقد علماء الموصل تشابه وتمائل اساليب تنفيذ محاريب وطرز مدينة سامراء من القرن (3 هـ 9م)، تمثلت معظمها بأسلوب الحفر البارز ذي الارضية الغائرة والمتمثلة في محراب مرقد الست كلثوم ومحراب مرقد الشيخ حسان البكري، في حين استخدم أسلوب الحفر البسيط ذي القطاع المائل المشطوف في تنفيذ محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ومحراب مرقد الشيخ قاسم العمري ، فيما اتبع الفنان الموصلي أسلوب الحفر والتكفيت بمادة الجبس الابيض في محراب مرقد الشيخ ابدال.

6 - استخدام مادة الرخام الموصلية الشهير بالفرش او المرمر ، والذي يعد بحق من اصعب المواد المنشعولة والمنفذة عليها العناصر المعمارية والفنية والكتابات والنقوش الخطية ، والتي صنعت منها جميع محاريب مراقد علماء الموصل ومشايخها مما يدل على دقة وعبقرية الفنان الموصلية اذا ما قورنت بالمخلفات الاثرية المتعددة والمتنوعة من الفترة ذاتها والمشغولة في محاريب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية المصنوعة والمشغولة من مواد جصية وخشبية سهلة التنفيذ والاشغال .

7 - احاطة معظم جوانب المحاريب وبواطنها بأطر معمارية مستطيلة الشكل شغلت بوحدات زخرفية من عناصر معمارية وهندسية تتألف من خطوط مستقيمة ومنكسرة ظهرت وكأنها نسخة طبق الاصل عن الاطر الهندسية المحيطة بمحاريب سامراء وجدرانها الداخلية .

8 - ،ظاهرة تقسيم السطوح الى مناطق هندسية تشغلها العناصر الزخرفية النباتية والمعمارية التي تمثلت في صدر محراب مرقد الشيخ ابدال والاطر الهندسية المحيطة بمحراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ومحراب مرقد الشيخ حسان البكري وكوشتيه .

9 - تنفيذ العناصر المعمارية المتمثلة بالتيجان والقواعد الكاسية الشهيرة (بالجرسية او النافوسية) والتي نفذت بشكل واضح ومتشابه في جميع بواطن المحاريب الشاخصة في مراقد علماء الموصل وبالتحديد في كل من مرقد الشيخ عثمان الخطيب والشيخ قاسم العمري الست كلثوم والشيخ حسان البكري ، والتي كانت جزء متمائلا ومتطابقا لما كان شائعا من العناصر المعمارية المنفذة في محاريب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية من القرن (3 هـ 9م)،.

10 - شيوع ظاهرة العيون بين انصاف العناصر والاوراق والقيعان المجوفة في اسفل بعضها وهي من ابرز مزايا النقوش المعمارية والفنية في مدينة سامراء ، والتي وجدت متمثلة في كوشتي عقد محاريب كلا من مرقد الست كلثوم وعثمان الخطيب وابدال والعمرية .

11 - تنفيذ عنصر الورقة الجناحية وانصاف المراوح النخيلية البالمنت- ذات القطاع المجوف التي انتشرت بشكل واسع في محاريب مدينة سامراء ، والتي وجدت بانواع شتى في وبواطن محاريب كل من مرقد الشيخ ابدال والست كلثوم ، ومحارب مرقد الشيخ حسان البكري سابعا : انتشار عنصر ورقة العنب الثلاثية الفصوص في محاريب وطرز مدينة سامراء والتي وجدت على جميع محاريب مراقد علماء ومشايخ الموصل والتي تمثلت في كوشتات العقود وبواطنها وبشكل واضح في محارب مرقد الشيخ عثمان الخطيب والشيخ ابدال والشيخ حسان البكري والشيخ قاسم العمري والست كلثوم .

12 - شيوع ظاهرة تنفيذ الاعمدة المزدوجة والمتناضرة في محاريب مدينة سامراء من القرن (3 هـ 9م)، والمتمثلة في جميع محاريب مراقد علماء الموصل وبشكل واضح في محارب مرقد الست كلثوم والشيخ قاسم العمري والشيخ عثمان الخطيب والشيخ ابدال ، والتي نفذت جميعها بأسلوب هندسي متناظر ومزدوج في كلا الجانبين .

13 - تنفيذ عنصر الورقة اللوزية في كوشة عقد محارب مرقد الشيخ عثمان الخطيب ومحارب مرقد الشيخ ابدال، والتي هي تقليدا متوارثا للعنصر النباتي المنفذ على محاريب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية .

14 - تنفيذ الورقة النخيلية وانصاف المراوح النخيلية ، المتمثلة في باطن صدر محارب مرقد الشيخ ابدال وكوشتي عقد محارب مرقد الشيخ الخطيب عثمان الخطيب والتي تعد تقليدا لما شاع من زخارف ونقوش في مدينة سامراء .

15 - شيوع عنصر الطوق الهندسي الذي يتكون من انكسار الخط عدة مرات بالتتابع والمستمر وبوضعية مختلفة الأفقية والمائلة مكونا زوايا حادة ومنفرجة في كل من محارب مرقد الشيخ عثمان الخطيب، وذو زوايا حادة وقائمة في محارب مرقد الشيخ ابدال، والتي تماثل عناصر الطوق الهندسي المعماري المنفذ على محاريب مدينة سامراء من القرن (3 هـ 9م).

16 - شيوع عناصر نباتية مؤلفة من اوراق ثلاثية الانصال في محاريب كل من الست كلثوم وكوشة عقد محراب مرقد الشيخ عثمان الخطيب تماثل الاوراق الثلاثية الانصال المنتشرة في محاريب سامراء ومخلفاتها الاثرية .

17 - وضع العناصر المعمارية والفنية والكتابات الخطية داخل تقسيمات هندسية تؤطرها سلاسل من عناصر ما يسمى بحبات اللؤلؤ أو المسبحة ، والتي امتازت بالتحوير والتجريد والبعد عن الطبيعة والتجسيم ، ووجود العيون بين أنصالها والثقوب في وسطها ، والاقتضاب الشديد لأرضياتها وتحولها إلى ما يشبه الأخاديد الضيقة الحلزونية، ظهرت في المحاريب كافة.

18 -،تضاؤل الارضيات بين العناصر وتحولها الى ما يشبه القنوات المنحنية والحلزونية باسلوب هندسي متقن وقصر العروق التي تصلها و ضاهرة الحزوز التي تؤطر بعض العناصر الزخرفية في كوشة عقد محراب مسجد الست كلثوم والتي تماثل الى درجة كبيرة المميزات الفنية لمحراب مسجد المهدي المنقول الى كنيسة مار توما ،ومحاريب مدينة سامراء ومخلفاتها الاثرية الحجرية او الجصية او الخشبية. .

كشف تجاوزات داعش على المواقع الأثرية باستخدام صور الطائرات المسييرة ونظم المعلومات الجغرافية

د. علاء نبيل حمدون
مدير مركز التحسس النائي
جامعة الموصل

د. عبدالرحمن رمزي قبيع
مسؤول وحدة الطائرات المسييرة
مركز التحسس النائي/جامعة الموصل

(ملخص)

خلال فترة حكم داعش التي امتدت لأكثر من ثلاث سنوات، تعرض 360 موقعا من المواقع الدينية والأثرية للتدمير أو للسرقه والنهب من أصل (1600) موقع غير مستظهر، وتم نهب ما فيها، فضلا عن سرقة نحو (1000) قطعة كانت موجودة في متحف الموصل الحضاري، وتدمير ما لم يكن قابلا للنقل منها. تم في هذا البحث ولأول مرة في محافظة نينوى استخدام طائرة مسيرة لتوثيق الدمار ودراسة التجاوزات التي عانت منها بعض المدن والمواقع الأثرية ذات العمق التاريخي في محافظة نينوى مثل تجاوزات داعش وما رافقها من تجريف وتدمير للمواقع الأثرية وحفر الأنفاق فيها. حيث تم استخدام الطائرة المسييرة لمسح موقع نينوى الاثري وهو موقع مشهور جدا يقع في قلب مدينة الموصل شمال العراق. كان هذا الموقع أكبر عاصمة للإمبراطورية الآشورية قبل 3000 عام. يحتوي الموقع على سور خارجي يضم العديد من البوابات التي تم تدمير أغلبها عند احتلال داعش للمدينة في عام 2014. وتم استخدام بيانات وصور الطائرات المسييرة وتقنيات نظم المعلومات الجغرافية بالإضافة الى استخدام التفسيرات المرئية والرقمية لصور الأقمار الاصطناعية وموديلات السطح الرقمية (DSM) لتحليل ودراسة البيانات. حيث تم اكتشاف حفريات حديثة في اجزاء من المنطقة الاثرية اضافة الى انفاق صغيرة حديثة اخترقت الجدار الاثري بالإضافة الى استحداث قناة تصريف وطريق سريع للسيارات قد اخترقوا الارض الاثرية ايضا شيّدوا حديثا واثناء احتلال داعش للمدينة. أكدت الدراسة على أهمية توجيه مديريات الآثار المحلية لاستخدام تقنية الطائرات بدون طيار لتقييم الضرر الاثري وتجنب التجاوز والسرقه والنهب لهذه المواقع.



Exposing ISIS abuses on archaeological sites using UAVs/ Drone images and GIS

(Abstract)

During the period of ISIS rule, which extended for more than three years, More than 360 religious and archaeological sites were destroyed or robbed of 1,600 undiscovered sites, and their contents were looted, in addition to the theft of about (1,000) pieces that were in the Mosul Civilization Museum, and destroy what is not removable from them. In this research, for the first time in Nineveh Governorate, a drone was used to document the destruction and study the abuses suffered by some cities and archaeological sites of historical depth in the Nineveh Governorate, such as ISIS abuses and the accompanying bulldozing and destruction of archaeological sites and digging tunnels. The drone was used to survey the archaeological site of Nineveh, a very famous site located in the heart of the city of Mosul in northern Iraq. Where this site was the largest capital of the Assyrian Empire 3000 years ago. The site contains an external wall that includes many gates, most of which were destroyed when ISIS occupied the city in 2014. Data and drone images and GIS techniques were used, in addition to using visual and digital interpretations of satellite images and digital surface models (DSM) to analyze and study the data. Where recent excavations were discovered in parts of the archaeological area, in addition to small modern tunnels that penetrated the archaeological wall, in addition to the creation of a drainage channel and a highway for cars. The study emphasized the importance of directing the local antiquities authorities to ensure the use of drone technology to assess archaeological damage and to avoid theft and looting of these sites

(1.7)

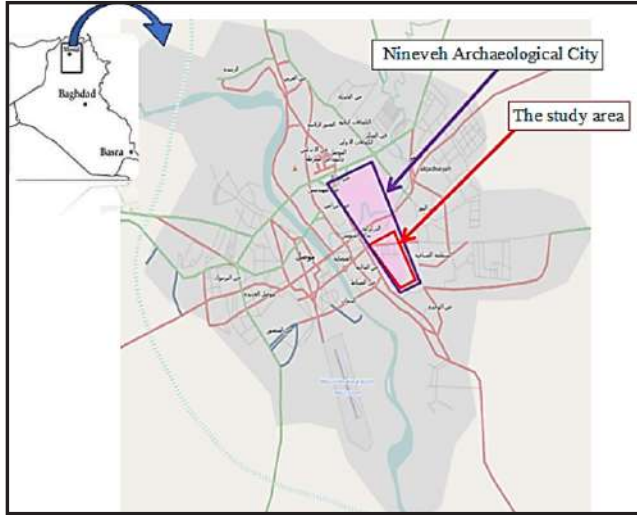
يحتوي العراق على العديد من الأماكن ذات المواقع الأثرية المتنوعة والتكوينات الجيولوجية المختلفة. ومع ذلك ، فإن السمات الأثرية التي لا تزال مدفونة تتأثر بتأثيرات الزراعة التي تعقد تفسير ما تحت السطح [13]. خلال فترة حكم داعش التي امتدت لأكثر من ثلاث سنوات، تعرض 360 موقعاً من المواقع الدينية والأثرية للتدمير أو للسرقة والنهب من أصل (1600) موقع غير مستظهر، وتم نهب ما فيها، فضلاً عن سرقة نحو (1000) قطعة كانت موجودة في متحف الموصل الحضاري، وتدمير ما لم يكن قابلاً للنقل منها. كانت منطقة نينوى الأثرية من أقدم وأكبر المدن في العصور القديمة وكانت تعتبر عاصمة الإمبراطورية الآشورية القديمة قبل 3000 عام. بدأ التنقيب في منطقة نينوى الأثرية القديمة عام 1820م من قبل البعثات الأجنبية واستمر بشكل متقطع سواء من البعثات الأجنبية أو الجهود الوطنية. بدأت بعثة جامعة الموصل - كلية الآثار بالتنقيب والحفر في الموقع الشمالي للمنطقة وتحديداً في 24/10/2011. استمرت الحفريات لمدة ثلاثة مواسم حتى عام 2013 مما أدى إلى اكتشافات أثرية جديدة [14]. كل هذه البعثات كانت قد استخدمت طرقاً تقليدية وليس تقنيات حديثة مثل الطائرات بدون طيار لإجراء المسوحات الأثرية واقتصرت على دراسة البوابات والجدران المحيطة بالمدينة أو بعض القصور والمباني التي لا تزال آثارها ظاهرة على سطح الأرض [15] [16].

الهدف الرئيسي من هذا البحث هو التحقيق والتوثيق للانتهاكات والتغيرات التي أحدثها داعش في المواقع والمعالم الأثرية في منطقة نينوى الأثرية القديمة باستخدام تقنيات الطائرات بدون طيار. حيث تم استخدام بيانات طائرة بدون طيار حديثة من طراز DJI Phantom 4Pro واستخدام البرنامج الخاص PIX4Dmapper المتقدم. بالمقارنة مع طرق البحث الأخرى التقليدية، قللت الطائرات بدون طيار من تكاليف التشغيل وخطر الوصول إلى البيانات القاسية، مع الحفاظ على قدرات عالية الدقة.

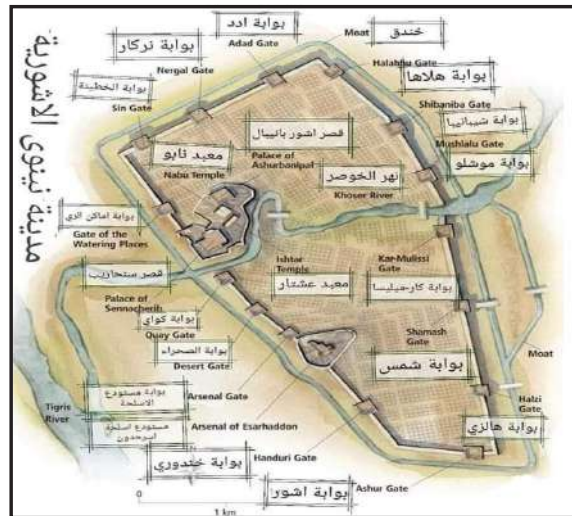
1 - منطقة الدراسة

تم اختيار الجزء الجنوبي من الموقع الأثري لنينوى القديمة كدراسة حالة، وتقع في مدينة الموصل عند (36° 20' 10" - 36° 20' 40") شمال و (43° 10' 00" - 43° 10' 43") شرقاً، وتقع أيضاً في الجانب الشرقي من نهر دجلة كما هو موضح في (الشكل 1). تم اختيار هذه المنطقة لأهميتها التاريخية حيث كانت تعتبر عاصمة الإمبراطورية الآشورية القديمة قبل 3000 عام [16]. وقد تم تأسيسها خلال فترة الملك سنحاريب الذي جعلها خطاً دفاعياً لحماية الإمبراطورية من الهجمات العسكرية الأجنبية. كما تضمنت أدلة أثرية على وجود أسلحة في عدة معسكرات ومخازن [17]. بوابة حلزي هي

البوابة الجنوبية في الجدار الشرقي ، ويبلغ طولها خمسة كيلومترات. وذكر الباحثون أن هذه البوابة الواقعة في أقصى الجنوب كانت من أهم البوابات من بين خمسة عشر بوابة أخرى تعرضت لهجمات عديدة [18]. على الرغم من الأهمية التاريخية والأثرية للمنطقة ، فقد لوحظ في السنوات الأخيرة حدوث المزيد من الانتهاكات، مثل بناء المناطق السكنية والمستودعات الحجرية هذا بالإضافة الى الانتهاكات والحفريات وسرقة الاثار التي قامت بها قوات داعش اثناء احتلالها للمدينة.



(أ)



(ب)



(ج)

الشكل (1): منطقة الدراسة (أ) مدينة نينوى الأثرية وموقعها في وسط مدينة الموصل. (ب) اسماء البوابات. (ج) صورة قمر صناعي للمنطقة قبل دخول داعش.

2 - نوع الطائرة المسيرة المستخدمة

تم استخدام الطائرة بدون طيار من نوع DJI Phantom 4Pro لإجراء المسح الجوي في جميع أنحاء المنطقة، حيث تم استخدام الطائرة بدون طيار من نوع DJI Phantom 4Pro. تم القيام برحلة جوية بطائرة بدون طيار في شهر اذار 2020 بعد الحصول على الموافقات الرسمية وبالتعاون مع مديرية الآثار والتراث في نينوى التي تمتلك هذه الطائرة (الشكل 3). تحتوي هذه الطائرة الحديثة على قدرات الطيار الآلي ونقاط التموضع الأرضية GPS التي سيتم استخدامها في عملية رسم الخرائط الفسيفسائية [19].

باستخدام البرنامج المتخصص الجديد PIX4Dmapper، تم تحميل صور الطائرات بدون طيار لمنطقة الدراسة وتحليلها. يتضمن PIX4Dmapper إمكانيات استخدام الإحداثيات الجغرافية ووظيفة الفسيفساء المتداخلة المحددة للمنطقة التي يتم مسحها. يتضمن البرنامج أيضاً إمكانية استخدام المعادلات الرياضية للحصول على المزيد من القياسات التقنية من الصور [20-21]. كما تم استخدام برنامج نظام المعلومات الجغرافية (ArcGIS) لمعالجة صور الأقمار الصناعية لمنطقة الدراسة.



الشكل (2): الطائرة المسيرة المستخدمة.

3 - النتائج والمناقشة

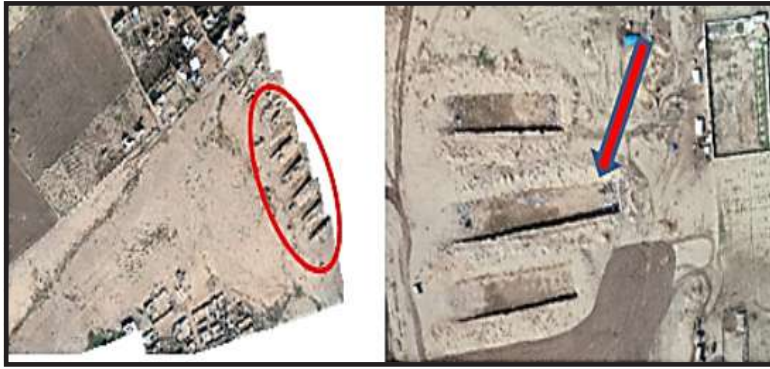
تمت دراسة المنطقة بمساعدة صور عالية الدقة للطائرة بدون طيار. مكنت تلك الصور من رسم الحدود الخارجية للمنطقة الأثرية. تحتوي المنطقة على سور أرضي مرتفع يحيط بمنطقة إستراتيجية مهمة من المحمية الآشورية. بعد مسح دقيق وبإمكانية المسح ثلاثي الابعاد الموجودة في برنامج PIX4Dmapper، وجد أن داعش قام بحفر ثلاثة أنفاق تخترق السور من الجانب الشرقي، كما هو موضح في (الشكل 8). الانفاق محفورة حديثاً وبواقع مدخل ومخرج لكل نفق ومن الجهة العلوية للتل الاثري تم تمييزها لان دقة صور الطائرة المسيرة هي 5 سم، وهذه الانفاق من الصعب جدا تمييزها او ملاحظتها في صور الاقمار الصناعية او حتى من النظر الافقي الارضي في المنطقة. وقد استخدم داعش اسلوب حفر الانفاق داخل مدينة الموصل وخارجها كاسلوب دفاعي لهذا يتوقع حفر هذه الأنفاق في المدينة الاثرية بين عامي 2014 و 2017 ويمكن أن تكون مخابئ أسلحة او مخابئ للمقاتلين أو روابط لأنفاق أخرى تحت الأرض تؤدي إلى قصور وغرف تاريخية مهمة كما من الممكن ان داعش استخرج منها كنوز اثرية قيمة.



الشكل (8): الانفاق المحفورة حديثاً، نظرة مقربة من صور الطائرة المسيرة بدقة تمييز 5 سم والتي من الصعب تمييزها في صور الاقمار الصناعية او حتى من النظر الافقي الارضي.

الامر الثاني الواضح من صور المسيرة ان داعش قام بالنش والتجريف في اماكن من المنطقة الاثرية باستخدام الجرافات (الشفل) بحثا عن اثار او اي شيء ذو قيمة مادية. حيث لوحظ انه قام بالحفر في منطقتين احدها في السياج المحيط بالمنطقة الاثرية والحفر الثاني في وسط منطقة قريبة من السور الاثري وكما موضح في الشكل رقم (9).

الامر الثالث الذي تم ملاحظته بوضوح من صور الطائرة المسيرة هو وجود قناة مياه صرف حديثة في المنطقة لم تكن موجودة سابقا ولضيقتها وصغرها ايضا من الصعوبة تمييزها عن طريق صور الاقمار الصناعية لانها تختلط مع تضاريس المنطقة. لذلك فإن دقة الطائرة بدون طيار وقدرات النموذج ثلاثي الأبعاد للبرنامج المستخدم أوضحت الإنشاء الجديد بشكل أكثر دقة. وهذه القناة المستحدثة ستحدث تغيير سلبي على المنطقة الاثرية. وقد يكون هدف قوات داعش من انشاءها هو عمل خط دفاعي مائي لقواته ولم يابه للقيمة التاريخية للمكان كما موضح في الشكل (10).



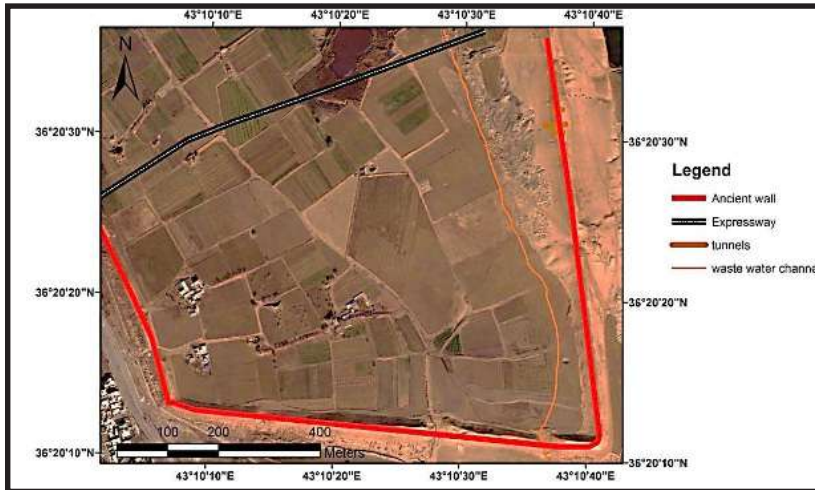
الشكل (9): الحفريات التي تم تمييزها عن طريق الطائرات المسيرة في منطقة نينوى الاثرية والتي قام بها داعش وباستخدام الجرافات.

الامر المستحدث الرابع هو شق طريق سريع للسيارات ذو سايدين داخل المنطقة الاثرية وبعرض تقريبا 30 متر على طول المنطقة الاثرية حيث تم تجريف كثير من مساحة المنطقة الاثرية وتخريبها. والذي تم تسجيله في الصورة ثلاثية الأبعاد التي تم تصنيعها بواسطة برنامج PIX4Dmapper ايضا كما موضح في الشكل (10).



الشكل (10): عرض ثلاثي الأبعاد يوضح قناة الصرف الصحي الحديثة والطريق السريع داخل سور المنطقة الأثرية.

ان التغييرات التي طرأت على سطح هذا الموقع لم يتم تمييزها بصور الأقمار الصناعية في عام 2010 ، وهذا يشير إلى ان تلك التغييرات في مورفولوجيا الموقع حدثت بعد 2014 أثناء سيطرة داعش. فيما يتعلق بالأنفاق والطريق السريع الجديد وقناة الصرف موضحة على صور الأقمار الصناعية لعام 2010 في الشكل 11.



الشكل (11): صور الأقمار الصناعية بتاريخ 2010 (تم توضيح الأنفاق والطريق السريع الجديد وقناة الصرف الصحي عليها).

الخلاصة

في هذا البحث تم استخدام تقنية الطائرات بدون طيار لأول مرة في محافظة نينوى لمسح وتوثيق انتهاكات داعش للمواقع الأثرية القديمة والاستفادة من الدقة العالية للتمييز الذي توفره هذه التكنولوجيا.

تمثل الطائرات بدون طيار إحدى التقنيات الناشئة في القياس التصويري. هذه التكنولوجيا مناسبة لتطبيقات لا حصر لها مثل استكشاف وحفظ المباني التاريخية والمحافظة على التراث وصيانة البنى التحتية للمدينة.

باستخدام صور المسيرة ذات دقة تمييز تساوي 5 سم تم تحديد بعض الأنفاق الاصطناعية التي حفرها داعش إضافة الى حفريات باستخدام الجرافات بالقرب او على الجدار الوقائي الشرقي لموقع نينوى الأثري.

بينما كانت التأثيرات الكبيرة الأخرى التي قام بها داعش واضحة على الموقع الأثري من خلال شق طريق سريع وقناة صرف صحي، فإن هذه التغييرات الجديدة قد اثرت على الموقع مباشرة وبمرور الوقت سيزداد تأثيرها.

لذلك يود الباحثين توجيه السلطات المحلية الى ايلاء الاهمية القصوى للبحث في الاعمال الاجرامية المستحدثة لداعش تجاه الموقع الأثري.

كما خلصت هذه الدراسة إلى أهمية استخدام تقنية الطائرات بدون طيار الجديدة في المسوحات الأثرية، وحثت السلطات المحلية وهيئة الآثار على استخدام هذه التقنيات في عملها.

شكر وتقدير

يود مؤلفو هذه الورقة أن يعربوا عن امتنانهم لجامعة الموصل، الموصل، العراق لدعمهم لاستكمال هذا العمل.

يود المؤلفون أيضاً أن يشكروا السيد رويد موفق محمد/ رئيس وحدة نظم المعلومات الجغرافية / مديرية الآثار والتراث في نينوى، على مساعدته في تسهيل الأمور وتوفير الدعم اللوجستي في الحصول على الموافقات الرسمية واستخدام

المصادر

- 1- A. Mohammed, K. Resen and A. Mohammed, “Using Remote Sensing and GIS to Study Morphological Analysis of Kirkuk Province”, Iraqi Journal of Science, vol. 60, no 11 , pp. 2152-2519, 2019
- 2- A. Hill, E. Laugier and J. Casana, “Archaeological Remote Sensing Using Multi-Temporal, Drone-Acquired Thermal And Near Infra-red Imagery: A Case Study At The Enfield Shaker Village” , Remote Sensing Journal, vol. 12, no. 4, pp. 690, 2020
- 3- I. Colomina, M. Blázquez, P. Molina, E. Parés and M. Wis, “Towards A New Paradigm For High-Resolution Low-Cost Photogrammetry And Remote Sensing”, Int. Archives of Photogrammetry, Remote Sensing and Spatial Information Sciences, vol. 37, pp. 1201-1206, 2008
- 4- H. Eisenbeiss, “UAV photogrammetry”. Ph.D. Thesis, ETH Zurich, Switzerland, Mitteilungen 105: Institute of Geodesy and Photogrammetry, 2009
- 5- N. Francesco and R. Fabio, “UAV for 3D Mapping Applications: A Review”, Applied Geomatics, vol. 6, pp. 1-15, 2014
- 6- F. Rinaudo, F. Chiabrando, A. Lingua and A. Span, “Archaeological Site Monitoring: UAV Photogrammetry Can Be An Answer” , ISPRS-Int. Arch. Photogrammetry Remote Sensing, Spatial Inform. Sci., pp. 583-588, 2012



- 7- F. Remondino, L. Barazzetti, F. Nex, M. SCAioni and D. Sarazi, “UAV Photogrammetry For Mapping And 3D Modelling-Current Status And Future Perspectives”, ISPRS-Int. Arch. Photogrammetry Remote Sensing. Spatial Inform. Sci., pp. 25-31, 2011
- 8- K. Themistocleous, A. Agapiou, H. King, N. King and D. Hadjimitsis, “More Than A Flight: The Extensive Contributions Of UAV Flights To Archaeological Research-The Case Study Of Curium Site In Cyprus” , in Proceedings of the Progress in Cultural Heritage. 5th International Conference, Cyprus, vol. 8740, pp 396-409, 2014
- 9- C. Seitz and H. Altenbach, “Project ArchEye - The QuadraCopter As The Archaeologist’s Eye”, ISPRS - Int. Arch. Photogrammetry Remote Sensing, Spatial Inform. Sci., pp. 297-302, 2011
- 10-J. Meszaros, “Aerial Surveying UAV Based On Open-Source Hardware And Software” , ISPRS - Int. Arch. Photogramm. Remote Sens. Spatial Inform. Sci., vol. XXXVIII-1/C22, pp. 155-159, 2011
- 11- A. Molnár, “Surveying Archaeological Sites and Architectural Monuments with Aerial Drone Photos” , Acta Polytechnica Hungarica, vol. 16, no. 7, pp. 217-232, 2019
- 12-F. Fiorillo, B. Jimenez, F. Remondino and S. Barba, “3D Surveying And Modeling Of The Archaeological Area Of Paestum” , Ital. Virtual Archaeol. Rev., vol. 4, pp. 55-60, 2012



- 13- M. Nehaba, J. Thabit and A. Mohammed, “Using Of Ground Penetrating Radar (GPR) For Investigate The Subsurface Archaeological Features Of Babylon, The Ancient City (Mound Zoona)” , Iraqi Journal of Science, vol. 60, no. 1, pp. 103-114, 2019
- 14- A. Ahmed and M. A. Qasim, “History of Archaeological Excavations at Nineveh City” , Al-Rafedain Archeology Journal (Athar Alrafedain), vol. 5, no. 1, pp. 191-214, 2020
- 15- M. Novák, “From Ashur to Nineveh: The Assyrian Town-Planning Program” , Iraq Journal, vol. 66, pp. 177-185, 2004
- 16- S. Giuseppe, “Multitemporal Satellite Images For Knowledge Of The Assyrian Capital Cities And For Monitoring Landscape Transformations In The Upper Course Of Tigris River” , International Journal of Geophysics, vol. 1, pp. 1-17, 2011
- 17- J. Ur, “Sennacherib’s Northern Assyrian Canals: New Insights from Satellite Imagery and Aerial Photography”, Iraq Journal, vol. 67, pp. 317-345, 2005
- 18- D. Pickworth, “Excavations at Nineveh: The Halzi Gate” , Iraq Journal, vol. 67, no. 1, pp. 295-316, 2005
- 19- UAVs Official Website”, [Online]. Available: <https://www.dji.com/> [phantom-4-pro/info.. [Accessed Sept. 2020]
- 20- PIX4Dmapper Official Website” , [Online]. Available: <https://pix4d.com>. [Accessed Sept. 2020]
- 21- P. Antonio, “Digital Survey From Drone In Archaeology: Potentiality, Limits, Territorial Archaeological Context And Variables” , in IOP Conference Series: Materials Science and Engineering, vol. 949, 2020

استخدام الأقمار الاصطناعية في مراقبة المواقع الاثرية وتقدير اثار الدمار فيها

ا.م.د. ريان غازي ذنون د. عبير عادل العلاف ورقاء محمد هشام

مركز التحسس النائي

جامعة الموصل

rayan.ghazi@uomosul.edu.iq

(ملخص)

تعد مرئيات الاقمار الاصطناعية متعددة الاطراف من التقنيات المهمة والتي اثبتت فاعليتها وأهميتها في مجالات عديدة يتمثل أحدها مراقبة المواقع الاثرية وتحديد التغيرات الطارئة عليها، ويتم ذلك عن طريق إجراء المعالجات الرقمية على هذه المرئيات ومن ثم تحليل وتفسير المعطيات الناتجة. بناءا على ذلك تم استخدام المرئيات الفضائية عالية الدقة المكانية والمصححة هندسيا في دراسة بعض من المواقع الاثرية وتقدير الدمار الحاصل بها وذلك بتطبيق بعض من طرق المعالجة الرقمية. اسفرت النتائج عن وضع قاعدة بيانات اساسية لبعض المواقع الاثرية وترميزها بطبقات ضمن برامجيات نظم المعلومات الجغرافية لتكون دليلا مرجعيا في اية دراسة مستقبلية لهذه المواقع.



Using satellite images to monitor archaeological sites and estimate the effects of destruction on it

(Abstract)

Multispectral satellite imagery is one of the important techniques that has proven its effectiveness and importance in many fields. One of which is monitoring archaeological locations and identifying changes to them. This is done by performing image processing on these images, and then analyzing and interpreting the resulting data. In this context, high spatial resolution and geometrically corrected satellite images were used in studying some of the archaeological sites and estimating the destruction in them by applying some digital processing methods. The results showed the development a basic database for some archaeological sites and encoding them with layers within the GIS software to be a reference guide in any later future study

المقدمة

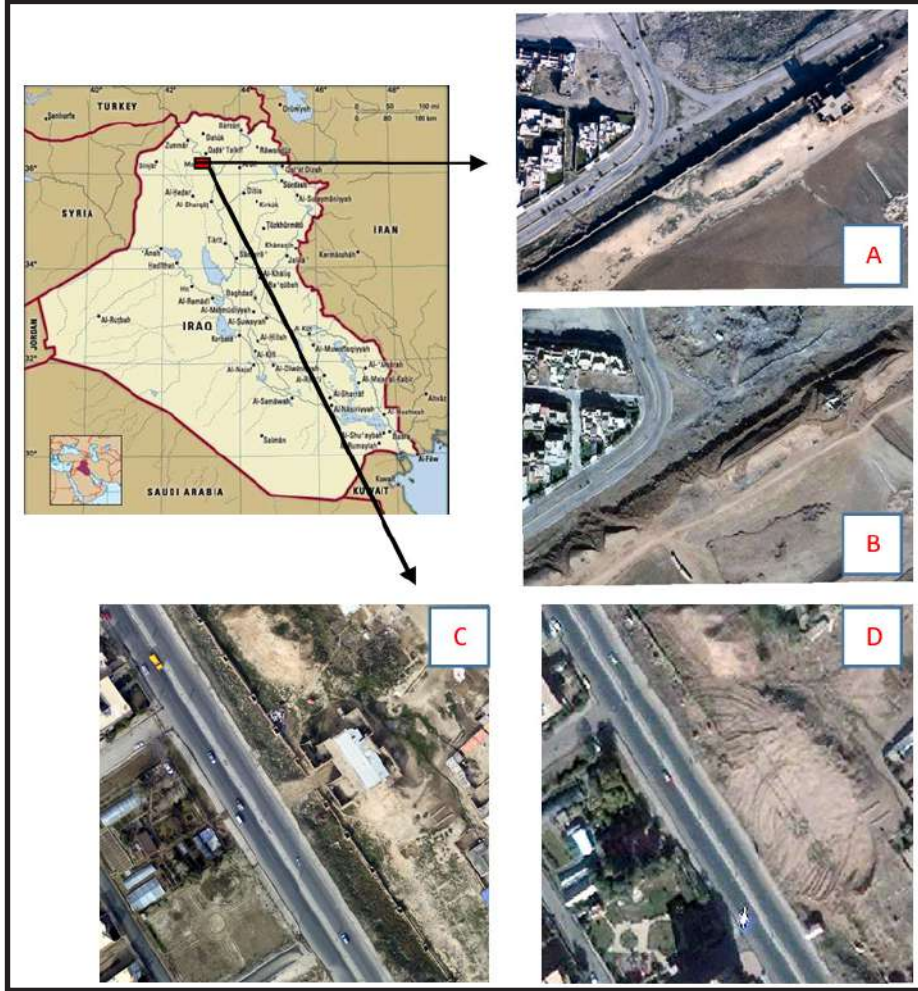
تعد مرئيات الاقمار الصناعية متعددة الاطراف من التقنيات الحديثة التي تستخدم في جرد الغطاء الارضي ومراقبته فضلا عن توثيق المعالم الطبيعية والصناعية. ومما لاشك فيه ان استكشاف الموارد الطبيعية ومراقبة غطاء الارض ومراقبة الفعاليات البشرية الحديثة والقديمة هي الغاية الاساسية والملحة لكل دولة من الدول ، فقد أثبتت تقنيات التحسس النائي فاعليتها وأهميتها في الاستكشافات عن الموارد الطبيعية والاثار وذلك عن طريق إجراء المعالجات الرقمية على البيانات ومن ثم تحليل وتفسير المعطيات الناتجة واعداد الخرائط الغرضية-الاستطلاعية.

اشار (محجوب، 2018) الى ان ظهور نظم المعلومات الجغرافية، الذي يستخدم كما هائلا من البيانات والمعلومات، ادى إلى القيام بالعديد من الدراسات فيما يخص المدن العتيقة وإبراز الأبعاد المكانية لموقعها الجغرافي والتعرف على خصائصها ومميزاتها، ومحاولة تطويرها وهيكلتها، وكذلك التخطيط والتسويق لمنتجاتها التراثية.

ومع توفر مثل هذه النظم أصبحت عملية دراسة هذا التراث الأصيل أكثر دقة ومرونة. واعتمادا على ما سبق تم في هذه الدراسة تطبيق تقنيات المعالجة الرقمية على مرئيات فضائية متعاقبة زمنيا لمراقبة موقعين اثريين في مدينة الموصل وتقدير اثار الدمار فيها نتيجة العمليات الارهابية.

منطقة الدراسة

تم اختيار معلمين اثاريين في مدينة الموصل وهم كالآتي الشكل (1)



الشكل (1): موقع منطقة الدراسة بالنسبة للعراق، A : مرئية ملتقطة بتاريخ 2009، B : مرئية ملتقطة بتاريخ 2016 (بوابة أدد وسورها). C : مرئية ملتقطة بتاريخ 2016 (بوابة ماشكي وسورها) B : مرئية ملتقطة بتاريخ 2016 (بوابة ماشكي وسورها)

أولاً: بوابة أدد وسورها:

تعد بوابات المدن والقصور من أهم العناصر المعمارية في بلاد وادي الرافدين (عبدالله، 2017). ان بوابة أدد تمثل باب أثري قديم يعود إلى العصر الآشوري يقع في محافظة نينوى ، ويمثل أطلال مدينة مدمرة كانت يوماً تابعة للآشوريين الشكل (2)، . أشار (العلاف، 2018) الى ان تسمية هذه البوابة كانت نسبة إلى الإله أدد وهو اله الرعد والعواصف عند الآشوريين، وتحيط بهذه البوابة أحجار ضخمة وطابوق طيني والذي يولف جدار نينوى الذي يعود إلى 700 ق.م على طول 12 كم، نظام الجدار مكون من جدار مبني من حجر منحوت يبلغ طوله 6 م، يتبعه بجدار مبني من طابوق طيني طوله 10 م وسمكه 15 م، يحتوي الجدار الحجري الساند على أبراج حجرية يفرق بين البرج والآخر 18 م.

منطقة الدراسة

تم اختيار معلمين اثاريين في مدينة الموصل وهم كالآتي الشكل (1)



الشكل (2): بوابة أدد الآشورية (قبل عملية التجريف)

ثانيا بوابة ماشكي (بوابة المسقى):

تعد بوابة ماشكي من احدى البوابات الاثرية في مدينة الموصل، وسبب تسميتها كذلك ، لان من خلالها يتم تزويد المدينة بالمياه التي تحتاجها . وفي السنوات السابقة اجريت تحريات واسعة وشاملة فيها وتم استظهار جميع معالم البوابة. اذ يتصل مدخل البوابة بقاعة كبيرة والمدخل والممر مزينة جدرانها من الداخل بقطع من المرمر المنقوش باسم الملك سنحاريب ويحيط بالبوابة من الجانبين ابراج كبيرة مشيدة بالحجارة وتنتهي الابراج من الاعلى بصف من الاحجار المهندمة وتعلوها احجار الشرفات المسننة وتشكل البوابة رمزا معماريا شامخا ، وتبعد البوابة عن نهر دجلة بقرابة كيلومتر ونصف . اذ تقع في الضلع الغربي لسور المدينة، يتصل مدخل البوابة بقاعة كبيرة والمدخل والممر مزينة جدرانها من الداخل بقطع من المرمر المنقوش باسم الملك سنحاريب ويحيط بالبوابة من الجانبين ابراج كبيرة مشيدة بالحجارة وتنتهي الأبراج من الاعلى بصف من الأحجار المهندمة وتعلوها أحجار الشرفات المسننة وتشكل البوابة رمزا معماريا شامخا، وتبعد البوابة عن نهر دجلة بقرابة كيلومتر ونصف (العلاف، 2018).



الشكل (3): بوابة ماشكي (المسقى) (قبل عملية التجريف)

البيانات المستخدمة

استخدمت بيانات بفترات متباينة لإتمام الدراسة الحالية، تمثلت الأولى بصورة طائرة مسيرة (درون) تعود للعام 2009 وبقدرة تمييزية مكانية قدرها 7 سم وقد وفرت هذه الصورة متابعة ممتازة للغطاء الأرضي في منطقة الدراسة كون أن القدرة التمييزية لها عالية. أما البيان الثاني فتمثل بمرئية فضائية تعود للقمر الاصطناعي word view-2 بقدرة تمييزية مكانية قدرها 40 سم، علما أن هذه المرئية ملتقطة في العام 2016 وتتميز كذلك بقدرة تمييزية مكانية عالية ولكنها تعد أقل من ناحية الدقة المكانية إذا ما قورنت بالبيان الأول المستخدم.

المعالجة الرقمية للمرئيات الفضائية

تم تطبيق بعض من المعالجات الرقمية على مرئيات ملتقطة بتواريخ مختلفة لغرض حساب التباين في الأصناف وتقدير حجم الضرر الواقع على المعالم الأثرية المدروسة. وفيما يلي توضيحا لطرق المعالجة الرقمية المستخدمة:

أولاً: تصحيح المرئيات من الأخطاء الهندسية

استخدمت طريقة التصحيح الهندسي (Geometric correction) في عملية تصحيح الخصائص الهندسية لهذه المرئية. تعتمد المطابقة الهندسية على اختيار نقاط سيطرة (Control Points) متناظرة في المرئيات المستخدمة من قبل المستخدم (المفسر). تعد مرئية الإخراج ذات دقة عالية وإن المعالم الظاهرة بها متطابقة تماماً على ما هو موجود على سطح الأرض (Mather, 1987). وقد تم تطبيق هذا النوع من الطرق لاستخدام المرئيات في عملية كشف التغيرات والتي يتحدد استخدامها بالحصول على مرئية ذات تطابق كامل من ناحية الخصائص الهندسية

ثانيا: تحسين المرئيات:

تم تحسين المرئيات المستخدمة لزيادة تحسين الفوارق البصرية بين المعالم في الصورة فضلا عن الاستغلال الامثل للأعداد الرقمية المؤلفة لمصفوفة المرئيات المستخدمة. اذ تم استخدام طريقة بسط التباين في عملية التحسين، وقد اوضحت مرئية الاخراج وضوحا أكثر من المرئية ذاتها غير المعالجة. لغرض ابراز معالم الأشكال والمظاهر الأرضية باستخدام المرئيات الفضائية، يتم اللجوء الى انتاج هذه المرئيات بتركيبات ملونة مختلفة عن طريق ادماج حزمها الطيفية، ويطلق على هذه العملية بالدمج الملون (Color composite). اذ إن عملية الدمج الملون هذه تهدف الى جمع المعطيات (التي لكل منها مدى طيفي معين) في مرئية واحدة (تحتوي على مدى متنوع من الأطوال الموجية) وعرضها بالألوان ومن ثم تمييز اكبر كمية من المعلومات لان حساسية العين البشرية للمستويات الرمادية تكون محدودة قياسا الى حساسيتها للتدرجات اللونية كما إن المرئيات الملونة يمكن عدها طريقة بدائية تسبق عملية تحليل وتفسير المرئيات لذا فهي تسهل على المفسر التعرف على الكثير من المظاهر

ثالثا: تحديد التغيرات Change detection

تم في هذه المرحلة استخدام طريقة كشف التغير في أنماط الغطاء الأرضي بطريقة المقارنة المرئيات المستخدمة والتي تعود لفترات متباعدة. ان تحديد وكشف الأنماط التي تعرضت للتغيرات من جراء العمليات الارهابية يقود بالنتيجة الى تحديد التغيرات الحاصلة في المنطقة، وكإجراء دقيق لتحديد التغير الحقيقي الذي طرأ على المناطق الاثرية، وبالتالي بناء قاعدة بيانات مكانية لكل من أنماط الغطاء الأرضي، والتغيرات في استعمالاته، ومؤشرات التدهور الحاصل فيه.

النتائج والمناقشة

لغرض تفسير صور الإخراج بالاعتماد على طرق المعالجة الرقمية، تم ادخال الصور المصححة هندسيا والمحسنه وتطبيق كشف التغير عليها، اذ تم تحديد التباين في أصناف الغطاء الأرضي لفترتين تشمل الأولى المنطقة الاثرية في بوابة أدد وسورها، فضلا عن المنطقة الاثرية في بوابة المسقى. اظهر صور الإخراج ان هنالك مساحات متباعدة جدا في هذه المواقع الاثرية وهي نتيجة مباشرة لسيطرة المجاميع الإرهابية ومدى التخريب والدمار التي قامت به من تجرف وهدم لهذه المناطق.

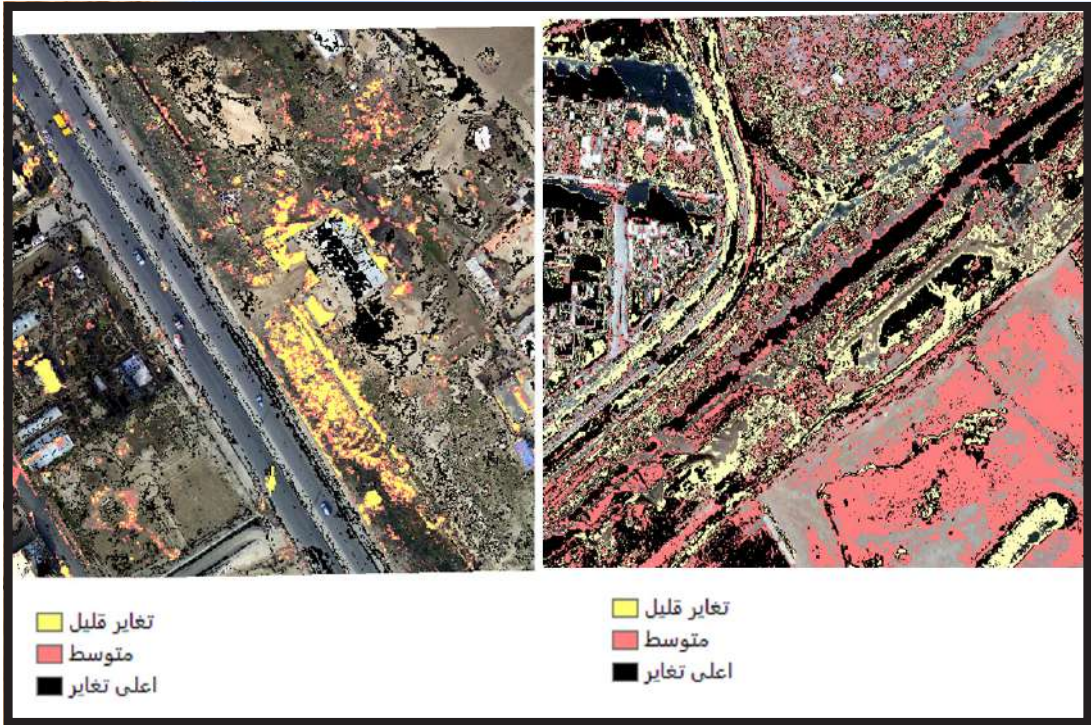
ان هذا التباين يمكن ايجازه بما يلي:

اولا: يلاحظ في المرئية الملونة الشكل (4) زيادة كثافة النسيج (Texture) الذي هو عبارة عن درجة خشونة او نعومة المظهر الارضي وهذا ما تم ملاحظته من خلال زيادة توضيح درجة خشونة المنطقة الاثرية بعد عملية التجريف خصوصا اذا ما تمت مقارنتها بالصورة التي لم تتعرض الى تخريب.



الشكل (4): شكل يوضح التباين في نسيجة منطقة الدراسة قبل وبعد التجريف للمنطقة الاثرية

ثانيا: تمثل مرئية الاخراج الخاصة بعملية كشف التغير عن وجود مساحات هائلة مدمرة الشكل (5)، اذ يوضح اللون الاسود المناطق الاكثر تضررا والتي تمثل مواقع بوابات أدد وماشكي، فضلا عن اسوار المدينتين اللذين تم تجريفهما. ان دراسة التغير في المنطقة للمنطقة بين عامي 2009 و 2016 أوضح كذلك التغير في أسلوب استخدامات الأرض من تباين في المباني والبنى التحتية وهذا ما توضح من خلال تأشير تغير لوجود ابنية جديدة في الاحياء المجاورة للموقعين الاثريين.



الشكل (5): شكل يوضح تطبيق طريقة كشف التغير للمناطق المدروسة

الاستنتاجات

ان مراقبة انواع استعمالات الأرض والغطاء الأرضي تعد بمثابة عملية تسجيل المتغيرات التي تحصل فيها مع مرور الزمن، وتعد المراقبة من اهم العوامل المطلوبة لتوفير الخطط اللازمة للإعمار. إن اسلوب المراقبة من خلال طريقة كشف التغيرات يتميز بالدقة في تمثيل مواقع المناطق المتضررة فضلا عن انه يوفر سهولة في اجراء القياسات وامكانية تحديث وتصحيح الخرائط المرسومة لاحقا. أوضحت الدراسة الحالية الدمار الكبير الذي حصل للمواقع الاثرية نتيجة الاعمال الإرهابية وبالتالي يمكن ان تقدم الدراسة الحالية نظرة شمولية عن الدمار الذي حل بهذه المواقع باستخدام أسلوب المقارنة بين الفترات الزمانية قبل وبعد حصول هذا الدمار

المصادر:

عبدالله، عمار حسين، 2017. بوابات العواصم والقصور الآشورية في ضوء الاكتشافات الأثرية الحديثة، صفحات للدراسات والنشر.
محجوب، عزيز، 2018. أهمية نظم المعلومات الجغرافية في دراسة وتشخيص المدن العتيقة وآثارها الاقتصادية بالدول المغاربية – حالة مدينة فاس، الملتقى الثاني لنظم المعلومات الجغرافية، المملكة العربية السعودية
العلاف، ابراهيم خليل، 2021. ابواب مدينة نينوى الدخول الى عاصمة اشور.

Mather, P.M., 1987. Computer processing of remotely sensed images, an international, John Wiley and Sons. 212p

العوامل المؤدية تدمير وتلف المباني الأثرية

م.د مروان سالم شريف العنزي / جامعة الموصل – كلية الآثار

Marwan_shareef@uomosul.edu.iq

(ملخص)

تعد دراسة تدمير وتلف الآثار من اهم الخطوات التي يجب دراستها من قبل المختصين الحافظ على الارث الحضاري.

فلكل بلد او منطقة خصوصيتها التي تنعكس تأثيرها على واقع حال ارثها الحضاري بأشكال مختلفة ووسائل متعددة قد تكون سلبية أو قد تترجم على ارض الواقع بشكل ايجابي.

وفي هذه الدراسة سوف نحاول ان نسلط الضوء على اهم العوامل السلبية التي تؤدي الى تلف وتدمير الآثار في المنطقة بشكل خاص. وتتمثل هذه العوامل بي نشاط الانسان السلبي من جانب والعوامل الطبيعية ومتغيراتها على ارض الواقع من جانب اخر.

اذ تكمن اهمية هذه الدراسة انها الدراسة الأتلى التي تناولت واقع حال الآثار العراقية واهم العوامل المؤثرة بها وانعكاساتها الاجتماعية وترجمتها على ارض الواقع المتمثلة في فقدان جزء مهم ارث العراق الحضاري .



Factors leading to the destruction and damage of archaeological buildings

Lecture Dr. Marwan Salem Sharif Al-Anzi

University of Mosul - College of Archeology

Marwan_shareef@uomosul.edu.iq

(Abstract)

The study of the destruction and damage of antiquities is one of the most important steps that must be studied by specialists who preserve the cultural heritage. Each country or region has its own peculiarity, which is reflected in its impact on the reality of its cultural heritage in different forms and multiple means that may be negative or may be translated on the ground in a positive way. In this study, we will try to shed light on the most important negative factors that lead to damage and destruction of antiquities in the region in particular. These factors are represented by the negative human activity on the one hand, and the natural factors and their variables on the ground on the other hand. The importance of this study is that it is the first study that dealt with the reality of the state of Iraqi antiquities and the most important factors affecting them and their social repercussions and their translation on the ground represented in the loss of an important part of Iraq's cultural heritage

العوامل المؤدية الى تدمير و تلف المباني الأثرية

تتعرض المباني الأثرية على اختلاف أنواعها إلى الكثير من العوامل التي تعمل على إتلافها وتدميرها بالكامل. وتختلف هذه العوامل في أسبابها ومصادرها ومدى التأثير الذي تتركه على المباني الأثرية كما تختلف الآراء حول تصنيفها وتقسيمها، فالتصنيف الأكثر شيوعاً كان على أساس مصادر هذه العوامل وأسبابها، وهي كما يلي:

1. العوامل الناتجة عن نشاط الإنسان:

لا يقل خطر العوامل الناتجة عن نشاط الإنسان عن خطر العوارض الطبيعية من حيث حجم الأضرار ونوعها.

وقد تكون مقصودة أو قد تكون بفعل النشاط العشوائي للإنسان.
كإنشاء مصانع أو منشآت حديثة دون التحري عن حدود الموقع الأثري.

أ. العوامل الاجتماعية:

تعد المجتمعات الواعية بقيمة التراث العماري إحدى أهم مقومات الحفاظ عليه.
وبعكس المجتمعات التي يسودها الجهل فتكون معاول هدم وتخريب لهذا التراث، ويتمثل أثر العامل الاجتماعي بعدة أوجه منها:

التوسع السكاني، فحركة التوسع السريع التي تشهدها المدن عموماً تأتي في أغلب الأحيان على حساب المواقع الأثرية من خلال التجاوز على أراضيها لغرض تشييد أحياء جديدة تتلاءم مع الحاجة إليها مما يؤدي إلى هدم أبنية أثرية أو إحاطتها بالمباني الحديثة فتشوه بيئة الأثر الأصلية⁽¹⁾.

ومنها ما حدث في مدينة نينوى القديمة التي أدى النشاط العمراني والتوسع السكاني إلى تغطية المنطقة الأثرية لمدينة نينوى بالكثير من المباني الحديثة، كما أدى أيضاً إلى نقل الكثير من قطع الحجارة التي كانت جزءاً من السور الخارجي إلى مباني حديثة مجاورة كما أدى التوسع العمراني إلى إتلاف الكثير من قطع الرخام والأحجار في تل قوينجق وتل النبي يونس .

(1) فوز عائد جاسم كركجة، التدهور الحضري الشكلي لمدينة الموصل القديمة، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، إشراف الدكتور صلاح حميد الجنابي، جامعة الموصل، 2000، ص50.

فأما أعمال السرقة التي تتعرض لها المواقع الأثرية من سرقة موادها الإنشائية للاستفادة منها في تشييد مباني جديدة بالقرب من الموقع، وذلك بسبب غلاء ثمنها أو تكاليف نقلها. فالمباني التي تقع قرب المدن تكون أكثر عرضة لأعمال السرقة مثال مدينة نينوى ومدينة باب وسامراء والبصرة الأثرية⁽²⁾، منها استخدمت أسوار مدينة نينوى كمقالع للحصول على الحجارة اللازمة لصناعة الجص واستخدام أحجار أسوار مدينة الموصل القديمة (السور العقيلي) في بناء القشلة مركز الحكم في العهد الجليلي. فضلاً عن التخريب المتعمد للمواقع الأثرية، فيرجع سببه إلى تغيرات في الفكر الاجتماعي أو الديني للمجتمع فقد تلجأ بعض المجاميع إلى تخريب بعض المباني الأثرية بسبب الاختلاف في الفكر الديني والعقائدي أو الاجتماعي⁽³⁾، ويذكر المنقب الانكليزي ريج (Rich) اثنار عمله في مدينة نينوى قد لاحظ اكتشاف ثور مجنح من قبل الاهالي الذين قاموا بتحطيمه بعد استخراجها سنة 1820م.

كما أن سوء أعمال الصيانة والترميم قد تترك أثرها السيئ على المباني الأثرية أكثر من الأثر الذي يتركه إهمالها. فكثيراً ما تؤدي بعض الأعمال إلى هدم وتشويه كبير، فضلاً عن تغيير معالمها لأسباب عدة، منها الرغبة في تجديد البناء وجعله أكثر ملاءمة للمتطلبات الحديثة. أو بسبب عدم الالتزام بأساليب الصيانة وعدم توفر الإمكانيات المادية والتقنيات والكوادر العلمية المدربة للقيام بمثل هكذا أعمال⁽⁴⁾.

(2) خالص الأشعب: أبعاد الصيانة في المدينة العربية ومتطلباتها، مجلة التراث والحضارة، بغداد،

ج6، 1985، ص39.

(3) Fith, James, Historic Preservation, London, 1982, p. 36.

(4) عبد القادر الريحوي، المباني التاريخية، ص21.

أو قد تنفذ هذه الأعمال من قبل جهات غير متخصصة لها سلطة الإدارة على المبنى الأثري. فتقوم بأعمال عشوائية غير مدروسة بهدف تحسين البناء وتجديده مثال كالأعمال التي يقدم عليها المتبرعون والمتطوعون في المساجد ودور العبادة ومنها أعمال الصيانة والترميم التي تقوم بها دائرة الأوقاف في الموصل للجامع النوري وجامع الأغوات وغيره.

ب. العوامل السياسية:

تمثل الحروب أحد أوجه العوامل السياسية التي قد تأتي بأضرارها على المباني الأثرية، فأكثر ما تنشب الحروب بسبب الخلافات السياسية، يزداد خطرهما كلما تقدمت آلة الحرب وتطورت أسلحتها، وعلى المستوى المحلي فأثر الحروب قد بدأ مبكراً فمنذ فجر التاريخ والعراق عرضة لحروب وغزوات طاحنة من قبل دول وأقوام أجنبية مجاورة.

ابتداءً من هجمات القبائل العيلامية على مدن العراق القديم في عصر فجر السلالات ومروراً بهجمات المغول على بغداد أبان العصر العباسي وانتهاءً بالغزو الأمريكي على العراق وتدمير ممتلكاته الثقافية، ومن المواقع الأثرية ما حصل في مدينة أور وبابل وملوية سامراء من تدمير بسبب اتخاذها معسكرات للجيش الغازية وهي خير مثال على أثر هذه العوامل فبسببها زالت مدن وعواصم وحرقت المباني بعد سلبها، فتتحول بمرور الزمن إلى خرائب وملاجئ لبعض القبائل الرحل التي تحدث فيها بعض التغيرات العمرانية لتتلاءم ومتطلبات معيشتهم وقد تتكرر هذه العملية عدة مرات قبل أن تهجر كلياً⁽⁵⁾.

أما الوجه الآخر لأثر العوامل السياسية فيتمثل بتضارب القرارات التي تصدر عن الحكومات المتعاقبة التي قد تلحق دماراً كبيراً بالممتلكات الثقافية، إذ قد تصدر قرارات بإزالة مباني ونصب تذكارية بدوافع سياسية.

أو قد تصدر قوانين غير مكتملة هدفها حماية المواقع والمباني الأثرية فتفسر بشكل خاطئ تؤدي إلى تخريب كبير فيها⁽⁶⁾.

(5) جنان جبرائيل خمو: الحفاظ على المواقع الأثرية، ص133-132.

(6) تومسلاف ماراسوفيتش: المدن التاريخية وسبل الحفاظ عليها وصيانتها، ترجمة عرفان سعيد، منشورات المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، 1985، ص11.

منها الإهمال الكبير الذي تتعر له المواقع الأثرية منذ الاحتلال الأمريكي وحتى وقتنا الراهن بسبب غياب الرقابة الحقيقية وسلطة القانون، وقد صدرت في العراق العديد من قوانين حماية الآثار والممتلكات الثقافية منها قانون عام 1924 الذي كتب من قبل مس بيل اثناء هيمنة سلطة الانكليز على البلد، واعقبه صدور قانون عام 1936 والذي يعتبر من اقوى القوانين وانضجها التي صدرت في العراق والبلدان العربية واستمر هذا القانون نافذاً حتى عام 2002 أي لما يقارب سبعة عقود بما فيه من حماية كبيرة للآثار والممتلكات الثقافية.

ومن أثر التدمير بسبب العوامل السياسية الإدارية المشتركة على المواقع الأثرية وتعدد سلطات القرار الإداري والسياسي كما في الإدارة المشتركة للمواقع الدينية كالمساجد والأضرحة والكنائس بين الهيئة العامة للآثار ودائرة الأوقاف التي قامت بعدد من أعمال الصيانة والترميم لعدد من الجوامع والمزارات في مدينة الموصل من حملات بناء وإعفاء عشوائية ومنها الجامع النوري حيث قامت الدائرة بأعمال حفر وبناء قرب منڈنة الجامع مما جعلها عرضة لخطر الانهيار.

ج. العوامل الاقتصادية:

تعد العوامل الاقتصادية من العوامل المضرة بالمباني الأثرية من حيث حجم التأثير الذي تحدثه فيها وأنواعه.

فالتعدي على المواقع الأثرية بهدف تحقيق منافع اقتصادية من العوامل القديمة جداً ويمتد هذا التأثير إلى عدة قرون. فالاستيلاء على ثروات وخيرات الشعوب كانت الأوجه الأولى لهذا التأثير والأمثلة عديد في التاريخ وهي:

السرقه: يتمثل هذا العامل في الوقت الحالي في الرغبة بالاستيلاء على بعض عناصر البناء الأثري ومواده الإنشائية فضلاً عن المعادن ذات القيمة، أو من خلال الرغبة في الاستيلاء على أراضي المواقع والأبنية الأثرية في حال وقوعها في مناطق استراتيجية سوقية كالمناطق التجارية أو السياحية أو في مركز المدينة حيث تكون أعلى قيمة للأرض من الناحية الاقتصادية وتندرج هذه القيمة كلما اتجهنا إلى الأطراف(7). وكثيراً ما نلاحظ تأثير هذا العامل على المناطق المحيطة بمدينة الموصل ومنها مدينة آشور الأثرية حيث تعرضت كثير من موادها الإنشائية للسرقه من قبل التجمعات السكنية القريبة منها.

(7) فواز عائد جاسم كركجة: التدهور الحضري الشكلي لمدينة الموصل، ص50.

تغيير الوظائف: ومن أشكال التدهور في المباني الأثرية بفعل هذا العامل هو تغير وظائفها الأصلية كتحويل بعض البيوت إلى ورش أو تحويل بعض الخانات إلى مخازن أو حوانيت التي تؤدي في جميع الأحوال إلى استحداث تغيرات وإضافات تعمل على تغير الطابع الأثري ومن أمثلة الاستخدام السيء للأبنية الأثرية تحويل عدد من حمامات مدينة الموصل الأثرية إلى محلات تجارية ومخازن للبضائع وتحويل العديد من الخانات في مدينة الموصل إلى وظائف بعيدة كل البعد عن طبيعة الوظيفة التي كان يؤديها الخان.

المشاريع العمرانية: كثير ما تقدم السلطات والأفراد على هدم وإزالة مباني أثرية من أجل القيام ببعض المشاريع الخدمية وفتح الشوارع وبناء الجسور والمشاريع الأروائية الضخمة لغرض خدمة الصالح العام⁽⁸⁾ (ينظر لوح رقم 11).

2. العوامل الطبيعية:

من المتعارف عليه أن العمارة التي شيدها الإنسان على اختلاف أشكالها منذ أن بدء حياة الاستيطان وتعلم البناء إلى أن وصل قمة الحضارة وعصرنة البناء هي ترجمة صريحة للظروف البيئية التي عاشها ويعيشها في كل عصر.

إن تطويع البيئة هو التحدي الأكبر للإنسان منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا. ومن خلال عدد من المحاولات الناجحة في تطويع البيئة لخدمة حاجات الإنسان ورغباته أو لتلافي خطر عواملها ليكون في مأمن من شرها⁽⁹⁾ تعامل الإنسان مع البيئة من أجل أن يستمر في العيش بأمان فالكوارث الطبيعية من أكثر العوامل ضرراً بحياة الإنسان وتهديد وجوده، فالمتطلع للعمارة العراقية يجد معالجات واضحة لأثر العوامل الطبيعية⁽¹⁰⁾، وتختلف هذه المعالجات بحسب نوع العامل المؤثر وحجم الضرر الذي سوف يتركه على المباني كما يحكمها نوع المادة الإنشائية والموقع الجغرافي للبناء وإذا أردنا أن نتحدث عن أثر العوامل الطبيعية في العراق فيكون ترتيبها على النحو التالي:

(8) تومسلاف ماراسوفيتش: المدن التاريخية، ص12.

(9) بهجت رشاد شاهين: التلوث البيئي والعمارة، مجلة المهندس، جامعة بغداد، مج10، سنة 2000، ص11.

(10) طارق مظلوم: نماذج لأصالة المعالجات المناخية في العمارة العربية، مجلة التراث والحضارة، منشورات المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، ع9-8، 1987، ص10-11.

أ. الأمطار:

لا يمكن أن نتصور وجود مباني بمأمن عن تأثير الأمطار كما لا توجد تدابير وقائية تمنع وصولها إلى تلك المباني، إذ يعد هذا العامل الأكثر تأثيراً على المباني الأثرية في العراق ويختلف حجم الضرر الذي تتركه ونوعه تبعاً لموقع البناء ومادته الإنشائية ونوع الأمطار الساقطة فالمباني الموجودة في الأماكن الجافة قليلة الأمطار تبقى أكثر مقاومة وتماسكاً، إذا ما استثنينا تأثير عامل آخر. إذ تعمل الأمطار على تعرية سريعة للأسطح الخارجية لجدران المباني الأثرية فتظهر عليها حروز عميقة، وأكثر ما يظهر تأثير الأمطار على إزالة المونة عن طريق إذابة مكوناتها الجبسية وإزالة قسم من المونة التالفة بفعل عوامل أخرى فتكون أكثر عرضة للزوال من غيرها⁽¹¹⁾ (ينظر شكل رقم 5).

كما تعمل العواصف المطرية الشديدة على إزالة الأجزاء العليا من الجدران. ويزداد أثر العواصف المطرية عندما تكون مصحوبة برياح فتعمل على زيادة سرعة سقوط قطرات المطر مما يزيد من وقع أثرها على سطح الجدران المواجهة لها. فضلاً عن سهولة إزالة أجزاء منها بفعل قوة الريح المصحوبة مع الأمطار التي تعمل على ترطيب وتفكيك تماسك المادة الرابطة (المونة)⁽¹²⁾، ولدينا أمثلة لمباني أثرية عالج فيها المعمار العراقي واجهاتها عن طريق تشيبن طبقات من الحصران المطلي بالقار على واجهاتها لغرض حمايتها من تأثير العوامل الجوية ومن أمثلتها المبكرة ما حصلنا عليه من نماذج من فترة العبيد والوركاء⁽¹³⁾. ومن تأثيرات الأمطار الأكثر انتشاراً هي إزالة القشرة الخارجية (الملاط) للجدران المواجهة للأمطار. وأكثر ما يظهر تأثير الأمطار على المباني المشيدة باللبن بسبب طبيعة هذه المادة الإنشائية كونها مادة سريعة التلف.

وتكون بذلك من أكبر المشاكل التي تهدد المباني الأثرية المشيدة باللبن في العراق عموماً ومنطقة الدراسة على وجه الخصوص، وذلك لأن مناخ العراق من المناخات المطيرة التي تنحصر بها الأمطار في موسم واحد، ويسود منطقة الموصل على وجه الخصوص مناخ ما يعرف بحوض البحر المتوسط المعروف عنه ارتفاع معدلات الأمطار طيلة الأشهر المطيرة (ينظر شكل رقم 4).

(11) عبد القادر الرياحي: المباني التاريخية حمايتها وطرق صيانتها، دمشق، 1972، ص 19.

(12) Honegborne, David. B. Weathering and Decay of Masonry, Conservation of Building and Decorative Stone, London, 1998, vol.

1, p. 162.

(13) ربا محسن الحاج يونس: البيئة وتأثيرها على واجهات المعابد السومرية، ندوة العمارة والبيئة المجمع العلمي العراقي، 2003، ص 69.

ويذكر انه في مدينة الموصل في عام (1180هـ-1767م) امطرت في مدينة الموصل مطرا غزيرا مصحوب برمال حمراء حتى صبغت المباني والارض باللون الاحمر⁽¹⁴⁾. فضلاً عن ذلك فإن أغلب المباني والمواقع الأثرية تنتشر على مساحات واسعة جداً مثال ذلك مدينة نينوى الأثرية ومدينة آشور مما يجعل عملية صيانتها والحفاظ عليها من الأمطار بالوسائل المتعارف عليها عالمياً كإنشاء سقوف وقائية مؤقتة عملية شبه مستحيلة.

ب. السيول:

وهي إحدى أشكال تأثير الأمطار على المباني الأثرية ويتباين تأثيرها حسب قوة السيل فقد تكون سيول عارمة تتميز بالشدة وسرعة الجريان فتجرف ما يعترض طريقها من أبنية وجدران فتحدث فيها دمار كبير. وفي بعض الأحيان تكون على شكل فيضانات هائلة ناتجة عن ارتفاع مناسيب الأنهار فتغطي أجزاء من أسفل الجدران أو الموقع بالكامل. ويكون تأثيرها عن طريق إضعاف الأسس، إذ تعمل المياه المتجمعة قربها على تحويل التربة الى طين غير قادر على تحمل ثقل البناء مما يؤدي الى ظهور تصدعات وهبوط في الأسس والجدران⁽¹⁵⁾.

ويظهر تأثير هذا العامل واضحاً على المباني الأثرية في العراق وذلك بسبب تذبذب سقوط الأمطار واختلاف مناسيبها التي تكون في أغلب الأحيان على شكل عواصف مطرية، فضلاً عن أن دجلة والفرات من الأنهار المضطربة الجريان⁽¹⁶⁾ ومما زاد من أثر هذا العامل وقوع أغلب المواقع والمباني الأثرية في العراق على ضفاف الأنهار وفي سفوح المنحدرات مما يجعلها أكثر عرضة لتأثيرها وفي منطقة الدراسة يعد نهر دجلة المعروف بسرعة واضطراب جريانه المسبب الرئيس للسيول والفيضانات الموسمية في المنطقة فضلاً عن تغيير مجراه المتكرر الذي يؤدي إلى تدمير الكثير من المواقع الأثرية الواقعة على ضفافها وإتلافها ويضاف الى ذلك تأثير فيضان روافد نهر دجلة المنتشرة في عموم المنطقة كفيضانات نهر الخوصر الذي أدى إلى إتلاف أجزاء كبيرة من سور مدينة نينوى الأثرية فضلاً عن فيضانات رافدي الخابور والزاب الأعلى.

(14) ياسين خير الله العمري: زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، النجف، 1974، ص 123.

(15) سامي عبد الحسين الكفلاوي: التشقق والانهيال، ص 49.

(16) صلاح حميد الجنابي: جغرافية العراق الإقليمية، الموصل، 2005، ص 172.

وقد يظهر تأثير واضح لبعض السيول الناتجة عن الأمطار الموسمية التي في الغالب تنحدر من المرتفعات المحيطة بمدينة الموصل إلى بعض الأودية التي تنصرف مياهها إلى نهر دجلة كما هو الحال مع وادي المر غرب مدينة الموصل قرب موقع مدينة أسكي موصل الأثرية. وكذلك يمكن أن نلاحظ تأثير السيل الذي ينحدر من جبال سنجار إلى أودية منطقة الجزيرة جنوب مدينة الموصل الذي يمر بالقرب من آثار مدينة الحضر وينحدر شرقاً باتجاه مدينة آشور الأثرية⁽¹⁷⁾، وتشير المصادر التاريخية إلى فيضان نهر دجلة سنة 1181هـ-1767م واغرق كل من مدينة الموصل وبغداد حتى وصل الماء في مدينة الموصل إلى جامع النبي شيت⁽¹⁸⁾.

ج. الرياح:

تعد الرياح ثالث أخطر العوارض الطبيعية التي تترك آثارها على المباني الأثرية على المستوى المحلي والموضعي. وتنشأ الرياح نتيجة لاختلاف درجات الحرارة في المناطق المتجاورة الذي ينتج عنه اختلاف في الضغط الجوي فتهب الرياح من مناطق الضغط العالي إلى الواطئ وبسرعة محددة حتى يتساوى الضغط بين المنطقتين.

والقوة التي تسلطها الرياح قد تؤخذ بنظر الاعتبار في تشييد المباني الحديثة، ولكن غالباً ما تهمل عند صيانة الأبنية القديمة، وذلك على اعتبار أنها قاومت تأثير هذه القوة لفترة طويلة، ولكن في الواقع أن هيكل البناء القديم غير مؤهل لمقاومة قوة الرياح ويكون عرضة للانهيال عند أول عاصفة قوية (ينظر شكل رقم 6).

وللرياح تأثيرات إيجابية عدة على سطح الأرض وما فيها من أبنية أثرية وحديثة، إذ تعمل الرياح على نقل كميات هائلة من الرمال والغبار أثناء العواصف الترابية وأثناء هبوبها الاعتيادي التي يمكن أن تغطي أي عائق طبيعي أو صناعي كالمواقع الأثرية مكونة ما يعرف بالتلال الصناعية، وهي النظرية المعتمدة في أصل تكوين الكثير من التلال الأثرية ومنها تلال مدينة نينوى الأثرية⁽¹⁹⁾. فتعمل هذه الترسبات على حماية المواقع الأثرية من العوارض الطبيعية والمؤثرات الجوية (ينظر لوح رقم 5).

أما العامل التآكلي للرياح فيتمثل في الضرر الذي قد تحدثه الرياح في واجهات المباني، ويكون تأثير هذا العامل أكثر وضوحاً في المناطق الصحراوية؛ إذ يساعد الجفاف وقلة الغطاء النباتي في سهولة عمليات نقل الرمال بواسطة الرياح فتعمل على نخر واجهات المباني الخارجية

(17) صلاح حميد الجنابي: جغرافية منطقة الموصل وتاريخها القديم، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، 1991، مج 1، ص 6.

(18) ياسين خير الله العمري: زبدة الآثار الجلية، ص 125.

(19) جنان جبرائيل خمو: الحفاظ على المواقع الأثرية وإحيائها لأغراض السياحة، رسالة ماجستير، غير منشورة، إشراف إحسان فتحي، جامعة بغداد، 1986، ص 43.

أما العامل التآكلي للرياح فيتمثل في الضرر الذي قد تحدثه الرياح في واجهات المباني، ويكون تأثير هذا العامل أكثر وضوحاً في المناطق الصحراوية؛ إذ يساعد الجفاف وقلة الغطاء النباتي في سهولة عمليات نقل الرمال بواسطة الرياح فتعمل على نخر واجهات المباني الخارجية بسبب سرعة اصطدام هذه الذرات بالواجهات⁽²⁰⁾ ويظهر تأثيرها من ارتفاع متر فأكثر حيث تظهر آثار النخر فضلاً عن قلع الملاط الخارجي⁽²¹⁾.

كما تعمل الرياح القوية على زيادة سرعة تبخر الماء الموجود في مسامات المواد الإنشائية بسرعة كبيرة ومن مناطق عميقة في الجدار مما يؤدي إلى تبلور الأملاح فيها وبالتالي تهشم المادة الإنشائية تاركة فراغات وفجوات وهذه الظاهرة تسمى التكيف. وأن أقصى سرعة للرياح في مدينة الموصل يكون في شهر حزيران وتموز وآب.

كما تتعرض المباني الأثرية لمشاكل عدة تختلف من حيث أنواعها وأسبابها وطريقة التأثير على المباني والمحصلة التي سوف يؤول إليها البناء، وتندرج هذه المشاكل ضمن العوامل الطبيعية المؤثرة على المباني الأثرية كونها أحد أسباب التلف أو قد تكون محصلة نهائية لتأثير العوامل الطبيعية وناتجة عنها ونستطيع أن نشبه هذه المشاكل بالمرض والمريض هو البناء الأثري، فقسم منها يظهر أعراضها واضحة والقسم الآخر يعمل بشكل خفي

لا يمكن تشخيصه إلا بالفحص. وقد تظهر هذه المشاكل بشكل منفرد وفي بعض الأحيان تجتمع أكثر من مشكلة مسببة أضرار كبيرة في الهيكل الإنشائي للبناء. وباختلاف هذه المشاكل وأسبابها تختلف تبعاً لذلك طرق علاجها. لذا سوف نسلط الضوء على هذه المشاكل من حيث سعة انتشارها في مختلف أنواع المباني الأثرية في العراق بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص وحجم الأضرار التي سوف تتركها على هذه المباني وهي:

د. الرطوبة:

تعد الرطوبة من أكثر مشاكل المباني الأثرية انتشاراً في العراق والنتيجة عن العوامل الطبيعية والمسبب الرئيس لأغلب الأضرار التي تصيبها. وتختلف الرطوبة في أشكالها ومصادرها من بناء إلى آخر وحتى على مستوى البناء الواحد "فيمكن أن تشبه الرطوبة بالحمى التي هي علامة للمرض يجب على الطبيب أن يشخص ذلك المرض الذي أحدثته الحمى"⁽²²⁾.

⁽²⁰⁾ Honegarne, op. cit, p. 163.

⁽²¹⁾ سامي عبد الحسين الكلاوي: التشقق والانهدام، ص 55.

⁽²²⁾ جيوفاني مزارى: الرطوبة في المباني التاريخية، ترجمة ناصر عبد الواحد، منشورات المركز الإقليمي، لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، 1984، ص 5.

فالرأي السائد لدى عامة الناس أن نسبة الرطوبة تكون أعلى في المباني القديمة منها في المباني الحديثة وهو رأي فيه جانب من الصحة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الرطوبة نوعان نوع ظاهر أو محسوس ونوع آخر غير ظاهر.

أما مصادر الرطوبة فيمكن أن نبدأ من الفكرة الأساس وهي أن الرطوبة تأتي من الماء لذا يجب أن نتحرى مصادر الماء وانتشاره:

مياه الأمطار، تختلف كمية الأمطار الساقطة من مكان إلى آخر وتختلف بذلك معدلاتها، وتشكل مياه الأمطار خطورة بالغة على المباني الأثرية وذلك لقدرتها على الاختراق المباشر للبناء الأثري من نقاط الضعف التي تكون منتشرة فيه، وتختلف كمية المياه الداخلة إلى البناء باختلاف اتجاه الأمطار الساقطة فتكون الكمية أكبر إذا كان اتجاه الأمطار الساقطة عمودياً وتكون الكمية أقل إذا كان اتجاه الأمطار مائلاً.

المياه السطحية، وهي مياه الأنهار والجداول والبرك، إذ تختلط هذه المياه مع التربة المحيطة بالبناء مكونة مناطق من الطين قرب الأسس فتضعف قابلية تحملها لثقل البناء (ينظر لوح رقم 6). **المياه الجوفية**، وتشمل جميع أشكال المياه التي تتجمع تحت السطح التي قد تحدث في التربة تأثيرات كيميائية فتعمل على إذابة جميع المكونات الجبسية، أما تأثيراتها الفيزيائية فتعمل على تخلخل استقرار الطبقات الصخرية لأرض البناء.

التكاثف: يحدث التكاثف عن طريق بخار الماء الذي يحمله الهواء الساخن فعند ملامسته جسيماً بارداً كأن يكون جداراً أو سقفاً يحدث التكاثف فتتجمع قطرات الماء على سطح الجدران الداخلية والتي من الممكن أن تدخل في سمك الجدار عن طريق الامتصاص⁽²³⁾ (ينظر شكل رقم 7).

تأثيرات الرطوبة:

وبالإمكان أن نجل التأثيرات التي قد تحدثها الرطوبة في المباني الأثرية بالقول إن زيادة نسبة الرطوبة تؤدي إلى تلف عناصر البناء من جدران وسقوف وغيرها⁽²⁴⁾. فضلاً عن ظهور تشققات وتصدعات بسبب تلف المادة الرابطة⁽²⁵⁾. وحدث انتفاخات أفقية في الجدران فتعمل على تشقق القشرة الخارجية للبناء. فضلاً عن انتفاخ في الأرضيات (البلاط) نتيجة لتكرار الترطيب والجفاف وتراكم الأملاح تحت الأرضية⁽²⁶⁾ (ينظر شكل رقم 8) وتلف الأخشاب عموماً وتعفنهما.

⁽²³⁾ Moraru, Dinuștefă, L. Humidity Dans Les Bat Iments Causes, Monumentum, Vol. V, 1970, p. 38.

⁽²⁴⁾ فاروق عباس حيدر: تشييد المباني، القاهرة، 1972، ص 215.

⁽²⁵⁾ سامي عبد الحسين الكفلاوي: التشقق والانهيال، ص 53.

⁽²⁶⁾ Moraru, op. cit., p. 41.

هـ. الحرارة:

وهي طاقة طبيعية وأزلية، وإن كمية الطاقة الواصلة إلى الأرض كبيرة جداً لا يمكن التغافل عنها وفي نفس الوقت تكون هذه الطاقة متغيرة في معدلاتها، إذ تتأثر بموقع الأرض من الشمس أي مقدار القرب والبعد أثناء دورتها حول الشمس وهو ما يصطلح على تسميته دورة الفصول الأربع. ويتوجب على القائمين بأعمال الصيانة أخذ هذه التغيرات بنظر الاعتبار، إذ تعد من العوامل المدمرة للأبنية الأثرية ويكون تأثيرها أكثر فاعلية عندما يكون التغير في معدلاتها مستمراً أو مفاجئاً، وينعكس هذا التغير على قابلية المواد على امتصاص أو عكس الأشعة الساقطة⁽²⁷⁾.

ويختلف تأثير الحرارة على الأبنية الأثرية بحسب اختلاف مادتها الإنشائية وعوامل أخرى تتعلق بموقع البناء ويتغير تأثير الحرارة بتغير الوسيط الناقل للطاقة وهي:

1. **الإشعاع الشمسي**، تتأثر المباني الأثرية بشدة الإشعاع الشمسي ويزداد حجم هذا التأثير أو يقل بحسب نوع الإشعاع وموقع البناء أي الجهة التي يسقط عليها فالإشعاع ينقسم عموماً إلى:
 - أ. الإشعاع الساقط على سطح أفقي، فتكون أعلى قيمة له عندما تصل الشمس إلى موقع الزوال (12 ظهراً) وبعدها تبدأ كمية الإشعاع بالتناقص.
 - ب. الإشعاع الساقط على سطح عمودي، فكمية هذا الإشعاع تتوقف على زاوية اتجاه الجدار المواجهة للشمس أي الاتجاهات الأربع⁽²⁸⁾.

2. **المدى الحراري**، هو مقدار الفرق في درجات الحرارة بسبب عامل التغير. فيطلق على مقدار الفرق في معدلات الحرارة بين الليل والنهار "المدى الحراري اليومي" ومقدار الفرق بين الصيف والشتاء "المدى الحراري الفصلي".
- تأثير عامل الحرارة على الأبنية:

(27) Feild, Bernard: Conservation of Historic Buildings, London, 1982, Vol. 2, p. 88

(28) سامي عبد الحسين الكفلاوي: التشقق والانحيار، ص29.

1. إحدات تصدعات أو انهيار كامل لبعض الجدران وذلك بسبب اختلاف عامل التمدد للمواد الإنشائية
فالمواد الإنشائية على اختلاف أنواعها تتمدد عند تعرضها للحرارة وتعود الى حجمها الطبيعي بعد فقدانها وتسمى بخاصية التمدد الحراري وهي إحدى أهم اسباب تدهور واقع حال الأبنية وقد يزداد تأثير هذا العامل أو يقل بحسب لون المادة الإنشائية فالمواد ذات اللون الغامق تمتص حرارة أكبر، فضلاً عن ذلك فقد يكون لسبك البناء دور أيضاً فكلما كانت كتلة البناء خفيفة ورقيقة ازدادت معدلات تأثير الحرارة (ينظر لوح

رقم 7) بعكس الجدران السميكة فقد تستوعب الفرق في درجات الحرارة⁽²⁹⁾.
وتتحدد حجم الأضرار التي قد تصيب المباني الأثرية بسبب عامل الحرارة بالعوامل الآتية:
مقدار التغير في حجم المادة الإنشائية عند تمددها الأفقي والعمودي.
 مرونة المادة الإنشائية.

قابليتها على تغيير شكلها عند تعرضها للضغط.
مقدار تأثير المادة الإنشائية بالعناصر الأخرى المكونة للهيكل الإنشائي⁽³⁰⁾.
مقدار وجود الرطوبة في الجدران، إذ يعمل الماء كعامل مساعد فتكرار تجمد الماء الموجود في المسامات ثم عودته إلى الحالة السائلة يعمل على إضعاف قوة تماسك جزيئات المادة الإنشائية.

مقدار تغير نسبة الرطوبة في المادة بسبب عامل التبخر السريع.
كما يعتمد التمدد الحراري الحاصل في الأبنية بدرجة كبيرة على نوع المونة المستعملة، فالمونة الجيرية (الكلسية) قابلة للانضغاط في حين لا يسمح السمنت بهذه النسبة المريحة من التمدد.

ويظهر تأثير التمدد الحراري واضحاً في الجدران التي يزداد طولها على 30م كما أن تأثير التمدد يظهر في الأجزاء العليا من المبنى حيث تكون أكثر عرضة لأشعة الشمس المباشرة.
وتشير المصادر التاريخية في سنة 146هـ اشتد البرد في مدينة الموصل حتى انجمد نهر دجلة حتى ثلاثة أذرع⁽³¹⁾.

⁽²⁹⁾ Feilden, op. cit., pp. 89-90

⁽³⁰⁾ جنان جبرائيل خمو: الحفاظ على المواقع الأثرية، ص36.

⁽³¹⁾ (2) ياسين خير الله العمري: زبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، ص 47.

الأملاح الذائبة في التربة التي تعد المصدر الرئيس للأملاح بسبب وجود اتصال مباشرة مع الجدران ويمكن تحديد نوع الأملاح من خلال معرفة نوع التربة التي هي مصدرها، وعموماً تنقسم الترب من حيث وجود الأملاح إلى تربة قاعدية تحتوي على أكاسيد الحديد والألمنيوم ونسبة من المعادن وتربة ملحية تحتوي على كلوريد الصوديوم وقسم من السلفات والنترات وهي أملاح يمكن أن تذوب في الماء. وكذلك الأملاح الموجودة في الآجر الرديء (أي المفخور بدرجة أقل من 900o).

فضلاً عن الأملاح الناتجة عن رد فعل المواد الرابطة على المواد الإنشائية كالسمنت، الذي قد يستخدم في الصيانة، أو الأملاح الموجودة في الجص مادة البناء الأصلية⁽³²⁾ (ينظر لوح رقم 8).

ز. الزلازل:

هي إحدى المخاطر التي قد تصيب المباني الأثرية فتتحول بفعلها الكثير من المدن والمباني إلى خرائب وأطلال وتحدث الزلازل في مناطق محددة من العالم ويعتمد مقدار الضرر الحاصل في المباني الأثرية على قوتها ولا يمكن تحديد حجم الضرر الذي يمكن أن يحدث، لذا يجب صيانة المباني الأثرية بشكل علمي ومدروس وذلك لتقليل مخاطر انهيارها نتيجة الزلازل في حال حدوثها⁽³³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن عموم مدن العراق والمواقع الأثرية لا تقع ضمن المناطق المعرضة لخطر الزلازل لذا سوف لن نستطرد في شرح أسبابه وتأثيراته. ألا أننا لا نستطيع تعميم هذا الحال فقد لا يخلو الواقع من مثال على تأثير هذا العامل حيث كان من نتائج الزلزال الذي ضرب مدينة الموصل في أواخر الأربعينيات من القرن الماضي أن سقط الجزء الأعلى من منذنة جامع النبي جرجيس وهي من مآذن العصر العثماني المتأخر في الموصل.

وقد حدث في سنة (1178هـ/1764م) زلزال عنيف⁽³⁴⁾. وكما يذكر المنقب فولتر اندريه الى حدوث هزتين ارضيتين متوسطة الدرجة سنة 1914م خلال فترة تنقيباته في قلعة الشرفاء وكان آثار الزلزال واضحة على خنادق التنقيب والقلعة وحتى على مدينة الحضر.

(32) بيار ج: تقرير بعثة اليونسكو، نيسان، 1969، صيانة النصب التاريخية في العراق، ص 1.

Baldrara, Alejandro: Earthquake Damage to Historic Masonry Structures, Conservation of Building Decorative Stone, London, (33)

.1998, Vol. 2, p-p. 6-8

(34) ياسين خير الله العمري: زبدة الآثار الجلية، ص 123.

ج. الصواعق:

من العوارض الطبيعية التي قد تصيب الأبنية الأثرية بأضرار مختلفة لا يمكن تحديد حجمها أو نوعها وذلك كونها تعتمد على مجموعة من المتغيرات، منها درجة المقاومة التي قد توفرها أجزاء المبنى فضلاً عن نسبة الرطوبة فيها وفي الغالب تكون الأضرار الناتجة عن الصواعق جزئية وغير مدمرة لأنها تصيب مناطق محددة منه.

ومن الممكن وضع حلول آنية لهذه المشكلة عن طريق عمل مانع صواعق تربط بأسلاك توصيل إلى الأرض حيث تفرغ الشحنة⁽³⁵⁾.

ط. النباتات:

تتسبب بعض أنواع النباتات ومنها المتسلقات بأضرار على الأبنية الأثرية، ولاسيما إذا نمت بالقرب منها أو على واجهاتها وذلك بسبب الضرر الذي قد تحدثه جذورها التي تمتد إلى الجدران وأرضيات المباني وتعمل هذه النباتات على إدامة دورة المياه في التربة التي تساعد على نمو وتكاثر الفطريات والعفن⁽³⁶⁾.

وعموماً يمكن أن تحصر تأثير النباتات

بما يأتي:

التأثير الكيميائي: يتمثل في تكوين الأحماض التي تحلل كربونات الكالسيوم وتشكل مركبات تتحلل في الماء.

التأثير الميكانيكي: يتمثل في الأضرار التي يسببها كبر حجم الجذور داخل فراغات الجدران والأسس. تسبب النباتات عزلاً كاملاً لسطح الحجر مما يؤثر على عمليات التبخر ويبقي الرطوبة داخل البناء (ينظر لوح رقم 9).

ي. الحيوانات:

تعد الطيور من أخطر ما يؤثر على المباني الأثرية فهي قد تعيش فيها بشكل جماعي، وترمي بفضلاتها العضوية بكميات كبيرة وما تحدثه من تفاعلات حامضية تؤثر بشكل كبير على مادة البناء، فضلاً عن تعفن البكتريا التي تنتج عن هذه الفضلات في حال ترطيبها. أما الفئران فهي ثاني أخطر الحيوانات أثراً على المباني الأثرية ولاسيما أنها تتوالد بأعداد كبيرة وقد تحدث

(35) عبد القادر الريحاوي: المباني التاريخية، ص 19.

(36) Honeyborne, op. cit, p. 163 (4).

أضراراً لا يمكن تصورها من الحفر في الجدران والسقوف الخشبية، ومن الحيوانات التي تحدث أضرار في المباني الأثرية الطيور والفئران والخفّاش التي تتكاثر في المباني الأثرية كما في حصن الأخيضر وأواوين مدينة الحضر (ينظر لوح رقم 10).

ك. مشكلة التلوث:

قد يحدث التلوث لأسباب عدة منها:

الصوت: من أخطر ما يؤثر على المباني الأثرية، فأصوات الطائرات والانفجارات التي تؤدي إلى خلخلة البناء عن طريق إصطدام الموجة الصوتية بها.

الكاربون: وهي عملية اتحاد حامض الكربونيك مع بعض القواعد ومع كربوناتها.

التأكسد: وهي عملية اتحاد الأوكسجين مع العناصر الداخلية في تكوين المواد الإنشائية⁽³⁷⁾.

الخاتمة

من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة نستطيع القول ان الركيزة التي يمكن ان نعول عليها في استدامة الحفاظ على الإرث الحضاري هي الوعي المجتمعي بقيمة هذا الارث وما يمثله من اهمية على الصعيد المحلي والدولي .

ومن خلال هذه الخطوة يمكن ان نبنى اللبنة الاولى لخلق مجتمع يدرك اهمية القيمة المادية والمعنوية لهذا الارث الكبير الذي تقع على عاتقه مهمة الحفاظ عليه والذي سوف تنطلق منه بذرة الأمل لبداية خطوات فعلية يمكن تطبيقها على ارض الواقع من خلال تجنب تأثير هذه العوامل . والعمل على ايجاد حلول فعلية لاهم المشاكل التي يعاني منها هذا الارث الحضاري .

(37) بهجت رشاد شاهين: التلوث البيئي والعمارة، ص268.

تحقيق نفائس أثرية بالمدرسة النظامية في الموصل

جُرِّفَتْ في 24/7/2014 من قبل داعش

أ.د. احمد قاسم الجمعة / كلية الاثار / جامعة الموصل

(ملخص)

للموصل رفد حضاري منذ عصور ما قبل التاريخ واستمر في العصور التاريخية القديمة، وتضاعف خلال العصور العربية الاسلامية في المجالات كافة، ولاسيما المباني المتعددة الوظائف من: سكنية ودينية وخدمية ودفاعية التي حافظت على تواصلها الحضاري، وتعداها الى التطور والابتكار. وقد تضمن البحث دراسة ميدانية تحقيقية لثلاث نفائس أثرية في مبنى المدرسة النظامية في المدينة التي أنشئت في القرن الخامس الهجري، واتخذت مزاراً للأمام محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) في القرن السابع الهجري، ومرت بإدوار عمارية متعددة تركت خلالها نفائس أثرية متنوعة، منها محربين وشباك تناولتها الدراسة، علماً أن المبنى أصبح أثراً بعد عين بعد تجريفه، من قبل داعش بتاريخ 24/7/2014 .

اولاً: محراب ضريح المبنى

يتوسط المحراب الجدار القبلي لغرفة ضريح المبنى، ويتكون من قسمين من الرخام احدهما صدر المحراب الذي يتألف من قوسين مفصصين مزدوجين يرتكزان على عمودين مزدوجين من كل جانب، ويحف به شريط كتابي بالخط الكوفي البسيط متضمناً نصوصاً قرآنية، وزينت باطنه جامات هندسية متتالية، وقد أثبتت الدراسة أن هذا القسم يعود الى الدور العماري الأول للمبنى في القرن الخامس الهجري، أما القسم الثاني المتقدم للمحراب فقد استحدث في دور لاحق، ويتكون بدوره من عقد نصف دائري مدبب تشغله المقرصنات، ويحملة عمود مضع من كل جانب، وتفصله عن القسم الاول جوانب داخلية عليها كتابات بخط الثلث تتضمن نصوصاً قرآنية، ويحف بالعمودين من كل جانب اطار من كتابات قرآنية بخط الثلث، واثبتت الدراسة ان هذا القسم يرجع الى القرن الثامن الهجري، واقتضت الضرورة استحداثه خوفاً على القسم الاول من الاندثار بعد ارتفاع ارضية المبنى .

ثانياً: شباك ضريح المبنى

يقع الشباك في الجدار الشرقي لغرفة الضريح، ويتكون من طار مستطيل من الرخام، يحف بفتحة، وشغل بشرط كتابي بخط الثلث متضمناً نصاً قرآنياً، وتعلوه فتحة مصنجة ترتكز من كل جانب على كابل أصم، وشغلت بنص من الكتابة التذكارية بخط الثلث، وقد نفذت الكتابة بطريقة تنزيلها (تطعيمها) بمادة الجبس.

ولنص العتبة أهمية تاريخية كبيرة لأنه عرفنا على القاب جديدة، واسم أحد ولاية الموصل في العهد اللايلخاني، فضلاً عن تاريخه المدون (أحد وثلثين وسبعمائة هلالية) الذي يُعين الباحثين على ارجاع العناصر العمارية المماثلة غير المؤرخة الى تاريخها التقريبي عن طريق الدراسة المقارنة، علماً أن نص العتبة سبقنا الى قراءته كل من: من سيوفي، والديوه جي، وهرتز فيلد، والباشا، وذنون، لكن بعد قراءتنا للنص إتضح أن جميع تلك القراءات لم تسلم من هفوات كزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأخطاء.

ثالثاً: محراب بئر المبنى

لدى التحري عن النفائس الاثرية رأيت قطعة رخامية تنم عن أثريتها ملصقة بجدار البئر على ارتفاع نصف متر تقريباً عن مياهه التي تسبح به الافاعي فاستدعيت طالبين من طلبة الدراسات العليا، وطلبت منهما ربطتي بجلين وانزالي الى مستوى القطعة الرخامية، وباشرت بتخطيطها ورسم معالمها الفنية، وبعد اخراجي من البئر، وتحقيقي لتلك المعالم اتضح لي أنها كانت تمثل بعضاً من الاطار الايمن لمحراب من العهد الاتيبيكي.

وهكذا خلص البحث بالتعرف بأهمية بعض النفائس الاثرية في المبنى بدراسة ميدانية تحقيقية، وتصحيح بعض الهفوات التي انتابت الدراسات السابقة لها، وعرفت بأهميتها الاثرية، والادوار العمارية التي مر بها المبنى.

هذا وزود البحث بالعديد من التخطيطات الهندسية والرسوم الفنية لنفائس المبنى المدروسة المنفذة من قبل الباحث.

تحقيق نفائس أثرية بالمدرسة النظامية في الموصل جُرِفَتْ في 24/7/2014 من قبل داعش

يتوسط مبنى المدرسة مدينة الموصل القديمة بجوار الجامع النوري من الغرب (رسم 1) وكان قد نهض ببنائها الوزير السلجوقي نظام الملك (485-408هـ/1092-1017م)، ثم أُتخذت مزاراً للأمام محمد الحنفية (رضي الله عنه) في عهد بدر الدين لؤلؤ في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي⁽¹⁾.

وقد مر المبنى بأدوار عمارية متعددة فيما بعد أدت الى تغيير تخطيطه الاصلي الذي لم تسعفنا المصادر التاريخية، ولا الادلة الاثرية عن شكله، وما وصلنا منه قبل تفجيره من قبل داعش في (24/7/2014م) عبارة عن سلم يؤدي الى فناء صغير منخفض، تجاوره من الغرب غرفة، ويتقدمه من الجنوب رواق يفتح من بداية جهته اليمنى على غرفتين متجاورتين يتصدر الخلفية منهما بئر، ويفضي الرواق من منتصف الجهة المذكورة الى غرفة تضم صندوق قبر من المرمر، وتفتح بدورها بواسطة مدخل من الرخام الى غرفة ضريح المزار المتميزة بسعتها وتغطيتها بقبة نصف كروية، ويتصدر جدارها القبلي محراب من الرخام، فضلاً عن صندوق قبر من الخشب الساج، والى الغرب منها غرفة (رسم 2).

ويضم المبنى العديد من العناصر العمارية من محاريب ومداخل وشبابيك وصناديق قبور سيتناول البحث بعضها بدراسة ميدانية تحقيقية تعرف بهيئاتها العمارية الاصلية، وخصائصها الفنية، والادوار العمارية التي ترجع اليها.

اولاً: محراب ضريح المبنى

يتوسط المحراب غرفة الضريح شأنه في ذلك شأن المحاريب الاسلامية تيمنا بالحديث الشريف (وسطوا الامام وسدوا الخل)، ويتخذ شكلاً مستطيلاً (181×120سم) من مادة الرخام، قوامه عمودان متماثلان، يتكون كل منهما من بدن مضلع وتاج مزهري وقاعدة على نفس الغرار، ولكن بصورة مقلوبة، ويعلوها عقد نصف دائري مدبب على هيئة نصف قبة يشغل باطنه صفان من المقرنصات متوجان بقوقعة محارية ذات أضلاع مجوفة ويحف بكل عمود من الخارج إطار تعلوه قطعة تفصل بينه وبين رجل العقد، ومدون على الاطار بخط الثلث البارز نصاً قرآنياً يتضمن البسملة والآية (17) من سورة التوبة والخاتمة (رسم 3، 4).

(1) الديوه جي، سعيد، الموصل في العهد الاتاكي، الطبعة الاولى، 1440هـ، 2019، ص 218.

أما صدر المحراب فيعد محراباً مسطحاً كامل الخصائص المعمارية حيث يتكون من قطعة واحدة من الرخام مستطيلة الشكل (111×72 سم)، يتوجه قوسان مفصصان مزدوجان الداخلي منها بارز قطاعه محدب، أما القوس الثاني فهو خارجي غائر نفذ بواسطة الحفر المشطوف، وحفرت بداخله كتابة بالخط الكوفي البسيط المحفور نصها الآية الكريمة (1) من سورة المؤمنين (رسم 7) وعلى كل من جهتيه عنصر شبيه بورقة العنب الخماسية (2).

ويرتكز القوسان من كل جانب على عمودين مزدوجين الخارجيين من بدن اسطواني تشغله زخارف هندسية، بينما الداخلي مؤلف من عدة قطع اسطوانية متتالية وتعد هذه الهيئة من الإبدان ابتكار في الموصل لم نعهدها في بقية العالم الإسلامي، في حين تتخذ التيجان الهيئة الكأسية، أما القواعد فقد إنطمرت في أرضية المبنى، ومن المعتقد أنها شبيهة بالتيجان، ولكن بصورة مقلوبة استناداً إلى الدراسة المقارنة (رسم 3).

ويشغل باطن الصدر جامات هندسية رباعية لها رؤوس قائمة الزوايا، ويتوسط كل ضلع من اضلاعها قوس نصف دائري، فضلاً عن دائرة تتوسط كل جامة. وقد نبه العالم الفرنسي (مارسيه) إلى أن هذه الأشكال من الجامات الهندسية ظهرت في زخارف سامراء في القرن (3هـ/9م)، ومنها انتقلت إلى مصر في العصر الفاطمي، وجاوزتها إلى جزيرة صقلية، وتعدتها إلى الفن المسيحي (3).

ويحيط بصدر المحراب من أعلاه وجهتيه إطار من الخط الكوفي البسيط يشبه بمميزاته الفنية كتابة القوس الخارجي متضمناً البسملة والآية (18) من سورة آل عمران وعبارات دينية (رسم 6). وللمحراب جوانب داخلية تفصل الأعمدة المتقدمة عن صدره على هيئة رخامتين تقع كل منهما في أحد الجانبين مدون عليهما كتابة بخط الثلث البارز متضمنة الآية (18) من سورة آل عمران (رسم 5 و8).

والمحراب لا يحمل تاريخاً مدوناً، ولكن مما لا شك فيه أن أجزاءه لا تعود لعصر واحد وإنما ترجع لأكثر من عصر مثله في ذلك مثل البناء نفسه الذي مر بأدوار عمارية متعددة ونورد الأدلة التي تؤكد ذلك:

(2) الجمعة، أحمد قاسم، محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القاهرة، 197م، 1، ص 192.

(3) فهمي، عبد الرحمن، دراسة لبعض التحف الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1م، العدد 1، القاهرة، 1967، ص 199، حاشية 1.

1 - اختلاف مستويات اجزاء المحراب، فصدره قد إنطمر القسم الاسفل منه بدليل عدم ظهور قواعد الاعمدة، وانطمار معظم اجزاء جامته الهندسية السفلى، كما أن الآية القرآنية الكريمة المحيطة بالصدر ناقصة فأخر كلمة منها تنتهي في اسفل الجهة اليمنى (القسط)، وأول لفظة الجلالة (الله) تبدأ من اسفل الجهة المقابلة مما يدل على ان كلمات الآية الأخرى المحصورة بينهما قد انطمرت في ارضية البناء(4). بينما كانت الجوانب الداخلية للقسم المتقدم للمحراب والاعمدة الامامية التي تحمل عقدة والاطر المدون بخط الثلث الذي يحف بها من الخارج ظاهرة كلها فوق الارضية.

2 - عدم تجانس الكتابات المدونة على اجزاء المحراب فمثلاً نلاحظ أن الكتابة المنفذة على صدر المحراب من نوع الخط الكوفي البسيط (رسم 6 و7) بينما كتابة الجوانب الداخلية، وكذلك المدونة على الاطار الذي يحف بالاعمدة المتقدمة (رسم 4 و5) مما يوحي بأنها نفذت بأيدي فنية متعددة، وترجع لعصور مختلفة.

ج- ان جميع العناصر المعمارية والفنية من زخارف وكتابات في صدر المحراب غائرة ومنزلة بالبياض(5). في حين كانت الكتابات المدونة على الجوانب الداخلية، وكذلك المنفذة على الاطار الخارجي الذي يحف بالاعمدة المتقدمة بارزة.

وبعد سرد الادلة التي اثبتت عودة اجزاء المحراب لأكثر من عصر اصبح من الواجب تتبع الادوار المعمارية لتلك الاجزاء لكونها لا تحمل تاريخاً تذكاريّاً مدوناً ولهذا عمدت الى مقارنة عناصره المعمارية والفنية بعناصر مماثلة لتحقيق ذلك.

1 - مما لا شك فيه ان صدر المحراب يعد اقدم اجزائه، وذلك لانطمار قسمه الاسفل كما مر بنا، فضلاً عن تخطيطه وعناصره المعمارية من اعمدة واقواس مزدوجة بارزة وغائرة شبيهة تماماً بالمحراب المسطح المنقول الى كنيسة مارتوما بالموصل من منتصف القرن الخامس الهجري(6). وأن عناصره الزخرفية المكونة من جامات هندسية وجدت بسامراء في القرن الثالث الهجري وما بعده، اما كتاباته الكوفية المحيطة بالصدر، وداخل القوس الغائر فشبیهة تماماً بتلك الكتابة التي نفذت على المحراب المنقول الى الكنيسة المذكورة، ولهذا أرجح عودة صدر المحراب الى منتصف القرن الخامس الهجري، وإنه كان يمثل المحراب الاصلي للمدرسة والدور العماري الاول له.

(4) الجمعة، المرجع السابق، ص198.

(5) بخلاف ما ذكره الديوه جي، من ان المحراب مطعم بالمرمر الابيض، الديوه جي، سعيد الموصل في العصر الاتابكي، الطبعة 1، بغداد، 1958م، ص134.

(6) الجمعة، المرجع السابق، ص125-124.

وإذا تناولنا القسم المتقدم للمحارب والظاهر للعيان بعناصره كافة بالتحقيق نجد ان عقده والمقرنصات والقوقعة المحارية التي تشغل باطنه هي دون المستوى العماري والفني التي شاعت منذ العصر الاتابكي في القرن السابع الهجري كما في محراب جامع الامام الباهر (7). (رسم 9) بسبب انحسار الناحية العمارية والفنية بعد سيطرة المغول الايلخانيين على الموصل عام (660هـ/1261م)، ولكنها بنفس الوقت مشابهة لعقود ومقرنصات العهد الايلخاني من القرن الثامن الهجري، كما هو الحال في عقود طاقات كنيستي شمعون الصفا ومار أشعيا (8). فضلا عن ذلك ان الابدان المضلعة والتيجان المزهرية والكراسي المكعبة التي تفصلها عن الابدان لم يكثر شيوعها الا في ذلك العهد، كما في محراب مزار بنجة علي (9).

اما الكتابات في الجوانب الداخلية، والاطر الذي يحف بالأعمدة فقد دونت بخط الثلث وفق طريقة المستعصمي التي شاعت منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وتأكدت في القرن الثامن الهجري ولاسيما تراكم الكلمات، واستطالة الحروف ورشاققتها، ووجود الزلف في رؤوس الحروف القائمة والنهائية المحققة لبعضها في الاسفل، على الرغم من وجود ملامح لطريقة ابن البوب، ولاسيما شيوع تسلسل الكلمات والتوين والتشعير في الحروف القائمة (10). (رسم 4 و5) ونتيجة لكل ما تقدم اميل الى إرجاع القسم الظاهر المتقدم من المحراب الى عهد تجديد لاحق في القرن الثامن الهجري.

ونستخلص من كل ما تقدم ان المحراب كان بالأصل مسطحاً -اعني- الصدر فقط وهو النوع الذي ساد في مدارس الموصل منذ القرن الثالث الهجري وحتى نهاية العصر الاتابكي (11). التي لا تحتاج الى المحاريب المجوفة كما في المساجد الجامعة، ولكن الضرورة العمارية اقتضت اضافة القسم المتقدم للمحراب فيما بعد اثر زيادة سمك جدار الحضره اثناء الترميمات خوفاً عليه من الانطمار.

ثانياً: شبك ضريح المبنى

يقع الشباك في الجدار الشرقي لغرفة الضريح المطل على الرواق، ومؤلف من عدة قطع من الرخام الاسمر الداكن ركبت على هيئة اطار مستطيل (2.27 × 1.45م) شغل بشرط كتابي عريض محاط بفرز رشيق من الاوراق المتتابعة، وكل ذلك يحيط بفتحة (0.92 × 30.82) تعلوها عتبة مصنجة تتضمن نصاً تذكاريّاً، ويتمركز كابل أصم في كل ركن من ركنيها العلويين (رسم 10).

(7) المرجع نفسه، رسم 281، 291،

(8) الجمعة، احمد قاسم، الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القاهرة، 1975م، 32، ص 661، 672، رسم 119، 108.

(9) المرجع نفسه، ص 661.

(10) الجمعة، المرجع نفسه، م 1، ص 154، 155.

(11) الجمعة، احمد قاسم، الدلالات المعمارية وتجسيدها الحضاري، موسوعة الموصل الحضارية، الطبعة [1]، 1412هـ/1992م، جامعة الموصل، م 3، ص 332.

ولعل اهم ما في الاطار هو الشريط الكتابي الذي نفذ بخط الثلث وفق طريقة المستعصمي نصه (بسم الله الرحمن الرحيم، چپ پ ن ن ذ ت ت تچ چ ذ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ک کچ (الرسم السابق).

ومن المميزات الخطية لكتابة الشريط تراكب الكلمات، واستطالة بعض الحروف ورشاقتها ووجود الترويس المقترن بالزلف (الدائرة) الخلفية، والتزيين الخطي بالحركات والزخارف الخطية، والحروف الراجعة، والرسم الجديد لبعض الحروف عما كان عليه في العصر الاتابكي، ومنها حرف الواو التي أصبح مخطوفاً بعد أن كان مجموعاً.

والجدير بالذكر أن هذه الهيئة من الكواويل شاعت منذ العصر الاتاكي، وتعدتها الى العصر الايلخاني، بيد ان جوانبها الخارجية كانت مزخرفة في العصر الاول، بينما خلت من ذلك في العصر الثاني⁽¹²⁾.

(12) الجمعة، المرجع السابق، ص 330.

وبخصوص العتبة العليا التي تعلو الفتحة فمؤلفة من صنوج كاملة ونصفية ذات هيئات كاسية وقد نفذ عليها نص كتابي بخط الثلث وفق طريقة ياقوت المستعصي علي هيئة ستة صفوف تضمنت النص التذكاري الآتي:

- 1 - جدد هذا الشباك المبارك في
- 2 - ولاية المولى الحسيب النسيب الطاهر النقي كمال
- 3 - الدين حيدر بن شرف
- 4 - الدين محمد بن عبيد الله الحسيني
- 5 - اعز الله نصاره في شهور
- 6 - سنة احد(13). وثلثين(14). وسبعمئة هلالية(15).

ومما يجدر ذكره ان النص سبقنا الى قراءته كل من سيوفي، والديوه جي، هرتز بفيلد، والباشا، وذنون، لكن جميع تلك القراءات لم تسلم من هفوات كزيادة او نقصان وتقديم وتأخير واخطاء، وان كانت قراءة يوسف ذنون اقرب الى الصواب(16).

وللنص أهمية كبيرة تتجلى في النواحي التالية:

1 - الكشف عن القاب جديدة استخدمت في العصر الايلخاني مثل الحسيب والنسيب والنقي فلقب الحسيب مشتق: من الحسب وهو لقب فخري يطلق على الشرفاء من ولد الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه). اما لقب النسيب: فمشتق من النسب ومرادف للحسب ويشير الى نفس المعنى(17). بينما لقب النقي: فيعني النظيف، ويستعمل ضمن القاب النبي (صلى الله عليه وسلم) في العصر الفاطمي(18).

2 - يُعرف النص بأحد ولادة الموصل في العصر الايلخاني (كمال الدين حيدر بن شرف الدين محمد بن عبيد الحسيني) الذي يطابق عهده عهد الملك الايلخاني (ابي سعيد بن خدابنده (736-716).

(13) كذا بالأصل والصحيح (احدى) .

(14) كذا بالأصل والصحيح (ثلثين) جريا على طريقة النصوص القرآنية .

(15) انظر الرسم (11) .

(16) الجمعة، المرجع السابق، ص636-634 .

(17) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص259 .

(18) المرجع نفسه، ص535 .

3 - التاريخ المدون (731هـ) الذي ورد بالنص أفادنا بالتعرف على العديد من المآثر العمرانية بالموصل المماثلة بالميزات الفنية والعمرانية عن طريق الدراسة المقارنة.

ومن ملاحظتنا على الناحية الخطية والفنية للنص انه نفذ بطريقة التنزيل بواسطة الجص - كما اسلفنا - ، وتتبع مميزاته طريقة المستعصي، ولا سيما الترويس المقرون بالزلف، فضلاً عن رسم جديد لبعض الحروف ومنها حرف الكاف الذي اصبح (مبسوطاً) كما في كلمتي (الشباك) و(المبارك) باستثناء نفس الحرف في كلمة (كمال) الذي بقي مشكولاً، وكثرت في الكتابة حركات التشكيل والتزيين والزخرفة. ويظهر ان الفنان لم تكن غايته التزيين الخطي فحسب، بل التخلص من الفراغ بين الكلمات بدليل اشغال الاقسام السفلى، وكذلك النصوص العليا للصنجات الخالية من الكلمات بالاوراق النباتية المحورة (رسم 11).

ثالثاً: محراب بئر المبنى

لدى التحري عن النفائس الاثرية في المبنى، ومنها بئرها الذي كان مغلقاً الا من فتحة صغيرة، فعمدت الى توسيعها لمشاهدة ما في البئر بواسطة المصباح وعندها رأيت قطعة رخامية ملتصقة بجداره الداخلي وعلى ارتفاع نصف متر تقريباً عن الماء الذي كان يحتويه وفيه افاعي في حركة دائبة.

ولما لاحظت بعض الكتابات والجامات الهندسية على الرخامة تتم عن اثريتها قررت دراستها وهاتفت طالبين من طلبتي لمقابلتي صباح اليوم التالي وبمعيتهما حبلين، وتم ذلك واريدت ذلك بطلبي منها ربطتي جيداً بالحبلين وانزالي داخل البئر الى مستوى القطعة بعد امساك كل منهما بأحد الحبلين، وعندها ارتعدا وقال ألا تخاف يا استاذ من هذه الافاعي فقلت لا بعد ربطتي بالحبلين من قبلكما، وبعد ذلك باشرت بتخطيط الرخامة ورسم معالمها الفنية وقبيل انتهائي من ذلك قفزت احدى الافاعي ولمست قدمي الايسر فارتجفت وسارع الطالبان اخراجي من البئر وانا بحالة يرثى لها، ولدى عودتي الى حالتي الطبيعية اخذت اتفحص رسومي للقطعة فوجدتها بهيئة غير منتظمة اقرب الى المستطيل (65×95سم) تمثل بالأصل عنصراً عمارياً لم يبق منه سوى شريط كتابي يوازيه اطار زخرفي يفصل بينهما فريز مقصر (رسم 12).

فالشریط عبارة عن كتابة بخط الثلث وفق طريقة ابن البواب تتضمن النص التالي (اللهم صل على محمد المصطفى....) (الرسم السابق) وبالرغم من فقدان معظم النص الا ان المتبقي منه يشير الى انه كان بالأصل يمثل بداية لأدعية خاصة بالبيت الاطهار التي شاعت على بعض المباني الاثرية في الموصل منذ نهاية العصر الاتابكي وامتدت الى العصر الايلخاني⁽¹⁹⁾.

ومن المميزات الفنية الترويس والتشعير في الحروف الاولى، والتزيين الخطي بالعنصر الهلالي، فضلاً عن القطاع المسطح للحروف، وقصر الحروف وامتلائها وتنفيذها على ارضية مقعرة، وهي من المميزات التي شاعت مباني بدر الدين لؤلؤ (657-630 هـ) نهاية العصر الاتابكي⁽²⁰⁾.

اما الاطار الزخرفي فما تبقى منه سوى جامتين مستطيلتين ذات قوس ثلاثي يتصلان ببعضهما بحلقات رابطة، وتشغلها زخارف من الاوراق النخيلية الثلاثية وانصافها والعناصر الهلالية. ومثل هذه الجامعات الهندسية تمثلت هي الاخرى في الاطر التي تحف بالعديد من المداخل والمحاريب التي تنسب هي الاخرى الى بدر الدين لؤلؤ كمدخل مزار الامام عون الدين والمحراب الصيفي في الجامع النوري في الموصل⁽²¹⁾. (رسم 13). وهذا يجعلنا نرجح ان القطعة كانت بالأصل تمثل بقايا لاطار مدخل أو محراب. بيد أن جامات أطر المداخل تتميز بكبر حجمها اذا ماقيست بجامات المحاريب، ومنها جامات القطعة التي تصغر عنها مما حدى لي الى اعتبارها كانت جزءاً من اطار محراب .

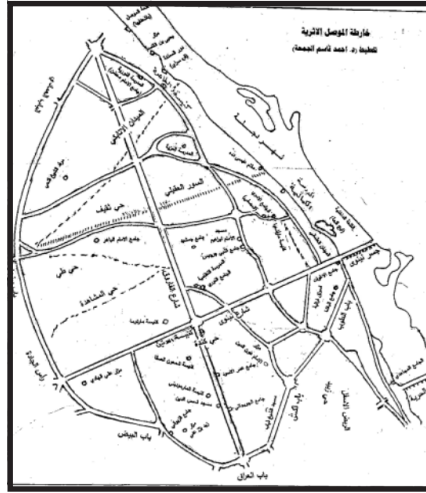
وبخصوص الجزء التي كانت القطعة تمثله من المحراب وموضعه بالأصل، فنرجح انه كان جزءاً من الجانب الايمن للاطار، لان الوضعية المعتدلة للجامعات الهندسية المزخرفة تتطلب ذلك، بينما لو كانت تابعة لقسمه العلوي لأصبحت الجامات بوضعية افقية، وهذا غير مألوف قياساً للجامات المشابهة التي وجدت على نظائرها في عناصر عمارية آتابكية ترجع لمنتصف القرن السابع الهجري من عهد بدر الدين لؤلؤ، كما هو الحال في مدخلي مزار الامام عون الدين وجامع الامام الباهر ومحراب جامع النوري الصيفي (رسم 13) كما اسلفنا ويؤكد ذلك الترجيح كون الاشرطة الكتابية المماثلة في المدخلين السابقين تتجه نهايات حروفها نحو الداخل وتحاذيها الجامات الهندسية من الخارج، في حين تتجه رؤوس الحروف نحو الخارج، بينما لو كانت القطعة تمثل الجانب الايسر لاطار المحراب لأصبح الشريط الكتابي من الداخل بحيث يكون بوضعية شاذة ولما كان نص الشريط المتبقي في المحراب يبدأ بكلمة (اللهم) التي تدل على بداية الدعاء لذا نرجح ان القطعة المتبقية من المحراب تمثل القسم الاسفل من جانبه الايمن.

(19) الجمعة، المرجع السابق، ص 576.

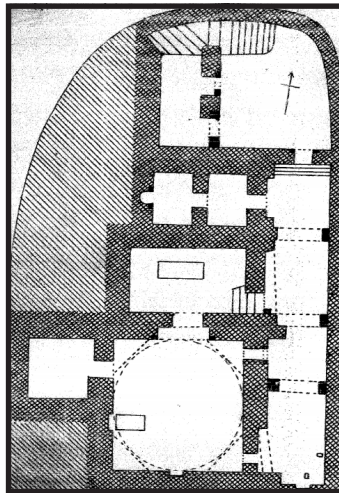
(20) المرجع نفسه، ص 445، 450.

(21) الجمعة، محاريب مساجد الموصل، ج 1، ص 298، 299.

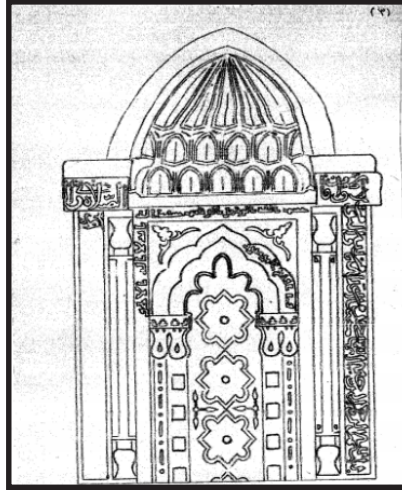
والمحارب لا يحمل تاريخاً مدوناً، كما ان البناية التي وجد فيها مرت بأدوار عمارية متعددة بحيث لا يمكن الركون اليها في تحديد زمنه، بيد ان التشابه الكبير بين المميزات الفنية في لأطاره وشريطه الكتابي مع نظائرها التي شاعت على عناصر عمارية من عهد بدر الدين لؤلؤ (-630 657هـ) كما مر بنا. تجعلنا نرجح عودة المحارب الى عهد العاهل المذكورة، وربما احد اعماله .



رسم (1)
خارطة الموصل القديمة

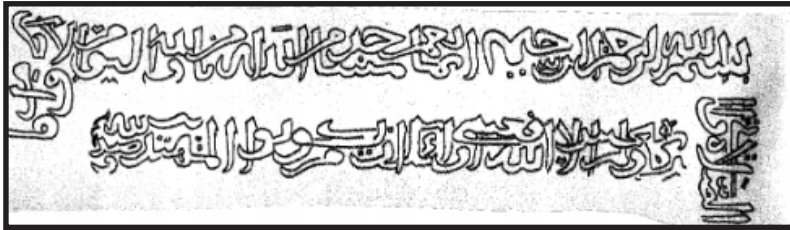


رسم (2)
تخطيط مبنى المدرسة النظامية قبل تدميرها في 24/7/2014
تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (3)

تخطيط محراب ضريح المدرسة / تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



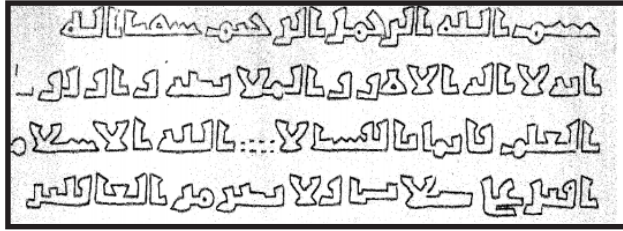
رسم (4)

كتابة بخط الثلث على الاطار الخارجي لمحراب ضريح المدرسة
رسم د. احمد قاسم الجمعة



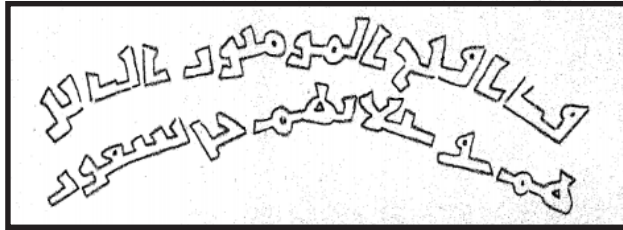
رسم (5)

كتابة بخط الثلث على الجوانب الداخلية لمحراب ضريح المدرسة
رسم د. احمد قاسم الجمعة



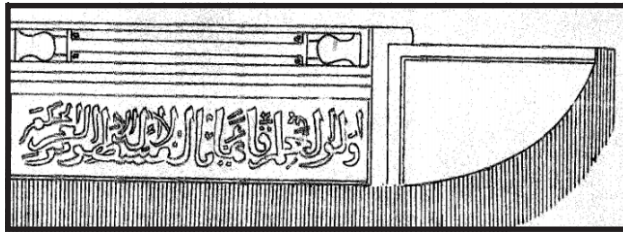
رسم (6)

كتابة بخط الكوفي محيطية بصدر محراب ضريح المدرسة
رسم د. احمد قاسم الجمعة



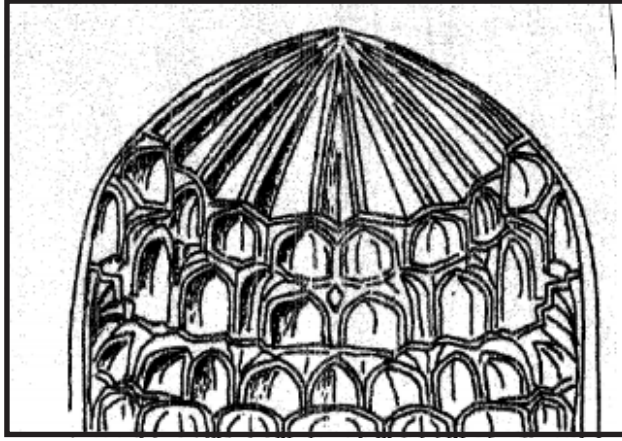
رسم (7)

كتابة بالخط الكوفي داخل قوس صدر محراب المدرسة النظامية
رسم د. احمد قاسم الجمعة



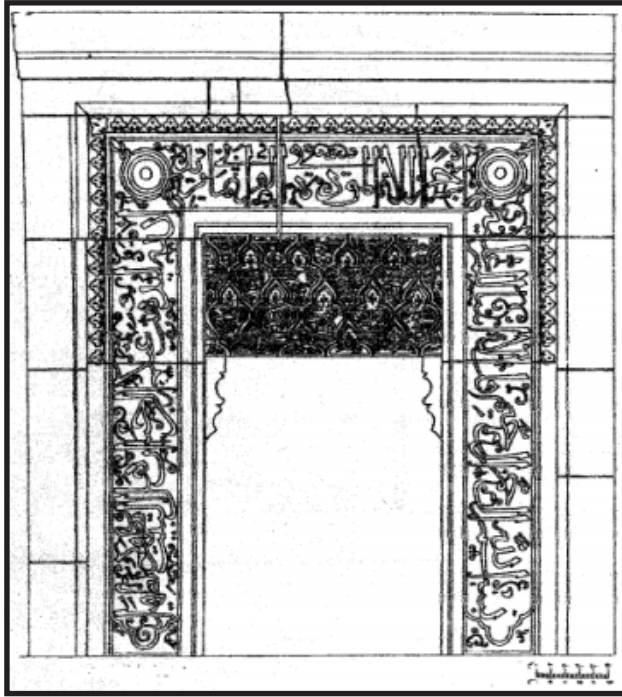
رسم (8)

تخطيط الجانب الداخلي لمحراب ضريح المدرسة
تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (9)

تخطيط عقد محراب جامع الامام الباهر بالموصل
تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (10)

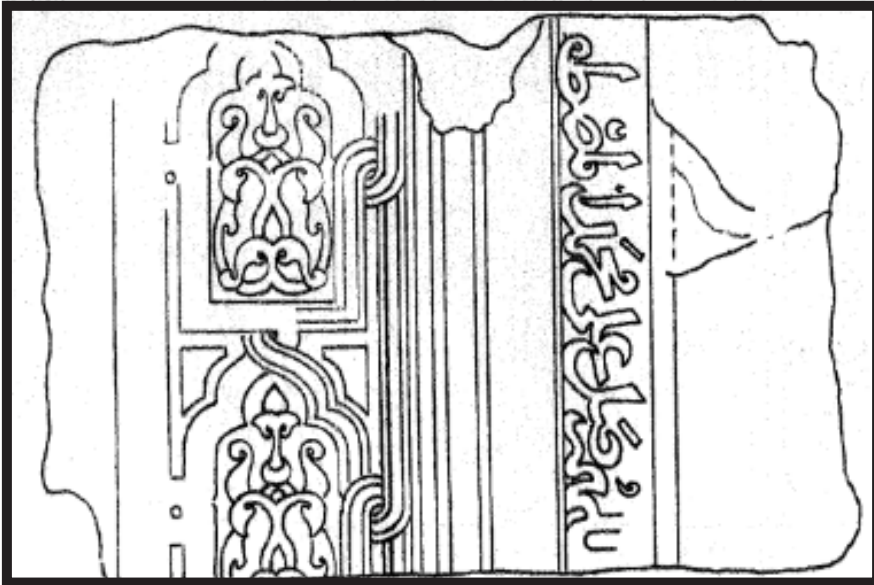
تخطيط شبك ضريح المدرسة النظامية
تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (11)

تخطيط العتبة العليا لشباك المدرسة

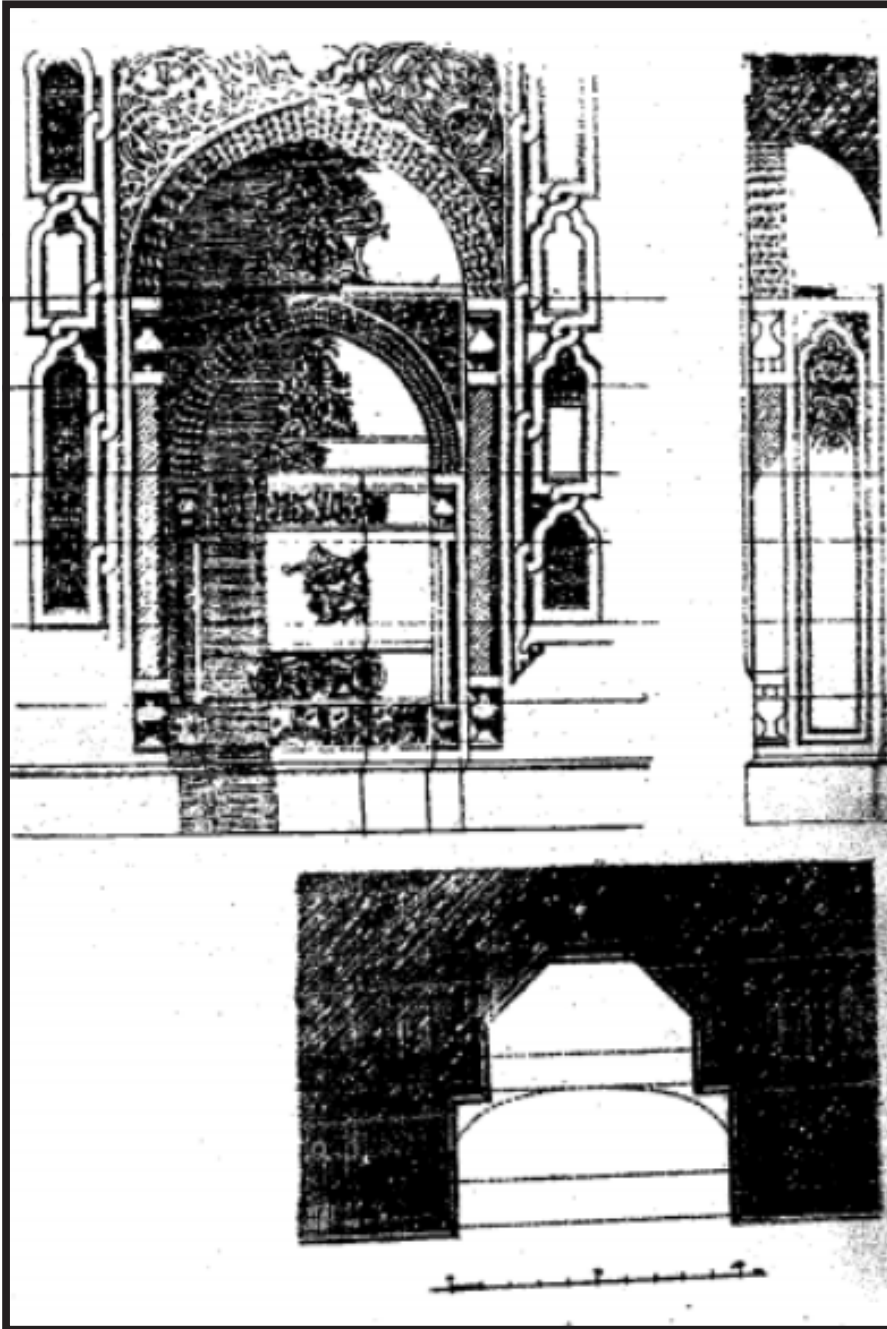
تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (12)

تخطيط القطعة الرخامية الباقية من محراب بنر المدرسة

تخطيط د. احمد قاسم الجمعة



رسم (13)

تخطيط محراب المصلى الصيفي للجامع النوري في الموصل
عن هرزفيلد



تقييم اضرار النسيج الحضري لمدينة الموصل القديمة باستخدام تقنيات التحسس النائي ونظم المعلومات الجغرافية

رائد سالم أحمد النعمان ٢

صباح حسين علي ١

مركز التحسس النائي ، جامعة الموصل كلية الهندسة / هندسة العمارة ، جامعة الموصل

sabah196004@uomosul.edu.iq raedalnumman@uomosul.edu.iq

(ملخص)

يقصد بالحفاظ على النسيج الحضري الاهتمام بمجموعة من الابنية التراثية أو التاريخية والفضاءات الحضرية الواقعة بين الابنية. تعتبر مدينة الموصل من أهم المدن التاريخية القديمة في العراق وسكنها العرب منذ القرن الثالث للميلاد حيث شيدت على يدهم فوق حصن صغير على الشاطئ الغربي من نهر دجلة (موقع المدينة القديمة حالياً) والذي تعرض نسبة كبيرة منه للتدمير من قبل عصابات داعش الارهابية خلال فترة احتلاله لمدينة الموصل (10 حزيران 2014-2017). في البحث الحالي ، تم استخدام معطيات التحسس النائي وبرامجيات نظم المعلومات الجغرافية (ArcGIS10.6) وأحد نماذج المخططات التي نفذت من قبل فريق البحث باستخدام برنامج الاوتوكاد (AutoCAD) على خارطة لمدينة الموصل القديمة لسنة (1944) فضلاً عن بيانات المسح المنفذة من قبل منظمة برنامج الامم المتحدة للمستوطنات البشرية (Unhabitati-raq) لمدينة الموصل القديمة لغرض كشف الاضرار التي لحقت بالمباني التاريخية والاثرية وتقدير نسبة الضرر والتدمير الذي أصاب المعالم التاريخية والاثرية للمدينة القديمة ونسجها الحضري الاصيل من قبل تنظيم داعش الارهابي وتمييزها عن المعالم الاثرية التي حافظت على هيكلتها العامة ولم تتعرض للتغيير. أظهرت النتائج تطابق تام بين مخططات الاوتوكاد مع نظيراتها التي تتمثل بالشوارع والأزقة والمعالم الاثرية والتاريخية في البيان الفضائي لمنطقة الدراسة والمأخوذ من القمر الصناعي (Worldview 2). إن الخارطة النهائية والنتيجة من هذه الدراسة ذات مواصفات تتقبل كل العمليات التحليلية لبرامجيات نظم المعلومات الجغرافية ويمكن أن تلعب دور مهم في عملية إدارة اتخاذ القرار في اعادة ترميم أو صيانة أو اعادة بناء المناطق الاثرية في المدينة القديمة والمحافظة على تراثها العمراني الاصيل.



Assessment the Damage of the Urban Fabric of the Old Mosul City Using Remote Sensing Techniques and GIS

(Abstract)

Preserving the urban fabric entails caring for a collection of heritage or historical buildings as well as the urban spaces between them. The city of Mosul is considered one of the most important old and ancient historical cities in Iraq and has a formula for Iraqi urban development and growth. The Arabs have inhabited it since the third century AD when it was built by them over a small fortress on the western shore of the Tigris River (the site of the old city today), which was completely destroyed by ISIS terrorist gangs during the period of its occupation of the city of Mosul (June 10, 2014-10 July 2017). In the current study Remote sensing data, GIS, AutoCAD drawing model of the Mosul old map (1944) as well as the survey data implemented by the United Nations Settlements Program Humanity (Unhabitatiraq) of the city were used for the purpose of detecting the damage of the historical and archaeological buildings and estimating the percentage of damage and destruction that affected the historical and archaeological monuments of the old Mosul city and its original urban fabric by the terrorist organization ISIS and distinguishing them from the archaeological monuments that maintained their general structure and were not subject to change. It can play an important role in the decision-making management process in restoring, maintaining or rebuilding the archaeological areas in the old city and preserving its authentic urban heritage

تشكل المدن القديمة في كل انحاء العالم أثراً إنسانياً متنوع الروافد حيث تعكس مضامين الحضارات التي مرت على هذه الأرض المعطاء بكل معانيها. وتعتبر مدينة الموصل من أهم المدن التاريخية في العراق التي تميزت بإرثها الحضاري والثقافي، كانت المدينة بمثابة نقطة التقاء للعرب، والأكراد، والتركمان، والآشوريين، والأرمن، والمسلمين بمختلف طوائفهم، والمسيحيين، واليهود، والأيزيديين، والشبك (الموسوي وآخرون، 2017). لقد أشار كارل نوفاتشيك إلى ذلك أيضاً وانعكاسه في النتاج المعماري للمدينة. "تحول معظم أجزاء الموصل، ثاني كبريات مدن العراق، والتي وقعت تحت قبضة تنظيم داعش إلى ركام" (Website of the project Monuments of Mosul in Danger, 2014)، فبعد سيطرة داعش على مدينته الموصل منتصف عام 2014 قام وعلى الفور بتدمير عدة مساجد وكنائس وأضرحة ومزارات لمختلف الطوائف وعلى حد سواء، ومن بين الكثير مما دُمّر؛ على سبيل المثال جامعي النبي يونس في الجانب الأيسر من المدينة والنبي جرجيس في الجانب الأيمن منها، إضافة إلى تدمير مسجد القبة الحسينية في الموصل. وفي 25 تموز من عام 2014 دمر تنظيم داعش الإرهابي مرقد الإمام عون الدين في الموصل والذي يُعد واحداً من الهياكل المعمارية القليلة جداً التي نجت من التدمير خلال الغزو المغولي، فيما دمر في ذات الشهر مرقد النبي دانيال. أما الكنائس والأديرة فقد كان لها حصتها من عمليات التدمير والحرق فدير مار إيليا أقدم دير في العراق دمره داعش في أواخر آب 2014 ودُمّرت كنيسة السيدة العذراء مريم من خلال عددٍ من العبوات الناسفة في تموز 2014 بينما فُجرت الكنيسة الطاهرة والتي بُنيت في أوائل القرن العشرين في أوائل شباط 2015، وتوالت بعدها تفجير الكنائس والأديرة واحداً تلو الآخرى وليس آخرها دير مار بهنام بالقرب من بغداد (الحمداية) في سهل نينوى في آذار 2015. وفي سنجار، تم تحديد ستة معابد تعود للديانة الأيزيدية، حيث تم عن تدمير أربعة منها تدميراً كاملاً. إن الهدف الإستراتيجي لهذه الأعمال هو تدمير الثقافة، والخلفية الحضارية، وكبرياء السكان المحليين وأساسهم الفكري. لقد أثبت هذا النهج القاسي تجاه التراث الثقافي في الماضي كونه أداة قوية للغاية للسيطرة على المجتمعات الإسلامية المحلية في جميع أنحاء العالم. (Web-, site of the project Monuments of Mosul in Danger, 2014). وخلال عمليات التحرير، تعرضت مدينة الموصل القديمة والمناطق المجاورة لها إلى نسبة كبيرة من الخراب كونه حرر من قبضة تنظيم الدولة في يوليو / تموز الماضي أي بعد ستة أشهر من تحرير القسم الشمالي من المدينة. حيث صنفت المباني المتضررة إلى عدة أصناف منها متوسطة الضرر وبلغت (7716) مبنى، وشديدة الضرر (5130) مبنى، وابنية مدمرة (1843) مبنى مما ترك آثاراً سلبية على النسيج الحضري والمباني التراثية والتاريخية في المدينة (خضر و داود، 2021). لذا كان لابد من دراسات

ومنها الدراسة الحالية تهدف الى كشف الاضرار التي لحقت بنسيج المباني الحضرية بعد دمارها من قبل تنظيم داعش الارهابي وتقييم شدة الضرر بالاعتماد على معطيات التحسس النائي والخرائط والمخططات الهندسية والتاريخية للمدينة والبيانات المتوفرة لدى فرق الاعمار والمنظمات الدولية التي تساهم في احياء وتأهيل وتطوير المدينة والمحافظة على تراثها العمراني الاصيل فضلا على برامجيات نظم المعلومات الجغرافية والأوتوكاد .

2. وصف منطقة الدراسة

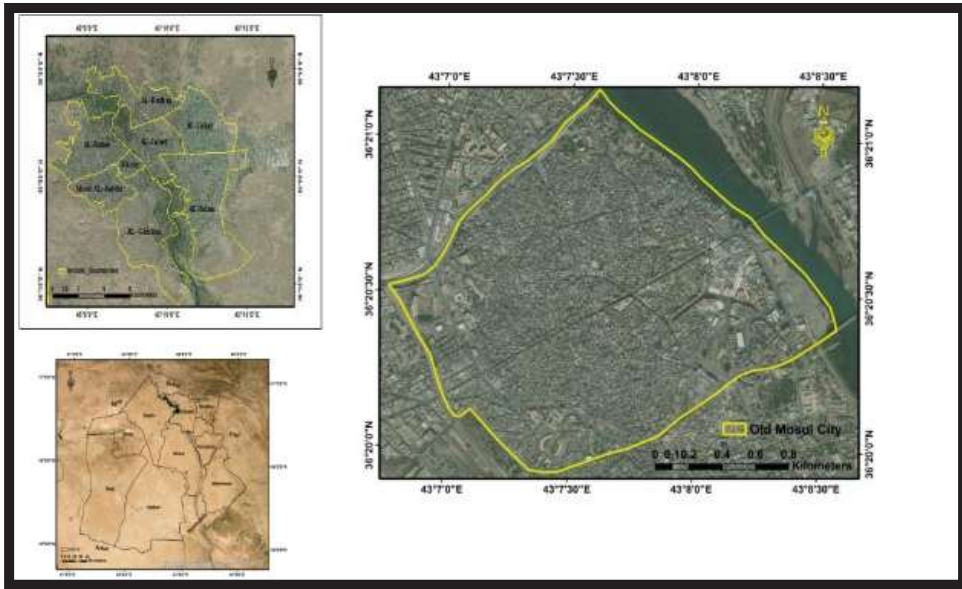
تميزت بنسيج حضري متضام (عضوي) من الشوارع الصغيرة والأزقة الضيقة والتي جعلتها بيئة تراثية محمية بصورة جيدة ولفترات تاريخية طويلة، وشكلت شبكة الشوارع والأزقة ونمط الابنية السكنية الصغيرة المساحة والمتداخلة فيما بينها أفضل الأمثلة على نمط المدن في الشرق الأوسط من حيث التصميم الهندسي. (ابراهيم واخرون ، 2018)، شكل رقم (1).



شكل رقم (1) النسيج الحضري التضام لمدينة الموصل القديمة

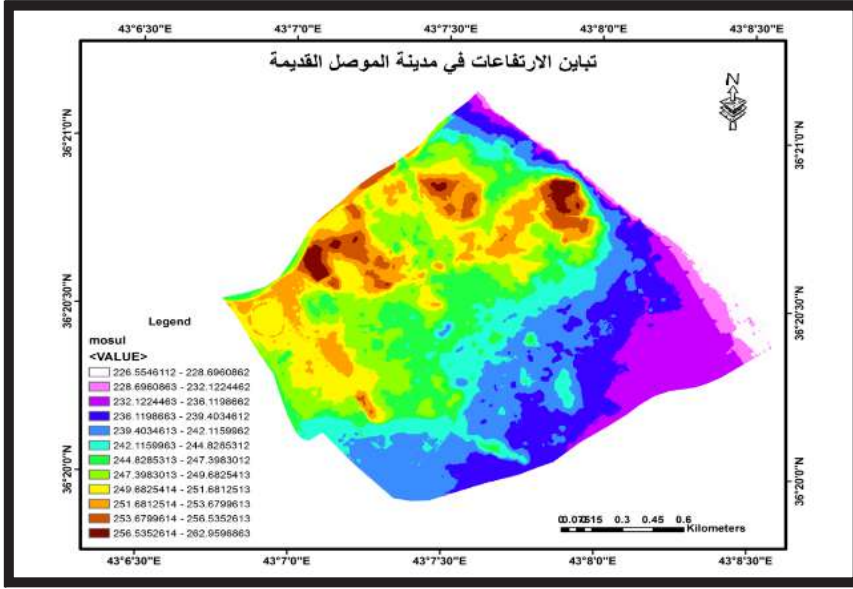
2-1. الموقع والتضاريس

تقع مدينة الموصل التي تمثل مركز محافظة نينوى في الجزء الشمالي من العراق . وتتميز بوقوعها على جانبي نهر دجلة الذي يقسمها إلى قسمين يعرفان محليا بالجانب الأيمن و الأيسر. وفي سنة 2013 تم تقسيم المدينة الى ثمانية قطاعات بلدية منها قطاع مدينة الموصل القديمة. الموقع الجغرافي لمدينة الموصل القديمة يمتد بين خطي طول (43,11 - 43,15) شرقاً ودائرتي عرض (36,33 - 36,35) شمالاً، لاحظ الشكل (2). يبلغ محيط المدينة القديمة (7.33) كم ، بينما تبلغ مساحتها (3.39) كم 2 تقريبا وفق القياسات المستنبطة من المرئيات الفضائية، علما ان النسيج الحضري للمدينة يتكون من (38) محلة سكنيه.



شكل (2): موقع مدينة الموصل القديمة

بالنسبة للتضاريس في المدينة القديمة ، نلاحظ هناك تباين واضح في الارتفاعات ، حيث من خلال انموذج الارتفاع الرقمي (Digital Elevation Model:DEM) ذات الدقة المكانية (1) متر، تبين ان ارتفاعات التضاريس تتراوح بين (226,5) الى (262,95) متر، لاحظ الشكل (3).



شكل (3) : خارطة ارتفاعات التضاريس في مدينة الموصل القديمة

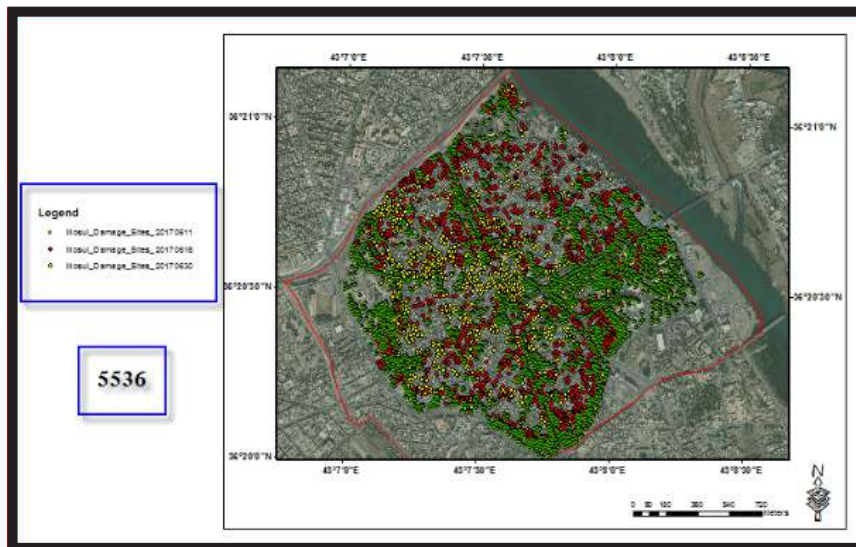
2-2. المناخ

تخضع المدينة بمناخ بارد وممطر شتاءً والحر الجاف صيفاً، حيث تبلغ معدلات حرارة تموز 43,4 درجة مئوية وكانون الثاني 12,8 درجة مئوية ، أما مُعدّل الهطول المطري فيصل أعلاه في شهر كانون الاول حيث يبلغ 363.6 ملم. وتسود على المدينة رياح شمالية غربية معتدلة السرعة ورياح جنوبية شرقية تتقدم الانخفاضات الجوية المارة في أجواء المدينة (علي و صابر، 2018).

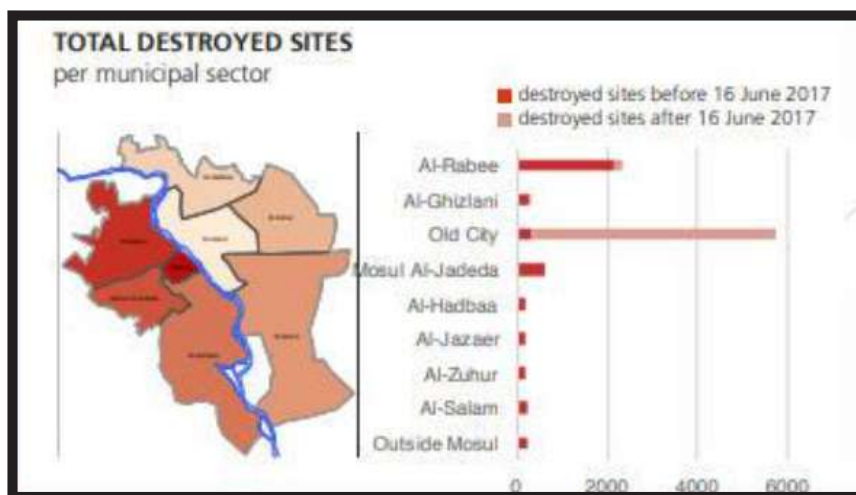
3. خسائر المدينة القديمة بعد الحرب

تعرضت المدينة القديمة خلال فترة احتلال تنظيم داعش الارهابي وخلال عمليات التحرير (10 حزيران -10 2014 تموز 2017) الى الكثير من عمليات الدمار والتخريب الذي وصف بأنه حرب عالمية ثالثة راح ضحيته الالاف من البشر الابرياء ودمرت المعالم التراثية والدينية وهدمت الشوارع والأزقة الضيقة التي كانت تتميز بها هذه المدينة القديمة. ووفقا لتقارير المسح المعدة من قبل برنامج الامم المتحدة للمستوطنات البشرية ((United Nations Human Settlements Programme (UN-Habitat) واعتمادا على المسح الجوي فان مدينة الموصل القديمة من أكثر المناطق في مدينة الموصل التي تعرضت للدمار في مختلف التصنيفات السكنية والتجارية والصناعية والإدارية والصحية والتعليمية والأمنية (Iraq: Old City, Mosul, Ninawa Governor- ate Imagery analysis, 2017)، والشكل (4) يوضح عدد ونسب المواقع المدمرة للمدينة

القديمة للتواريخ (11 و16 و30 حزيران 2017)، في حين يوضح الشكل (5) المواقع الكلية المدمرة لكل قطاع بلدي في مدينة الموصل،

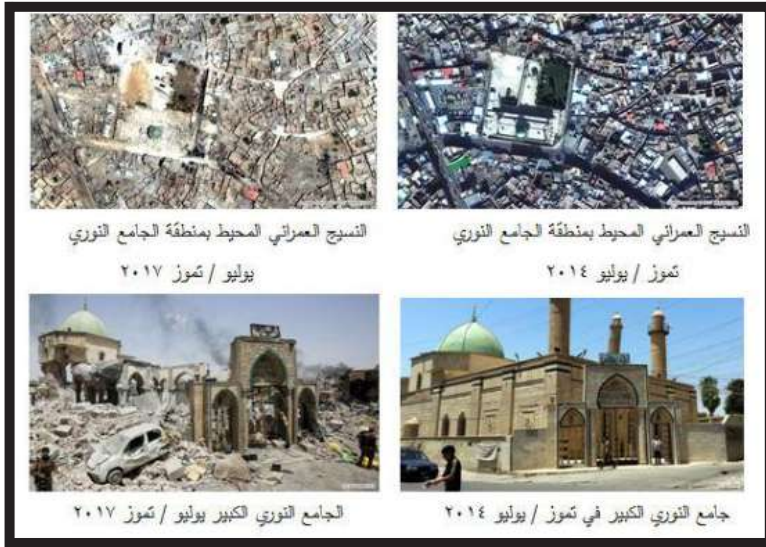


شكل (4): المواقع المدمرة في مدينة الموصل القديمة لغاية 30 حزيران 2017



شكل (5) : المواقع المدمرة كليا لكل قطاع بلدي في القطاعات البلدية لمدينة الموصل

اثبت تنظيم داعش الارهابي عدائه للحضارة و التحضر من خلال تدميره لمنارة الحدباء والتي تعتبر احد اشهر معالم مدينه الموصل القديمه بل الاشهر على مستوى العالم الاسلامي , ان منارة الجامع النوري ”الحدباء“ المائلة ، التي بنيت في القرن الثاني عشر، والتي تعد من أبرز المعالم الأثرية في الموصل، ظلت صامدة لأكثر من ثمانية قرون من الغزو والاستعمار لكنها سقطت أخيراً على يد داعش في 22 من يونيو / حزيران 2017، كما تم تدمير النسيج الحضري المحيط بمنطقة المنارة ونسبة كبيرة جدا كما في الشكل (6).



شكل (6): اثار الارهاب على مدينة الموصل القديمة
(جامع النوري الكبير)

4. هدف البحث .

اشارت العديد من الدراسات الى التدمير الذي طال مدينة الموصل على يد تنظيم داعش الارهابي بما في ذلك صوراً ملتقطة عبر الأقمار الصناعية والتي تظهر الدمار الذي لحق بها. حيث خلصت تلك الدراسات الى أن حجم الدمار واسع النطاق وان العديد من الاحياء في المدينة القديمة قد تعرضت للتدمير أو تمت تسويتها بالأرض تماماً. في بعض الحالات، تمت إزالة الأنقاض وتم تعبيد المساحات الفارغة بهدف إستخدامها كمواقف للسيارات.، الا ان تلك الدراسات لم تحدد نسبة الاضرار التي لحقت بالنسيج العمراني للمدينة القديمة بشكل دقيق.

يهدف البحث الى ابراز حجم الدمار الذي تعرض له التراث المعماري والحضري لمدينة الموصل عموماً والمدينة القديمة بشكل خاص خلال سيطرة تنظيم داعش الارهابي من خلال تقييم الاضرار

التي لحقت بالنسيج الحضري لمدينة الموصل القديمة عبر فترتين مختلفتين تمتد الاولى منذ فتح الشوارع المخترقة للمدينة وهو اكبر تغيير اصاب النسيج الحضري للمدين خلال تاريخها , حتى قبل سيطره داعش الارهابي على المدينة في اب عام 2014 اي تمتد للفترة (1938-2014) والفترة الثانية خلال سيطره التنظيم الارهابي والتي استمرت 2014-2017 .

5. منهجية العمل

يتحقق هدف اي دراسة من خلال مراحل منهجية العمل المعتمدة في الدراسة، ومن خلال دراستنا الحالية والتي تهدف الى تمثيل مخطط الاوتوكاد للمدينة القديمة من الخارطة في الشكل (2) والذي يوضح النسيج الحضري الاساس للمدينة مع المرئية الفضائية التي توضح الدمار في النسيج الحضري للمدينة لغرض تقييم الاضرار واعتمدت منهجية العمل في الدراسة الحالية على البيانات والبرامجيات التالية لغرض تحقيق مراحلها الاساسية:

1 - برنامج ArcGIS10.3

2 - برنامج GlobalMapper 13

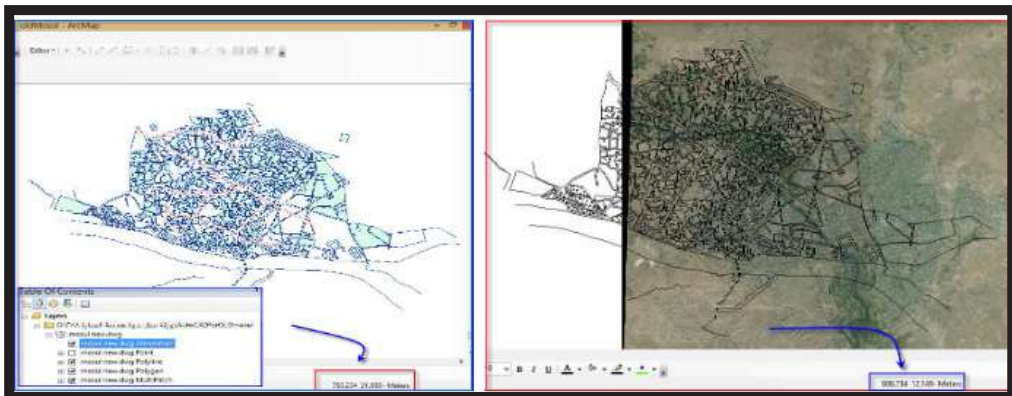
4 - مرئية فضائية (DigitalGlobe 2016, Image EOM) ذات دقة مكانية (40cm)

5 - مخطط لخارطة المدينة القديمة 1944.

6 - أنموذج ارتفاع رقمي (DEM) بدقة مكانية (1m).

المرحلة الاولى

تتضمن المرحلة الاولى عرض ملف مخطط الاوتوكاد ذات الامتداد (dxf) والذي يمثل الخارطة في الشكل (1) على نافذة عمل برنامج ArcGIS10.3، شكل (7).



شكل (7): ملف الاوتوكاد قبل التصحيح

بعد ذلك، تم إجراء عملية المطابقة المكانية بين مخطط الاوتوكاد والمرئية الفضائية المرئية الفضائية (DigitalGlobe 2016, Image EOM) ذات دقة مكانية (39cm)، والتي توضح حدود المدينة القديمة، بعد ذلك تم تثبيت النظام الجيوديسي (WGS_1984_UTM_ZONE_38N) لطبقة الخطوط والتي تمثل الشوارع المهمة والمضلعات التي تمثل الابنية في المدينة القديمة. ان دقة التطابق بين المرئية الفضائية وطبقة الاوتوكاد تعتمد على اختيار عدد نقاط السيطرة (control points) المختارة للتسقيط الجيوديسي حيث كلما ازدادت النقاط زادت الدقة (شكل 8)، وهذا ما تم التركيز عليه في هذه الدراسة لكي نحصل على خارطة نهائية توضح تفاصيل الدمار الذي حصل في النسيج الحضري الاساسي للمدينة ومقارنته مع ما تم تدميره من قبل الدواعش.



شكل (8): عناصر الخطوط والمضلعات بصيغة (shapefiles)

6. النتائج والمناقشة

إن الخرائط لها مكانة خاصة في نظم المعلومات الجغرافية لأن عملية بناء الخرائط باستخدام نظم المعلومات الجغرافية تعد أكثر مرونة من أي طريقة يدوية أو كارتوجرافية حيث تبدأ هذه العملية ببناء قواعد البيانات ثم التحويل الرقمي للخرائط الورقية المتوفرة ثم يتم تحديثها باستخدام مرئيات الأقمار الصناعية في حالة وجودها ثم تبدأ عملية ربط البيانات بمواقعها الجغرافية وعندئذ يكون المنتج النهائي من الخرائط جاهزا للظهور (Keith C.C., 1999). لذا تم التركيز في الدراسة الحالية على أهمية برامج نظم المعلومات الجغرافية في التعامل مع مخططات الاوتوكاد والمرئية الفضائية للقمر الصناعي (Worldview 2) ذات الدقة المكانية (39 cm) وإجراء التطابق الجيوديسي لتقييم حالة النسيج العمراني للفترة من 1938-2014 قبل وبعد استيلاء تنظيم داعش

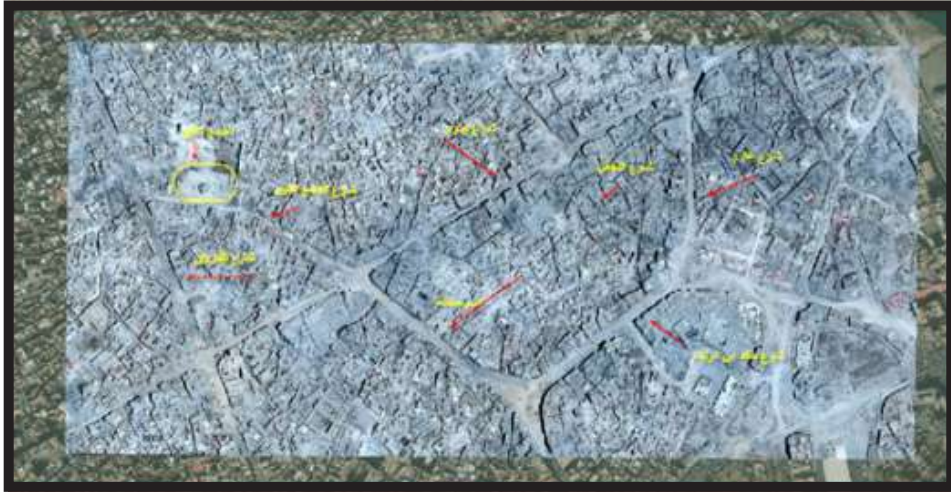
على المدينة وتحريرها من قبل القوات العراقية والحشد الشعبي والقوات الامنية الاخرى وللفترة من 2014-2017. الشكل (9) الذي يمثل مخطط مدينة الموصل القديمة بعد فتح الشوارع المخترقة لأزقتها والذي استكمل عام 1936 وحسب الحدود التي وضعت من قبل منظمة (Unhabitati-raq). حيث يعتبر اكبر تغيير مورفولوجي تعرضت له المدينة القديمة منذ نشأتها والذي سيتخذ كمرجع لتقييم التغيرات التي حصلت على النسيج الحضري للمدينة بعد ذلك من خلال مطابقته مع المرئيات الفضائية للمدينة في فترات مختلفة.



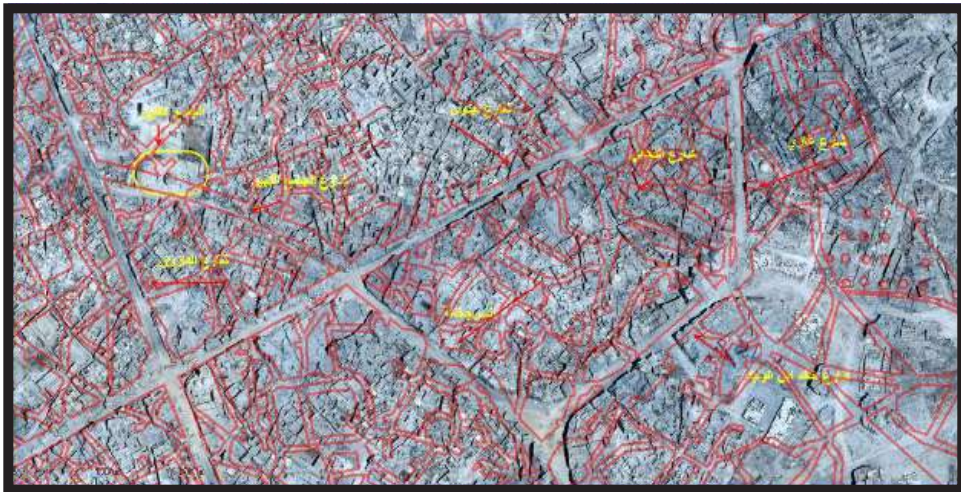
شكل (9): مخطط الاوتوكاد لمدينة الموصل القديمة للعام 1936



شكل (10): مطابقة مخطط الاوتوكاد لخارطة الموصل 1936 على المرئية الفضائية 2014 قبل استيلاء التنظيم الارهابي على مدينة الموصل القديمة.



شكل (11) المرئية الفضائية لمدينة الموصل القديمة بعد تحريرها من
تنظيم داعش الارهابي تموز 2017



شكل (12): مطابقة مخطط الاوتوكاد لخارطة الموصل 1936 على
المرئية الفضائية لمدينة الموصل القديمة تموز 2017

من خلال مطابقة المرئية الفضائية للمدينة قبل سيطرة التنظيم الارهابي عليها مع المخطط الاساسي
للاختبار للعام 1936 كانت النتائج كمايلي . الشكل (11)

1. مطابقة الشوارع المخترقة للمدينة القديمة في المخطط مع المرئية الفضائية بنسبة عالية جدا.
2. مطابقة معظم بلوكات المدينة القديمة بنسبة تراوحت % 70-80 ، مما يؤشر ان هذه البلوكات قد حافظت على الهيكلية العامة لها وانها لم تتعرض للتغيير طيلة أكثر من نصف قرن.
3. بعض بلوكات المدينة القديمة وتتراوح نسبتها % 15 اشترت اختلافا على الهيئة العامة لها وبنسب تراوحت ما بين % 40-60 مما يشير الى وجود تحويرات وتغييرات مورفولوجية طفيفة، أي انها لا تتمتع بدرجة من الاصاله تماثل البلوكات في الفقرة السابقة.
4. عدم طابقة مناطق معينة من المدينة القديمة وبنسبة 15 % وتغيرها بشكل كامل ممايشير تلى اعادة بناءها باساليب لاتتفق مع النسيج العضوي للمدينة .
- من خلال مطابقة المرئية الفضائية للمدينه قبل سيطرة التنظيم الارهابي عليها مع المخطط الاساسي للاختبار للعام 1936 كانت النتائج كمايلي . الشكل (12)

1. مطابقة الشوارع المخترقة للمدينة القديمة في المخطط مع المرئية الفضائية بنسبة عالية جدا.
2. عدم مطابقة معظم بلوكات المدينة القديمة وبنسبة تراوحت % 85-90 ، مما يؤشر ان هذه البلوكات قد تعرضت للتدمير خلال فترة قصيره جدا لم تتراوح اكثر من ثلاث سنوات.

7. الاستنتاجات

. النتائج اعلاه توضح وبشكل دقيق الجريمه الحضارية التي تعرضت لها مدينة الموصل القديمه على يد تنظيم داعش الارهابي من خلال تدميره المتعمد والمنظم للحواضر التاريخية والمعالم والشواهد المعمارية والنسيج الحضري للمدينة ومحاوله لطمسه لهويتها وخلال فترة قصيرة جدا فالتغيرات التي طرات على النسيج الحضري للمدينة لم تتجاوز نسبتها 20 % وخلال فترة تجاوزت السبعين عام بينما ما حدث من تغيير وتدمير للمدينة القديمه ونسيجها تجاوز 90 % خلال فترة قياسية لم تتجاوز 3 اعوام خلال سيطرة الارهاب على المدينة .

2. اتباع الطريقة المطبقة اعلاه لتحديد نسبة الضرر الذي أصاب المدينة القديمة ونسيجها الحضري الأصيل والمتمثل بالبلوكات التي حافظت على هيكلتها العامة ولم تتعرض للتغيير طيلة أكثر من نصف قرن. وبالتالي التوصية بإدراج البلوكات أعلاه في خطة الحفاظ الحضري كأولوية كونها تمثل جزء من البنية الاصلية للنسيج الحضري القديم.

3. ادراج البلوكات التي تعرضت الى تغييرات مورفولوجية طفيفة ضمن الخطة أعلاه ولو بنسبة اقل كمرحلة ثانية في خطة الحفاظ الحضري.

4. عدم التمسك بالحفاظ على المناطق التي تعرضت بنيتها الى تغيرات مورفولوجية شاملة بخطة الحفاظ الشامل كونها لم تعد تمتلك خصائص النسيج القديم أصلا وتوفير الجهد والمال.

5. إمكانية استخدام المنهجية ذاتها في التحقق من دقة المخططات السابقة الخاصة بالمدينة القديمة.

6. الاستفادة من الملفات الناتجة من المنهجية المطبقة و تحميلها بالمعلومات الخاصة بالبنية التحتية ومعلومات الخدمات وتحديد الإمكان والشوارع ذات الأهمية العالية كخطوة أولى للاستفادة من الإمكانيات الكبيرة لهذه التطبيقات في المساعدة في تقديم البدائل والحلول في اتخاذ القرارات التي تخص خطة الحفاظ والتطوير الحضري للمدينة القديمة بما يوفر الدقة والجهد والمال .

7. من الجانب الهندسي للبحث هو إمكانية إجراء تحديث للخرائط الرقمية للمدينة القديمة من خلال برامجيات نظم المعلومات الجغرافية والمرئيات الفضائية باستخدام مخططات هندسية حديثة منفذة ببرامج الأوتوكاد بما يخدم الاستفادة من هذه الخارطة في الجانب الهندسي للتخطيط المستقبلي لهذه المدينة التراثية .

8. أهمية التكامل المكاني بين برامج الأوتوكاد الهندسي مع برامجيات نظم المعلومات الجغرافية في تحديث الأبنية والمرفقات الإنشائية بصورة عامة على المرئيات الفضائية.

المراجع

- ابراهيم، احمد ناظم ، وآخرون ، 2018، خطة التنمية المكانية لمحافظة نينوى 2010-2020، منشورات وزارة التخطيط، دائرة التنمية الإقليمية والمحلية، محافظة نينوى، 563 صفحة.
- الموسوي، هاشم عبود، امين، مصطفى عزيز، الموسوي، صبا هاشم، 2017 ، اثر اعتماد نظم المعلومات الجغرافية في تحسين كفاءة الخرائط للمناطق الاثرية والسياحية في العراق، مجلة جامعة جيهان -اربيل العلمية ، المجلد 1، العدد 1، الصفحات 181-202.
- خضر ، سعد صالح و داود، داود سليم، 2021، اضرار النسيج الحضري لمدينة الموصل القديمة بعد الحرب ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية ، المجلد 17، العدد 2، الصفحات 640-614.

علي، صباح حسين، صابر ، ليالي عادل ، 2018 ، الاستكمال المكاني للبيانات المناخية الخاصة بدرجات الحرارة لمحافظة نينوى باستخدام أنموذج الارتفاع الرقمي ونظم المعلومات الجغرافية، مجلة الكتاب للعلوم الصرفة ، المجلد 1، العدد 2. الصفحات 385-402.

Iraq: Old City, Mosul, Ninawa Governorate Imagery analysis, 2017, version 1, UNOSAT, available at: <https://reliefweb.int/map/iraq/iraq-old-city-mosul-ninawa-governorate-imagery-analysis-30-june-2017-published-6-july-2017>, accessed at: 15 Nov.2021

Keith C.C., 1999, “Getting started with Geographic information system “ 2nd edition, Prentice-Hill, Inc., 338p

Website of the project Monuments of Mosul in Danger, including a new interactive map and satellite images of monuments of Mosul destroyed by ISIS since June 2014, available at : monumentsofmosul.com, accessed at : 10 Dec.2021

انتهاكات تنظيم داعش لمواقع التراث الحضاري في العراق مرقد السيدة زينب الصغرى (ستنا زينب) في سنجار أنموذجاً

م. د. زكريا هاشم أحمد الخضر
جامعة سامراء – كلية الآداب

أ. د. زين العابدين موسى آل جعفر
جامعة بغداد – كلية الآداب

(ملخص)

يعد مرقد السيدة زينب (ع) في سنجار أحد أبرز المراكز الدينية التي تعرضت للتفجير على يد تنظيم داعش الإرهابي، ضمن أعمال عناصره التخريبية للمعالم الحضارية في العراق، ويضم رفات السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع)، وسميت بزینب الصغرى تمييزاً لها عن أختها زينب الكبرى، بعد وفاتها أثناء سير موكب السبايا من موقعة كربلاء باتجاه بلاد الشام، وظلّ المكان الذي دفنت فيه السيدة زينب محفوظاً في ذاكرة العرب المسلمين حتى العهد الأتابكي حين بني على القبر الشريف بناية المرقد، ومنذ ذلك التاريخ أصبح مزاراً يؤمه المسلمون للتبرك، فضلاً عن أبناء الطائفة الأيزيدية من أبناء المنطقة الذين تأثروا بتلك العادات فقلدوها تيمناً بجيرانهم من المسلمين، كما أصبح المرقد مركزاً لمقبرة أهالي المدينة الذين دأبوا على دفن موتاهم قرب القبر الشريف تيمناً به.



(Abstract)

The shrine of Sayyida Zainab in Sinjar is one of the most prominent religious shrines that were bombed by the terrorist organization ISIS, as part of the acts of its elements of sabotage of cultural monuments in Iraq. It includes the remains of Sayyida Zainab, Bin Ali bin Abi Talib, and she was named Zainab al-Sughra to distinguish her from her sister Zainab al-Khubra, after her death during the procession of captives from Karbala towards the Levant, and the place where Sayyida Zainab was buried has been preserved in the memory of the Arabs. Muslims until the Atabic era when the shrine building was built over the honorable tomb. Since that date, it has become a shrine frequented by Muslims to seek blessings, as well as for members of the Yezidi sect of the people of the region who were affected by these customs and imitated them in honor of their Muslim neighbors

المقدمة

شاعت المراقد والمقامات الإسلامية في عموم محافظة نينوى وانتشرت بين ربوعها، فقد ضمت مدنها العديد من تلك المراقد التي أخذت حيزاً دينياً عند المجتمع العراقي، وبعض تلك المراقد لم تقتصر قدسيته على المسلمين فقط بل امتدت إلى الديانات الأخرى، فكانت ملتقى جميع الديانات والقوميات التي شكلت النسيج الاجتماعي للمحافظة.

وتبقى مراقد آل البيت (ع) الأكثر تأثيراً في نفوس المسلمين من بين المراقد الدينية الأخرى، نظراً لقدسية ذلك الفرع من الدوحة المحمدية، لذا كانت محط اهتمام وعناية جميع طبقات المجتمع، لا سيما الحكام، فأقاموا عليها الأبنية والعمائر المختلفة وزينوها بمختلف أنواع النقوش والزخارف وإظهارها بالأبهة والفخامة بما يليق وصاحب المرقد.

وامتدت العناية على تلك المراقد إلى الحد التي أوقفوا عليها الوقوف المختلفة والتي تساهم في إيجاد مصدر مالي يضمن توفير الأموال اللازمة لصيانتها ودفع أجور القائمين لضمان ديمومة عمارتها. ومن بين المراقد المهمة في محافظة نينوى، مرقد السيدة زينب الصغرى بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع)، الواقع في مدينة سنجار شمال غرب المحافظة، ببنائته التاريخية التي تعود إلى العهد الأتابكي في الموصل، وقد تعرض هذا المرقد التاريخي للتدمير من قبل عصابات داعش الإرهابية بعد سيطرتهم على كامل المنطقة في حزيران 2014م، ضمن سياستهم المنهجية لتدمير مواقع التراث

الحضاري في العراق، فقد افتتح التنظيم عهد سيطرته على محافظة نينوى، بحملة تدمير منظمة لمواقع التراث الحضاري انتهت حصيلتها بحسب المؤسسات الرسمية، بتدمير (360) معلماً تاريخياً ودينياً أثرياً.

كانت تلك في الظاهر تدميراً لمواقع "ترتكب فيها الآثام ويجري التعبد فيها لغير الله" على حد زعم التنظيم الإرهابي في بياناته التي كان ينشرها، لكنها أخفت في الجوهر عمليات سرقة واسعة للآثار وبيعها عبر شبكات تهريب.

فخلال فترة حكم داعش التي امتدت لأكثر من ثلاث سنوات، تعرضت المئات من المواقع الأثرية للنهب من أصل (1600) موقع غير مستظهر، وتم نهب ما فيها، فضلاً عن سرقة نحو (1000) قطعة كانت موجودة في متحف الموصل الحضاري، وتدمير ما لم يكن قابلاً للنقل منها.

وجاءت دراستنا لآثار الدمار الذي أصاب المرقد كأمودج لما عانتها مواقع التراث الحضاري من وحشية على أيدي عناصر التنظيم، وجاءت الدراسة بثلاثة محاور، تضمن المحور الأول موقع المرقد وتاريخ انشائه، ومراحل عمارته، في حين سلطنا الضوء في المحور الثاني على عمارة المرقد وأبرز النقوش والزخارف التي كانت تزيين عمارته، أما المحور الثالث فخصص لدراسة آثار التدمير الذي مارسه عناصر التنظيم الإرهابي على المرقد الشريف، وقد ألحقت الدراسة بالألواح الخاصة بكل محور منها.

المحور الأول: موقع المرقد وتاريخه أولاً - الموقع:

يقع المرقد على قمة ربوة عالية تشرف على مدينة سنجار من الجهة الشمالية الشرقية، في محلة كلاهي، وقد بني المرقد بمفرده على تلك الربوة التي ملأت بالقبور الحديثة فيما عدا الجهة الجنوبية منها والتي شغلتها بناية المرقد⁽¹⁾.

ويذكر أن نشأة المرقد في ذلك المكان جاء بعد وفاة السيدة زينب الصغرى، وهي زينب بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)⁽²⁾

(1) التوتنجي، نجاتي، المحارب العراقي منذ العصر الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، مديرية الآثار العامة (بغداد، 1976م) ص180.
(2) زينب الصغرى: وهي زينب بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت، ١٢٠٦هـ/١٢٠٦م) الشجرة المباركة في انساب الطالبيين، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة إية الله العظمى المرعشي النجفي العامة (قم، ١٩٨٨م) ص74؛ وقع بسام محمد حسين في وهم حين نسب المرقد إلى السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع). مسير السبيل من الكوفة إلى الشام، ديبق للطباعة والنشر (د.م، 2015م) ص58.

جاءت مع الإمام الحسين وآل بيت النبي (عليهم السلام) من المدينة إلى كربلاء وكان لها من العمر سبع سنوات، شهدت واقعة الطف وسُبيت مع نساء آل البيت في تلك المعركة، وكان موكب السبايا قد سار من الكوفة إلى الشام مروراً بعدة أماكن، فسلك الطريق الشمالي ولم يدخلوا الموصل بل ساروا على أطرافها إلى تلغفر ثم جبل سنجان⁽³⁾ الذي يجاور هذا المكان فمكثوا فيه ليل⁽⁴⁾، وهناك مرضت السيدة زينب الصغرى وتوفيت، فجلبوا إلى هذا المكان ودفنت فيه⁽⁵⁾.

ثانياً - تاريخ المرقد:

تشير الروايات المحلية أن موضع المرقد كان قبل وفاة السيدة زينب الصغرى (ع) عبارة عن كنيسة تعود إلى ما قبل الإسلام⁽⁶⁾، وظلت قائمة حتى مرور موكب السبايا ووفاة السيدة ودفنها هناك، ولا يعلم عن تاريخ الموضع بعد ذلك⁽⁷⁾ حتى عهد بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل (-637/657هـ - 1239م) حين أمر ببناء الضريح أو إعادة بنائه، ويمكن تحديد تاريخ بنائه ما بين سنة (637هـ / 1239م) وهي السنة التي استولى فيها بدر الدين لؤلؤ على سنجان، وسنة (644/1246م) وهي السنة التي تم فيها تشييد بقية أقسام المرقد كما هو مثبت على إحدى مداخل غرف المنشأ⁽⁸⁾.

ويبدو أن البناء كان قد أصابه الهدم والتخريب، فقد خرّبه التتار عندما استولوا على سنجان سنة (٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) ثم جدد بناءه قوام الدين محمد اليزدي⁽⁹⁾ توالى بعد ذلك التعميرات على المرقد عبر تاريخه الطويل، كان من أبرزها تعمير سنة (1251هـ / 1835م) طبقاً لنص مكتوب على لوحة رخامية كانت موجودة على جدار غرفة الضريح خارج البناء ونصها ((جدد مزار الست زينب بنت علي العبد الفقير سيدي باشا بن خدا ثمان عشر ربيع الآخر سنة 1251هـ))⁽¹⁰⁾. حافظت تلك التعميرات إلى حد بعيد على أصول البناية المعمارية، فيما عدا تجديد عام (1835م) فيبدو من الواضح الفرق الكبير بين البناية الأصلية والإضافة الجديدة⁽¹¹⁾.

(3) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، مؤسسة الأعلمي (بيروت، 2006م) ج2، ص343.

(4) لم يشر جعفر المهاجر إلى المرقد ضمن قائمة المشاهد التي ذكرها. موكب الأحزان سبايا كربلاء خريطة الطريق، بهاء الدين العاملي للطباعة والنشر (د. م، 2001م) ص-32.

(5) بيضون، لبيب، موكب الإباء من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام، مؤسسة البلاغ (بيروت، 2009م) ص78؛ إبراهيم، عامر جليل، مرقد السيدة زينب الصغرى أثر إسلامي خالد يزوره مسلمون ومسيحيون وأيزيديون، مجلة الشبكة العراقية، السنة (15)، العدد (352)، ص58.

(6) شمسباني، حسن، مدينة سنجان من الفتح العربي الإسلامي حتى الفتح العثماني، دار الأفاق الجديدة (بيروت، 1983م) ص334.

(7) ذكر الهروي عند وصوله إلى سنجان أواخر القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد ما يلي: ((وبها مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام على الجبل)) ولم يذكر أنه مزار السيدة زينب (عليها السلام). أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت، 611هـ / 1214م) الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2002م) ص60.

(8) التوتنجي، المحارب العراقية، ص180.

(9) بيضون، موسوعة كربلاء، ج2، ص343.

(10) إبراهيم، مرقد السيدة زينب الصغرى أثر إسلامي خالد، ص58.

(11) التوتنجي، المحارب العراقية، ص180.

وقد درج الناس على زيارة المرقد في يوم التاسع من محرم، إذ كان المكان يمتلئ بالزوار من جميع الأديان والطوائف، والزيارة العامة تكون في أيام الجمعة والسبت والعطل الرسمية⁽¹²⁾.
المحور الثاني: تخطيط وعمارة المرقد:

يتكون المرقد من فناء واسع مليء بالقبور الحديثة نسبياً، أما الجهة الجنوبية له فقد اتخذ مدفنًا، ويدخل له من الباب إلى ممر طويل يبلغ طوله (4,30م) وعرضه (3,30م) وينتهي هذا بمحراب على جانبيه غرف مربعة الشكل، مداخلها شيدت من الرخام، وبين الغرفتين مصلًى صغير أبعاده (3,65) × (3,35م)⁽¹³⁾، وفي جدار قبلته المحراب الذي بني من الحجارة والجص وشكله العام مستطيل، وفي داخله مستطيلان، فالمستطيل الخارجي ارتفاعه (3,76م) وعرضه (2,28م) ويضم في داخله أعمدة ارتفاعها (1,69م) وبذلك يحتل المحراب كامل جدار القبلة⁽¹⁴⁾، وقد زين المحراب وجدران المصلًى بأي من الذكر الحكيم⁽¹⁵⁾.

وتعلو المرقد قبتان الأولى نصف كروية تغطي إحدى غرف المرقد المتعددة، وهذه القبة تعلو بنحو (7م)، أما القبة الثانية فهي قبة مخروطية تعلو غرفة الضريح الرئيسة⁽¹⁶⁾.
زار المرقد الآثاري الألماني آنست هرتسفيد بصحبة أستاذه الآثاري فريدريك زرة عام 1907م، وتضمن كتابهم "جولة آثرية في نهري الفرات ودجلة" صور لبعض الكتابات التي تزين جدران المرقد، كما تم وضع مخطط كامل للمرقد⁽¹⁷⁾.

تعرض المرقد للتدمير بعد دخول تنظيم داعش المدينة والسيطرة عليها بالكامل يوم 3 آب 2014م، فكان تفجير المرقد أول عمل قام به التنظيم بعد سيطرته على المدينة، فقد قام عناصر التنظيم بتفجير المرقد الشريف بالعوبات النافسة بعد تفخيخ البناية، مما أدى إلى تدميرها بالكامل، ومن ثم تجريف الأنقاض، وعمد عناصر التنظيم إلى تجريف القبور التي كانت تحيط بالمرقد، وقلع جميع الشواهد التي كانت تضمها بعض تلك القبور. وكانت تشاهد أنقاض البناية على سفح الربوة التي أنشأ عليها المرقد، إذ كانت تظهر بقايا تلك الأنقاض وما تضم من كسر حجارة وأجر، وقطع بلاطات متنوعة. ولم يسلم من التدمير سوى غرفة صغيرة تقع إلى الغرب من غرفة الضريح وهي حديثة البناء، كانت تستخدم كمخزن للمرقد الشريف، لخزن بعض الأدوات فرش المرقد، كما سلمت من الاعتداء الآثم بعض أقسام أرضية المرقد التي ظهرت بعد تنظيف المكان ورفع الركام.

(12) إبراهيم، مرقد السيدة زينب الصغرى أثر إسلامي خالد، ص58.

(13) ينظر ملحق رقم (1).

(14) ينظر ملحق رقم (2).

(15) التوتنجي، المحاريب العراقية، ص-181 183.

(16) شمساني، مدينة سنجار، ص338، وينظر الملحق رقم (3).

(17) Sarra. F. & Herzfeld. E. Arhaologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet (Berlin, 1911) Vol 1. P10- 12

إلا أن أهم وأبرز ما تم استخراجه من بين ذلك الركام بعض الألواح الحجرية التي تحمل كتابات مختلفة كانت تزيين جدران المرقد (18)، الأولى من المرمر الأبيض تبلغ أبعادها حوالي (90 × 40 سم) وتحتوي ثلاثة أسطر من الكتابات، تم تلوين أحرفها بألوان داكنة، أما الثانية فتقارب الأولى من ناحية الأبعاد وعدد الأسطر ولكنها تختلف من حيث الكتابات (19). وللأسف فإن القائمين على المرقد لم يتمكنوا من الاحتفاظ أو استعادة أية بقايا من عمارة المرقد، كما أن عملية إعادة إعمار الضريح لم تأخذ بنظر الاعتبار شكل المرقد الأصلي، لذلك ظهر المبنى الجديد مغايراً تماماً لما كانت عليه البناية الأصلية (20)، فقد تولت العتبة العباسية مهمة إعادة تعمير المرقد، فبدأت ملاكاتها الهندسية ببناء المرقد بشكله الحالي (21).

الخاتمة:

بعد اتمام دراستنا لموضوعة ” انتهاكات تنظيم داعش لمواقع التراث الحضاري في العراق - مرقد السيدة زينب الصغرى (ستنا زينب) في سنجار أنموذجاً ” تم التوصل إلى مجموعة من النتائج التي يمكن إجمالها بما يلي:

انتشرت مراقد ومقامات الصالحين والأولياء في عموم العراق، لا سيما فيما يتعلق بآل البيت، ممن نالوا مكانة عالية في نفوس ووجدان المسلمين، فكانت مراقدهم قبلة لهم لأجل الزيارة والتبرك بذكرهم الشريفة، وكانت محافظة نينوى من أكبر المحافظات العراقية احتضاناً لتلك المراقد. طالت السياسة الشاذة لتنظيم داعش الإرهابي تلك المراقد، فأقدموا بعمليات تدميرها من خلال هدمها وتفجيرها بشكل كامل، بحجج واهية لا تمت للدين الإسلامي بأية صلة.

من بين أبرز المراقد التي طالها التدمير مرقد السيدة زينب الصغرى (ع) في سنجار. نال المرقد مكانة عالية في نفوس ووجدان أهل المنطقة بشكل أساس، فاعتادوا أن يسموه مرقد ”ستنا زينب“.

يعود بناء المرقد إلى النصف الأول من القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد على يد حاكم الموصل بدر الدين لؤلؤ الذي عُرف عنه إنجازاته العمرانية العديدة. شهد المرقد عدة تعميرات على مدى القرون اللاحقة كان أهمها تعمير سنة (1251هـ/ 1835م) على يد شخص يدعى باشا بن خدا.

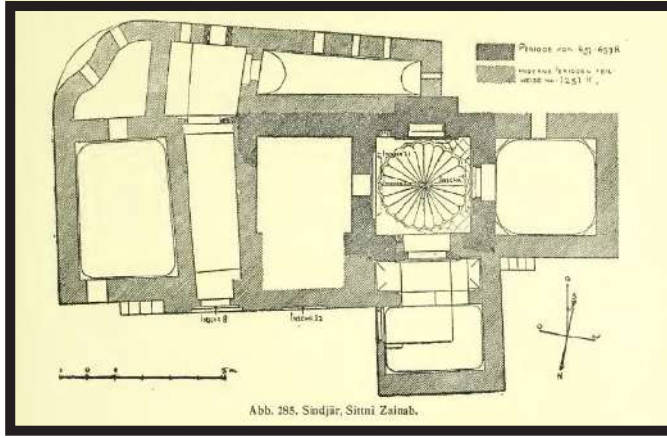
(18) ينظر ملحق رقم (4 أ).

(19) ينظر ملحق رقم (4 ب).

(20) ينظر ملحق رقم (5).

(21) تمت زيارة موقع المرقد من قبل الباحثين بتاريخ 29 / 8 / 2021م الساعة 12:59 بعد الظهر.

بعد سيطرة تنظيم داعش الإرهابي على قضاء سنجار في 3 آب 2014، كان أول عمل وحشي قام به هو تفجير المرقد وتجريف انقاضه بالكامل، ولم يسلم من وحشيتهم شيء. تبقى بناية المرقد الشريف شاهداً حياً على وحشية الأعمال التي قام بها التنظيم اللقيط، لتضاف إلى سجل أعمال تلك الجماعات المتطرفة على مدى تاريخها الأسود المليء بالأعمال الإجرامية، التي تتم عن كم من العدائية تجاه كل معاني الإنسانية.



ملحق رقم (1) / مخطط لبنانية المرقد / نقلاً عن Sarra. Arhaologische Reise, Vol 4, P123



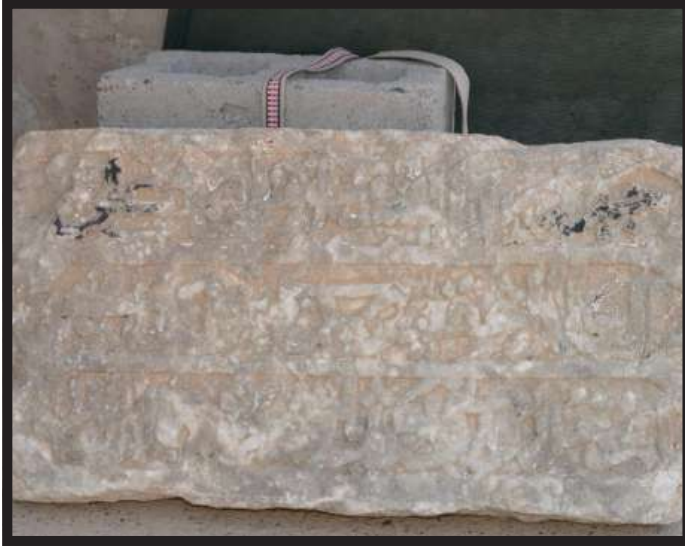
ملحق رقم (2) صورة لمحراب مرقد السيدة زينب وتظهر فيها كتابات قرآنية تحيط بالمحراب
نقلاً عن: التوتنجي، المحاريب العراقية، ص180.



ملحق رقم (3) صورة للمرقد تعود إلى بدايات القرن العشرين وتظهر فيها القبستان



ملحق رقم (4) صورة للوحة رخامية تحمل كتابات



ب - صورة للوحة رخامية تحمل كتابات
من تصوير الباحثين بتاريخ 2021 / 8 / 29 الساعة 1:30 بعد الظهر





الغزو الوهابي لكربلاء في عام (1216هـ/1802م)

دراسة تاريخية

أ.م. علي كامل حمزه السرحان

جامعة الفرات الأوسط التقنية/ المعهد التقني بابل

alialsrhan576@gmail.com

(ملخص)

شهد العراق في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين تحولاً سياسياً خطيراً تمثل بظهور الحركة الوهابية وتحولها من الطابع الديني إلى الطابع السياسي وكان قد تزعم آل سعود قيادتها السياسية وتهديدها للحكومة العثمانية في العراق، فكانت قوة معادية جديدة أثقلت كاهلها وأضافت لها عبئاً جديداً فوق الأعباء الخارجية والداخلية التي تعاني منها. من أهم ما تميز به المشهد السياسي في تلك المدة، الغزوات الوهابية المتكررة على المدن العراقية مثل كربلاء وغيرها من المدن العراقية، والتي كانت تشن كل سنة، ان الدعوة الوهابية لم تؤثر على المجتمع العراقي بسبب مخالفتها للمذاهب الإسلامية مما قدر لها أن تكون حركة غير مرغوب فيها هذا من جانب، وفرضها تحت وطأة السيف، لاسيما إذا رافقها سلب ونهب وقتل وتشريد وانتهاك من جانب آخر.



Wahhabi invasion of Karbala in (1216 AH/1802 AD) historical study

(Abstract)

Iraq has witnessed in the late eighteenth century and early nineteenth centuries shift serious political represents the emergence of the Wahhabi movement – and its transformation from a religious character to the religious character of the political and had claimed Al Saud political leadership-and its threat to the government Ottoman in Iraq, was hostile force new weighted burden and added her new burden on foreign .and domestic burdens afflicting

That the most important thing has characterized the political scene in that period, repeated invasions on Iraqi cities like Karbala, and others, and has been washing every year, The call did not affect the Wahhabi community because of violating the Iraqi Islamic doctrines, which estimated it to be unwanted movement this side, and imposed under the weight of the sword, especially if accompanied by Killing and displacement and violation by another

المقدمة:

يعد موضوع الغزو الوهابي لكربلاء في عام 1802م من المواضيع التي تستحق البحث والدراسة لاستقصاء الحقائق التاريخية نظراً لأهميتها لمعرفة خلفية ذلك الغزو الذي وقع على جزء من أراضي ولاية بغداد خلال العهد العثماني.

ان سبب الغزو الوهابي للامكان المقدسة هو ضعف الدولة العثمانية، واستقلال معظم الولايات البعيدة عنها، وفساد الجيش الإنكشاري هذا من جهة، بروز الدعوة الوهابية في ارض الجزيرة العربية، ودخول معظم إمارات ساحل الخليج العربي الى تلك الدعوة الجديدة مما أعطاه قوة معنوية ومادية، فضلاً عن معاداة الفكر الوهابي للمذهب الشيعي هذا من جهة أخرى.

من هنا جاء اختيار موضوع الغزو الوهابي لكربلاء في عام (1216هـ/1802م) لكونها تشكل حقبة مهمة من تاريخ العراق خلال العهد العثماني والتي تميزت بتطوراتها السياسية والاجتماعية، وانعكاسها على إظهار قوة المجتمع العراقي ووقوفه ضد التطرف الديني.

قسم البحث الى مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المبحث الأول الصراع بين المماليك والوهابيين في السيطرة على الأراضي العثمانية وسلطانا الضوء على عودة النزاع بين الطرفين بالرغم من الاتفاقيات التي عقدت بينهما، وخصصنا المبحث الثاني للغزو الوهابي لكربلاء في بداية القرن التاسع عشر وسلطانا الضوء على موقف إيران والشعر العراقي من واقعة كربلاء فضلاً عن القضاء على الحركة الوهابية.

التمهيد:

شهدت بلاد نجد تبديلاً داخلياً في القرن الثامن عشر، إذ ظهرت الدعوة الوهابية⁽¹⁾، وبدأ آل سعود بنشرها مستخدمين القوة العسكرية⁽²⁾ وحاولت تلك الدعوة الجديدة ان تمتد طريقها إلى العراق للتغلغل فيه⁽³⁾، وأخذت ملامح التأثير الخارجي للحركة الوهابية تظهر في العراق منذ سنة (1199هـ/1784م) متمثلة بفرار

(1) الدعوة الوهابية: تنتسب الطريقة الوهابية إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وتسمى طريقته باسم أبيه (عبد الوهاب)، أما السبب في عدم تسميتها بـ(بالمحمدية) نسبة إلى مؤسسها محمد- كما يقول البعض- للحد من وقوع التشابه بينها وبين المسلمين من اتباع رسول الله والحيلولة دون استغلاله، أما كلمة الوهابية فهي تطلق من قبل المعارضين للدعوة، أما أصحاب الدعوة فيطلقون على أنفسهم بالموحدين، وقد ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة (1115هـ/1703م) في قرية (العبيدة) إحدى القرى التابعة لنجد وكان والده قاضياً لها درس الفقه الحنبلي على يد والده، ثم ارتحل إلى البصرة من أجل تعلم بعض الدروس، وبدا يستنكر على الناس شعائرهم الدينية فثار عليه أبناء البصرة وأخرجوه فعاد إلى نجد، وقد توفي محمد بن عبد الوهاب سنة (1206هـ/1791م) ولكن أتباعه واصلوا طريقه وأحيوا بدعاه وضلاله. للمزيد ينظر: جعفر السبحاني، الوهابية في الميزان، قم المقدسة، مؤسسة الإمام الصادق، ط3، 2006، ص15؛ صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج1، بيروت، ط1، 1957، ص ص 63-35.

(2) مؤيد احمد خلف العهد، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (1869-1918)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة- كلية الآداب، 2002، ص52.

(3) تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير (1802-1780)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة- كلية الآداب، 1998، ص ص

القبائل العربية إليه لاسيما بني خالد (4) بسبب هجوم الوهابيين على منطقتي الإحساء والقطيف ، ولاقت تلك القبائل النازحة ترحيباً من العشائر العراقية التي وقفت معها ودافعت عنها (5)، فكانت حملة شيخ عشائر المنتفق ثويني العبد الله (6) في سنة (1201هـ/1786م) على الوهابيين والتي أحرز فيها تقدماً واضحاً عليهم، فهاجم التنومة (7) وبعد حصارها سقطت بيده وكادت بريدة (8) أن تلاقي المصير ذاته لولا انسحاب الشيخ ثويني وعودته إلى موطنه (9).

وفي سنة (1211هـ/1796م) وردت الأخبار إلى بغداد أن الأمير عبد العزيز بن سعود (10) استولى على منطقة الإحساء التي تتاخم العراق من الناحية الجنوبية، واحتل القطيف والعقير حتى وصل إلى ساحل الخليج، وأشيع عنه أنه عندما احتل تلك المنطقة قتل نحو مائتين من العلماء فيها (11)، ومن جانب آخر أخذ ابن سعود يهدد طريق الحج مما جعل شريف مكة (غالب بن مسعود) (12) يكتب إلى السلطان سليم الثالث (1807-1789م) يستغيث به، فأرسل السلطان العثماني إلى والي بغداد سليمان باشا الكبير (13)

(4) قبيلة بني خالد من أقدم القبائل العربية المعروفة، ومنزلها كثيرة على ساحل الخليج العربي، قسم من هذه القبيلة تحضر وسكن (القصيم)، وبني خالد ينقسمون إلى بطون كثيرة سكنت نجد والحجاز والعراق للمزيد ينظر: مهدي القزويني الحسيني، انساب القبائل العراقية وغيره، تحقيق عبد المولى الطريحي، بيروت، مكتبة الحضارات، 2011، ص 51.

(5) عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك (1749-1831)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة – كلية الآداب، 1976، ص ص 213-212؛ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى (1745-1818م)، القاهرة، دار نافع، ط2، 1969، ص 191.

(6) ثويني العبد الله: هو من آل شبيب، وألت إليه زعامة المنتفق وكانت العلاقة بينه وبين آل سعود طيبة، إلا أن ثويني أقحم نفسه في النزاع الذي كان قائماً بين آل سعود وبني خالد (1200هـ/1786م)، ثم هاجم قرى القصيم النجدية ولم يتمكن من الاستيلاء عليها، وحاول الاستقلال بالبصرة فخرج إليه سليمان باشا وهزمه. للمزيد ينظر: شعبان محمد خلف، الرسن وسقوط الدرعية (1230-1232هـ/1817-1815م)، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2011، ص 14.

(7) التنومة: من مدن القصيم، كانت منزل لألعشائر بني شمس وهي منطقة خصبة فيها أبار عدة وزراعة جيدة، ينظر: جون غوردن لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي ج1، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، الدوحة، 1975، ص 2690.

(8) بريدة: من مدن القصيم، تقع في جانب وادي الرماح المواجهة لعنزة، وتبعد عن الأخير مسافة 12 ميل. المصدر نفسه، ص ص 479-476.

(9) حسين خلف الشيخ خزعل، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بيروت، مطابع دار الكتب، ط1، 1968، ص 293؛ إبراهيم بن صالح بن عيسى، بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض، دار اليمامة، ط1، 1966، ص ص 122-123.

(10) الأمير عبد العزيز بن سعود: أصبح أميراً على الدرعية بعد وفاة والده في سنة 1179هـ/1765م، الذي واصل نشر الدعوة الإصلاحية، واجتهد في مد نفوذه نحو الشمال، وأغار على المناطق الغربية والجنوبية من العراق، وفي 6 تشرين الثاني سنة 1802 اغتيل في مسجد الطريف في الدرعية من قبل أحد الشيعة. للمزيد ينظر: الويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة سعيد فايز الشعيب، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 2003، ص ص 66-79.

نجد، الرياض، دار اليمامة، ط1، 1966، ص ص 122-123.

(11) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ج6، قم المقدسة، المكتبة الحيدرية، ط1، 2004، ص 121؛ علي الورد، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، بيروت، دار الرشيد، ط2، 2005، ص 190.

(12) جبر الادي غوري، حكام مكة، ترجمة محمد شهاب، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 2010، ص 208؛ صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والطباعة، ط1، 2009، ص 85.

(13) سليمان باشا الكبير: كان ملوكاً لمحمد أفندي المارديني (متسلم ماردين) وبعد وفاة سيده رحل إلى بغداد والتحق بخدمة سليمان أبو ليلة، ثم صار في عهد عمر باشا رئيساً للقسم الداخلي، وقد أبدى حملاً ودرابة في تشيئة الواجبات الملقاة على عاتقه مما أعجب به والي عيونه مسلماً للبصرة سنة 1170هـ/1756م. للمزيد ينظر: احمد جودت، تاريخ جودت ج 11، ترجمة عبد القادر الندا، 1308هـ/1890م، ص ص 141-138؛ باقر أمين الورد، بغداد(خلفاؤها، ولاتها، ملوكها، رؤسائها) منذ تأسيسها عام 1403-145هـ/762-1984م، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1984، ص 231.

يأمره أن يسير بقواته (لتأديب العصاة) ، فكلف الوالي في سنة (1212هـ/1797م) الشيخ ثويني العبد الله- شيخ المنتفق- بالمسير إلى حرب الوهابيين، وأمر أن يلتحق به حملة البنادق من جند البصرة مع خمس قطع من المدافع، حيث سار الشيخ ثويني نحو الإحساء مع جمع من عشائر المنتفق وعقيل (14) والظفير (15) وبني خالد وغيرهم، ولكن عند وصوله مع قواته إلى (عين الشبيك) هجم عليه في خيمته عبد زنجي اسمه (طعيس) فأغمد حربته في صدره وهو يهتف (الله أكبر !) (16).

حدث اغتيال الشيخ ثويني في أوائل تموز (1212هـ/1797م)، فحاولت القيادة العثمانية إخفاء حادثة وفاته (17) من أجل تماسك الجيش واتفقوا على أن يكون أخوه ناصر بديلاً عنه إلا أن ذلك لم ينفع الجيش المهاجم فتفرقوا وشتت جموعهم وهم مطاردين من قبل القوات الوهابية (18).

فوجئ الوالي سليمان باشا بفداحة تلك الهزيمة التي لم يكن يتوقعها ولعله كان يظن أن الحركة الوهابية أمرها هين لا يحتاج قمعها إلى عناء كبير، ثم تبين له أنها أعظم مما كان يظن (19) ، ولم تتمكن حملة الشيخ ثويني العبد الله من كسر شوكة الوهابيين، والحد من اندفاعها، وبالمقابل أيضاً أدرك الآخرون أن العقبات التي حدثت لهم سببها بعض العشائر التي شاركت في الحملة مثل بنو خالد الذين ساندوا خصومهم في نجد والإحساء من أجل الحصول على بعض المكاسب (20).

إن حملة الشيخ ثويني مثلت أول رد فعل عراقي عسكري ترأسه شيخ المنتفق، بعد أن وعى القوة الجديدة وعنف اندفاعها عندما قذفت بالعشائر النجدية إلى العراق هرباً وخوفاً من الوهابيين (21)

(14) عقيل: وهي قبيلة عربية سكنت في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق، وقد استخدمهم الوالي داود باشا في تأديب أهالي الحلة وكسر شوكتهم لكثرة انتفاضاتهم على السلطة المملوكية. للمزيد ينظر: محمد حسين كاشف الغطاء، العيقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، النجف الأشرف، مكتبة كاشف الغطاء، 2007، ص63.

(15) الظفير: بطن من بطون العرب، وقد وقع الاختلاف في نسبها نظرًا لكثرة الأفاخذ والبطون والعشائر التي تنتمي إليها وتتفرع منها، ومنزلها بين نجد والعراق وفي أطرافها. للمزيد ينظر: مهدي القزويني الحسيني، المصدر السابق، ص88.

(16) علي الوردي، المصدر السابق، ص190.

(17) إن مقتل الشيخ ثويني على ما يرجح كان مؤامرة دبرتها بين براك الخالدي شيخ عشيرة بني خالد وحسن بن مشاري من قادة الوهابيين، إذ جرى اتصالاً سرياً بين الاثنين، وتعد براك بالتعاون مع الوهابيين في تعقب مجاميع العشائر والجيش العثماني حين انهزامه، وترجح المصادر التاريخية أيضاً ميل شيخ عشائر المنتفق ثويني العبد الله إلى محمد بن عريعر ابن شيخ عشيرة بني خالد السابق وزعيم منطقة الإحساء قبل احتلالها من الوهابيين، وهذا الميل أشعر الشيخ براك الخالدي بالبعوض والحسد والخوف من انتصار الشيخ ثويني في المعركة واسترجاع الإحساء. للمزيد ينظر: صلاح الدين المختار، المصدر السابق، ص66.

(18) مؤيد أحمد خلف الفهد، المصدر السابق، ص84.

(19) علي الوردي، المصدر السابق، ص190.

(20) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 196-195؛ عبد الفتاح محسن أبو علي، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى، القاهرة، مطبعة النهضة، (د.ت)، ص43؛ مؤيد أحمد خلف الفهد، المصدر السابق، ص80.

(21) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج1، بيروت، 1962، ص60.

ولم تمض على تلك الهزيمة سوى أشهر معدودة حتى أغار سعود بن عبد العزيز⁽²²⁾ على قرية (أم العباس) قرب سوق الشيوخ فقتل من سكانها عدداً كبيراً، ثم أغار بعدئذ على العين المعروفة باسم (الأبيض) قرب السماوة، وكانت قد اجتمعت فيها عشائر عراقية كثيرة مثل (شمر)⁽²³⁾، (الظفير، وآل ببيع)⁽²⁴⁾، (الزقاريط)⁽²⁵⁾، فباغتتهم في بيوتهم وغنم أكثر ما لديهم من إبل ومتاع، كما قتل عدة رجال من فرسانهم كان منهم (مطلق بن محمد الجربا) رئيس شمر⁽²⁶⁾.

وفي نهاية سنة (1212هـ/ 1797م) جاء إلى العراق أربعون ألف زائر إيراني لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء، فطمع بهم أعراب من (عنزة)⁽²⁷⁾، (الظفير والرولة)⁽²⁸⁾ من أجل سلبهم، فبقي الزوار محصورين في كربلاء وكان من بين الزوار حرم الشاه⁽²⁹⁾، فساعت حكومة المماليك مما حصل، فجهز والي بغداد جيشاً بقيادة داود بك⁽³⁰⁾ لفك الحصار عن الزوار فصار الأخير إلى الحلة ومكث بها بضعة أيام للاستراحة، فانتشر الرعب في نفوس الأعراب المحيطين بكربلاء وغيرها وتفرقوا، فأرسل داود قوة إلى كربلاء فلما حضروا إليها لم يجدوا مقاومة فأحضر الزوار إلى الحلة ثم نقلهم إلى النجف لغرض الزيارة، ومنها عادوا إلى الحلة ثم ذهبوا إلى بغداد، ثم قام داود بتأديب قبيلة زبيد الساكنة في أطراف الحلة وعزل شيخها ونصب مكانة (شفاح الشلال)⁽³¹⁾

(22) سعود بن عبد العزيز : قائد الهجمات الوهابية على العراق، وهو ابن الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود، فبعد اغتيال والده سنة 1217هـ/ 1802م، وقد اتهم أحد العراقيين بقتله، كفف الهجمات الوهابية على العراق لضمه إلى ممتلكاته، لكنه لم ينجح في ذلك بسبب معارضة القبائل في الجزيرة العربية لحكمه، فضلاً عن الخطوات التي اتخذتها الحكومة العثمانية . للمزيد ينظر : أحمد رائف ، الدولة السعودية فجر التكوين وأفاق الإسلام، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي، 1995، ص68.

(23) شمر: قبيلة من العرب، ذات بطون ، يتواجدون في نجد والعراق، ويتواجدون في العراق في منطقة غرب الفرات ، وبيت الرئاسة في شمر العراق في بيت محمد . للمزيد ينظر : عباس العزاوي ، عشائر العراق ، مج 1 ، ج 1 ، بيروت ، مكتبة الحضارات ، ط2، 2010 ، ص ص 75-70 ؛ مهدي القزويني الحسيني ، المصدر السابق ، ص74.

(24) آل ببيع : اسم قبيلة من الأعراب ولعلهم صغروا في اللفظ لكثرة الاستعمال ومهنتهم رعي الإبل وبعضهم توطنوا في الأراضي الزراعية وأخذوا يفلحون بها لاستثمار خيراتها . للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص28.

(25) الزقاريط: عشيرة بدوية من شمر نزحت إلى العراق من نجد في حدود بداية القرن التاسع عشر، وسكنوا في أرياف مدينة كربلاء . للمزيد ينظر : ثامر عبد المحسن العامري، معجم العامري للقبائل والاسر والطوائف في العراق، بغداد، مطبعة الوفاق، 2001، ص208.

(26) عباس العزاوي ، عشائر العراق ، المصدر السابق، ص75.

(27) عنزة : من أكبر القبائل العربية ، وهي منتشرة بين الحجاز ونجد والعراق وسورية، وتنسب إلى أسد بن ربيعة ، وهي تنفرع إلى بطون ثلاثة كبيرة . للمزيد ينظر : مهدي القزويني الحسيني، المصدر السابق ، ص94.

(28) الرولة : وهي عشائر تدين بالمذهب الوهابي وتوطن في شمال الجزيرة العربية بالقرب من الحدود العراقية ، وكانت بين الحين والآخر تقوم بالهجوم على المناطق والعشائر العراقية التي تتحدها . للمزيد ينظر : يوسف كركوش الحلي ، تاريخ الحلة – القسم السياسي- القسم الأول ، النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية ، 1965، ص133.

(29) وهي حرم الشاه فتح علي شاه القاجاري (1250-1212هـ/ 1824-1797م) الذي حكم إيران لمدة أكثر من ربع قرن . للمزيد ينظر : حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران ، ج3، بغداد ، بيت الحكمة ، ط1، 2005، ص186.

(30) داود: ولد في مدينة تقليس سنة 1767م، وفي سنة 1780 جيء به إلى العراق عن طريق اختطاف بعض الخناسين له ، أو عن طريق الشراء المعتاد، في بغداد اشتراه مصطفى بك الربيعي، ثم باعه إلى سليمان باشا الكبير ، اعتنق الإسلام، وتعلم القراءة والكتابة والفنون العسكرية، وقد أظهر اقتدار في ممارسة أمور الدولة الرسمية . للمزيد ينظر : عبد العزيز سليمان نوار ، داود باشا والي بغداد ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة ، 1967، ص ص 42-41 ؛ سليمان فائق بك ، تاريخ بغداد ، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ، مطبعة المعارف، 1992، ص ص 117-116 ؛ علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، 1929، ص220.

(31) شفايح الشلال : نصبه داود بك شيخاً على عشيرة زبيد، وأعطاه الزعامة العامة على منطقة الفرات الأوسط ليحكمها نيابة عن والي سليمان باشا الكبير، وعين معه كاتباً عربياً وبسط نفوذه حتى حدود السماوة إلى حدود بغداد. للمزيد ينظر : وادي العطية ، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، 1954، ص40.

الذي تعهد بتأمين الطرق وحراستها⁽³²⁾.

لقد واجه سليمان باشا الكبير مشكلتين أساسيتين: الأولى المشكلة العشائرية، والثانية الغزو الوهابي للعراق، فأتخذ الوالي إجراءات سريعة منها نشر الجيش في مناطق الهندية والحلة لصد الهجمات الوهابية، واتخاذ مدينة الحلة مقراً متقدماً للقوات العسكرية العثمانية من أجل كبح جماح طموح ابن سعود الذي كان راغباً بضم كل مناطق غرب الفرات إلى إمارته⁽³³⁾.

المبحث الأول: الصراع بين المماليك والوهابيين في السيطرة على الأراضي العثمانية: -

ومن أجل إيقاف التغلغل الوهابي سير الوالي سليمان باشا الكبير حملة عسكرية ثانية لقتالهم عهد بقيادتها إلى عسكري نظامي هو (الكتخدا)⁽³⁴⁾ علي باشا⁽³⁵⁾ في سنة (1213هـ/1798م)، فجهز جيشاً كبيراً حشد فيه خمسة آلاف من الاتكشارية ومدافع كثيرة وقطعات من عشائر عقيل والعبيد⁽³⁶⁾ وشمر والمنفق وقشعم⁽³⁷⁾ والظفير وغيرهم⁽³⁸⁾.

كما جهز خمسة آلاف بندقية من النجادة، فضلاً عن عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف جمل⁽³⁹⁾، ولكن ضخامة هذه الحملة لم تنفع أمام الصحراء التي اجتازتها، وعندما وصلت قلعة الإحساء المحصنة التي توقعوا الاستيلاء عليها بدون صعوبة، لكن استمرار مقاومة القلعة أكثر من شهر مع وصول قوات كبيرة تحت قيادة سعود بن عبد العزيز قد أثار شكوكاً قوية في نجاح علي باشا في مهمته، وكانت تلك الشكوك من القوة بحيث دفعت المماليك إلى الانسحاب⁽⁴⁰⁾.

(32) يوسف كركوش، المصدر السابق، ص133.

(33) عزراء شاكر هادي الهلالي، الحلة (1800-1869م) دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2009، ص15.

(34) الكتخدا: في الأصل (كندخدا) وهي لفظة فارسية، وتطلق في التركية على الوكيل أو النائب، وتطورت في التركية إلى كلمة (كخية) وهذا الاسم عند العثمانيين يطلق على عدة مهام ووظائف، فكان كبار رجال الدولة العثمانيين ممن لهم المناصب العالية في القصر أو الجيش لهم من ينوب عنهم في أعمالهم ويعاونهم. للمزيد ينظر: سليمان فائق بك، تاريخ المماليك (الكولة منذ) في بغداد، ترجمة محمد نجيب ارمنزي، بغداد، مطبعة المعارف، 1961، ص ص 20-21؛ حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2004، ص112.

(35) علي باشا: تولى ولاية بغداد بعد وفاة سليمان باشا الكبير، وهو صهر سليمان وكتخداه، كان يحب العلماء والصالحين، شجاعاً ذا هبة، استطاع بحكمة وبصيرة معالجة الاضطرابات العشائرية والهجمات الوهابية، قتل عند أداءه صلاة الفجر. للمزيد ينظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق (1831-1750م)، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1975، ص52؛ كريم مطر حمزة، الحلة في عهد داود باشا (1831-1817م) دراسة تاريخية، بابل، جامعة بابل-مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، (د.ت)، ص14.

(36) العبيد: أو آل عبيد بالتصغير، وتنسب إلى قبيلة طي في العراق. ينظر: مهدي القزويني الحسيني، المصدر السابق، ص92.

(37) قشعم: ينطقها العرب (جشعم)، وان قشعم لقب ربيعة نزار، والمشهور عند العرب أن آل قشعم من بني ماء السماء، أي من قحطان. ينظر: المصدر نفسه، ص113.

(38) جواد الظاهر، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث، ج1، بغداد، دار الكتاب العربي، 2011، ص60.

(39) ستيفن همسلي لونكر، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، المكتبة الحيدرية، ط1968، ص4، ص213.

(40) هارفر جونسون بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عوضة بن متيريك الجهني، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2005، ص88.

لقد توقع سعود هذا التصرف من علي باشا، فسار قبلهم ليخيم مع قواته على مقربة من آبار مورد (تاج) التي تقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام من الإحساء، أما البئر الآخر من آبار ذلك المورد الذي يبعد حوالي ميلين عن الأول فقد عطل سعود استخدامها عن طريق رمي عدد من أحمال الملح التي احضرها معه لهذا الغرض في مياهها، وعند وصول قوات بغداد الى تلك البئر المعطلة يمكن ان يتصور الإنسان مدى المعاناة التي لقيها الرجال والخيل من الملوحة التي طرأت على الماء، وهنا لم يرى المماليك من الحكمة مواصلة مسيرهم خوفاً من أن ينقض عليهم سعود بن عبد العزيز بهجوم مفاجئ، ومن ناحية أخرى لم يغامر سعود بمهاجمة المماليك، لان مدفيعتهم كانت مرعبة له ولإتباعه العرب، وعلى ذلك استمر الجيشان متقابلين وعلى مدى النظر من بعضهما لمدة ثلاثة أيام⁽⁴¹⁾.

بدأت الفوضى تدب في قوات علي باشا، وبدأت الجمال تهزل وينتشر فيها الموت وضج المقاتلين ولاسيما من أبناء العشائر وصاروا ينادون بضرورة العودة لأنهم لم يعتادوا على الحرب الطويلة، وفي هذه الحالة الحرجة وصلت رسالة من سعود بن عبد العزيز طلب فيها الصلح، وقد جاء فيها: ” من سعود بن عبد العزيز إلى علي .. أما بعد : فما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا، مع أن الحسا روافض⁽⁴²⁾، ونحن جعلناهم بالسيف مسلمين، وهي قرية ليست داخلية في حكمكم، والذي يحصل منها قليلة بالنسبة إلى تعبك، ولو إن جميع أهل الحسا وما يليها يدفعون إليكم كل ما يملكونه من دراهم، وغيرها لما يعادل مصاريكم في هذه السفرة فقط، وما كان بيننا وبينكم من المضاعفة إلا ثويني، وقد لقي جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة وهي خير لنا ولكم، والصلح سيد الأحكام ”⁽⁴³⁾.

وبعد أن اطلع (الكتخدا) على الرسالة بدأت المفاوضات بين الطرفين، وتم التوصل الى هدنة مدتها ست سنوات بين سعود وباشوية بغداد وكان من شروطها :

- 1 - ألا يقرب آل سعود من الإحساء بعد الآن.
- 2 - ان ترجع الأطواب (المدافع) التي أخذها آل سعود من ثويني.
- 3 - أن يسدد آل سعود جميع ما صرفه الكتخدا في سفرته.
- 4 - أن لا يتعرض للحجاج الذين يأتون إليه من طرف ولاية بغداد، ولا لأبناء السبيل وان يكف عن غزو أراضي ولاية بغداد.

(41) المصدر نفسه، ص89.

(42) روافض: كلمة سياسية تطلق على معتنقي المذهب الشيعي من قبل معارضين للشريعة.

(43) فؤاد إبراهيم ، العقيدة والسياسة – الوهابية وآل سعود مثلاً، بيروت ، دار الميزان ، ط1، 2012، ص35.

فأحال سعود بن عبد العزيز الشروط إلى والده، باستثناء عدم التعرض للحجاج فقبل بذلك ظاهراً، لأنه نكت بكل وعوده فيما بعد⁽⁴⁴⁾، ويذكر أحد المؤرخين عندما تم الصلح رجع الكتخدا إلى بغداد في شهر تموز سنة (1214هـ/1799م)، ولم يف سعود بن عبد العزيز بواحد من الشروط التي تصالح من أجلها، بل طغى وبغى وزاد في نشر بدعته وقتل المسلمين عليها⁽⁴⁵⁾.

إن فشل الحملة التي قادها علي باشا لإيقاف زحف الوهابيين نحو أراضي ولاية بغداد تعود بالإجمال إلى سببين أولاً: الطريقة الخاطئة المتسمة بقتلة الخبرة العسكرية التي بدأ بها علي باشا بالهجوم على الإحساء، وثانياً: النظرة السيئة التي كان يتعامل بها علي باشا مع أعوانه من القبائل العربية.

لقد اعتمد الوالي سليمان باشا في مواجهته العسكرية للوهابيين خلال المدة (1211-1212هـ/1796-1797م) على العشائر العراقية، ولاسيما عشائر المنتفق⁽⁴⁶⁾، وذلك بسبب فساد المؤسسة العسكرية النظامية الإنكشارية ومرضه وعجزه وكبر سنه⁽⁴⁷⁾، أما السلطان العثماني سليم الثالث فقد رسم سياسته في مواجهة الوهابيين بطريقتين: هي أما أن يقدم والي بغداد بالعمل بنفسه، أو يكلف نائباً عنه، أو يسلط القبائل التابعة لولايته لتفعل ذلك⁽⁴⁸⁾.

عودة النزاع:

لم يدم الصلح بين والي بغداد وابن سعود طويلاً، ففي سنة (1214هـ/1799م) جاءت قافلة من نجد إلى بغداد للاكتيال فباع ما عندها في أسواق بغداد وتزودت بما تريد وتحتاج إليه، ثم عادت القافلة إلى نجد عن طريق النجف، وقد رافق عودتها من بغداد جمع من الحجاج العراقيين، وعند وصولهم النجف كان هناك وفد من الخزاعل⁽⁴⁹⁾.

(44) جواد الظاهر، المصدر السابق، ص 60.

(45) فؤاد إبراهيم، المصدر السابق، ص 35.

(46) المزيد عن المنتفق. ينظر: حميد حمد السعدون، إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، عمان، 1999.

(47) ياسين خير الله العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد، 1968، ص 193؛ عبد الكريم سمعان رافق، العرب والعثمانيون (1916-1516م)، دمشق، مطابع ألف باء، ط 1، 1974، ص 342.

(48) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، دفتر مهمة: 200، تاريخ الوثيقة: أواسط ربيع الأول 1208هـ/1793م، ص 18.

(49) الخزاعل: عشيرة قوية ترجع في أصولها إلى طي بن سنبس بن قحطان، يسكنون غرب السماوة إلى مناطق الحلة. للمزيد ينظر: متعب خلف جابر الريشاي، إمارة الخزاعل في العراق نشأتها وتطورها وعلاقتها المحلية والإقليمية (1281-1050هـ/1864-1640م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القادسية، كلية التربية، 2007؛ حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق - الخزاعل، النجف الأشرف، 1974، ص 62.

(آل سلمان) يؤدون مناسك الزيارة للروضة الحيدرية، وشاهد فرسان الوهابية شيخ الخزاعل وهو يقبل عتبة باب ضريح الإمام علي فهجموا عليه وقتلوه أمام أنظار أتباعه، فطلب رجال الخزاعل النأر لشيخهم القتل والتحموا مع الوهابيين في معركة استمرت أكثر من ثلاث ساعات قتل خلالها ثلاثمائة رجل من الوهابيين ونهبت رحالهم⁽⁵⁰⁾، وكذلك نهبت أموال الحجاج العراقيين، وقد عاد من سلم من الوهابيين إلى نجد وعاد الحجاج إلى بغداد بلا زاد ولا متاع⁽⁵¹⁾.

وعندما علم عبد العزيز بن سعود بحادثة النجف أرسل إلى الوالي سليمان باشا الكبير يطلب منه ديات القتلى ويهدده بنقض الصلح الذي بينهما، فأرسل الوالي إليه عبد العزيز بك الشاوي⁽⁵²⁾ ليفاوضه في الأمر ويعلمه بأن القتلى كانوا من الجانبين، إذ قتل الوهابيين من الخزاعل مثلما قتل الخزاعل من الوهابيين، ولكن ابن سعود قال للشاوي: "أما كفى الوزير أننا تاركوه يحكم بغداد، والله عن قريب ترى جميع غربي الفرات لنا وشرقيه"⁽⁵³⁾.

إن المباحثات بين الشاوي وابن سعود وصلت إلى طريق مسدود لأن الأخير كان عازماً على استغلال تلك الحادثة للتخلص من بنود الاتفاق الموقع مع العثمانيين، حتى أنه بالغ في شروطه مطالبا بالأراضي الواقعة غربي نهر الفرات كبديل عما أصابهم على يد قبيلة الخزاعل⁽⁵⁴⁾، وإزاء عدم اكتراث سليمان باشا بمطالب ابن سعود عمد الأخير إلى تنفيذ تهديداته مكثفاً هجماته ضد الأراضي العراقية في النجف والحلة وكربلاء، ففي سنة (1215هـ/ 1800م) هاجم الوهابيون مدينة النجف لكن عشائر الخزاعل وحلفاؤها وأهل المدينة ردوا عنها غائلة العدوان⁽⁵⁵⁾، ونتيجة لما حدث في النجف قام الوالي سليمان باشا الكبير بتعمير سور الحلة⁽⁵⁶⁾ من أجل أن يكون قادراً على مواجهة الوهابيين والتصدي لهم⁽⁵⁷⁾.

(50) ياسين العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل، 1940، ص ص 54-53.

(51) رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، قم المقدسة، منشورات الشريف الرضي، ط1، 1992، ص 212؛ عثمان بن سند البصري، مطالع السعود في أخبار الوالي داود، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيل عبد الحميد القيسي، بغداد، 1991، ص 230؛ وادي العطية، تاريخ الحكم في الديوانية، مخطوطة محفوظة لدى أسرة المؤلف، الورقة 50.

(52) عبد العزيز بك الشاوي: هو عبد العزيز بك بن عبد الله الشاوي، أحد شيوخ عشائر العبيد، حيث كان ذاهباً للحج فكلفه الوالي بالذهاب إلى ابن سعود لتوضيح الصورة في حادثة النجف الأشرف. ينظر: رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص 214-213.

(53) علي الوردي، المصدر السابق، ج1، ص193.

(54) أحمد علي الصوفي، الممالك في العراق، الموصل، 1952، ص ص 79-78.

(55) ياسين العمري، غاية المرام، المصدر السابق، ص196؛ جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضر ها، ج1، صيدا، 1934م، ص327.

(56) سور الحلة: يرجع تاريخ بنائه إلى بدايات القرن الثامن عشر الميلادي، وهو أول سور بطوق المدينة، وأن باشاوات بغداد أولوه عناية خاصة وكبيرة من أجل تأمين الحماية من هجمات البدو من جهة الصحراء، ويحيط السور خندق عميق وفيه عدة أبراج للمراقبة، وفيه أربعة أبواب من جهة الغرب (باب الطهماسية)، ومن جهة الشمال (باب بغداد) (باب الحسين) ومن جهة الجنوب (باب المشهد). للمزيد ينظر: جمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق في سنة 1816م، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، دار العربي، 1969، ص44؛ جمس ريموند ولستد، رحلتي إلى العراق في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، مكتبة النهضة العربية، 1984، ص12؛ خليل إبراهيم نوري، خطط الحلة في القرن الثامن عشر، النجف الأشرف، دار الضياء للطباعة، ط1، 2008، ص41.

(57) علي طالب عبيد عاصي، الحلة في القرن الثامن عشر (1800-1700م) دراسة تاريخية في الأحوال السياسية والإدارية والفكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بابل- كلية التربية، 2009، ص72.

وعندئذ أمر الوالي (الكتخدا) علي باشا باتخاذ الاحتياطات الضرورية فقام بإرساله على رأس قوة عسكرية لتحول دون تعرض الوهابيون للعراقيين، حيث سافر علي باشا نحو الهندية ونزل قرب نهر الشاهي وأقام هناك بضعة أيام ثم رحل نحو شثانة⁽⁵⁸⁾، وقد التحقت به عشائر العبيد وشمر وغيرها من العشائر والعساكر النظامية من بغداد وتقدر بألفي جندي، فلما بلغوا تلك الأنحاء رأوا القوات الوهابية قد حطت رحالها هناك واستعدت أتم الاستعداد للقتال، ولكنها قبل التصادم انسحبت من أمام الجيش العثماني، وبعد انسحابها قررت قيادة الحملة أن تميل نحو شثانة لقلّة المياه في المكان الذي عسكرت فيه⁽⁵⁹⁾.

وفي ذلك الوقت وصل عبد العزيز الشاوي إلى العراق وأخبر الوالي ثم ذهب إلى الكتخدا علي باشا وأخبره بتفاصيل مباحثاته مع شيخ الوهابيين وسوء ما يضره، وعليه بقي علي باشا في مكانه حوالي ثلاثة أشهر ثم عاد إلى الحلة وأقام في قرية النبي أيوب، ولما ينس من عودة الوهابيين ترك قوة كافية في المكان المذكور بقيادة رئيس الأغوات⁽⁶⁰⁾ لترصد الأخبار وتحافظ على الأمن، وعاد بقية أفراد الحملة إلى بغداد، وكانت مدة تلك السفرة ثلاثة أشهر وبضعة أيام⁽⁶¹⁾.

المبحث الثاني: الغزو الوهابي لكربلاء سنة (1216هـ/1802م) وموقف إيران والشعر العراقي منه:

وصلت الهجمات الوهابية الذروة عندما اجتاحت قواتهم مدينة كربلاء سنة (1216هـ/1802م)⁽⁶²⁾ بقيادة سعود بن عبد العزيز⁽⁶³⁾ مع عدة آلاف من أتباعه في يوم (18 ذي الحجة)⁽⁶⁴⁾ 1216هـ/ 20 نيسان 1802م) مستغلين سفر معظم أهالي كربلاء إلى النجف لإحياء ذكرى مناسبة عيد الغدير الخاصة بالمذهب الشيعي⁽⁶⁵⁾.

(58) شثانة : هي قرية كبيرة تبعد عن كربلاء غرباً 58 كم وهي مركز قضاء عين التمر، وهي قرية عرفت بزراعتها للندخل . للمزيد ينظر : عبد الرزاق الحسيني ، العراق قديماً وحديثاً، صيدا ، ط3 ، 1958، ص130.

(59) Mehdi Jawad Habib al-Buṣṭni, Baghdad Daki Kolenen ,Hakimiy, Tinintesis Ve Koledirilas le Alirlizea pasa Ninvaligi (1749-1842),Daktora,Tezi,(İstanbul,1979),P.17.

(60) الأغوات : جمع كلمة آغا، وهي كلمة تركية تعني الأخ الأكبر، كما تطلق على صغار الضباط وأحياناً على كبارهم، وتأتي بمعنى السيد والأمر، ورئيس الخدم. للمزيد ينظر : محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1990، ص18.

(61) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص214.

(62) جواد الكلبدار، تاريخ كربلاء، النجف الاشرف، 1997، ص235؛ عبد الله حسن فضل العلوي الحسيني، صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، اللاذقية، مطبعة كومين، (د.ت)، ص146؛ حامد الكار، الوهابية، ترجمة عباس خضير كاظم، بغداد، ط1، 2006، ص29.

(63) محمد عوض الخطيب، صفحات من تاريخ الجزيرة العربية، قم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط2، 1996، ص176؛ نجاح الطائي، الوحدة الشيعية والغزو الوهابي، ج3، بيروت، دار الهدى لإحياء التراث العربي، ط2، 2005، ص225.

(64) أن يوم 18 ذي الحجة من المناسبات الكبيرة لدى المذهب الشيعي ويسمى بيوم الغدير . للمزيد ينظر : سعيد رشيد زميزم، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، بيروت، دار القارئ للطباعة والنشر، ط1، 2010، ص ص 62-61.

(65) اليماني الفخراي، النزعة التكفيرية في فكر الوهابية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2012، ص187.

فحاصروا مدينة كربلاء وقسموا قواتهم إلى ثلاثة أقسام ، ومن ظل أحد (الخانات) (66) هاجموا أقرب باب من أبواب البلدة فتمكنوا من فتحها ودخلوا فدهش السكان (67)، وأصبحوا يفرون على غير هدى (68) ، أما الوهابيون فقد شقوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة وأخذوا يخربونه (69)، فاقتلعت القضب المعدنية والسياج ثم المرايا ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشاوات والأمراء وملوك الفرس، وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف وأخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة، وجميع ما وجد من ذلك الضرب، وقد سحبت جميعها ونقلت إلى الخارج، وقتل زيادة على تلك الأفاعيل قرابة خمسين شخصاً بالقرب من الضريح وخمسائة خارج الضريح في الصحن (70)، وقد هدموا قبر الإمام الحسين واقتلاع الشباك الموضوع عليه (71)، كما قاموا بربط الخيل في الصحن الشريف، ودقوا القهوة فيه (72)، أما في البلدة فقد عاث الوهابيون فيها فساداً وتخريباً، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه ، كما سرقوا كل دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم الكل من وحشيتهم (73).

كان في تلك المدة والي بغداد سليمان باشا الكبير قد ترك بغداد هو وحاشيته بسبب مرض الطاعون، وانتقل إلى بلدة (الخالص) (74) وهو مصاب بداء المفاصل، وقد علم من شيخ المنفق حمود الثامر (75)

(66) الخانات: مفرداها خان وهي لفظة فارسية ، وتعني الفندق أو الوكالة أو القيصرية أو الربع ، للمزيد ينظر : المنجد الأبجدي ، بيروت ، دار المشرق ، ط5، 1986، ص397 ؛ خليل إبراهيم نوري ، قطوف حليلة ، النجف الاشرف ، دار الضياء ط1، 2007، ص68 ؛ علي كامل حمزة السرحان، خانات الحلة في العهد العثماني دراسة تاريخية، جامعة بابل ، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، 2011 ، ص2.

(67) أبو طالب خان ، رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوروبا، ترجمة مصطفى جواد ، بغداد ، دار الوراق للنشر ، ط1، 2007، ص219 ؛ حمادي الرويسي واسماء نويرة ، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1، 2008، ص45 ؛

Louis de corance z .A history of what History IGNORED,BEIRUT,(July,2003).P.26-27

(68) ينظر الموقع الآتي على الإنترنت: العراق تحت حكم الإمبراطورية العثمانية ، أو على العنوان الآتي: <http://www.ivsl-org:.iraqnaa.com/anirq/atm.htm>

(69) ينظر الموقع الآتي على الإنترنت : مقدمة المحقق، او على العنوان الآتي: <http://www.ivsl-org/mezan.net/books/wahabia/manhaj/htm/manhaj>

(70) عبد الله سنت فليبي، تاريخ نجد ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ، (دب) ، ص99.

(71) محمد عوض الخطيب، الوهابية فكاراً وممارسة، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر ، ط3، 2011 ، ص ص 203-204.

(72) محسن الأمين ، كشف الارتياح في إتياع محمد بن عبد الوهاب، تحقيق حسن الأمين ، قم، منشورات مكتبة الحرمين ، ط2، 1962، ص20 ؛ ناصر السعيد، تاريخ آل سعود ، ج1، (دم) ، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية ، (دب) ، ص24.

(73) أبو طالب خان ، المصدر السابق، ص269.

(74) الخالص : قضاء تابع لمحافظة ديالى ، وتبلغ مساحته 799كم2، استحدث القضاء سنة 1930م، وسمي بالخالص نسبة إلى نهر الخالص. للمزيد ينظر : مؤيد سعيد بسيم وآخرون ، الدليل الإداري للجمهورية العراقية، ج1، بغداد، الدار العربي للطباعة، ط1، 1990 ، ص344.

(75) حمود الثامر : من زعماء المنتفق البارزين، تولى رئاسة المنتفق سنة 1797م، بعد مقتل ثويني العبد الله حتى سنة 1825م ، أبرز أعماله إيصال سعيد باشا إلى الحكم ، وكان قد فقد بصره ولم يؤثر ذلك على جدارته بالرئاسة وحكم المنتفق . للمزيد ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت ، دار العلم للملايين ، (دب)، ص281.

شخص، فأوفد علي باشا محمد بك الشاوي (76) إلى الوالي ليخبره بتلك الحادثة، ثم سافر نحو كربلاء على أمل أن يظفر بالوهابيين وينتقم منهم وينقذ البلدة من قبضتهم (77).

إلا أن الأخبار وردته وهو حينئذ في الحلة أن الوهابيين بعدما نهبوا وقتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الأخيضر، فتوقف علي باشا في الحلة لعدم بقاء ما يدعو إلى السفر إلى كربلاء بعد هروب الوهابيين منها،

واكتفى بإرسال بعض القوات إلى كربلاء من باب الاحتياط (78)،

ويذكر الرحالة الهندي الميرزا أبو طالب خان وكان قد زار كربلاء بعد الواقعة، أن الأهالي يتهمون حاكم كربلاء (عمر أغا) بأنه كان متواطئاً مع الوهابيين وقام بمكاتبتهم ولم يعمل شيئاً لحماية المدينة، فضلاً عن كونه من أتباع الفكر المتطرف ضد الشيعة،

والثابت أنه هرب إلى قرية قريبة من كربلاء أول ما علم بالخطر الوهابي ولم يدافع عن المدينة، وقد قتله سليمان باشا،

ويقول الرحالة الهندي أنه لقي بكربلاء عمته المسماة (كربلاي بك) ونسوة من حاشيتها وكان الوهابيون قد سلبوهن كل ما يملكن فأعانهن بما استطاع من المعونة، ثم ذكر أن الوهابيون قتلوا في كربلاء حوالي "خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف" (79).

من خلال ما تقدم يمكن القول إن سياسة الدولة العثمانية تجاه المناطق التي تنتمي إلى المذهب الشيعي كانت تتسم بالعنف وعدم الاكتراث إلى مطالب الأهالي في تلك المناطق في حمايتهم أو مساعدتهم في الدفاع عن مقدساتهم، فضلاً عن قيام الدولة في تعيين حكام لتلك المناطق ذات الغالبية الشيعية- من أتباع الفكر المتطرف ضد الشيعة.

(76) محمد بك الشاوي : هو محمد بن عبد الله بن نصيف الشاوي، وشقيق سليمان الشاوي، من شيوخ العبيد المعروفين، من ذوي المكانة الكبيرة عند الوالي والأهالي، تولى منصب باب العرب عقب مقتل أخيه سنة 1794م، واحتل منزلة كبيرة عند ولاية بغداد حتى أرسل سفيراً عنهم إلى فارس والدرعية، قتل سنة 1803م خوفاً من مكانته وشعبيته. للمزيد ينظر : عبد الرحمن بن عبد الله السويدي، تاريخ حوادث بغداد والبصرة، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1978، ص 74؛ عبد الكريم غرابية، مقدمة في تاريخ العرب الحديث (1500-1918م)، ج 1، دمشق، 1960، ص ص 162-165.

(77) عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عارف أحمد عبد الغني وزياد محمود الفياض، دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، 2010، ص 219.

(78) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ص 217-216.

(79) أبو طالب خان، المصدر السابق، ص 270؛ جواد الظاهر، المصدر السابق، ص ص 62-61.

أثر واقعة كربلاء في إيران:

لقد أعطت واقعة كربلاء المشؤومة سليمان باشا سببين بالشعور بالخطر الشديد، الأول منهما الكيفية التي ستتلقى الحكومة العثمانية الأمر على ضوءها، والثاني منهما المنظر الذي سينظر من خلاله إلى الأمر ذاته ملك بلاد فارس،

والذي سيطالب بدون شك بتعويضات كبيرة عن بعض رعاياه الذين قتلوا أو أسروا، وعن ما نهب من الهدايا الثمينة التي قدمها للأضرحة المقدسة عدد من الملوك الفرس من الذين سبقوه، وعن الخسائر المالية التي تعرض لها التجار الفرس،

لقد كان الباب العالي يتمنى لو أنه استطاع أن يتخلص من تبعات تلك الحوادث المحزنة والثقيلة عن طريق عزل سليمان باشا،

ولكن الأخير كان يعلم جيدا أنه على الرغم من أن الرغبة في القيام بعمل كهذا ضده لم تكن غائبة، إلا إن القوة اللازمة لتنفيذه كانت أكثر من أن تكون مشكلة،

إلا في حالة وعد ملك بلاد فارس بالمساعدة، وبناء على ذلك لم يضع الباشا الوقت حيث استخدم كل الوسائل المتوافرة لديه لتسكين غضب البلاطين الفارسي والعثماني، ولهذا الغرض تم إرسال الهدايا إلى الباب العالي وبلاد فارس، وبدأت الاستعدادات لإرسال حملة أخرى ضد الدرعية (80).

عندما وصل خبر واقعة كربلاء إلى الشاه (فتح علي شاه القاجاري) (81) تأثر غاية التأثير وأمر بإعلان الحداد في أرجاء إيران، ولبس السواد هو وحاشيته، وأقيمت المآتم في كل مكان، بعد ذلك أرسل الشاه احتجاجاً شديد اللهجة إلى حكومة بغداد ألقى فيها على عاتقها تبعة الواقعة متهماً إياها بالتقصير في أمر الدفاع عن كربلاء مع علمها بنيات الوهابيين،

وأوضح الشاه بكلمات جازمة عزمه على تأليف جيش جرار للانتقام من الوهابيين، وسيحتل بغداد في طريقه، وقد تسلم الإنذار الوالي سليمان باشا الكبير وهو في آخر رمق من حياته (82)،

ولكن لم يستطع الشاه من تنفيذ تهديداته بالانتقام من الوهابيين أو احتلال بغداد لأنه فوجئ بهجوم على حدوده الشمالية من قبل روسيا فاشتغل بالدفاع عنها وترك أمر الانتقام إلى وقت آخر (83).

(81)80 هارفر د جونز بريجز، المصدر السابق، ص 98.

(82)81 فتح علي شاه: وهو من الملوك القاجاريين، والذي حكم إيران خلال المدة (1834-1797 م). للمزيد ينظر: حسن الجاف، المصدر السابق، ص 186.

(82) أحمد علي الصوفي، المصدر السابق، ص 193.

(83) جواد الطاهر، المصدر السابق، ص 63.

وفي سنة (1218هـ/1803م) أرسل قائد الوهابيين عبد العزيز بن سعود إلى ملك بلاد فارس الشاه فتح علي شاه القاجاري رسالة جاء فيها: “الله الحافظ من كيد الشيطان، بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز رئيس المسلمين إلى تفح علي شاه ملك الفرس، منذ وفاة النبي محمد تفاقم الشرك والوثنية في أتباعه تفاقماً مهلعاً، ففي النجف وكربلاء يسجد الناس ويركعون لقبور من الطين والمرمر، ويتوجهون بدعائهم إلى رمم تلك القبور، أن هذه السيرة لا يرتضيها سيدنا علي ولا سيدنا الحسين، ولذلك بذلت وسعي واستفرغت طاقتي ومجهودي في تطهير ديننا المقدس من هذه الاعتقادات الباطلة، وبلطف الله نفيتها منذ زمن طويل من النجف ومن عامة جزيرة العرب، ثم إن حراس المشهد وقد استولى عليهم الطمع والجشع، شجعوا الناس على التماذي في تطبيق الاعتقادات الباطلة، وأبو الاستجابة إلى مواعظي، فأرسلت- وقد علمت أنت بذلك- جيشاً من المؤمنين لمعاقبتهم كما يستحقون، فإن كان الفرس منهمكين في هذه العقائد الزائفة فليسرعوا توبتهم، فمن يكن مجرماً بإتباع الوثنية والقول بالشرك فإنه يعاقب بقسوة، والسلام على من يسمعون صوتي ويقبلون دعوتي” (84)

إن ما قام به الوهابيين من هتك للحرمت، ومن نهب وسلب وقتل في مكة وكربلاء قد أثار سخط السلطان العثماني سليم الثالث وملك بلاد فارس فتح علي شاه القاجاري وحملهم على تضافر الجهود لإبادة أتباع تلك الحركة التي بعثتهم جرأتهم على دعوة هاذين الملكين إلى الدخول في دعوتهم الجديدة.

اثر واقعة كربلاء في الشعر العراقي:

كان تأثير واقعة كربلاء في الشعب العراقي شديداً- ولاسيما في الشيعة - وقد ظهر أثره في الشعر واضحاً، وقد وصف لنا احد المؤرخين تأثر الشعراء بالواقعة قائلاً: “...ومن الطبيعي أن تتثير هذه الحادثة شعراء الشيعة على الأخص لأنها استهدفت المدينة التي تضم مرقد الإمام الحسين بن علي وانتهت بنهب الضريح المقدس وهدمه وقتل كثير من المجاورين له وفيهم رجال الدين والأطفال والنساء، وقد نظر الشعراء الى هذه الحادثة كأنها تجديد لمأساة الحسين يوم استشهد في كربلاء مع إخوته وأبنائه وأنصاره، فبكوا وسخطوا وأثاروا ونقموا على الوهابيين اشد النقمة وهددوهم وناظروهم وجادلوهم...” (85).

وكان من ابرز الشعراء الذين استفزتهم واقعة كربلاء الحاج هاشم الكعبي والحاج محمد رضا الازري، وليهما الشاعر حسين بن سليمان الحكيم الحلي، وكذلك تأثر بها من الشعراء السنة عثمان بن سند البصري فقد كان هذا الشاعر يعتبر الوهابيين من أهل الزيغ والضلال ويدعو الى قتالهم باسم الدين لأنهم في رأيه مارقون خارجون عن إجماع المسلمين وطاعة السلطان⁽⁸⁶⁾.

وهناك شاعر عراقي آخر سلك تجاه الوهابيين سلوكاً مزدوجاً هو السيد عبد الجليل الطباطبائي من أهل البصرة، فقد كان هذا الشاعر من تجار اللؤلؤ وكثيراً ما كانت أعماله تضطره للسفر الى الكويت والإحساء والبحرين وغيرها من المناطق التي احتلها ابن سعود، فهو ضد الوهابيين حين يكون في البصرة، وهو معهم حين يكون في ديارهم، وعلى أي حال فهو كان الشاعر العراقي الوحيد الذي مدح الحركة الوهابية وعدها إحياء للدين وتشبيهاً لأركانه وقمعا للبدع، وهو بذلك لا يختلف عن أي شاعر كان يعيش مع الوهابيين آنذاك، وقد وفد ذلك الشاعر في سنة (1225هـ/1810م) على سعود بن عبد العزيز فألقى بين يديه قصيدة يمدحه بها جاء فيها هذان البيتان:

جمعت شتات المكرمات سجية	فسدت الورى مجدا وفقتهم فخرا
وظاهرت دين الله بالبيض والقنا	وبرهانك القران والسيرة الغرا ⁽⁸⁷⁾

القضاء على الحركة الوهابية:

بعد تلك الحوادث الدامية على مدن كربلاء وغيرها من المدن العراقية الأخرى ، اتجهت أنظار الدولة العثمانية بقيادة السلطان محمود الثاني (1245-1223هـ/1839-1808م) لتحقيق هدفها في القضاء على الوهابيين إلى والي مصر محمد علي باشا ، وبدأ الزحف المصري على الحجاز سنة (1226هـ/1811م)، وكان قد سبق ذلك الزحف بأربع سنوات تقريباً اتصالات ومفاوضات بين السلطان العثماني مصطفى الرابع (1223-1222هـ/1808-1807م) ومحمد علي باشا والي مصر بشأن إعداد الأخير لحملة يقودها بنفسه ويتوجه بها إلى الحجاز للقضاء على الحركة الوهابية التي كانت قد نمت واستقام عودها آنذاك⁽⁸⁸⁾.

^(87/86) إبراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، بغداد، مطبعة المعارف، ط2، 1978، ص123.

^(88/87) هاشم ناجي، الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد (1224-1221هـ/1809-1806م)، ترجمة هدى معوض وخالد عبد اللطيف حسن، بغداد، دار الوراق للنشر، 2015، ص31.

⁽⁸⁸⁾ المصدر نفسه ، ص18.

وقد تحركت قوات طوسون بك البرية في يوم السبت (أول محرم من سنة 1226هـ الموافق 26 كانون الأول سنة 1811م) في جيش قوامه ثلاثة آلاف من الفرسان ومعه أربعة⁽⁸⁹⁾ من العلماء الذين يمثلون المذاهب الأربعة باتجاه السويس ومنها إلى بلاد الحجاز⁽⁹⁰⁾، وبعد حروب طاحنة بين الجيش المصري والوهابيين تمكن فيما بعد إبراهيم باشا من احتلال الدرعية سنة (1234هـ/1818م) واصر أميرهم الوهابي عبد الله بن سعود⁽⁹¹⁾ وإرساله إلى استانبول حيث أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه⁽⁹²⁾.

المصادر

أولاً- الوثائق غير المنشورة:

أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، دفتر مهمة : 200، تاريخ الوثيقة : أواسط ربيع الأول 1208هـ/1793م ،

ثانياً- المخطوطات :

وداي العطية ، تاريخ الحكم في الديوانية ، مخطوطة محفوظة لدى أسرة المؤلف.

ثالثاً- الرسائل والأطاريح الجامعية غير المنشورة:

أ- العربية:

- 1 - تنين صادق جعفر الأنصاري، العراق في عهد الوالي سليمان باشا الكبير (1780-1802م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة – كلية الآداب ، 1998.
- 2 - عذراء شاكر هادي الهلالي ، الحلة (1800-1869م) دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة بابل ، 2009.
- 3 - عماد عبد السلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك (1749-1831م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة – كلية الآداب، 1976.

(89) العلماء الأربعة هم : الشيخ محمد المهدي من الشافعية، والشيخ احمد الطحاوي من الحنفية ، والشيخ الخانكي من المالكية، والشيخ المقدسي من الحنابلة . ينظر : الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج3، القاهرة ، المطبعة المصرية ،(د.ت)، ص333.

(90) شعبان محمد خلف، المصدر السابق، ص29.

(91) عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ، خلف أباه في الإمارة على الدرعية وعلى الوهابيون بعد وفاة والده بمرض الحمى في أيار سنة 1814م، وكان أكبر أبناء سعود بن عبد العزيز ، وظل يدافع على إمارته حتى وقع في الأسر بعد حصار الدرعية لمدة ستة أشهر من قبل إبراهيم باشا سنة 1818 ونقل إلى استانبول فأعدم بأمر من السلطان العثماني محمود الثاني. للمزيد ينظر : جبر الددي غوري، المصدر السابق، ص252.

(92) سيار كوكب الجميل ، تكوين العرب الحديث (1916-1516م) ، الموصل ، 1991 ، ص74 ؛ الكيسي فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن العشرين ، ج1، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، 2010، ص205.

- 4 - علي طالب عبيد عاصي ، الحلة في القرن الثامن عشر (1700-1800م) دراسة تاريخية في الأحوال السياسية والإدارية والفكرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بابل- كلية التربية ، 2009.
- 5 - متعب خلف جابر الريشاوي ، إمارة الخزاعل في العراق نشأتها وتطورها وعلاقاتها المحلية والإقليمية (1281-1050هـ/1864-1640م) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القادسية – كلية التربية، 2007.
- 6 - مؤيد احمد خلف، السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية (1869-1918م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، 2002.

ب- الأجنبية:

Mehdi Jawad Habib al-Bustni, Baghdad Daki Kolenen ,Hakimiy,- 1
Tinintesis Ve Koledirilas Ile Alirlizea pasa Ninvaligi (1749-1842),Dak-
(tora,Tezi,(Istanbul,1979

رابعاً- الكتب :

أ- العربية :

- 1 - إبراهيم بن صالح بن عيسى ، بعض الحوادث الواقعة في نجد ، الرياض ، دار اليمامة ، ط1، 1966.
- 2 - إبراهيم الوائلي ، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، بغداد، مطبعة المعارف، ط2، 1978.
- 3 - احمد رائف ، الدولة السعودية فجر التكوين وآفاق الإسلام، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربي، 1995.
- 4 - أحمد علي الصوفي ، الممالك في العراق ، الموصل ، 1952 .
- 5 - اليكسي فاسيليف، تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر حتى نهاية القرن العشرين، ج1، بيروت، شركة المطبوعات للنشر، ط3، 2010.
- 6 - باقر أمين الورد، بغداد(خلفاؤها، ولايتها، ملوكها، رؤسائها) منذ تأسيسها عام 1403-145هـ/-762 1984م ، بغداد ، دار الحرية للطباعة، 1984.

- 7 - الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3، القاهرة ، المطبعة المصرية، (د.ت).
- 8 - جعفر باقر محبوبة، ماضي النجف وحاضرها ، ج1، صيدا، 1353هـ/1934م.
- 9 - جعفر خياط ، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج1، بيروت، مطبعة دار الكتب ، 1971.
- 10 - جعفر السبحاني، الوهابية في الميزان، قم المقدسة، مؤسسة الإمام الصادق ، ط3، 1427هـ/2006م.
- 11 - جواد الظاهر ، الوجيز في تاريخ العراق السياسي الحديث، ج1، بغداد، دار الكتاب العربي ، ط2، 2011.
- 12 - جواد الكلدار، تاريخ كربلاء، النجف الاشرف، 1997.
- 13 - حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران ، ج3، بغداد ، بيت الحكمة ، ط1، 2005.
- 14 - حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج1، بيروت، 1962.
- 15 - —، حياة الشيخ محمد عبد الوهاب ، بيروت، مطابع دار الكتب، ط1، 1968، ص293.
- 16 - حمادي الرويسي وأسماء نويرة ، الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 ، 2008.
- 17 - حمود الساعدي ،دراسات عن عشائر العراق – الخزاعل ، النجف الاشرف، 1974.
- 18- حميد حمد السعدون ، إمارة المنتفق وأثرها في تاريخ العراق والمنطقة الإقليمية، عمان ، 1999.
- 19 - خليل إبراهيم نوري ، خطط الحلة في القرن الثامن عشر ، النجف الاشرف، دار الضياء للطباعة، ط1، 2008.
- 20 - —، قطوف حلية ، النجف الاشرف، دار الضياء للطباعة ، ط2، 2007.
- 21- سعيد رشيد زميزم ، تاريخ كربلاء قديماً وحديثاً، بيروت ، دار القارئ للطباعة والنشر، ط1، 2010.
- 22 - سيار كوكب علي الجميل ، تكوين العرب الحديث (1916-1516م) ، الموصل ، 1991.
- 23 - شعبان محمد خلف، الرس وسقوط الدرعية (1232-1230هـ/1815-1817م) ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، 2011.
- 24 - صبري فالح الحمدي ، أشراف الحجاز في القرن الثامن عشر، القاهرة ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

- 25 - صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، ج1، بيروت ، ط11/ 1957.
- 26 - عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج6، قم المقدسة، المكتبة الحيدرية، ط1، 2004.
- 27 - — ، عشائر العراق ، مج1، ج1 ، بيروت ، مكتبة الحضارات ، ط2، 2010 .
- 28 - عبد الله حسن فضل العلوي الحسيني، صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر ، اللاذقية ، مطبعة كومين ، (د.ت).
- 29 - عبد الرحمن السويدي، تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، بغداد ، دار الحرية للطباعة، 1978.
- 30 - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى (1745-1818م) ، القاهرة ، دار نافع، ط2، 1969.
- 31 - عبد الرزاق الحسني ، العراق قديماً وحديثاً، صيداً ، ط3، 1958.
- 32 - عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة، 1967.
- 33 - عبد الفتاح محسن أبو عليّة ، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، (د.ت).
- 34 - عبد الكريم سمعان رافق، العرب والعثمانيون (1516-1916م) ، دمشق، مطابع ألف باء، ط1، 1974.
- 35 - عبد الكريم غرابية ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث (1500-1918م) ، ج1، دمشق، 1960.
- 36 - عثمان بن سند البصري، مطالع السعود في أخبار الوالي داود، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف وسهيّلة عبد الحميد القيسي، بغداد، 1991.
- 37 - عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق عارف احمد عبد الغني وزياّد محمود الفياض، دمشق، دار كنان للنشر والتوزيع، ط1، 2010.
- 38 - علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق (1750-1831م) ، بغداد، منشورات وزارة الإعلام ، 1975.
- 39 - علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ بغداد، بغداد، 1929.
- 40 - علي كامل حمزه السرحان، خانات الحلة في العهد العثماني ، جامعة بابل، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، 2011.
- 41 - علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، بيروت ، دار الرشيد، ط2، 2005.

- 42 - فؤاد إبراهيم ، العقيدة والسياسة – الوهابية وآل سعود مثلاً، بيروت ، دار الميزان ، 2012.
- 43 - كريم مطر حمزة، الحلة في عهد داود باشا (1817-1831م)، بابل، جامعة بابل-مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، (د.ت).
- 44 - محسن الأمين، كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب، تحقيق حسن الأمين ، قم، منشورات مكتبة الحرمين ، ط2، 1962.
- 45 - محمد حسين كاشف الغطاء، العباة العنبرية في الطبقات الجعفرية، النجف الاشرف، مكتبة كاشف الغطاء، 2007.
- 46 - —، الوهابية فكراً وممارسة ، بيروت، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 2011.
- 47 - مهدي القزويني الحسيني، انساب القبائل العراقية وغيرها، تحقيق عبد المولى الطريحي، بيروت ، مكتبة الحضارات ، 2011.
- 48 - ناصر السعيد، تاريخ آل سعود ، ج1، (د.م) ، منشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية ، (د.ت) .
- 49 - نجاح الطائي، الوحدة الشيعية والغزو الوهابي ، ج3، بيروت، دار الهدى لإحياء التراث العربي، ط2، 2005.
- 50 - وداي العطية ، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، 1954.
- 51 - ياسين خير الله العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، بغداد ، 1968 .
- 52 - —، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، الموصل، 1940.
- 53 - اليماني الفخراي ، النزعة التكفيرية في فكر الوهابية ، القاهرة ، مكتبة مدبولي، 2012.
- 54 - يوسف كركوش الحلي ، تاريخ الحلة – القسم السياسي- القسم الأول ، النجف الاشرف ، المطبعة الحيدرية ، 1965.

ب- المترجمة:

- 1 - احمد جودت، تاريخ جودت ، ج 11 ، ترجمة عبد القادر الدنا ، 1308هـ/1890م، ص ص-138 141.
- 2 - الويس موسيل، آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية، ترجمة سعيد فايز السعيد، بيروت، الدار العربية للموسوعات ، 2003.
- 3 - جون غوردن لوريمر ، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي ، ج1، ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر، الدوحة، 1975.

- 4 - جيرالد دي غوري ، حكام مكة، ترجمة محمد شهاب، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ط1، 2010.
- 5 - حامد الكار، الوهابية، ترجمة عباس خضير كاظم ، بغداد ، ط1، 2006.
- 6 - رسول حاوي الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس ، قم المقدسة، منشورات الشريف الرضي ، ط1، 1992.
- 7 - ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، بغداد، المكتبة الحيدرية، ط4، 1968.
- 8 - سليمان فائق بك ، تاريخ بغداد ، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ، مطبعة المعارف، 1962.
- 9 - تاريخ المماليك (الكولة مند) في بغداد ، ترجمة محمد نجيب ارمنازي ، بغداد، مطبعة المعارف، 1961.
- 10 - عبد الله سنت فليبي، تاريخ نجد ، ترجمة عمر الديراوي ، بيروت ، (د.ت).
- 11 - هارفرد جونز بريدجز، موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، الرياض، دار الملك عبد العزيز، 2005.
- 12 - هاشم ناجي، الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد (1221-1224هـ/1806-1809م)، ترجمة هدى معوض وخالد عبد اللطيف حسن، بغداد، دار الوراق للنشر، 2015.

ج- الأجنبية:

- (1) Louis de corancez ,A history of what History IGNORED, BEIRUT , ((July, 2003)).

خامساً- كتب الرحالة الأجانب:

- 1 - أبو طالب خان ، رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوربا، ترجمة مصطفى جواد ، بغداد ، دار الوراق للنشر، ط1، 2007.
- 2 - جمس بكنغهام، رحلتي إلى العراق في سنة 1816م، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد، دار البصري، 1969.
- 3 - جمس ريموند ولستد، رحلتي إلى العراق في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ، مكتبة النهضة العربية، 1984.

سادساً- المعاجم والموسوعات:

أ- المعاجم:

- 1 - ثامر عبد المحسن العامري، معجم العامري للقبائل والأسر والطوائف في العراق، بغداد، مطبعة الوفاق، 2001.
- 2 - حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2004.
- 3 - محمد احمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1990.
- 4 - المنجد الأبجدي، بيروت، دار المشرق، ط5، 1986.

ب- الموسوعات:

- 1 - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج2، بيروت، دار العلم للملايين، (د.ت).
 - 2 - مؤيد سعيد بسيم وآخرون، الدليل الإداري للجمهورية العراقية، ج1، بغداد، الدار العربي للطباعة، ط1، 1990.
- سابعا- مواقع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

<http://www.ivsl.org> <http://iraqnaa.com/anirq/atm.htm>

<http://www.ivsl.org:mezan.net/books/wahabia/manhaj/htm/manhaj01.html>

الخاتمة:-

يسلط هذا البحث الضوء على جانب مهم من تاريخ العراق الحديث، وهو الجانب السياسي، إذ توصل البحث عن الغزو الوهابي لكربلاء في عام (1216هـ/1802م) دراسة تاريخية إلى النتائج التالية:

- 1 - كان موقف العراق خلال العهد العثماني من الحركة الوهابية موقفا طبيعيا لكونه يتماشى مع سياسة الدولة العثمانية من ناحية، ومع الرغبة في كبح جماح الحركة الوهابية وتطلعاتها إزاء العراق أرضا وشعبا من ناحية أخرى.

2 - على الرغم من الحركة الوهابية التي يتزعمها آل سعود كانت حركة عربية هدفها التخلص من السيطرة العثمانية أولاً، وإنشاء دولة عربية إسلامية تدين بالمبادئ الوهابية والطاعة لآل سعود ثانياً، إلا إن الأسلوب الذي سار عليه آل سعود في الوصول الى ذلك الهدف لم يكن يلقى التأييد من العراقيين، بل على العكس من ذلك لقي استياء وحذر نتيجة اعتماد واستخدام آل سعود السيف والعنف في نشر الأفكار الوهابية بالدرجة الأولى داخل وخارج الجزيرة العربية، فضلاً عن الاختلاف الفقهي، حيث إن غالبية الشعب العراقي من المسلمين ينتمون الى المذهب الشيعي .

3 - عدم قدرة الدولة العثمانية على مواجهة الخطر الوهابي في عموم الجزيرة العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص لضعفها سياسياً وإدارياً وعسكرياً واقتصادياً، واعتمادها على التكتلات العشائرية في مواجهة الخطر الوهابي.

4 - عدم اهتمام الإدارة المملوكية بالتحصينات الدفاعية كالأسوار والخنادق لدرء الخطر الوهابي عن المدن العراقية خوفاً من استغلالها من قبل الأهالي للتمرد عليها، فضلاً عن عدم رغبتها في مواجهة الخطر الوهابي بشكل حقيقي، ولاسيما في مناطق الفرات الأوسط، من أجل تأديب تلك المناطق لانقاضها على الحكومة بين الحين والآخر هذا من جانب، ولأسباب عقائدية دينية من جانب آخر.

5 - إن الملاحظ على الغزوات الوهابية على العراق عموماً ومناطق الفرات الأوسط بشكل خاص، أنها غزوات كانت تصدها أطراف متضادة فيما بينها، وهي فئات المجتمع المختلفة بعشائره وسكانه، لا سيما وان الحكومة العثمانية لم تحظ بقبول العراقيين عامة، بسبب سياستها الجائرة التي كانت تتبعها معهم، ومع ذلك كان للطرفين لديهم شعور واحد وهو الإحساس بوجود خطر يهدد مصالحهما ، وذلك الخطر لا يمكن صده من طرف واحد سواء من الحكومة لوحدها أم من المجتمع لمقاومة الخطر الوهابي، ولأسباب عقائدية واقتصادية وقفوا صفاً واحداً لطرد ذلك الخطر.

6 - لابد من الإشارة إلى أثر المرجعيات الدينية في شحذ الهمم وجمع العدد لصد ذلك الخطر المناهض للأفكار الدينية، وقد تمثلت تلك الجهود بمقاومة الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر ذات الطابع الفكري وبمقاومة الشيخ جعفر كاشف الغطاء المسلحة الواسعة.

7 - ازدياد الخطر الوهابي على العراق بسبب الصراعات السياسية الداخلية بين الأمراء المماليك من أجل السيطرة على عرش الولاية ولاسيما خلال المدة (1811-1802م).



جذور الارهاب الداعشي في التاريخ الإسلامي – الخوارج الازارقة انموذجاً

أ.م.د. حيدر خضير مراد اليساري

رئاسة جامعة كربلاء / قسم الدراسات والتخطيط

haidermurad2018@gmail.com

(ملخص)

يتمحور موضوع البحث حول الجذور التاريخية للإرهاب الداعشي في التاريخ الإسلامي ، فإن داعش واخواتها من الحركات الارهابية المعاصرة تستظل بمظلة دينية ترجع في جذورها الأولى الى حركات الخوارج في تاريخ المسلمين ، وخاصة حركة الخوارج الازارقة التي تمثل نموناً قديماً لداعش في التاريخ المعاصر ، إذ تتشابه الفرقتان بغلوها وتعصبهما للنظريات والطروحات التكفيرية واستخدامهما العنف والبطش والارهاب سبيلاً لفرض افكارهما وآرائهما على الآخرين ، لذلك جاء هذا البحث بعنوان : ” جذور الارهاب الداعشي في التاريخ الإسلامي – الخوارج الازارقة انموذجاً“.

وستتناول في هذا البحث تسمية الخوارج الازارقة أولاً ثم نستعرض نشأة هذه الفرقة وعوامل ظهورها على المسرح التاريخي ثم نتطرق الى أهم الأفكار والمعتقدات التي نادت بها هذه الفرقة ثم نتناول الحروب التي خاضها رجال هذه الفرقة ضد المسلمين ، وكيف تصدى لهم الزبيريين ثم الدولة الأموية التي تمكنت من القضاء عليهم ، ومن ثم نسلط الضوء على اوجه الشبه بين فرقة الخوارج الازارقة وتنظيم داعش الإرهابي في عصرنا الراهن ، ثم نختم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي يتم التوصل إليها .

ومن الأهمية بمكان الإشارة الى ان داعش والتيارات الإرهابية الأخرى المماثلة لها على الرغم من كونها صنعة الغرب الامبريالي ، إلا أنها ليست منقطعة السياق عن جذورها التاريخية التي تضرب بعيداً في عمق التاريخ الإسلامي ، وعن نظيرتها من الفرق المتطرفة كالازارقة التي تعتبر من أشد فرق الخوارج تطرفاً وغلواً في مبادئها في تاريخ المسلمين .



The roots of ISIS terrorism in Islamic history - Al-Azarqa Kharijites as a model

(Abstract)

The topic of the research revolves around the historical roots of ISIS terrorism in Islamic history. ISIS and its sister movements from contemporary terrorist movements are under a religious umbrella. Their first roots go back to the Kharijites movements in the history of Muslims, especially Al-Azarqa Kharijites movement, which represents an old model for ISIS in contemporary history, as the two groups are similar to their extremism. And their intolerance of takfiri theories and propositions and their use of violence, oppression and terrorism as a way to impose their ideas and opinions on others, so this research came under the title: “The Roots of ISIS Terrorism in Islamic History - Al-Azarqa Kharijites as a Model”.

In this research, we will discuss the name of the Azariqa Kharijites first, then we will review the emergence of this group and the factors of its appearance on the historical stage. Eliminate them, and then shed light on the similarities between Al-Azarqa Kharijites division and the terrorist organization ISIS in our time, and then conclude the research with a conclusion that includes the most important results that have been reached.

It is important to point out that ISIS and other similar terrorist currents, despite being a creation of the imperialist West, are not separated from the context from their historical roots that go far into the depths of Islamic history, and from their counterpart extremist sects such as the Azarqa, which is considered one of the most extremist and extremist groups of the Kharijites. In its principles in the history of Muslims

المقدمة

يعد الإرهاب من أخطر الظواهر السلبية التي شاعت في عالمنا المعاصر ، وقد توسع خطره ليشمل العالم كله ، فلم يعد أي مجتمع من المجتمعات بعيداً عن الإرهاب وخطره ، وقد عانى مجتمعنا العربي الإسلامي على نحو خاص من خطر التنظيمات الإرهابية المتطرفة المنسوبة إلى الإسلام ، وخصوصاً تنظيم داعش في الآونة الأخيرة ، والذي لا يزال خطره وتهديده قائماً على الرغم من القضاء على هذا التنظيم الإرهابي ودحره عسكرياً في أواخر عام 2017م في العراق ، حيث إن فلول وبقايا هذا التنظيم وخلاياه النائمة لا زالت تظهر إلى الوجود بين الحين والآخر من أوكارها في الأماكن الصحراوية والمناطق النائية لتقوم بعمليات إرهابية وجرائم دموية ضد الأبرياء والمدنيين الأمنيين ، وقد كشفت ظاهرة داعش الإرهابية – الدموية عن جذور تاريخية عميقة للفكر التكفيري المتطرف في حقب زمنية متعاقبة من تاريخ المسلمين ، وأحدثت هزة كبيرة في الفكر الوسطي المعتدل للدين الإسلامي الحنيف ، وأسهمت في أعاققة مسيرة الأفكار الإصلاحية التي روج لها دعاة التجديد في الفكر الإسلامي ، بل أنها شوهت صورة الإسلام في العالم .

وتمثل فرقة الخوارج الازارقة التي ظهرت في أوائل العصر الأموي نموذجاً قديماً لداعش في التاريخ المعاصر ، إذ تتشابه الفرقتان بغلوها وتعصبهما للنظريات والطروحات التكفيرية واستخدامهما العنف والبطش والإرهاب وسيلة لفرض أيديولوجيتهما الفكرية على الآخرين ، وقد اجتذبت كل من الفرقتين بسطاء الناس ومحدودي التفكير ليصبحوا لقمة سائغة للتكفير والعنف والإرهاب ، وقد جاء هذا البحث لتسليط الضوء على الجذور التاريخية للتنظيمات الإرهابية المعاصرة وفي مقدمتها تنظيم داعش ، وعلاقة هذا التنظيم المتطرف بأفكار ومعتقدات الفرق الضالة المنحرفة في تاريخ المسلمين كالخوارج الازارقة ، لذلك كان هذا البحث بعنوان : ” جذور الإرهاب الداعشي في التاريخ الإسلامي – الخوارج الازارقة انموذجاً ” .

وقد تناولنا في هذا البحث أولاً تسمية الخوارج الازارقة ثم استعرضنا نشأة هذه الفرقة وعوامل ظهورها على المسرح التاريخي ثم تطرقنا إلى أهم الأفكار والمعتقدات التي نادت بها هذه الفرقة ثم تناولنا حروب الازارقة وأعمالهم الإرهابية ضد المسلمين ، وكيف تصدى لهم اتباع دولة آل الزبير ثم الدولة الأموية التي تمكنت من القضاء على حركتهم وسحقها نهائياً بعد جهود ضخمة واصطدامات عسكرية استمرت لمدة طويلة نسبياً ، ومن ثم سلطنا الضوء على أوجه الشبه بين فرقة الخوارج الازارقة وتنظيم داعش الإرهابي في عصرنا الراهن ، وأخيراً اختتمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

وأهم المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في انجاز هذا البحث كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ / 922م) وكتاب الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير (ت 630هـ / 1233م) ، وكتاب الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ / 1153م) ، وكتاب الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة لعلي عبد الفتاح المغربي ، فضلاً عن بعض البحوث والدراسات الحديثة وبعض المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وغيرها من الكتب والمراجع المهمة التي أفادت محتوى البحث من عدة جوانب .

أولاً : التسمية

الخوارج لغةً : جمع خارج ، والخروج نقيض الدخول⁽¹⁾، وخرج خروجاً ، برز من مقره او حاله وانفصل ، ويقال : خرجت السماء ، أصحت وانقشع عنها الغيم ، وخرجت خوارج فلان ، ظهرت نجابته ، وخرج على السلطان ، تمرد وثار ، والخارجي من فاق جنسه ونظائره⁽²⁾. أما اصطلاحاً فقد اختلفت الآراء في تحديد إطار للخوارج تبعاً للاختلاف في صفاتهم وأفكارهم وخصائصهم ، إذ يضع البعض تعريفاً عاماً ، مثل الشهرستاني حيث يعرفهم قائلاً : ”الخوارج : كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في ايام الصحابة على الائمة الراشدين ، او كان بعدهم على التابعين بإحسان ، والائمة في كل زمان“⁽³⁾، وهذا التعريف عام يشمل الفرقة التاريخية المعروفة ، ويشمل غيرها من الفرق الأخرى التي تشترك معهم في الخروج على الامام⁽⁴⁾.

وبعضهم جعل للفرقة تعريفاً خاصاً بها ، ومقتصرأ عليها ، فهم ” الذين خرجوا الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في حروراء⁽⁵⁾ ، غير بعيد عن الكوفة ، ومن نشأ منهم بعد ذلك“⁽⁶⁾، وهم حزب سياسي ديني ، قام في وجه السلطة القائمة من أجل الدين كما فمهوره⁽⁷⁾، وأن عوامل نشأة هذه الفرقة تعود في الاساس الى الاختلاف في تأويل وتفسير النص القرآني وفهمه بين المسلمين⁽⁸⁾، والى الصراعات والمشاكل السياسية التي شهدها القرن الأول الهجري من تاريخ الاسلام ، كالفتن الكبرى ومصرع الخليفة عثمان بن عفان وحرب صفين التي نشبت بين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان والتي انتهت بالتحكيم ، والذي كان السبب الرئيسي في ظهور هذه الفرقة آنذاك⁽⁹⁾، وكان معظم هذه الجماعات ينتمي الى قبائل بكر وتميم التي كانت تسكن بالأصل في اليمامة⁽¹⁰⁾، وسمي هؤلاء الخوارج الاوائل بالحرورية او المحكمة ، أي الذين يقولون ” لا حكم إلا لله “⁽¹¹⁾ ، او الشراة لأنهم قالوا اشترينا انفسنا في طاعة الله ، أي بعناها بالجنة⁽¹²⁾، وقد انقسمت

الخوارج الى عشرين فرقة ، والذي يهمنها منها هنا هو فرقة الخوارج الازارقة ، الذين سموا بذلك نسبة الى نافع بن الازرق الحنفي⁽¹³⁾ المكنى بأبي راشد⁽¹⁴⁾، الذي كان من أكبر فقهاءهم والمنظرين لجماعتهم⁽¹⁵⁾، واتصف بكاريزما خاصة ، مكنته من استقطاب الآلاف من المؤيدين نساءً ورجالاً⁽¹⁶⁾، وقد اتسم اتباعه الازارقة بتطرفهم الفكري والعقائدي فضلاً عن قوتهم وشدة بأسهم ، حتى قيل فيهم ” لم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة ”⁽¹⁷⁾.

ثانياً : نشأة فرقة الخوارج الازارقة

ظهرت فرقة الخوارج الازارقة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي⁽¹⁸⁾، كأحد فرق الخوارج التي خرجت وحاربت الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)⁽¹⁹⁾، وكردة فعل عما صدر تجاههم من الدولة الأموية ، لأنهم ناصرُوا عبد الله بن الزبير⁽²⁰⁾ حين أسس دولة آل الزبير في مكة واعتصم بجانب الكعبة المكرمة⁽²¹⁾، وهذا ما أدى الى نشوء ردود فعل عنيفة لدى الذين رغبوا في المواجهة بالعنف ومن هنا نشأت فرقة الازارقة .

وكانت بداية ظهور فرقة الازارقة بعد ان فارق الخوارج عبد الله بن الزبير ، الذي كانوا قد قدموا عليه ، وانضموا الى جانبه في القتال ضد جند الشام بقيادة الحصين بن نمير السكوني⁽²²⁾، ولكن بعد انسحاب الشاميين من الحجاز نتيجة لوفاة يزيد بن معاوية ، تبين للخوارج ان عبد الله بن الزبير يعمل لحسابه فقط ، وأنه ليس على رأيهم ، فانصرفوا عنه ، فسار نافع بن الازرق وبعض زعماء الخوارج الآخرين الى البصرة ، بينما توجه القسم الباقي منهم بقيادة أبي فديك عبد الله بن ثور⁽²³⁾ الى اليمامة⁽²⁴⁾.

ولما دخل نافع بن الازرق البصرة ، اجتمع هو واصحابه وتذاكروا فضيلة الجهاد ، ثم خرجوا وكسروا باب السجن وأخرجوا من فيه من الخوارج الذين حبسهم فيه عبيد الله بن زياد⁽²⁵⁾، وساعدهم على ذلك خروج أهل البصرة على ابن زياد الذي ضعف نفوذه بعد موت يزيد بن معاوية ، وازدياد خطر ابن الزبير الذي كان يدعو لنفسه في بلاد الحجاز⁽²⁶⁾.

وعندما خرج أهل البصرة لقتال الخوارج افتترقت كلمتهم ، وخرج نافع بن الازرق من البصرة عام 64هـ/683م ، ولم يتبعه عبد الله بن الصنفار⁽²⁷⁾، وعبد الله بن أباض⁽²⁸⁾ ورجال معهما ، فرأى نافع ان ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له ، وإن من تخلف عنه لا نجاة له ،

وقال لأصحابه ذلك ودعاهم الى البراءة منهم وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ، ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم⁽²⁹⁾، واستطاع نافع بن الأزرق من استقطاب العديد من الرجال والمؤيدين ، وسمي الذين أخذوا برأيه الأزارقة وكانت غالبيتهم من تميم ، وهذا يعود لأنه كان يتمتع بصفات مميزة وشخصية قوية مكنته من قيادة أكثر فرق الخوارج تطرفاً وغلواً . وقد انتقل نافع بن الأزرق الى الأهواز⁽³⁰⁾ في سنة 64هـ/683م وتمكن من بسط نفوذه عليها وجبى خراجها ، وكثر اتباعه وانتشر عماله في السواد وواقع الفزع في قلوب أهل البصرة⁽³¹⁾، وامتدت سلطته الى كرمان وفارس وغيرهما من الولايات الشرقية ، وبذلك أصبح الأزارقة يشكلون مصدر خطر دائم على البصرة وما حولها من البلاد⁽³²⁾.

ثالثاً : الأفكار والمعتقدات

كان لفرقة الخوارج الأزارقة مجموعة من المبادئ والآراء المتطرفة التي مثلت مرتكزات عقائدية وفكرية لهذه الجماعة ، والتي اعتبر اتباعها ان الايمان الكامل لا يكون الا بالاعتقاد والتسليم بها ، والتي كانت في حقيقة الأمر مجرد اهواء متطرفة ، وبدع تكفيرية مغالية ليست من الدين في شيء وتتمثل هذه المبادئ والآراء بما يلي :

1 - رأى نافع بن الأزرق ان ولاية من تخلف عن الجهاد من الذين قعدوا من الخوارج لا تحل له ، وإن من تخلف عنه لا نجاة له ، فقال لأصحابه ذلك ودعاهم الى البراءة منهم وأنهم لا يحل لهم مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز قبول شهادتهم وأخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم⁽³³⁾، بمعنى انه أكفر القعدة من الخوارج واطهر البراءة منهم ، وأكفر من لم يهاجر إليه⁽³⁴⁾.

2 - استباح قتل أطفال ونساء مخالفينهم ، ورأى ان أطفال مخالفينهم مخلدون في النار مع ابائهم ، وزعم نافع واتباعه ان دار مخالفينهم دار كفر ، ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء⁽³⁵⁾، وقال بمبدأ الاستعراض⁽³⁶⁾، وهو مبدأ يؤدي الى الفتك بالجماعة ، وسفك دماؤها ، وتفطيت وحدتها⁽³⁷⁾، وهو يعد من أبرز الظواهر الارهابية التي اتسم بها الأزارقة ، لما تنطوي عليه من عنف وبعد عن الانسانية ، فكان الاستعراض صورة من صور التطرف والارهاب التي اتبعها الخوارج الأزارقة ، وهي القتل وسفك الدماء بلا وجه شرعي يبيح ذلك ، من خلال امتحان سائر المسلمين بسؤالهم عن موقفهم من الخليفة عثمان بن عفان وعن مسألة التحكيم ، وجملة من المواقف ، فأن وجدوهم مخالفين لهم ولأفكارهم قتلوه ، وهذا ما فعلوه مع الصحابي عبد الله بن خباب بن الأرت⁽³⁸⁾ وزوجته ، حين استعرضوهم ثم قتلوه وقتلوا زوجته وكانت حاملاً فبقروا بطنها ، لأنهم رفضوا ان يكفروا الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكذلك قتلوا ثلاث نسوة من طيء ، وقتلوا ام سنان الصيداوية

سنة 37هـ/658م⁽³⁹⁾.

ويروى ان واصل بن عطاء⁽⁴⁰⁾ - زعيم فرقة المعتزلة - قد اقبل في رفقة فأحسوا بالخوارج ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرفقة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الخوارج له : ما أنت واصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ، ويقيموا حدوده ، فقالوا قد أجرناكم ، قال : فعلمونا أحكامه ، فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فأمضوا مصاحبين فإنكم اخواننا ، قال لهم : ليس ذلك لكم ، قال لله تعالى : ” وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ” [التوبة ، 6] ، فأبلغوننا مأمننا ، فنظر الخوارج الى بعضهم البعض فقالوا : هذا حق ، فساروا معهم حتى بلغوهم مأمنهم⁽⁴¹⁾.

ولعل هؤلاء هم المقصودين بالشعر الذي قال به واصل بن عطاء واجاد فيه :

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل

فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل⁽⁴²⁾.

3 - أنه كفر علياً (عليه السلام) ، وقال إن الله أنزل في شأنه ، ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ” [البقرة : 204] ، وصوب عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل علي بن أبي طالب ، وقال : إن الله تعالى أنزل في شأنه : ” ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ” [البقرة : 207] ، ومضت الازارقة على بدعته هذه ، وزادوا عليها تكفير عثمان ، وطلحة ، والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس ، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعاً⁽⁴³⁾ ، فقال نافع بن الازرق : ” أن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ”⁽⁴⁴⁾ ، وعلى أساس هذا الرأي المنحرف المتطرف أباح الازارقة لأنفسهم قتل سائر المسلمين .

4 - أوجب الازارقة امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم ، وذلك بأن يدفع إليه أسير من مخالفينهم ، ويأمره بقتله ، فإن قتله صدقوه في دعواه انه منهم ، وإن لم يقتله قالوا : هذا منافق ومشرك ، وقتلوه⁽⁴⁵⁾ ، وهذا يبين مدى نزعتهم المتشددة ضد مخالفينهم ، ومدى ما وصلوا إليه من عنف وإرهاب .

5 - ورأى نافع بن الازرق ان التقية غير جائزة في قول ولا عمل⁽⁴⁶⁾ ، لأن الله تعالى يقول : ” إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ” [النساء ، 77] ، وهذا يدل على تشدد الازارقة حتى مع انفسهم ، لأن هذا المبدأ يعني ان يفصح صاحب الرأي عن رأيه حتى لو ادى الى هلاكه ، وهذا التطبيق لا يراعي الظروف والملابسات⁽⁴⁷⁾.

6 - كما جوز نافع ان يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته ، او كان كافراً قبل البعثة(48)، وفي هذا القول إنكار لعصمة الانبياء عن الذنوب (49).

7 - أجمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة ، خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفار ، واستدلوا بكفر إبليس ، وقالوا : ما ارتكب إلا كبيرة حيث أمر بالسجود لآدم (عليه السلام) فامتنع ، وإلا فهو عارف بوحدانية الله تعالى(50).

وقد أوردت المصادر التاريخية للازارقة آراء أخرى منها :

- إسقاط حد الرجم عن الزاني ، إذ ليس في القرآن ذكره .

- إسقاط حد القذف عن قذف المحصنين من الرجال ، مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء .

- قطع يد السارق في القليل والكثير .

- استحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بإدائها ، وقالوا : ” إن مخالفينا مشركون ، فلا يلزمنا اداء امانتنا اليهم ” (51).

ويمكن القول ان هذه الآراء ، ليست بآراء صحيحة ، بل هي خلاف قواعد الدين الصحيحة والصريحة ، وان الازارقة قد تمسكوا بظواهر النصوص الدينية بحرفيتها بدون بذل أي محاولة او جهد فكري لتفسيرها او تأويلها للوصول الى المعاني التي تدل عليها ، والتي تعبر عن جوهر الدين الإسلامي وسماحته ، وفي حقيقة الأمر أن الآراء والعقائد التي قال بها الخوارج الازارقة لا تعدوا كونها مجرد آراء متطرفة تبيح العنف وتبرر الارهاب ضد جميع المسلمين ، فضلاً عن كونها تخالف حكم العقل والمنطق والمبادئ الانسانية وقواعد الدين السمحاء .

رابعاً : حروب الازارقة وأعمالهم الارهابية ضد المسلمين

استغل الازارقة اضطراب اوضاع الدولة الاموية على أثر موت يزيد بن معاوية ، فقام نافع بن الازرق بمهاجمة مدينة البصرة سنة 65هـ/684م ، لاسيما بعد ان اشتدت شوكته وكثرت جموعه بانضمام خوارج كثيرين الى فرقته من اليمامة وعمان ، وتسمى بأمرير المؤمنين ، وتمكن الازارقة من هزيمة أهل البصرة في موقع يقال له دولاب(52) من أرض الأهواز ، كما هزموا أيضاً جيشاً آخر لأهل البصرة ، الأمر الذي أدخل الخوف في قلوب أهلها ، فكاتبوا عبد الله بن الزبير وبايعوه وطلبوا منه ان يرسل لهم عاملاً وقائداً لقتال الخوارج ، فأرسل لهم عاملاً على المدينة ، وأوعز الى المهلب بن أبي صفرة(53) لقتال الخوارج وصددهم عن البصرة(54).

وعلى ما يبدو ان سبب اختيار المهلب بن أبي صفرة يعود الى ما عُرف عنه من شجاعة فائقة ومعرفة في حرب الثغور ، ولأنه من سكنة البصرة نفسها ، ومن قبيلة الأزد ذات الوجود الكبير في المدينة ، فأختار ثمانية آلاف من جنده من هذه القبيلة ، واثنى عشر ألف رجل آخر من سائر القبائل الأخرى ، وسار بهم لحرب الخوارج الازارقة ،

حيث اصطدم بهم في معارك متعددة اهمها معركة سُلي عام 66هـ/686م ، وهي موضع بالأهواز ، وتم في هذه الموقعة قتل زعيم الخوارج الازارقة نافع بن الازرق⁽⁵⁵⁾، انحاز الازارقة بعد هذه الموقعة الى نواحي فارس وكرمان وأصفهان ، ولم يزل المهلب يطارد الخوارج الازارقة ، حتى تقلد مصعب بن الزبير⁽⁵⁶⁾ ولاية العراق ، فولاه الجزيرة وولى عمر بن عبيد الله بن معمر⁽⁵⁷⁾ حرب الخوارج ، واستطاع ان يجلبهم الى اصفهان حيث جمع الازارقة شملهم في سابور⁽⁵⁸⁾، فسار اليهم قائد ابن الزبير وهزمهم⁽⁵⁹⁾، غير أنه لم يكن في حزم المهلب وشدته وأتاح بذلك الفرصة للازارقة فعاثوا في الأرض فساداً وقتلوا الأطفال والنساء وقاموا بإرهاب الناس وجبوا الخراج ، ويذكر الطبري من جملة جرائمهم الوحشية واللاإنسانية :

” أنهم شنوا الغارة على أهل المدائن⁽⁶⁰⁾ سنة 68هـ/687م يقتلون الولدان والنساء والرجال ، ويبقرون اجواف الحبالى ، ... فقتلوا أم ولد لربيعة بن ناجد وقتلوا بنانة ابنة يزيد بن عاصم الأزدي ، وكانت قد قرأت القرآن ، وكانت من أجمل الناس ، فلما غشوها بالسيوف ، قالت ويحكم هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ؟ ويحكم تقتلون من لا يبسط إليكم يداً ، ولا يريد بكم ضراً ، ولا يملك لنفسه نفعاً ، أقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ، فقال بعضهم : اقتلوا ، وقال رجل منهم : لو أنكم تركتموها ، فقال بعضهم :

اعجبك جمالها يا عدو الله ، قد كفرت وافتتنت ، فانصرف الآخر عنهم وتركهم ، فظننا انه فارقه ، وحملوا عليها فقتلوا ، فقالت ريطة بنت يزيد : سبحان الله ، أترون الله يرضى بما تصنعون ، تقتلون النساء والصبيان ومن لم يذنب اليكم ذنباً ، ثم انصرفت وحملوا عليها وبين يديها الرواع بنت اياس بن شريح الهمداني ، وهي ابنة اخيها لأمها ، فحملوا عليها فضربوها على رأسها بالسيوف ، ويصيب ذباب السيف رأس الرواع فسقطتا جميعاً الى الأرض“⁽⁶¹⁾، ونضم الازارقة صفوفهم من جديد تحت قيادة قطري بن الفجاءة⁽⁶²⁾، حيث هددوا البصرة ، فلم ير مصعب بن الزبير بداً من ارجاع المهلب الى قتالهم ، فبعث اليه ، وهو على الموصل والجزيرة يأمره بقتال الازارقة والمسير اليهم ، فجاء المهلب حتى قدم البصرة ، وانتخب الناس للقتال معه ، ثم توجه الى الازارقة فحاربهم نحو ثمانية أشهر في عام 68هـ/687م⁽⁶³⁾.

وعندما دخل العراق تحت سيادة عبد الملك بن مروان (65 - 86هـ/ 684 - 705م)، بعد مقتل مصعب بن الزبير عام 72هـ/ 691م ، أضحى من الضروري اتخاذ اجراءات فعّالة ومباشرة ضد الازارقة ، خاصة بعد سيطرتهم مجدداً على الأهواز ، مشكلين بذلك تهديداً مباشراً للبصرة والمناطق المجاورة لها⁽⁶⁴⁾.

وقد ادرك عبد الملك بن مروان مدى الخطر الذي يشكله الازارقة على العراق ، لذلك أمر بإعادة المهلب بن أبي صفرة لقتالهم باعتباره صاحب خبرة ومعرفة متراكمة بحرب الازارقة⁽⁶⁵⁾، وفوض اليه أمر محاربتهم دون الرجوع الى احد فنشط بذلك ، كما ان تولية الحجاج بن يوسف الثقفي⁽⁶⁶⁾ على العراق عام 75هـ/ 694م ، قد شكلت عاملاً آخر ساعد كثيراً في القضاء على الخوارج الازارقة حيث اخذ بالشدة ابناء القبائل المتخلفين عن جيش المهلب بن أبي صفرة ، وعندما نفذ الحجاج تهديده ، بقتل أحد المتخلفين سارع بقية الجند للالتحاق بجيش المهلب ، فتهيأت الفرصة مرة أخرى لقتال الازارقة⁽⁶⁷⁾، وأظهر المهلب اخلاصاً في حربه ضد الخوارج الازارقة ، وتمكن ، بعد سلسلة طويلة من الاصطدامات معهم ، استمرت على مدى ثلاث سنوات ، من القضاء عليهم في منتصف عام 78هـ/ 697م⁽⁶⁸⁾.

خامساً : أوجه الشبه بين فرقة الخوارج الازارقة وتنظيم داعش الإرهابي في العصر الراهن

يعتبر تنظيم داعش من أشهر التنظيمات الارهابية المنسوبة الى الإسلام في العصر الراهن ، فهو تنظيم يتبنى الفكر التكفيري المتطرف ، ويعتمد الاستقطاب الطائفي والايديولوجي ، ويسلك طريق العنف والارهاب سبيلاً لتحقيق اهدافه في اعادة ما يسمونه بالخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة ، والراجع ان هذا التنظيم والتنظيمات الارهابية الأخرى المماثلة له ليست منقطعة السياق عن نظيراتها في التاريخ الإسلامي كالخوارج الازارقة ، وكل من لجأ الى العنف والتطرف سبيلاً لإخضاع مجتمعه وفرض رؤيته عليه⁽⁶⁹⁾.

وتمثل فرقة الخوارج الازارقة التي ظهرت في اوائل العصر الاموي نموذجاً قديماً لداعش في التاريخ المعاصر، بما مثلها من غلو وتكفير وتطرف وبُعد عن السُنّة النبوية واعتقاد ان العبد متعبد بعين الحق في كل مسألة. وقد اجتذبت كل من الفرقتين بسطاء الناس ومحدودي التفكير ليصبحوا لقمة سائغة للتكفير والعنف والارهاب⁽⁷⁰⁾، ويزداد تمسكهم وتعصبهم للأطروحات التكفيرية من خلال

رفض أعمال العقل والتمسك بأقوال الامراء لتخلق في النهاية حالة تكفيرية دموية استناداً إلى نصوص يفسرونها على حسب أهوائهم ليستبيحوا بها دماء المسلمين وغير المسلمين ليشكلاً معاً رابطاً أساسياً للفكر التكفيري المتشدد من حيث المحتوى والمضمون⁽⁷¹⁾.

وهناك اوجه شبه كثيرة بين فرقة الخوارج الازارقة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، وبين تنظيم داعش الإرهابي في التاريخ المعاصر، حيث يشكل كلا التيارين نموذجاً للفكر المتطرف الذي يستخدم العنف والارهاب وسيلة لفرض ايديولوجيته الفكرية التي يؤمن بها على الآخرين ، وان ظهور تنظيم داعش في العراق وسوريا في اعقاب سقوط الموصل عام 2014م وعلان زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي⁽⁷²⁾، عن تشكيل الخلافة الإسلامية في بداية شهر رمضان من ذلك العام⁽⁷³⁾، إنما يمثل امتداد للخوارج الذين هم أول فرقة مرقت من الدين بسبب تكفيرها للمسلمين ، فهم بحق يمثلون خوارج العصر او الخوارج الجدد ، لانطباق أكثر الاحاديث التي وصفت الخوارج عليهم وتمائلهم في كثير من الصفات والأفعال فقد جاء عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : ” يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الاحلام ، يقولون من خير قول البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة ”⁽⁷⁴⁾، فهم حدثاء الأسنان : أي صغار السن ، فإن أغلبية المنتمين لهذا التنظيم كانوا شباباً صغاراً قليلي التجربة في الحياة ، قد غرر بهم ، وخدعهم دعاة التنظيمات الارهابية بالمال او التضليل الفكري ، ثم اقنعوهم بتفجير انفسهم على الابرياء من الناس وعلى افراد القوات الامنية ، كما أنهم سفهاء الاحلام : أي ضعفاء العقول ، والسفه في الأصل الخفة والطيش ، حيث ان غالبية المنتمين لتنظيم داعش ، هم من الشباب الصغار في العمر الذين يغلب عليهم الخفة والطيش والاستعجال في الأمور دون تبصر وروية⁽⁷⁵⁾، وان اوجه الشبه والتماثل بين الخوارج الازارقة والدواعش في عصرنا الراهن كثيرة منها :

1 - التكفير بلا مكفر ، وتكفير من لا يستحق التكفير، وبالتالي استحلال قتل من لا يستحق القتل، إذ أنهم يأصلون أصولاً معينة ، ويعتبرون من خالفها كافراً مرتداً، ويختلط الأمر عندهم بين جماعتهم والإسلام نفسه، فيعتبرون من خالفهم قد خالف الإسلام، ومن عاداهم فقد عادى الإسلام⁽⁷⁶⁾، فهم يتعصبون للمذهب على حساب الدين ويستغلون ذلك كمبرر للقتل والتنكيل بخصومهم من المسلمين وغيرهم⁽⁷⁷⁾، فقد رأى نافع بن الازرق : ” أن جميع المسلمين كفار مثل كفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ”⁽⁷⁸⁾، وعلى اساس هذه الرؤية المنحرفة أباح الازارقة لأنفسهم قتل سائر المسلمين

وهو ما ينتهجه تنظيم داعش في عصرنا الراهن ، فإن من يطالع الأقوال والممارسات الفعلية للتنظيم ، ويشاهد الكم الكبير من الفيديوهات التي يقوم الإعلام الداعشي بتنزيلها عبر صفحات التواصل الاجتماعي، واليوتيوب الصادرة عن إعلام داعش وأتباعهم يدرك أوجه الشبه بين خوارج الأُمس الازارقة وخوارج اليوم الدواعش ، فقد استحلوا قتال من خالفهم في منهجهم ، أو رفض الخضوع لدولتهم الموهومة ، فأعملوا في المسلمين خطفاً، وغدراً، وسجناً، وقتلاً، وتعذيباً ، وهم يتفنونون بقتل الأبرياء بالعبوات الناسفة والسيارات المفخخة التي يفجرونها على الأسواق والأحياء السكنية الآمنة والجوامع ، وهذا يماثل ما كان يقوم به الخوارج الازارقة حيث يقول عنهم المؤرخ ابن كثير: إذ لو قووا هؤلاء – أي الخوارج – لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً، ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ، ولا رجلاً ولا امرأة ، لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلا القتل جملة ”(79)، كذلك فإن تنظيم داعش يروج لإيديولوجيا سياسية ، ولروية تصنف وتكفر نظرياً سائر المسلمين(80).

2 - الحكم على بلاد المسلمين بأنها بلاد كفر وردة ، ووجوب الهجرة منها إلى مناطق سيطرة ونفوذ دولة الخلافة(81)، فقد دعى أبو بكر البغدادي خليفة الدولة المزعومة التي أقامها داعش المسلمين في كافة أرجاء العالم إلى مبايعته والهجرة إلى دولته ، وإن من لم يمثل فهو مرتد وكافر(82)، وكذلك زعم نافع بن الأزرق وأتباعه أن دار مخاليفهم دار كفر(83)، وأكفر من لم يهاجر إليه(84)، ورأى أن من تخلف عنه لا نجا له(85).

ومن الأمور الخاطئة التي تبناها تنظيم داعش بناءً على مسألة دار الكفر ودار الإسلام ، أن أعضاء هذا التنظيم كانوا يقومون بمصادرة أموال كل من يهاجر، ويترك الأراضي التي يسيطرون عليها بحجة أنه كفر وارتداد عن الدين لتركه أرض الخلافة ، ولحوقه بدار الكفر المتمثلة بكل دار لا تحكم بشرع الله بزعمهم ، فنتج عن هذا الأمر الخاطئ أكل أموال الناس بالباطل(86)، كذلك استباح الخوارج الازارقة أمانة مخالفيهم لأن الله عزوجل – حسب زعمهم – قد أحل أموالهم كما أحل دمانهم ، فاستحلوا كفر الأمانة التي أمر الله تعالى بأدائها ، وقالوا : ” أن مخالفينا مشركون ، فلا يلزمنا أداء أمانتنا إليهم ”(87).

3 - اعتزال الازارقة جمهور المسلمين ، الذين اتهموهم بالكفر والضلال ، واعتبروا أن ديارهم ديار كفر ، ودعوا أتباعهم إلى الهجرة من بين أظهر الكفار إلى دار الهجرة أو دار السلام ، وهو اسم حاضرتهم التي كانت تتغير كثيراً ، يقول ابن كثير عن ذلك : ” أن هؤلاء الجهلة الضلال – أي

الخوارج – والاشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ... ثم خرجوا يتسللون وحداناً، لنلاً يعلم أحد بهم ، فيمنعهم من الخروج ، فخرجوا من بين الآباء والامهات ، والاعمام والعمات، وفارقوا سائر القربات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات، والعظائم والخطيئات ، وأنه مما يزيته لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات، وقد تدارك جماعة منهم بعض أولادهم وقرباتهم وإخوانهم فردّوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فرّ بعد ذلك فلحق بالخوارج ، فخرس إلى يوم القيامة“(88).

وكذلك الأمر اليوم فأن تنظيم داعش قد دعى المسلمين للهجرة الى دولتهم مستغلين الاعلام الالكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الاخبارية ، حيث يقول الخليفة البغدادي في تسجيل صوتي بث على شبكة الانترنت : ” هلموا الى دولتكم أيها المسلمين ، نعم دولتكم، هلموا، فليست سوريا للسوريين ، وليس العراق للعراقيين ، إنّ الأرض لله يورثها من يشاء ، والعاقبة للمتقين، الدولة دولة المسلمين ، والأرض أرض المسلمين ، كل المسلمين ، فيا أيها المسلمين في كل مكان ، من استطاع الهجرة الى الدولة الإسلامية فليهاجر، فإنّ الهجرة الى دار الإسلام هي واجبة ، ففروا أيها المسلمين بدينكم الى الله مهاجرين ، ومن يهاجر في سبيل الله يجد سعةً كبيرةً في أرض الله، ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ، ثمّ يدرکه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً“، وأضاف : ” نخصّ بدعوتنا طلبة العلم ، والعلماء والفقهاء ، وعلى رأسهم القضاة وأصحاب الكفاءات العسكرية ، والإدارية والخدمية ، والأطباء ، والمهندسين في كلّ التخصصات والمجالات ، ونستنفرهم ، ونذكرهم بتقوى الله ، فإنّ النفيّر واجب عليهم وجوباً عينياً، لحاجة المسلمين الماسة إليهم ، فإنّ النّاس يجهلون دينهم ، ومتعطشون لمن يعلمهم ويفقههم ” (89)، فكان التاريخ يعيد نفسه فأن العديد من الذين انضموا الى صفوف هذا التنظيم الارهابي المتشدد خرجوا يتسللون من دولهم ، دون ان يشعر بهم اباؤهم وأمهاتهم ، كي يلحقوا بدولة اسلامية مزيفة ، اعلنت عن نفسها وخليفة مزعوم ، مع العلم انه لم يستجيب لدعوة البغدادي بالهجرة الى دولة الخلافة اولى الالباب من العلماء والفقهاء ، بل خرج يتسلل اليه الشباب حدثاء الاسنان المغرّرين بهم ، الذين تنقصهم البصيرة والفقّه مع حماسهم للدين ، فعلى سبيل المثال : أكد مسؤولو الأمن في بريطانيا ان أكثر من 500 بريطاني غادروا المملكة المتحدة للقتال في سوريا ، وصرح منسق جهود مكافحة الارهاب في الاتحاد الأوروبي (غيل دي كيرشوف) ان عدد الأوروبيين الذين انضموا الى داعش في العراق وسوريا ارتفع لأكثر من ثلاثة آلاف (90).

4 - يتشابه الطرفان الخوارج الازارقة والدواعش بالجهل في أحكام الشريعة ، والسطحية في فهم

النصوص القرآنية ، وأخذها على ظاهرها وحرفيتها بدون بذل أي محاولة لتفسيرها أو تأويلها للوصول الى جوهر الدين الإسلامي وسماحته ، حيث يعتمد الاثنان الى التعامل الحرفي مع النص الديني ، والذي يعني تأويل النصوص من آيات قرآنية وأحاديث نبوية بظاهرها وليس بالمعاني الكامنة فيها والعلل البعيدة عنها ، وسياقها التاريخي – الاجتماعي او الموقف والظرف المحيط بها، مما يؤدي بالتالي الى تأويل فهم النصوص الدينية في غير مواضعها ، والاعتماد على القراءة الحرفية للنص القرآني ورفض التفسيرات غير الظاهرة له⁽⁹¹⁾.

5 - تميز الخوارج الازارقة بالتطرف الشديد في افكارهم وسياساتهم التي كانت تسعى الى اهداف يصعب تحقيقها ، فقد كانوا يرون وجوب الخروج على الامام الجائر والثورة على السلطة القائمة⁽⁹²⁾، مما جعلهم في عداة دائم ومستمر ضد الخلافة الأموية ثم العباسية ، كذلك فإن تنظيم داعش اليوم يهدف الى اعادة الخلافة الاسلامية وتطبيق الشريعة حسب المنظور الداعشي المتطرف ، وهو يعتبر كل الذين يخالفونه في معتقداته وتفسيراته للإسلام كفار ومرتدين⁽⁹³⁾، مما يجعله في عداة دائمة للنظام الدولي العالمي بأسره ، بكافة دوله ومنظماته المحلية والعالمية ، وبالتالي هو يسعى لتحقيق اهداف من المستحيل تحقيقها .

6 - الشدة والعنف والغلبة في التعامل مع سائر المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم ونسائهم صفة أتمسم بها الازارقة والدواعش على حد سواء ، فلم تقتصر جرائمهم الارهابية على مجرد القتل بل أحياناً يتجسسون ويتفنونون بأساليب القتل البشعة ، كما فعلوا مع عبد الله بن خباب بن الارت وزوجته الحامل عندما بقروا بطنها ، وكما استعرضنا سابقاً من قتلهم النساء والأطفال في غاراتهم على المدائن والبصرة وغيرها من النواحي⁽⁹⁴⁾، كذلك نجد ان الدواعش او خوارج العصر يتفنونون أيضاً بارتكاب الجرائم الوحشية واللاإنسانية بقتل الابرياء بالعبوات الناسفة والسيارات المفخخة وتفجير المساجد ، فخلال أقل من عام على مرور إعلان ما سمي بدولة الخلافة أعدم داعش 2618 شخص ومن بينهم قرابة 1500 من المدنيين و139 شخص ينتمون للتنظيم نفسه أعدمهم بتهمة الغلو والتجسس لصالح دول أجنبية عند محاولتهم العودة إلى بلدانهم⁽⁹⁵⁾، ويذكر أحد الباحثين ان من بشاعة جرائم داعش التمثيل بالقتلى وعدم احترام كرامة الميت فمن جرائمهم في الموصل أنهم كانوا أحياناً بعدما يعدمون الميت يتركونه معلقاً على أعمدة الكهرباء لأكثر من اسبوع ، فيتعفن الميت ، ويقوم الاطفال برميهم بالحجارة بصورة مستمرة ، فينتج عن ذلك صورة بشعة تقرز نفوس الناظرين⁽⁹⁶⁾.

وبذلك يمكن القول ان كلاً من الخوارج الازارقة وتنظيم داعش الارهابي يمثلان وجهان لعملة واحدة حيث تجمعهما صفات وقواسم مشتركة كثيرة على الرغم من البعد الزمني بينهما ، فالازارقة لهم حضور فكري وعلمي في عصرنا الراهن بوجود تنظيم داعش بأفكاره المتطرفة - الملوثة وأفعاله الاجرامية ضد البشرية جمعاء ،

وان كلاً منهما ساهم الى حد كبير في تشويه محاسن الدين الإسلامي من خلال تأويلهما وتفسيرهما الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة ، وتمسكهما بأيدولوجية تكفيرية متطرفة تبيح العنف وتبرر الارهاب ضد جميع المسلمين ، بل وغير المسلمين من الشعوب الأخرى على وجه الأرض ، فالإرهاب الداعشي في التاريخ المعاصر له جذوره التاريخية التي تضرب بعيداً في عمق التاريخ الإسلامي ، والتي ترتبط الى حد بعيد بفكر ومعتقدات وراء فرقة الازارقة أشد فرق الخوارج عنفاً وتطرفاً في تاريخ المسلمين ،

وليس من المبالغة القول ان فرقة الازارقة تمثل نموذجاً كلاسيكياً للفكر التكفيري المتطرف الذي يجسده داعش في الوقت الحاضر، بل من الممكن القول ان الازارقة يعتبرون وبحق دواعش القرن الأول الهجري في التاريخ الإسلامي.

وعلى الرغم من القضاء على تنظيم داعش ودحره عسكرياً في اواخر عام 2017م في العراق ، إلا ان ايدولوجيته الفكرية المتطرفة لا تزال تشكل تحدياً طويلاً للأمد لمجتمعنا ، ومن أجل القضاء على هذه الايدولوجية المتطرفة ، يجب وضع سترراتيجية وطنية شاملة وطويلة النفس لمكافحة الفكر المتطرف ، تساهم فيها كافة المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الدولة والتأكيد على مبدأ التسامح والاعتدال ،

والعمل على تجفيف منابع الارهاب مالياً ، ومحاربته فكرياً واعلامياً ، ودمج ابناء المناطق المحررة بالمجتمع ، وتوفير الاموال اللازمة لإعادة اعمار مناطقهم وتأهيلها ، من أجل تجريد ذيول هذا التنظيم وخلاياه النائمة من الحواضن الاجتماعية والمقومات المادية والفكرية التي قد تستند عليها للعودة من جديد .

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث :

1 - ان الإرهاب الداعشي في التاريخ المعاصر له جذوره التاريخية التي تضرب بعيداً في عمق التاريخ الإسلامي ، والتي ترتبط الى حد بعيد بفكر ومعتقدات وراء فرقة الازارقة أشد فرق الخوارج

عنفاً وتطرفاً في تاريخ المسلمين ، وان تتبع المنشأ التاريخي لكل تيار منها يؤكد على أنها امتداد طبيعي لفكر واحد تختزله حالة الخوارج الازارقة في رفض ومقاتلة كل من يخالف ايديولوجيتهم الفكرية المتطرفة .

2 - أن عوامل نشأة فرق الخوارج ، ومنها الازارقة تعود في الاساس الى الاختلاف في تأويل وتفسير النص القرآني وفهمه بين المسلمين ، والى النزاعات والمشاكل السياسية التي شهدتها القرن الأول الهجري من تاريخ الاسلام .

3 - ان فرقة الازارقة كانت من أكثر فرق الخوارج تطرفاً وغلواً في مبادئها ، ولها تاريخ طويل في محاربة المسلمين والاغارة على بلدانهم ، وبذلك مثلت هذه الفرقة البذرة الاولى للفكر التكفيري المتطرف في التاريخ الإسلامي ، والنموذج الكلاسيكي للتنظيمات الارهابية المتشددة في عصرنا الراهن ، وليس من المبالغة القول ان الازارقة يعتبرون وبحق دواعش القرن الأول الهجري في التاريخ الإسلامي .

4 - ان كلاً من الخوارج الازارقة وتنظيم داعش الارهابي يمثلان وجهان لعملة واحدة ، حيث تجمعهما صفات وقواسم مشتركة كثيرة على الرغم من التباعد الزمني بينهما ، فالازارقة لهم حضور فكري وعلمي في عصرنا الراهن بوجود تنظيم داعش بأفكاره المتطرفة - الملوثة وأفعاله الاجرامية ضد البشرية جمعاء ، وان كلاً منهما قد ساهم الى حد كبير في تشويه محاسن الدين الإسلامي ، من خلال تأويلهما وتفسيرهما الخاطئ والمنحرف لنصوص الكتاب والسنة ، وتمسكهما بأيديولوجية تكفيرية متطرفة تبيح العنف وتبرر الارهاب ضد كل من يخالفهم الرأي .

5 - ان مكافحة التنظيمات الارهابية المعاصرة وفي مقدمتها تنظيم داعش ، يجب ان لا تتم بالسلاح والوسائل العسكرية فقط ، بل يجب أيضاً محاربتها فكرياً وأعلامياً ، من أجل تجفيف منابعها وتجريدها من المقومات البشرية والمالية التي قد تستند عليها ذبول هذه التنظيمات وخلاياها النائمة للعودة من جديد .

الهوامش :

- (1) أبين منظور ، محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ / 1311م) ، لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ج 14 ، ص 1125.
- (2) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2011م) ، ص 224 .
- (3) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ / 1153 م) ، الملل والنحل ، تح : أحمد حجازي ومحمد رضوان ، (المنصورة : مكتبة الأيمان ، 1427 هـ / 2006 م) ، ج 1 ، ص 98 .
- (4) عثمان ، عبد التواب محمد ، أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر ، (القاهرة : دار الحرمين ، 2003م) ، ص 42.
- (5) حروراء : هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل : على موضع ميلين منها . ينظر: الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228م) ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، 1397 هـ / 1977 م) ، ج 2 ، ص 245.
- (6) دلافيدا ، ليفي ، ” مادة الخوارج ” ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تر: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون ، ط 1 (الشارقة : مركز الشارقة للابحاث الفكرية ، 1418 هـ / 1998م) ، ج 15 ، ص 4757 .
- (7) المغربي ، علي عبد الفتاح ، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة ، ط 2 (القاهرة : مكتبة وهبة ، 1415 هـ / 1995م) ، ص 169.
- (8) مراد ، حيدر خضير ، الجذور التاريخية للتطرف لدى التنظيمات الارهابية الإسلامية المعاصرة ، مجلة الباحث ، العدد 36 ، (جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2020م) ، ص 226 .
- (9) ينظر : اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق (ت بعد 292 هـ / 905م) ، تاريخ اليعقوبي ، ط 1 (قم : مطبعة شريعت ، 1425 هـ) ، ج 2 ، ص 174 – 190 ؛ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ / 922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 (القاهرة : دار المعارف ، 1387 هـ / 1967 م) ، ج 4 ، ص 365 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 98 – 99 .
- (10) أحمد ، لبید ابراهيم وعبد الواحد ذنون طه وعبد القادر سلمان المعاضيدي ، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ، (جامعة بغداد ، 1992م) ، ص 25 .
- (11) دلافيدا ، ” مادة الخوارج ” ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 ، ص 4757 .
- (12) المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص 169 ؛ دلافيدا ، ” مادة الخوارج ” ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج 15 ، ص 4758 .
- (13) ابو راشد نافع بن الازرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي ، رأس الازارقة ، وإليه نسبتهم وهو

من اهل البصرة . ينظر: ابن الأثير ، علي بن محمد الجزري الشيباني (ت630هـ/1233م) ، الكامل في التاريخ ، تح : عبد الله القاضي ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1407هـ / 1987م) ، ج3 ، ص-490 492 ، ج4 ، ص-15 16 ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط15 (بيروت : دار العلم للملايين ، 2002 م) ، ج7 ، ص-351 352 .

(14) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت429هـ/1037م) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم ، تح : محمد عثمان الخشت ، (القاهرة : مكتبة ابن سينا ، دت) ، ص78 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج4 ، ص15 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص101 .

(15) حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1967 م) ، ج1 ، ص318 .

(16) المساتي ، يوسف ، الأزارقة : مؤسسو داعش في القرن الأول الهجري ، موقع مرايانا ، 29 مارس 2021 ، مقال منشور على شبكة الانترنت وعلى الرابط الاتي : <https://marayana.com/laune/2021/03/17/27634>

(17) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص78 .

(18) مراد ، حيدر خضير ، جذور العنف الداعشي في التاريخ الإسلامي “ الازارقة أنموذجا ”، جامعة كربلاء ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، 4 شباط 2019م ، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية وعلى الرابط :

[/http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/02/04](http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/02/04)

(19) ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم (ت276 هـ / 889م) ، الامامة والسياسة ، علق عليه : أبراهيم شمس الدين ، ط1 (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، 1427هـ/2006م) ، ص-133 141 ؛ اليعقوبي، تاريخ ، ج2 ، ص190-193 .

(20) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، بويع له بالخلافة عام 64هـ/684م عقب موت يزيد بن معاوية ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة ، دخل في حرب مع الامويين انتهت بمصرعه في مكة سنة 73هـ/692م . ينظر ترجمته في: ابن الأثير ، الكامل ، ج4 ، ص-121 126 ؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد (ت1089 هـ / 1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط ، ط1 (بيروت : دار ابن كثير ، 1413هـ / 1992م) ، ج1 ، ص-306 308 .

(21) ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص490 ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، ص312 .

(22) الحصين بن نمير بن نائل الكندي ثم السكوني ، أحد القواد الأمويين الاشداء من أهل حمص ،

- قتل عام 67هـ/686م على مقربة من الموصل . ينظر ترجمته في: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج 1 ، ص 292 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج 2 ، ص 262 .
- (23) أبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة بن تغلب الحروري ، كان في أول أمره من اتباع نافع بن الأزرق، ثم آلت إليه أمرة الخوارج في مدة ابن الزبير وكانوا متغلبين على البحرين وما والاها ، قتل سنة 73هـ/692م بالبحرين . ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج3، ص491 ، ج4 ، ص-129
- 130 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج 4 ، ص 76 .
- (24) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج3، ص491؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج 1 ، ص312 ؛ أحمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية ، ص-27 28 .
- (25) عبيد الله بن زياد بن أبيه ، احد الولاة الامويين ، ولد بالبصرة ، قتل في خازر من أرض الموصل عام 67هـ/686م . للمزيد عن ترجمته ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج4، ص67-60؛ الزركلي، الأعلام ، ج 4 ، ص193 .
- (26) ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج3، ص491؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج 1 ، ص312 – 313 .
- (27) عبد الله بن الصفار السعدي ، كان أول أمره من اتباع نافع بن الأزرق ثم انفصل عنه عام 64هـ/683م في جماعة من اتباعه بالبصرة ، فكان من الذين كفرهم نافع بن الأزرق لعودهم عنه . ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج3، ص-491 492 ؛ الزركلي، الأعلام ، ج 4 ، ص93 .
- (28) عبد الله بن أباض المقاعسي التميمي ، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس ، رأس الاباضية وإليه نسبتهم ، اضطرب المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته ، وكان معاصراً لمعاوية ، عاش الى أواخر ايام عبد الملك بن مروان ، توفي عام 86هـ/705م . ينظر: الزركلي، الأعلام ، ج 4 ، ص-61
- 62 ؛ الجهني ، مانع بن حماد ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط4 (الرياض : دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1420هـ) ، مج 1 ، ص58 .
- (29) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص-491 492 ؛ أحمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية ، ص28 .
- (30) الأهواز: ناحية بين البصرة وفارس ، ويقال لها خوزستان . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج1، ص284-285 .
- (31) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص492؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج 1 ، ص313 .
- (32) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص80 ؛ دلافيدا ، “مادة الخوارج ” ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ج15 ، ص4760 .
- (33) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص-491 492 .
- (34) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص79 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص103 .

- (35) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص79 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص103 .
- (36) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص492.
- (37) المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص181 .
- (38) عبد الله بن خباب بن الأرت بن جندلة التميمي، قتله الخوارج مع زوجته عام 37هـ/658م .
- ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج3، ص218 ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج1 ، ص217 .
- (39) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ص81-82 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج3، ص218 ؛ ابن كثير ، أسماعيل بن عمر القرشي (ت 774 هـ /1275م) ، البداية والنهاية ، تح : عبدالله عبد المحسن التركي ، ط1 (القاهرة : دار هجر ، 1419هـ /1998م) ، ج 10 ، ص584 .
- (40) أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي ، المعروف بالغزال ، مولى بني ضبة ، وقيل مولى بني مخزوم ، كان احد الأئمة البلغاء المتكلمين في علوم الكلام وغيره ، وهو مؤسس مدرسة المعتزلة ، توفي عام 131هـ/748م في البصرة . ينظر: ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت 681هـ /1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : أحسان عبا ، (بيروت: دار صادر ، 1414هـ / 1994م) ، ج6، ص7 – 11 .
- (41) المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت 436هـ /1044م) ، أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط1 (بيروت : دار احياء الكتب العربية ، دت (، ج1 ، ص168 .
- (42) الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م) ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تح : أحسان عباس ، ط1 (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1993م) ، ج 6 ، ص2795 .
- (43) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص102 – 103 ؛ المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص180 .
- (44) ابن الأثير، الكامل، ج3، ص492.
- (45) البغدادي، الفرق بين الفرق ، ص79 ؛ المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص181.
- (46) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص103 ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج 1 ، ص318 .
- (47) المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص181 – 182 .
- (48) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص103 .
- (49) المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص182.
- (50) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص104 .

- (51) ينظر: البغدادي، الفرق بين الفرق ، ص79 – 80 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص103 ؛ المغربي ، الفرق الكلامية الإسلامية ، ص182.
- (52) دولا ب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص485 .
- (53) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي أمير خراسان ، صاحب الحروب والفتوح ، أمير عبد الملك بن مروان على خراسان ، مات بمرور الروذ من نواحي هراة عام 82هـ/701م . للمزيد عنه ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج1 ، ص-334 335.
- (54) بالطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ص-613 621 ؛ البغدادي، الفرق بين الفرق ، ص80 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص15 – 16 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج11 ، ص-716 717 .
- (55) ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ص-617 619 ؛ البغدادي، الفرق بين الفرق ، ص80 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص-16 19 ؛ أحمد وآخرون، الدولة العربية الإسلامية ، ص29 .
- (56) مصعب بن الزبير بن العوام القرشي ، كان أميراً على العراق في خلافة أخيه عبد الله بن الزبير ، وقتل في دير الجاثليق عام 72هـ/691م . ينظر: الذهبي ، محمد بن أحمد (ت748هـ/1347م) ، سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط وصالح السمر ، ط 1 (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1403هـ/1983م) ، ج4 ، ص-141 145 .
- (57) عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان القرشي التيمي ، ولي البصرة زمن حكم عبد الله بن الزبير بالحجاز ، وساهم في فتح كابل ، وكان يقال له أحمر قریش يضرب بشجاعته المثل ، توفي عام 82هـ/701م . ينظر ترجمته في : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج4 ، ص-172 173 .
- (58) سابور: وهي بلدة ولاية بين خوزستان وأصبهان . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص167 .
- (59) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج6 ، ص-119 120 ؛ ابن الأثير، الكامل، ج4، ص-74 75 .
- (60) المدائن : بلدة تقع على سبعة فراسخ من بغداد على حافتي دجلة . ينظر: الحميري ، محمد عبد المنعم الصنهاجي (ت727هـ/1326م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، ط2 (بيروت : مكتبة لبنان ، 1405هـ/1984م)، ص526.
- (61) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج6 ، ص121 .
- (62) ابو نعامة قطري بن الفجاءة (واسمه جعونة بن مازن) التميمي ، من رؤساء الخوارج الازارقة كان خطيباً فارساً شجاعاً توفي عام 79هـ/697م . للمزيد عن ترجمته ينظر: الذهبي ، سير

- أعلام النبلاء ، ج 4 ، ص-151 152 .
- (63) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص-126 127 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص-76 78 .
- (64) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص-159 162 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص-117 119 ؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الاموية ، ط 7 (بيروت : دار النفائس ، 2010م) ، ص 84 .
- (65) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 272 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص 171 ، -195 196 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص 118 .
- (66) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، ولما توفي عبد الملك تولى الوليد فأبقاه على ما بيده ، توفي بواسط عام 95هـ/714م . ينظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ، ص-29 52 .
- (67) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص-202 207 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص-138 142 ؛ حسن ، تاريخ الإسلام ، ج 1 ، ص 313 .
- (68) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعارك ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 6 ، ص-211 213 ، -301 304 ، -309 310 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 4 ، ص-181 185 ، 188 .
- (69) مراد ، الجذور التاريخية للتطرف ، ص 226 .
- (70) مراد ، ، جذور العنف الداعشي ، الرابط : <http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/02/04>
- (71) عامر ، مصطفى أمين ، استراتيجيات مكافحة الإرهاب في الدول العربية ، مجلة آفاق عربية ، العدد الخامس ، (الجزائر ، 2019م) ، ص 132 .
- (72) هو إبراهيم بن عواد بن إبراهيم البدر السامرائي (-1971 2019م) كان أمير تنظيم دولة العراق الإسلامية ثم أصبح خليفة الدولة الإسلامية التي أعلن قيامها تنظيم داعش في اواخر حزيران عام 2014م في الموصل ، قتل في إدلب شمال غرب سوريا عام 2019م . ينظر: الداغستاني ، محمود محمد عبد القادر ، مكانة التطرف في البنية الايدلوجية لتنظيم داعش خلال الفترة (2010 – 2016م) ، (عمان – الاردن : جامعة الشرق الأوسط ، 2017م) ، ص-46 49 ؛ ابو بكر البغدادي ، ويكيبييا الموسوعة الحرة ، الرابط : <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (73) عبد الأمير ، حسين باسم وعلي مراد كاظم ، العقيدة الفكرية والاستراتيجية للتنظيمات السلفية الجهادية الكبرى - تنظيم القاعدة وتنظيم داعش إنموذجاً ، ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، مج 16 ،



العدد الثاني – أنساني ، (جامعة كربلاء ، 2018م) ، ص27 ؛ الهاشمي ، هشام ، عالم داعش من النشأة الى إعلان الخلافة ، ط1 (لندن : دار الحكمة ، 2015م) ، ص-263 264 .
(74) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256هـ/870م) ، صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ط1 (الرياض : دار السلام للنشر ، 1417هـ/1997م) ، ص740 ، حديث رقم (3611) .

(75) الكرداسي ، ابو سفيان عمرو سادات وأبو زياد محمد آل يعقوب النوبي ، حقيقة تنظيم الدولة داعش ، ط2 (الجزائر : دار المنهج للنشر والتوزيع ، 2017م) ، ص-163 165 .
(76) الرقب ، صالح حسين ، بين داعش والخوارج ، مقالاتي ، 2017-4-12م ، مقال منشور على الرابط الالكتروني :

<https://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&id=115>

(77) مراد ، الجذور التاريخية للتطرف ، ص226 .
(78) ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص492 .
(79) البداية والنهاية ، ج10 ، ص-584 585 .
(80) حسن ، حسن ، طائفية تنظيم الدولة الإسلامية: الجذور الإيديولوجية والسياق السياسي ، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط ، 13 حزيران 2016 ، دراسة منشورة على الرابط الالكتروني:

<https://carnegie-mec.org/2016/06/13/ar-pub-63756>

(81) الرقب ، بين داعش والخوارج ، الرابط : <https://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&id=115>

(82) الأزارقة في دولة البغدادي ، صحيفة الرؤية ، 4 يوليو 2014م ، الرابط : <https://www.alroeya.com>

(83) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص79 .
(84) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1 ، ص103 .
(85) ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص492 .
(86) العيساوي ، محمود جاسم معيدي ، الخوارج الجدد في القرن الواحد والعشرين ، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد 9 ، (الجامعة العراقية ، 2018م) ، ص199 .
(87) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص79 .
(88) البداية والنهاية ، ج10 ، ص580 – 581 .

- (89) الرقب ، بين داعش والخوارج ، الرابط : <https://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&id=115>
- (90) الجوعاني ، اسراء شاكر حسن ، الاساليب الدعائية لتنظيم داعش في شبكات التواصل الاجتماعي ، مجلة جامعة أهل البيت ، العدد 22 ، (جامعة اهل البيت ، 2018م) ، ص62.
- (91) ينظر: ابراهيم ، زينب بدن ، الأصول التكفيرية لتنظيم داعش ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، مج14 ، العدد 41 ، (جامعة واسط ، 2018م) ، ص503 ؛ آدم ، أبكر عبد البنات ، طاعون العصر .. التطرف الديني (أسبابه – نتائجه – علاجه) ، المجلة الليبية العالمية ، العدد 13 ، (جامعة بنغازي ، كلية التربية المرج ، 2017م) ، ص19 .
- (92) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص72 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص99.
- (93) تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، الرابط على الانترنت : <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (94) ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ص-81 82 ، ج6 ، ص121 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج3 ، ص218 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج10 ، ص584 .
- (95) تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ، ويكيبيديا ، الرابط : <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- (96) العيساوي ، الخوارج الجدد ، ص200 .

المصادر والمراجع

أ – القرآن الكريم

ب – المصادر الأولية

- أبن الأثير ، علي بن محمد الجزري الشيباني (ت 630 هـ / 1233 م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبدالله القاضي ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1407 هـ / 1987 م) .
- البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت256هـ/870م) ، صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ط1 (الرياض : دار السلام للنشر ، 1417هـ/1997م) .
- البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر التميمي (ت429هـ / 1037م) ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تح : محمد عثمان الخشت ، (القاهرة : مكتبة ابن سينا ، دت) .
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت 626 هـ / 1228 م) ، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب ، تح : أحسان عباس ، ط1 (بيروت : دار الغرب الاسلامي ، 1993م) .
- الحميري ، محمد عبد المنعم الصنهاجي (ت727هـ/1326م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ،

- تح : إحسان عباس ، ط2 (بيروت : مكتبة لبنان ، 1405هـ // 1984م) .
- ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت 681هـ / 1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : أحسان عبا ، (بيروت: دار صادر ، 1414هـ / 1994م) .
- الذهبي ، محمد بن أحمد (ت748هـ / 1347 م) ، سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرناؤوط وصالح السمر ، ط 1 (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1403هـ / 1983م).
- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ / 1153 م) ، الملل والنحل ، تح : أحمد حجازي ومحمد رضوان ، (المنصورة : مكتبة الأيمان ، 1427 هـ / 2006م) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ / 922م) ، تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 (القاهرة : دار المعارف ، 1387 هـ / 1967 م) .
- ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد (ت 1089 هـ / 1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تح : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط1 (بيروت : دار أبن كثير ، 1413هـ / 1992م) .
- ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ / 889م) ، الامامة والسياسة ، علق عليه : أبراهيم شمس الدين ، ط1 (بيروت : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، 1427هـ / 2006م) .
- ابن كثير ، أسماعيل بن عمر القرشي (ت 774 هـ / 1275م) ، البداية والنهاية ، تح : عبدالله عبد المحسن التركي ، ط1 (القاهرة : دار هجر ، 1419هـ / 1998م) .
- المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت 436هـ / 1044م) ، أمالي المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد ، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط1 (بيروت : دار احياء الكتب العربية ، دت) .
- أبن منظور ، محمد بن مكرم الإفريقي (ت711 هـ / 1311م) ، لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير وآخرون ، (القاهرة : دار المعارف ، دت) .
- اليعقوبي ، أحمد بن اسحاق (ت بعد 292هـ / 905م) ، تاريخ اليعقوبي ، ط1 (قم: مطبعة شريعت ، 1425هـ) .

ج - المراجع الثانوية

- ابراهيم ، زينب بدن ، الأصول التكفيرية لتنظيم داعش ، مجلة واسط للعلوم الانسانية ، مج14 ، العدد 41 ، (جامعة واسط ، 2018م) .
- آدم ، أبكر عبد البنات ، طاعون العصر .. التطرف الديني (أسبابه - نتائجه - علاجه) ، المجلة الليبية العالمية ، العدد 13 ، (جامعة بنغازي ، كلية التربية المرج ، 2017م).
- الجهني ، مانع بن حماد ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط4

- (الرياض : دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1420هـ) .
- الجوعاني ، اسراء شاكرك حسن ، الاساليب الدعائية لتنظيم داعش في شبكات التواصل الاجتماعي ، مجلة جامعة أهل البيت ، العدد 22 ، (جامعة اهل البيت ، 2018م) .
- حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1967م) .
- الداغستاني ، محمود محمد عبد القادر ، مكانة التطرف في البنية الايدلوجية لتنظيم داعش خلال الفترة (2010 - 2016م) ، (عمان - الاردن : جامعة الشرق الأوسط ، 2017م) .
- دلافيدا ، ليفي ، ” مادة الخوارج ” ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تر: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون ، ط1 (الشارقة : مركز الشارقة للابداع الفكري ، 1418هـ/ 1998م) .
- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط15 (بيروت : دار العلم للملايين ، 2002م) .
- طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الاموية ، ط7 (بيروت : دار النفائس ، 2010م) .
- عامر ، مصطفى أمين ، استراتيجيات مكافحة الإرهاب في الدول العربية ، مجلة آفاق عربية ، العدد الخامس ، (الجزائر ، 2019م) .
- عبد الأمير ، حسين باسم وعلي مراد كاظم ، العقيدة الفكرية والاستراتيجية للتنظيمات السلفية الجهادية الكبرى - تنظيم القاعدة وتنظيم داعش إنموذجاً ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، مج 16 ، العدد الثاني - أنساني ، (جامعة كربلاء ، 2018م) .
- عثمان ، عبد التواب محمد ، أثر الخوارج في الفكر الإسلامي المعاصر ، (القاهرة : دار الحرمين ، 2003م) .
- العيساوي ، محمود جاسم معيدي ، الخوارج الجدد في القرن الواحد والعشرين ، مجلة كلية التربية للبنات ، العدد 9 ، (الجامعة العراقية ، 2018م) .
- الكرداسي ، ابو سفيان عمرو سادات وأبو زياد محمد آل يعقوب النوبي ، حقيقة تنظيم الدولة داعش ، ط2 (الجزائر : دار المنهج للنشر والتوزيع ، 2017م) .
- مراد ، حيدر خضير ، الجذور التاريخية للتطرف لدى التنظيمات الارهابية الإسلامية المعاصرة ، مجلة الباحث ، العدد 36 ، (جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2020م) .
- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، (القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2011م) .
- المغربي ، علي عبد الفتاح ، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة ، ط2 (القاهرة : مكتبة وهبة ، 1415هـ/ 1995م) .
- الهاشمي ، هشام ، عالم داعش من النشأة الى إعلان الخلافة ، ط1 (لندن : دار الحكمة ، 2015م) .



د - مراجع الانترنت

الأزارقة في دولة البغدادي ، صحيفة الرؤية ، 4 يوليو 2014م ، الرابط : <https://www.alro-eya.com>

ابو بكر البغدادي ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، الرابط : <https://ar.wikipedia.org/wiki>
تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) ، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ، الرابط على الانترنت :

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

حسن ، حسن ، طائفية تنظيم الدولة الإسلامية: الجذور الإيديولوجية والسياق السياسي ، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط ، 13 حزيران 2016 ، دراسة منشورة على الرابط الالكتروني:

<https://carnegie-mec.org/2016/06/13/ar-pub-63756>

الرقب ، صالح حسين ، بين داعش والخوارج ، مقالاتي ، 2017-4-12م ، مقال منشور على الرابط الالكتروني :

<https://www.drsregeb.com/index.php?action=detail&id=115>

مراد ، حيدر خضير ، جذور العنف الداعشي في التاريخ الإسلامي “ الأزارقة أنموذجاً ”، جامعة كربلاء ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، 4 شباط 2019م ، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية وعلى الرابط :

[/http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/02/04/](http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/02/04/)

المساتي ، يوسف ، الأزارقة : مؤسسو داعش في القرن الأول الهجري ، موقع مرايانا ، 29 مارس

2021 ، مقال منشور على شبكة الانترنت وعلى الرابط الاتي : <https://marayana.com/>

[laune/2021/03/17/27634](https://marayana.com/laune/2021/03/17/27634)

الجذور التاريخية لظاهرة الارهاب - الاسباب والمعالجات -

أ.م.د. جمعة ثجيل عجلة
جامعة ذي قار - كلية الآداب

Jumaa.alhamadani@yahoo.com

(المقدمة)

ارتبط الفكر التكفيري والاقصائي الذي يمثل أرضية خصبة للتطرف والارهاب بالثقافة التقليدية التي يغلب عليها التفكير التقليدي المرتبط بالدين وتحديداً بهيمنة التصور التقليدي للدين ، الذي يتصور أن هناك طريقاً واحداً صحيحاً للإعلان ، وهي الثقافة التي تغلب عليها ، أيضاً ، التقاليد ، بمعنى العادات والممارسات والاعراف والافكار والقيم المتوارثة التي تغدو لها سطوة الاتباع ، في علاقة اللاحق بالسابق ، التي تتحول الى اطار مرجعي يستوجب القياس عليه بوصفه الاصل الذي يستهدي به ، او النموذج الذي يصاغ على مثاله ، في علاقة الإنسان بحاضره أو تطلعه إلى مستقبله⁽¹⁾.

إن من أسوأ الآفات التي عرفتها البشرية منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا هي آفة الغاء الآخر المختلف او اقصاؤه ، والعقلية الاقصائية هي آفة المجتمع التعدي وخطرها عليه اشد فتكاً من الخطر الخارجي ، والثقافة الاقصائية نوعاً من التفكير الشخصي الذي يتم من خلاله تشويه صورة الآخر بقصد اقصائه او تهميشه ، وصاحب العقلية الاقصائية يحاول التقليل من شأن الاشخاص الذين لا تتطابق وجهات نظرهم مع وجهات نظره ، والذين لديهم آراء ومواقف تختلف مع آرائه ومواقفه.

وبالرغم من التطور الفكري والعلمي الذي شهدته البشرية ، والثورة المعلوماتية الهائلة منذ بداية القرن الحادي والعشرين ، وتطور وسائل الاعلام في مختلف المجالات ، لازالت ثقافة الاقصاء والتهميش التي تعني ابعاد الآخر وتجاهله ، وعدم النظر اليه مهما كانت صحة مواقفه وصدق اقواله سائدة في الكثير من المجتمعات الانسانية ، وتمارس من دون رادع ديني او اخلاقي.

لا احد يستطيع ان ينكر اهمية التاريخ في حياتنا اليومية ، حيث اننا كمجتمعات اسلامية وخصوصاً العربية منها نعيش التاريخ ، فالماضي بالنسبة لنا يمثل ثقافة يومية بل ونتمسك بها الى درجة الولع بالعقيدة تاريخ والشرعية تاريخ والعادات اليومية تاريخ.

ومع كل ذلك الحب والولع في التاريخ ، الا اننا لا نبالغ اذا قلنا ان معظم مآسينا الحاضرة تعود في جذورها الى القيم والقناعات المشوهة التي تسربت الينا عن طريق روايات تاريخية لا اساس لها من الصحة والدقة ، وان ما ورثناه عن ثقافتنا الماضية هو ان نقد الرواية التاريخية كونها صادرة من رموز تعد من الكبار او خروج من الدين ، وهذا الامر للأسف حال بيننا وبين قراءة تاريخنا قراءة نقدية ترمم الحاضر وترشد الى المستقبل.

اما الخطر الاخر فهو سيادة منطق التبرير على منطق التفسير كأساس لتفسير معظم حوادث التاريخ، وهذا حاصل نتيجة للقهري الذي احده القمع الفكري والاضطهاد النفسي لعقول الامة والذي لا يرضى بالخروج من الموروث وعن عدم الاقتناع به.

واضافة الى ما تقدم فإن مؤلفاتنا الاسلامية ولدت لقارئها شعوراً بالتناقض بين محتواها والنص القرآني من ناحية ، وبين المنطق البدهي من ناحية اخرى. فالقرآن الكريم أعطى صورة نقية وواضحة للثقافة الاسلامية وللرسول والانبياء عليهم السلام ، ورفع من قدرهم ومكانتهم نظراً لسمو رسالاتهم ، لكن المؤلفات الاسلامية اعطت - للأسف الشديد - صورة مشوهة للإسلام والمسلمين خلال نصوص تبث الدعوة الى الكراهية والاحقاد ونبذ الآخر واقصائه ، وتحرص للعنف بشكل صريح مستندين بذلك على نصوص واحاديث وروايات نسبت الى الرسول الاعظم صلى الله عليه واله وسلم زورا وبهتانا.

ان الارهاب والعنف لم يأت اعتباطاً ولم ينشأ جزافاً ، بل له اسبابه ودواعيه ، ومعرفة السبب امر غاية في الاهمية ، ذلك لان معرفة السبب تحدد نوع العلاج وصفة الدواء ، فلا علاج الا بعد تشخيص ولا تشخيص الا ببيان الاسباب والبواعث التي ادت الى ها الفكر الضال ، الذي أسس نصوصاً تاريخية تكفر الآخر وتقصيه وتنتج بدورها كراهية وعنفأ تجاه المخالفين في الفكر والعقيدة. ان من الاسباب الرئيسية التي دعت الباحث الى الخوض في غمار هذا البحث وبيان الملابسات الحاصلة في الفقه الاسلامي ، هو ان كتب التراث الاسلامي فرضت الحرب على كل مخالف واعطت مبررات للدواعش لقتال الناس الامنين. والمتصفح لكتب التراث الاسلامي يلحظ ان انواع العذاب والتنكيل حصلت باسم القصاص لا لشيء الا لكون هؤلاء معارضين للسلطة ، والسلطة تستعمل انواع التعذيب من خلال فقه سنه لهم وعاظهم.

ومع وجود الكثير من الموروثات القيمية التي تحت على الرحمة والقبول يكاد المرء ان يصاب بالدهشة من كبر حجم ظاهرة التكفير التي غزت عقول الكثير من المسلمين بسهولة ويسر ، لانه لا يمكن لعقيدة مثل (عقيدة التكفير) بشكلها الوحشي المعروف وبكل ما تمثله من سطحية وتحد لطبيعة الانسان السوية ، ان تولد في مجتمع عقائدي ، يؤمن بدين قد يكون من اكثر الاديان السماوية اعتقادا بالنهي عن تكفير الاخر ، وبثقافة التسامح والقبول بالاخر ، مثل دين الاسلام السمع الرحيم ، الا اذا ما كانت هنالك آليات عظيمة يتبناها مجتمع بدوي التفكير قد نجحت في مصادرة العقيدة ومحو رؤاها والاستعاضة عنها بروى وضعية من صنع الفكر السياسي الانساني ولا يمكن لهكذا فكر ان يصمد امام قوة التغيير التي تفرض نفسها عادة على كثير من القيم والمثل والنظريات والاعتقادات لو لم يتم تأصيله وتحسينه واعتماده منها خلال مراحل التطور التاريخي للعالم الاسلامي ، وهذا ما ظهر واضحا في الطور المدني للبعثة.

الجدور التاريخية لظاهرة الارهاب

ولما كان الاسلام قد ركز في طوره المدني على بناء قواعد انطلاقته في المدن بعيداً عن ضارب الخيام البدوية ، واهلها ، الذين يبدو من خلال بعض النصوص وكأنه انتقص من قيمتهم ، حينما وصف الاغلبية منهم بالأشد كُفراً ونفاقاً في قوله تعالى : **الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**(2). مع انه لم يلغ دور البوادي ولم يخرجها من معادلتها باعتباره انه دين لكل العالم ولكل الاجناس ، فإن شدة الكفر والنفاق التي يمتاز بها غالبية الاعراب لم تفارقهم حينما دخلوا الاسلام ، بل ربما تضخمت بسبب شعورهم بنوع من التهميش المزدوج ، تهميش من حيث النظرة الى انحدارهم التشدد في الكفر والنفاق ، وتهميش بسبب مساواتهم مع العبيد والموالي الذين كانوا يعدونهم اقل درجة مجتمعية منهم(3).

ولابد من الاشارة الى انه خلال القرون الماضية والى يومنا هذا ، ان الناس فهموا القرآن بطريقة كتب التراث ، وهذا بحد ذاته يمثل مشكلة كبيرة كان لها اثرها في تشويه الكثير من الحقائق. وخلت الساحة من بحوث تعتمد القرآن للتعريف بنفسه دون عون من كتب اخرى فكتاب الله له القدرة على بناء دين كامل دون الحاجة الى عون او مساعدة من احد ، قال تعالى : **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**(4).

وكمثال على ما ذكرنا نلاحظ ابتداءً أن التحريف يبدأ من العناوين والألفاظ ، فحين ندرس غزوات الرسول الأكرم (ص) من القرآن الكريم لا نجد فيه أي ذكر لكلمة ((غزو)) أو ((غزوات)) وهذا دليل على أن كلمة ((غزو)) ذات المعنى المعروف ، وهو البدء في القتال مع الطرف الآخر وغزوه حتى لو كان ذلك الطرف لم يبدأ القتال⁽⁵⁾ ، لا يجوز لأحد من البشر أن يدخلها ضمن القانون الإلهي ، لأن القرآن يؤكد أن أول شرط من شروط القتال أن لا تبدأ بقتال المخالفين ، إلا إذا أعلنوا الحرب على الله ورسوله لقوله تعالى : **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**⁽⁶⁾ وهذه الآية هي أول آية نلت بخصوص القتال في الإسلام. فالقتال في سبيل الله بحسب هذه الآية المباركة يشترط له عدم الاعتداء لأي سبب كان ، لأن الله لا يحب المعتدين.

وأي شيء لا يحبه الله فهو كبيرة.

وكل قتال يغير هذا الشرط فهو صراعات دنيوية.

أما في السنة النبوية ، فلا يوجد ابلغ من تعريف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للجهاد حين قال لأصحابه ((وقدتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال : مجاهدة العبد لهواه))⁽⁷⁾.

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أنواع الجهاد بمفهومه الشامل فعن عبد الله بن عمرو قال : (جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه - وآله - وسلم) فقال : اجاهد معك ؟ قال : ألك أبوان ؟ ، قال : نعم ، قال : ففيهما جاهد⁽⁸⁾. فسمى النبي (صلى الله عليه - وآله - وسلم) بر الوالدين ورعايتهما جهادا في هذا الموقف.

وهكذا يوضح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) مدى اتساع دائرة الجهاد ، وأنها ليست محصورة في القتال ، بل هي مرتبطة بمجالات الحياة كلها فحين ننظر إلى الجهاد نظرة ضيقة ونحصره في جانب القتال ، يعد قصوراً في فهم الكتاب والسنة.

وأوضحت روايات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المعاني العديدة للجهاد ، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : (جاهدوا في سبيل الله بأيديكم ، فإن لم تقدرُوا فجاهدوا بالسنتكم ، فإن لم تقدرُوا فجاهدوا بقلوبكم)⁽⁹⁾ ، ويفهم من هذا النص : أن الإمام الصادق عليه السلام عندما بدأ ببيان معنى الجهاد في سبيل الله أكد أن الجزء المهم منه هو القتال ، ولكنه عليه السلام أشار إلى أنواع

الجهاد الاخرى التي لا تقل منزلة عن القتال ، وهي الجهاد بالالسن ، اي قول الحق ، ومنها ايضا الجهاد بالقلوب ، اي رفض الظلم والعدوان ومعرفة الحق واليقين. وهناك العديد من الاحاديث التي تشرح معنى الجهاد لا يسع المجال لذكرها ، لكنها تؤدي الى معنى واحد هو ان الجهاد لا يعني القتال فقط ، فالسعي لطلب العلم جهاد ، والسعي لطلب الرزق جهاد ، والاتفاق في سبيل الله جهاد ، والصبر على الاذى والمشقة جهاد.

الا ان اول ما نلاحظه عند مطالعتنا لكتب الفقه والتفسير هو الخلط بين القتال والجهاد ، فمعظم المؤلفات الاسلامية من هذه الكتب اختزلت هذه المعاني المتعددة للجهاد وحصرتها في مفهوم واحد هو القتال ، وتحديدا قتال الكفار والمشركين ، واستند هذا التبديل والخلط على نصوص اسلامية نسبت الى الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) زورا وبهتانا.

فما ورد في الصحاح يحض على العنف بصراحة ، ففي صحيح البخاري⁽¹⁰⁾ ، باب (ما قيل في الرمح) عن رسول الله (ص) : (بعث بين يدي الساعة مع السيف ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف امري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم).

ومنها قوله (ص) : عن جابر قالوا : يا رسول الله اي الجهاد افضل ؟ : (قال من عقر جواده واهريق دمه)⁽¹¹⁾ وفي حديث اخر له (ص) : (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق)⁽¹²⁾ وحديث اخر :

(اتسمعون يا معشر قريش ، اما والذي نفسي بيده لقد جنتكم بالذبح)⁽¹³⁾ ، واخر : (والذي نفس محمد بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم اغزو فاقتل ن ثم اغزو فاقتل)⁽¹⁴⁾ ويفهم من الحديث الاخير : ان الغزو والقتل غاية وهدف وليس وسيلة لاحقاق الحق او الدفاع عن الدين. وهذه الاحاديث تتناقض مع قول الله عز وجل والتي تدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة ، لقوله تعالى في سورة النحل ، الآية 125 : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

لقد فرض الصراع السياسي خلال القرون الثلاثة الاولى من عمر الدولة الاسلامية ، جدلية النص وقراءة النص مع الواقع التاريخي الذي يفرضه الصراع السياسي والاجتماعي وهو الجدل الذي انتهى بطغيان الواقع على النص ، ليس فقط الى درجة انفراد الواقع من دون النص بإملاء النظرية السياسية ، بل الى درجة انشاء النص ، اي اختلاقه كي يتوافق مع الواقع كما هو ، او كما تريد أن

تقرأه كل فرقة من الفرق السياسية (المذاهب الدينية لاحقاً) طلباً لإسناد شرعي يضيف طابع الاطلاق على مقولاتها ، وهو ما يمكن ان نسميه بظاهرة (التنصيب السياسي) التي أدت الى تدين الحوادث التاريخية اللاحقة على زمن النص، الامر الذي يفسر الى حد كبير حالة الالتباس او الخلط الدائم في العقل المسلم بين الديني والسياسي ، او بين الدين والتدين ، بل وبين الفكر الديني والموروث القبلي⁽¹⁵⁾.

واذا كان التاريخ هو (مفتاح العقل) ، فإن (السلطة) هي مفتاح التاريخ ، لقد فعلت السلطة كثيراً في التاريخ ، وفعل التاريخ كثيراً في العقل ، وبشكل مباشر وغير مباشر صار العقل المسلم اسير للفعلين كليهما ، لفعل السلطة في التاريخ ، أي لـ (تاريخ السلطة) ، ولفعل التاريخ في العقل ، أي لـ (سلطة التاريخ) ، فأما (تاريخ السلطة) ، فقد أورث هذا العقل خضوعاً شبه كلي (للحكومة) بالمعنى المطلق وأما (سلطة التاريخ) ، فقد أورثته خضوعاً شبه كلي (للماضي) ، بالمعنى المطلق كذلك⁽¹⁶⁾.

لا يكاد يمر عقد من العقود في التاريخ الاسلامي ، بمختلف مراحله وعصوره ، يخلو من نزاع عقائدي او طائفي حيناً ، او مذهبي حيناً اخر ، ومن نزاع سلطوي على الحكم ، أسري ضمن العشيرة الواحدة حيناً او عشائري ضمن القبيلة الواحدة حيناً آخر او قبلي ضمن النسيج الاجتماعي الواحد في منطقة النزاع. ومع كل نزاع ينقسم الناس قسمين ، لكل قسم رجاله وانصاره ، ولكل قسم فقهاؤه وعلماءه ، ولكل قسم مضاربه ومساكنه ، والامثلة على ما ذكرنا اكثر من ان تحصى واوضح من ان تخفى حتى يومنا هذا.

ولعل اول نزاع سياسي نشأ في الاسلام بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة هو الذي اندلع في سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة ، بين المهاجرين برئاسة ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب من جانب ، وبين الانصار برئاسة سعد بن عباد والحباب بن المنذر من جانب آخر ، حيث احتدم الخلاف وتعلت الاصوات والصيحات واستقرت القبضات على مقابض السيوف. واصبح المسلمون أمام نزاع مسلح على الحكم ، لا علاقة له بالإيمان بالله وكتبه ورسله ، ولا علاقة له بالصلاة وبالصوم وبالزكاة وبالحج ، طرفاه أنصار ومهاجرون ، وكلاهما صاحب فضل في الاسلام لا ينكر ، وبلاء في سبيل الله لا يجحد ، لكن للسلطة والسلطان شهوة تعمي العقلاء ، يروي أهل الاخبار ان الوليد بن عبد الملك كان قبل توليه الحكم مشهوراً باسم (حمامة المسجد) ، قال له سعيد بن جبير ذات يوم بعد توليه الحكم : بلغنا أنك تشرب الخمر. فقال الوليد : والدماء أيضاً ، فانظر ما تفعله شهوة السلطة والسلطان ، وكيف تحول الحمام الى نسور كاسرة والسناجب الى ذئاب⁽¹⁷⁾.

لقد رضي الانتصار بأن يكونوا شركاء في الحكم ، وقالوا : ((منا أمير ومنكم))⁽¹⁸⁾ ، فرفض المهاجرون ، وقال عمر بن الخطاب : (لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، ولا فحلان في مغوس)⁽¹⁹⁾ .
ومرة أخرى رفض المهاجرون الى الانفراد ، مستندين في ذلك الى حديث نبوي رواه ابو بكر الصديق يوم السقيفة : (الائمة من قريش) ، وحديث اخر يقول :
(قريش ولالة هذا الامر ما بقي منهم رجلان))⁽²⁰⁾ ناسين او متناسين حديثاً ثالثاً يقول : ((لو سلكت الناس شعباً وسلكت الانتصار شعباً لسلكت شعب الانتصار))⁽²¹⁾ .

ومن خلال هذه النصوص يلحظ القارئ بشكل واضح ظاهرة التوظيف الانتقائي للحديث النبوي كسلاح لحسم النزاعات من خلال اثبات مزاعم احد الطرفين واسباغ غطاء الشرعية عليها ، بحيث اذا عارضها الطرف الاخر اصبح كمن يعارض السنة النبوية ، هذا السلاح هو الذي شهره المهاجرون في مجال النزاع على الحكم في وجه الانتصار ، وشهره الامويون في وجه الهاشميين ، وشهره العباسيون في وجه العلويين والطلبين ، وحين اشرقت شمس التدوين ، اخذها الذهول امام مئات الالاف من الاحاديث النبوية ، وما هي بنبوية كلها ، فالامام مالك بن انس (91 - 171هـ) ، روى مئة الف حديثاً اختار منها عشرة الاف في الموطأ ، ثم لم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي (500 حديث))⁽²²⁾ والامر نفسه ، ينطبق على من جاءوا من بعده في روايتهم للحديث ، كالبخاري ومسلم وابن حنبل والكليني وغيرهم.

هناك حقيقة يصرح بها الجميع ويعترف بها الجميع أيضاً ، ولا يحتاج الى شواهد او نصوص او مصاد لتعزيها ، وهي : ان التاريخ المكتوب ليس هو تاريخ الشعوب والأمم ، ولا يعكس لنا آمالها وآلامها، ولا مكانتها او حركتها في واقع الحياة ، وانما هو تاريخ الحكام والسلاطين ، ومن يدور في فلکهم، لذا نجد المؤرخ يسهب في وصف مجلس شراب او منادمة للسلطان ، او مجلس شعراء ومجون لحاشيته⁽²³⁾ . كذكرهم في معظم المؤلفات قول الشاعر الاندلسي في مدح المعز لدين الله :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار

فاحكم فانت الواحد القهار

فكأنك بعهد النبي محمد

وكان أنصارك الأنصار⁽²⁴⁾

او ينقل لنا المؤرخ مثلاً مقدار ما بذله السلطان من أموال طائلة على حفلاته وضيوفه وتبذيره الشديد الذي يتفاخر به هذا السلطان وحاشيته ، والمؤرخ نفسه لانه دليل الجود والكرم⁽²⁵⁾ او ينقل لنا سيطرة

النساء على مقاليد الامور لخليفة معين⁽²⁶⁾.

وحتى تاريخ الحكم هذا لم يستطع ان يعكس صورة واقعهم بأمانة ودقة ونزاهة ، مادام غير قادر الا على تسجيل ما يرضي الحكم وصب في مصلحتهم مهما كان ذلك منحرفاً او غير نقي ، او مزوراً وغير واقعي⁽²⁷⁾.

وهذا يقودنا الى الاستنتاج ان معظم المؤرخين والكتاب في تلك المرحلة كانوا متأثرين بثقافة السلطة على التاريخ ، مما جعلهم ينصاعون تحت ذراع شتى لنقل التاريخ كما يريده الحاكم لا كما هو ، اصف الى ما تقدم فإن الكثير مما كتب وسجل. اما كتب بعقلية غير ناضجة ، او من هوى مذهبي وتعصبي رخيص لا يلتزم بالمنطق السليم ، ولا يؤمن بالحوار والفكر أسلوباً اوضح للتصحيح.

ان صورة الدين التي قدمتها لنا الاحاديث والمرويات المنسوبة الى الرسول (ص) صورة تختلف عاماً عن تلك التي جاء بها الرسول (ص) من خلال التنزيل الحكيم ، وهذا ما يدعوا الى ضرورة اعادة الامور الى نصابها ، وإعادة فهم الدين فهماً صحيحاً انطلاقاً من التنزيل الحكيم ، وإعادة دراسة الاحاديث وتنقيحها بناءً عليه ، يجعلها خاضعة لرقابته وليست ناسخة له ، بسبب وجود التناقض الكبير بين كتاب الله والاحاديث من جهة ، وبين الاحاديث بعضها مع بعض من جهة ثانية ، ما يبين انها صناعة انسانية لا غير ، حيث ادى هذا التناقض الصارخ بالتالي الى اظهار صورة ازدواجية لشخصية الرسول (ص) ، الأولى مستوحاة من التنزيل وتظهره بشكل مهيب ، فيها تنزيه عن النقص والعيوب ضمن الشروط الموضوعية لوجوده كإنسان (بشر) كُلف بمهمة إبلاغ ما جاءه من ربه من وحي فأذاه على أكمل وجه ، أما الصورة الثانية فهي التي صنعتها له الاحاديث ، وهي مخالفة تماماً للصورة الاولى ، بل ومنها نسبت اليه الكثير من الصفات السلبية في سلوكه وافعاله وأقواله كإنسان أولاً ، وكرسول نبي ثانياً ، واتهم فيها بالوحشية وحبه لسفك الدماء والشهوانية وحبه المفرط للجنس⁽²⁸⁾. وهذا ما يستدعي منا العمل على رد الاعتبار اليه واظهاره بصورته الحقيقية المشرقة من خلال القرآن الكريم ، عبر القيام بدراسة تحليلية للاحاديث الواردة في سيرته على ضوء القرآن الكريم ، لكشف زيف ما ألصق به من تهم زوراً وبهتاناً.

المشكلة الكبرى في الثقافة الاسلامية وفكرها المتوارث هو الاختلاف في فهم القرآن الكريم وتفسيره والتلاعب بدلالاته ومعانيه وتأويله حسب الاهواء والافكار القاصرة المنحرفة.

وهناك جملة عوامل ساهمت في تفخيم المشاكل في الرواية التاريخية ، التي كان لها الدور الأكبر في صناعة الاحاديث المختلفة والموضوعة والتي وضعت لأغراض دنيوية ، مستغلة انصياع الناس للمقدس الديني ، ومن هذه المشاكل :

أولاً : قول الفقهاء الشهير أن : ((قول الصحابي حجة))⁽²⁹⁾.

ثانياً : الروايات المكونبة على لسان النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع).

ثالثاً : رواية الحديث بالمعنى ، والتي مثلت بحد ذاتها نزاعاً انقسم فيه القوم الى قسمين : قسم تشدد في السماع وأوجب التمسك بألفاظ الحديث كما قالها النبي (ص) بلا تبديل ولا تغيير ومن دون نقص أو زيادة ، ومن هؤلاء محمد بن سيرين⁽³⁰⁾ والقاسم بن محمد⁽³¹⁾ ورجاء بن حبة⁽³²⁾ ، وحثهم في ذلك قوله (ص) :

((نصر الله إمرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع فرب سامع افقه من مبلغ))⁽³³⁾ ، وقسم تساهل في السماع واجاز رواية الحديث بالمعنى ، ومن هؤلاء الشافعي ، وابن حنبل ، وسفيان الثوري ، وعامر الشعبي وغيرهم.

ومع وصول الامويين الى الحكم ، فان الصراع على السلطة قد ظهر بوضوح بين الفئات المتنافسة تحت شعار ((الائمة من قريش))⁽³⁴⁾ وظهرت الحاجة الى تبرير الافعال بالتقول على النبي (ص) واصحابه خاصة في مسألة القضاء والقدر لتبرير حكم بني أمية الوراثي ، وما أن جاءت الدولة العباسية حتى كانت هذه الحاجة قد بلغت أوجها ففي صناعة الحديث ، جاء القول على الله ورسوله وتشويه الاسلام كاملاً وتحريقه عن موضعه ، لا في ذلك العصر فقط ، وانما لعصور لاحقة نعرف انها مستمرة ولا ندري متى تنتهي ، وبدلاً من ان يكون كتاب الله فيه كل ما اراد الله قوله لعباده ، صار منقوصاً بحاجة الى ما يكمله ، وبذلك انتقل مركز الرسالة الاسلامية من الله الى البشر ومن هنا نفهم دوافع صناعة الحديث على يد البخاري ومسلم وغيرهم ، ونسبته الى رسول الله (ص) ليكتسب الصفة الشرعية مع انه مختلق كتب بعد وفاته (ص) بأكثر من مئة عام ، وكتب بأمر من السلطات الاموية والعباسية لأغراض سلطوية وسياسية معروفة ومكتشفة للجميع ، اضى عليه الفقهاء والوعاظ صفة القداسة لكي يجبروا العوام من الناس على القبول به والاذعان له.

وحين تمر بمأساة كربلاء عام 61هـ ، لا حاجة للحديث عن هذه المأساة ، فقد افاضت الكتب والمؤلفات الاسلامية ، وافاض الرواة فيها ، غير ان هناك حادثة اسست للإرهاب في عهد يزيد ، يعبرها الرواة دائماً او يرمونها بها على عجالة ، بينما هي تمس العقيدة الاسلامية في الصميم ، وتضع النقاط على

الحروف ، وتستحق ان يذكرها الرواة ، وان يتدارسها القارئ بكثرة وفي اناة ، وان يتذكر انها حدثت بعد نصف قرن من وفاة الرسول الاكرم (ص) ، فقط نصف قرن ، تلك هي حادثة (الحرّة) واستباحة مدينة رسول الله (ص)(35).

لقد هاجم جيش يزيد المدينة ، حين خلع اهلها بيعته وقاتل اهلها في موقعة (الحرّة)(36) ، فاصدر قائد الجيش اوامره باستباحة المدينة ثلاثة ايام ، قيل انه قتل فيها اربعة الاف وخمسمائة ، وانه قد فضت فيها بكارة الف بكر ، وقد كان ذلك كله بأمر يزيد الى قائد جيشه مسلم بن عقبة المري : ((ادع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم ، فإذا ظهرت عليها فأبجها ثلاثاً ، فكل ما فيها من مال او دابة أو سلاح او طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس)) (37).

ولم يكتف يزيد باستباحة المدينة ، بل طلب من أهلها أن يبايعوا يزيد على أنهم (عبيد) له ، يفعل فيهم وفي أموالهم وفي اولادهم ما يشاء(38).

في عام 75هـ ، خطب عبد الملك بن مروان ، على منبر رسول الله (ص) في المدينة ، بعد قتل عبدالله بن الزبير قائلاً : (والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه)(39). وكلام عبدالمك هذا يحمل وضوحاً لا لبس فيه ، وصراحة قل نظيرها حتى من حيث استقامة الألفاظ بل ان وضوحها بلغ من الدقة ان لا يختلف عليها اثنان في تهديد القتل وضرب الاعناق بكل حسم وصراحة ، ليس لمن يخالف الامر ويعترض عليه ، وليس لمن يرفع في وجهه السيف ، بل لمن يدعو الى (تقوى الله) ، وقد خلد عبدالمك نفسه بذلك ، فوصفه الزهري(40) بانه اول من نهى عن الامر بالمعروف(41).

وما دمنا نتحدث عن وضوح عبدالمك ، وصدقه مع نفسه فلا بأس من ذكر قصة طريفة ينقلها السيوطي(42) : (قال ابن ابي عائشة : أفضى الامر الى عبد الملك ، والمصحف في حجره فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك) ، وفي قول آخر : (هذا فراق بيني وبينك).

والحقيقة انه لا يوجد تناقض بين اقوال وافعال عبدالمك بن مروان بعد ولايته ، وبين ما تحدثنا به نفس المراجع عن فقهه وعلمه ووعظه ، لا تناقض على الاطلاق ، لان ذلك كله كان قبل ولايته ن فلما ولي ادرك ان عهد النسك والعبادة قد ولى ، واطبق المصحف ، واطلق شيطان الحكم والامارة وصدق في قوله للمصحف : ان هذا اخر العهد بك ، والدليل على ذلك ان ساعده الايمن كان الحجاج ،

وقد عرف عبد الملك للحجاج مواهبه وادرك انه بالحجاج قد وطد دعائم الحكم وارسى قواعد الخلافة فكانت وصيته الاخيرة لولده وولي عهده الوليد ان يحفظ للحجاج صنيعة وان يلزمه وزيراً ومشيراً. اما يزيد بن عبد الملك ، التاسع في الترتيب بين خلفاء بني أمية ، واحد اربعة تولوا الخلافة من ابناء عبد الملك بن مروان ، وجاء بعد عمر بن عبد العزيز الذي ملأ الدنيا عدلاً طوال عامين ، فاذا بيزيد يأتي بعده لكي يملأها مغاني وشراباً وخلاعة ومجوناً طوال اربعة أعوام ن ويذكر السيوطي : ((انه ما أن ولي حتى اتى بأربعين شيخاً فشهدوا له ما على الخليفة حساب ولا عقاب)) (43).

وحين وصل الوليد بن يزيد الى كرسي السلطة ، وذات يوم قرأ : ((وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ)) فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ وأقبل يرميه وهو يقول :

فهِـا أنا جبار عنيد

أتوعد كل جبار عنيد

فقل لله مزقني الوليد(44)

إذا لا قيت ربك يوم حشر

وقد وصل المجون والهتك عند الوليد أن ألد في شعر له ذكر فيه النبي الاكرم (ص) وان الوحي لم يأتيه عن ربه ، ومن ذلك الشعر :

بلا وحي اتاه ولا كتاب

تلعب بالخلافة هاشمي

وقل لله يمنعني شرابي(45)

فقل لله يمنعني طعامي

ولم يتوقف الامر عند الخلفاء الامويين ، بل ان خلفاء بني العباس كانوا من المؤسسين لظاهرة الارهاب من اجل مكاسب سياسة سلطوية ، فقد قدمت الدولة العباسية نفسها على يد مؤسسها ابو العباس السفاح ، أول خلفاء بني العباس ، الذي أعلن على المنبر يوم مبايعته : (ان الله رد عينا حقنا وختتم بنا كما افتتح بنا ، فاستعدوا فانا السفاح المبيح ، والثائر المبير) (46).

وقد اثبت السفاح انه جدير بالتسمية ، فقد بدأ حكمه بقرارين ليس لهما سابقة في التاريخ كله ، القرار الاول هو اصداره الاوامر باخراج جثث خلفاء بني أمية من قبورهم ، وجلدهم وصلبهم ، وحرقت جثثهم ، ونثر رمادهم في الريح ، وتذكر لنا كتب التاريخ ما وجدوه ، فيقول ابن الاثير : (فنبش قبر معاوية بن ابي سفيان فلم يجدوا فيه الا خيطاً مثل الهباء ، ونبش قبر يزيد بن معاوية بن ابي سفيان فوجدوا فيه حطاماً كأنه الرماد ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا جمجمته ، وكان لا يوجد في القبر الا العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فانه وجد صحيحاً لم يبيل منه الا ارنبة انفه فضربه بالسياط وحرقه وذراه في الريح ...) (47).

وذكرت المصادر الإسلامية⁽⁴⁸⁾ : انه كان عند السفاح من بني أمية تسعين رجلاً على الطعام ، أمر بهم عبدالله بن علي السفاح فضربوا بالعمد حتى قتلوا جميعاً وبسط عليهم الانطاع وجعل فوق الانطاع موائد عليها الطعام وجلس يأكل ويأكلون فوقهم وهم يتحركون من تحت الانطاع ويسمع انين بعضهم حتى ماتوا جميعاً. فقد امر السفاح بضرب رؤوسهم بأعمدة حديدية ، بحيث نتلف بعض مراكز المخ ويبقى الجسد حياً مصطرباً بين الموت والحياة ، وما ان يرى السفاح امامه تسعين جسداً منتفضاً تقترب بسرعة من الموت ، وترتفع اصواتها بالأنين ، حتى يأمر بوضع مفارش المائدة فوقهم ، ثم يجلس فوق هذه المفارش ، ويأمر بالطعام فيوضع امامه فوق الاجساد ، ويبدأ في تناول عشاءه بينما البساط يهدم هنا وهناك ، حتى همد البساط كله ، ففزع من طعامه ، وتوجه الى الله بالحمد ، والى حراسة بالشكر ، والى خاصته بالتهنئة ، ولعله قال لنفسه ، أو لخاصته ، والله ما أكلت هنا ولا أطيع ولا ألد من هذا الطعام قط، فليس أقل من هذا الوصف ما يلائم سلوك السفاح.

ان الاسلام دين لا دولة ، وعلى المحتج علينا بالعكس ، ان يرد علينا بحجة التاريخ ، وليس أقوى من التاريخ حجة ، وان يعرض علينا منهجه في اقامة الدولة على اساس الدين.

يجب على المسلم ان يعي ان لا وجود للمدينة الفاضلة على الارض فحيث وجد الانسان وجد الفساد والجشع والقتل وحب السلطة والنفوذ والخلافة الراشدة والاموية والعباسية التي اندثرت على غير رجعة لم تكن استثناءً ، فقد راينا من خلال المصادر كيف ان خلفاء الدولة الاسلامية سفكوا دماء بعضهم بعض ودخلوا في حروب دموية طاحنة راح ضحيتها عشرات الالاف من البشر الذين لا حول لهم ولا قوة فيما يجري من صراع سياسي ومن اجل الاستحواذ على السلطة فغلفوا مطالبهم وطموحاتهم الدنيوية باطار ديني وقداصة صدقها الناس ، مثلما وقع في حروب الردة والخوارج وغيرها.

إن المطالبة والمناداة بالخلافة الاسلامية - كما يريد - البعض هو جهل بالتاريخ واحداثه ، ففي الفتوحات الاسلامية قامت السلطات بالاعتداء على امم لم تقم بالاعتداء علينا ، فالقرآن الكريم كتاب الله الذي لم يأت الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يؤكد في تشريعه للقتال انه للدفاع فقط ، ورد للعدوان بمثله ، وتحريم الاعتداء على الغير لقوله تعالى : وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ⁽⁴⁹⁾.

فالمسالمة والمخالفون في العقيدة يجب التعامل معهم بالبر والقسط ، وليس باحتلال ارضهم عنوة وقتلهم ونهب اموالهم وسبي نساءهم لقوله جل وعلا : لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ⁽⁵⁰⁾.

لقد سجل التاريخ أعمال وبطولات وطغيان الحكام والقادة والزعماء ، وسجل أعمالهم وفتوحاتهم ، لكنه نسي وتناسى ضحايا تلك الفتوحات من ملايين الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ، سجل التاريخ فتوحات الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وجنكيز خان وهولاكو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وهتلر ونابليون وستالين ، ولكنه يتناسى ضحاياهم من ملايين البشر الذين داستهم سنانك الخيل ، والذين وقعوا في الأسر والاسترقاق ، هذه العظمة التاريخية للفرد المتسلط يرفضها القرآن الكريم ويضع مكانها في الجحيم ، لأنها لا تتفق مع عدل الإسلام وقيمه في الرحمة والسلام ، إذ كيف يجوز في ميزان العظمة الإلهية الحقيقية القرآنية أن يكون من حق الفرد من البشر أن يقيم صرح عظمته فوق أهرامات من جماجم الآلاف البشر ، والادهى من ذلك أنها تحصل باسم الله ورسوله الكريم الذي بعثه الله رحمة للعالمين وليس للظلم وقتل العالمين.

وبرغم ما كتبه المؤرخون في ظل الامبراطوريات القرشية ، فقد كانت كل حروب النبي (ص) دفاعية ، ومن يقول غير هذا فهو كافر بالقرآن وعدو للنبي محمد (ص) ، لأنه (ص) لو حارب معتدياً لكان عدواً لله رب العالمين - حاشاه - لأن الله جل وعلا يقول : وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ⁽⁵¹⁾ ولو حارب معتدياً لنزل الوحي يتبرأ منه ، فكانت حروبه (ص) دفاعية فقط ، بذل فيها جهده وماله ومعه جنود مؤمنون مغمورون ولكن كانوا سابقون بالإيمان والعمل الصالح ، ولم يسع أحدهم أن يكون قائداً أو زعيماً بل رضوا بالجهاد خلف النبي (ص) بالمال والنفس وبقدر المستطاع.

كانت الثقافة السائدة في العصور الوسطى هي الاستبداد والاستعباد والاسترقاق والفساد وحق المستبد في قتل من يشاء ، كانت عصور الحروب الدنيوية ومحاكم التفتيش ، وقد كانت هكذا قبل النبي محمد (ص) ، ثم خفت الضوء وتوارى بموته ، وانطفأ بالفتوحات ، واختفى تقريباً من الحياة العملية للمسلمين ، وبقي نور الإسلام محصوراً في القرآن المحفوظ رغم أنوف السلاطين الذين حاولوا أن يهملوا تعاليمه من خلال اعتمادهم على فقهاء اختلقوا لهم احاديث نسبوها زوراً وبهتاناً الى النبي (ص) لتبرير وشرعة سلطتهم ، الى درجة ان صنعوا احاديث صنعت لنا الكراهية والاحقاد وبررت للقتل والاضطهاد واستعباد الشعوب.

وقد استمر السلب والسبي اثناء وبعد المعارك ، بالاضافة الى الجزية والخراج بعد توطيد الحكم واستقراره ، وكان دفع المهزومين الجزية يعد دليلاً على اسلامهم ، كما كان رفضهم دفع الجزية دليلاً

على كفرهم ، نفهم هذا من قول الطبري عن سعيد بن العاص انه : (صالح أهل جرجان وكان يجبون أحياناً مائة ألف وأحياناً مائتي ألف وأحياناً ثلاثمائة ألف))⁽⁵²⁾ اي كانوا يدفعون هذا المقدار جزية ، ثم يقول الطبري : (ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهاهم يزيد بن (المهلب)⁽⁵³⁾ ، أي انهم حين امتنعوا عن دفع الاموال صاروا كفاراً ، أي ارتبط اسلام أولئك الناس الذين لم يدخلوا الاسلام بدفعهم الاموال للعرب ، فاذا امتنعوا صاروا كفاراً مستحقين للقتال والغزو والتأديب. وهذا ما كان يحدث في اعادة الغزو لاجبارهم على دفع الاموال ، وهذه الاموال التي تضخمت لدى العرب بالظلم هي التي سببت اختلافهم ، وكانت السبب المباشر في قتل الكثير من الشخصيات الاسلامية المهمة.

واستمرت هذه الثقافة الموروثة الى ان امتلأت كتبنا ومؤلفاتنا الاسلامية بمصطلحات الجهاد والقتال دون تمييز او تدبر في معانيها اللغوية التي قصدها كتاب الله جل وعلا ، وتم الخلط بين مفاهيم الجهاد والقتال والقتل والحرب والغزو ، حيناً بسبب الجهل ، وحيناً بسبب التقليد الاعمى ، واحياناً ارضاءً لسلطين الاستبداد وخدمة للسياسية الاقصائية التي غدت من سمات الفقه السياسي الاسلامي منذ السقيفة الى يومنا هذا.

الخلاصة والاستنتاج

من اجل الخروج من آفة التطرف والارهاب الذي بات يعصف بحاضرنا ويهدد مستقبلنا ، فالحل هو الاصلاح الثقافي والمعرفي حتى يتمكن من القيام بدوره في مواجهة هذه الظواهر ، بعد ذلك يمكن ان نتحدث عن استراتيجية تنويرية ، تقوم فيها المؤسسات الثقافية والتعليمية والفنية ، ويقوم فيها المفكرون والمثقفون بانتاج خطاب ثقافي واعٍ ومتكامل يهدف الى افرار الخطابات المتطرفة من محتواها ، وكشف مخططاتها ومرجعياتها وأبعادها الخطيرة.

إن الحديث عن مواجهة التطرف عبر بوابة الثقافة بوصفها مرآة ليس لأفكار فحسب وانما لسلوك الفرد وسلوك المجتمع ، فاننا نحتاج الى ثقافة أمة متوازية ، ثقافة تتشبع بها ارواحنا وتؤمن بها عقولنا حتى تصبح سلوكاً مجتمعياً ونمط حياة ، والاصلاح الثقافي في قضية مجتمعية ، لاتهم جهة دون اخرى ، وانما يتداخل فيها الاقتصادي مع السياسي مع التربوي والتشريعي والديني ، ومن هنا فان مداخل الاصلاح الثقافي تبدأ من :

1. نظراً الى ارتباط التعليم بالثقافة ، يمكن أن يتحول التعليم الى أداة فاعلة للتصدي لثقافة التعصب والكراهية ، الي تشييعها التنظيمات المتطرفة ودعاة الطائفية ، من خلال نشر ثقافة احترام الآخرين

ونشر ثقافة الحوار واحترام الرأي الآخر ، والتسامح ... الخ ، وهذه المنظومة يجب ان تبدأ في المدرسة من الصفوف الاولى ، كما ان هناك حاجة الى تطوير المناهج التعليمية على اسس تنمية روح الابتكار والابداع وتأسيس عقلية علمية قادرة على النقد وتشغيل العقل في اختراع حلول جديدة للمشكلات القائمة ، مع الاهتمام بعنصر التربية والتكوين والتدريب.

2. القضاء على ظاهرة أمية المتعلمين من خلال تحويل التعليم والثقافة من عمليات معرفية ذات أهداف تكديسية او مكسبية ، الى عمليات تصنع المتعلم الفعال الصانع للتغيير والمحصن ضد الاتجاهات الفكرية التي تعده بمعالجة مشكلاته ورفع معاناته ثم تفصله عن دينه وتراثه وتاريخه ، فما نعيشه اليوم هو أزمة فكر ، أدى الى أزمة في الخطاب وبالتالي العجز عن التبليغ : تبليغ الفئة المثقفة رسالة الحضارة الى الجماهير ، وهذا جعل الجماهير لقمة سهلة في ايدي الدعاة المضللين والارهابيين.

3. ضرورة الخروج من عبادة الماضي والوقوف من خلال برامج التعليم على حقيقة اضرار الانغماس في الماضي الذي يجعلنا سجناء امجاد لم نصنعها ، وحبسي تاريخ توقف الزمان عنده ولا نريد ان نرى ما بعده ، بل نكتفي بالتركيز دائماً بما صنعه الاجداد ، بينما الاحفاد اليوم لا دور لهم سوى الهدم.

4. مسألة تدافع القيم لا تصبح مسؤولية الواعظ الديني المكتفي بخطاب النهي عن المنكر ، بل تصبح قضية مختلف الفعاليات الدينية والمدنية والسياسية.

5. محاربة كل من يقف بوجه ثقافة ((النقد)) ، لان ثقافة النقد هي من أهم وسائل الارتقاء بكل النظم والمؤسسات والافكار والممارسات ، وان نبتعد عن مواصلة النظرة العاطفية الممزوجة بالغضب تجاه النقد بوجه عام ، وتجاه نقد المسلمات والشخصيات التي تتبوأ مواقع متقدمة في الدولة ، حيث اننا ننظر في حالات كثيرة وكأن نقد هذه الجهات وكأنه عمل تخريبي وهدام بل قد يصل حد عدّ النقد خيانة.

6. تشجيع ممارسة ثقافة الاختلاف كسنة من سنن الحياة ، ومعلم من معالم الوجود الانساني على الارض ، حيث اصبحت ((الصيغة الفكرية)) التي نمت خلال السنوات الاخيرة تقسم الناس الى ((نحن)) و((هم)) وفي الوقت نفسه نجعل ((نحن)) على صواب دائماً , و((هم)) على خطأ دائماً.

7. وحين نتحدث عن الامية ، فلا بد من العودة الى توضيح ((أمية المتعلمين)) - الواردة في أعلاه - وهي أخطر من أمية الجاهلين بالقراءة والكتابة ، ففي هذا النوع يتم اختزال وظيفة العلم في تحقيق المكاسب الذاتية بدلاً من الاسهام في بناء المجتمع ، بسبب اعتقاد بعض المتعلمين والنخبة أن رجل الشارع قاصر ينبغي الا يخاطب خطاباً فكرياً او ثقافياً ، لانه لا يدرك الا انواعاً محددة من الخطاب لا يتقنها المفكرون والمثقفون ، ونظرة الاستعلاء او سوء التقدير هذه خلقت فجوة بين المثقف والمواطن البسيط الذي بدأ ينظر الى الفكر والثقافة على انها نوع من الترف من حق الاغنياء المترفين ان يمارسوه ، اما الكادحون فلا يجدر بهم ذلك ، ولا يليق ، وبذلك حصل الفصام بين القيادة الفكرية والقاعدة الشعبية.

8. تفعيل ثقافة الحوار والتسامح الذي كنا نستظل به في علاقة بعضنا ببعض الاخر ، وتفعيل لغة العلم والموضوعية ، ومحاربة ظاهرة التضخيم المتفشية في المجتمع ، بحيث عندما نتحدث عن التاريخ ، لا نَصِفُ حضارتنا بأعظم حضارة ، وعندما نتحدث عن واقعنا علينا ان نتحدث بواقعية ، وان لا نبالغ في تجاربنا الاستثنائية وانتصاراتنا الاسطورية ، وقراراتنا التاريخية. وهذه الاوصاف - نحن لا نبالغ فيها - ولا نفتعلها ، فهي جزء من نسيج تفكيرنا وعمق ثقافتنا.

الهوامش

- 1 - جابر عصفور ، تحرير العقل ، ص81.
- 2 - النبوة : 97 - 98.
- 3 - صالح الطائي ، أثر النص المقدس في صناعة عقيدة التكفير ، ص14 - 15.
- 4 - النحل : 98.
- 5 - الجوهرى ، الصحاح ، ج6 ، ص3446.
- 6 - البقرة : 190.
- 7 - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج13 ، ص498.
- 8 - الجواهري ، جواهر الكلام ، ج21 ، ص22.
- 9 - القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ج1 ، ص343.
- 10 - البخاري ، صحيح البخاري ، ج30 ، ص230.
- 11 - احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج3 ، ص230.
- 12 - ابو داود ، سنن ابي داود ، ج1 ، ص52.
- 13 - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص187.
- 14 - البيهقي ، السنن الكبرى ، ج9 ، ص157.

- 15 - عبد الجواد ياسين ، السلطة والاسلام ، ج 2 ، ص 7.
- 16 - عبد الجواد ياسين ، السلطة والاسلام ، ج 1 ، ص 8.
- 17 - محمد شحرور ، السنة الرسولية ، ص 14.
- 18 - القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج 1 ، ص 63 ؛ الطبري (الشيوعي) ، المسترشد ، ص 118.
- 19 - ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج 2 ، ص 38 ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج 5 ، ص 648.
- 20 - الشيخ المفيد ، الارشاد ، ج 1 ، ص 146 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، ج 21 ، ص 160 ؛ الاحمدي الميانجي ، مواقف الشيعة ، ج 3 ، ص 167.
- 21 - احمد بن حنبل ، مسند احمد ، ج 1 ، ص 5 ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج 5 ، ص 191.
- 22 - السيوطي ، تنوير الحوالك ، ص 6 ؛ محمود ابورية ، اضواء على السنة المحمدية ، ص 296.
- 23 - الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص 173 ؛ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج 2 ، ص 179 ؛ رينولد نكلسن ، تاريخ الادب العباسي ، ترجمة : صفاء خاوصي ، ص 33.
- 24 - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 612 ؛ ابي الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج 2 ، ص 112 ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج 29 ، ص 77 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 211.
- 25 - المقرئزي ، النزاع والتخاصم ، ص 81 ؛ شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي في العصر العباسي ، ص 1.
- 26 - القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج 1 ، ص 276.
- 27 - جعفر مرتضى العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج 1 ، ص 21.
- 28 - ينظر : الشافعي ، كتاب الأم ، ج 4 ، ص 272 ؛ البخاري ، صحيح ، ج 4 ، ص 32 ؛ الزمخشري ، الفائق في غريب الحديث ، ج 1 ، ص 236 ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج 2 ، ص 67.
- 29 - النووي ، المجموع ، ج 12 ، ص 365 ؛ ابن عابدين ، حاشية المختار ، ج 2 ، ص 171.
- 30 - محمد بن سيرين (33 - 110هـ) ، الانصاري بالولاء ، ابو بكر البصري ، اصله من سبي عين التمر ، وكان ابوه مولى الانس بن مالك ، وكان احد فقهاء البصرة. ينظر : موسوعة طبقات الفقهاء ، اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق (ع) ، ج 1 ، ص 511.
- 31 - القاسم بن محمد : (كان حياً حتى عام 183هـ) ، الجوهرى ، الكوفي ، نزيل بغداد روى عن إبان بن عثمان الاحمر وغيره. ينظر : موسوعة طبقات الفقهاء ، اللجنة العلمية ، ج 2 ، ص 457.
- 32 - رجاء بن حيوة : (توفي عام 112 هجرية) ، ابن جرول ، ابو نصر ، ويقال : أبو المقدام الكندي ، يخ أهل الشام في عصره ، كان فقيهاً فصيحاً واعظاً ، وكان ملازماً لعمر بن عبد العزيز. ينظر :

- موسوعة طبقات الفقهاء ، اللجنة العلمية ، ج 1 ، ص 346.
- 33 - السرخسي ، المبسوط ، ج 16 ، ص 92 ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج 1 ، ص 221.
- 34 - الكليني ، الكافي ، ج 8 ، ص 343 ؛ الصدوق ، اكمل الدين ، ص 274.
- 35 - الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص 265 ؛ علي الكوراني ، جواهر التاريخ ، ج 4 ، ص 325.
- 36 - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 7 ، ص 258 ؛ ابراهيم بيضون ، التوابون ، ص 85.
- 37 - الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 ، ص 372 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 6 ، ص 13.
- 38 - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 250 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ، ص 69.
- 39 - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 4 ، ص 392 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج 19 ، ص 141.
- 40 - الزهري : ابو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة ، ولد سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة. ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج 1 ، ص 108.
- 41 - النويري ، نهاية الارب ، ج 21 ، ص 280 ؛ مروان خليفات ، قراءة في مسار الاموي ، ص 19.
- 42 - السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 217.
- 43 - المصدر نفسه ، ص 24.
- 44 - المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ، ص 316.
- 45 - ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 1 ، ص 169.
- 46 - ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج 7 ، ص 154 ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج 6 ، ص 78.
- 47 - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ، ص 430.
- 48 - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 5 ، ص 430 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج 22 ، ص 50 ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج 53 ، ص 126 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج 3 ، ص 132.
- 49 - البقرة : 190.
- 50 - الممتحنة : 8.
- 51 - البقرة : 190.
- 52 - الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 3 ، ص 325.
- 53 - المصدر نفسه والصفحة.
- قائمة المصادر والمراجع :**
- القرآن الكريم**

أولاً : المصادر الأولية

- ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م)
- 1 - الكامل في التاريخ ، (دار صادر ، بيروت ، 1386هـ/1966م).
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ/869م)
- 2 - صحيح البخاري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1401هـ/1981م).
- الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت331هـ/942م)
- 3 - الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1356هـ/1938م).
- الجواهري ، محمد حسن النجفي (ت1266هـ/1850م)
- 4 - جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق : الشيخ عباس القوجاني ، ط2 ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، د.ت).
- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت393هـ/104م)
- 5 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط4 ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، 1407هـ/1987م).
- ابن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت656هـ/1258م)
- 6 - شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، د.ت).
- ابن حنبل ، أحمد (ت241هـ/854م)
- 7 - مسند أحمد ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).
- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1072م)
- 8 - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ/1997م).
- الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)
- 9 - تذكرة الحفاظ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1374هـ/1954م).
- 10 - سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، ط9 ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1413هـ/1993م).
- السرخسي ، أبو بكر شمس الدين محمد بن أبي سهل (ت483هـ/1091م)
- 11 - المبسوط ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1406هـ/1986م).



- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت911هـ/1505م)
- 12 - تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا - بيروت ، 1432هـ/2011م).
- 13 - الجامع الصغير ، ط1 ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1401هـ/1981م) .
- الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت204هـ/819م)
- 14 - كتاب الأم ، ط2 ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1403هـ/1983م) .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1362م)
- 15 - الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارناؤوط ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1420هـ/2000م).
- الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت548هـ/1153م)
- 16 - الاحتجاج ، تحقيق : السيد محمد باقر الخراسان ، ط1 ، (مطبعة دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ، 1386هـ/1966م) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م)
- 17 - تاريخ الأمم والملوك ، ط4 ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1403هـ/1983م).
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الأملي الإمامي (ت4هـ/10م)
- 18 - المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : أحمد المحمودي ، ط1 ، (مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، 1415هـ/1994م).
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)
- 19 - مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد السلام أحمد فراج ، ، ط1 ، (عالم الكتب ، بيروت ، 1400هـ/1980م)
- الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت329هـ/941م)
- 20 - الكافي ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط3 ، (مطبعة حيدري ، طهران ، 1388هـ/1978م).
- المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت975هـ/1567م)
- 21 - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكرى حياني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1409هـ/1989م).
- المجلسي ، محمد باقر (ت1111هـ/1700م)
- 22 - بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار (ع) ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد الباقر البهبوتي ، ط2 ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، 1403هـ/1983م).

- المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/956م)
- 23 - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط1 ، (شركة أبناء شريف الأتصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1428هـ/2007م).
- النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت676هـ/1266م)
- 24 - المجموع شرح المذهب ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت).
- ابن هشام ، عبد الملك الحميري (ت218هـ/833م)
- 25 - السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط1 ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، 1383هـ/1963م).
- الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ/1308م)
- 26 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1408هـ/1988م).
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت292هـ/904م)
- 27 - تاريخ اليعقوبي ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) .
- ثانياً: المراجع الحديثة :**
- جابر ، عصفور
- 28 - تحرير العقل ، (القاهرة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 2016م).
- زيدان ، جرجي
- 29 - تاريخ آداب اللغة العربية ، تحقيق : شوقي ضيف ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، 1377هـ/1957م).
- شحرور ، محمد
- 30 - السنة الرسولية والسنة النبوية ، ط4 ، (دار الساقى ، بيروت ، د.ت).
- ابو رية ، محمود
- 31 - أضواء على السنة المحمدية ، ط5 ، (دار البطحاء ، قم ، د.ت).
- الطائي ، صالح
- 32 - أثر النص المقدس في صناعة عقيدة التكفير ، ط1 ، (دار المرتضى ، بيروت ، 1436هـ/2015م).
- الميانجي ، علي الأحمدى
- 33 - مواقف الشيعة ، ط1 ، (مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، 1416هـ/1995م).
- ياسين ، عبد الجواد
- 34 - السلطة في الاسلام ، (دار مؤمنون بلا حدود ، الرباط ، د.ت).

التطرف في المجتمع البغدادي في العصر العباسي ابن الجوزي نموذجا

أ.م.د. د. سولاف فيض الله حسن

جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

soulaf.faid@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م.د. ايمان جواد هادي

جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

Iman.j@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

(المجتمع البغدادي وتنشئة ابن الجوزي)

نشأ في المجتمع البغدادي ابن الجوزي يتيماً فقام برعايته عمه أبو البركات وعمته ، وكان لهما الفضل في تعليمه وتقريبه للشيوخ الذين درس على أيديهم العلم منذ الصغر ، وذكر سبط ابن الجوزي⁽¹⁾ : فلما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر فأعتنى به وأسمعه الحديث وقراءة القرآن.

وللشيخ المذكور أثر كبير في نمو شخصيته العلمية وأخذ ابن الجوزي التفرد للعلم وكان يحضر مجالس العلم وترك ما كان أقرانه يلهون به من اللعب للتوغل في طريق العلم وكان لا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان⁽²⁾ .

وأعطى ابن الجوزي⁽³⁾ صورة واضحة عن حياته المبكرة قائلاً : لقد كان الصبيان ينزلون إلى دجلة ويتفرجون على الجسر وأنا منذ الصغر أخذ جزءاً وأقعد حجرة عن الناس الى جانب الرقة فأنشغل بالعلم .

(1) ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، بلا تاريخ) ، ج 17 ، ص 190-191.

(2) ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 462.

(3) مرآة الزمان ، ج 22 ، ص 94.

وصف ابن الجوزي⁽⁴⁾ صبيان عصره فذكر:

أنهم قد نشأوا على اللعب واللهو والانهماك في المعاصي .

وقال ابن الجوزي⁽⁵⁾ عن نشأته البكرة : قد الهمت سلوك طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة وحببت إليه الخلوة فكننت أجد قلباً طيباً .

وأضاف ابن الجوزي⁽⁶⁾ قائلاً: كنت زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فاخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها .

وأشار ابن كثير⁽⁷⁾ واصفاً ابن الجوزي: وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة .

اهتم ابن الجوزي بالعلم ولم يقتصر على علم محدد بل أخذ يتنوع في معرفة العلوم وذكر ابن الجوزي⁽⁸⁾ بهذا الصدد : إني رجل حبيت إلى العلم من زمن الطفولة فانشغلت به ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها ثم أن العلم دلني على معرفة المعبود.

واشتغال ابن الجوزي بالعلم كان السبب في عدم تعلم صناعة أجداده في النحاس، إذ قال : صناعة العلم شغلتنني عن تعلم صناعة أجدادي⁽⁹⁾.

يرى ابن الجوزي⁽¹⁰⁾ أن العلم وسيلة لجمع المال للاستغناء عن الناس لأنه ذكر قائلاً: ليس الدنيا أنفع للعلماء عن جمع المال فإنه إذا ضُمَّ إلى العلم جيز الكمال وأن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب فاحتاجوا إلى ما لا بُدَّ منه، وقل الصبر فدخلوا مداخل شائهم وأن تأولوا فيها .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 13 ، ص 29.

(5) لفظة الكبد ، ص 35.

(6) صيد الخاطر ، تحقيق: عبد القادر احمد عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1994م) ، ص 40.

(7) صيد الخاطر ، ص 78.

(8) صيد الخاطر ، ص 232.

(9) البداية والنهاية ، ج 13 ، ص 29.

(10) صيد الخاطر ، ص 36.

الكمال وأن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب فاحتاجوا إلى ما لا بُدَّ منه، وقل الصبر فدخلوا مداخل شائهم وأن تأولوا فيها .

وكان لابن الجوزي همّة عالية في طلب العلم ولم تحفة مصائب الحياة عن ذلك واصفاً تلك الصعوبات التي واجهها بانها أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو⁽¹¹⁾.

يبدو أن ابن الجوزي استعمل تعبير عن المنهج الإرشادي الذي اتخذه في عرض مفردات حياته ، ومن ثم أنعكس ذلك على مؤلفاته لاسيما كتابي صيد الخاطر ولفظة الكبد ونصيحة للولد وكتاب الانكفاء الذي فيه من الفكاهة واستخدامه لالفاظ الغير اللائقة في بعض الاحيان واكثر مصنفاته انتشارا هو مصنف المنتظم عبارة عن روايات تاريخية كثيرة ومتنوعة وفق الحوليات ولكن كتب اكثر مصنفاته وهو معتكف في داره للعبادة وكان يلتقي بمشايقه من الحنابلة الذين كانوا يتفاخرون بوجود ابن الجوزي معهم وحالوا مرارا على ابقائه في نفس السيرة معهم ولكن حصل بعد ذلك مما اغضب الحنابلة .

كانت حياة ابن الجوزي هادئة ومستقرة واتخذ من بغداد مقاماً له وقضى شطراً من حياته في طلب العلم بها ولم يغادرها الى مدينة أخرى من أجل طلب العلم لما يتوافر فيها من علماء ، وذكر ابن الجوزي⁽¹²⁾ مخاطباً ابنه علي أبا القاسم قائلاً : وما ذلَّ أبوك في طلب العلم قط ، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوعاظ ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً قط .

ذكر ابن الجوزي⁽¹³⁾ قائلاً: حججت أنا ومعني الزوجة والأطفال وكانت هذه الحجة الأولى وعمره آنذاك تسعاً وعشرين سنة إذا ما افترضنا ولادته سنة(510هـ/1116م) وقصدها مرة ثانية سنة (553هـ/1158م) ذاكراً⁽¹⁴⁾ : وحججت في هذه السنة فتكلمت في الحرم نوبتين وزرنا قبر الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمع الحديث من مدينة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من شيخه معمر بن عبد الواحد الأصفهاني (ت564هـ/1168م)⁽¹⁵⁾. وعاد من رحلته الثانية إلى بغداد عن طريق خيبر وقال : فرأيت فيها العجائب من الجبال⁽¹⁶⁾.

(11) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص40.

(12) صيد الخاطر ، ص166.

(13) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص232.

(14) لفظة الكبد ، ص63.

(15) المنتظم ، ج18 ، ص50.

(16) المنتظم ، ج18 ، ص126.

وتجسد منظرها في خاطره ودونه في كتاب صيد الخاطر⁽¹⁷⁾. وصنف كتاب للحج وذكر فيه أبواب عدة في أداء فريضة الحج وأسماء مثير العزم الساكن في أشرف الأماكن⁽¹⁸⁾ وكان عمره حينذاك (43 سنة) إذا ما افترضنا ولادته سنة (510هـ/1116م).

أدى ابن الجوزي فريضة الحج للمرة الثانية بمفرده من دون اصطحاب العائلة معه ، أما رحلته الثالثة فكان مجبراً عليها مبعداً منفياً من بغداد إلى واسط، إذ بقي في واسط من سنة (590-595هـ/1193-1198م) وعرفت تلك السنين بمحنة ابن الجوزي⁽¹⁹⁾، وكان عمر ابن الجوزي عندما نفي إلى واسط ثمانين سنة.

صفات ابن الجوزي في بغداد :

ذكر ابن رجب⁽²⁰⁾ عدداً من الصفات التي كان يمتاز بها، إذ قال: أنه كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة جل غذائه الفراريج والمزاوير (اضلاع الغنم) ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات (الدبس والمربي) ولباسه أفضل لباس الأبيض الناعم المطيب ، وكانت لحيته قصيرة جداً وكان يخضبها بالسواد (الحنة السوداء) إلى أن مات وصنف في جواز الخضاب بالسواد مجلداً.

محنة ابن الجوزي :

ذكرت المصادر التاريخية آراء عدة عن محنة ابن الجوزي منها خروج ابن الجوزي من اعتكافه وتقربه إلى مجالس الخلفاء بني العباس وتقربه إلى الخلفاء نتج عن ترك مذهب الحنابلة واعتناق مذهب الحنفي وهو مذهب دعا إليه الإمام أبو حنيفة النعمان وادى إلى اظهار التطرف بشكل العداء الشخصي الذي نشب بين الوزير ابن القصصاب⁽²¹⁾، وبين ابن يونس⁽²²⁾

(17) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 18 ، ص 186.

(18) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص 158.

(19) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص 158.

(20) قام بتحقيق هذا الكتاب : مرزوق علي ابراهيم ، (الفاخرة : دار الراية ، 1985م).

(21) سبط ابن الجوزي ، امرأة الزمان ، ج 22 ، ص 30.

(22) الذيل على طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 485-484.

الذي كان وزيراً ثم أصبح استاذ الدار التي يمكن أن تكون احدى أسباب محنة ابن الجوزي ، وكان سبب العداء بين الاثنين على حسب ما ذكره سبط ابن الجوزي⁽²³⁾ قائلاً : إن الخليفة الناصر لدين الله (622-575هـ/1225-1179م) أمر أرباب الدولة أن يمشوا بين يدي ابن القصاب عندما تولى منصب الوزارة، ومن ضمنهم ابن يونس الذي كان وزيراً قبل هذا فامتنع ابن يونس المشي بين يديه، فقال: ابن القصاب هذا ظاهر الخوارج علي الخليفة وكسر عسكره بحماقته ، وشنع على الخليفة انه مات وكتب محضراً بذلك واثبته على القضاة وعرضه على الخليفة الناصر لدين الله فأمر بالقبض على ابن يونس وأهين وأخذ أخذه شنيعة ورمي تحت التاج ولما قبض على ابن يونس أخذ الوزير ابن القصاب بتتبع أصحابه فقال له الركن عبد السلام⁽²⁴⁾ اين انت من ابن الجوزي هو كان من أكابر أصحاب ابن يونس ويتعصب كلاهما للحنابلة في بغداد⁽²⁵⁾.

ومن أسباب محنة ابن الجوزي هي الوشاية به لدى الخليفة العباسي الناصر لدين الله⁽²⁶⁾ من الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الكيلاني الذي أحرقت كتبه بتحريض من ابن الجوزي ، وذكر السبط⁽²⁷⁾ في حوادث سنة (580هـ/1192م): أن سبب المحنة عداوة قديمة كانت بين أولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني وبين ابن يونس .

وكان ابن الجوزي أحد أطراف هذه العداوة ولاسيما بعد أن أحرق ابن الجوزي كتب الركن عبد السلام واتهامه بأنها تحتوي على كلام في الفلسفة⁽²⁸⁾ واستيلاء ابن الجوزي أيضاً على مدرسة عبد القادر الكيلاني جد الركن عبد السلام⁽²⁹⁾.

ولدت هذه الاسباب لدى الركن عبد السلام ابن عبد الوهاب الكراهية لابن الجوزي فاستغل مجيء ابن القصاب إلى الوزارة وعدم تعاطفه مع الحنابلة للإيقاع بابن الجوزي وإبعاده إلى واسط⁽³⁰⁾.

(23) ابن القصاب: هو الوزير الكبير مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن علي البغدادي المنشئ البالغ سار بالعساكر ففتح همدان وأصبهان وحاصر الري وصارت له هبة عظيمة في النفوس توفي بظاهر همدان في شعبان سنة(592هـ/1196م) وهو في السبعين من العمر وقام خوارزم شاه بنيش قبره . ينظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، مج6 ، ص508.

(24) ابن يونس: وهو عبد الله يونس بن احمد الوزير جلال الدين ابو المظفر الحنبلي ولي الحجابة والديوان ثم استوزره الخليفة العباسي(الناصر لدين الله) وكان إماماً عالماً في الحساب والهندسة والجبر والمقابلة وكانت هناك أحداث مهمة منها أنه خرب بيت الشيخ عبد القادر الجيلاني وشنت أولاده ويقال: إنه بعث في الليل من نيش قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ورمى عظامه في اللجة ، وكانت وفاة ابن يونس سنة(593هـ/1197م) . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6، ص142.

(25) مرآة الزمان ، ج22 ، ص30.

(26) الركن عبد السلام : هو حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكان أبوه عبد الوهاب صالحاً ، كان مهتم بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك وولي الركن عبد السلام ولايات عدة وكان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي وتوفي الركن عبد السلام سنة = (611هـ/1214م). ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13، ص61؛ ابن رجب ، النذل على طبقات الحنابلة ، ج2، ص101.

(27) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج22، ص5.

(28) الذهبي ، تاريخ الاسلام حوادث سنة (600-591هـ) ، ج42، ص295.

(29) مرآة الزمان ، ج22، ص5.

(30) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج22، ص5.

من الأسباب الأخرى لتلك المحنة هي العلاقة الجيدة التي كانت بين ابن الجوزي (ت597هـ/1200م) والخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (575-566هـ/1179-1170م)، إذ لم يتخلف الأخير عن حضور مجالس وعظ ابن الجوزي وهو في أسوء حالاته (31)، مما ولد لدى ولي العهد الناصر لدين الله الكراهية لهذه الشخصية ولا سيما أن الناصر لدين الله كان لا يميل إلى الحنابلة وذكر السبط (32) : كان جدي جالساً في السرداب يكتب وأنا صبي صغير وجرى عليه ما لم يجر على أقل الناس، إذ هجم عليه الركن عبد السلام بالسرداب وأسمعه غليظ الكلام وختم على كتبه وداره وشتت عياله وحملوا جدي إلى السفينة نحو واسط.

وعلى الرغم من إبعاده إلى واسط إلا أنه لم يشعر بالغربة فيها أيام المحنة، إذ ذكر لنا ابن رجب (33) قائلاً: كان بعض الناس يدخلون عليه ويستمعون منه ويملي عليهم. وهذا دليل على أنه لم يدخل المظمورة بل مارس حياته الطبيعية، وكان ابن الجوزي يخدم نفسه في منفاه ويغسل ثوبه، ويطبخ ويستقي الماء من البئر، ولم يخرج إلى الحمام ولا غيره وهو في واسط وكتب إلى بغداد أبيات كثيرة منها هذه الأبيات :

أحبة قلبي لو يباع رجوعكم علينا لكننا بالنفوس فديناكم
فلا تحسبوا أنني نسيت وداركم واني وإن طال المدى لست أنساكم
وأسأل أنفاس الرياح لأنها تمرُّ على أطلاكم وتلقاكم
قضى الله بالتفريق بيني وبينكم فيا ليتنا من أجله ما عرفناكم (34)

الامر الذي يبدو أن ابن الجوزي لم يدخل حمام السوق مدة خمس سنين لأنه كان مهموماً على ولده وكان منفياً.

أما تلك الأبيات تبين تغير حاله من العز والمكانة المتميزة إلى النفي والحبس ويعاتب أيضاً أولاد عبد القادر الكيلاني ولا سيما الركن عبد السلام الذي كان السبب في محنته، ويتضح أيضاً أن الركن عبد السلام قام بتمزيق كتب ابن الجوزي كما فعل ابن الجوزي بكتب الركن عبد السلام وإحراقها، وفي الأبيات الأخرى يتضح اعترافاً من قبل ابن الجوزي بعدد الذين يحضرون مجالس وعظ ويؤكد على عدد مصنفاته البالغة (300 مصنف)

(31) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص6.

(32) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج22، ص31.

(33) ابن الجوزي، المنتظم، ج18، ص221.

(34) مرآة الزمان، ج22، ص31؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2، ص504.

الى سنة (590هـ/1193م) وهذه الابيات كتبها في سنوات المحنة وقضى ابن الجوزي خمس سنوات في النفي (595-590هـ/1193-1198م) وسمح له بالعودة الى بغداد بمسعى خاص من ام الخليفة العباسي الناصر لدين الله زمرد خاتون⁽³⁵⁾ وابنه محي الدين يوسف بن محمد⁽³⁶⁾. فأخرج منه وقدم بغداد وخرج خلق كثير لاستقباله وفرح به أهل بغداد⁽³⁷⁾.

(35) الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2، ص505.

(36) ينظر زمرد خاتون: والدة الخليفة العباسي الناصر لدين الله وأم ولد الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله، وكانت صالحة وكثيرة الخيرات والمعروف والصدقات والصلاة ومتفقدة لأرباب البيوت، وحبّت وأصلحت البرك وعمّرت التربة عند قبر الشيخ معروف الكرخي والمدرسة التي بجانبها وأوقفت عليها الأوقاف، توفيت سنة(599هـ/1202م). ينظر: سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج22، ص128-129. بقية الابيات عن سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج22، ص31-32 ؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2، ص505.

(37) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج22، ص67 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام حوادث سنة (600-591هـ) ، ج42، ص296 ؛ ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2، ص505. ، ابن رجب ، الذيل على طبقات الحنابلة ، ج20، ص505.

ظاهرة الإرهاب دراسة في الجذور التاريخية حتى عام 41هـ/662م .

م.د احمد فاضل الشريفي

مديرية التربية \بابل

ahmedalshrafy42@gmail.com

(ملخص)

شكل بروز ظاهرة الارهاب امرا خطيرا في التاريخ السياسي والفكري للامة الاسلامية التي كان من اهم سماتها وميزاتها تقبل الاخر ومناقشة الفكر المخالف دون اللجوء الى استخدام الاسلوب العدائي التهجمي، فكان من اولويات الاسلام نبذ التكفير والتطرف والارهاب ، وحتى في مسيرة الدعوة الاسلامية نجد ان القران الكريم قد اكد على فكرة مهمة وهي عدم تكفير الغير، وكذلك الرسول الاكرم(صل الله عليه وسلم) نجده قد ابتعد في جميع تعاملاته عن اي اسلوب يبعث الخوف والرغبة في قلوب الناس حتى من خالفه فكرا وسياسة، وفي هذا البحث سنسلط الضوء على الحوادث التاريخية التي وقعت قبل الاسلام وفي عصر الرسالة والخلافة الراشدة إذ كانت هناك احداثا يمكن عدها تاسيسا وجذرا للظاهرة الارهابية المعاصرة .



(Abstract)

The emergence of the phenomenon of terrorism constituted a dangerous matter in the political and intellectual history of the Islamic nation, whose most important features and characteristics were acceptance of the other and discussion of the opposing thought without resorting to the use of the offensive offensive method. One of the priorities of Islam was the rejection of blasphemy, extremism and terrorism. He emphasized an important idea, which is the non-blasphemy of others, as well as the honorable Messenger, may God's prayers and peace be upon him and his family, we find that he has moved away in all his dealings from any method that instills fear and dread in people's hearts, even those who disagreed with him in thought and politics. The Message and the Rightly Guided Caliphate, as there were events that could be considered as the foundation of the contemporary terrorist phenomenon

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين ، ان مسألة الجذور التاريخية للظاهرة الارهابية يعد امرا مهما جدا ، وذلك لانه يتيح لنا التعرف على أصل هذه الظاهرة التي اصبحت في العصر الحالي مشكلة تهدد الامن البشري ، وتعمل على هتك الاعراض وسلب الاموال وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، فكان موضوع البحث يعالج قضي مهمة وهي البحث في أصل هذه الظاهرة في بلاد المسلمين قبل الاسلام وبعده وكيف تنامت لتصبح فكرا له اتباعا ومناصرين ،

ومن الجدير بالذكر ان هذه الظاهرة قد وجدت لها ارضية خصبة في نفوس بعض رجالات الاسلام الذين تولوا مناصب قيادية في عصر الرسول والعصر اللاحق له فكشفوا عن طباعهم الارهابية وتعاملوا مع اخوانهم من المسلمين بطريقة وحشية قاسية وكانت هناك حوادث تاريخية شاهدة على تلك الافعال التي اصبحت بمثابة مسوغ شرعي لمن جاء بعدهم من المسلمين .

أولا : الإرهاب لغة وأصطلاحاً.

أ-الإرهاب لغة: ورد في معنى هذه اللفظة عدة معاني ، فأصل الكلمة يعود (رهب) : رهبت الشيء أرهبه رهبا ورهبةً، اي خفته ، وأرهبته فلاناً (1) .

فنقول : الرهباء من الله ، والرغباء إليه(2) . والرهاب جمع رهب (3) .ويقال : أسترهبت به بمعنى واحد وترهب الرجل : إذا صار راهبا يخشى الله قال تعالى ((قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ)). (4) أي ارهبوهم ، وترهب غيره إذا توعدده. (5)

كذلك أن كلمة رهب تأتي بمعنى الضعف والهزل : رهب الجمل أي ذهب ينهض ثم برك من ضعف في صلبه ، والرهبي الناقة المهزولة جداً (6) .وتأتي ايضا بمعنى النصل الرقيق من نصال السهام، والجمع رهاب وفي معناها قال الشاعر.(7)

(1) الفراهيدي ، العين، ج4، ص47؛ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج332، 1؛ الأزهري ، تهذيب اللغة، ج6، ص155.

(2) لفراهيدي، العين ، ج4، ص47.

(3) الفارابي ، معجم ديوان الادب، ج1، ص453.

(4) لأعراف - 116.

(5) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج6، ص156؛ الجوهري ، الصحاح ، ج1، ص140.

(6) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج6، ص156؛ الجوهري ، الصحاح ، ج1، ص140، رضا ، معجم متن اللغة ، ج2، ص160.

(7) الجوهري ، الصحاح ، ج1، ص140، ابن فارس، معجم اللغة ، ص401.

إني سينهى عني وعيدهم ... بيض رهاب ومجنأ أجد
وقد عرفها العسكري (8). بقوله: الرهبة طول الخوف وأستمراره.

ب- الإرهاب اصطلاحاً .

هناك عدة تعريفات لمصطلح الارهاب والتي تعطي مفهوماً مماثلاً للتعريف اللغوي ، لكنه أكثر اتساعاً وأوضح بياناً ، ومن هذه التعريفات

1- هو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ، ومقومات حياتهم والاعتداء على أموالهم ، وأعراضهم وحررياتهم وكراماتهم، بغياً وفساداً (9).

2- هو العدوان الذي يمارسه افراد او جماعات او دول ،بغياً على الانسان في دينه ودمه وعرضه ، ويشمل صنوف التخويف والاذى ، والتهديد والقتل بغير حق (10).

3- كل فعل من أفعال العنف او التهديد ،إيا كانت بواعثه أغراضه ،يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي او جماعي ، ويهدف الى إلقاء الرعب في قلوب الناس وترويعهم ، او تعريضهم للخطر (11).

4- استخدام العنف غير القانوني ،او التهديد بأشكال مختلفة ،بغية تحقيق هدف سياسي معين (12).

ثانياً : موقف القرآن الكريم من ظاهرة الإرهاب .

حذرنا الباري (عز وجل) من استعمال اي اسلوب يؤدي الى إرهاب الآخرين من دون وجه حق ،فقد وردت عدة آيات في ذم الاساليب الارهابية ،منها قوله تعالى ((....وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) (13). وقال ايضا ((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ....)) (14). وقال ايضا ((....وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) (15). وهنا النهي الرباني واضح في عدم استعمال اي سلوك يؤدي الى ارهاب الناس وبث الرعب فيهم ، او اي تعدي على ارواح البشر واموالهم واعراضهم ،وقد ذكر لنا القرآن الكريم قصصاً كان الارهاب يشوبها ،فذكرها القرآن للتنبيه بعدم اتباع تلك الاساليب المنهي عنها ،ومن هه القصص قصة فرعون مع بني اسرائيل ،بقوله تعالى ((وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)) (16).

(8) الفروق اللغوية، ج1، ص241.

(9) سائو، في مصطلح الارهاب ، ص9.

(10) المحميد ، وظيفة القضاء في التعامل مع الارهاب ، ص2.

(11) السند ، وسائل الارهاب الإلكتروني ، ص4.

(12) المطرود ، نظرة في مفهوم الارهاب ، ص14.

(13) القصص -77

(14) الاعراف -33

(15) المائدة -64

(16) البقرة -49

وقوله تعالى ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) (17).

وقوله تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) (18).

وفي هذه الايات يبين لنا الباري (عز وجل) ان فرعون كان يرهب الناس ويقتلهم ويفسد في الارض فعامل بني اسرائيل معاملة قاسية جدا وصلت الى حد الارهاب ، لانهم كانوا على غير ملته ، وقد وردانهم كانوا يتدارسون بينهم ان الله سيبعث منهم غلام ، يكون هلاك فرعون على يديه ، فوصل الخبر الى فرعون مما دعاه الى استعمال كافة اساليب العذاب والترهيب والقتل خوفا من ولادة ذلك الغلام ، فكان يقتل الاولاد ويبقي على البنات جواري (19) .

وبعد ان حفظ الله نبيه وامره بانذار فرعون ، ففان فرعون ابى واستكبر وطلب ان ينار موسى فاستدعى كبار سحرة دولته ، لكن اولئك السحرة امنوا فور رؤيتهم معجزات موسى (عليه السلام) ، لكن فرعون عاملهم بابشع الاساليب الارهابية ، إذ امر بتقطيع ايديهم وارجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل ، وقد قال تعالى في ذلك ((قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى)) (20).

وكان هدفه من هذا التعامل هو اثارة الرعب والخوب والارهاب في قلوب غيرهم ممن كان ينوي الايمان ، وكذلك لارهاب اتباع موسى (عليه السلام) ، وكان فرعون بعمله هذا ، اول من قطع الارجل والايدي من خلاف وصلب الناس بجذع النخل (21).

(17) يونس - 10

(18) القصص - 4

(19) الطبري ، تاريخ ، ج2، ص43؛ ابن كثير ، قصص الانبياء ، ج2، ص4.

(20) طه - 71

(21) مقاتل ، تفسير ، ج3، ص33؛ الطبري ، جامع البيان ، ج18، ص338.

كذلك ذكر الله تعالى في كتابه قصة مهمة من قصص الارهاب والتطرف الديني ، هي قصة أصحاب الاخدود ، إذ قال تعالى ((قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))⁽²²⁾. وهنا يلاحظ على النص القرآني أنه ورد بصورة استنكارية تعجبية من فعل القاتل وشفقة على المقتول والقصة حدثت مع الملك يوسف بن ذي نواس من أهل نجران ، وكان قد حفر خندقا وأوقد فيه نارا لاحتراق مخالفه في الدين ممن امنوا بالله حقا ووحده صدقا ، فأمر بإحراقهم في تلك الاخدود وهو جالس ينظر إليهم⁽²³⁾.

ثالثا: الاساليب الارهابية عند مشركي قريش مع من آمن بالاسلام.

عندما رأت قريش أن رسول الله قد كثر أتباعه وأنصاره في مكة، أثار هذا الامر مخاوفهم خصوصا وأن عدد من الذين آمنوا كانوا عبيدا في بيوت كبار المشركين أمثال بلال بن رباح (رضي الله عنه) وهذا الامر دفع مشركي قريش الى ان تثب كل قبيلة منهم على من كان فيها من المسلمين ، فأخذوا يعذبونهم⁽²⁴⁾. وقد ورد عن ابن عباس في وصف ذلك (نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالسا من شدة الضر الذي به ، حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة)⁽²⁵⁾.

وورد ان بنو مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت إسلام ، فيخرجون بهم وقت الظهيرة ، يعذبونهم في رمال مكة الشديدة الحرارة⁽²⁶⁾. وكان ابو جهل الفاسق إذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة ، أنبه وأخزاه ، فيقول له: تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهم حلمك ، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجرا ، والله لنكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به⁽²⁷⁾.

(22) البروج - 84

(23) مقاتل ، تفسير ، ج 4 ، 647؛ الثعلبي، الكشف والبيان، ج 10، ص 169؛ الماوردي، النكت والعيون، ج 6، ص 242.

(24) ابن اسحاق، السيرة ، ص 190.

(25) ابن اسحاق، السيرة ، ص 192.

(26) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج 1، ص 320؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج 1، ص 196.

(27) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج 1، ص 320؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج 1، ص 196؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج 1، ص 495، الصالح ، سبل الهدى، ج 2، ص 357.

وممن طالته الاساليب الارهابية لمشركي قريش ،الصحابي الجليل خباب بن الارت (28) . الذي آذته قريش حتى منعه أجوره في عمله فهو كان حدادا وكان له مال في رقبة العاص بن وائل ، فلم يؤته ماله بقوله : لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ،فكان يجيبه بقوله :والله لا أكفر به أبدا حتى تموت ثم تبعث (29).

ولم يقفوا عند هذا الحد ،فأخذوا يعذبونه وورد عنه أنه قال :لقد رأيتني يوما وقد اوقدوا لي نارا، ووضعوها على ظهري فما أطفاها الا ودك ظهري أي (دهنه) (30).

ومن الذين ارهبتهم قريش وعذبتهم كثيرا ،الصحابي عمار بن ياسر ووالديه ياسر وسمية ،فقد ورد انه كان يعذب بالنار وقد كشف عن ظهره يوما ،فإذا هو قد برص أي صار أثر النار أبيض (31). كذلك ابويه قد عذبهم ابو جهل وقتلهم في تعذيبه (32) .

وكذلك الصحابي بلال بن رباح فكان أمية بن خلف يخرج به وقت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتوضع على صدره ،ثم يقول له :لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد ،وتعبد اللات والعزى ،فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد (33).

ومن الاساليب الارهابية التي أتبعها قريش في مواجهة الدعوة الاسلامية ، ولمنع الناس من اتباعها هو الارهاب المالي والاجتماعي ،الذي تمثل بالمقاطعة التي عُرفت ب مقاطعة بني هاشم ،والتي أستمرت ثلاث سنوات وعانى منها المسلمون اشد عناء إذ اتفقت قريش على مقاطعة الرسول وبني هاشم كافة، فلا يبايعونهم ولا يشترون منهم ، ولا يزوجونهم ،ولا يتزوجون منهم ، وكتبوا بهذا كتابا وعلقوه على جدار الكعبة (34) .

وكان هدفهم من وراء ذلك ارهاق المسلمين ماليا واجتماعيا وارهابهم في ذلك حتى يعودوا الى ملة قريش .

(28) خباب بن الارت :صحابي جلي اصابه سبي فبيع في مكة ،وهو من فقراء المسلمين المستضعفين المعذبين ،وكان من فضلاء المسلمين وخيارهم ،توفي سن 37هـ،وصلى عليه الإمام علي (عليه السلام) . ينظر :ابن سعد ،الطبقات ،ج3،ص122؛البغوي ،معجم الصحابة ،ج2،ص273؛ابن حبان ،مشاهير علماء الامصار،ص76؛ابن منده ،معرف الصحابة ،ص485.

(29) البيهقي ،دلائل النبوة ،ج2،ص281؛ابن كثير ،السيرة النبوية ،ج1،ص496.

(30) الحلبي ،السيرة الحلبية،ج1،ص425،سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان ،ج6،ص332.

(31) الصالحى ،سبل الهدى ،ج1،ص279؛الحلبي ،السيرة الحلبية ،ج1،ص425.

(32) ابن هشام ،السيرة النبوية،ج1،ص279؛الكلاعي ،الاكتفاء ،ج1،ص196؛الحرصي ،بهجة المحافل ،ج1،ص92.

(33) ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج1،ص632؛ابن سيد الناس ،عيون الاثر ،ج1،ص133؛ابن كثير ،السيرة النبوية ،ج1،ص493.

(34) ابن اسحاق ،السيرة،ص156؛ابن كثير ،السيرة النبوية،ج2،ص47.

رابعاً: موقف الرسول (صل الله عليه وسلم) مع من يرهب مسلماً .

لم يكن الارهاب واثارة الرعب في قلوب الناس ،مقتصرا على مشركي قريش فقط ، بل امتد ليصل الى بعض رجالات المسلمين ممن لم يبتدروا مبادئ الاسلام وتعاليمه بصورة صحيحة ،فهناك من المسلمين من بقيت افكار الجاهلي وعصبيتها مترسخة في ذهنه حتى بعد ان اسلم واصبح من رجالات الاسلام، فكان خالد بن الوليد احد اولئك الذين ظلت العصبية الجاهلية موجودة في قلبه رغم اسلامه ، وقد ورد أن رسول الله بعثه الى بني جذيمة مستكشفا حالهم ولم يطلب منه قتالهم ولا اذاهم فوصل اليهم ومعه جيشه ،وعندما راوه خافوا منه ومن الجيش ،فحملوا اسلحتهم ،لكنه آمنهم بقوله : ضعوا السلاح فإن القوم اسلموا ،فوضع القوم السلاح تصديقا بقول خالد (35) .

ثم أمر بأسرهم وتقييدهم ،وهم مستنكرون لما يصنع بهم ،لأنهم قومٌ مسلمون ،ثم أمر كل رجل من أصحابه ان يقتل كل أسير كان بيده ،فكان المسلمون مختلفون بين من يفعل ذلك او لايفعله ،فأما المهاجرون والانصار فإنهم اخلوا سبيل اسراهم ، واما غيرهم مثل قبيلة بنو سليم فإنها قتلت من كان من الاسرى بيدهم (36) .

وبعد التدقيق في الدافع الذي كان وراء تصرف خالد ، وجدنا ان هناك احقاد واضغان قديمة بين خالد وبني جذيمة تعود الى ايام الجاهلية، فبنو جذيمة قتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد وكان ذلك قبل الاسلام (37) .

لكن هذا الامر كان يدفع خالد للانتقام منهم فاستغل هذه الفرص للكشف عن احقاده عليهم فاستعمل الارهاب وسيلة لذلك ،فقتل رجالهم وأرعب وأرهب نساؤهم وأطفالهم ،مما اثار غضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،فرفع يديه الى السماء وقال :اللهم أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ،ثم دعا علي بن ابي طالب ،وقال له :يا علي أخرج الى هؤلاء القوم ،وأنظر في أمرهم ،وأجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج إليهم الامام علي (عليه السلام) ودفع لهم دياتهم وما أصيب من أموالهم ،فلم يبق شيء الا وأداه إليهم حتى دفع لهم أموالا فضلت منه خشية أن يكونوا قد نسوا شيئا ولم يذكره (38) .

(35) الواقدي ،المغازي ،ج1،ص341؛ابن هشام ،السيرة النبوي،ج2،ص429؛ابن حبان ،السيرة النبوية ،ج1،ص341؛ابن حزم ،جوامع السيرة،ص235؛ابن عبد البر ،الدرر في اختصار المغازي والسيرة ،ص222.

(36) الواقدي ،المغازي ،ج1،ص341؛ابن هشام ،السيرة النبوية،ج2،ص429؛ابن حبان ،السيرة النبوية ،ج1،ص342؛البيهقي ،دلائل النبوة،ج1،ص341.

(37) الطبري ،تاريخ ،ج3،ص66؛ابن حبان ،السيرة النبوية ،ج1،ص341.

(38) الطبري ،تاريخ،ج3،ص66؛ابن حبان ،السيرة النبوية ،ج1،ص342؛البيهقي،دلائل النبوة،ج5،ص114؛ابن الاثير ،الكامل ،ج2،ص127.

وهذه الحادثة التاريخية تدل على ان هناك بعض الشخصيات الاسلامي في عصر الرسالة ومع وجود النبي محمد(صل الله عليه وسلم) لكن الاسلام لم يغير طباعها الجاهلية، وقد اكد الرسول ذلك بقوله لعلي (صلى الله عليه وسلم): واجعل امر الجاهلية تحت قدميك. فكان مافعلوه جاهلية وباسلوب ارهابي فوضوي ضد اخوانهم من المسلمين ، واصبح ذلك الاسلوب ذريعة لبعض الناس ممن اعتقد بافكارهم وافعالهم، واصبح جذرا من جذور الظاهرة الارهابية ، التي اعلن الاسلام براءته منها.

خامسا: الاساليب الارهابية للنظام السياسي مع المعارضين .

شكل غياب الرسول(صلى الله عليه وسلم) فراغا كبيرا وخطرا على مستقبل الامة الاسلامية، فكان المسلمون مضطربون سياسيا ،خصوصا في مسألة قيادة الامة وتولي زمام الامور، وأصبح المسلمون تيارات سياسية مختلفة ، تيار يرى ان الامر قد تم واصبح ابو بكر خليفة وليس هناك مايدعو الى التمرد ، او رفض القائد الجديد .

وتيار يرى ان الرسول قد اوصى الامة باتباع الامام علي (عليه السلام) وامر الناس بالالتزام بذلك . واصبحت هذه التيارات فيما بعد فرقا ومذاهب اسلامية استمر صراعها الفكري لقرون عديدة ، اما موقف السلطة الحاكمة مع من عارض نظامها ولم يوافق على آلية تنصيب الخليفة واستنكروا ذلك ، فانه كان موقفا لا يمكن ان يقبل به اي فرد لما تم استعماله من اساليب ارهابية مرفوضة حتى ممن عاصر الحدث من الصحابة الافاضل ومن تلك الحوادث :

أ- الاساليب الارهابية مع مالك بن نويرة واتباعه .

كان مالك بن نويرة زعيم بنو يربوع من بني تميم ، وكان ممن رأى رسول الله وسمع حديثه ، وشهد له الرسول بالجنة (39) .

وجعله على صدقات قومه ، لكن هذا الرجل لم يشأ ان يرسل الصدقات الى السلطة الجديدة، لانه لم يكن يرى بها شرعية ، ولم تكن آلية التنصيب سليمة، فابقى على الاموال عند اهلها وامرهم ان يرجعوا الى منازلهم ولايتجمعوا (40) .

(39) ابن شاذان ، الفضائل ،ص75؛ المجلسي ، البحار،ج30،ص343.

(40) البيهقي ، السنن الكبرى ،ج7،ص15، الكلاعي ، الاكتفاء ،ج2،ص110.

لكن هذا الامر لم يلقى القبول من قبل النظام السياسي ، واعتبروه معارضا لهم ، فتم ارسال خالد بن الوليد الى بني يربوع ، ومعه جيش يضم عدد من الصحابة ، فتمكن من اسرهم بتهمة ردتهم عن الاسلام ، وقد انكروا ذلك واعلنوا لخالد اسلامهم، لكنه لم يقبل كلامهم ، فامر ان يقيدوا ، وتضرب اعناقهم ، ورأس مالك ومعه رؤوس اصحابه ، ووضعوها مواقد للقذور ، وطبخوا طعامهم عليها ، ولم يكتفي بذلك الارهاب ،

فامر ان ينصب له خباء وتزوج بزوجة مالك في نفس الليلة (41) . فكان اسلوب خالد اراهيبا واضحا ، فتم قتل المسلمين والتمثيل بجثثهم بوضع رؤوسهم تحت القذور ، ومارس الزنى في آن واحد ، وقد اثار هذا التصرف الصحابة الذين حضروا معه ، امثال ابو قتادة الانصاري (42) .

وعبد الله بن عمر ، فثارت ثأرتهم على خالد ، ورجع ابو قتادة الى مركز الحكم ، واخبرهم بامر خالد، فثار غضب عمر بن الخطاب ، وأشار على ابو بكر ان يقيم الحد على خالد ، وان يعزله بقوله: ان في سيف خالد رهقا (43) . وبهذا التصرف غير المقبول شرعا وعقلا اصبح تصرف خالد اراهيبا بامتياز وعد جذرا من جذور الارهاب في القتل والتمثيل وتجاوز الحدود الاسلامية لانه قتل ومثل باناس مسلمين وصادر اموالهم دون وجه حق .

ثامنا : الخوارج وأساليبهم الارهابية .

شكل الخوارج تيارا سياسيا وفكريا ، مختلفا كثيرا عن الشرع الاسلامي المحمدي ، فكانوا يكفرون كل خالفهم ، ويرون ان الامر لا يتم لامة الا بالسيف (44) .

وكان ظهورهم الاول كفرقة منشقة عن الدولة في خلافة الامام علي (عليه السلام) 35 - 40 هـ . بعد اعتراضهم على قضية التحكيم الذي حصل اثناء معركة صفين (45) . فاختدوا باعتراض الطرق ومواجهة الدولة عسكريا ، وكان الارهاب اهم الوسائل التي اعتمدها في مواجهة الخلافة ، ومما يذكر عن اساليبهم الارهابية البشعة في قضية مقتل عبد الله بن خباب بن الارت ، فكان مقتله على ايديهم سنة 37 هـ ، وذلك أن الخوارج اعترضوا طريقه هو وزوجته وكانت حبلى قريبة الولادة

(41) الواقدي ، الردة ، ص 106-107؛ ابن خياط ، تاريخ ، ص 105 ، البلاذري فتوح البلدان ، ص 103 ؛ الطبري تاريخ ، ج 3 ، ص 279 ؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج 5 ، ص 159 ؛ ابن حبان ، السير النبوية ، ج 2 ، ص 434 ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج 7 ، ص 265 ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج 2 ، ص 111 ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 4 ، ص 78 .

(42) ابو قتادة الانصاري : الحارث بن ربيعة الخزرجي ، من كبار الصحابة وكان يعد من خير فرسان رسول الله ، قيل انه توفي في خلافة الامام علي وصلى عليه الامام وكبير سبعا ، وقيل توفي سنة 54 هجرية بالمدينة المنورة ، ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج 3 ، ص 74 ؛ ابن منده ، معرفة الصحابة ، ج 2 ، ص 749 .

(43) الواقدي ، الردة ، ص 106 ؛ ابن حبان ، السيرة النبوية ، ج 2 ، ص 434 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 4 ، ص 79 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج 2 ، ص 213 .

(44) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص 866 ؛ ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطاني ، ص 99 ؛ العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 205 ؛ عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج 2 ، ص 679 .

(45) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص 202 ؛ الطبري ، تاريخ ، ج 5 ، ص 64 .

فاعترض الخوارج طريقه ، وسالوه :

أ أنت عبد الله بن خباب صاحب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ؟ فقال : نعم ، قالوا : فهل سمعت من ابيك حديثا يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : حدثني ابي عن رسول الله ، ان فتن تكون القاعد فيها خير من القائم ،

والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركتم ذلك فكنا يا عبد الله المقتول . فقدموه على ضفة النهر ، فضربوا عنقه وسال دمه حتى اختلط بالماء ، وبقروا بطن زوجته وهي حبلى متم ، وقتلوا معها اربعة من النساء (46) .

ويعد تصرف الخوارج امرا فضيحا منافيا للطباع البشرية ، فكان اسلوبا ارهابيا بشعا ، فقد قتلوا رجلا مسلم بريء وقتلوا زوجته مع جنينها ولم يقترفوا اي ذنب مع النسوة اللاتي معهم ، وهم بتصرفهم هذا عدوا مؤسسين لظاهرة الارهاب التي ظهرت في تاريخ الدولة الاسلامية فيما بعد ، وصولا الى العصر الحديث .

تاسعا : الارهاب الاموي للبلدان الاسلامية التابعة لخلافة .

اتخذ معاوية بن ابي سفيان موقفا معارضا للخلافة الاسلامي بقيادة الامام علي (عليه السلام) ، وعلن عصيانه ومعارضته للدولة ، فاصبح مستقلا في بلاد الشام ، ودخل في حرب طويلة مع الخلافة ، وهي حرب صفين 36هـ والتي انتهت بالتحكيم والموادعة ، لكن معاوية لم يكن ذا عهد فيلتزم به ، فاخذ يشن غارات اهابية على الاقاليم الاسلامية الخاضعة للخلافة ، بغية إثارة الفوضى والرعب في المسلمين ، متخذا اساليب اهابية شديدة ومما يذكر من تلك الاساليب :

أ- القتل ونهب الاموال : فقد ورد انه بعث حملاته العسكرية الى هيت بقيادة سفيان بن عوف ، فدخلها وقتل من كان فيها من اتباع الامام علي (عليه السلام) ثم نهبوا الاموال التي كانت في هيت والانبار ، ورجعوا الى الشام (47) .

(46) الطبري ، تاريخ ، ج5، ص82؛ ابو العرب ، المحن ، ص144؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج5، ص224؛ ابن الجوزي المنتظم ، ج5، ص132؛ ابن الاثير الكامل ، ج2، ص691؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج3، ص588؛ الياقعي ، مرآة الجنان ، ج1، ص95؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7، ص318.

(47) الطبري ، التاريخ ، ج5 ، ص134؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج5، ص158؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7، ص354.

ولم يقف به الامر عند هذا الحد وانما اخذ يبعث الغارات واحدة تلو الاخرى ، فيقتلون من كان في طاعة علي (عليه السلام) فبعث بسر بن أرطأة الى الحجاز واليمن يستعرض الناس ، فقتل قثم وعبد الرحمن ابناء عبيد الله بن العباس ، وقيل انه قتلهم بين يدي امهما فزاع عقلها وكانت بعد ذلك تقف في المواسم مبهوتة ، وزائغة العقل ، وقتل من همدان مائتين نفس (48) .

أضافة الى هذا فان معاوية واتباعه ، قد اتخذوا من الاساليب الارهابية منهجا في تثبيت سلطتهم وارهاب الامة من خلال القتل والتمثيل بجثث القتلى ، ومن ذلك قيام معاوية بن حديج الكندي بقتل محمد بن ابي بكر ، بعد ان ارسله الامام علي (عليه السلام) واليا على مصر ، فقتله معاوي وأحرق جثته في داخل جيفة حمار (49) .

وهنا نجد ان معاوية واصحابه قد تجاوزوا حدود الشرع الاسلامي بقتل ابناء الصحابة وفضلاء المسلمين ومثلوا بهم ابشع تمثيل وقد نهى الاسلام عن التمثيل حتى بالحيوان واكد الرسول على عدم جواز المثلة ولو بالكلب العقور (50) .

ب - اثارة الرعب وهدم الدور.

من الاساليب الارهابية التي اتبعها معاوية بن ابي سفيان مع المسلمين ، هو اسلوب بث الرعب والخوف في قلوبهم ، من خلال تهديدهم او الاعتداء عليهم ، محاولا بذلك تخريب الامن والاستقرار وزعزعت امن الدولة ، فقام بارسال بسر بن أرطأة بغارة الى الحجاز ، فدخل المدينة وقام باخافة اهلها وهدم الدور بها ، وسفك الدماء حتى هرب اهلها الى حرة بني سليم (51) .

وقد ورد عن رسول الله (صل الله عليه وسلم) في من اخاف اهل المدينة وارعبهم قوله ((من اخاف اهل المدينة ظلما لهم اخافه الله ، وعليه لعن الله وملأه نارا والناس اجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل)) (52) .

فكان معاوية ومن سار على نهجه هذا ممن اسس الارهاب والتخريب حتى في

(48) المقدسي ، البدء ، والتاريخ، ج5، ص230؛ ابن كثير ، البداية والنهاية {طبعة هجر} ، ج5، ص162؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام، ج5، ص369؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج6، ص409.

(49) ابن خياط ، تاريخ ، ص193؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص225؛ الطبري ، تاريخ ، ج5، ص104؛ المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج5، ص226.

(50) الطبري ، تاريخ ، ج2، ص646؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج6، ص483.

(51) حر بني سليم : على بعد عشرة فراسخ عن المدينة ينظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص151.

(52) ابو اسحاق ، حديث علي ، ص386؛ ابن ابي شيبة ، المسند، ج349، 2؛ ابن حنبل ، المسند، ج27، 92؛ ابن ابي اسامة ، بغية الباحث، ج1، ص467؛ النسائي ، السنن الكبرى، ج4، ص253.

قائمة المصادر والمراجع القران الكريم

- 1- ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري (ت630هـ)
الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان - 1997م.
- 2- الازهري ، محمد بن احمد الهروي (ت370هـ)
تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - 2001م.
- 3- ابن ابي أسامة ، ابو محمد الحارث بن محمد البغدادي (ت282هـ)
بغية الباحث عن زوائد الحارث ، تح: حسين أمين صالح، المدينة المنورة 1992م.
- 4- ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق المطلبي (ت151هـ)
السير والمغازي ، تح: سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت - 1978م.
- 5- ابو إسحاق ، إسماعيل بن علي بن جعفر المدني (ت180هـ)
حديث علي بن جعفر السعدي عن إسماعيل بن جعفر المدني ، تح: عمر بن رفود بن رفيد ،
الرياض - 1998م.
- 6- الاشعري ، ابو الحسن علي بن إسماعيل (ت324هـ)
مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تح: هلموت ريتز، دار فرانزشتايز، المانيا - 1980م.
- 7- البغوي ، ابو القاسم عبد الله بن محمد (ت317هـ)
معجم الصحابة ، تح: محمد الامين، دار البيان، الكويت - 2000م.
- 8- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)
فتوح البلدان ، دار الهلال، بيروت - 1988م.
- 9- البيهقي ، احمد بن الحسين الخسروجدي (ت458هـ)
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1983م.
- السنن الكبرى ، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت - 2003م.
- 10- الثعلبي، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت427هـ)
دار إحياء التراث العربي ، بيروت - 2002م.
- 11- الجوهري، ابو نصر إسماعيل بن حماد (ت393هـ)
الصاحح تاج اللغة ، تح: احمد عبد الغفور ، دار العلم للملايين، بيروت - 1987م.
- 12- ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)
المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، 1992م.
- 13- ابن حبان ، محمد بن حبان البستي (ت354هـ)



- السيرة النبوية واخبار الخلفاء ، تح: عزيز بك واخرون، ط3، دار الكتب الثقافية، بيروت - 1999م.
- مشاهير علماء الامصار ، تح: مروان علي ابراهيم، دار الوفاء ، المنصورة - مصر - 1991م.
- 14- الحرصي ، يحيى بن ابي بكر العامري (ت 893 هـ)
بهجة المحافل وبغي الاماثل، دار صادر، بيروت .
- 15- ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن حزم الاندلسي (ت 456 هـ)
جوامع السيرة النبوية، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- 16- الحلبي، علي بن ابراهيم الحلبي (ت 1044 هـ)
انسان العيون في سيرة الامين المامون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1999م.
- 17- ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني (ت 241 هـ)
مسند احمد ، تح: احمد محمد شاكر، دار الحديث ، القاهرة - 1995م.
- 18- ابن خياط ، خليفة بن خياط العصفري (ت 240 هـ)
تاريخ، تح: اكرم ضياء العمري ، ط2، دار القلم ، بيروت - 1975م.
- 19- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي (ت 321 هـ)
جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت 1987م.
- 20- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود (ت 282 هـ)
الاخبار الطوال ، تح: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي ، القاهرة - 1969م.
- 21- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت 748 هـ)
تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد، مكتبة العلوم ، دار الغرب الاسلامي
- 2003م.
- 22- سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قرأوو علي (654 هـ)
مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح : محمد بركات واخرون، دار الرسالة ، دمشق - 2013م.
- 23- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت 230 هـ)
الطبقات الكبرى، تح : زياد محمد منصور، ط2، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة - 1988م.
- 24- السمهودي، علي بن عبد الله الحسني (ت 911 هـ)
خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تح: محمد الامين و محمود الجكني.
- 25- السهيلي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 581 هـ)
الروض الاتف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تح : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - 2000م.
- 26- ابن سيد الناس ، محمد بن محمد بن محمد الربيعي (ت 734 هـ)
عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح: محمد رمضان ، دار القلم ، بيروت - 1993م.

- 27- ابن شاذان ،شاذان بن جبريل القمي (ت 660 هـ)
الفضائل ، د:تح ، الحيدري ، النجف الاشرف - 1962م.
- 28 ابن ابي شيبة ، عبد الله بن محمد (ت 235 هـ)
المسند ،تح : عادل بن يوسف ، دالر الوطن - الرياض - 1997م.
- 29- الصالحي ، محمد بن يوسف الشامي (ت 942 هـ)
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1993م.
- 30- الطبري ، محمد بن جرير (ت 310 هـ)
تاريخ الرسل والملوك ، ط2، دار التراث ، بيروت - 1966م.
جامع البيان في تاويل القران ، تح : احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة - 2000م.
- 31- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709 هـ)
الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح: عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، بيروت - 1997م.
- 32- ابن عبد البر ، يوسف بن عبد البر النميري (ت 463 هـ)
الدرر في إختصار المغازي والسير ، تح : شوقي ضيف، دار المعارف ، ط2، القاهرة - 1981م.
- 33- ابو العرب ، محمد بن احمد الافريقي (ت 333 هـ)
المحن ، تح: عمر سليمان العقيلي ، دار العلوم ، الرياض - 1984م.
- 34- العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395 هـ)
الفروق اللغوي ، تح : محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة .
- 35- العمري ، احمد بن يحيى العدوي (ت 749 هـ)
التعريف بالمصطلح الشريف ، تح : محمد حميد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1988م.
- 36- الفارابي ، ابو ابراهيم إسحاق بن ابراهيم (ت 350 هـ)
معجم ديوان الادب ، تح : احمد مختار عمر ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة - 2003م.
- 37- ابن فارس ، احمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)
مجل اللغة ، تح : زهير عبد المحسن ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، بيروت - 1986م.
- 38- الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت 170 هـ)
كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي - ابراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال .
- 39- ابن كثير ، ابو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774 هـ)
البداية والنهاية ، تح: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - 1988م.

- البداية والنهاية ، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار ، 1997م.
- السيرة النبوية ، تح: مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - 1976م.
- 40- الكلاعي ، سليمان بن موسى الحميري (ت 634هـ)
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1998م.
- 41- الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت 450 هـ)
- النكت والعيون ، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- 42- مقاتل ، ابو الحسن مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ)
- تفسير ، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث ، بيروت - 2001م.
- 43- المقدسي ، المطهر بن الطاهر (ت 355 هـ)
- البدء والتاريخ ، بور سعيد - مصر.
- 44- ابن منده ، محمد بن إسحاق العبدى (ت 395 هـ)
- معرفة الصحابة، تح: عامر حسن صبري، مطبوعات جامعة الامارات العربية - 2005م.
- 45- النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب (ت 303 هـ)
- السنن الكبرى ، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة ، بيروت - 2001م.
- 46- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام الحميري (ت 213 هـ)
- السيرة النبوية ، تح: مصطفى السقا واخرون ، ط2، مط: مصطفى البابي واخرون ، مصر - 1955م.
- 47- الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207 هـ)
- كتاب الردة ، تح: يحيى الجبوري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - 1990م.
- المغازي ، تح: مارسدن جونسون ، ط3، دار الاعظمي، بيروت - 1989م.
- 48- ابن الوردي ، عمر بن مظفر الكندي (ت 749 هـ)
- تاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1996م.
- 49- اليافعي ، ابو محمد عفيف الدين عبد الله بناسعد (ت 768 هـ)
- مرآة الزمان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1997م.
- 50- اليعقوبي ، احمد بن إسحاق بن واضح (ت 292 هـ)
- البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت - 1980م.
- 51- رضا ، احمد.
- معجم متن اللغة ، دار مكتبة الحياة، بيروت - 1960م.
- 52- سائو ، قطب مصطفى .
- في مصطلح الارهاب ، وزارة الاوقاف السعودية.

- 53- السند ، عبد الرحمن بن عبد الله .
وسائل الارهاب الإلكتروني وحكمها في الاسلام وطرق مكافحتها ، وزارة الاوقاف السعودية.
54- عودة، عبد القادر.
التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، دار الكتاب العربي، بيروت.
55- المحيميد، ناصر بن ابراهيم.
وظيفة القضاء في التعامل مع الارهاب ، وزارة الاوقاف السعودية.
56- المطرودي، عبد الرحمن.
نظرة في مفهوم الارهاب والموقف منه في الاسلام، وزارة الاوقاف السعودية.
المواطن التي امر الله باجتنب اخافة اهلها ، فكيف بمن اسس الارهاب بقتل و سلب وهدم دولر اهلها
ليكون فيمن جذر للارهاب واسالييه .

الخاتمة

تمخض البحث عن عدة نتائج مهمة:

- 1- ان لظاهرة الارهابية لم تكن وليدة عصر معين وانما تعود لعصور سابق وقد اور القران قصصا في ذلك مستنكرا افعالهم.
- 2- كانت قریش ممن اتبع اسلوب الظلم والارهاب والتخويف مع من أعتنق الاسلام بهدف ردعهم عن الاسلام ، وقد تفننوا في ذلك .
- 3- على الرغم من الجهود والاعتاب التي بذلها الرسول في انقاذ الام من الظلم والعدوان ، لينعموا بالعيش متحابين، الا أن بعضهم ظل فعل الجاهلية راسخا في ذهنه حتى بعد اسلامه وسماعه احاديث النبي ومشاهدة افعاله السمحاء ، لكنه بقي متمسكا بجاهليته واستعملها مع المسلمين في اقرب فرصة أتاحت له.
- 4- اتخذت السلطة من الارهاب وسيلة لتثبيت دعائم دولتها ، فعملت على قتل وارهاب جميع معارضيها غاضة النظر عن منزلتهم سواء كانوا من الصحابة او من عامة المسلمين فقد تم معاملتهم بطريقة ارهابية بشعة.
- 5- كان للخوارج اثرا كبير جدا في التأسيس للظاهرة الارهابية التي مازالت تؤذي البشرية ، فقد اتخذوا فنونا واساليب كثيرة في القتل والارهاب.
- 6- يعد معاوية بن ابي سفيان احد المشرعين للاسلوب الارهابي مع من يخالفه ، وقد انزل بلاعه على الناس الابرياء هادفا وراء ذلك زعزعت الامن واخافة المسلمين خصوصا ايام خلافة امير المؤمنين.

العامل المذهبي واثره في مجزرة كسروان في بلاد الشام خلال العصر المملوكي

المقوم اللغوي

أ.د. قاسم محمد كامل السعيد
جامعة ذي قار كلية الآداب

أ.م.د. فاضل كاظم صادق
جامعة ذي قار / كلية الآداب

(ملخص)

ليس الهدف من سرد وقائع مأساوية تعرض لها شعب بعينه او طائفة بذاتها من قتل وتشريد وتهجير هو إثارة احقاد سابقة او لإذكاء صراعات قديمة او تأجيجاً لخلافات عقائدية او عنصرية يقدر ما هو عرض احداث وقعت لغرض اخذ العبرة واستيعاب دروساً من التاريخ والاستفادة من تجارب سابقة لعدم تكرار ما حدث سيما اذا ما ادرنا تلك النتائج الكارثية التي ترتبت على هذه الإبادات الجماعية من قضاء مبرم على الحرث والنسل.

وتأسيساً على ذلك تأتي فكرة البحث فيما تعرض له سكان كسروان في جبل لبنان خلال عصر المماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام من (648 - 923هـ/1250 - 1517م) حيث كان انتقام المماليك من أهالي كسروان انتقاماً رهيباً ودافع ذلك كله كان لأسباب مذهبية مقيبة الامر الذي دفع السلطان المملوكي آنذاك الناصر محمد بن قلاوون ان يطلب من الشيخ احمد ابن تيمية توفي (728هـ - 1328م) وكان كبير فقهاء الحنابلة في بلاد الشام تبرير هذه المجازر والذي سارع بإصدار الفتاوى الشرعية بوجوب قتل هؤلاء من خلال شن الحملات العسكرية عليهم حيث افتي بقتل جميع الشيعة في تلك المناطق ، هذه الفتاوى التي حصدت الالاف منهم وما زالت تطارد الشيعة اينما حلوا ورحلوا. لقد تعرضت المناطق الوسطى والجنوبية من جبل لبنان (كسروان) الى سلسلة من العمليات العسكرية المملوكية المنظمة عرفت بالحملات الكسراونية جرت هذه الحملات بين عامين (691 - 705/1292 - 1305م) وأدت الى افراغ منطقة كسروان وجوارها من سكانها واحداث تطورات ديموغرافية مهمة فيها مما كان له كبير الاثر على التحولات السكانية في كسروان وفي غيرها من المناطق اللبنانية. يحاول البحث تسليط الضوء على اسباب هذه الحملات والنتائج التي ترتبت عليها من خلال قراءة تاريخية محايدة هدفها التأكيد بأن الانسان يبقى هو القيمة العليا في هذه الحياة فليس من المعقول ابادته بالقتل والتهجير والتشريد مهما كان انتماؤه في مذهبه وعقديته وفي قوميته واصله ومهما اعتنق من افكار ومعتقدات.



The sectarian factor and its impact on the Kesrouan massacre in the Levant during the Mamluk era

Prof. Dr. Fadel Kazem Sadiq

Dhi Qar University/ College of Arts

(Abstract)

The aim of narrating the unequal facts that a particular people or sect has been subjected to such as killing, displacement and displacement is not to stir up past hatreds, to stoke old conflicts, or to provoke ideological or racial differences as much as it is to present events that occurred for the purpose of taking a lesson and absorbing lessons from history and benefiting from previous experiences in order not to repeat What happened, especially if we realized the catastrophic consequences of these genocides, such as a final eradication of plowing and offspring

Based on this, the idea of researching what was subjected to the inhabitants of Kesrouan in Mount Lebanon during the era of the Mamluks) who ruled Egypt and the Levant from 846 - 329 A /H 0221 - 0201 (AD, where the Mamluks' revenge against the people of Kesrouan was a terrible revenge, and the motive for all of that was for religious reasons. This prompted the Mamluk Sultan at the time, Al-Nasir Muhammad bin Qalawun, to ask the Sheikh Ahmad Ibn Taymiyyah died (728 AH - 1328 AD) and he was the chief Hanbali jurist in the Levant who justified these massacres, who was quick to issue legal fatwas that these should be killed by launching military campaigns on them, as he issued a fatwa to kill all Shiites in those areas, these fatwas that claimed thousands of them And it still haunts them wherever they go

The central and southern regions of Mount Lebanon (Keserwan) were subjected to a series of organized Mamluk military operations known as the Kesrouan campaigns. These campaigns took place between the years (691 – 705/1292 – 1305) and led to the depopulation of the Kesrouan region and its surroundings and important demographic developments in it, which were It has a great impact on the population shifts in Kesrouan .and other Lebanese regions

The research attempts to shed light on the reasons for these campaigns and the results that resulted from them through a neutral historical reading aimed at emphasizing that the human being remains the supreme value in this life

المقدمة

لعل من اهم فوائد التاريخ الاتعاظ بتجاربه والاعتبار من دروسه ومن هنا تبدو علمية التاريخ اكثر وضوحاً واسطع بياناً فهو ليس لغرض السرد القصصي للاحداث بقدر ما هو مدخلاً مهماً لحياة افضل ومستقبل اجمل فكلما اتعنت الامم والشعوب من احداث توارихها كلما كانت اقرب الى الفوز والنجاح والخير والفلاح.

وفي ذلك يحثنا القرآن الكريم في النظر الى الماضي والاعتبار بقصصهم وما جرى عليهم من اعمال ايديهم فالاعتبار من احداث التاريخ من اولى موضوعات الخطاب القراني المجيد.

وتأسيساً على ما تقدم تأتي فكرة هذا البحث حينما كان اعتقاد مذهب معين والعمل به من قبل سكان جبل كسروان في بلاد الشام ايام دولة المماليك سببا في ابادته ومجازر تعرض لها ابناء سكان هذا الجبل فهؤلاء الكسروانيين لا ذنب لهم الا لانهم اعتقدوا بمذهب اهل البيت عليهم السلام فما كان من ابن تيمية شيخ الحنابلة في بلاد الشام وقتذاك ان اصدر فتواه الشهيرة التي بارك فيها لسلطان المماليك الناصر محمد بن قلاوون بقتل هؤلاء وبادتهم لانهم خرجوا عن الاسلام كما يزعم باعتناقهم لمذهب التشيع فشنت عليهم حملات ثلاث في نهايات القرن السابع الهجري وبداية القرن الثامن الهجري كان اقساها واعنفها في سنة 705هـ/1305م.

جاء البحث في ثلاث مطالب اولها الحديث عن جبل كسروان في ارضه وسكانه والثاني تلاقي مصالح رجل الملة مع رجل الدولة عندما نحى السلطان بن قلاوون نحو مذهب الحنابلة وتمذهب به اما المبحث الثالث فكان استعراضاً مركزاً لما جرى على الكسروانيين من مجزرة كان اقل صورها القتل والابادة والتشريد وبشهادة مؤرخي المرحلة آنذاك.

واخيراً فالمهم في الامر ليس عرض المأساة بعينها فحسب بل الدروس والتجارب المستنبطة والتي على الاجيال المعاصرة الافادة منها في قراءة حقيقية متأنية لنتائج مجزرة كسروان في التاريخ.

المبحث الأول

كسروان الارض والانسان

كسروان تلك المنطقة الجبلية التي تمثل الان المناطق الوسطى من جبال لبنان ومن ضمنها المتن الشمالي الحالي⁽¹⁾.

والوجود الشيعي قديم جداً في جبل لبنان إذ أن هذا الجبل ، قدم الملجأ والمأوى لحرية العبادة بجميع الاديان والطوائف والمذاهب المسيحية والاسلامية ومن هذه الطوائف المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل⁽²⁾.

وهؤلاء الشيعة من الشعوب الفاتحة التي دخلت بلاد الشام أيام الفتح العربي الاسلامي لتلك البلاد من الذين كانوا يوالون الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) فهم من اتباعه واشياعه⁽³⁾. وهذا الوجود الاسلامي الشيعي في جبل لبنان انما بدأ يتشكل منذ بدايات القرن الاول الهجري حيث ابت نفوس هؤلاء الاقامة على طاعة الحكام وعبثهم وتعسفهم وهكذا فضلوا الاقامة في جبل لبنان مع بقية سكانه الاصليين الذين كانوا ينزلونهم فيا بينهم على الرحب والسعة وامتزجوا بهم واصبحوا شعباً واحداً⁽⁴⁾.

ويشار كذلك الى دور الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري⁽⁵⁾ في نشر مذهب التشيع اثناء نفيه الى بلاد الشام ايام الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقد كتب معاوية والي الشام الى الخليفة عثمان " ان ابا ذر تجتمع اليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك فان كانت لك في القوم حاجة فاحمله اليك "⁽⁶⁾ ومعروف عن ابي ذر كان داعية لمذهب اهل البيت ومبشراً لأفكارهم التي تدعو الى العدل والمساواة. ان هؤلاء الكسروانيين⁽⁷⁾ الذين اتخذوا من مذهب التشيع عقيدة لهم شأنهم شأن ابناء المذاهب الاخرى لماذا يُكفرون وتصدر بحقهم فتاوى القتل والابادة والتهجير من قبل رجل الدين الحنبلي في بلاد الشام احمد بن تيمية⁽⁸⁾ ت1328/هـ728م اذ كانت هذه الفتاوى بمثابة الغطاء الشرعي التي شجعت السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون⁽⁹⁾ ت1341/هـ741م من شن هجماته على سكان كسروان فكانت ثلاثة في سنة 1292/هـ691م و1300/هـ699م وأقساها وأكثرها شراسة ودماراً في سنة 1305/هـ705م.

غير ان السؤال المهم قبل الحديث عن تداعيات واسباب ومجريات تلك الحملات هل يجيز الاسلام الحنيف بمبادئه وقيمه وتعاليمه ما افتي به ابن تيمية ام كان للتعصب المذهبي المقيت الاعمى وكذلك لتلاقي مصالح السلطان مع ما كان يطمح اليه المفتي فالحديث عن الموضوع لامر مهم في تفنيد ما ذهب اليه الشيخ ابن تيمية سيما اذا ما عرفنا ان صدى فتاويه يتردد الى وقتنا الحاضر وهنا تكمن الخطورة فكثيراً ما اتخذها الارهابيون مسوغاً لشرعية قتل وابادة وتشريد الناس من اصحاب المذاهب والديانات الاخرى.

من المعروف ان الاسلام دين الانسانية عندما نظر الى الانسان واعتبره ذات قيمة عليا على هذه الارض حينما جعله افضل وارقي المخلوقات وسخر له كل تلك الموارد والثروات لخدمته وبيان وتعريف كيف يكون استحقاقه في هذه الدنيا.

ولما خلق الله سبحانه وتعالى هذا الانسان اعطاه جملة من الحقوق لعل من اكثرها سمواً حقه في الحياة التي هي كرامته على هذه الارض فقال سبحانه وتعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً⁽¹⁰⁾ ، والملاحظ في هذه الآية المباركة ان التكريم جاء للجميع للصالح والطالح فكرامة الانسان هنا بمثابة حصانة يتمتع بها تمثل حفظا وصيانة لحقوقه التي من بها الله سبحانه وتعالى على الناس بمختلف اجناسهم وعديد انتماءاتهم وكثرة اعراقهم فذلك كله تقتضيه الكرامة الانسانية لبني ادم⁽¹¹⁾.

ان هبة العقل من الباري عز وجل الى الانسان انما أهله لحمل مسؤوليات وواجبات متعددة في هذه الدنيا منها واهمها استخلافه في هذه الارض وفي الوقت نفسه صار ذلك الإنسان كذلك مستحقاً لكي يتمتع بحقوقه في هذه الحياة اذ ليس من حق اي احد سلبه حقه وبناءً على ذلك استخلف الله تعالى الانسان قال عز من قائل : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ⁽¹²⁾ وهذا مصداق في تكليف الانسان وتشريفه ان يكون خليفة الباري عز وجل ما اعظمها من هبة وما اخطرها من مهمة ومسؤولية.

وايضاً في قوله تعالى : هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا⁽¹³⁾ اذ ان الانسان بهذا الوصف ومن حيث هو خليفة الله في الارض تصبح حياته وبالا اعتماد على منطق العقل قيمة عليا مقدسة يجب الحاظ عليها بناءً على أساس أن الله تعالى خلق الانسان ليس عبثاً وترتب على رعاية الفرد والاهتمام به ان يكون هذا المفهوم اصلاً لوجود الحياة وبالتالي حياة كل افراد المجتمع فالاعتداء على حياة الانسان انما هو اعتداء على اصل الحياة التي ارادها الله للانسان وبناءً على ذلك جاء في قوله تعالى : مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً⁽¹⁴⁾.

ان هذه الآية المباركة انما تشير الى وجوب الحفاظ على النوع الانساني وبناء الحياة الامنة والبيئة الصالحة التي يستطيع الانسان فيها من القيام بمهامه لاداء واجبه في مسؤولية استخلافه في هذه الحياة الدنيا ويستفاد كذلك كيف ان حق الحية للانسان اعلى غايات وجوده واهم اسباب ضمان القيام بواجبات خلافته على هذه الارض ومن هنا يتبين خطورة وفداحة الاعتداء على حق الانسان في العيش والحياة فقتل انسان بمفرده انما تعد بمثابة قتلا لجميع ابناء البشر اذن كيف يكون حال من يفتي بقتل امة من الناس بمجرد انهم اختلفوا معه في الفكر والدين والمعتقد ولضمان الحفاظ

على حق الحياة للإنسان دعا سبحانه وتعالى الى ضرورة السير في طريق العدل واعتماده اساساً في تعاملات الناس المختلفة بغض النظر عن كل اشكال المصلحة او الهوى او القرابة او مقتضيات الاستمالات الدينية او العرقية او الحزبية او غير ذلك فقد جاء في الية المباركة : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ⁽¹⁵⁾.

ولان تعاليم الاسلام كانت بهذا المستوى العالي من احترام حقوق الانسان لهذا نجد ان المسلمين الاوائل في مرحلة الدعوة المكية ما عرفوا بهذه الحقوق واطلعوا عليها فكانت معرفتهم تلك من اهم مكتسبات الهوية الجديدة وتبلور شخصيتهم في السنوات الثلاث الاولى من الدعوة كما منحهم ذلك القدرة على الصمود والمواجهة لكل اصناف ضغوط ومؤامرات المشركين من قريش⁽¹⁶⁾.

فمثلاً حينما عرفوا بقضية اصحاب الاخدود التي ذكرت في القرآن الكريم : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ⁽¹⁵⁾ فهذه اللهجة الاستنكارية التي وردت في القرآن الكريم وتنديده بشناعة ما ارتكبه ضد هؤلاء من تعذيب وتقتيل انما تشير الى حق الانسان في الحياة والعيش. وكذلك قوله تعالى : وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ⁽¹⁸⁾ ايضا هو استفهام استنكاري لفعل شنيع كان يقوم به العرب قبل الاسلام في دفن بناتهم وهن احياء وهو كذلك اعتداء على حق الانسان في الحياة⁽¹⁹⁾.

من حقوق الانسان الاخرى التي تحدث بها القرآن الكريم هو حق انتخاب دينه ومذهبه كما جاء في سورة الكافرون : قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ⁽²⁰⁾.

هذه الآيات المباركة انما تشير الى حق الانسان في اختيار الدين الذي يرتنيه بغض النظر عن صوابه تو خطاه في الاختيار ومن هنا نستلهم انه لا يحق لاي جهة ان تفرض الدين او المعتقد على جهة دون اخرى بل من حق اي انسان ان يختار وسيحاسب على سوء اختياره ان كان مخطئاً⁽²¹⁾. وفي اية اخرى بين الباري سبحانه وتعالى المعنى ذاته في قوله : أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ⁽²²⁾. وفي ذلك يذم الباريالذين يمنعون الاخرين من ممارسة عباداتهم الدينية وايضا في اية كريمة اخرى : فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ⁽²³⁾.

هذه الآية كذلك تدافع عن حق الانسان في انتخاب دينه ومعتقده حتى لو كان مخالفا للانبيا الذين هم سفراء الله لهذا الانسان فالنبي هنا مذكر وليس مكره للاخرين في اجبارهم على دين معين فالآية هنا صريحة في انه ليس للنبي اية سلطة لفرض الدين على الناس وبعبارة اخرى حتى مع وجود انبياء الله ورسله فان الناس لا يفقدون حقهم في الاختيار وتأسياً على ذلك يمكن القول ان انسانية الانسان هي رهن بحريته حيث لا يمكن تحقيق انسانية الانسان بدون حريته فان تحكم الاخرين وتدخلهم بشؤونهم فيه الغاء خصائص ذلك الانسان فليس هناك اجبار للإنسان في مسألة الاعتقاد (22) قال تعالى : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ وَايْضًا وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (24).

يضاف الى ذلك اشارة الدين الاسلامي الحنيف الى ان الانسان الى خلقه الله تعالى في احسن تقويم هو مخلوق كريم وعزيز على الله قال تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (25) وهكذا فكرامة الانسان اصيلة يستمدّها من ذات انسانية فهي كرامة مطلقة غير متعلقة لجنسه ولا لونه ولا وطنه ولا قوته وحسبه ونسبه ومنزلته (26).

اذن فكل ما اوردناه من شواهد وادلة وحقائق انما تدحض وتبطل على فتوى او مقولة تشير الى تكفير هذا الفريق او ذاك وتلك الجماعة او هذه الامة وعلى راس ذلك ما جاء من فتاوى الشيخ ابن تيمية التي كانت سببا مهما في مجزرة كسروان من اتباع أهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الثاني

تمذهب السلطان مقدمة لمجزرة كسروان

حكم المماليك مصر وبلاد الشام للمدة من 648 - 923هـ/1250 - 1517م وكان حكمهم من مرحلتين الاولى دولة المماليك البحرية 648 - 784هـ/1250 - 1390م والثانية دولة المماليك البرجية (الشراكسة) 784 - 923هـ/1390 - 1517م (27).

وورث المماليك البحرية من اسلافهم الايوبيين المذهب الشافعي حيث ساروا عليه مدة من الزمن وحرّم الاعتقاد بغيره وصدرت الفتوى بقتل كل من يتمذهب بغير هذا (28) حتى جاء السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (658 - 671هـ/1260 - 1277م) الذي ادخل تعديلاً جوهرياً على المؤسسة الدينية بأن نصب اربعة قضاة على المذاهب الاربعة (الشافعي المالكي الحنبلي الحنفي) واسست المدارس والمساجد لهذه المذاهب وافتى العلماء بوجوب اتباعها وتحريم العمل بغيرها مع احتفاظ المذهب الشافعي بمكانة متميزة من بين هذه المذاهب (29).

وعلى الرغم من هذا التعديل المهم في السياسة المملوكية من قبل الظاهر بيبرس إلا أن الدعم الأحادي لمذهب معين ظل حاضراً في نفوس بعض السلاطين والأمراء فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون كان مسانداً لتيار الحنابلة لاسيما بعدما أفتى قضاة المذاهب الأخرى بعزل الأخير من السلطنة ووقوفهم مع الجاشنكير (30) (ت709هـ/1309م) فقد خالف ابن تيمية ذلك وعلى أثرها اكتسب حظوة ومكانة لدى السلطان الناصر، وصار من المقربين منه والداعمين لسياسته.

وهنا لابد للباحث من الوقوف ملياً في هذه النقطة المحورية المتمثلة بتلاقي مصالح السلطان السياسية مع ما يريده رجل الدين الفقيه ويرمي إليه سيما في محاربته للأخريين من أصحاب المذاهب الإسلامية اللذين يعمل جاهداً في معارضتهم ويصل الأمر به إلى إصدار الفتاوى بتكفيرهم والدعوة إلى قتالهم واستئصال شافتهم.

ولابد كذلك من استعراض فتاوى شيخ الحنابلة ابن تيمية ضد الشيعة وما يسميهم بالروافض سكان جبال كسروان فهذا الرجل يعتبر التكفير عبادة شرعية كما هي الصلاة والصوم وهو يرى أن ليس للحاكم الشرعي العفو عن الكافر بل هو حق شرعي لله ورسوله على حاكم تنفيذه بكل أمانة ومسؤولية⁽³¹⁾.

هذه النصوص المستوحاة من الفتاوى تسعى لاحتلال السلطة السياسية التي تمكنها من أداء هذه الفريضة وبناءً على ذلك فيجب النظر إلى هذا النص التكفيري في سياقه التاريخي والسياسي والخطورة تكمن في أن تكون هذه النصوص من الفتاوى ليس كاجتهادات فقهية أو عقائدية بل كمشاريع سياسية مرتبطة بسياسة الحاكم بشكل خاص⁽³²⁾.

وإذا رجعنا قليلاً إلى الوراء فسنجد ما كتبه الغزالي⁽³³⁾ (ت555هـ/1161م) في كتابه فضائح⁽³⁴⁾ الباطنية كان لصالح السياسة السلجوقية وكذلك ما كتبه الوزير السلجوقي نظام الملك⁽³⁵⁾ وهو يضاف لصالح سياسة دولة السلاجقة في كتابه سياسة نامه إذ اعتبر كلا من الغزالي ونظام الملك أن الشيعة روافض يجب قتالهم وجهادهم والقضاء عليهم، ويبدو أن هذه الأفكار الدينية التي صدرت من كليهما قد وصل تأثيرها إلى بلاد الشام ومصر وتأثر بها شيخ الحنابلة ابن تيمية⁽³⁶⁾.

ونحن نلمح واضحاً السبب المذهبي الذي دفع الشيخ بن تيمية في محاربة الكسروانيين وتحفيز السلطة المملوكية بشن الهجمات العسكرية عليهم ويبدو هذا ظاهراً من المنشور الرسمي او ما يسمى بنسخة التوقيع الذي يقضي بمنع اعتقاد الشيعة ووجوب القضاء عليهم حيث لا يورد غير فساد عقيدتهم دون ان يتطرق الى مواقف سياسية او عسكرية مع اي جهة كانت وانما يكتفي بذكر اتهامات عقائدية ومن هنا نعرف مدى الحقد المذهبي الذي حمله بن تيمية ضد هؤلاء⁽³⁷⁾.

ورد في حديث ابن تيمية عن شيعة كسروان ما يأتي ” تجروا على تبديل قواعد الدين ... وفرقوا اجماع المسلمين ... واستحلوا المحارم ... وارتكبوا العظائم وعدلوا عن سواء السبيل ”⁽³⁸⁾.

ويتضمن هذا التوقيع الغاية من اصداره وينص عليها صراحة بعد ان يتوعددهم بأشد عذاب واشد نكال دون الاشارة الى اي مطلب او موقف له طالع سياسي يتعدى هذا الاطار الفقهي والديني الصرف فهو يرى ان عليهم⁽³⁹⁾ ” الرجوع الى السنة والجماعة واعتقاد مذهب اهل الحق ... والعمل بالسنة الصحيحة ”⁽⁴⁰⁾.

ويتضح من هذا الموقف العدائي الموثق اتجاه الشيعة انه لا يحتمل اية خلفية سياسية او تاريخية عارضة او مرحلية انما يثبت ويعلن سياسة مذهبية عقائدية ترمي الى قمع الشيعة بسبب اعتقادهم واختلافهم المذهبي عن مذهب السلطة آنذاك⁽⁴¹⁾.

ويرمي اعادتهم الى طريق الاعتقاد المستقيم كما يرى هو او القضاء عليهم بإفنائهم او تذويبهم في المذاهب الاخرى⁽⁴²⁾.

ويرى ابن تيمية ان الشيعة بشكل عام هم المسؤولون عن الهزائم التي حدثت للمسلمين امام لصليبيين في بلاد الشام وهم ايضا سبب سقوط بغداد في يد التتار والخلاصة في ذلك كما يرى ان ” ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض ”⁽⁴³⁾.

يتأسس على ما فيه هذا الباطن ليس الكفر فقط بل الكفر والارتداد فهم مرتدون والمرتب بحسب فتاوى ابن تيمية لا يجوز للحاكم ان يفتديه او ان يعفو عنه انما يجب عليه الاقتصاص منه ان يقتله ويقتل نساءه ويقتل ابناءه ويجرده من كل شيء وهذا ما طبقه ابن تيمية على شيعة كسروان في فتواه كما سنرى لاحقاً⁽⁴⁴⁾.

والفتوى هي رسالة ارسلها ابن تيمية الى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يذكر فيها ما انعم الله على السلطان وعلى اهل الاسلام بسبب ما أطلق عليه فتوح جبل كسروان لذلك يمكن ان نطلق على هذه الفتوى ” فتوى فتوح جبل كسروان ”⁽⁴⁵⁾.

في هذه الفتوى يعطي ابن تيمية الشرعية الكاملة لكل ما قام به السلطان الناصر بن قلاوون يقول فيها ” وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدق افضل الاولين والآخرين الذي اخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المنين ”⁽⁴⁶⁾ بمعنى انه اعتبر السلطان الناصر الذي قام بهذه المجرزة مجدداً من المجددين الذين يأتون على رأس كل مئة عام يجددون الدين الاسلامي كما هو الحديث المنسوب الى الرسول الكريم محمد⁽⁴⁷⁾.

وذكر ابن تيمية في رسالته ان ثمة دافعاً أساسياً للحملات الكسروانية يتعلق الدافع الاول بمعتقدات الكسروانيين الدينية فسكان كسروان حسب رسالة ابن تيمية لا يتبعون ايا من مذاهب اهل السنة الاربعة وهي مذاهب رسمية للدولة اقرها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس كما اشرنا سابقا عام 1266/664م وحرّم ما عداها من المذاهب الاسلامية على ان لا يولي قاض ولا تقبل شهادة احد ولا يرشح لاحد وظائف الخطابة او الامامة او التدريس ما لم يكن مقلداً لاحد هذه المذاهب⁽⁴⁸⁾ واستمر هذا الامر معتمداً في مصر وبلاد الشام طوال عصر المماليك وشدّد الحكام في تطبيقه ما اسهم في اشاعة جو من التعصّب تجاه غير القائلين بمذاهب اهل السنة في اوساط العامة والخاصة على السواء⁽⁴⁹⁾.

وعبر عن ذلك ابن حجر العسقلاني ت852/1449م بقوله ” اذا اراد الناس ان يكيدوا لاحد دسوا عليه من رماه بالتشيع ”⁽⁵⁰⁾.

وهكذا وجد الشيخ ابن تيمية في السلطان الناصر بن محمد اداة لتمرير وتنفيذ سياسة الايدلوجية القائمة على الانتقام المذهبي من اهلي كسروان كما وجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في الشيخ ابن تيمية اداة لتمرير مشاريعه السياسية القائمة على الانتقام من الذين يعارضونه من الكسروانيين وتماشيا مع سياسة ابن تيمية الرامية الى تهيئة المسوغات الدينية لقتال الجبليين من سكان كسروان قال عنهم ” ان هؤلاء اكفر من اليهود والنصارى بل اكفر من كثير من المشركين ”⁽⁵¹⁾ ثم يذهب اكثر من حينما يصرح ” فان هؤلاء يتظاهرون عن جهال المسلمين بالتشيع وموالاة اهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ورسوله ولا بكتابه ولا بثواب او عقاب ولا جنة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ”⁽⁵²⁾.

هذه الادعاءات الباطلة اصلا وجدت عند اتباع ابن تيمية ومن يؤمنون بافكاره وجدت تجاوبا وقبولاً فاعتقد الكثير باقواله فتطوع الناس لقتال الكسروانيين فيما بعد. وحتى يرمي ابن تيمية سكان كسروان بالتهمة الاكبر وصفهم بخونة المسلمين الذين يقفون دائماً الى

جانب اعداء المسلمين قائلاً ” فهم دائما مع كل عدو للمسلمين مع النارى ضد المسلمين ومن اعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار وهؤلاء ما دخلوا ديار الاسلام وقتلوا الخليفة وغيره من ملوك الامصار الا بمعاونتهم وموازرتهم ”(53).

كذلك حرم ابن تيمية دخول هؤلاء الى صفوف الجيش الاسلامي متهما اياهم بالخيانة وهم ليسوا محل ثقة في ان يكونوا جنوداً يقاتلون مع جيش المسلمين وقد عده من الكبائر واصفا استخدامهم في الجيش بمثابة من يستخدم الذناب لرعي الغنم مشيراً ان الروافض اشر من الخائنين في العسكر ويجب رفع اسمائهم من دوايين العطاء(54).

بعدها يصل ابن تيمية الى اهم هدف يسعى اليه وهو في ذلك يتلاقى تماما مع ما يطمح اليه السلطان المملوكي قائلاً ” ان جهاد هؤلاء واقامة الحدود عليهم من اعظم الطاعات ومن اكبر العبادات وان جهاد هؤلاء افضل من جهاد المشركين وان ضررهم على المسلمين اعظم من ضرر المشركين بل اشد من ضرر المحاربين المشركين ”(55).

وحتى يعمل على تعبئة الناس لقتال اهل الجبل يستمر بالقول ” ويجب على كل مسلم ان يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب ولا يحل لاحد ان ينهي عن القيام بذلك وهو ما امر به الله ورسوله فان هذا من اعظم ابواب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ”(56).

واخيراً نصل الى حقيقة مفادها ان الكفر والكافر عند ابن تيمية وكذلك الفرق والجماعات الكافرة هم الذين يختلفون ويتقاطعون سياسياً مع السلطة كالاسماعيلية والباطنية وكذلك الروافض او الشيعة او المعتزلة هؤلاء ادخلهم في دائرة الكفر واخرج الجماعات الاخرى كي لا يصطدم مع السلطة(57).

وهذا يوضح لنا كيف ان خطاب ابن تيمية التكفيري هو خطاب سياسي فهو قد تماشى مع ما يريده الحاكم في ان الجميع يجب ان تخضع لعقيدة السلطان وتتمذهب بما يؤمن اذ لا يجوز معارضته باعتباره ولي امر المسلمين.

المبحث الثالث

عين من البيان في مجزرة كسروان

تعرف الابادة الجماعية هي التدمير المميت للتجمعات القومية والعرقية أو الدينية أو الاجتماعية ايا كان الدافع وراءها سياسيا ام دينياً ... الخ ، كالمجازر والمذابح والافعال المنفذة بغية تدمير الوجود الاقتصادي لاجزاء تجمع ما وتتصل بهذه الفئة انواع الاعمال والوضعية التي تتعرض لكرامة الفرد كاعمال الاهانة(58).

هذا الوصف لتعريف الإبادة الجماعية انما ينطبق تماما على ما حدث للكسروانيين في الحالات الموجهة ضدهم من قبل السلطة المملوكية فقد تعرض هؤلاء الى ثلاث هجمات عسكرية كانت على التوالي في سنوات 691هـ⁽⁵⁹⁾ و 699هـ⁽⁶⁰⁾ و 705هـ⁽⁶¹⁾ غير ان اكثر الهجمات عنفاً وإبادة كانت الاخيرة التي وقعت في عام 705هـ/1305م والتي تفيدنا النصوص التاريخية المعاصرة طبيعية وفضاعة مجريات تلك الحملة وما حل بالكسروانيين يوم ذاك.

والمتتبع للنصوص التاريخية يجد ان الامر كان مبينا لايقاع تلك المجزرة يبدو ذلك من طبيعة الاستعدادات العسكرية المملوكية اذ كان عدد الجيش الذي أعد للحملة خمسين الف مقاتل⁽⁶²⁾ ، وصاحب هذه الاستعدادات الضخمة ما قام به الشيخ ابن تيمية من تعبئة دينية مذهبية في وجوب قتال المسلمين للكسروانيين باعتبارهم خارجين عن ملة الاسلام وورد في هذا ” فقام الشيخ في ذلك اتم قيام وكتب الى اطراف الشام على قتال المذكورين وانها غزوة في سبيل الله تم تجهيز هو ومن معه لغزوه في الجبل صحبة ولي الامر نائب المملكة جمال الدين قوسن الافرم اعزه الله ونصره ”⁽⁶³⁾. في ذلك نلاحظ هذا الوفاق والتناغم بين ما يريده السلان ما يدعو له رجل الدين في وجوب قتال هؤلاء المرتدين والخارجين عن الاسلام كما يدعون وقد صاحب الحملة صورا من التهديد والوعيد لكل من يتخلف عن الالتحاق من الجند وغيرهم حيث ” من تأخر من الاجناد الرجالة شنق ”⁽⁶⁴⁾.

والمتمعن في النص يستشف قوة تهديد من لا يشارك في الحملة فعقوبة الموت ليس الممتنع عن الالتحاق فحسب بل حتى للمتأخرين عن الحملة والذين ربما سيشاركون لاحقا حتى هؤلاء فتطالبهم عقوبة الموت كذلك والمدقق في مبررات هذه المجزرة لا يجد مسوغاً مقنعاً او مبرراً معقولاً رغم ان لا مبررات ومسوغات لاية مجزرة مهما كانت اسبابها ولكن قراءة النصوص التاريخية التي اوردت اسباب المجزرة انما هي لا تتناسب بما حل بهؤلاء الكسروانيين فقد ورد ” توجهت العساكر الى جبال الكسروان ... كان اهلها قد طغوا واشتدت اذيتهم خرجوا عن الطاعة ”⁽⁶⁵⁾ وايضا ” كان اهل كسروان قد كثروا وطغوا واشتدت شوكتهم ... وزاد طغيانهم وخرجوا عن الجماعة ”⁽⁶⁶⁾ ان نظرة نقدية سريعة لهذين النصين تظهر تسجيل النقاط الاتية اولاً ليس هناك من المظاهر والوقائع والتصرفات ضد الدولة وان قال البعض ان الكسروانيين قد تعرضوا للجيش المملوكي بعد انسحابه من قتاله مع المغول او الصليبيين⁽⁶⁷⁾ وهذا وان وقع يأتي ردة فعل طبيعية من الكسروانيين الذين تعرضوا الى الاضطهاد السياسي والمذهبي وهو امر لا يعني خروج هؤلاء عن الدين والعقيدة الاسلامية ، وثانياً في النص حديث عن تكاثر هؤلاء وقوة امرهم وبروز شوكتهم فأنى لهم ذلك وهم

المحاصرين في المناطق الجبلية العالية التي اتخذوها ملاذاً آمناً هروباً بمعتقدهم السياسي والمذهبي وكيف لهم صناعة قوة وقدرة اكبر من مقدرات الدولة المملوكية وفي النصين كذلك حديث الخروج عن الطاعة والجماعة وهو المراد ولي الامر فاعتناق مذهب اسلامي اخر والاعتقاد بأفكاره هي اصلا لا تتقاطع مع دين ولكنه خروج عن مذهب وملة السلطان وتمرد على سياسة الحاكم ونقضاً لمفتي المعتقدات وفتوى فقيه السلطان ابن تيمية ، ان موضوعه الخروج عن الطاعة وما تريده الجماعة كان هذا شعاراً اتخذ ضد كل المذاهب الاسلامية والثورات والحركات التي نادت بحقوقها وافصحت عن توجهاتها فاتهمت بالخروج عن ملة الاسلام ويبدو ان ذلك كان السبب الاكبر في هذا الشحن الاكبر والاستعدادات الاضخم له مهاجمة الكسروانيين وابدانهم.

اما موضوعه ان الشيخ ابن تيمية قد فاوض الكسروانيين ودخل مع شيوخهم واکابرهم في نقاشات وحوارات فهذا امر قد حصل⁽⁶⁸⁾ لكن الذي يستنتج من ذلك دعوة ابن تيمية لهؤلاء بالعودة الى الجماعة والطاعة والتخلي عن مذهبهم ومعتقداتهم التي يؤمنون بها والتي لا يحق للآخرين اجبارهم على تركها.

بعد ذلك تجهزت الحملة التي شارك فيها نواب بلاد الشام وطرابلس وصفد بالاضافة الى دمشق⁽⁶⁹⁾ يصاحب الحملة ابن تيمية كذلك وعلى حد قول احد المؤرخين ” ساروا الى بلاد الشام لقتال الروافض ونصرهم الله عليهم ”⁽⁷⁰⁾ ، ويفهم من ذلك واضحاً حينما يوصف هؤلاء بالروافض كيف ان العامل المذهبي كان هو المحرك الاساس لتلك المجزرة الشنيعة.

وفي تفاصيل المجزرة والابادة الجماعية نجد وضوحاً وحضوراً لمصطلح الابادة في نصوص المؤرخين انذاك الذين كانوا لسان حال التمدب السياسي والديني يقول المؤرخ بن كثير ” نصرهم الله عليهم ... ابادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقته الضالة ”⁽⁷¹⁾ وذكر المؤرخ العيني ” فأبادوهم قتلاً وتشيتاً في البلاد ”⁽⁷²⁾ ، والمستفاد من هذه النصوص وحشية هذه المجزرة النازلة بحق الكسروانيين ولانها نفذت لاسباب مذهبية مقبلة فكانت اثارها واضحة في كثرة اعداد من قتلوا فيها كيف لا وان مفتي السلطان كان على رأس تلك الحملة وهو يصرح ويقول بخروج هؤلاء عن جادة الاسلام وانهم اكثر خطورة وتأثيراً على الدين من الكافرين والمشركين ،

ان ابن تيمية وان اشار في رسالته الى السلطان المملوكي الناصر محمد الى ما يفهم منه اقامة الحجة على اهل كسروان قبل قتالهم انسجاماً مع الجانب التقوي والفقهية الذي ينص لا قتل لا قتال لاهل البدع الا بعد اقامة الحجة وان ما قاله ابن تيمية لبعض شيوخ اهل جبل كسروان ممن له اطلاع

على مذهب اهل البيت (عليهم السلام) حول عصمة الانمة على ان حجة عليهم لكن هذا لا يعد اقامة حجة ولا ازالة شبهة وهكذا اوجد ابن تيمية نفسه منخرطاً من غير مسوغ شرعي قطعي بمجزرة انسانية لهذا نراه حتى بعد اكثر من عقدين من الزمن يتلمس مزيداً من الاعذار والمسوغات الشرعية لفتواه بآبادة الجبلين من الكسروانيين⁽⁷³⁾ ، ونظرة فاحصة لنصوص الابادة التي تحدثت كما جرى بحق المباديين نجد ان ذلك ينطبق تماماً كما تحدث عنه احد الباحثين الذي يصف تلك الاعمال او ما يشابهها بالبربرية موضحاً انها التدمير المميت للتجمعات القومية المعرفية الدينية والاجتماعية بما فيها افعال الابادة الموجهة ضد تجمعات عرقية او دينية اياً كان الدافع وراءها سياسياً ام دينياً ... الخ كالمجازر والمذابح المدبرة⁽⁷⁴⁾.

ومن صور الابادة الجماعية ما قام به جيش المماليك من اغلاق مغارة في الجبل كان قد التجأ اليها الكسروانيين فمات هؤلاء جميعاً⁽⁷⁵⁾ وبعد كل هذا التقتيل البشع بصل الامر الى سبي النساء وبيع الصبيان وفي ذلك ورد ما نصه ” وسبيت نساؤهم وبيعت اولادهم ”⁽⁷⁶⁾ ، وليس بخفي على احد ماذا يعني سبي النساء اللواتي كن مسلمات يشهدن بوحداية الله سبحانه وتعالى والموالة الى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فذلك يعني اعتداء على انسانيتهم ووجودهن المادي والمعنوي سيما اذا ما عرفنا ان فتوى ابن تيمية تبيح بزواج من الذين سبين على ايديهم باعتبارهن ملك اليمين فهن يفقدن علاقتهن بأزواجهن مجرد ان يقعن سبايا كما هو الحال ما افتى به ابن تيمية فهذه اذن صورة اخرى لآبادة جماعية فالآبادة هنا تقع على الروح والجسد وهي اشد عنفاً وقسوة من آبادة القتل والهلاك.

اما بيع الاولاد من الصبيان فهو من الابادة على حد سواء فهؤلاء الذين فقدوا اباؤهم وامهاتهم وكيانهم الاسرى والذين يدفعون قسراً الى سوق النخاسة لكي يباعون مثل ما تباع السلع انما يعانون ما يعانون من اثار نفيسة تهدد كل وجودهم المادي والمعنوي كيف يمكن لنا تصور حال من فقد أسرته على حين غرة ثم انتقل الى حال غير حاله الاول الا وان هذا قد غرق في بحر من الهم والغم والمصير المجهول وبذلك فقد انسانيته وكرامته التي ارادها له البارئ عزوجل.

وهناك ايضاً مثل لمجزرة اخرى حلت بهؤلاء الكسروانيين هي فقدانهم لثرواتهم ومواردهم الاقتصادية التي كانت مصدر عيشهم فقد حل ما حل بها من البوار والدمار فقطعت اشجارهم واحرقوا اراضيهم⁽⁷⁷⁾ التي صودرت منهم واقطعت لجماعة من امراء التركمان وغيرهم⁽⁷⁸⁾ ،

ولعل اعظم ما حل بهؤلاء فقدانهم لكيانهم الاجتماعي وهويتهم الثقافية عندما ”تبدد شملهم وتفرقوا في البلاد واضمحل امرهم وخمل ذكرهم“⁽⁷⁹⁾ وهذا النص يبين لنا جلياً ما آل اليه حال هؤلاء من الضياع والشتات وفقدان ذاكرتهم التاريخية وهذا ايضاً يوضح لنا امر لا لبس فيه كيف ان الامر يتعدى مسألة هؤلاء والسيطرة عليهم بل هو تدميرهم ومحو اثرهم واستئصال شأفتهم.

والمؤرخ المنصف وهو يبحث في وقائع هذه المجزرة انما يلحظ وبشكل مبين كيف كان لدى شيخ الحنابلة ابن تيمية على اساس تلك الحملة كان سبباً مهماً في فداحة وعظم ما تعرض له هؤلاء وفي قول ابن كثير شاهد على هذا ” وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير ... وابان الشيخ علماً وشجاعة في هذه الغزوة وقد امتلأت قلوب اعدائه حسداً له وغماً “⁽⁸⁰⁾ فالخير الكثير في نظر ابن كثير انما هو كثرة اعداد المقتولين ووحشية قتلهم وسبي النساء وبيع الاطفال والصبيان وسياسة الارض المحروقة والقضاء على الحرث والنسل.

ويصل المطاف لنا اخيراً الى ما احدثته هذه الحملات العسكرية من نتائج على كسروان وكيف انها اسفرت عن تبدلات سياسية واجتماعية في هذه المنطقة فباخراجهم الشيعة من مناطق سكناهم يكون المماليك قد اسهموا في تعزيز مكانة المسيحيين الذين سكنوا كسروان بعد ذلك⁽⁸¹⁾. لقد اعقب تخريب هذه البلاد ان نرح الناجين من سكانها الى مناطق مختلفة من بلاد الشام كي يكونوا بعيدين عن متناول السلطة حيث انتقل معظم الشيعة الى البقاع وجزين وجبل عامل ، حيث اعتمد ومبدأ التقية⁽¹⁾ متظاهرين بالانتماء الى المذهب الشافعي⁽⁸²⁾.

عاد جماعة من الكسروانيين الشيعة الى قراهم في كسروان وخاصة الى المرتفعات الوعرة منها ما عادوا بناءها ما ان استقروا فيها دون ان يستعيدوا مكانتهم بوصفهم يمثلون جماعة اجتماعية محلية لها تاثيرها الحيوي في المنطقة يوم ذاك وكانوا يحذرون السكن في التلال المشرفة على الساحل بسبب وجود الحاميات التركمانية على مقربة منها حيث اسكنهم المماليك كما اشرنا بعد اقترافهم مجزرة كسروان⁽⁸³⁾.

من جانب اخر استفاد المسيحيون في شمال لبنان ن احداث منطقة كسروان وخلوها من سكانها فانتقلت جماعات منهم الى المنطقة واستوطنها من دون اعتراض من المماليك ذلك لان هؤلاء الاخيرين كانوا يفضلون المسلمين المحايدون على الملمين المخالفين لهم⁽⁸⁴⁾. وهكذا يمكن القول ان التحولات التي عرفتھا البنى الاجتماعية والدينية للسكان في لبنان الحديث

والمعاصر انما تعود في جانب كبير منها الى ما احدثته الحملات المملوكية على كسروان ومنطقتها في اواخر القرن السابع واولئل القرن الثامن على المعالم الاساسية للتوزيع السكاني في لبنان الحالي بعمامة وفي منطقتي كسروان وجبيل على وجه الخصوص⁽⁸⁵⁾.

وفي ختام هذا المبحث وكما اشرنا في عنوانه أن ما حدث للكسروانيين من مجزرة لا يمكن الالمام بها في بحث كهذا انما تحتاج الى بحوث اخرى ولذلك قلنا انها عين من البيان وليس البيان كله فتفاصيل المجزرة وصورها كثيرة ومتعددة تصلح لان تكون دراسة ماجستير او دكتوراه وكما قلنا في المقدمة ان الغرض من كل ذلك هو اخذ العبرة والتجربة في ان للانسان حرية ما يعتقد به وليس للآخرين من حق في تكفيره واصدار الفتاوى بقتله واستحلال حرمه والاعتداء على عرضه وحقوقه ، ولعل ذلك من دروس التاريخ المهمة التي يجب ان ينظر اليها في وقتنا الحاضر سيما من المسلمين الذين لا يعترفون بحق ابناء بعض الداهب الاسلامية من العيش والحياة.

الهوامش

1 - كسروان الان هي احد اقضية جبل لبنان السنة تقع في غرب وسط لبنان وتمتد من مجرى نهر ابراهيم في الشمال وحتى مجرى نهر الكلب من الجنوب ومن شاطئ البحر المتوسط في الغرب حتى قمم جبال صنين.

والوجود الشيعي في لبنان الحالي انما كان خزانة الوجود البشري جبل كسروان الذي رقد مجموعة بشرية الى مختلف المناطق في لبنان هاجروا بسبب ضغوط اقتصادية حيناً وسياسية حيناً اخر حت اصبح من المسلم به اليوم ان نجد شبه كبير من شيعة لبنان يرجعون في اصولهم الى كسروان. للتفصيل ينظر : سعدون حمادة ، الشيعة هم السكان الاصليون لكسروان وجبيل ، مقال منشور في جريدة الراي ، بتاريخ 28 اب 2011م.

2 - علي راغب حيدر احمد ، المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل ، ص18.

3 - المصدر نفسه ، ص19.

4 - المصدر نفسه ، ص19.

5 - ابو ذر الغفاري خو جندب بن جنادة الغفاري توفي سنة 31هـ او 32هـ صحابي من السابقين في الاسلام كان راساً في الصدق والزهد والعمل والعلم قوالاً للحق قال عنه رسول الله محمد ما اقلت الغبراء ولا اظلت الخضراء اصدق لهجة من ابي ذر. الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج1 ، ص387 - 388.

- 6 - المسعودي ، مروج الذهب ، ج3 ، ص340.
- 7 - ابن تيمية 661 - ت728/هـ 1263 - 1328م هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي وكان كبير علماء الحنابلة في وقته في بلاد الشام طلب الى مصر من اجل فتوى افترى بها وسجن بالاسكندرية مات معتقلاً في قلعة دمشق سنة 728/هـ 1328م. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص291 ؛ النويري ، نهاية الارب ، ج32 ، ص118.
- 8 - الناصر محمد بن قلاوون : السلطان ناصر الدين ابو المعالي محمد بن قلاوون ولد بالقاهرة 684/هـ 1285م توفي بالقاهرة 741/هـ 1341م تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات 693/هـ 1293م الى 694/هـ 1294م ومن 698/هـ 1299م الى 708/هـ 1309م ومن 709/هـ 1309م وحتى وفاته 741/هـ 1341م ابرز سلاطين الدولة المملوكية خاض حروبا ضد الصليبيين والمغول.
- 9 - احمد حمطيظ ، الحملات الكسروانية ، ص252.
- 10 - الاسراء ، الآية 70.
- 11 - محمد باغستاني ، صور من حقوق الانسان في القرآن الكريم ، ص13.
- 12 - البقرة ، الآية 30.
- 13 - هود ، الآية 61.
- 14 - المائدة ، الآية 32.
- 15 - النساء ، الآية 135.
- 16 - باغستاني ، المصدر السابق ، ص15.
- 17 - البروج ، الآيات 4 - 8.
- 18 - التكوير ، الآيتين 8 - 9.
- 19 - باغستاني ، المصدر السابق ، ص16.
- 20 - الكافرون ، جميع الآيات.
- 21 - باغستاني ، المصدر السابق ، ص26.
- 22 - العلق ، الآيتان 9 - 10.
- 23 - الغاشية ، الآية 22.
- 24 - الكهف ، الآية 29.
- 25 - التين ، الآية 4.

- 26 - باغستاني ، المصدر السابق ، ص27.
- 27 - عن دخول المماليك كجنود في الجيش المصري في عصر الايوبيين ومن ثم وصولهم الى الحكم في مصر والشام ينظر : الباز العريني ، المماليك ، ص46 وما بعدها.
- 28 - المقرئزي ، السلوك ، ج4 ، ص167.
- 29 - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج14 ، ص61.
- 30 - محمد بن قلاوون : السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون تسلمن الحكم ثلاث مرات اخرها سنة 709هـ / وظل في الحكم الى سنة وفاته سنة 741هـ / 1341م.
- ينظر : ابن شاعر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج4 ، ص25 ؛ الصفدي ، اعيان العصر ، ج5 ، ص173 ؛ الوافي بالوفيات ، ج4 ، ص251.
- 31 - بيبس بن عبدالله الملك المظفر ركن الدين بيبس البرجي المنصوري الجاشنكير اصله من ممالك المنصور قلاوون توفي سنة 709هـ / 1309هـ. الصفدي ، اعيان العصر ، ج2 ، ص71.
- 32 - مجموع الفتاوى ، ج28 ، ص220 - 225.
- 33 - الديري ، نصوص متوحشة ، ص185.
- 34 - اسمه الكامل فضائح الباطنية وفضائل المستظهيرية رداً على فرق الباطنية ومنهم الشيعة اهداه الى الخليفة العباسي المستظهر بالله. الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج34 ، ص31.
- 35 - نظام الملك الوزير السلجوقي وهو الحسن بن علي بن اسحق ولد سنة 408هـ استوزره السلطان السلجوقي ألب ارسلان ومن بعده ابنه السلطان ملك شاه ظل في الوزارة بحدود ثلاثين سنة توفي 485هـ كان مجلسه عامراً بالفقهاء والمتناظرين أسس المدارس النظامية. ينظر : ابن ماكولا اكمال الكمال ، ج1 ، ص31.
- 36 - سياسة نامة : وهو كتاب في سير الملوك والآداب السلطانية والتشريقات الملكية. ترجمه عن الفارسية يوسف بكار وصدر في ثلاث طبقات قبل صدوره عام 2021م ويقع مع فهارسه ومصادره ومقدماته في 320 صفحة من الحجم الكبير.
- 37 - سياسة نامة ، ص280.
- 38 - الديري ، ص186.
- 39 - المصدر نفسه ، ص187.
- 40 - مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج28 ، ص222.

- 41 - المصدر نفسه ، ص224.
- 42 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص223.
- 43 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 44 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص224.
- 45 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص226.
- 46 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 47 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص226.
- 48 - احمد حطيط ، الحملات الكسروانية ، ص53.
- 49 - المصدر نفسه ، ص54.
- 50 - الدرر الكامنة ، ج2 ، ص47.
- 51 - مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج28 ، ص226.
- 52 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 53 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 54 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 55 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص226.
- 56 - المصدر نفسه ، ج28 ، ص225.
- 57 - الديري ، المصدر السابق ، ص187.
- 58 - مارتن شو ، الإبادة الجماعية ، ص180.
- 59 - حطيط ، المصدر السابق ، ص17.
- 60 - المصدر نفسه ، ص18.
- 61 - حطيط ، ص17.
- 62 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج14 ، ص75.
- 63 - ابن حجر ، الدرر ، ج2 ، ص27.
- 64 - المقرئزي ، السلوك ، ج3 ، ص75.
- 65 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج14 ، ص77.
- 66 - المصدر نفسه ، ج14 ، ص76.
- 67 - العيني ، التاريخ ، ج2 ، ص67.
- 68 - حطيط ، المصدر السابق ، ص35.

- 69 - المصدر نفسه ، ص36.
- 70 - العيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص36.
- 71 - المصدر السابق ، ج 2 ، ص37.
- 72 - البداية والنهاية ، ج 13 ، ص 311 ؛ الصالحي ، العقود الدرية ، ص152.
- 73 - الديري ، نصوص متوصفة ، ص85.
- 74 - شو ، الابداء الجماعية ، ص76.
- 75 - المقرئزي ، السلوك ، ج 4 ، ص37.
- 76 - العيني ، عقد الجمان ، ج 2 ، ص114.
- 77 - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص115.
- 78 - الصالحي ، العقود الدرية ، ص153.
- 79 - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 13 ، ص312.
- 80 - المصدر نفسه ، ج 13 ، ص313.
- 81 - حطيط ، المصدر السابق ، ص262.
- 82 - المصدر السابق ، ص263.
- 83 - الديري ، نصوص متوحشة ، ص78.
- 84 - احمد ، المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل ، ص 19 ؛ حطيط ، المصدر السابق ، ص261-262.
- 85 - المصدر نفسه ، ص 20 ؛ حطيط ، المصدر السابق ، ص262.

الهجرة من سنجار عام 2014 م ومن ثم العودة واللاعودة

داود مراد ختاري

باحث في مركز دراسات الجينوسايد / جامعة دهوك

dawd_2009@yahoo.com

(المقدمة)

تقع قضاء سنجار غرب محافظة نينوى 120 كم وتعتبر من مراكز الحضارات القديمة ، وتعرضت الى أبشع الحملات الدموية من قبل السلطات العثمانية المتعاقبة خلال ستة قرون، وقد ذكر المؤرخ توفيق فكرت في سالنامه الموصل بان تعداد الدور في سنجار 35000 دار قبل حملة السلجوقيين، بينما في إحصاء العراق لسنة 1947 م 600 دار و1513 نسمة في مركز القضاء فقط عدا القرى والنواحي، وزعت الحكومة العراقية السابقة أراضي الايزيدية الى البدو الرحل وتقدر (23300) دونم في الدفعة الأولى وفي الثانية 60000 ستون الف دونم .

شملت القضاء سياسة التعريب من قبل النظام البعثي نتيجة نكسة الثورة الكردية عام 1975م تم هدم مجموعة من الاحياء داخل مركز القضاء منها (برج-كلاهي-بيرزكر-برسهي-جوسقي) وتهجير العوائل الى المحافظات الكردية في دهوك والى يومنا هذا تلك العوائل تسكن في دهوك، وتم توزيع قطع الأراضي لاهالي الموصل في القضاء بحجة مشاركتهم في معارك القادسية من 1980-1988م وتوزيع أراضي موقع بيرزكر للمذهب الشيعي الى مقاتلي هذه المعارك .

وفي عام 2007 تعرضت مجمعات السكنية الايزيدية في كرعزير وسيبا شيخدر الى عمل إرهابي فقد استهدفتا بسيارتي حمل (لوري) محملات بالانفجارات وراحت ضحيتها 314 شهيداً و ألف جريح وخلفت اعداد كبيرة من المعوقين .

ودخلت الشاحنات المفخخة الى القريتين بحجة توزيع المساعدات على الشعب، لتسقط اكبر قدر ممكن من الارواح، وفي ظهر 14 اب 2007 انفجرت الشاحنات وسط تجمع المواطنين، لتخلف مجزرة كبيرة بحق المكون الايزيدي .

- واليكم إحصاء الشهداء 2007**
- 1 - هناء محسن بشار/ مواليد 2007
 - 2 - هيثم يوسف شيخو/ مواليد 1992
 - 3 - هيام حيدر تتر/ مواليد 2006
 - 4 - هيفاء قاسم خلف/ مواليد 2001
 - 5 - ابراهيم خليل جطو/ مواليد 1988
 - 6 - ابراهيم علو قاسم/ مواليد 1940
 - 7 - ارزان الياس عبيد/ مواليد 1956
 - 8 - ارزان حسين جريبان/ 1964
 - 9 - ازاد خديدة حجي/ 2004
 - 10 - ازاد خيرو خديدة/ 2001
 - 11 - اسماعيل خديدة حمد/ 1974
 - 12 - اسيا حاتم خضر/ 2007
 - 13 - افين حيدر تتر/ 2003
 - 14 - افين درويش رشو/ 2005
 - 15 - الماس قاسم هسن/ 1991
 - 16 - الياس حسن خديدة/ 1997
 - 17 - الياس خلف حسين/ 1984
 - 18 - الياس زبلو سليمان/ 1989
 - 19 - الياس مجو بيسو/ 1989
 - 20 - اليفة سعدو الياس/ 1990
 - 21 - امل خديدة خدر/ 2000
 - 22 - اميرة نمر قاسم/ 1993
 - 23 - امين علي رفو/ 1991
 - 24 - امينة علي عبدالله/ 1993
 - 25 - اياد نواف يوسف/ 2001
 - 26 - ايزدين يوسف حسن/ 1996
 - 27 - ايمان سليمان حسين/ 2007
 - 28 - ايواز قحطان يوسف/ 2007
 - 29 - باسم عزيز سلو/ 1991
 - 30 - باسم قاسم حسن بيسو/ 2000
 - 31 - باسم قاسم حسن رشو/ 1996
 - 32 - بدل خلف رفو/ 1953
 - 33 - بدل ممو خلف/ 1990
 - 34 - برزان عيدو حجي/ 1994
 - 35 - بركات جردو خلف/ 1971
 - 36 - بركات شيبو سيدو/ 1970
 - 37 - بركات كجي حمو/ 1983
 - 38 - بركات نعمت ميرزا/ 1971
 - 39 - باسم قاسم خلف/ 2005
 - 40 - بسو الياس تتر/ 1920
 - 41 - بسي سليمان عبدالله/ 1922
 - 42 - بشار خلف سليمان/ 1956
 - 43 - بهار كسو خلف/ 1995
 - 44 - بيريفان حسين بشار/ 2002
 - 45 - تحسين حمد قطو/ 1992
 - 46 - تعلي خدر خديدة/ 1986
 - 47 - ثرية نايف عيدو/ 2007
 - 48 - ثورة خلف معي/ 1981
 - 49 - جاسم خلف سليمان/ 1970
 - 50 - جلال خديدة خلف/ 1988
 - 51 - جلال خليل قاسم/ 1986
 - 52 - جمال خلف نعمت/ 1996
 - 53 - جمال صبري رشكو/ 1980
 - 54 - جمال قاسم خلف/ 1990
 - 55 - جمال مراد حجي/ 1996

56 - جميل حسين علي / 1987	84 - حيدر خديدة جوكي / 1989
57 - جنار نواف شيبو / 2000	85 - خالد حجي خلف / 1991
58 - جوزة شمو حجي / 2005	86 - خالد خيرى مراد / 1999
59 - جوني حسن علي / 1954	87 - خالدة عطو علي / 1996
60 - جيلان جلال حجي / 2006	88 - خدر محما علي / 1971
61 - حامو يوسف خدر / 1950	89 - خديدة جونو خلف / 1979
62 - حجي جندي حجي / 1991	90 - خديدة خضر خلف / 1954
63 - حجي حسن عيدو / 1983	91 - خديدة خلف محمود / 1949
64 - حجي رشيد حسن / 1987	92 - خفشي خلف خديدة / 1962
65 - حجي عطو خلف / 1950	93 - خفشي خلف فرحو / 1977
66 - حجي علي حسو / 1930	94 - خلف بدل هنو / 1979
67 - حجي مجو هنو / 1978	95 - خلف بشار خلف / 1993
68 - حسن بدل خلف / 1983	96 - خلف تمر مراد / 1983
69 - حسن حجي حسن / 2003	97 - خلف حجي حسن بيسو / 2004
70 - حسن حجي نعمت / 1970	98 - خلف حجي كلي / 1980
71 - حسن خلف محمود / 1956	99 - خلف خديدة حسو / 1968
72 - حسن رشو حسن / 1997	100 - خلف خليل دربو / 1975
73 - حسن عيدو حمو / 1930	101 - خلف صبري الياس / 1952
74 - حسين بركات مراد / 1988	102 - خلف فيرو نهروز / 1951
75 - حسين بشار خلف / 1981	103 - خلف يوسف حسن / 1993
76 - حسين حسن سعدو / 1997	104 - خليل اسماعيل زندين / 1976
77 - حسين علي قاسم / 1986	105 - خليل سليمان يوسف / 1993
78 - حسين يوسف حسن / 1991	106 - خليل سيدوسلو / 1973
79 - حتو كجو سرحان / 1935	107 - خناف حسن يوسف / 1967
80 - حكيمة خديدة عطو / 2003	108 - خولة سليمان قاسم / 2000
81 - حليلة بسي سليمان / 1991	109 - خولة عطو علي / 1992
82 - حليلة عيدو مجك / 1982	110 - خيرو احمد خدر / 1973
83 - حياة حسين بشار / 2004	111 - خيرو خديدا احمد / 1984

112 - خيرو قوال شرف/ 1979	140 - زيد شمو خلف/ 2001
113 - خيرو مراد قاسي/ 1979	141 - زيد مراد حسن/ 1994
114 - خيرري حجي ميرزا/ 1988	142 - زيد حسن يوسف/ 1998
115 - خيرري درويش زندين/ 1992	143 - زيدان الياس شيخو/ 1984
116 - خيرري كسو خلف/ 1990	144 - زيدان جميل حسين/ 1989
117 - خيرية حسن مجو/ 2005	145 - زيدان خلف هنو/ 2003
118 - خيرية مراد قطو/ 2002	146 - زيدان رشو خلف/ 1982
119 - داخواز مراد علي/ 2003	147 - زيدو الياس موسى/ 1983
120 - داود بدل قاسو/ 1980	148 - زيري عبدالله ناصر/ 1905
121 - داود جطو خرو/ 1969	149 - زينب خليل خلف/ 2001
122 - داود حجي خلف/ 1988	150 - زينة خلف هنو/ 2004
123 - داود سليمان نافخوش/ 1985	151 - زينة سعدو الياس/ 1995
124 - داود مراد علي/ 2004	152 - سالم شرف الياس/ 1984
125 - دخيل عطو جطو/ 1982	153 - سامي صبري رشكو/ 1986
126 - دخيل مراد حسن/ 2002	154 - ساندرا خديدة الياس/ 2006
127 - درويش مراد مرزا/ 1971	155 - سربست ابراهيم الياس/ 1999
128 - دلشاد شمو خلف/ 2004	156 - سربست علي نافخوش/ 2001
129 - دلشاد يوسف حامو/ 1986	157 - سردار سيدو حسو/ 1990
130 - دلفين شمو خلف/ 1998	158 - سردار علي نافخوش/ 1999
131 - رزكان حامو يوسف/ 1993	159 - سعد رفو حجي/ 1984
132 - رشو خديدة حسو/ 1971	160 - سعدو الياس عيسى/ 1971
133 - رشو صبري الياس/ 1954	161 - سعدو بكر خديدة/ 1985
134 - رضوان خليل شمو/ 2007	162 - سعيد قاسم جردو/ 1975
135 - رفو خدر ملكو/ 1937	163 - سفيان حجي علي/ 2001
136 - رندة نواف يوسف/ 2003	164 - سلام نايف رشو/ 1996
137 - روضة شمو حجي/ 2003	165 - سليمان داود جطو/ 1995
138 - رياض خلف بشار/ 2003	166 - سلوى جميل عرفات/ 1989
139 - زريفة شيبو كرعيش/ 1916	167 - سلوى خيروه سن/ 2003

168 - سليمان خلف فارس/ 1978	196 - صباح مرزو مطو/ 1985
169 - سليمان خلف محمود/ 1971	197 - ضرغام حيدر تتر/ 2003
170 - سميرة حامو يوسف/ 2000	198 - عادل خديدة حجي/ 1997
171 - سناء خضر خلف/ 1999	199 - عادل خلف مراد/ 1991
172 - سنم جردو سلو/ 1987	200 - عادل كريم خلف/ 1992
172 - سنم جميل بركات/ 1986	201 - عافية خدر حسين/ 1992
174 - سهام حسن حسي/ 2002	202 - عالية علي مجو/ 2004
175 - سهيلة ابراهيم الياس/ 2003	203 - عامر الياس سليمان/ 1994
176 - سونيا خيرو هسن/ 2006	204 - عامر خليل رشو/ 1994
177 - سيباية قاسم خلف/ 2003	205 - عامر علي مجو/ 2007
178 - سيدو خلف عتو/ 1973	206 - عامر عيدو حجي/ 1998
179 - سيفي خلف سليمان/ 1960	207 - عامر كمال تعلقو/ 1993
180 - سيفي مجو خلف/ 1993	208 - عامر هادي علي/ 1997
181 - سيفي مراد قطو/ 1999	209 - عدلاني حامو تاتار/ 1936
182 - شاري خضر خلف/ 1984	210 - عدنان بركات شيبو/ 1991
183 - شاهة بشار خلف/ 1996	211 - عدنان سعيد مراد/ 2007
184 - شرف خلف حمد/ 1972	212 - عدنان عيدو حمو/ 1987
185 - شكر خدر سلو/ 1983	213 - عدول قاسو هسن/ 1981
186 - شمو خلف سليمان/ 1976	214 - عدي ابراهيم الياس/ 1974
187 - شمو خلف عطو/ 1954	215 - عزيز سليمان نافخوش/ 1988
188 - شمو مراد قطو/ 2001	216 - عطو عمر خلف/ 1972
189 - شهاب بشار خلف/ 1996	217 - عفدي مراد حجي/ 1994
190 - شيرين حسين احمد/ 1955	218 - علي سعدو خدر/ 1972
191 - شيرين مجو خلف/ 1971	219 - علي سليمان علي/ 1989
192 - شيرين مراد احمد/ 1959	220 - علي كتي عجول/ 1985
193 - شيرين هسن حسن/ 1956	221 - علي نافخوش علي/ 1948
194 - صادق حسن خلف/ 1997	222 - عيدو الياس خلف/ 1982
195 - صالح سعدو برو/ 1992	223 - عيدو مجحان جردو/ 1976

224 - عيشان شرف خدر / 1998	254 - كوز خدر مراد / 1979
225 - عيشي قولو علي / 1930	255 - لازمة بسي سليمان / 1999
226 - غانم قاسو علو / 1995	256 - ليلى سعيد مراد / 2002
227 - غزال الياس خلف / 1952	257 - ليلى عطو علي / 2003
228 - فائز فيصل يوسف / 2002	258 - ليلى مراد حسن / 1994
229 - فادية مراد قطو / 2004	259 - مالمو قاسم حسين / 1982
230 - فاروق خديدة حسن / 1993	260 - ماهر علي ناصو / 1993
231 - فاني جردو سرحان / 1961	261 - مجدل خيرو قاسم / 1996
232 - فرحان مراد حامو / 1998	262 - مجو خلف الياس / 1939
234 - فرحة سليمان عبدالله / 1976	263 - محسن بشار خلف / 1982
235 - فرناندو مراد الياس / 2006	264 - محسن خلف محي / 2002
236 - فكرية محمود خلف / 2001	265 - محلو رشكو مراد / 1965
237 - فئر خيرى حامو / 2006	266 - محمود خدر يوسف / 1968
238 - فيصل خدر حجي / 1983	267 - مراد خدر خلاني / 1974
239 - قاسم حسن بيسو / 1970	268 - مراد رشو خليل / 1930
240 - قاسم خلف حجي / 1998	269 - مرجان جردو ناصر / 1929
241 - قاسم يوسف خلف / 1981	270 - مردان حسن قاسو / 1970
242 - قولو قاسم خلف / 1970	271 - مردان خدر سيدو / 1991
243 - كافو الياس عبيد / 1945	272 - مروان عيدو رشو / 1986
244 - كالمو الياس صالح / 1930	273 - منجي كسو خلف / 1991
245 - كتي الياس خلف / 1945	274 - منى شمو خلف / 2000
246 - كريم خلف يوسف / 1965	275 - مهند محسن بشار / 2005
247 - كلي حمد قاسم / 1983	276 - ميادة مراد علي / 2003
248 - كمال رشو سليمان / 1955	277 - ميان حجي الياس / 1979
249 - كمال مشكو حجي / 1996	278 - ميان خدر حجي / 1990
250 - كني عباس اوسو / 1935	279 - ميرزا تترعلي / 1975
251 - كواتل خدر خلف / 2000	280 - ناجي محلو ديبو / 1981
253 - كوجر حجي برو / 1981	281 - نادر حمو رشكو / 1999

- 282 - ناصر ميرزا الياس / 1992
- 283 - ناهدة بابير خلف / 2000
- 284 - ناهدة بدل رشو / 1992
- 285 - نايف حيدر تتر / 1988
- 286 - نزار امين اسماعيل / 2007
- 287 - نزار جمال خلف / 2004
- 288 - نسرین درويش حسن / 1999
- 289 - نسيمه سعدو الياس / 2001
- 290 - نسيمه عيدو مك / 1989
- 291 - نعام قاسو عيدو / 1983
- 292 - نعيمة خيرو هسن / 1997
- 293 - نواف تعلو منكو / 1993
- 294 - نواف مجو خلف / 1984
- 295 - نواف مرزو مطو / 1983
- 296 - نواف شفان حامو / 1978
- 297 - نورة عيدو كجو / 1983
- 298 - نوري سعيد مراد / 2006
- 299 - نوزد كمال كسو / 1996
- 300 - نوفة مجو خلف / 1996
- 301 - هادي حجي حسن بيسو / 1993
- 302 - هادي حسن مراد / 1993
- 303 - هادي خدر خلف / 2000
- 304 - هدنة خلف سليمان / 1999
- 305 - هدى حسن مجو / 2007
- 306 - هدية سالم حسين / 1991
- 307 - وهيبه سيدو تاجدين / 1986
- 308 - ياسر الياس كتي / 2003
- 309 - ياسر شمو خلف / 2007
- 310 - يوسف قاسم خديدة / 1980
- 311 - هيئة خليل زندين / 2003
- 312 - وسيلة كتي خلف / 1990
- 313 - ولاتي اوسو عيدو / 1984
- 314 - وليد مراد حجي / 1998
- دخل الدواعش مدينة سنجار يوم 8-2014
- وادی ذلك الى هروب الناس من المجمعات كافة
- الى جبل سنجار وسط هلع المواطنين العزل
- والحصار على الجبل والموت من العطش
- والهلاك ونفذوا جرائمهم بالقتل الجماعي
- وتفجير الدور والدوائر واغتصاب النساء .
- لقد اكتظ الناس بالجبل وتعدادهم أكثر من
- 300 ألف هارب من جحيم الدواعش وبعدها
- حوصروا في الجبل لحين فتح الطريق
- الى سوريا ومن ثم الى إقليم كردستان
- العراق وتم اسكانهم في المدارس والدوائر
- الحكومية والجوامع والكنائس ومراكز
- لالش ومن ثم فتح المخيمات لقد تعاونت
- حكومة الإقليم مع المواطنين لغرض تقديم
- العون والغذاء لهؤلاء الهاربين من الجحيم .
- واليكم احدث إحصاء عن الضحايا :

أحدث إحصائية لضحايا حملة إبادة الإيزيديين في آب 2014

ت	إسم المنطقة Region	الشهداء The martyrs	المخطوفون Kidnapped	التاجرون والتابعين Survivors	مجموع الضحايا Total victims
١	قرية كوجو Kojo Village	٤٢٣	٨٦	٧٠٤	١٢١٣
٢	مجمع تل قصب - تل قصب - القرى التابعة لها The complex of Tal qasab - Tal qasab Affiliated Villages -	١٦٨	٢٩٢	٥٧٣	١٠٣٣
٣	مركز قضاء سنجار - سنجال - القرى التابعة لها Sinjar District Center - Sinjar - Affiliated Villages	٨٥	١٣٢	٤٧٣	٦٩٠
٤	مركز ناحية القحطانية - تلغزير - القرى التابعة له - Al-Qahataniyah sub-district - Talazir Affiliated Villages	١٣٧	٢٠٧	٣٣٨	٦٨٢
٥	مجمع الوليد - تل بنات - القرى التابعة لها Al-Waleed Complex - Tal banat - Affiliated Villages	٦٩	٢٣١	٢٦٨	٥٦٨
٦	قرية الحاتمية Hatmiyeh village	٤	٣	٣٧٥	٣٨٢
٧	مجمع الجزيرة - سيبا - القرى التابعة لها Al-Jazeera Complex - Siba - Affiliated Villages	١٤٦	٧٦	١٤٠	٣٦٢
٨	قرية حردان Hardan village	٦	١٢٨	٢٢٨	٣٦٢
٩	مجمع العذائية - كرزرك - القرى التابعة لها -Adnaniah Complex - Garzark Affiliated Villages	٩٣	٨٢	١٥١	٣٢٦
١٠	مجمع التاميم - خانصور - القرى التابعة لها Al-Tamim Complex - Khansoor - Affiliated Villages	٥٤	١٠١	١٤٥	٣٠٠
١١	قرية النسيرية Nasiriyah Village	٩	١	١٩٥	٢٠٥
١٢	قرية صولاغ Solagh Village	٣٥	٧٥	٥٦	١٦٦
١٣	مجمع القادسية - دهولا - القرى التابعة لها Al-Qadisiyah Complex - Dhula - Affiliated Villages	١٥	١٦	١١٧	١٤٨
١٤	مجمع حطين - دوكور - القرى التابعة لها -Hittin Complex - Dokur Affiliated Villages	٢٣	٣٦	٧٧	١٣٦
١٥	مجمع الاندلس - كوهيل - القرى التابعة لها Andalus Complex - Gohbel - Affiliated Village	١٨	٢٧	٨٦	١٣١
١٦	قرية رمبوسي الغربية Rambousi West village	٧	٤٢	٣١	٨٠
١٧	مجمع العروبة - زورافا - القرى التابعة لها -Al-Orouba Complex - Zorafa Affiliated Villages	٣٩	١	٤٠	٨٠
١٨	مركز ناحية الشمال - سنوني - القرى التابعة لها -North Area Center - Snuny Affiliated Villages	٢٠	١٧	٤١	٧٨
١٩	مجمع يرموك - بورك - القرى التابعة لها Yarmouk Complex - Burk - affiliated villages	٢٨	٩	٣	٤٠
٢٠	الملف خاص بالمسلمين والمسيحيين Particularly Muslims and Christians file	٣٤	٧	١٠	٥١
٢١	الملف خاص بالمناطق المتفرقة Particularly dispersed areas file	٣٧	٩٩	٥٥	١٩١
	مجموع الضحايا Total victims	١٤٥٠	١٦٦٨	٤١٠٦	٧٢٢٤

هدم المزارات من قبل الدواعش في سنجار

- 1 - مزار آمادين / قرية المهركان
 - 2 - مزار شيخ حسن / قرية كابارة
 - 3 - مزار شيخ مند / قرية جدالة
 - 4 - مزار شيخ عبدالقادر / بجانب التل الاثري لقرية حيالى
 - 5 - مزار شيخ عبدالعزيز / قرية حيالى
 - 6 - مزار مام رشا / بين قرية تبة وشنكال
 - 7 - مزار ملك فخر الدين / سكينية
 - 8 - مزار سوارى كيدوكى / قرية بارا
 - 9 - مزار شيخ ابراهيم / قرية الوردية
 - 10 - مزار موسى مند / قرية قنى
 - 11 - مزار رَشْكا / صولاغ
- علما تم تفجير الكنائس المسيحية داخل مدينة شنكال (مريم العذراء - يسوع الملك - الأرمن) وكذلك مزارات المسلمين داخل المدينة (منارة سنجار- مقام السيدة زينب - احمد البراق - شيخ موجود - علي بن وهاب - شيخ زكريا - جامع الرحمن - مام هارون)

أسباب العودة واللاعودة من المخيمات

1 - أسباب العودة من المخيمات الى الوطن

الحنين الى الوطن والتربة والعادات والتقاليد، جميع أبناء البشرية يحنون الى موطنه الأصلي ويود العيش فيه بالرغم من قساوة الظروف، وهناك اشخاص يصابون بمرض الغربة ويشفى عند العودة الى موطنه، ودائماً يوصى الأطباء النفسيين بان تكون المعالجة طبيعية بالعودة الى موطنه دون تدخل علاجي دوائي قد لا يستفاد منه بل تكون له آثار جانبية وتؤثر على بقية أعضاء الجسم ويعقد حالته الصحية والنفسية أكثر تعقيداً.

لكون اقرباءه واصدقائه قد عادوا الى موطنهم، هناك ارتباط بين الأشخاص من حيث صلة القرابة والصدقة الصادقة، حينما لا يستطيع الانسان المغترب ان يصادق أناس جدد نتيجة اختلاف في العمر: لا يستطيع الانسان ان يصاحب شخصاً يختلف معه في سنوات كثيرة من حيث العمر، لذا يرى بانه قد فقد شيئاً ما وينعزل عن بقية الناس لانه يتعامل وفق سياقات زمنية محددة .

- ب -** من الصعوبة على الانسان أن يستمر مع أشخاص اذ لم يكونوا على تلك الأفكار الذي يؤمن به لذا من الاجدر به أن يذهب مع أصدقاءه القدامى الذي يفهم منهم ويفهمون منه.
- ج -** يعلم جداً بأن أصدقاءه وأقرباءه سيكونون بالقرب منه إنشاء الحاجة والمساعدة متى ما احتاج اليه.
- د -** اللغة : اللغة دور مهم في التفاهم وإذ كان الرجل لا يجيد اللغة أو اللهجة لتلك المنطقة يحاول الالتجاء الى منطقته.

العمل في المنظمات الخيرية، حالياً توجد العديد من المنظمات المختلفة التي تسهل حياة المواطنين في القضاء حيث يقدمون الخدمات المتعددة وفي مجالات مختلفة (الصحية، الثقافية، الإعلامية، التعليم ، البناء) وتقديم القروض للمواطنين لفتح المشاريع الصغيرة .

العمل في المجالات الأخرى كالبناء والزراعة، بما أن الناس قد عادوا الى دورهم المهدمة لابد من التعمير وهذا يتطلب توفير العمل للعمال والنجارين والحدادين وبقية المهن الأخرى وكذلك تفتح أبواب محلات بيع المواد للسلع المختلفة .

التنسيب الى الوظائف الحكومية والجيش والشرطة التابعة الى الحكومة المركزية، وفي الآونة الأخيرة تم تعيين أعداد كبيرة من أبناء القضاء في الحكومة المركزية في وزارتي الداخلية بصفة عسكري ووزارة الداخلية بصفة شرطي، ويتطلب من هؤلاء ان يكونوا قريبين من مدينة الموصل لذا التجؤا الى سنجار .

تواجد الفرقة 20 للجيش العراقي في القضاء وانخراط أبناء القضاء فيها، مما يشكل طمأنينة للعوائل بأن ابناءهم سيدافعون عنهم في حدوث الحالات الطارئة

الانخراط في الحشد الشعبي والأحزاب الكردية المناوئة للأحزاب الكردية في إقليم كردستان، حينما ينتسب يستلم مبلغ مالي كراتب شهري لمعيشة أهله .

الحفاظ على ما تبقى من ممتلكاته وأراضيه الزراعية كي لا يستغلها الاخرين .

2 - هناك من عادوا الى شنكال ومن ثم رجعوا الى المخيمات

عدم حصولهم على فرصة عمل، كي يحصلوا على لقمة العيش لا يودون الانخراط في الحشد الشعبي والأحزاب السياسية كي يحصلوا على راتب تعيش عوائلهم، واعمارهم لا تؤهلهم بالانتساب الى الشرطة والجيش . عدم حصولهم على دار في إحدى المجمعات السكنية في ناحية الشمال، وظروفهم لا تساعدهم على ايجار دار لهم .

عدم توفر الخدمات الضرورية الصحية والكهرباء والماء ، وفي حالة أن تعوض ذلك ستكلفك مبلغاً كبيراً من المال ، ان شحة المياه تجبرك على شراء الماء من أصحاب المقطورات ولا تتوفر فيها الشروط الصحية ، اما بالنسبة الى الكهرباء يمكنك الاعتماد على المولدة الرئيسية او شراء مولدة صغيرة للعائلة 25 أمبير وفي الحالتين التكلفة باهضة جداً .

خوفاً من عدم استقرار الوضع الأمني وتقسيم أراضي القضاء بين العديد من القوات المسلحة المختلفة فيما بينهم فكراً وعقائدياً ، فهو أصلاً قد هجر سابقاً من داره نتيجة الظروف الأمنية . العديد من الأشخاص الذين عادوا الى المخيمات ثانية لهم خلفيات مع الأحزاب الكردية لذا لا يستطيعون العيش في المناطق المسيطرة عليها .

وجود منظمات تساعدهم في المخيمات، هناك تعاون بسيط من قبل المنظمات الإنسانية ، وهناك منظمة تمنح جميع الأشخاص في المخيمات مبلغ (18000) دينار ما يعادل (12) دولار شهرياً، بالرغم ان المبلغ لا يساوي شيئاً بالنسبة الى المعيشة لكن الناس في المخيمات بحاجة الى ابسط مبلغ .توفر الماء والكهرباء ومجاناً ، وهم قريبين من مستشفيات محافظة دهوك .

3 – عدم العودة الى شنكال

البقاء في المجمعات الايزيدية لأنهم قد حصلوا على فرص العمل والوظائف محاولة الهجرة الى الخارج، لان اقرباءهم قد وعدوه بالتعاون معهم ، اذ كانت بالطرق الشرعية أو غير الشرعية .

الناجيات وذوي الضحايا هؤلاء لا يستطيعون العودة الى موطنهم بعد ولا يستطيعون رؤية تلك المناطق التي تم ذبح عوائلهم فيها، ويحاولون بشتى الوسائل الممكنة الحصول على فرصة الهجرة الى خارج الوطن

وجود منظمات تسجل الأسماء لغرض الحصول على الإقامة في الدول الأجنبية المختلفة . يوجد من فقد داره بالكامل ولا يستطيع بناءه لذا يفضل البقاء في المخيم ومن ثم يحصل على فرصة العمل في محافظة دهوك



قائمة بأعداد سكان أحياء وقرى (قضاء سنجار) ٢٠٢٠/١٢/٣٠

رقم	اسم الحي أو القرية	عدد العوائل	عدد الافراد	الملاحظات
١.	حي روش هلات	٤٤٠		
٢.	حي روش هلات شمالي	١٠٦		
٣.	حي آزادي	١٥٢		
٤.	حي آزادي / ٢	١٤٢		
٥.	حي آزادي شمالي	١٠٠		
٦.	حي كركك	١١٧		
٧.	حي الشامي	١٥٣		
٨.	حي الزراعي	١٥٧		
٩.	حي السلام	٦٢		
١٠.	حي الشهداء	٢١٧		
١١.	حي الشهداء شرقي	٤٥٣		
١٢.	حي الشهداء غربي	٣٧٥		
١٣.	حي القانسية	١٠٣		
١٤.	حي القانسية شرقي	١٣٦		
١٥.	حي القانسية وسط	٢٠٠		
١٦.	حي القبائل	١٠٦		
١٧.	حي خير دين	٣٢		
١٨.	حي خير دين / ٢	٤٣		
١٩.	حي قوى الجوية	٥٥		
٢٠.	حي النور	١٢٢		
٢١.	حي النصر شمالي	١٩١		
٢٢.	حي النصر جنوبي	١٧٨		
٢٣.	حي اليرموك شرقي	١٢٥		
٢٤.	حي اليرموك غربي	١١٩		
٢٥.	حي بربروش	١٩٩		
٢٦.	حي بربروش / ٢	٤٣		
٢٧.	حي معمل حجر	٥٩		
٢٨.	حي بيز زكر	١٥٨		
٢٩.	حي بيز زكر / ٢	٥٠		
٣٠.	حي ويران شار	١٢١		
٣١.	قرية تل اوسفكا	٣٤		
٣٢.	قرية صولاخ جنوبي	٩٨		
٣٣.	قرية صولاخ شمالي	٣٧		

٤٥٩٨ / عائلة
/ فرد



عائلة / ٣٣٨١ / فرد	٦٧	قرية صولاج	٣٤
	٣٤	قرية كورا عتدو	٣٥
	١٠٥	قرية الزينونية	٣٦
	٥٦	قرية الصياحية	٣٧
	٢٤	قرية قصري	٣٨
	٧٦	قرية جنعان	٣٩
	٧٤	قرية العمر	٤٠
	٦٨	قرية خراب مورك	٤١
	٥٠	قرية دير عاص	٤٢
	٣٤	قرية زوماني	٤٣
	٢٥	قرية زوماني غربي	٤٤
	٣٤	قرية زوماني شمالي	٤٥
	٤٦	قرية صلفو	٤٦
	٤٠	قرية شهابية	٤٧
	١٩	قرية فزلكند	٤٨
	٩٠	قرية قصري	٤٩
	٦٦	قرية قنديل	٥٠
	٨٠	قرية قنديل جدلي	٥١
	٤٩	قرية كاتي مارك شمالي	٥٢
	٩٦	قرية كاتي عتدي	٥٣
	٨٤	قرية كاتي عتدو	٥٤
	٣٩	قرية شكو	٥٥
	٧٦	قرية نميرية	٥٦
	٤٠٠	قرية وردية	٥٧
	٣٧	قرية باب الخان	٥٨
	١٢	قرية شيخ المن	٥٩
	٨	قرية شيخ المن / ٢	٦٠
	٢٣	قرية بانجسي	٦١
	٨	قرية كوهكمت	٦٢
	٦١	قرية تبة	٦٣
	١٣	قرية علي سوركا	٦٤
	٤٢	قرية كزي بيدري	٦٥
	٧٥	قرية زرافكي	٦٦
	٧٦	قرية حياي	٦٧
	٩	قرية كابلرا	٦٨
	٧٤	قرية تل قصب القديم	٦٩

٧٠.	قرية العزيز	١٩
٧١.	قرية تل قصب غربي	٢١
٧٢.	مجمع تل قصب	١٩٤
٧٣.	مجمع تل قصب / ٢	١١٩
٧٤.	مجمع تل قصب غربي	١٥١
٧٥.	قرية زكنخان	١٩
٧٦.	قرية السكينة	٣٠
٧٧.	قرية شاروك شرقي	١٩
٧٨.	قرية الحاتمية	٦٧
٧٩.	قرية اشكفتات	١٢
٨٠.	قرية الجفريّة الجديدة	١٢
٨١.	قرية همدان القديم	٧
٨٢.	قرية زليلية	٢٤
٨٣.	قرية خفي	٣١
٨٤.	قرية رزكا	٣٧
المجموع الكلي		٧٩٧٩ / عائلة
		/ فرد

مزمع فيصل حنا

January 2021 احصائية ناحية الشمال			
عدد الاطفال	عدد العوائل	عدد السكان	اسم المجمع
6396	3655	25585	ناحية الشمال (منوني)
3976	2272	15904	مجمع خانصور
2534	1448	10136	مجمع حطين
2250	1286	9002	مجمع دوهلا
4695	2683	18781	مجمع بورك
1655	946	6622	مجمع زورافا
1783	1019	1733	مجمع كوهيل
185	106	742	قرية حردان
68	39	273	قرية كوتان
54	31	217	قرية كرشك
45	26	182	قرية كورمز
56	32	224	قرية زيروا
35	20	140	قرية باخليفة
77	44	308	قرية بكرا
98	56	392	قرية بابني
210	120	840	قرية يوسف
301	172	1204	مزار شرفدين
126	72	504	قرية حسن الجديد
84	48	336	قرية راشد
91	52	364	قرية طيراف
28	16	112	قرية عمرا
35	20	140	شيخ فريش
315	180	1260	قرية ادبكا
112	64	448	قرية جبلين
56	32	224	قرية حسونا
77	44	308	قرية كركي حسري
21	12	84	قرية قراج شيفارش
56	32	224	قرية قصركي
77	44	308	قرية بهرافا
65	37	259	قرية باري
2322	1327	9289	مخيم جبل سنجار
5341	3052	21364	القرية العربية
33224	18987	127509	المجموع الكلي



الطائفية السياسية في العراق بعد عام 2003 واستراتيجية الحل

أ.م.د. عبدالعزيز خضر عباس الجاسم / مركز الدراسات الاستراتيجية / جامعة الأنبار

dr.aljassem@uoanbar.edu.iq

Political sectarianism in Iraq after :2003 causes and solutions

It is no secret to all researchers that the political situation in Iraq changed after the year 2003 CE due to a radical change in the pattern of political life and its shift from one party with exclusive power to the multiplicity of ruling parties and their impact on political, social and economic life. This work, but we wanted to shed light on the most important turns that took place in political life and to what extent they affected the Iraqi political scene. The political imposition of its hegemony and political intolerance against other political sects, which is reflected on religious and sectarian fanaticism and other aspects of life. This is what happened in Iraq. There are many causes and repercussions that require treatments and solutions. In front of the policy makers, the research is divided into four sections

The first topic: a historical overview of the political life in Iraq

The second topic: the stages of the emergence of political sectarianism, its stages, and the extent of its impact on the Iraqi political scene

The third topic: the effects of the emergence and practice of political sectarianism

And the third topic: the solution strategy. We focus on drying up political sectarianism and returning to amending some laws within the Iraqi constitution, and what solutions can be applicable

Sectarianism, politics, strategy, stability

لا يخفى على جميع الباحثين أن الوضع السياسي في العراق تغير بعد عام 2003م بسبب تغير جذري في نمط الحياة السياسية وانتقالها من الحزب الواحد المتفرد بالسلطة إلى تعدد الأحزاب الحاكمة وتأثيرها على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن ما حصل منذ عام 2003م إلى يومنا لا يمكن حصره في هذا البحث، ولكن اردنا ان نسلط الضوء على أهم الانعطافات التي حصلت في الحياة السياسية والى أي مدى أثرت على المشهد السياسي العراقي وبات واضحاً أن العملية السياسية هي التي أرست قواعد الطائفية السياسية في العراق بعد عام 2003م ، وهي النهج السياسي الذي يشير إلى اعتماد الطائفة في العمل السياسي وفرض هيمنت الحزب الأقوى تأثيراً في المشهد السياسي وضعف الكيانات السياسية الأخرى، مما ينعكس على التعصب الديني والمذهبي وجوانب الحياة الأخرى وهذا ما حصل في العراق هناك أسباب وتداعيات كثيرة، تتطلب معالجات وحلول وهذا ما سنبحثه وحددنا إشكالية لنعطي الحل الناجع لهذه الإشكالية التي ضربت الفكر السياسي العراقي والخروج بتوصيات لتكون أمام صناع السياسية وقسم البحث إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن الحياة السياسية في العراق

المبحث الثاني: مراحل ظهور الطائفية السياسية ومراحلها ومدى تأثيرها على المشهد السياسي العراقي.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على ظهور وممارسة الطائفية السياسية.

والمبحث الثالث: استراتيجية الحل نركز على تجفيف الطائفية السياسية والرجوع إلى تعديل بعض القوانين ضمن الدستور العراقي وماهي الحلول التي يمكن ان تكون قابلة

للتطبيق

الطائفية - السياسية - استراتيجية - الاستقرار

إشكالية البحث:

تعتبر الطائفية السياسية في العراق من المشاكل الحديثة على تاريخ العراق المعاصر ونتجت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق وبتغير النظام السياسي المتفرد بالحزب الواحد إلى ولادة عدة أحزاب لتؤطر العلاقة الجديدة وفق معطيات كل حزب بإطار وفلسفة ماذا يقدم الحزب الجديدة وقبول أو رفض وتهميش وإقصاء الآخر أو الايمان بالعيش في ظل منظومة التعددية الحزبية في العراق، لتصل إلى هيمنة حكم وفرض البعد السياسي على الآخر ليكون حزباً فاعلاً في بناء الطائفية السياسية وإبعاد الطرف الضعيف عن المشاركة السياسية الحقيقية، وانطلاقاً من أن قضية الطائفية السياسية والتي باتت إحدى المؤثرات السلبية في بناء الدولة المدنية التي تؤسس على احترام المواطنة وحقوق الإنسان بغض النظر عن انتماءاته أو دياناته أو مذهبه الديني أو السياسي ومن هنا ينطلق

البحث من إشكالية مفادها أن الطائفية السياسية تعتبر معوق كبير في مسار بناء الدولة المدنية القائمة على أساس المواطنة واحترام وقبول الآخر المختلف سياسياً أو تعمل على إلغاء المختلف وإقصاءه، وتعتبر الحالة العراقية بعد التغيير مثلاً واضحاً لتلك الأزمة التي عمت في المجتمع العراقي وبسبب تلك الطائفية السياسية ومن خلال تعليمات الحاكم المدني بول بريمر التي سارت على نمطها الحكومات اللاحقة وفيما بعد من محاصرة سياسية فما هي أسباب هذه الأزمة؟ وماهي تداعياتها على المجتمع العراقي؟ وما هي أفضل استراتيجية السبل لمعالجتها؟

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية أساسية أن العراق يعاني من أزمة الطائفية السياسية التي أثرت بشكل واسع على مفاصل الدولة والمجتمع حتى باتت تهدد وحدة الدولة العراقية بالتفتت والتقسيم على أسس طائفية، وتهدد المجتمع العراقي بحروب طائفية وبسبب تلك الأزمة السياسية نحتاج إلى تفعيل وخلق آليات وسياسات على مختلف الأصعدة لتفعيل الآليات السياسية والدستورية، وتفعيل الفعاليات السياسية والثقافية والاجتماعية لتجاوز هذه الأزمة.

منهجية البحث:

استخدمنا في بحثنا البسيط هذا منهج التحليل النظمي ووضحنا أسباب الطائفية السياسية ثم اقترحنا اهم الحلول لمواجهة وعلاج هذه الأزمة والإشكالية التي تدمر الدولة والمجتمع ان تركت تتمدد وتنخر في جسديهما.

هدف البحث:

نهدف في هذا البحث إلى تحديد اهم الأسباب والعوامل التي لها الدور الأبرز في ظهور أزمة الطائفية السياسية في الساحة العراقية بعد التغيير، والعمل على تحديد العوامل المؤثرة في الساحة العراقية ومن أبرزها، خدمة المصالح على حساب تفتيت وتشظية الهوية الوطنية العراقية إلى هويات فرعية متناحرة على أسس سياسية ومن ثم إلى طائفية سياسية لذلك لم يكن اقتتال طائفي بداية العملية السياسية بل ترسخ ذلك بعد تمدد فلسفة الطائفية السياسية لترمي بظلالها وتخلط الأوراق في الساحة العراقية، ويهدف البحث الى وضع استراتيجية لحل هذه الإشكالية .

قسمنا البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الطائفية السياسية مقارنة مع السياسة في لبنان:

الطائفية السياسية: هي اهتمام مجموعة سياسية بممارسة عقائدها وتنظيمها السياسي

(حليم بركات: 2000، ص 437) وهي انتقال الطائفية السياسية، بمفهومها العام، من تواجدها على مستوى الأفراد داخل المجتمع الواحد إلى التمثيل السياسي للطوائف التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد وتجسيدها في مستوى الدولة الحاضرة للجميع وفي العراق بعد الاحتلال أول من أسس الطائفية السياسية الحاكم المدني بول بريمر بعد أن قسم المجتمع العراقي إلى مكونات بدلا عن المواطنة بعد أن قامت قوات الاحتلال الأمريكي بحل مؤسسات الدولة الأمنية والعسكرية، واعتمدت على الاستقطاب في عملية بناء الدولة العراقية، وتشكيل معظم القوى والأحزاب السياسية العراقية التي تأسست على أساس ولانها للمكون،

وعانت هذه القوى من غياب رؤية واضحة لمفهوم الدولة وعملية بنائها لكونها حديثة الممارسة للسلطة وانشغلت بالتشبث بالسلطة وللطائفة كيان مادي حينما تعطي الطائفة معنى مادي لوجود الفرد ضمن اطار معين محدد، أي إن الاعتراف بوجود الطائفة أو الطوائف وانتماء الأفراد في محيطها امر واقعي لا يمكن تجاهله بل يمكن عداها كيانات واقعية تاريخية ، لذلك انتماء الفرد إلى طائفة معينة لا يشكل عائقاً أمام انتماء الفرد إلى الدولة في الظروف الاعتيادية (علاء اللامي: 2008، ص 1) وتكون طبقة سياسية واجتماعية مغلقة لا تتاح الفرص لها للحراك الاجتماعي أو الطبقي بين أعضائها لارتباطها بالأبعاد الدينية (غريب: 2000، ص 166) وفي اللفظ العربي استخدم الكتاب والباحثين العرب لا سيما اللبنانيين كلمة ”طوائف“ نسبة إلى الطوائف وإشارة في ذلك إلى وضع أو مجتمع تتعدد فيه الطوائف بل وتسود بينها النزعة الطائفية كما هو الحال في لبنان (علاء اللامي، ص 24) والطائفية تشير لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو ثقافية مثل المحافظة على مصالح ومزايا مكتسبة من أجل تحقيق مثل تلك المصالح والمزايا لزعماء أو أبناء الكيان السياسي ويرى الباحث فرهاد إبراهيم في دراسة حول الطائفية السياسية،

إن الطائفية لا تعني مجرد وجود التنوع الديني في المجتمع، فهذا التنوع لا يكتسب أهمية سياسية إلا إذا ترتب عليه تنافس أو تنازع أو صراع في مجالات القيم أو الثروة أو السلطة، ومن هنا تبرز أهمية التفريق بين الطوائف وبين الطائفية، فالمفهوم الأول يشير فقط إلى التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الأفراد أو المجموعات التي يتكون منها المجتمع (فرهاد: 1996، ص 24) فالطائفية السياسية هي نهج سياسي يشير إلى اعتماد الطائفة والعمل على فرض هيمنتها السياسية والتعصب ضد الطوائف الأخرى، وهي في الوقت نفسه، استخدام التنوع العرقي والديني لتحقيق

أهداف سياسية واقتصادية وثقافية والطائفية بهذا المعنى هي استخدام الدين بوصفه وسيلة لتحقيق أهداف دنيوية (مهدي الشرع: 200، ص 95) ويمكن تعريف الطائفة السياسية بأنها النزعة الهادفة إلى صياغة الواقع السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي بما يتفق مع رؤية أو مصالح طائفة معينة على حساب الطوائف الأخرى أو ذلك التوظيف الدنيوي للمعتقد أو استغلاله لتحقيق مصالح فئوية ذات طبيعة شخصية أو حزبية.

وتأخذ التكوينات الفرعية التقليدية داخل الدولة أشكال مختلفة قد تكون عرقية أو طائفية أو لغوية أو قبلية، وفي المشرق تُعد الطوائف الدينية هي وحدة التنظيم الاجتماعي الرئيسة مثلما أن القبيلة شكلت وحدة التنظيم الاجتماعي الرئيسة في المغرب الكبير والجزيرة العربية (سعد الدين وآخرون: 1996، ص 136) ومن الطائفية الاجتماعية تولد الطائفية السياسية عبر تسييس الجزء الوجداني من الهوية المركبة للطائفة مما يجعلها تتحول كياناً سياسياً قائماً على الجزء الوجداني من الهوية لذلك تصبح الطائفية كياناً يشبه الأحزاب السياسية ولكن بقواعد وأهداف مختلفة وبصورة عامة تصبح الطائفية السياسية عنصراً تكوينياً في النظام السياسي للدولة (أميل بدارين: 2014، ص 26) نمط الخطاب السياسي والاجتماعي الذي يوطر الخلافات ضمن مفاهيم تثير تصرفات ومخاوف تفسر على أنها ذات دوافع طائفية والنمط الذي يجري في تفعيل الطائفية في السياسية ولم تنشأ الأنظمة العربية القائمة علاقات مواطنة مع الأفراد بل فرضت نفسها كجماعة "طائفة"، إضافية في علاقات تنافس مع الطوائف والكيانات الاجتماعية الأخرى (أميل بدارين، ص 27) وعادة ما يميز الباحثين بين نوعين من الطائفية هما (إحسان محمد: 1999، ص 379) الطائفية السياسية أو طائفية السلطة، والمقصود هنا هو أن تتبنى السلطة وتتمحور على أساس طائفي بما يخدم الجماعة التي تنتسب إليها مجموعة الحاكمين والمرتبطين بالسلطة واعتماد للتمييز الطائفي بحسب امتيازات وحقوق الطوائف الأخرى وغالباً ما يتم التعبير عن طائفية السلطة بصيغ دينية في محاولة لإضفاء نوع من الشرعية على سلوكها السياسي والطائفية الدينية ويقصد بها تقسيم المجتمع إلى طوائف مذهبية أو دينية، وتتمحور كل طائفة على نفسها وتعصبها لذاتها، وإيجاد حواجز اجتماعية واقتصادية وأمنية لحفظ وجود هذه الجماعة، والسعي لإضعاف وانتقاص الجماعات الأخرى بكل الوسائل المتاحة وقد تكون للسلطة يد في إثارة الطائفية الدينية وتأجيجها وذلك حسب مصالحها وقد اقترنت الحالة الطائفية في العراق بأوجه مقبلة عرفها العراق على طول تاريخه السياسي بحكم معاناته من هذين النوعين من الطائفية.

المبحث الثاني:

أسباب الطائفية السياسية في العراق بعد التغيير والخلاف السياسي: تجسدت الطائفية السياسية بعد سقوط النظام السابق بشكل أكثر وضوحاً من خلال الحاكم المدني بريمر مع وجود جماعات سياسية متواجدة ضمن اطار الدولة ما زالت تتطبع بطابع طائفي وعشائري وقومي، بمعنى آخر ان ما أظهرته الساحة السياسية المعاصرة من تحالفات وتحزبات طائفية عرقية ألغت أية إمكانية لظهور منافسة سياسية حقيقية بعيداً عن انتماءاتها الضيقة التي ستقضي على أية صيرورة مجتمعية ووطنية حقيقية (عزمي بشاره: 2007، ص161) من المعروف ان العناصر الاجتماعية مثلما يمكنها ان تلعب دوراً إيجابياً في بناء الدولة يمكنها أيضاً إعاقة البناء حينما تلغي دور العقل في التصرف، والواقع العراقي الحديث والمعاصر قد افرز جماعات مختلفة اختلفت في الرؤى وعلى الرغم من ان الاختلاف مظهر طبيعي في الاجتماع الإنساني بل هو الوجه الآخر لواقع التعدد، وان الأصل في الحياة هو الاختلاف، إلا ان الجماعات المختلفة المكونة للكيان الاجتماعي قد يؤدي بها التنوع والتعدد إلى اختلاف حاد في قضايا مهمة لا يصلون معها إلى إيجاد أية حالة من التفاعل والتعايش وقبول كل منهما الآخر بل يبنون جسور عالية من عدم الثقة بالآخر ووجوده التي تصل بهم إلى ضرورة حذفه والاستفراد بكل مكونات الكيان وحقوقه (محمد محفوظ: 2004، ص58) فاتساع الهوة بين الطوائف التي تمتلك القوة والثروة والمركز وأخرى تفتقر إلى كل ذلك، يعمل على تفعيل الطائفية في نفوس أعضاء الطوائف المغبونة ويدفعها إلى التحصن والاحتواء بسور الطائفة من استبعاد وقوة الفئات المسيطرة، الأمر الذي يعزز من شعور أفرادها بالانتماء الجماعي، فضلاً عما يوفره ذلك من شعور بالأمان، والتماهي مع كيان الطائفة الجماعة يقابله تزايد الإحساس بالغرابة تجاه الدولة (أحمد شكر: 2000، ص86) وفي ظل هذه الأجواء المشحونة طائفيًا يصبح لكل طائفة أحزابها وتنظيماتها الخاصة بها، كما تتعزز التفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات وتتمتع بعض الطوائف على حساب الطوائف الأخرى بالنفوذ والجاه والثروة والمكانة الاجتماعية والتدخل الخارجي من قوى أجنبية تعمل على ترسيخ هيمنتها، أضف لذلك يصبح لكل طائفة مرجعية خارجية تعمل في المدى البعيد على مزيد من التجزئة (حليم بركات: ص438) لذا فإن ظهور واقع اجتماعي قائم على احتكار طائفة لامتيازات والثروة والسلطة هو الذي يمهّد الطريق لنجاح بعض الزعامات الطائفية في توظيف تلك البنية الثقافية سياسياً، وفي تعبئة أفراد طوائفها سياسياً من خلال خلق وعي طائفي ميسر (الطائفية السياسية) يتداخل فيه العقائدي بالسياسي وتسخير ذلك الوعي لتحقيق مصالح فئوية، حزبية أو شخصية وهناك عوامل ساعدت على تعزيز ظهور الطائفية السياسية ومنها:

العوامل الداخلية: ضعف الهوية الوطنية وظهور الهويات المتعددة:

أن ضعف الهوية الوطنية يسهم في تحلل الانتماء الوطني وعرقلته من زاويتين أحدهما تقزيم الانتماء والهوية الوطنية من خلال الامتداد المكاني للطوائف السياسية، وقد ينعكس ذلك في شعور الفرد بالقرابة الروحية لابن طائفته الموجودة في بلد آخر، حينما يتسع ذلك الشعور بالنسبة إلى امتداد الطائفة في المكان، فالسني مثلاً قد يشعر بقرابة روحية حيال السني في بلد آخر أعمق من تلك التي يشعر بها حيال الشيعي في بلده، والأمر نفسه يصدق على الشيعي أيضاً أو على ميل الطوائف المسيحية إلى الغرب المسيحي (نصيف نصار: 1977، ص143) والأهم من ذلك تقاطع الرؤى السياسية للنخبة وجعلها تمارس أساليب التشهير والسقيط السياسي للخصوم السياسيين وهذا الأمر الذي ينعكس سلباً على نظرة الشارع العراقي لهذا الطرح السياسي فأخطر ما في الائتلافات الطائفية السياسية هي ستعيد الاصطفاف الطائفي السياسي ومن ثم الديني، إذ ستزيد الشحن الطائفي وستجبر أتباع كل طبقة سياسية أن يظلوا في تلك الدائرة التي عينت لهم مسبقاً بانتمائهم وليس باختيارهم، وأن يظلوا تابعين لأقطاب العملية السياسية الطائفيين، إذ أن أغلبية الأحزاب والمنظمات السياسية في العراق بعد التغيير، تأسست على أساس الانتماءات الدينية أو الأثنية وقليل منها على أسس ايدلوجية، وتتشكل على ثلاثة مستويات من الهويات وهي: (معتر اسماعيل: 2014، ص147)

1- الهوية الطائفية الأثنية (الأكراد، والشيعية، والسنة، والتركمان، والأشوريون).

2- الهويات الصغرى (القبيلة والعائلة والمدينة والمنطقة).

3- الهوية العابرة للطوائف (الوطنية، العراقية، الطبقات العليا، الطبقة الوسطى، الطبقة العاملة، المتكافئة على أساس الانتماء الطبقي والمصلحة الاقتصادية) وتتقاطع هذه الهويات لترسم الإطار الطائفي السياسي والاثني المتراص في الظاهر ويكون وهشاً ومعقداً في الواقع (فريق أبحاث: 2007، ص8).

التعصب السياسي: إن التعصب والتطرف لا يقومان على أساس من الدين في جوهره الأصل وإنما على أساس النزعة التي تدفع إلى تبني أسلوب مغلق في التفكير والسعي إلى إلغاء الآخر (سمير نعيم وآخرون: بلا، ت، 218) فالشخص الذي يظن أنه يمك بزمام الحقيقة المطلقة من الصعب عليه أن يتحاور مع الآخر أو يتمثل قيم المسامحة، وما يعده صورة مثالية لتلك الشخصية "وتسود المجتمع عقائد وتصورات وقيم وأوضاع كلها مغايرة لعقيدته وتصوره وقيمه، فلا يفارقه شعوره بأنه الأعلى وبأن هؤلاء كلهم في الموقف الدون وينظر إليهم من عل في كرامة واعتزاز وفي رحمة كذلك وعطف ورغبة في هدايتهم إلى الخير الذي معه ورفعهم إلى الأفق الذي يعيش فيه"

(سيد قطب: 1999، 687) ويتداخل هذا البعد الاعتقادي مع البعد النفسي الاجتماعي في كيان الطائفة السياسية يتضاعف التعصب الطائفي، فالطائفة لا تكون طائفة إلا إذا ذابت شخصية الفرد في كيانها الاجتماعي، والمتعصب يسعى لتأكيد ذاته من خلال هدم الآخرين، لا ينظر إلى ذاته الشخصية، وإنما إلى ذاته المستمدة من رأي الجماعة التي ينتمي إليها، وإعلانه هذا الرأي فوق آراء أية جماعة أخرى. فهو هنا يمحو شخصيته وفرديته ويذيب عقله وإحساسه في الجماعة التي ينتمي إليها بحيث لا يحس بنفسه إلا من حيث هو جزء من هذه الجماعة (فؤاد زكريا: 1988، ص 103، 102).

ضعف الدولة: ومن خلال المتابعة يتبين لنا بعد انهيار مؤسسات الدولة العراقية التي كانت مبنية على أساس الحزب الواحد في ظل النظام السابق والذي سبقه أيضا وأصبحت الساحة العراقية في فراغ سياسي ومن يتقدم للعمل السياسي يجد مكانه في بداية الأمر واصبح تشكل الأحزاب أمراً مشروعاً بعد ما كان محرماً في الساحة العراقية بل يصل إلى حد الإعدام وأن الدولة العراقية باتت ضعيفة جداً ومكبلة الأطراف ولا يمكن لمن يتسلم السلطة السياسية قادر على فك الاشتباك والتناحر السياسي بين الخصوم الجدد السياسيين حتى وصل إلى الصراع الطائفي ومرحلة المواجهة المسلحة، هنا تضعف أو تنهار حصانة الدولة ضد التدخلات الخارجية أو قد تنهار الدولة بشكل كامل، ولنا في التجربة اللبنانية في السبعينات والثمانينات نموذجاً حياً على ذلك، لذا لا غرابة أن يدخل مصطلح اللبنة "Libanisation" للتعبير عن إمكانية تحول التعايش السلمي في المجتمعات التعددية إلى نزاعات دموية وحروب أهلية مدمرة، ومن أبرز الشروط الضرورية لذلك التحول (مسعود ظاهر: 1999، ص 687)

أولاً: وجود دولة مركزية هشة وضعيفة وغير قادرة على حماية نفسها من التفكك والانهيار تحت وطأة التناقضات الداخلية.

ثانياً: قيام الدولة المركزية على أسس غير ثابتة، ومن ثم الاحتكام إلى الأعراف والتحالفات المرحلية بين الزعماء السياسيين وعدم السعي الجدي إلى بناء دولة القانون والمؤسسات الدستورية التي تساوي بين جميع المواطنين.

ثالثاً: إن النزاعات الداخلية التي يتم التحذير منها على أساس (اللبنة) هي النزاعات التي تدار من أطراف إقليمية مجاورة أو قوى خارجية ذات مشروع سياسي واضح المعالم في المنطقة، وهنا تتحول النزاعات الطائفية إلى نزاعات خارجية لا تصب بالضرورة في مصلحة الزعماء المحليين الذين يشاركون فيها، بل إن تجارب الحرب الأهلية اللبنانية قد دلت على إمكانية التخلص من هذا الزعيم الطائفي أو ذاك من جانب القوى الإقليمية التي ساندته وأوصلته إلى السلطة.

سلوكية الأنظمة السياسية قبل التغيير:

عمدت الأنظمة السياسية قبل التغيير إلى تغيب مفاهيم حقيقة الانتماء وفق حقوق المواطنة وإبراز سلوكيات استندت بالدرجة الأولى على أسس طائفية وسياسية بوجه جديد لتحرم قطاعات من المجتمع العراقي من حقوقهم في الشراكة في الوطن الواحد، الأمر الذي ولد لدى هذه القطاعات شعوراً بالضعف والاغتراب الوطني ومن ثم العودة إلى الذات والانضمام لا شعوريا إلى الطائفة السياسية التي تكون قريبه من المواطن جغرافيا بالدرجة الأولى ومن ثم عقائدياً ، لذلك عزا عدد من الباحثين (العادلي:2004، ص1) سبب تصاعد الصراع السياسي الطائفي إلى عجز النظم الحاكمة في إدخال معايير الانتماء والمواطنة إلى عقول وقلوب المواطنين وبناء سياسة المشاركة والحوار، الأمر الذي دفع بشكل طبيعي إلى انهيار المجتمع والدولة بعد سقوط النظام وعودة أفراد المجتمع إلى ذواتهم المذهبية. هذا إلى جانب اتباع الأنظمة السياسية السابقة لسلوكيات التضييق والتهميش لقطاعات المجتمع وتحجيم دورها كمكون أساسي داخل المجتمع وحرمانها من الاندماج في المكون الأكبر "الدولة"، الأمر الذي خلق لدى هذه القطاعات أو المكونات ردود فعل من الانكماش والانطواء على الذات دون الآخر الذي يصاحبه تمسك غير طبيعي بانتماءاتهم الفرعية والمذهبية.

ولا نبتعد عن الحق كثيراً إذا قلنا ان السياسة لعبت وما زالت تلعب دوراً كبيراً في افرازا الطائفية بالمجتمع العراقي، فالتمييز الطائفي وليس الانتماء لطائفة هو ما يجعل الإنسان طائفيّاً، وهذه السياسة هي التي يتم من خلالها استغلال جماعات فئوية طائفية للدين والمذهب محاولة تدمير ركائز وقيم المجتمع والدولة (الربيعي:2007، ص105).

العوامل الخارجية:

الاحتلال الأمريكي: سعت الولايات المتحدة الأمريكية على إثارة النزاعات الطائفية والعرقية هو جزء من استراتيجية الولايات المتحدة والكيان الصهيوني بغية تقسيم منطقة الشرق الأوسط والمشرق العربي تحديداً إلى كيانات عرقية وطائفية لتأمين مصالح الدول الكبرى وحماية الكيان الصهيوني (فرسخ: بلا، ت، ص ص63-92)(الجاسور:1998، ص24-54) أو تتدخل أحياناً تحت غطاء دولي باسم حماية حقوق الإنسان أو حماية الأقليات. وهناك بعض الباحثين من يصر على أن كل مظاهر أزمة الهوية في العراق من القبلية والعرقية والمذهبية إلى الطائفية السياسية التي افرزها الاحتلال الأمريكي الذي نسف فلسفة الحزب الواحد الذي يحكم في أي بلد وهذا انسحب على ليبيا وتونس وغيرها بحجة الربيع العربي ، حيث انطلقت الطائفية كباقي المؤسسات التقليدية والولاءات دون

الوطنية أو فوقها كالعشائرية والقومية والإسلامية في العراق بعد التاسع من نيسان/ 2003، بسبب الفراغ الأمني والسياسي الذي ولده انهيار الدولة التي وجاء نشاط التشطي الطائفي موازياً لضعف مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، لأن الاحتلال شجع الولاءات دون الوطنية وحفز حراك المجتمع وفق الأفكار الطائفية (لعبي: 2007، ص46) ويقول باحث آخر أن الولايات المتحدة وعموم العالم الغربي مهدوا لتفكيك رموز الهوية العراقية وكانت أولى مهام الاحتلال في العراق استئصال الفكر الوطني ومفهوم المواطنة وتقسيم العراق على أسس المحاصصة الطائفية، وأول من تبني خطاب الانتقال من مفاهيم الوطنية إلى مفاهيم الطائفية هي إدارة الاحتلال الأمريكي ذاتها ليتبنها في ما بعد قادة العراق الجدد، ومن ثم وسائل الإعلام العربية والغربية، وتلا ذلك التركيز على مفردات شيعي وسني وكردية التي لم تكن متداولة قبل الاحتلال في الخطاب السياسي، بل كانت مستهجنة (الزبيدي: 2006، ص62) ولتحقيق مصالح سياسية للحزب لا بد من الاستعانة بايدولوجية الحزب في الخارج وهذا ما لمسناه من تدخل خارجي في الشأن العراقي بحجة الطائفة الدينية أو قد يتخذ ذريعة من قبل السلطة لتهميش شخصيات جزييه داخله في الدولة الجديدة ومعينة بالولاء للخارج وتبرير تهميشها أو تهجيرها، وقد وجد ذلك صده عربياً في النظرة السلبية إلى الأقليات اليهودية عقب قيام الكيان الصهيوني من تبرير وتهجير اليهود بأعداد كبيرة، أو في النظرة إلى الشيعة من جهة ارتباطهم بآيران، أو السنة وارتباطهم بالمحيط السني وإلى الأقليات المسيحية من جهة ارتباطها بالغرب وبهذا تبينت معالم رسم الطائفية السياسية في العراق.

الدول العربية: كان من المفروض بعد سقوط النظام السابق ان تبلور الحكومات العربية سياسات واقعية للتعامل مع التغيير الحاصل في الساحة العراقية بشكل يساعد ساسته الجدد في الخروج من الأزمات المتعددة التي أغرق العراق فيها ليكون قاعدة لم شتات جميع مكونات المجتمع العراقي ودفعه نحو بناء ذاته في إقامة حكم دستوري ديمقراطي مدني مبني على أساس عقد سياسي اجتماعي جديد يضم كل العراقيين. إلا ان الواقع افرز مواقف عكس ما كان يأمله العراقيين، فلقد تعالت أصوات غالبية أنظمة الدول العربية في إقامة الديمقراطية في العراق وبرزت مقولات عديدة من جانبها بينت النفس الطائفي لدى معظم قيادات الدول العربية، كما انهم شنوا حملات إعلامية تشويهية للوضع العراقي. فضلاً عن دعم بعضهم للعنف في العراق والتي كان لها رد فعل كبير لما حصل من تطورات في العراق والتي أدت إلى تأزم الوضع العراقي الداخلي، هذا إلى جانب ان احد اهم أسباب سوء الأوضاع بالعراق والتأخر في بناء الدولة العراقية هو تعرقل العلاقات الإقليمية عبر خلق محاور إقليمية تعتمد الطائفية أساساً لها وهكذا تجلت العقلية الطائفية السياسية والنظرة الدونية

للمختلف الآخر مذهبياً راسخة في أذهان معظم صناع القرار السياسي العربي ومثقفهم، وما قرار مقاطعة القذافي قمة الرياض العربية في 4/4/2007، إلا خير مثال على ذلك حينما أكد أنها قمة تحدث انقساماً بين المسلمين مصرحاً بالنص "لن اشترك في مؤامرة تشق الإسلام وتحوله إلى إسلامين، إسلام شيعي وإسلام سني".

دول المحيط العراقي : المواقف الإيرانية تجاه العراق غالباً ما تكون بمصالح ذاتية فلم تكن إيران صاحبة علاقة حميمة مع العراق فسبقاً أعلن الشاه أن الخليج العربي بأكمله هو محور لتنفيذ عمليات الجيش الإيراني وحاولت إيران وبقوة دعم التمرد الكردي بقيادة مصطفى بارزاني (حسين طوالبه: 1984، ص6) لكن إيران في حرب 2003م مارست ما يسمى بالحياد الإيجابي على الرغم من سقوط عدد من الصواريخ الأمريكية على أراضيها أثناء الحرب (عبدالجبار أحمد: 2007، ص14) بالاعتماد على أن لا مصلحة لإيران في المواجهة مع الولايات المتحدة وليس باستطاعتها أن تمنع الحرب أو الانضمام إلى القوة المستهدفة لأن مصلحة إيران التخلص من النظام السابق وفي الوقت ذاته بناء نظام سياسي عراقي جديد.

وهذه السياسة تنعكس بالدرجة الأساس على مخاوف إيران من الاستهداف العسكري الأمريكي لها، وهذه السياسة هدفها أيضاً المحافظة على دور إيران الإقليمي وبالرغم من أن إيران اعترفت باحتلال أمريكا للعراق وأن ما يصدر عن المحتل يعتبر غير مشروع إلا أنها كانت أول دولة مجاورة اعترفت بمجلس الحكم الانتقالي واعتبرته الخطوة الأولى نحو تسلم العراقيين مقاليد الحكم فأيران تعاطت مع واقع 2003م بإيجابية من خلال الاعتراف بمجلس الحكم لكن بمرور الوقت تلكنت العملية السياسية بكثافة التداخلات الإقليمية والدولية والسلوك الأمريكي الخاطئ، ظهر الجدل حول الدور الإيراني، فمنهم من اعتبره الأسوأ من الاحتلال الأمريكي وهذه وجهة نظر العرب ومنهم من يقر على أنه تدخل سلبي يقلق الأمن ويدعم العنف كما حال الرؤية الأمريكية و من ثم اتهام إيران لعرقلة التحول الديمقراطي لتخوفها من وصول الزحف الأمريكي لها، ولهذا كان تدخل إيران في الشؤون العراقية ليكون تدخل مباشر.. مثل تصريح الرئيس الإيراني أحمد نجاد بملء الفراغ بعد الانسحاب الأمريكي من العراق، دليل على التغلغل الإيراني في العراق تدخل غير مباشر.. دعم الطبقة السياسية في العراق والمحاولة لتوسيع حجم نفوذهم في صنع القرار السياسي العراقي.

أما الدور التركي لا يختلف عن الدور الإيراني في التعامل مع الحالة العراقية والتعامل وفق المصالح الذاتية التركية هي المحور الأساسي لسياستها الخارجية في التعامل مع الشأن العراقي، فبعد 2003م

إذ أصر الأتراك على بقاء العراق موحداً وان لا يتفتت إلى جيوب ودويلات على أساس عرقي أو طائفي وتفضيل وجود حكومة مركزية قادرة على إعادة الاستقرار السياسي وعلى درجة كافية من القوة المكافئة لإيران في المنطقة مستقبلاً أو حتى ظهور الدولة الدينية وتعتبر كركوك القضية الأهم لتركيا حيث أنها ترفض انضمام كركوك لإقليم كردستان مؤكدة ان كركوك ذات غالبية تركمانية، وقد وصل الأمر إلى اطلاق قادة الجيش التركي تهديدات للقادة العراقيين في حال انضمام كركوك لكردستان العراق، فالموقف من قضية كركوك انعكس على موقفها في الانتخابات النيابية في 31/1/2005م حيث يرى الأتراك ان تلك الانتخابات لم تترجم تمثيلاً عادلاً لمختلف الفئات الدينية والقومية وطالبت بإعادة التوازن في تلك الانتخابات وتركيا قد لا تعاني من اضطرابات داخلية سوى حركات حزب العمال الكردستاني، ومن هنا نقول دول المنطقة كافة تدعم أما العنف أو الاستقرار في العراق حسب المصالح الخاصة للدولة وفلسفتها في الحكم ومثال على ذلك تركيا التي تمتلك موقفاً متشجعاً تجاه قضيتي حزب العمال الكردستاني وقضية كركوك.

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على ظهور وممارسة الطائفية السياسية واستراتيجية الحل.

لا يمكن تجاهل الأثر المترتب على ظهور ونمو الطائفية السياسية في أي مكان حتى لو كان من نسيج اجتماعي وديني ومذهبي واحد، لا بد أن يكون تأثير على رسم خارطة سياسية لهذا البلد والعراق ليس بمعزل عن دول العالم ذات الطيف السكاني المتنوع من الدين إلى المذهب إلى السياسية، ولا يمكن فك هذا الاشتباك في التنظير الإعلامي والسياسي لا بد أن يكون وفق قنوات من أصحاب الرأي وصناع القرار السياسي ويمكن أن يكون له تأثير مباشر في رسم وصنع السياسات العامة للبلد منعاً من الاحتدام والاقتتال على القيم والمبادئ السياسية وبعض الدول قطعت شوطاً طويلاً في سبيل عبور هذا النفق المظلم والذي يتحمل مسؤوليته من بيدهم القرار، ومن هنا لا بد أن نوجز بعض النقاط التي يمكن أن تكون مفاتيح لحل الطائفية السياسية واستراتيجية الحل في العراق:

1 - إقرار الأطراف الداخلة في العملية السياسية أن جوهر الأزمة العراقية سياسية تتمثل في أزمة حكم ولا بد ان يكون البناء السياسي بصورة صحيحة على أنقاض النظام السابق وفق معطيات وأسس مشتركة لتكون لدى الجميع القناعة التامة والحاجة الماسة إلى الديمقراطية الصحيحة التي تضع كل حزب أو فرد حسب مكانه الصحيح ومن خلالها يمكن تحقيق العدالة والمساواة وتقليص الفجوة الواسعة بين الأطراف الحزبية والشعبية والأطراف الرسمية وقادة الرأي.

2 - السعي لتجفيف منابع ثقافية الطائفية السياسية ويكون حل أمثل لإشكالية العلاقة بين الدين والدولة، ولا يعني التأكيد على الفصل التام بين الدين والدولة بقدر ما يعني تمكن الدولة لتكون إطاراً موحداً وممثلاً لكل الأديان والمذاهب بلا تمييز، أما الحل (تمكين السيادة الوطنية العراقية) وإنعاش الهوية الوطنية بكل تفاصيلها.

3 - ممارسة الديمقراطية الصحيحة هي الحل الأمثل لمشكلة الحكم ومنع احتكار السلطة لدى طائفة سياسية واحدة، كما إن التشاركية في رسم السياسة الوطنية تكفل بظهور ممارسة ديمقراطية سليمة وصحيحة بعيداً عن التخندق الطائفي السياسي مما يؤدي إلى انحسار الثقافة الطائفية والخطاب السياسي الطائفي، وتلاشي تأثيرهما في الحياة السياسية، وإن نجاح هذا المشروع مرهون بوجود فضاء وطني يضم النخب والكفاءات السياسية المتحررة من عقد الماضي ومن سلبياته، وبعيدة كل البعد عن لوثة الطائفية السياسية وعن التفكير بعقلية الغالب والمغلوب، أما مؤشر النجاح الحقيقي لهذا المشروع فهو الوصول بالثقافة السياسية للمواطن إلى المرحلة التي يصبح فيها غير مهتم تماماً بالسؤال عن طائفة المرشح أو القومية التي ينتمي إليها أو دينه، بقدر اهتمامه بالسؤال عن التزامه بالبرنامج السياسي للحزب الذي ينتمي إليه ليكون المواطن هو الحاكم على سياسية الأحزاب في الساحة العراقية .

4 - معالجة الطائفية السياسية تتطلب سعي حثيث وطويل من جانب المشرع في البرلمان ليكونوا منصف لتاريخ السياسية العراقية وتكون نموذجاً في التعامل الديمقراطي بعيدة عن الطائفية السياسية التي ضربت الفكر السياسي العراقي وجعلته في حيرة من الأمر.

5 - أهمية العمل على نشر ثقافة التسامح السياسي والإخاء الوطني مع التأكيد على تحول المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية ودور العبادة إلى منابر لنشر هذه الثقافة والتعايش في ظل تعدد الأفكار السياسية، ومحاربة ثقافة العنف والتكفير.

6 - وعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي فمن الأهمية بمكان إلغاء أو تخفيف حدة الفروق الاجتماعية والاقتصادية، فهذه الفروق هي التي توفر مناخاً مناسباً وتسهم في ديمومة التوترات الطائفية، وبهذا المعنى فإن التطور الاقتصادي إذا ما وزعت ثماره بالتساوي يغدو عاملاً مخففاً للتوترات الطائفية، وعلى المستوى القانوني تبرز أهمية التأكيد على وحدة النظام القانوني مع

أهمية النص في قانون الأحزاب والجمعيات وقانون الانتخابات على حظر تشكيل أحزاب أو جمعيات على أسس طائفية أو عرقية، وحظر استخدام دور العبادة والرموز الدينية في الدعاية الانتخابية والحزبية، وإصدار قانون ينص على تجريم العمل على ترويح الطائفية في المجتمع.

7 - ويمكن أن نعطي أهمية لهذا العنوان وعلى الصعيد السياسي التأكيد على دعم مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الخاصة بالدولة العراقية كأطر وطنية جامعة وبديلة عن الخارطة السياسية التقليدية والقبلية والطائفية والعرقية، كما يجب على القيادة السياسية ان تنننا بنفسها من التدخل في الانقسامات والصراعات الداخلية بحيث تكون حكماً محايداً وليست طرفاً أصيلاً فيها، وأن تعبر في خطابها وممارستها عن الوعي السياسي للفضاء الوطني العراقي وحاجاته الأساسية في الابتعاد عن النهج السياسي.

8 - ضرورة العمل على نشر فكر التسامح والنقد في مناهج الأحزاب التي ظهرت بعد عام 2003، وإعادة النظر في سلوك الأفراد والجماعات وقيمها والغايات التي تخضع لها الثقافة السائدة في المجتمع وأسباب الانقسام والتعصب السياسي والتسامح والتعايش السلمي المنشود لكل ثقافات السياسة في العالم.

9 - يمكن لنا بقيام جهد سياسي واجتماعي وثقافي عالي المستوى لتنمية الشعور بالهوية الوطنية لدى مختلف شرائح المجتمع مهما كانت انتماءاتهم العرقية والطائفية من خلال تعزيز مبدأ المواطنة في سياق دولة مدنية حديثة تحرص على ضمان احتياجاتهم الأساس بأكبر قدر ممكن بالشكل الذي يوقظ لديهم الإحساس الوطني وضرورة مقابلة حقوقهم بالواجبات الملقة على عاتقهم في إرساء تلك الدولة المدنية.

الخاتمة: تعد قضية الطائفية السياسية من أهم القضايا المثارة محلياً وإقليمياً في الوقت الراهن، لذلك يكاد البحث فيها من أهم الخطوات الضرورية التي لا بد ان تبدأ بغاوين الموضوعية والعلمية ونبدأ كل العناوين التي تدعو إلى الانحياز لجانب أو جهة سياسية ونستنتج من خلال ما تقدم ان الحياة السياسية المتعددة للأحزاب مشكلة أفرزت مرض التعصب السياسي ورفض التعايش وتلاقح الأفكار مع المختلف ومحاولة إقصائه عن كافة حقوقه بسبب انتمائه لمذهب ديني أو فكر معين غالباً ما يبدأ بالتهميش وينتهي بالتضييق على حرياته الفردية والذي يعزز الشعور في الطائفية السياسية مما يؤدي إلى استخدام بعض الأساليب المادية من التكفير والتقتيل تجاه الأطراف الأخرى.

المصادر:

- 1 - إحسان محمد حسن. "1999". موسوعة علم الاجتماع. ط1. الدار العربية للموسوعات. بيروت.
- 2 - أحمد شكر الصبيحي. "2000". مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 3 - أميل بدارين. "2014". المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت. لبنان.
- 4 - حسين درويش العادلي. "2004". العراق ومناشئ الصراع. مجلة النبأ. العدد 71.
- 5 - حسين طوالة. "1984". مناقشة في النزاع العراقي — الإيراني. مطبعة الوطن العربي. بيروت.
- 6 - حليم بركات. "2000". المجتمع العربي في القرن العشرين. تغير الأحوال. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 7 - رشيد عمارة ياس الزبيدي. "2006". أزمة الهوية العراقية في ظل الاحتلال. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 8 - سعد الدين إبراهيم وآخرون. "1996". المجتمع والدولة في الوطن العربي. ط2. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 9 - سمير نعيم احمد. "بلا، تاريخ" المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 10 - سيد قطب، معالم في الطريق. "بلا، تاريخ". دار دمشق للطباعة. دمشق. سوريا.
- 11 - عبد الجبار احمد. "2007". آليات منع الحرب الأهلية في العراق. مجلة العلوم السياسية. العدد 34. كلية العلوم السياسية. جامعة بغداد.
- 12 - عزمي بشارة. "2007". في المسألة العربية مقدمة لبيان ديمقراطي عربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 13 - علاء اللامي، الظاهرة الطائفية في العراق الربط
. <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=2620>.
- 14 - علي حسن الربيعي. "2007". تحديات بناء الدولة العراقية: صراع الهويات ومأزق المحاصصة الطائفية. سلسلة كتب المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 15 - غريب سيد احمد وآخرون. "2000". الدين والطبقات الاجتماعية. ط2. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 16 - فرهاد إبراهيم. "1996". الطائفية والسياسة في العالم العربي. ط1. مطبعة مدبولي. القاهرة.
- 17 - فؤاد زكريا. "1988". التفكير العلمي. ط3. سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون. الكويت.

- 18 - فريق أبحاث. "2007"، ديناميكيات النزاع في العراق تقييم استراتيجي. معهد الدراسات الاستراتيجية. بيروت.
- 19 - محمد قاسم لعبيبي. "2007". الطائفية ومشروع الدولة العراقية الحديثة. مجلة مدارك، السنة الثانية. العدد 5.6. بغداد.
- 20 - مسعود ظاهر. "1999". الرفض المتبادل بين الطوائف اللبنانية. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
- 21 - معتز إسماعيل خلف الصبيحي. "2014". صنع القرار السياسي في الديمقراطيات التوافقية العراق نموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية. جامعة النهرين. بغداد.
- 22 - محمد محفوظ. "2004". الحرية وقضايا الحوار في الراهن العربي. مجلة المنهاج. القاهرة.
- 23 - مهدي الشرع. "2008". المكونات السياسية للطائفية في العراق. مجلة شؤون مشرقية. العدد 1. مركز المشرق. بيروت.
- 24 - ناظم عبد الواحد الجاسور. "1998". الأمة العربية ومشاريع التفتيت. ط1. الأهلية للنشر. عمان.
- 25 - نصيف نصار. نصيف نصار. "1977". نحو مجتمع جديد مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي. ط3. دار الطليعة. بيروت.



الخطاب الطائفي وأثره على الامن الوطني العراقي

م.م. فاطمة جاسم محمد
كلية المعارف الجامعة/ قسم القانون

أ.م.د. فلاح مبارك بردان
مركز الدراسات الإستراتيجية جامعة الانبار
dr.falah.policy78@gmail.com

Religious and political extremism in a multi religions and ethnicities, like post-2003 Iraq, is one of the main bearings on the deterioration of security which would subsequently lead the individual away from national identity and citizenship into a recoil into sectarian and ethnic belonging. This would eventually lead to the loss of the main basis of sustainable security because any security to be achieved in such a society in crisis is far from being stable and might collapse at any internal or external danger

أن بث الخطاب الطائفي داخل مجتمع متعدد الأديان والثقافات والخلفيات الفكرية والعقائدية، لاشك انها ستكون عامل عدم استقرار في المجتمع وتؤدي بالفرد إلى أن ينسلخ من مجتمعه نحو الانزواء الى هويته الفرعية دون الوطنية وبالتالي نقد أهم ركائز تحقيق التعايش السلمي، وأن الأمن الذي يتحقق في ظل مجتمع متطرف هو أمن قلق غير مستقر وموقت ينتظر أي حافز خارجي أو داخلي حتى ينهار.

وقد شهد العراق بعد عام 2003 تحديات جديدة تمثلت بتغليب خطاب الطائفية، على حساب الخطاب الديني والسياسي الوطني وتغليب الانتماءات الفرعية والأجندات الخارجية على حساب الانتماء الوطني مما يؤدي الى خلق بيئة غير آمنة أو مستقرة يغلب عليها طابع العنف والإرهاب. فالخطاب الديني والسياسي الوطني من شأنه ان يعمل على صهر الانتماءات الفرعية في بودقة واحدة يكون الولاء الاول فيها للوطن وليس للقبيلة او الحزب او الطائفة ... الخ، وهذا بدوره يسهم في تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الانتماءات الفرعية الاخرى. وتتضمن اشكالية البحث الوصول إلى صياغة إستراتيجية مناسبة وكفيلة بتحقيق خطاب وطني يتحقق يساهم في الاستقرار المجتمعي. يطرح البحث وفقاً لمنهجية نظرية خطر تنامي الخطاب الطائفي في العراق وأثره على الأمن المجتمعي، فالوضع العراقي يثير العديد من التساؤلات حول حقيقة وجود تعايش سلمي أصلاً في ظل الانفلات الأمني والانهيار السياسي وتلاشي هيبة القانون وانتشار الجريمة بكل أنواعها، وطفغان نوازع العنف والعدوان وانتشار الفساد السياسي والإداري والمالي في أغلب مرافق الدولة.

ان إعادة بث الروح الوطنية بدلاً من الطائفية هو ضرورة أخلاقية ومجتمعية، لا سيما في المجتمعات المأزومة مثل المجتمع العراقي، وهذا الاعتدال في الخطاب الديني والسياسي واجه عقبات متعددة، وهناك امكانية لعودة لغة الاعتدال اذا ما توافرت الاليات المناسبة التي تكفل الحقوق للجميع لإعادة الثقة المتبادلة ما بين جميع مكونات المجتمع العراقي ككل وترسيخ السلم والامن والديمقراطية والتنمية المستدامة.

اشكالية البحث يواجه المجتمع العراقي حالياً مجموعة تحديات تمثلت بتغليب خطاب التطرف والكرهية والطائفية، وتغليب الانتماءات الفرعية والأجندات الخارجية على حساب الانتماء الوطني مما يؤدي الى خلق بيئة غير آمنة أو مستقرة يغلب عليها طابع العنف والإرهاب. فالخطاب الوطني الجامع من شأنه ان يعمل على صهر الانتماءات الفرعية في بوتقة واحدة يكون الولاء الاول فيها للوطن وليس للقبيلة او الحزب او الطائفة ... الخ، وهذا بدوره يساهم في تعزيز التعايش السلمي بين مختلف الانتماءات الفرعية الاخرى.

أهمية البحث: يطرح البحث مبدأ الاعتدال والوسطية ليكون حجر الزاوية في عملية التحول الديمقراطي والاستقرار السياسي والأمني، فالوضع العراقي يثير العديد من التساؤلات حول حقيقة وجود تعايش سلمي أصلاً في ظل الانفلات الأمني والانهيار السياسي وتلاشي هيبة القانون وانتشار الجريمة بكل أنواعها، وطغيان نوازع العنف والعدوان وانتشار الفساد السياسي والإداري والمالي في أغلب مرافق الدولة.

فرضية البحث: تنطلق فرضية بحثنا من فكرة مفادها أن مزعزعات الأمن في العراق كثيرة بعد متغيرات عام 2003 وبدون القضاء على مصادر هذه التهديدات ستكون أي حلول لاحقه هي مؤقتة وترقيعية وغير مجديه، وعليه فأن الطائفية هي المهدد الأخطر على العراق وبدون وضع استراتيجية وطنية تواجهه الطائفية سنبقى في دوامة العنف.

هيكلية البحث: يتضمن البحث بالإضافة الى المقدمة والخاتمة، ثلاث محاور اساسية:

المبحث الاول/ مفهوم الطائفية واسبابها ونتائجها: إطار مفاهيمي

المبحث الثاني/ أثر الخطاب الطائفي على السلم المجتمعي العراقي بعد عام 2003

المبحث الثالث/ الإستراتيجية الوطنية الفاعلة لمواجهة الخطاب الطائفي

1. مفهوم الطائفية وأسبابها ونتائجها: إطار مفاهيمي

من بديهيات البحث العلمي تحديد المفاهيم وتعريفها وتمييزها عن غيرها من المفردات والمصطلحات الأخرى لتكون انطلاقاً نحو البحث وعنصر أساس في تبيان الغايات التي نسعى للوصول لها والتي تضمنتها فرضية البحث خاصة وأن موضوعها يتعلق بمتغيرات سياسية وثقافية ودينية قد تتباين أبعادها من مجتمع إلى آخر وفقاً لخصوصيات كل مجتمع وتجاربه. لذلك، سنبحث في هذا المحور تعريف للمفاهيم الواردة وهي مفهوم الطائفية ومن ثم أسبابها ونتائجها على المجتمع.

1-1. مفهوم الطائفية

على الرغم من تنوع اشكال الطائفية ومستوياتها ومنابتها الاجتماعية وهي ظاهرة قديمة ترتبط بظهور الأديان والطوائف، لكن اشتدت أكثر بعد نهاية القرن الماضي وبعد بروز ظاهرة التطرف الديني بشكل خاص والتطرف السياسي بشكل عام، حيث أخذ العالم المتحضر يبحث عن الأسباب والدوافع لهذه الظاهرة السلبية وبدأ الحديث عن آليات العلاج للوصول بالمجتمع الطائفي نحو انتهاج الاعتدال الفكري والسلوكي كأساس ومحرك لا شعوري في التعامل الإنساني بين أطراف المجتمع. وعلى الرغم من الطائفية_ كما ذكرنا_ ليست جديدة النشأة أو غريبة على المجتمعات الإنسانية أو الدول، فهي تعود إلى بدايات ظهور الديانات والمعتقدات بين المجتمعات، لكن تختلف بوسائلها و بحجم التدمير الهائل الذي قد يتعرض له المجتمع وما يتبعه من تخلف وانحلال أخلاقي بسبب غياب الوطنية وبروز التطرف الديني والسياسي العنيف (فرانسوا شاتليه، 1981م، 13).

أولاً. الطائفية: التعريف والمفهوم

- الطائفة لغة: وتبدو كلمة «طائفة»، في أصل معناها المثبت في المعاجم اللغوية، كلمة ذات مفهوم فقير للغاية وذات ماصدقٍ شاسعٍ للغاية بالتالي ومتشعب. فأظهر معانيها أنها «القطعة» من أي شيء أو من أي مجموع. عليه لا تُشترط نسبة الطائفة إلى العاقل. وإنما يسعها أن تكون «طائفة من الليل» ويسعها أن تكون «طائفة من الحكماء». وهي، حين تميل إلى معنى المجموع، يُجيز لها هذا الميل أن تكون، مثلاً، «طائفة من شجر الصفصاف» أو «طائفة من بنات آوى». والجامع بين «الطائفة»، بهذا المعنى، و«الطواف» هو، على الظاهر، معنى الاقتراب والمحايثة وهو يشتمل على معنى الدوران حول شيء واحد ومعنى الخروج من الذات نحو هذا الشيء أو الموضع. فيصبح «طواف» المعتمر بالبيت الحرام أو طواف الخاطرة بالبال نوعاً من الإلمام ينطوي على طلب انتساب إلى

المطوف به من الطائف أو على طلب قبول لهذا في ذاك. ويصبح مفهوماً أن «الطوفان» هو إحاطة المياه بكل شيء وطغيانها على ما هو خارجها (بيضون، 2013م، 5).
أما اصطلاحاً، فتعرف الطائفية، بأنها تنشئة تقوم على الضغينة والنفاق تجاه الطرف الآخر، فهي تعتمد سياسة التمييز الطائفي بين المواطنين وتشجيع حالات الصراع المذهبي لأغراض سياسية (الصفار، 2009، 7).

وبالمقابل نجد هناك تعريفات إيجابية للطائفية باعتبارها مصطلح لا يدل على العدوان ولا القتال، وإنما تعصب في الانتماء إلى طائفة يحمل على استحسان مذهبها والدفاع عنه وذم غيره، ولو لم يكن كذلك لما اختار الشخص طائفة على غيرها من الطوائف ولا يلزم من طائفية الشخص الاعتداء على الآخرين، أي أنه من الطبيعي اعتبار الطائفية انتماء إلى فرقة أو مذهب معين، هذا الانتماء يقتضي الإعجاب بالطائفية التي ينتمي إليها الفرد إلى حد عدم القبول باتقادها بل وانتقاص الطوائف والمذاهب الأخرى، وحسب رواد الاتجاه الإيجابي للطائفية، لا يعيب من الطائفية مادام الخلاف لا يصل إلى حد الاعتداء والصدام مع الآخرين (العلواني، 2004، 36).

إذن نستطيع القول أنه من خلال التعاريف المختلفة يتضح لنا أن الطائفية مصطلح شديد التباين، فهي ظاهرة سينية بحكم نتائجها في الواقع، وفي جانبها النظري هي ظاهرة سليمة تتمثل في كونها حرية الإنتماء إلى طائفة معينة والدفاع عنها بلا قيود (غليون، 1979، 80).
الطائفية في الميزان الشرعي: وإن من صور التلبيس والتضليل اليوم ما يحصل من التلاعب بالمصطلحات ووضعها في غير موضعها واستخدام ذلك في تحسين القبيح وتقبيح الحسن. ومع ما في المصطلحات من فائدة كبيرة في كونها وسائل للتفاهم بأقصر طريق، وأوضح دلالة وأقل مجهود ما دامت لا تتعارض مع الكتاب والسنة ولا مع العقل والفطرة إلا أن قوماً تلاعبوا بها ووظفوها في التلبيس على الناس وإضلالهم فشوهوا بها الحق وزينوا بها الباطل.

والمصطلحات من أشد العناصر الثقافية أثراً وفتكاً في ثقافات الأمم ومع أن المصطلح لا يتجاوز كلمة أو كلمتين أو ثلاث ولا يتعدى ذلك إلا نادراً إلا أن هذه الكلمة بمدلولها الذي يرمي المتكلم بها لها أثر في تفريغ العقول والقلوب وملئها. وزودوها بما يشبه السحر الذي يستعصى فهمه على منطق العقل. وإن من المصطلحات التي يتلاعب بها اليوم ولا سيما في هذه السنوات الأخيرة ويلبس على الناس بها لتهدم عقيدة الولاء والبراء في قلوب المسلمين ولتقصي شريعة الله عز وجل عن الحكم ما

يسمى (بفتنة الطائفية) أو الحروب الأهلية ويطلق عليها بكثافة وأساليب متنوعة حتى باتت بهذا الطرح المكثف مكروهة ومنبوذة عند أكثر الناس دون إدراك لمغزى مشييعيها. وإبراء للذمة ونصحاً للأمة أذكر فيما يلي ما أحسبه الفهم الصحيح (للطائفية) ومتى تكون مقبولة ومتى تكون مرفوضة مستضيئاً في ذلك بالميزان الشرعي والمستمد من الكتاب والسنة الذي هدانا الله عز وجل له لا من موازين البشر الجاهلية المعوجة الضالة المضلة (الناصر، 2016، 2).

ثانياً. مفهوم الطائفية السياسية وأسبابها: تعرف الموسوعة السياسية الطائفية بأنها نظام سياسي اجتماعي متخلف، يركز على معاملة الفرد كجزء من فئة دينية تتوب عنه في مواقفه السياسية ولتشكل مع غيرها من الطوائف الجسم السياسي للدولة، وهذا النظام هو كيان ضعيف لأنه مكون من مجتمع تحكمه الانقسامات العمودية التي تشق وحدته وتماسكه، إذن هي نظام يحوي العديد من الطوائف ممثلة سياسياً في مجموعة من الأفراد، والذين يمثلون مجتمعين النظام السياسي وكونهم يتحدثون باسم الطائفة التي ينتمون إليها، فإن هذا يخلق انقساماً يبدأ من بنية النظام السياسي وكونهم يتحدثون باسم الطائفة التي ينتمون إليها، فإن هذا يخلق انقساماً يبدأ من بنية النظام السياسي لينتهي إلى طبقات المجتمع وبالتالي تخلق هذه الولاعات الطائفية انقساماً داخل الدولة، وذلك لكونها تحل محل الولاء الوطني الذي يوحد كافة الأفراد تحت مبدأ المواطنة (الكيلي، 1970، 768).

أسباب الطائفية السياسية: لكل ظاهرة مجموعة متنوعة من الدوافع والأسباب التي ساهمت في بلورتها، منها نابعة من داخل المجتمع وبعضها تتعلق بالتركيبة النفسية للإنسان وبعضها وافدة من خارج حدود الدولة، وبقدر تعلق الأمر بموضوع الطائفية السياسية وعليه سنتناول أهم الأسباب التي تؤدي إلى الطائفية ومنها:

العوامل الدينية: ونقصد هنا دور بعض رجال الدين أو المناهج والكتب والفتاوى الصادرة من رجال الدين والتي تبث الطائفية في المجتمع.

العوامل السياسية: تلعب السياسة دوراً كبيراً في تأجيج الطائفية فيما لو كانت الأحزاب السياسية تحمل أجندات خارجية وتعمل مصالحها الضيقة على حساب المصلحة الوطنية (الصفار، 2005، 15).

العوامل الثقافية-الاعلامية: تختلف المجتمعات بمستوياتها الثقافية والحضارية، حيث نجد بعضها تمتلك ارث حضاري من التعايش السلمي بين مجتمعاتها والبعض على العكس من ذلك فأن ثقافتها تنبذ الآخر، وهنا يكون باب لولوج الطائفية في المجتمع. هذا من جانب، ومن جانب آخر يلعب الاعلام دور حيوي في بث الروح الوطنية في المجتمع أو على العكس قد يعمل الى تفتيت المجتمع إلى طوائف وملل وفقاً لما يبثه الاعلام من رسائل للمجتمع.

العوامل الخارجية: كثيراً ما تكون الطائفية مصدرها يأتي من خارج الحدود، وهنا نكون امام اخطر أنواع الطائفيات التي تتسم بالعنف والتمرد ويصعب السيطرة عليها وتحجيمها لأنها تكون مرتبطة بإرادات خارجية تحمل اجندات معينة وبالتالي سيكون المجتمع رهين دول الجوار، وهنا تبرز التجربة الطائفية في العراق مثال واضح على دور العوامل الخارجية في تأجيج القتال الطائفي في العراق خاصة في عام 2006 و2007.

2. الطائفية وأثرها على السلم المجتمعي في العراق بعد عام 2003

تمثل الطائفية بأشكالها المتنوعة و التعصب لرأى أو تيار معين دون غيره من الآراء الأخرى، آفة العصر في منطقة الشرق الأوسط، وهذه تمثل حالة من الابتعاد عن الاعتدال بل المغالاة في التشبث بهذا الرأي والإصرار عليه أو الأفكار أو المعتقدات الدينية حتى لو كانت خاطئة أو نتيجة عدم إدراك أو وعى حقيقي بالمضمون الروحي والاجتماعي لتلك المعتقدات الدينية وطالما أن هذا الفكر الطائفي لم يأخذ أو يخرج كنمط فكري إلى حيز الفعل أو السلوك العنيف فلا يقع تحت طائلة القانون الجنائي وهذا يعنى انه لم يأخذ شكل الإكراه أو استخدام القوة في نشر وفرض هذه الأفكار وإشاعة الذعر والرعب والإضرار بمصالح الوطن ومن ثم يقع هذا الفعل تحت طائلة القانون ويصبح مرتكب هذا الفعل أو السلوك مجرماً ولا خلاف في ذلك (دعبس، 1994، 27).

لقد مثل الاحتلال الأمريكي للعراق في عام 2003 م، نقطة التحول في تاريخ تطور الظاهرة الطائفية في العراق، حيث تحول بلد مستقر وشعب متجانس فكرياً ووطنياً إلى أهم بؤرة لتنامي وحتى تصدير الطائفية، أن هذه الظاهرة تستحق الاهتمام لمن يحاول دراسة ظاهرة انتشار الإرهاب وتوسع قاعدته التي انتجت الطائفية، وعليه فقد مثلت الحالة العراقية أغنى التجارب في العالم في هذا المجال، ولا يوجد مثيل لها حين تحولت البلاد إلى "أكاديمية للعمليات الإرهابية" تصدر تجاربها إلى جميع أنحاء العالم، بسبب الطائفية.

بعد عام 2003، شهد العراق تحدياً جديداً يعادل في خطورته وابعاده كل التحديات التي ما برح العراق يواجهها منذ زمن طويل وفي شتى النواحي والمجالات الداخلية والإقليمية، ويتمثل ذلك التحدي بتغليب الانتماءات الفرعية والطائفية والعرقية والدينية والمذهبية على الانتماء الوطني، مما يؤدي الى تغييب الوحدة الوطنية، ويجعل العراق بأمس الحاجة الى اعادة بناء الوحدة الوطنية وتأسيس هوية وطنية عامة تكون بمثابة المرجعية لجميع أطرافه ويتيح لها فرصة الارتقاء بوعياها الى مستوى إدراك ولائها الوطني الموحد.

أن العراق يتسم بالتعددية والتنوع القومي والديني والمذهبي، فعلى المستوى القومي يتوزع العراقيين بين عرب واكراد وتركماني، ودينياً يتوزع العراق بين المسلمين والمسيحيين وبعض الاقليات الدينية مثل (الصابئة والايديية) وطيلة عقود من السنين الماضية تعايش العراقيين في ظل هذه التعددية، وهذا التعدد هو من صنع التاريخ والجغرافية، ومثل مدعاة ونموذج للوحدة بين الطوائف والقوميات. أما اليوم، فإن التعايش السلمي في العراق يعاني من اشكالية مفصلية تتعلق بالتعايش السياسي اكثر مما تتعلق بالتعايش المجتمعي، حيث أن الانفلات الكبير والحاد للهويات الفرعية بعد عام 2003، لا يمكن ان نعزوه لعدم وجود التعايش مجتمعياً بقدر ما يمكن ان نعزوه لعدم وجود التعايش السياسي من ناحية ولعدم تحقيق الاندماج الحقيقي بين مختلف مكونات المجتمع العراقي من جهة، على الرغم من ان التعايش الثقافي والاجتماعي في العراق موجود منذ زمن بعيد، الا ان ما يفتقر اليه العراق هو التعايش السياسي (محمد، 2013، 101).

ساهم الفراغ في السلطة السياسية بعد الاحتلال وانهيار مؤسسات الدولة إلى بروز فراغ قيمي عمل على بلورة نظام قيمي جديد في البيئة العراقية، عن طريق ما تعرض إليه المجتمع العراقي من مخاطر واهتزازات لا تحمد عقباها نتيجة لاهتزاز النظام القيمي الموحد على ضوء المشاهد المؤلمة في مدة الاحتلال، وما زالت مستمرة من تعميق الطائفية (الحيدري، 2009م، 4-3)، حيث أن الإنسان العراقي بدأ يشهد مجموعة قيم وسلوكيات لم تكن مألوفة لديه، فقد برزت حالة الاحتقان السياسي والطائفي بكونه ظاهرة غريبة عن المنظومة القيمية العراقية، إذ لم تشهد قبل عام 2003 بروز للمكونات السابقة للدولة والمتمثلة بالطائفية والمذهبية والتخندق بضمنها طرح مشاريع تقسيمية متتالية والترويج لأعلام تمثل كل مشروع طائفي او قومي أو حتى سياسي.

وبذلك، افرز التداعيات السلبية لما بعد عام 2003، والتي طالت المنظومة القيمية والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية، وابتكرت معايير جديدة نافست القيم الايجابية واصبحت تشكل مكان الصدارة والتي تعكس منظومة القيم الطائفية التي تعمل بعض دول الجوار إلى تعميمها على العالم، وتسملت مشاريع طائفية وقومية وافدة قائمة على القتل والتدمير وما جرى في العراق بعد عام 2006 حتى عام 2008 من اقتتال طائفي ممنهج بعضه نتيجة بث سموم طائفية لبعض رجال الدين أو بعضها يمثل صراعات خارجية وتصفية حسابات بين قوى إقليمية ودولية وجدت ضالتها في الساحة العراقية التي ترضخ تحت احتلال أميركي (الحسيني، 2005، 14).

وغيرها من الحوادث والاعتقالات والقتل على الهوية والطائفية واهانة الفرد العراقي، كل هذا أدى إلى تخندق وانسواء افراد من المجتمع العراقي الذين يشعرون بأن حقهم مسلوب تحت مسميات وجماعات ارهابية تعمل ضد النظام السياسي الذي تعدده صورة واداة عن الادارة الاميركية في العراق. كل هذه العوامل وغيرها قادت وتقود إلى توترات وصدمات واحتمال نشوب حروب تقوم على العصبية، فضلاً عن تكريس الانقسام الاجتماعي مما يشكل تهديداً خطيراً للوطن والمواطن (شبيب، 2011، 21).

وان عدم التكامل المجتمعي في العراق، يجعل المجتمع أكثر تهيناً لوقوع اعمال العنف، نتيجة تعثر النظام الحاكم في تقديم حلول لمشكلة عدم التكامل المجتمعي، فإن هذا يكرس لدى الاقليات تبريراً معنوياً جاهزاً لممارسة العنف، الذي يتمثل في الشعور بالاضطهاد، ويفسح المجال امام بعض الاطراف الخارجية للتدخل في الشؤون الداخلية فيها، من خلال تقديم المساندة ودعم بعض الاقليات التي تمارس العنف، وهذا يؤدي إلى زيادة تكرارات احداث العنف وزيادة درجة شدتها (إبراهيم، 2004، 235-236)، كما تمارس التنظيمات السياسية كالأحزاب والجمعيات والاتحادات دوراً مهماً في الشحن الايديولوجي ونشر الوعي بين افراد الاقليات، وهذه التنظيمات تعبر عن الاقليات التي تعد من العوامل المهمة التي تمكنها من ممارسة الارهاب والعنف، وان تواجد الاقليات القومية في النظام او البلد الواحد يؤدي في كثير من الاحيان إلى عدم انسجام المجتمع السياسي الواحد ومن ثم عدم الاستقرار السياسي (إبراهيم، 2004، 234).

ان عدم التجانس الثقافي والانقسامات الثقافية داخل المجتمع الواحد، تؤدي الى التفكك وانعدام التوازن في تكوينه، مما يؤثر في توحيد افراده وتفكيرهم واتجاهاتهم وسلوكهم، لذا فإن التجانس الثقافي يعد مستلزماً ضرورياً لتحقيق التلاحم الوطني الذي يؤدي بالضرورة الى تحقيق الاستقرار السياسي، وكذا تتشكل مسألة التعدد العنصري والقومي والقبلي والثقافي عقبة كبيرة امام الوحدة الوطنية، مما يؤثر في الاستقرار السياسي والذي ينتج نظام سياسي ضعيف، فكلما اشتدت وازدادت اسباب التضاد في المجتمع الواحد، ادى ذلك الى ضعف النظام السياسي (أمل، 2008، 30).

وكان للتحويلات الاجتماعية في الآونة الاخيرة وما رافقها من تبديلات في البنى والهيكل والمؤسسات الاجتماعية الى جانب تفاعلات وتغيرات في القيم الاجتماعية، وتراجع في القيم الروحية والشعور بالظلم واليأس والاحباط والحقد، كل هذا ادى الى انحراف في السلوكيات التي تميل الى العنف والارهاب من جهة اخرى، وبعبارة اخرى ان غياب التضامن والتكامل الوطني داخل المجتمع العراقي، وانعدام العدالة الاجتماعية وحرمان قوى معينة من الحقوق السياسية، تبرز الدوافع القومية كأسباب في حدوث العنف والارهاب، خاصة اذا كان المجتمع فسيفساء من القوميات والاديان والطوائف، وسيطرة فئة معينة على زمام السلطة واحتكارها دون اشراك الاطراف الاخرى فيها، وكذلك ان ما تعاني به بعض الشرائح الاجتماعية من اضطهاداً دينياً كالمنع من اقامة شعائرها الدينية، يؤدي كل ذلك الى بروز ظاهرة العنف الذي يتسم بالارهاب الموجه ضد الطرف الاخر الذي يمارس السلطة، وقد يولد الاحقاد بين الطوائف التي يتكون منها المجتمع العراقي، اذ عملت الانظمة السياسية العراقية على تهميش كافة طوائف العراق، فانتشر احساس بالغبن والتفرقة الطائفية، فكل طائفة تولد لديها احساس بانها هي التي تم الانتقاص منها في فترة من الفترات، واعطاء دور اكبر لطائفة على حساب طائفة اخرى، ادت الى خلق نوع من التنافر بين المذاهب المتعددة من جهة، وبين القوميات المتنوعة من جهة اخرى، ومن الممكن اعتبار هذا التمايز قد ولد نوع من الاحقاد قد ترجمت الى عداوة وبروز ظاهرة الارهاب بين العراقيين (العبيدي، 2008، 273-275).

وبذلك نجد الصراع الحزبي على السلطة بين الأحزاب ذات الوجه الديني وخطابها السياسي المؤدلج دينياً ليكون غطاء لكسب عواطف الجماهير بسبب فقدان هذه الأحزاب للبرامج الواقعية التي يمكن أن تكون بديلاً للخطاب الديني والطائفي المحرض الذي من خلاله تستطيع كسب قلوب واصوات الشعب، لذلك نرى هذه الاحزاب لا تفارق لغة الطائفية والتطرف السياسي لأنه يمثل السبيل الوحيد لكسب هذه الأصوات ذات الثقافة السياسية المحدودة والتي يسهل خداعها عبر شعائر دينية لها طابع سياسي أو خطب الجمعة والفتاوى السياسية (مهدي، 2012، 148-149).

أن هذا الخطاب الآنف الذكر، حتماً سينتقل بشكل مباشر أو غير مباشر عبر ما يسمون أنفسهم برجال دين مرتبطين بأحزاب سياسية معينة الى قاعدة الهرم الاجتماعي العراقي وبالتالي انتقال الصراع الحزبي والسياسي بين الفرقاء السياسيين الى القاعدة الشعبية ليأخذ شكله الطائفي التحريضي والتكفيري بدلاً أن يفهم على أنه تنافس سياسي اعتيادي وطبيعي يحدث في جميع دول العالم، وما يثبت هذه الحقيقة هو الاحتقان الطائفي والقومي عند اقتراب موعد الانتخابات البرلمانية والمحلية في العراق، فكلما اقترب موعد الانتخابات انتقل الصراع الحزبي على السلطة الى الشارع وهذا حتماً يغذي الإرهاب والتطرف بمقومات البقاء والتمدد ويهدد صميم الامن الوطني للعراق وبذلك نراه ما أن يخرج من أزمة أمنية حتى يدخل بأخرى (مجموعة باحثين، 2008، 20).

أن ما يحصل في العراق هو ارتداد عكسي في حالات التعايش المجتمعي، بسبب تداخل الهويات الفرعية بالبعد السياسي، بل ان السياسة اخذت في بعض الاحيان تلك الهويات واجهة لتمرير اهدافها، يتزامن هذا التداخل والتوظيف للهويات الفرعية واعاقة التعايش السلمي، واعاقة اي جهد وطني يسعى لرأب الصدع في العراق بتعزيز عوامل التعايش السلمي من خلال التركيز على هوية وطنية جامعة للعراقيين (حكمت، 2016، 347-348).

3. الإستراتيجية الوطنية الفاعلة لمواجهة الخطاب الطائفي

عالمنا اليوم تغير كثيراً عن السابق من حيث التطور العلمي والوعي الفكري والثقافي، وبالتالي فلم يعد شيء مستحيل على العقل البشري الجبار الذي وهبه الله كل مقومات الابداع لتجاوز جميع المشاكل التي تعترض حياته أو تخفيف آثارها السلبية على أقل تقدير فيما لو كان يمتلك تفكير عقلاني وعلمي ويأخذ بالحسبان التطور العلمي الحاصل واستثماره لخدمة الجنس البشري الذي يتعرض إلى حروب وإرهاب وقتل وتمييز عنصري وطائفي.

وفي هذا السياق يأتي دور التفكير الإستراتيجي كملاذ آمن لتجاوز المشاكل المستعصية والتي قد تهدد حياته، وبذلك يكون التفكير الاستراتيجي بالأزمة وتحديد ابعادها ومسبباتها ومن ثم صياغة استراتيجية ملائمة لها تحدد لها اهداف تهتدي بها وتسير نحوها، وهذا يمثل مفتاح تجاوز أي أزمة واصبح من ابجديات العمل العقلاني الهادف.

وفيما يتعلق بالأزمة الأمنية التي يمر بها العراق منذ 2003 إلى يومنا هذا، فلا بد للقائمين على القرار السياسي والأمني في العراق العمل على تحديد السياسات الحكومية المركزية والمحلية وانتهاج التخطيط الاستراتيجي الذي يتناسب مع حجم المشكلة الطائفية التي تهدد حاضر ومستقبل العراق بما تحتويه على عناصر تهديد وقدرات تدمير للنسيج الاجتماعي العراقي.

وبذلك لا بد أن يتصف القائمين على التخطيط السياسي والاستراتيجي في العراق بأن يكونوا بحجم الأزمة وبمستوى الهدف المنشود ويمتلكوا الإدراك الإستراتيجي الشمولي لمواجهة الكم الكبير من الأزمات السياسية والأمنية والاقتصادية التي يزخر بها الوطن نتيجة غياب الوعي السياسي وانعدام التخطيط الإستراتيجي السليم وقبل كل شيء سمو لغة التطرف والطائفية على حساب الخطاب الوطني الجامع لجميع الطوائف وهذا يشكل جزء يسير جداً من مجموعة أزمات ومشاكل وعوامل سلبية ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تفاقم الأزمات الأمنية والسياسية بشكل مؤثر ومتكرر ومستمر (شبيب، 2011، 34).

أن إعادة أحياء الوعي الوطني وبث الروح الوطنية وتساميها على حساب الانتماءات الفرعية الطائفية والقومية والقبلية، يمثل خطوة إستراتيجية مهمة، ونجد في ذلك العلاج الناجع لرفد البيئة العراقية المضطربة بمقومات الاستقرار وإعادة الثقة وتحقيق الامن الوطني، وهذه المنطلقات لا تمثل شعارات سياسية أو حزبية زائفة، ولا هي شعور عاطفي أو ترف فكري بقدر ما تمثل من ملامح اساسية لاستراتيجية وطنية متكاملة وشاملة والتي تقوم على توافر عناصر مادية وفكرية وتتميز بوضوح الرؤية صوب الهدف واستيعاب البيئة بكل أبعادها دون اغفال الأطر الزمنية التي تحدد مراحل هذه الاستراتيجية وأهدافها المرحلية وصولاً للغاية الرئيسية منها.

وكما أسلفنا سابقاً ومن خلال تتبع مسار الوضع الأمني في العراق منذ عام 2003 إلى يومنا هذا، نجده مسار متعثر ومتأزم دائماً وغير مستقر، لذلك فإن صياغة وتبني إستراتيجية جديدة أصبحت حاجة ملحة وضرورة قصوى تمس صميم وجود الدولة وأمنها القومي بمفهومه الواسع، لأن هذه الأزمات ذات البعد الديني والسياسي، لها ارتداداتها وصداها في المحيط الاجتماعي العراقي (مهدي، 2012، 150).

وبذلك تكون الإستراتيجية التي نقترحها تنطلق من مجموعة قواعد وأسس وآليات عمل متنوعة ولا ترتكن إلى جانب دون غيره وهو ما يجعلها تتضمن بعد شمولي ووطني عام، ويمكن تحديد أهم هذه الأسس والمنطلقات الاستراتيجية كما يأتي:

1 - التحصين الفكري والديني: ليس أشد خطراً على المجتمع المستقر إلا تلك الأفكار الهدامة والمسمومة التي تمزق المجتمع وتتغلغل بسهولة إلى عقلية الإنسان الذي يتصف بالتأثير العاطفي ويكون متلقي ويستوعب كل ما يتلقاه دون توازن عقلائي يحصص ما تلقاه من أفكار قد تهدد حياته وحياة مجتمعة، وهنا لابد لنا من الوقف على أغلب هذه الأفكار الهدامة والتي غالباً ما يكون منبعها بعض رجال الدين المتطرفين من الذين يعتلون المنابر ومن الذين يعطون لنفسهم الحق بالفتوى، وهنا يكمن منبت الأزمة ومشربها ومن هذه الخطب والكتب الدينية التي يصدرها بعض أصحاب الفكر الطائفي المتطرف تنمو بذرة الإرهاب وتستقي من سمومهم حتى تغدوا غولاً أو ناراً تحرق الجميع وخير مثال على ذلك ما حدث من اقتتال طائفي وعمليات إرهابية والتي انتهت باحتلال داعش ما يقرب 45 بالمئة من مساحة العراق وما تبعها من تشريد ملايين المواطنين وتدمير للبنى التحتية وخسائر بشرية ومادية لا تعوض، وهذا لم يكن ليحصل لو كانت الحكومات المتعاقبة على العراق تترك حجم المشكلة وابعادها وتمنع جميع رجال الدين المتطرفين من الصعود للمنبر ومعاقتهم ومصادرة جميع الكتب التي تعرض على الآخر وتقوم بانتهاج استراتيجية تحصين فكري يكون أساسها حب الوطن ليسمو على جميع الخلافات الدينية والمذهبية.

2 - وقف التدخلات الخارجية في الشأن العراقي: كما اشرنا سابقاً بأن اهم معاول الهدم التي تعبت بالنسيج الاجتماعي العراقي هي معاول خارجية وافدة تبغي تحقيق مصالحها الضيقة على حساب العراق الذي وجدت فيه بيئة مناسبة لتحقيق مخططاتها التدميرية بسبب الظروف التي وافرزاها الواقع العراقي بعد 2003 وما تبعه من انهيار للمنظومة الأمنية والعسكرية العراقية وهو ما فسخ المجال واسعاً لتصدير الاجندات الخارجية والمشاريع الطائفية ليكون العراق ساحة لتصفية الحسابات الإقليمية والدولية. وبذلك يكون خيار استقلال القرار السياسي الداخلي والخارجي خياراً إستراتيجياً لا يقبل الجدل أو التفاوض لأنه يمس صميم الأمن الوطني العراقي، ولا يمكن أن يستقر الوضع الأمني في العراق دون القضاء على الفكر المغذي للإرهاب، ومن اهم مغذيات الإرهاب هي الطائفية التي تعبت بها المشاريع الخارجية. ومن هنا يكون صانع القرار العراقي وجميع الفعاليات الشعبية والدينية والعشائرية أن توحد خطابها ومواقفها الرافضة لأي تدخلات خارجية واسناد المؤسسة العسكرية والأمنية لتضرب بقوة كل من يحاول العبث بأمن المواطن.

3 - تحقيق التعايش الاجتماعي: من منطلق أهمية الحوار في تحقيق الاعتدال البناء المطلوب فإنه ينبغي ان تتضافر الجهود من اجل ترسيخ التعايش الاجتماعي معه لتحقيق الثمرة المرجوة، فالتعايش الاجتماعي يحد من تطرف الصراعات العرقية ويكسر من شوكة التعصب القبلي ويزيل الحواجز النفسية بين طبقات المجتمع المختلفة وينمي الشعور بالأخوة الانسانية ويقضي على الحقد والضغينة ويشيع المحبة والتعاون بين الناس ويقوي العلاقات بين الافراد (بغداد، 2012، 74-73).

4 - فرض سيادة الدولة والقانون على الجميع: كما هو متعارف عليه، لا يمكن لمجتمع أن يستقر بدون قانون يحدد الحقوق والواجبات للمواطن ويكون الضامن والحامي له من أقرانه أو النظام السياسي ومؤسساته، ومن هذا المنطلق نرى ان على المشرع يأخذ بدوره الوطني الذي يفرض عليه التصدي للأفكار الطائفية الهدامة وتجريمها وانزال اقصى العقوبات على من يثبت عليه بث الفكر الطائفي وأن يعامل معاملة الإرهابي واعتباره محرض على الإرهاب والقتل والبعث بالأمن الوطني، وهذا يتطلب أن يقوم مجلس النواب العراقي والحكومة العراقية بدورها في اصدار قانون تجريم الطائفية كما صدرت قوانين أخرى تجرم البعث والإرهاب، ولا نعلم متى يتم التصدي لهذه القضية المصيرية اذا لم يتصدى لها اليوم بحزم.

5 - إستراتيجية إعلامية وطنية: ليس بجديد اذا قلنا أن الاعلام في وقتنا الحاضر هو اكثر من نصف الحل والمشكلة أو قد يكون هو المشكلة كلها بسبب ما نعيشه من ثورة تكنولوجية ومعلوماتية هائلة جعلتنا أسرى الاعلام والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي والتي أصبحت تدخل بمعلوماتها وما تحمله من اخبار دون استئذان لنا، وبالتالي اصبح الاعلام سلاح ذو حدين يشعل النار أو يطفئها حسب القائمين على بث الرسائل الإعلامية على اختلاف أنواعها سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مقروءة. وعليه لابد من انتهاج استراتيجية إعلامية وطنية يكون عملها ضبط القنوات ومراقبتها ومنع تلك القنوات التي تبث الطائفية وهذا لا يعد تعدي على فضاء الحرية الذي يسمح به الدستور لأن الأمن جوهر لا يقبل التهادن عليه.

6 - العمل على تجسيد مشروع المصالحة الوطنية على أرض الواقع: كثيراً ما نسمع ونرى مؤتمراً أو ندوة أو لقاء أو دعوة عنوانها البارز المصالحة الوطنية وصرفت مبالغ طائلة وبذلت جهود كبيرة في هذا المجال لكن بلا نتائج تذكر على الواقع العراقي والسبب في هذا الفشل

ليس بجوهر المصالحة الوطنية بقدر ما هو فشل في الإدراك والنوايا والتخطيط وانعدام الرؤية الإستراتيجية واعتماد المنهج التقليدي والروتيني في مشاريع المصالحة التي أغلبها كان بغطاء سياسي ومجرد شعار اعلامي مفرغ من محتواه وهدفه الحقيقي. وعليه، فإن المصالحة الحقيقية يجب ان لا يخرج عن سياق العمل الإستراتيجي طبقاً لمراحل زمنية محددة واساليب حديثة تتضمن الولوج الى صميم المجتمع وعدم الاكتفاء بالمصالحة ما بين زعماء سياسيين ليس لهم جمهور واسع والتركيز على المصالحة المجتمعية بدلاً من المصالحة السياسية التي ما تلبث ان تختفي عن كل توزيع للمناصب او خلال فترة الانتخابات.

7 - تحقيق المشاركة السياسية والابتعاد عن التهميش والاقصاء: يعد النظام السياسي صمام الأمان للمجتمع الذي يضمن مشاركة الجميع في بناء المجتمع وتعظيم مصالحه وأن أي قصور او تهميش لمكون اجتماعي معين هو بمثابة خلل كبير يمس جوهر النظام السياسي، حيث ان انعدام المشاركة السياسية ستفتح الباب لدعاة التطرف للولوج من خلاله الى هذه الفئات الاجتماعية وتآليبها تجاه الدولة وتكون ذريعة يدخل من خلالها الإرهاب والتطرف، لذلك لابد من ضمان مشاركة الجميع في السلطة السياسية من خلال مشاركة جماهيرية واسعة في الانتخابات وعدم التهميش والاقصاء (البياتي، 2013، 147-142).

الخاتمة والتوصيات

أن العراق بموقعه الجيو_ستراتيجي في المنطقة وبتركيبته السكانية والاجتماعية المعقدة وفي ظل تنامي مصادر التهديد الداخلية والخارجية واشتعال بؤر الصراع الإقليمية، فإنه يمثل محور لصدام الثقافات والأفكار والمشاريع الهدامة التي تساهم في بث الفرقة بين مكونات المجتمع العراقي.

أن دومة العنف والإرهاب الدامي التي تعرض لها العراق منذ عام 2003 وما زال، ماهي إلا نتيجة لتصادم الفكر والخطاب الطائفي و المتطرف وغياب واضح للمنهج الوطني الحقيقي قولاً وسلوكاً، ومما عقد المشهد الأمني أكثر هو التحالف المصلحي ما بين التيار الديني والتيار السياسي الفاسد في العراق وإدراك هذه الطبقة السياسية المغلفة بالتدين أن ديمومتها في السلطة يتوقف على الوعي السياسي الشعبي ومدى تقبله للخطاب الديني والسياسي المتطرف من عدمه أي كلما كان الشعب أكثر نضجاً ومدنية هذا سيؤثر سلباً على مستقبل هذه الطبقة الفاسدة والعكس صحيح.

وبذلك كان الهاجس الأمني للعراق الشغل الشاغل له منذ 2003 بسبب حجم الكوارث التي تعرض لها، واصبح خيار مواجهة الطائفية وتجريمها في العراق وصياغة استراتيجية وطنية لمواجهة الطائفية الأساس الراسخ والشرط الأهم في الوصول بالبلاد إلى الاستقرار وتحقيق التعايش السلمي بين مكوناته والتي تكون قاعدة رصينة للتنمية والقضاء على الأمراض الاجتماعية والبطالة ومكافحة التطرف والإرهاب، وهذا يتطلب وجود أرادة سياسية حقيقية.

التوصيات

من خلال ما تقدم توصلنا إلى مجموعة توصيات نأمل من صانع القرار السياسي في العراق والمؤسسات العراقية أن تأخذ بها خدمة لمستقبل آمن ومزدهر وهي:

- 1 - تشريع قانون تجريم الطائفية في العراق واعتبارها جريمة يعاقب عليه القانون العراقي وجعلها بالتوازي مع جريمة التحريض على الإرهاب ومشابه لقانون تجريم البعث.
- 2 - فرض رقابة صارمة على القنوات التي تبث سموم الطائفية وتعمل على تمزيق النسيج الاجتماعي العراقي ومنع مزاوله عملها ومعاقبة القائمين عليها عند تجاوزهم تعليمات هيئة الاعلام والاتصالات.
- 3 - تشكيل هيئة وطنية عليا تعمل على توحيد الخطاب الديني المعتدل في العراق ومراقبة الفتاوى التي تضر بالأمن الوطني ومنع انتشار المناهج والكتب التي تدعو إلى التطرف والطائفية.

قائمة المصادر

- 1 - ابراهيم الحيدري، الولاءات العشائرية والطائفية واشكالية الهوية في العراق، موجز البحث المقدم الى الملتقى الفكري الاول للحوار الوطني، بغداد، 2 - 3 تشرين الاول 2009.
- 2 - أحمد بيضون، مصطلحا "طائفة"، وطائفية": ترسيم لبسهما الدلالي على نية المترجم، مجلة بدايات، العدد 4-3، بيروت، 2013.
- 3 - امل رؤوف محمد، التعددية السياسية والاستقرار السياسي: دراسة حالة الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2008.
- 4 - برهان غليون، المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1، 1979.
- 5 - حسن موسى الصفار، الاستقرار السياسي والاجتماعي ضروراته و ضماناته، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2005.
- 6 - حسنين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم السياسية العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

- 7 - حسين موسى الصفار، الطائفية بين الساسة والدين، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009.
- 8 - الشيخ عبدالعزيز الناصر، الطائفية في ميزان الإسلام، موقع المسلم نت: <http://almoslim.net/node/179553>
- 9 - طه جابر العلواني، العراق الحديث بين الثوابت والمتغيرات، مكتبة الشروق، 2004.
- 10 - عبد الرزاق الحسيني، التنوع الديني والقومي في العراق، أوراق ديمقراطية، العدد (2)، حزيران 2005.
- 11 - عبد السلام إبراهيم بغدادي، السلم الوطني/ المدني: دراسة اجتماعية سياسية، مجلة عالم الحكمة، العدد (30)، بيت الحكمة، بغداد، 2012.
- 12 - عبدالوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1970.
- 13 - علي حميد العبيدي، الارهاب وكيفية مواجهته في العراق: دراسة قانونية، مجلة العلوم القانونية، العدد (1)، كلية القانون، جامعة بغداد، 2008.
- 14 - فرانسوا شاتليه، ايدولوجيات الحرب والسلم، ترجمة: جوزيف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1981.
- 15 - كاظم شبيب، المسألة الطائفية تعدد الهويات في الدولة الواحدة، ط1، دار التنوير، بيروت/ لبنان، 2011.
- 16 - مجموعة باحثين، المواطنة والهوية الوطنية، ط1، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت، 2008.
- 17 - محمد يسرى إبراهيم دعبس، الإرهاب بين التجريم والمرض / رؤية في انثربولوجيا الجريمة، وكالة الأنباء للنشر والتوزيع 1994م.
- 18 - محمود احمد عزت البياتي، بناء دولة العراق: الفرص الضائعة، بيت الحكمة، بغداد، 2013.
- 19 - منى حمدي حكمت، مفهوم التعايش السلمي ومعوقاته في العراق، مجلة العلوم السياسية، العدد (52)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2016.
- 20 - وليد سالم محمد، تعايش الثقافات وتكوين الهوية: مدخل لبناء الدولة العراقية الحديثة، بحث مشارك في ندوة: سبل تعزيز التعايش السلمي والثقافة الوطنية في العراق، منشور في كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2013.
- 21 - مهدي جابر مهدي، اشكالية تعثر الديمقراطية في العراق بعد عام 2003، مجلة المستقبل العربي، العدد (405)، السنة 35، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.

دور الحشد الشعبي في مواجهة الارهاب الداعشي

أ.د. وسام عبد الله / أ.م.د. رغد جمال مناف

جامعة بغداد / كلية تربية ابن رشد

(ملخص)

تركت لنا معركة الطف في كربلاء وارثا ثرا في مقارعة الظالم المغتصب للحقوق ارثا فكريا سياسيا ثوريا ، يستمد منه الانسان القوة والاصرار ليعيش حرا كريما كما خلقه الله تعالى، ومن هذا الفكر الجهادي الثوري انطلق السيد السيستاني رئيس الحوزة الدينية بفتوى الجهاد الكفائي لمحاربه الفكر الداعشي والقضاء عليه ، لانه يحمل فكرا تكفيريا ووحشيا من خلال الممارسات الوحشية لهذا التنظيم والتي استباح من خلالها دماء المسلمين من غير تمييز بين طائفة واخرى والخوض في دماء المواطنين الابرياء ، واستهداف دور العبادة سواء كانت للمسلمين او غير المسلمين، هذه المؤشرات تبين ان العراق وشعبه في خطر حقيقي، يهدد امن وسلامة ،وتعايش العراقيين بغض النظر عن اختلاف طوائفهم وانتماءاتهم ، أذ حرصت فالمرجعية حرصت على ابقاء هذا التعايش بين مختلف الاديان لانه يوفر الاستقرار والامن لهذا البلد ، لقد هدف بحثنا هذا الى ابراز الفكر السياسي الجهادي الثوري للامام الحسين (عليه السلام) المتمثل بثورته في معركة الطف ضد الطغاة الفاسدين والموقف الشجاع الذي وقفه ضد الحاكم الظالم للدفاع عن المبادئ المتمثلة بشخصه ، وفكره ناتجا عنها ثورته في كربلاء فقد ضحى الامام بحياته وحياة اولاده من اجل كلمة حق ضد سلطان جائر من اجل احقاق الحق وهو الموقف نفسه الذي سارت عليه المرجعية الدينية لمحاربة التنظيم الوحشي الجائر الذي هدف الى تفتيت وحدة العراق وخلق الفتنة بين طوائفها المختلفة ، والمحافظة على وحدة وارض ومقدسات بلدنه العراق، ومن منبر صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف هبت عاصفة مدوية وضرب زلزال الارض تحت اقدام الدواعش ومن والاهم وايدهم حينما اصدرت فتوى الجهاد الكفائي فاصابت العدو في مقتل عندما هبت الملايين من ابناء الشعب العراقي الى مراكز التطوع والتحق الالوف من المتسربين الى وحداتهم واستعداد الجيش توازنه وثقته وتعديل ميزان القوى لصالح العراق واهله، فوصل صوت المرجعية الى كل البيوت فتخطى كل الترتيبات والوجاهات وتسلسل الادارات ومنابر المثقفين فالنداء واضح وجلي ، ولا ننسى ان للاعلام الحقيقي الصادق دورا في اivals الحقائق التاريخية للاجيال القادمة وادراكا لاهمية التاريخ في صناعة الثقافة والفكر الهادف.



Reference and its leadership role in confronting terrorism Aldaasha

MD Raghad jamal Manaf

Baghdad University / revive Arab Scientific

Heritage Center

Researcher / Zainab Jamal Manaf

(Abstract)

The incident tuff in the holy city of Karbala and the impact of traces ideological and revolutionary they represent the oppressed to the oppressor revolution, and the triumph of blood over the sword, becoming (Aaltharat Hussein), factor centrally intellectually in the crystallization of the Islamic culture of spiritual value, to encourage the oppressed revolution against the ruling corrupt oppressor, he left us Imam Hussein (peace be upon him) and all Arab and European generations, a legacy intellectually political revolutionary, adding to the human strength and a determination to live a free and dignified as God created him, and whatever we talked about the revolution led by Imam will not boil down to a few Bstor, but dug into the folds of our hearts revolution forward and, in our minds we Almhelm to anyone who wants to rise up against injustice. In this jihadist ideology Revolutionary Sistani launched a fatwa Ulkipaia jihad and fight Aldaasha thought and eliminate it, because it carries a rightful Tkverria and brutal through the brutal practices of this organization, which violated through which the blood of Muslims is not distinguish between the sect and other recklessness souls citizens of innocent people and targeting places of worship, whether for Muslims or non-Muslims, these indicators show that Iraq and its people in a real threat to the security and safety and coexistence Iraqis regardless of their sects with each other Valmarjaip keen to keep this coexistence of different religions because it provides stability and security for the country, as the research aims to highlight the political thought of Imam jihadist revolutionary of his self-styled in the battle of Taf against corrupt dictators



and lies in a bold stand and stopped against the unjust ruler to defend its principle of his person and the idea of the result by the revolution in Karbala have sacrificed forward with his life and the lives of his children for the right word against an unjust ruler in order to do right, the same position who goes by the religious authority to fight the unjust brutal organization, which aims to break up the unity of Iraq and to create discord among the different sects, and to preserve the unity and the land and the sanctities of Bant Iraq, and the platform Friday prayers in the courtyard Husseini al-Sharif endowed thunderous storm hit Zalzal offshoots Aldo-aash it is the most important and their hands when they issued a fatwa Jihad Ulkipaia hitting the enemy in the killing Vhpt millions of the sons of the Iraqi people to volunteer centers and joined thousands of drop-outs to their units and regained the military balance and confidence and adjust the balance of power in favor of Iraq and its people, bringing the voice of the reference to all the houses skip all the arrangements and Alo-jahat sequence departments and platforms intellectuals Valenda clear and obvious, and do not forget that the real media sincere role in the delivery of historical facts and future generations aware of the importance of history in culture and thought purposeful industry

The West did not ever-since discovered that Islam Mohammadi Altad in the hearts and minds of Muslims constitute a barrier to achieve their aspirations and curb his influence, Fjnd himself and his followers to deal with Islam and strip it of its content ideologically Muslims Vslk many ways framed methods of satanic deception which play Daesh gangs in the whole of Iraq, so it became serious can not be tolerated warble sound of the Supreme religious authority to issue a fatwa Ulkipaia jihad and fight Aldaasha thought and eliminate it, because it carries a rightful Tkver-ria and brutal through the brutal practices of this organization, which violated through which the blood of Muslims is not distinguish between the sect and other recklessness souls citizens of innocent people and targeting places of worship, both the Muslims or non-Muslims, was to be issuing a fatwa jihad destroys the Daesh to preserve the lives of innocent people and their honor and dignity and the protection of society and the Islamic religion from collapse

فالغرب لم ينفك منذ ان اكتشف الاسلام المحمدي التابض في قلوب وعقول المسلمين يشكل حاجزا لتحقيق تطلعاته وتحجيم نفوذه ، فجدد نفسه واتباعه للتصدي للاسلام وافراغه من محتواه عقائديا عند المسلمين فسلك سبلا عديدة مؤطرة بمناهج شيطانية مخادعة وهو ما تقوم به عصابات داعش في عموم العراق ، فاصبح الامر خطيرا لايمكن السكوت عنه صدح صوت المرجعية الدينية العليا باصدار فتوى الجهاد الكفائي ومحاربه الفكر الداعشي والقضاء عليه ، لما يحمله من فكر متطرف يستبيح الامن والعرض والمأذن ودور العبادة والعلم ومظاهر الحياة الانسانية.

1-الفكر الحسيني في جهاد الظالم وتأثيره على المرجعية الدينية:

لابد من التأكيد أن المرجعية الدينية في النجف الاشرف أتعد ثورة الامام الحسين (عليه السلام) المهلم والعامل الاساس لاي ثورة او فتوى تقوم بها ، فالحسين(عليه السلام) ايقظ ضمائر الناس، والبكاء على ابي عبد الله وانصاره الكرام احتفاء واستذكارا للضمير الحي والوعي الديني الذي يقف ضد أشكال الخروج عن الدين ومخالفه شريعة الله تعالى ، وتعظيما لهذا الإنسان البطل الذي تخلص عن كل شيء من اجل الدفاع عن دينه ومبادئه المقدسة ، وهو القائل : « الاترون الى الحق لا يعمل به ، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا» (1) ، فمن عاشوراء نستلهم دروس التصدي والتحدي والاستقامة، ومن ذكره العطرة ومدرسته الجهادية، تتم صناعة الأبطال والمضحيين بكل ما يملكون في سبيل دينهم وامتهم، وتعميق عناصر الايمان في النفس والسلوك، وهو منبر اعلامي عبر التاريخ لفضح الظالمين، وتعرية المتخاذلين والمستسلمين، ونحن في وضعنا الراهن نعيش ازمة حقيقة وتحديات كبرى تواجه الأمة الإسلامية ، تبعده عن النهج الحسيني، فنحن بحاجة الى مدرسة عاشوراء وقيمها ومبادئها، كالعزة والكرامة؛ لان الإنسان الذي ينتصر على ذاته، على ما فيها من تردد وازدواجية وعجز، ويتغلب على الرهبة من الحياة، يكتشف ما أودع الله عز وجل في كيانه من كنوز، من العقل والإرادة والضمير النابض ، ان هذا الإنسان هو القادر على تغيير المعادلات، ومواجهة التحديات، وخلق الانتصارات بالصبر والثقة بالنفس والاصرار على المبادئ ، هذا ما اراد الامام الحسين (عليه السلام) فبإمكاننا أن نتحول من التبرير الى المسؤولية، ومن الجمود الى الحركة، ومن الخضوع الى المقاومة، ومن الانتصار السلبي الى الفعل الايجابي، ومن التواكل الى التوكل، استنادا الى قول الله تعالى في محكم كتابه: « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» (2).

2 - المرجعية الدينية والجهاد الكفائي :

في نهار حزيران قانظ اجتاحت زمر الارهاب والقتل والظلام من التكفيرين مدينة الموصل فارتبكت قوات الجيش العراقي ، وانهارت معنوياتها وانسحبت من مواقعها ، ودب الهلع والرعب بين صفوفها فاسقطت محافظة صلاح الدين بعد الموصل ليتم فيها اسر وذبح اكثر من (1700) طالب في زيمهم المدني يتدربون على ملاك القوة الجوية ، ومن ثم وتداعت الاحداث الى محافظة ديالى فسقطت اجزاء كبيرة منها ، ثم سرت الشائعات على بغداد واطرافها واصيب الجميع بالهول والحيرة والترقب ، فيما بدات وسائل الاعلام المحترفة تبث صور الدبابات العراقية والمدافع وناقلات الجند تقاد من قبل عصابات داعش في شوارع الموصل ، وعلى اثر هذه التطورات السياسية التي يمر بها بلدنا قام السيد السيستاني في ظهيرة يوم الجمعة المصادف 2014 / 13 / 6 ومن منبر صلاة الجمعة في الصحن الحسيني الشريف هبت عاصفة مدوية وضرب زلزال اطناب الدواعش ومن والاهم وايدهم حينما اصدرت فتوى الجهاد الكفائي فاصابت العدو في مقتل فهبت الملايين من ابناء الشعب العراقي الى مراكز التطوع والتحق الالوف من المتسربين الى وحداتهم واستعاد الجيش توازنه وثقته وتعذر ميزان القوى لصالح العراق واهله ، فوصل صوت المرجعية الى كل البيوت فتخطى كل الترتيبات والوجهات وتسلسل الادارات ومنابر المثقفين فالنداء واضح وجلي ، ولا ننسى ان للاعلام الحقيقي الصادق دورا في اصال الحقائق التاريخية للاجيال القادمة وادراكا لاهمية التاريخ في صناعة الثقافة والفكر الهادف.(3)

لقد بات أن الدواعش يتلقون دعما دوليا ليمارسوا مهنة البطش والتنكيل بالبشرية بغية اشاعة مفاهيم الشر والعدوان باسم الاسلام وهو منهم براء ، وهدف هذه العصابات الاجرامية نصره الصهيونية والاستعمار والشرك وزرع فكرة العداء ضد الاسلام فالارهاب لادين ولا هوية ولا بلد له ، سوى الحقد والمكر بلاسلام والمسلمين تقودها قوى الغرب الحاقدة على الدين الاسلامي ، فالغرب لم ينفك منذ ان اكتشف الاسلام المحمدي النابض في قلوب وعقول مؤسسي الاسلام يشكل عائقا لتحقيق تطلعاته وتحجيم نفوذه ، فجند نفسه واتباعه للتصدي للاسلام وافراغه من محتواه عقائديا عند المسلمين فسلك سبلا عديدة مؤطرة بمناهج شيطانية مخادعة وهو ما تقوم به عصابات داعش في عموم العراق ، فاصبح الامر خطيرا لايمكن السكوت عنه لذلك صدح صوت المرجعية الدينية العليا باصدار فتوى الجهاد الكفائي ومحاربة الفكر الداعشي والقضاء عليه ، لانه يحمل فكرا تكفيريا ووحشيا من خلال الممارسات الوحشية لهذا التنظيم والتي استباح من خلالها دماء المسلمين من غير تمييز بين طائفة واخرى والاستهتار بنفوس المواطنين الابرياء واستهداف دور العبادة سواء

كانت للمسلمين او غير المسلمين، هذه المؤشرات تبين ان العراق وشعبه في خطر حقيقي يهدد امن وسلامة، وتعايش العراقيين ، بغض النظر عن اختلاف طوائفهم مع بعضهم البعض وقد حرصت لمرجعية على ابقاء هذا التعايش بين مختلف الاديان لانه يوفر الاستقرار والامن لهذا البلد.(4)

3 - ذكر الشيخ الكربلائي في احدى خطبه عن نص الفتوى الجهاد الكفائي وماهي الشروط الواجبة لهذا الجهاد :

- 1 - وجوب التطوع لمن يستطيع حمل السلام بشرط ان يكون ضمن الاجهزة الامنية وبالطريقة الرسمية حصرا وفقط .
- 2 - التطوع واجب كفائي وليس للجميع بل لسد النقص في الاجهزة الامنية حتى يحصل الغرض بصد كيد الاعداء .
- 3 - يجب الان على الاجهزة المختصة بيان الاعداد المطلوبة لاداء الغرض لكي يعلم الجميع حجم اداء الواجب الكفائي الذي اطلقته المرجعية .
- 4 - يجب أن يكون هناك تنظيم عالي الدقة فمثلا يجب ابعاد طلاب الجامعات والمدارس عن هذه المسألة وتفريغهم للدراسة .
- 5 - حملت هذه الخطوة بعدا احترازيا واحتياطيا على المدى المتوسط والبعيد اكثر منه على المستوى الانبي لكي يستعد المجتمع لمواجهة هذه الطوارئ ولا يتعامل معها بطريقة الصدفة والمفاجأة والصدمة.(5)

وقد دعت المرجعية الدينية بقيادة السيد السيستاني في يوما من الايام (الجمعة تحديدا) المواطنين الذي يتمكنون من حمل السلاح للتطوع في صفوف القوات الامنية للدفاع عن العراق الذي يواجه تحديا ومسؤولية كبيرة من خلال التصدي للارهابيين هي مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون اخرى او طرف دون اخر وشدد ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي استنادا الى ما قام به الامام الحسين (عليه السلام) عندما ثار على يزيد الظالم فاراد الحفاظ على اعراض وارواح الناس ، وقال ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي خلال خطبة الجمعة من الحضرة الحسينية المقدسة : ان العراق وشعبه يواجه تحديا وخطرا كبيرا فالارهابيين يستهدفون السيطرة على المحافظات كنيوى وصالح الدين وبغداد وكربلاء والنجف ثم يستهدفون كل العراقيين مشيرا الى ان مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم مسؤولية الجميع ولا تختص بطائفة دون اخرى واضاف ايضا ان التحدي وان كان كبيرا الا ان

الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة وتحمل المسؤولية في الظروف الصعبة اكبر من التحديات والمخاطر، فان المسؤولية تحتم علينا في الوقت الحاضر حفظ بلدنا ومقدساتنا من المخاطر وتقديم التضحيات في سبيل الحفاظ على وحدة بلدنا وكرامته وصيانة مقدساته ولا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة في مثل هذه الظروف ان يدب الخوف الاحباط في نفس اي واحد منهم كما بين موقف القيادة السياسية وهم امام مسؤولية تاريخية وشرعية داعيا ان يتركوا الاختلافات والتناحر وتوحيد موقفها ، واضاف يا ابناء القوات المسلحة انكم امام مسؤولية تاريخية وشرعية وليكون دافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق وصيانة المقدسات ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح، وتؤكد المرجعية دعمها واسنادها لابناء القوات المسلحة وتحثهم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وان من يضحى منكم يكون شهيدا ان شاء الله ، واكد ان طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن الوطن واهله واعراضه ومواطنيه وهو واجب كفائي بمعنى ان من يتصدى له وكان فيه الكفاية بحيث يتحقق الغرض وحفظ العراق، وتابع الكربلائي على المواطنين الذي يتمكنون من حمل السلاح دفاعا عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم التطوع للانخراط في القوات الامنية للغرض المقدس مبينا ان الكثير من الضباط ابلوا بلاءا حسنا في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات والمطلوب تكريمهم لينالوا استحقاقهم وليكون حافزا لهم ولغيرهم على اداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم وفي الوضع الراهن بعد هجوم داعش على المدن العراقية وعلى اثرها وجه السيد السيستاني دعوة ضمنية الى العراقيين من كل الطوائف الى مقاتلة داعش موضحا انه اذا لم يتم طرد هذه الجماعة الجهادية المتطرفة من العراق فسيندم الجميع غدا معتبرا اياها جماعة تكفيرية لانها ستسبب بلاءا عظيما على عراقنا الحبيب. (6)

يرى بعض المحللين السياسيين ان فتوى السيد السيستاني قد سبقت ثلاثة مواقف مصيرية في تاريخ العراق وكانها تقرؤها بوضوح قبل حدوثها منها سيطرة البيشمركة على كركوك والمناطق المتنازع عليها بالقوة، وطالبت مسعود البارزاني بالانفصال وتقسيم العراق، وتأسيس داعش لخلافتها واعلانها من العراق تحديدا ،ومما يلحظ من هذا التحليل السياسي ان امريكا ارادت استخدام داعش كذريعة للرجوع الى العراق ، ومثلما استطاعت المرجعية باخراج القوات الامريكية من خلال اصرارها على تأسيس حكومة وطنية وجمعية وطنية منتخبة ودستور عراقي مستفتى عليه من قبل الشعب منذ بدا الاحتلال، وهذا ما قاد الى تأسيس حكومة وطنية في العراق اشرفت على الانسحاب الامريكي عام 2011، فان فتوى المرجعية (الجهاد الكفائي) حرمت امريكا من الرجوع الى العراق بحجة محاربة الارهاب وضعف قدرات الجيش العراقي. (7)

4 - ما معنى حشد الولاء (الحشد الشعبي): او يعرف ايضا باسم اخر(الحشد الوطني) هي قوات شبه عسكرية تعمل مع الجيش العراقي ، وهي تابعة للمؤسسة الأمنية العراقية، تم تشكيلها بظرف طاريء، تتكون من شيعة العراق ولاحقا انضمت إليه عشائر من سنة العراق كمحافظات صلاح الدين ونيوى والابار ومن ثم انضم التركمان والكرد الفيليين والمسيحيين العراقيين.(8)

لقد قام المرجع الشيعي علي السيستاني كونه المؤسس للحشد الشعبي عن طريق فتواه با(الجهاد الكفائي، لتحرير العراق من داعش ومحاربتة للدفاع عن الارض والعرض والمقدسات الطاهرة، لكي لا يندسها داعش الاوغاد باصدار توجيهات دينية تنظم علاقة وتعامل الحشد الشعبي مع أهالي المناطق المحررة ،من تنظيم داعش بالعراق، وتتضمن التوجيهات حوالي(٢٠) نقطة، تضمنت: حث منتسبي الحشد الشعبي على التعامل بالأخلاق الإسلامية، وعدم التعرض للناس، وأهالي المنتمين لداعش (في المناطق المحررة)، بأي أذى أو اضطهاد، وعدم إيذاء كبار السن والأطفال والنساء، وعدم قطع أي شجرة، إلا أن يضطروا إلى قطعها، وكذلك معاملة غير المسلمين(اهل الذمة)، معاملة حسنة وعدم المساس بهم، وغير ذلك مما قاله في توجيهاته على صفحته الرسمية في الإنترنت وفي كل المجالات والصحف وحتى بازقة الشوارع.(9)

ومن الامور التي أكدت عليها المرجعية الدينية مرارا ”ان دعوتها الى التطوع لا تقتصر على فئة دون اخرى، انما تشمل جميع فئات وطوائف المجتمع العراقي ، وكل العراقيين مدعوون للتطوع والدفاع عن وطنهم وأعراضهم، وأنفسهم وأموالهم ،وفي مقدمتهم هؤلاء أهالي المناطق المغتصبة من قبل داعش“. بل ان هؤلاء أولى بالتطوع والدفاع باعتبارهم الأقرب الى العدو والأكثر ضررا منه.(10)

وكان المرجع الديني يهدف من تكوين الحشد، عدم تقسيم العراق اوتكريس وتعميق للانقسام المجتمعي الى مكوناته وطوائفه، بل هي دعوة الى الوقوف بوجه هذا الانقسام الامر الذي يبرر المخاوف من استحالة او صعوبة العودة الى هوية عراقية جامعة تقوم على اساس المواطنة وليس على اساس المكون.(11)

تمثل فكرة الجهاد على العراقيين جميعهم ان يوجهوا ويقاموا ، متناسين خلافاتهم العقائدية والفكرية، خطرا واحدا اسمه ”داعش“ الفئة التكفيرية الوحشية الضالة، واستجابة لهذا النداء فقد لحق العرب والكرد والتركمان والشبك والايديين والمسلمين والمسيحيين والسنة والشيعة كلهم الضرر من ”داعش“. (12)

ويفترض ان يتم توظيف مقولة العدو المشترك لتعميق الوحدة الوطنية والانتماء الوطني لا العكس، والنصر الحقيقي على ”داعش“ سيتمثل في نهاية المطاف ان يخرج العراقيون من المعركة أمة واحدة عراقية يجمعهم وطن نهائي واحد هو العراق الواحد السيد المستقل المزدهر.⁽¹³⁾

ان الحشد الشعبي خاضع لسيطرة الحكومة العراقية ويعتبر منظومة امنية ضمن المؤسسة الامنية العراقية كما صرح بذلك رئيس وزراء العراق وله ميزانية تقدر ب (٦٠ مليون دولار أمريكي) من الميزانية العراقية المخصصة لسنة ٢٠١٥.⁽¹⁴⁾

وقد اكتسب الحشد الشعبي الشرعية الدولية للامم المتحدة، وقد جاء ذلك على لسان الممثل الخاص للأمين العام، ورئيس بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي يان كوبيش)، بتاريخ (2015/7/22) ذكرت فيه ” إنه بعد مرور عام على سقوط الموصل، يبقى ثلث العراق تحت سيطرة وإدارة تنظيم داعش، مضيفاً إن الهجمات العسكرية لقوات الأمن العراقية، بدعم حاسم من قوات الحشد الشعبي، والمتطوعين من القبائل السنية، والتحالف الدولي، لم تغير الكثير في الوضع على الأرض“.⁽¹⁵⁾

ويبدو من هذا الخطاب الى الاعتراف الضمني بشرعية الحشد الشعبي دولياً في حين يواجه الحشد انتقادات من بعض الجهات السياسية العراقية وبعض الدول. ويبدو ان الحشد الشعبي قد نسبت اليه تهم وهي ليس لها ضوابط خاصة تنظم عملها مع وزارة الداخلية او وزارة الدفاع رسمياً فارتبط اسمها بعمليات خطف وابتزاز وغير ذلك ، وقد صرحت الحكومة العراقية بان سبب ذلك استغلال عصابات لاسم الحشد الشعبي، ونتيجة هذه التهم الغير لائقة في حين اورد وزير الدفاع العراقي خالد العبيدي ”أن قوات الحشد الشعبي منضبطة وتعمل بامرة القيادات الامنية العراقية“.⁽¹⁶⁾

فقد انتقدت المرجعية الدينية في النجف عن طريق ممثلها في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي (الحملة المسعورة) ضد مقاتلي الحشد الشعبي ،والممارسات السيئة التي يتهم بها الحشد الشعبي وهي لا تمثل النهج العام لان أولئك المقاتلين دفعهم حبهم للوطن للتضحية وتعرض عوائلهم للمعاناة حسب قوله متأسين بقوتهم وقائدهم في الثورة الامام الحسين (عليه السلام) المهلم الفكري والدافع الروحي للثورة للحفاظ على العرض والخلاص من الفساد الذي يدبونه داعش في ارضنا المقدسة والحفاظ عليها.⁽¹⁷⁾

5- عمليات الحشد الشعبي ضد أرباب الدواعش:

توزع الحشد الشعبي في مناطق المعركة، ليشترك في عمليات مدينة الفلوجة. الرمادي التي يغلب عليها الجيش والشرطة العراقية، و عملية (لبيك يا رسول الله الثانية)، التي انطلقت في (١٢ أكتوبر ٢٠١٥)، بمناطق الصينية، وألبوجواري، وشمال بيجي، ومصفى بيجي المسمى ب (مصفى الصمود)، ضمن قاطع محافظة صلاح الدين، وتسعى هذه العملية الى تحرير كافة مناطق محافظة صلاح الدين بما فيها الشرف، وفي (10 ١٤ أكتوبر ٢٠١٥)، سيطرت قوات الحشد الشعبي، والقوات المسلحة العراقية، بمعية العشائر المنتفضة في تلك المناطق، على قضاء بيجي بالكامل، ولا تزال توجد بعض المواجهات الطفيفة مع داعش في مركز قضاء بيجي، وبلدة الصينية، وغيرها من المناطق. (18)

ومن الشائعات التي نالت الحشد الشعبي الذي بذل الغالي والنفيس، تاركين عوائلهم وحياتهم من اجل الحفاظ على الارض العراقية، فقد ترددت أخبار صحفية وتلفازية بأن هناك نوع من التواجد العسكري (جنود ومقاتلون)، على الأرض العراقية تابعين لإيران وبريطانيا ودول أخرى، إلا أن الحكومة العراقية تنفي نفياً قاطعاً، وجود أي قوات أجنبية (غير عراقية) على أرض العراق، كما صرح بذلك رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي في أكثر من لقاء متلفز، وأعرب على أن الوجود الأجنبي (غير العراقي) على الأرض العراقية يقتصر على مستشارين أجانب (غير عراقيين) وظيفتهم تقديم النصح والمشورة العسكرية فقط. (19)

شكل انطلاق فصائل الحشد الشعبي، واندفاعها الباهر نحو ساحات القتال ضد العصابات الإرهابية المعروفة بداعش، انعطافة واضحة في مسار العمليات العسكرية والأمنية، لما شكلته من تغيرات استراتيجية في الاتجاه العام للجهد العسكري والأمني، فالحشود الشعبية التي انتفضت في لحظة تاريخية حرجية ومصيرية استجابة لنداء المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف، وتعبيراً للإرادة الداخلية في الرغبة للتخلص من الدواعش، هذه الحشود انضمت الى مسار المعارك المحتدمة، وأعدت بناء الروح المعنوية القتالية، وضخها بزخم جديد وقوي، ليساند الجيش في المعارك الدائرة، مبتدئة من جرف النصر الى امرلي وبيجي وغيرها من المنازلات التي استطاعت فيها القوات العسكرية والحشد الشعبي من كسر شوكة الإرهابيين ودحرهم

كان لفصائل الحشد الشعبي دور في تغيير موازين القوى لصالح قواتنا العسكرية والأمنية، فدخلها أرض المعركة شكل، فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص التي اصابت شعبنا، والاستجابة القوية بزعامه المرجعية المتمثلة بالحشد الشعبي، التي حققت انتصارات لا يمكن إلا ان نعدها، إنموذجاً

للروح الحماسية الجديدة التي سادت المجتمع العراقي جميعاً، فالحشد الشعبي أصبح منقذاً، لمدن استنجدت به ضمن إعادة بناء اللحمة الوطنية العراقية، فليس من الغريب أن تنطلق الأصوات من أهالي الرمادي طالبةً بتدخل قوات الحشد الشعبي إلى جانب القوات العسكرية وعشائر المدينة للذود عنها، وإيقاف الهجمة الداعشية البربرية على عشيرة البو نمر على سبيل المثال.⁽²⁰⁾

جاءت انتصارات الحشد الشعبي بمصاحبة قواتنا العسكرية لتدخل لأرواحنا فرحاً غامراً وشعوراً عارماً بالفخر، بأبطال من مختلف الأعمار يتمتعون بإرادات صلبة، وإيمان متماسك بما يلقي عليهم من مهام فدائية وصعبة، لعل أهمها الدور الاستشهادي في تقدم أفواج الحشد الشعبي لاقتحام المدن والقرى وتحريرها، ومن ثم تسليمها لقوات الجيش العراقي، كما حصل في مناطق العظيم والسعدية، اذا كانت أفواج الحشد الشعبي رأس حربة في عمليات التقدم والتحرير، واستعادة الأرض المغتصبة، ويمكن القول ان الدور الفاعل والمؤثر للحشد الشعبي،

أوجع رؤوساً وأغضب أرواحاً، لم تكن تتوقع استعادة روح المبادرة بل إنها كانت تتمنى أن تطهر الأرض المغتصبة من قبل العصابات الإرهابية، فأخذت تثير اقاويل غير صحيحة، متهمة أبطال الحشد الشعبي الذين ضحوا بأرواحهم عن أرض الوطن دون اي مقابل مادي، والمقاتلين الأشداء لقوى الشر باتهامات فارغة هدفها التشويش على هذه الانتصارات، وإيقاف التقدم المذهل للقوات العسكرية، وفض الارتباط المصيري بين الجيش والحشد الشعبي، ورغم ان الحرب وفي كل مكان بالعالم وعلى مدار التاريخ لا بد أن تشهد تجاوزات هنا وهناك إلا أن قوى الحشد الشعبي ، وهو ما أخبرنا به قادته الأبطال ،حاولت بكل ثبات وعزم ،عدم ارتكاب أية أخطاء ،

بل كان أفراد الحشد الشعبي يتعاملون بسلوكيات إنسانية، أثارت إعجاب سكان المناطق المحررة، وهو ما شاهدناه عند تحرير منطقة جرف النصر من التعامل الطيب ،للمقاتلين مع العوائل والأشخاص الذين كانوا محاصرين بالمنطقة بسبب سيطرة عناصر ”داعش“، فرأينا أفراداً من الحشد الشعبي بفصائلهم المتنوعة وهم يحملون رجالاً مسناً ،أو يمسخون عن وجه طفلة صغيرة مرعوبة قطرات الدمع المتساقطة، مثلما شاهدنا تقديمهم الطعام والماء لهؤلاء المحاصرين،وقد قامت شاشات التلفزة التي نقلت عمليات التحرير الكبرى للجيش والحشد الشعبي للمدن والقرى، وتعامله الإنساني مع سكان هذه المناطق،

ورغم ذلك كله فإن الصورة البطولية المثالية التي شكلها أفراد الحشد الشعبي تزيد من إيماننا بقدرتنا على تحقيق الانتصار، ولوطال الزمن بل تأكد لنا عدم الحاجة لوجود قوات أجنبية قتالية على أرضنا، وعندنا من أبطال ورجال متحمسين يمنحنا القوة الكافية، لتحرير بلادنا،حتى أصبحنا نرى شباباً في

الجامعات والمدارس، وحتى الأطفال يتغنون ببطولات الحشد الشعبي ويتفاخرون بنشر صور الأبطال الذين يقاتلون ويستشهدون دفاعاً عن البلد، لأن الذي استشهد أبوه أو أخوه أو أقربائه، حتى أن الروح الانتصارية وصلت إلى النساء والشيوخ والقوى الاجتماعية المختلفة التوجهات، وهو دليل على مدى التضامن الشعبي الوطني العراقي في مواجهة القوى الإرهابية، بل إن عائلة واحدة يتطوع أكثر من فرد من أفرادها ضمن أفواج الحشد الشعبي بالدفاع عالى وفخر شديد. وسيشهد التاريخ العراقي المعاصر للحشد الشعبي، أنه هو من أعاد صياغة تاريخه المعاصر، وردم فجوة التي بدت تتسع لولا هذه الانطلاقة البطولية، وتوجيهه منحى المعركة إلى النصر والقضاء على الإرهاب.⁽²¹⁾

خاتمة البحث

نستنتج من خلال بحثنا الى بعض النتائج وهي كالآتي:

1 - قدم الحسين (عليه السلام)، على قتل نفسه هو وعائلته، ولم تكن في نظره هو سلطنة أو رئاسة، وكان يعلم منذ يعلم جده وأبيه، أنه سيقتل، لكنه خلد بقتله، في ذاكرة وقلوب الناس، بل كل منا في داخله حسين، حسين الذي ثار على الظلم وكل مظلوم منا ينتصر بالحسين، حتى أصبح علما لمن يريد الثورة والانتصار على الظالم، ومن هذا المبدأ سار المرجع علي السيستاني بإصدار فتوى الجهاد الكفائي، فهو لاد الحشود من الشعب تمثلت بمبدأ الامام وثورته، فثارت ضد الطغاة مضحية بحياتها وحياة عوائلها، للحفاظ على ارض الوطن من الدواعش.

2 - تبقى ثورة الامام الحسين (عليه السلام)، علما ومنازا يهتدى به، لكل من يريد الانتصار على الظالم، والقيام بثورة ليحقق الحق، ويعيش الانسان حرا كريما، وهو نفس الهدف الذي سار عليه حموع الحشد الشعبي، فنحن في كل لحظة نسمع فلان من الاقارب والاصدقاء استشهد في الحرب ضد داعش، وما لافتات الشهداء الا دليل على حب هولاء لارضهم ووطنهم دون اي مقابل، وهم يعلمون انهم ميتون لامحالة، انهم يمضون الى الموت وهم فرحين، متأسين بمبدأ امامهم، وهو يقول ” اني امضي الى القتل“ وهذا الحشد فعل نفس الشيء.

3 - كانت ثورة الحسين (عليه السلام)، دافعا للعديد من القادة والفرسان، للدفاع عن الامام والوقوف معه، كالحرب بن يزيد الرياحي، وزهير بن القين، هي كانت ايضا نفس الدافع لجموع الحشد الشعبي للدفاع عن ارض العراق ارض الانبياء والمقدسات، من اي تدنسي ارهابي كافر.

قائمة المصادر والمراجع

- 1 - القزويني، محمد كاظم، فاجعة الطف، ط10، (د-م)، 1992، ص40-34.
- 2 - سورة العنكبوت، آية 69.
- 3 - فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد)، مقالة في مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، دار الكفيل، 2015، ص2 وص17-19.
- 4 - الياسر، حسين، الحشد الشعبي يمزق خرائط السياسة التقليدية، مقالة في مجلة حماة الوطن، السنة الثانية، العدد (11)، 2015، ص33.
- 5 - فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد)، ص25-20.
- 6 - الموالي، أبو يونس، لقاء مع مجاهد، مقالة في مجلة حماة الوطن، السنة الثانية، العدد (11)، 2015، ص55.
- 7 - فتوى الجهاد الكفائي (وثيقة العهد)، ص25-20.
- 8 - <http://www.alsumaria.tv/news/134012//ar> - السومرية نيوز في ١٤ أيار ٢٠١٥ في الساعة (١٦:٠١) واطلع عليه في الثالث ٣ من تموز ٢٠١٥.
- 9 - <http://www.beladinews.net/index.php?aa=news&id22=10983> - نيوز في ٥ / يناير / ٢٠١٥.
- 10 - http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/12/141225_iraq_is_kurds_abady - إطلع عليه في 25-12-2014، إطلع عليه في 27-12-2014.
- 11 - <http://www.iraqmidea.com> - المنتدى الإعلامي الحر في العراق في ٢١-٢-٢٠١٥، واطلع عليه في ٠١-مارس-2015.
- 12 - مقال الحشد الشعبي، جريدة الصباح، 21/11/2015.
- 13 - شبكة الاعلام العراقي، مقالات سياسية، الحشد الشعبي، 2015.
- 14 - <http://www.alsumaria.tv/news/134012//ar> - السومرية نيوز في ١٤ أيار ٢٠١٥ في الساعة (١٦:٠١) واطلع عليه في الثالث ٣ من تموز ٢٠١٥.
- 15 - مقال الحشد الشعبي، جريدة الصباح، 21/11/2015.
- 16 - <http://www.beladinews.net/index.php?aa=news&id22=10983> - نيوز في ٥ / يناير / ٢٠١٥.
- 17 - شبكة الاعلام العراقي، مقالات سياسية، الحشد الشعبي، 2015.
- 18 - <http://www.iraqmidea.com> - المنتدى الإعلامي الحر في العراق في ٢١-٢-٢٠١٥، واطلع عليه في ٠١-مارس-2015.
- 19 - http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/12/141225_iraq_is_kurds_abady - إطلع عليه في 25-12-2014، إطلع عليه في 27-12-2014.
- 20 - <http://www.alsumaria.tv/news/134012//ar> - السومرية نيوز في ١٤ / أيار / 2015.
- 21 - مقال الحشد الشعبي، جريدة الصباح، 21/11/2015.

الارهاب وتأثيره على الاوضاع السياسية في العراق

الباحث الاول: استاذ مساعد احلام احمد عيسى - الباحث الاول: استاذ مساعد احلام احمد عيسى
Mr. Ahlam Ahmed Issa
البريد الإلكتروني: ahlamahmd1976@gmail.com
ahlamahmd1976@gmail.com
Al-Mustansiriya University
email/ dr.munaali2017@gmail.com
ahlameash@uomustansiriyah.edu.iq
0771419665
07700758494: رقم الهاتف

(ملخص)

الارهاب من الظواهر الخطيرة والمعقدة لذا تأثيره اصبح يمتد ويتسع فاصبح لهذه الظاهر خطر جسيم على الفرد والمجتمع وبخاصة فئة الشباب حيث اصبح الكثير من الشباب ينحرفون باتجاه خطير يحمل افكار مزيفة باسماء عديدة ومنها الدين ليشغل مشاعر الشباب تحت مسميات واكاذيب وخدع واهية لعقول بعض الشباب بالتالي عرضت سلامة المجتمع والافراد للخطر والقت الرعب في نفوس العراقيين والحققت اضرار بالغة بالارواح والمنشآت والاملاك وما نراه في الموصل من تدمير لمعالمها الحضارية والعلمية ما هو الا نتيجة ما استهواه نفوس الشباب بانضمامهم الى المنظمات الارهابية المنحرفة عن الدين والقانون لذا يجب على كل مؤسسات الدولة العراقية ومنظمات المجتمع المدني وضع سياسة منظمة مدروسة للقضاء على الارهاب والمجاميع المنظمة بتحسين الشباب العراقي والعربي ضد اي مجموعة ارهابية عن طريق خبراء امنيون , ونفسيون وتربويون , لانها افكار منحرفة وضالة يجب تحسين الشباب منها وليس عملية سهلة كما يتوقعها البعض فاثارها تمتد من سنين الى اجيال اذ لم تعالج في سبيل تحسين الشباب وتوعيتهم ضد مخاطر الفكر التكفيري والالتحاق بالجماعات الارهابية , موضحين ان المنهج التكفيري , يحتاج الى معالجة خاصة , وخطة متكاملة تستوعب تدخل كل فئات المجتمع العراقي وعلى راسهم العلماء , والدعاة واصحاب الفكر من اجل الاتفاق على منهج موحد لتوعية الشباب , وتحسينهم ضد ما يبث اليهم من المواقع على الانترنت عن طريق تأهيل المعلمين للاهتمام بمنهج الاعتدال , فضلا عن عقد الندوات التعليمية للتوعية بوسطية الاسلام وسماحة للطلاب على المستوى الابتدائي والمتوسط وحتى الجامعي لكي نحمي شبابنا ونحسينهم ضد الارهاب والافكار المنحرفة . و الارهاب هو الترويع وافتقاد الامن بهدف تحقيق منافع معينة وان لظاهرة الارهاب اسباب عديدة منها ما هو سياسي واخر اقتصادي وقد

يكون نفسي او اجتماعي وتوضيح المسببات تساعد في القضاء على الظاهرة اذا لم تعالج اسبابها التي تنشأ عنها هذه الظاهرة لان الاسباب السياسية والاقتصادية مرتبطة بالاسباب الاجتماعية ولذلك فالعوامل الاقتصادية التي تساعد الى تنامي ظاهرة الارهاب على داخل المجتمع او على خارجه , فالعوامل الداخلية تكمن في بعض المشاكل التي يفرزها المجتمع ومنها التخلف البطالة سوء توزيع الثروة عمليات الفساد الحكومي والاداري ولذلك يجب القضاء على الارهاب بالبحث عن وسائل واساليب لمعالجة بعد ان اصبح الارهاب عالمي واصبح يسير في خط تصاعدي الى يومنا هذا من خلال المساواة بين طبقة المجتمع كافة , كذلك معالجة ظاهرتي التخلف والبطالة التي تعتبر من مخلفات الحرمان الاقتصادية واعادة توزيع الثروة وتلبية حاجات الفرد الاساسية والابتعاد عن السلوك والاعمال العدوانية الملازمة للقاعدة والارهاب . ولذا فان ظاهرة الارهاب ليست جديدة وانما هي ظاهرة قديمة قدم الانسان ذاته فهي تطورت بفعل متغيرات البيئة الدولية التي تتحرك فيها والتي تعتبر العامل الرئيسي وراء التحول في اشكاله ووارداته وتكنيكاته تتطور بسرعة مع الزمن وتبقى كيف يستطيع الانسان القضاء عليها لانه الشخص الذي يمتلك الارادة الفعلية والعملية في استئصال جذور الارهاب الذي ينهض من جديد بفكر خلاق بناء قادر على التعامل مع واقع واعباء الحياة المختلفة . ولذا جاء البحث بثلاث محاور اساسية المحور الاول ناقش معنى الارهاب والمحور الثاني اسباب الارهاب والمحور الثالث والاهم طرق علاج الارهاب وتحصين الفرد من الافكار المتطرفة.

(Abstract)

Terrorism is a dangerous and complex phenomenon, its impact has become expanding and expanding, and this phenomenon has become a grave danger to the individual and society, especially the youth group, as many young people have become deviated in a dangerous direction carrying false ideas with many names, including religion, to occupy the feelings of young people under names, lies and deceptions for the minds of some young people, thus offering the safety of society and individuals. The danger and terror in the hearts of the Iraqis and caused great damage to lives, facilities and property, and what we see in Mosul of the destruction of its cultural and scientific landmarks is only the result of what the young people liked by joining terrorist organizations that deviated from religion and the law

Therefore, all Iraqi state institutions and civil society organizations must develop an organized policy Studied to eliminate terrorism and organized groups by immunizing Iraqi and Arab youth against any terrorist



group through security experts, psychologists and educators, because they are perverted and misguided ideas that young people must be immunized from. Against the dangers of takfiri ideology and joining terrorist groups, explaining that the takfiri approach needs a special treatment, and an integrated plan that accommodates the intervention of all segments of Iraqi society, led by scholars

preachers and intellectuals in order to agree on a unified approach to educate young people, and immunize them against what is broadcast to them from websites on the Internet by qualifying teachers to pay attention to the method of moderation, as well as holding educational seminars To raise awareness of the moderation and tolerance of Islam for students at the elementary, middle and even university levels in order to protect our youth and fortify them against terrorism and deviant ideas. Terrorism is intimidation and the lack of security with the aim of achieving certain benefits. The phenomenon of terrorism has many causes, including political, economic, social and psychological

Studying these reasons helps in eliminating the phenomenon if the causes that arise from this phenomenon are not addressed because political and economic reasons are linked to social causes. Therefore, the economic factors that help to The growth of the phenomenon of terrorism on both internal and external levels

The internal factors lie in some of the problems that society produces, including underdevelopment, unemployment, poor distribution of wealth, government and administrative corruption, and therefore terrorism must be eliminated by searching for means and methods to address it after terrorism has become global and has been moving in an upward line to this day

Through equality between all classes of society, as well as addressing the phenomena of underdevelopment and unemployment, which are remnants of economic deprivation, redistribution of wealth, meeting the basic needs of the individual, and staying away from the behavior and aggressive actions inherent in al-Qaeda and terrorism. Therefore, the phenomenon of terrorism is not new. Rather, it is a phenomenon as old as man himself

It has developed due to the variables of the international environment in which it moves, and which is considered the main factor behind the transformation in its forms, imports and techniques that develop rapidly with time, and it remains how a person can eliminate it because he is the person who has the actual and practical will in Eradicating the roots of terrorism, which is re-emerging with a constructive and creative thought capable of dealing with the various realities and burdens of life. Therefore, the research came with three main axes, the first axis discussed the meaning of terrorism, the second axis, the causes of terrorism, and the third and most important axis are ways of treating terrorism and immunizing the individual from extremist ideas

مشكلة البحث / انتشار وتنامي ظاهرة الارهاب في العراق : ما الوسائل المعتمدة للحد من ظاهرة الارهاب في العراق ؟

فرضية البحث / هناك اسباب كثيرة للعنف والارهاب في العراق فالظاهرة جاءت نتيجة اسباب عديدة منها سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لذا يمكن التغلب عليها بالتخلص من هذه الظروف وتحسينها .

هدف البحث / للبحث اهداف عديدة اهمها التوصل الى نتائج علمية ملموسة وواقعية للحد من ظاهرة الارهاب في العراق .

اهمية البحث / تاتي اهمية البحث من كونه يعالج قضايا مهمه وذات طابع اجتماعي يخص كل طبقات وافراد المجتمع العراقي .

الحدود الزمنية للبحث : تشمل الدراسة والبحث لظاهرة الارهاب بعد احداث 2003 وما نتج عنها من تداعيات خطيرة تمثلت بالارهاب والمجاميع الارهابية .
هيكلية البحث : تناول البحث محاور عديدة اهمها :

المحور الاول : الارهاب تعريفه ,اقسامه

المحور الثاني : اسباب الارهاب , دوافع الارهاب

المحور الثالث : الطرق التي استخدمها الارهاب لترويع المواطنين ,الطرق المستخدمة للحد من ظاهرة الارهاب .

المحور الاول : تعريف الارهاب

الارهاب كلمة ووصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف لتحقيق اهدافهم السياسية والارهاب هو رعب تحدثه اعمال عنف كالقتل والقاء المتفجرات او التخريب والارهابي هو من يلجأ الى الارهاب بالقتل او القاء المتفجرات او التخريب لاقامة سلطة او تفويض اخرى والحكم الارهابي هو نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة الشعب بالشدة والعنف بقية القضاء على الحركات التحررية والاستقلالية , ويختلف الوطن العربي ورجال الاعمال على اعطاء المنظمات الارهابية باختلاف الموقف السياسي الذي يتخذونه تجاههم ومن ثم استخدمت اوصاف مختلفة عند الاشارة اليهم⁽¹⁾.

مفهوم الارهاب يعرف بانه الترويع وافتقاد الامن بمعناه الاوسع بهدف تحقيق منافع معينة . يعرف الارهاب بانه عمل عنفوي يستهدف ارضاخ الجماعة لارائة وفرض معادلة مغايرة بمنطق القوة من خلال الخوف وهو وسيلة يستخدمها الافراد والجماعات ضد الحكومات⁽²⁾.

ينقسم الارهاب الى عدة انواع ومنها :

1 - الجريمة المنظمة العابرة

2 - الارهاب برعاية الدول

3 - الارهاب الايديولوجي

4 - الارهاب السياسي

5 - الارهاب الديني الذي يقصي المنافسين بمنطق القوة المقدسة .

6 - الارهاب الاعلامي الذي يدعوا الى العنف⁽³⁾ ولذلك فهناك انواع متعددة من الارهاب ذات اشكال والوان متعددة وان اختلفت انواعها الا ان مصيبتها واحد وهو الفساد

(ويسقون في الارض الفساد) فهناك ارهاب عقائدي وارهاب عملي وارهاب فكري واخر اخلاقي وجميعها مؤذية جدا , ولكنها متفاوتة التوقيت . تقسم المجاميع الارهابية الى ثلاث ولايات (ولاية بغداد , ولاية الانبار , ولاية نينوى) يقسمون الى :

74. خلية اختصاص اشعال الحرائق لاثارة الرعب

140 . خلية ذات تدريب عالي اغتيالات متخصصة

60. احتجاز رهائن

239. جاهزين لهجوم مسلح

521. تفجيرات

54. خطف شخصيات

176. اختطاف عام

24. عمليات أخرى توريد , اتصال , تأمين طرق

10. هجوم غير مألوف (4) .

ان الارهاب وتنظيمات داعش دائما هي اضعف من قوه الجيش العراقي البطل والدليل على ذلك ان داعش تقدم على حرق قرية بالكامل كي تقتل شخص او تحقق هدف لكن الجيش عند دخولة المدينة يحافظ على سلامة الابرياء النازحين حيث يوقف العمليات لانقاذ الموجودين مثلما حصل في الفلوجة ومن ثم التصدي للمجاميع الارهابية لان دور هذه المجاميع حرق وقتل وترويع المواطنين (5) .

بالاضافة الى ذلك يكون عمل هذه المجاميع الارهابية سري لكن الجيش عملهم علني وما يدل على ضعفهم انهم يجندون الاطفال حيث يضعون نقاط اعلامية في جميع الشوارع يظهر عصابات داعش واعمالهم الارهابية ويحبذونها للاطفال ويصورون لهم انهم سيذهبون الى حور عين مما يدفع الطفل الى الالتحاق بصنوف داعش كما ان استعمال العاب الاسلحة ادى الى تنشئة الطفل باتجاه خاطيء (6) .

مشروع داعش هو مشروع خطير وكبير في العراق لتطبيق الظروف على المواطنين وخاصة في الحالة النفسية التأثيرات النفسية لداعش على المناطق المحررة (الاثار التي تركتها داعش على المناطق المحررة) من الناحية الاجتماعية اثرت داعش على الاسرة والعلاقات الاجتماعية داخل الاسرة سواء الجانب المساوي النفسي الذي ادى الى ان تكون هذه الاسر مضطربة نفسيا سلوك يلجىء الى العنف داخل الاسرة فخرج الطفل عن الدراسة والبطالة والتفكك الاسري كان اداة مهمه للايقاع بيد الارهاب ولدينا بعض النسب التقريبية لاثار الارهاب الناتج من داعش ومنها 33% نسبة الشباب المتعاطفين مع داعش , 65% خسائر اقتصادية نتيجة البطالة اقتصاديا , 1812 عدد المنظمات الارهابية المتأثرة بداعش , داعش في بداية الامر كانت تستهدف 90% مكون معين ضد الشيعة من عام 2011 الان اصبح ضد الجميع وقد اصبح عدد الضحايا 632716 الف سنة 2015 عدد المصابين 1763802 مليون مهاجر ونازح , مما يلقي القبض لا يشعرون بالندم بسبب غسل الادمغة 150 الف طفل تم تجنيدهم , 3,5 ثلاثة مليون ونص تركوا العائلة وانظموا لداعش اصبحت تأثيرات اجتماعية وتشقق يجب علاج الارهاب ليس بالاسلحة وانما بالفكر فخطر الفتاوي التكفيرية لها دور كبير في الارهاب والذي هو خارج العراق لا يعرف ماذا يحدث لانه يذهب لشبكات تواصل

مختلفة لانها الشبكة العراقية ليس لها قناة فضائية باللغة الانكليزية وهذا يترك اثار كبيرة لدى الافراد بسبب الاشاعات (7).

و الإرهاب نوع من العنف السياسي حيث يتضمن الاستهداف العمدي للمدنيين ويميز بين الضحايا المباشرين والجمهور الذي يود أن يؤثر عليه. ومن هذا المنطلق، يتضمن الإرهاب ثلاثة عوامل وهما كما يلي: العنف السياسي أو عمل عنيف يهدف إلى توصيل رسالة سياسية ما، والاستهداف العمدي للمدنيين، وطبيعة ثنائية المركز، حيث يهاجم مجموعة ما لإرهاب مجموعة أخرى. (8)

علينا ان نحسن شبابنا من اي فكر ضال ومنحرف وعلينا ان نفهم امرا مهما حتى في المجتمعات التي لا تدين باي دين نجدها تقف بالمرصاد امام اي فكر يشنت عقول شبابها او يبيت ثقافة مخالفة لثقافتهم او فكر يخالف ما تسلم به تلك المجتمعات وتقف بحزم ضد اي فكر دخيل قد يؤثر على عقول ابناءها , اذ كان هذا شأن المجتمعات التي لا تدين رغم ذلك تخاف على عقول ابناءها واذا كان هذا شأن المجتمعات التي لا تدين رغم ذلك تخاف على عقول ابناءها وشبابها فكيف بنا نحن امة الاسلام والتي حملنا امانة التبليغ وامانة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعندما يكون ابناءنا قد تشربوا كل مبادئ الاسلام واهل بيت النبوه وتحصنوا بما فيه الكفاية فاي فكر هدام صادفوه في طريقهم لن ينال منهم لانهم اكتسبوا مناعة يميزون بين الخير والشر ولذا فاللاسرة دور مهم واساسي في اعداد الشباب ومتابعة ابناءها وكذلك دور المؤسسات التعليمية ومؤسسات المجتمع المدني وما تقدمه من ندوات تثقيفية فلو كان لهذا الشاب من الوعي بعدوهم الكثير ولهم من الثقافة ما يحصنهم فلن يندعوا ابدا لما يروج له العدو فعندما نحافظ على عقول الشباب ونحصنهم من اي فكر هدام حتى عندما يخرجون لمعترك الحياة يكونون مسلحين بالعلم والوعي جيدا فلا ينال اي فكر شاذ او هدام او اي تنظيم ارهابي (9).

المحور الثاني : اسباب الارهاب

الارهاب مشكلة متداخلة هناك اسباب وعوامل كثيرة ادت الى بروزها وتطورها ومنها العوامل الشخصية والثقافة والسياسية الاقتصادية لتشكيل ظاهرة الارهاب التي تحقق اهدافها بممارسة العنف والقتل , وهناك بعض العوامل التي تزيد من حدة التطرف والارهاب واستمرارها منها معاملة التطرف ومواجهه ارهاب الافراد والجماعة بارهاب الحكومة والاقتصار على الوسائل القمعية دون

البحث والتعامل مع جذور المشكلة .

ويعد الارهاب من الظواهر الاجتماعية التي تنشأ وترعرع في ظل عوامل نفسية واجتماعية خاصة وتحت ظروف سياسية واقتصادية وثقافية معينة وتشترك جميع هذه العوامل بشكل او باخر في انتاج ظاهرة الارهاب في الواقع الاجتماعي ومن ثم فان اية معالجة جادة لهذه الظاهرة تتطلب معرفة دقيقة لهذه العوامل والظروف التي تساعد على وجود هذه الظاهرة (10) .

1 - الاسباب الاقتصادية :

ان من اهم الاسباب الاقتصادية هي التغيرات الاقتصادية التي حدثت في الدول العربية الى تكثيف حركة الهجرة من الريف الى المدينة وانتشار الاحياء العشوائية الفقيرة في مدن بعض الدول وقد ضمت هذه الاحياء العشوائية النسبة العالية من المتطرفين وذلك بفعل عجز بعض سكانها عن التكيف مع قيم المدينة المختلفة عن قيمهم في الريف , وبسبب تفشي البطالة وخاصة بين الشباب وتوثر الازمات الاقتصادية في الطبقات الدنيا في المقام الاول وحيث تعاني بشدة من تدهور ظروفها المعيشية بفعل انتشار البطالة وتدهور الخدمات وظهور الطبقة من الاثرياء الذين يسلكون سلوكا استفزازيا بالنسبة للفقراء وتؤدي الازمات الاقتصادية الى ازدياد البطالة والتضخم وغلاء الاسعار وبالتالي تزداد حدة التفاوت الطبقي (11).

2 - الاسباب الاجتماعية :

هناك العديد من الاسباب الاجتماعية كان من اهمها واكثرها تاثير النقص في مصادر الثروة والسلع والخدمات وعدم العدالة في توزيع الثروة والتفاوت في توزيع الدخل والخدمات والمرافق الاساسية كالتعليم والصحة والسكان والكهرباء بين الحضر والريف وتكدس الاحياء بفقراء المزارعين النازحين من القرى عن زيادة اعداد المبعدين من المدارس والجامعات الذين لا يجدون فرص العمل (12).

3 - الاسباب السياسية :

كانت الاسباب السياسية ومازالت من اهم اسباب نشوء وتطور ظاهرة الارهاب في العراق بسبب تدني مستوى المشاركة السياسية وخاصة بالنسبة للشباب ومن مختلف الطبقات في اتخاذ القرارات التي تخص حياة المواطن بما في ذلك الحياة اليومية سواء داخل الاسرة او المدرسة او الحي السكني او العمل عن طريق العضوية الفعالة والنشطة في التنظيمات الشعبية والرسمية (13) .

4 - تضيق دائرة الشورى والديمقراطية او انعدامها:

على الرغم من فرحت الشعوب العربية بالديمقراطية لكن لم تأخذ غالبية نظم الحكم في البلاد العربية بمبدأ الشورى والديمقراطية على الرغم من عدة عقود من السنين على اقامة نموذج الدولة الحديثة فيها وتعد تجربة الديمقراطية تجربة جديدة وهشة وربما تكون شكلية , اذا هم الديمقراطية فتح قنوات قانونية للحوار والتعبير عن الراي والفكر , ان العجز عن الحوار وخاصة مع جيل الشباب يجعل الكثير منهم ضحية العنف المؤسسي .

فتنمو لديهم ظاهرة التطرف الديني , بالاضافة الى قلة المناطق الخضراء والنوادي الرياضية للشباب والمناطق مكتضة بالسكان بالتالي يتحقق التطرف العنيف سواء كان في المناطق الشيعية في بغداد او السنية (14) .

5 - ازمة التعليم ومؤسساته:

يعاني التعليم في الدول العربية وخاصة العراق من ضعف الانظمة كما تعتمد نظم التعليم في الاقطار العربية على التلقين والحفظ والتكرار حشو ذهن الطالب دون اعمال للعقل ودون تحليل او نقد وبذلك يصبح من السهل على الطالب ان يتقبل على ما تملية عليه سلطة امير الجماعة دون تحليل او نقد او معارضة فيكون سهل للانخراط مع اي جماعة . ولهذا يجب ان يكون هناك تعليم ونهج متوازي مقارنة الاديان ليعرف كل مذهب او دين افكار المذاهب والاديان الاخرى (15) .

6 - الفهم الخاطى للدين :

الدين لاي بلد من جدا وعامل اساسي لتوحيد العقيدة ورسوخ تعاليم الاسلام والديانة هنا يعتبر من اهم العوامل والاسباب الاساسية التي ادت الى انخراط الكثير من الشباب وحتى الاطفال في طريق الارهاب هو الفهم الخاطى للدين ان الفهم الخاطى للدين ومبادئه واحكامه , يعطي فرصة للجماعات المتطرفة باخذ الدور بملء الافكار التي يعتقونها كما ان غياب الحوار والمناقشة يرسخ الفكر والتطرف لدى الشباب (16) , فالمذاهب والاديان في العراق متعددة , كذلك هناك اسباب كثيرة للتطرف الديني والارهاب ولذلك يجب القضاء على اسباب الارهاب حتى نستطيع مواجهه التطرف والوقوف بوجهه والتوصل الى معالجة ظاهرة الارهاب عن طريق القضاء على اسباب الارهاب او الحد منها .

7 - وقت الفراغ :

بسبب التغير الحاصل في النظم السياسية أصبح فراغ كبير في جميع مفاصل الدولة ويلعب الفراغ دورا مباشرا في انضمام الشباب للانحراف والجماعات المتطرفة ، إذ أنه إذا لم يستغل الشباب أوقات فراغه في عمل مفيد يحقق أهدافه ويستثمره فيما يعود عليه بإشباع حاجاته ، فإنه قد يتعرض للضجر والملل والإحساس بالدونية ، وبالتالي قد لا يتردد في الانخراط في الجماعات المتطرفة التي تساعد على تحقيق ذاته .

8 - فقدان الثقة بين المواطن والسلطة:

فقدان الثقة أصبحت كبيرة جدا بين المواطن والسلطة لتردي الاداء الحكومي وانتشار الفساد المالي والاداري والامن , فلا يمكن النظر الى الامن الداخلي بمعزل عن الامن الخارجي لان الكثير من المشاكل التي حصلت في العراق اسبابها نتيجة الدول المجاورة , ولهذا أصبح واجب قوى الامن الداخلي ان تدرس ظاهرة عدم الاستقرار واسبابها ووضع الحلول لمعالجتها لان الجهات المعادية تنتهز الفرصة في البحث عن اية ثغرة للتسلل والقيام بأعمال ارهابية معادية , فالأمن هو مسؤولية الجميع من الجيش والقوى الامنية واجهزة الاستخبارات والمواطنين بكل طبقاتهم وافكارهم وانتماءاتهم فلا بد من التكاتف لدرء اي خطر يهدد الامن لذلك لابد من وجود توافق بين المجتمع والمؤسسات الامنية حتى تستطيع الاجهزة الامنية من اداء واجباتها على اكمل وجه وافضل اسلوب لخلق بلد امن ومستقر⁽¹⁷⁾.

وهناك دوافع واسباب اخرى للارهاب

- 1 - شعور الجماعة الارهابية بالغبين والظلم ومحاولة استرجاع حقوقها بطرق القوه
- 2 - التأثير بالنص الديني المتشدد والنصوص التي تبيح دماء واموال واعراض غير معتنقي الدين والمذهب الذي تتبناه الارهاب .
- 3 - غطرسة الدول العظمى وسعيها في تقدير وسطوتها وهيمنتها على الدول الضعيفة من خلال زرع الخلايا الارهابية الظارية في امن وسلامة تلك الدول بغية اجبارها ان تستغيث بقوة نفس الدول الراعية للارهاب .
- 4 - قيام الدول الراعية للارهاب بتحطيم اقتصاديات الدول الصغيره من خلال ضرب وخلخلة الامن فيها عبر تدريب وتهيئة الخلايا الارهابية الناشئة اساسا على ثقافة الدم والمتاثره بالنصوص الدينية المتشددة

5 - النصوص الدستورية التي تركز عليها بعض الحكومات في ممارسة اقضاء او اباداة بحق جماعة او مكون اجتماعي ما (18) .

وان الذي زاد واوسع دائرة الارهاب والتنظيمات المسلحة هو:

- 1 - الافتقار لبرنامج قوي لمكافحة الارهاب
- 2 - ضعف الاجراءات الدفاعية المانعة للارهاب
- 3 - قدم نظم جمع المعلومات لاكتشاف التهديدات الارهابية
- 4 - عدم الاتفاق مع بعض الاطراف على صياغة واضحة لذا يجب ان تضع الدولة العراقية بيئة مناسبة للقضاء على عصابات داعش وخاصة البيئة الثقافية لمعالجة العنف من الجانب التربوي والاجتماعي والسياسي وخاصة معالجة دراسة مادة التربية الاسلامية من المراحل الدراسية كافة لمعالجة الوضع حتى ينشئ الطفل في بيئة خالية من التشويش ويكون قادر على الوقوف بوجهه اي تنظيم ارهابي يحاول الاعتداء على بلده (19).

بالاضافة الى البيئة الحضرية ودورها الكبير في تطوير وتوسيع دائرة الارهاب لان وجود الساحات الواسعة والمتنزهات للتعبير عن اراء الشباب بما موجود داخله من طاقات وتمنعة من الارهاب (20)

المحور الثالث : علاج الارهاب والحد من انتشار الظاهرة

ظاهرة الارهاب اصبحت منتشرة بشكل واسع وكبير خلال السنوات الماضية ، ومازالت الى الان تمارس شتى انواع القتل الاجرامي والارهابي الذي يحصد يومياً مئات القتلى من العراقيين الابرياء دون تمييز بين ديانة او قومية او طائفة (21) .

التعريفات التي تناولت الارهاب في العالم لو نرجع لها لوجدنا انه ليس هناك تعريف ثابت للارهاب لان مايعتبر ارهاباً هنا يعتبر مقاومة هناك بمعنى ان كل شخص ينظر الى الارهاب بما يتناسب ويسنجم مع طبيعة تواجدهات وتطلعاته وبما يخدم مصالحه الضيقة الخاصة.. فقتل مئات العراقيين يومياً من وجهة نظر دول المنطقة هو مقاومة لاجراج المحتل من العراق وحتى لوكان نتيجة هذه المقاومة القائمة على تفخيخ العجلات وزرع العبوات الناسفة في الشوارع قتل الاطفال والنساء ، في حين نجد اعمال مماثلة تنفذ في دول اخرى تعتبر هذه الممارسات اعمالاً ارهابية واجرامية (22) .

- للقضاء على سيطرة داعش المجاميع الارهابية على بعض الاراضي العراقية التي قامت بلاتي
- قام تنظيم داعش بتهريب القطع الاثرية التاريخية من العراق
- تهجير السكان من مناطقهم السكنية وتدمير بيوتهم
- السيطرة على دوائر الدولة الاساسية في الموصل والانبار
- قطع الطرق بين المحافظات العراقية والانبار والموصل
- تدمير المعالم الاساسية للمحافظتين من مرقد دينية وعلمية وتاريخية
- تهجير وسبايا لاقضية كاملة
- التعرض للقطعات العسكرية العراقية واسرهم والتمثيل فيهم
- الزحف نحو المركز مدينة بغداد لفرض السيطرة عليها.

استطاع الجيش العراقي والحشد الشعبي ان يحقق بعض الانجازات عن طريق استرداد المناطق المحتلة من قبل المتطرفين من تنظيم داعش الارهابي .لمعالجة تفشي هذه الظاهرة الخطيرة التي تعرض لها العراق لابد من اتخاذ الكثير من الطرق والوسائل للحد او لايقاف تفشي الظاهرة التي يعاني منها العراق والتي كبدته خسائر جسيمة مادية وبشرية وتحطيم لمعاملة الاثرية ومن اهم الطرق لمعالجة الارهاب هي :

- 1 - عدم تبرير الجريمة ايا كان شكلها ومنفذوها وعليه فالدعوة لتجفيف منابع الارهاب يجب ان تنطبق على ممارسات الحكومات ازاء شعوبها وممارسات الدول العظمى ازاء دول العالم الضعيفة .
- 2 - غلق المنافذ الحدودية بين العراق ودول الجوار
- 3 - تجفيف منابع الارهاب الاعلامية من قنوات وادعاءات ومواقع الانترنت وكل وسيلة تدعو الى التطرف الديني سواء (شيوعية سنية مسيحية صابئية)
- 4 - وضع قانون يدعو الى فرض عقوبة لاي رجل دين يدعو الى التطرف والارهاب
- 5 - توعية المواطنين وزرع حب الانتماء من خلال المدارس الابتدائية وتعلمهم الاخلاص في العمل والشعور بالمسؤولية والحفاظ على ارواح الناس وايقاف سفك الدماء والتحلي بالشجاعة (23) .
- 6 - تدعيم المشاركة الشعبية التي تقضي ضرورة القضاء على البطالة ومواجهة مشكلة المناطق العشوائية في بعض المدن وهذه تساهم في احساس شريحة كبيرة من المجتمع بانه يعاني من الاهمال وتجاهل الدولة , ان جميع اجهزة الدولة يجب الاهتمام بشرائح المجتمع والنهوض بها اجتماعيا وثقافيا (24) .

والمهم هنا يجب ان يكون دور كبير الاعلام العراقي ضد داعش وتكذيب الاشاعات التي تثير الارهاب للمواطنين لانه له دور نفسي مهم لدفع معنويات الجيش والمواطنين حيث تسعى دائما عصابات داعش بعد كل انتصار يحققه الجيش الى المماولة بتشويش والاعلام لاضعاف الروح المعنوية والمساندة من المواطنين مع الجيش والحشد بالاضافة الى ذلك هناك شخصيات كثيرة اوجدت وطورت داعش في العراق ليس فقط البغدادي بل شخصيات كبيرة في الجيش السابق للاسف تشارك بالمعارك مع داعش ضد الجيش العراقي البطل في حربة ضد الارهاب يجب على الدولة فضح هؤلاء الاشخاص الذين يقاتلون ضد ابناء جلدتهم (25) .

وفي الختام التوفيق والسداد لجميع العراق وخاصة الحشد الشعبي الذي سطر اروع اوسمة الشهادة دفاعا عن العراق وشعبه ضد جميع قوى الشر التي لا تريد الخير للعراق وشعبه.

الاستنتاجات

- 1 -ان التشريع الجنائي لم يعالج الجريمة الارهابية باعتبارها جريمة مستقلة ولم يسعى الى تحديد المقصود بها بجدية .
- 2 -لا تزال العمليات العسكرية مستمرة في مواجهه حركات داعش الارهابية .
- 3 -الارهاب مصطلح عالمي وتعرض العراق بعد عام 2003 الى دخول مجاميع ارهابية من شتى دول العالم .
- 4 -عانى العراق من خسائر جسيمة مادية وبشرية من قبل الزمر الارهابية التي تسعى الى تدمير العراق بمسميات مختلفة واهداف متباينة ادت الى استنزاف موارد العراق
- 5 -يتم دعم هذه الزمر من قبل دول جارة لنقل وتصفية حساباتهم في داخل العراق وتاجيج الفتن الطائفية بين مكونات الشعب العراقي .

المقترحات

- 1 -المساواة بين طبقات المجتمع كافة , ومعالجة ظاهرتي التخلف والبطالة التي تعتبر من مخلفات الحرمان الاقتصادية والاجتماعية .
- 2 -اعادة توزيع الثروة وموارد التنمية وتلبية حاجات الفرد الاساسية والابتعاد عن السلوك العدواني الملازم لظاهرة الارهاب .
- 3 -العمل على خلق ثقة متبادلة بين المواطن والدولة من جهة وبين المواطن وافراد المجتمع المحيطين به من جهة اخرى .
- 4 -اعادة تأهيل قطاعات الدولة الحيوية كخطوة مهمة للقضاء على البطالة

- 5 -ضبط حدود الدولة جغرافيا (بریا - وبحريا - وجويا) .
- 6 -اعطاء حق للفرد على ابداء راية بكل حرية سواء كان داخل المدرسة او المؤسسة .

المصادر

- 1 -الساعدي , كريم مزعل شبي , مفهوم الارهاب , دراسة في القانون الدولي والداخلي كلية القانون , جامعة بغداد , 1992, ص21
- 2 -الحسني , السيد محمد , تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية , اعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمة مركز الدراسات العربي الاوربي القاهرة 1-27-25, ص11.
- 3 -عبد الحميد , حسن سعد , , كلية العلوم السياسية , جامعة النهريين ورقة عمل قدمت في بيت الحكمة (الفكر التكفيري واستراتيجية مواجهه) بتاريخ 8/11/2016.
- 4 -العزي , الشيخ محمد , الارهاب انواعه اساليب طرق علاجه , مركز الرابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية , 2015
- 5 -نفساني , انواع الارهاب 2004 www.Nafsany.com
- 6 -مطلق , رسول ,حقائق ووثائق عن فكر عصابات داعش , ندوة بيت الحكمة عن فكر داعش الارهابي بتاريخ 8/8/2016
- 7 - الاسدي , حميد , استراتيجية مواجهه ومعالجة الاثار , ورشة عمل في بيت الحكمة , حول الفكر التكفيري , بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الارهابي , 8/2016/8
- 8 - الجامعة الامريكية بالقاهرة , الارهاب والتطرف هل هما وجهان لعملة واحدة . <https://www.aucegypt.edu/index.php/ar/node/2668>
- 9 - ام كوثر , كيف نحسن ابناءنا ضد اي فكر شاذ وهدام , شبكة فلسطين للحوار , 2012, بدون صفحة
- 10 - عز الدين , احمد جلال , الاساليب العاجلة وطويلة الاجل لمواجهة التطرف والارهاب في المنطقة العربية , بحث منشور في تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية اعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمة مركز الدراسات العربي الاوربي القاهرة 1-27-25, ص 23
- 11 - الجاسر , عبد الله , دور وسائط الاعلام في مواجهه التطرف والارهاب , بحث منشور في تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية , اعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي مركز الدراسات العربي الاوربي بالقاهرة للفترة 1-27-25, 21

- 12 - احمد يوسف , الارهاب في العالمين العربي والغربي , عمان , الاردن ط1 1998.
- 13 - محمد الهواري , الارهاب المفهوم والاساليب وسبل العلاج , ص12
- 14 - ابو الدوس (احمد) , الارهاب والتطرف والعنف في الدول العربية المكتب الجامعي الحديث , الاسكندرية 2001 , ص16.
- 15 - محمد, جاسم , , الارهاب والارهاب السياسي (العراق , واليمن , وأفغانستان) عمان الاردن 34 ,
- 16 - عز الدين (احمد جلال) الاساليب العاجلة وطويلة الاجل لمواجهة الارهاب , اعمال المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمة مركز الدراسات العربي الاوربي , 1994 , باريس , ص425
- 17 - العزي , الشيخ محمد , الارهاب انواعه اساليبه طرق علاجه , مركز الرابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية , 2015 .
- 18 - عبد الحميد , معتز محي , , البيئة السياسية المحركة لتنظيم داعش , بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الارهابي , 8/8/2016.
- 19 - الفواز , علي , داعش وفوبيا الخنوع , بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الارهابي , 8/8/2016.
- 20 - عوض , شفيق عوض , المعايير القانونية والدولية لمكافحة الارهاب , ضحايا في مرمى الارهاب , سويسرا جنيف , دار الفكر الجامعي , ص28.
- 21 - عبد الحميد , معتز محي , , البيئة السياسية المحركة لتنظيم داعش , ورشة عمل في بيت الحكمة , حول الفكر التكفيري , بحث قدم لبيت الحكمة في ندوة قراءات عراقية في فكر تنظيم داعش الارهابي , 8/8/2016.
- 22 - العزي , الشيخ محمد , الارهاب انواعه اساليبه طرق علاجه , مصدر سابق.
- 23 - العيبي , جاسم , الارهاب اشكالية واهدافه , منتدى الكفيل , شبكة الكفيل العالمية , 2010
- 24 - الهواري , محمد , الارهاب المفاهيم والاساليب وسبل العلاج , ص12.
- 25 - عوض , شفيق عوض , المعايير القانونية والدولية لمكافحة الارهاب , ضحايا في مرمى الارهاب , سويسرا جنيف , دار الفكر الجامعي , ص28.

البعد السوسيوديموغرافي للتعایش السلمي دراسة سوسيوديموغرافية في النزوح والتعایش

أ.د فراس عباس فاضل ألبیاتي أ.م.دحسن جاسم راشد

قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب جامعة الموصل / العراق

hassan.j.r@uomosul.edu.iq

(ملخص)

إن ما يميز سكان المجتمع العراقي التنوع الاثني والثقافي فيسكن العراق، (العرب، والكرد، والتركمان، والايزيدية، والمسيحية وطوائف أخرى)، هذا التنوع العرقي والاثني جعلت من العراق ارض خصبة للتعایش السلمي فلم يشهد العراق الحديث تفرقة طائفية او عرقية أو دينية، بل كان سكان العراق يعيشون في مبدأ واحد وهو الوطنية الواحدة (العراقية)، فالملاحظ للمجتمع العراقي ان هناك الكثير من التلاحم الاجتماعي بين أطيافه، ومكوناته، فانتشار ظواهر الزواج بين مكوناته، وحسن التعامل والأخوة والجيرة، والتعاون في الضراء والسراء، إلا ان الحرب في افرزاتها السامة استهدفت جسد (الوطنية الواحدة_ العراقية) بسمومها التي حاولت تفسيح هذا الجسد الواحد إلى أشلاء متنافرة.

إن التعایش السلمي للسكان على اختلاف طوائفهم وثقافتهم له أبعاد تصب في المجتمع منها ما هو (اجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديموغرافي)، ويعد البعد الديموغرافي للتعایش السلمي (الذي هو موضوع بحثنا) واحدة من اهم أبعاد التعایش السلمي لسكان المجتمع، من خلال اثر التعایش السلمي على المتغيرات الديموغرافية للمجتمع مثل (الزواج (الولادة)، والوفيات، والهجرة.

يهدف البحث الى دراسة البعد الديموغرافي للتعایش السلمي لسكان المجتمع العراقي من خلال الكشف عن مؤشرات التغير الديموغرافي.بالاضافة الى اهداف اخرى يتناوله البحث في طياته. تكمن أهمية البحث في دراسة موضوع من أهم الموضوعات السوسيولوجية التي لها الدور الفاعل في عملية ديمومة الفعاليات المجتمعية وتحقيق الاستقرار لسكان المجتمع، فضلا عن الكشف عن أبعاد التعایش السلمي في السكان.

يعد بحثنا من البحوث الوصفية التحليلية التي تحتاج إلى أكثر من منهج لتحقيق أهدافه العلمية، فاعتمد الباحث إلى توظيف منهجي (المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي).
توصل البحث الى مجموعة من النتائج التي ترمي الى تحقيق اهدافه.

المقدمة

إن ما يميز سكان المجتمع العراقي التنوع الأثني والثقافي فيسكن العراق، (العرب، والكرد، والتركمان، والايديية، والمسيحية وطوائف أخرى)، هذا التنوع العرقي والاثنى جعلت من العراق ارض خصبة للتعايش السلمي فلم يشهد العراق الحديث تفرقة طائفية أو عرقية أو دينية، بل كان سكان العراق يعيشون في مبدأ واحد وهو الوطنية الواحدة (العراقية)، فالملاحظ للمجتمع العراقي إن هناك الكثير من التلاحم الاجتماعي بين أطرافه، ومكوناته، فانتشار ظواهر الزواج بين مكوناته، وحسن التعامل والإخوة والجيرة ، والتعاون في الضراء والسراء ، إلا إن الحرب في إفرازاتها السامة استهدفت جسد (الوطنية الواحدة_ العراقية) بسمومها التي حاولت تفسيح هذا الجسد الواحد الى أشلاء متناثرة .

الفصل الأول : الإطار النظري والمنهجي للبحث موضوع البحث

يعد التعايش السلمي في مجتمع يتنوع فيه سكانه (ثقافيا ، واثنيا ، ودينيا ، وقوميا) من أهم مظاهر التطور الاجتماعي والرقى المجتمعي ، ويبدو إن هذا قليلا ما نراه في المجتمعات البشرية في وقتنا الحاضر .وتعد الأوضاع السيئة التي تعصف بسكان العراق إحدى مظاهر فقدان التعايش السلمي بين مختلف مكونات المجتمع المتنوع الثقافات والأديان والقوميات وهي الأخطر في تهديد النسيج العراقي ، وهذا ما دفع الباحث الى دراسة ذلك .

أهداف البحث

لكل بحث أهداف يسعى الباحث تحقيقها ، واهم أهداف البحث تكمن في مايلي :

1. الكشف عن أهمية التعايش السلمي في المجتمع العراقي .
2. بيان أهم عوامل فقدان التعايش السلمي بين سكان المجتمع العراقي.
3. الكشف عن الأبعاد الديموغرافية للتعايش السلمي على سكان العراق ، ومن ثم الكشف عن أبعاد فقدان التعايش السلمي.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في دراسة موضوع من أهم الموضوعات السوسيولوجية التي لها الدور الفاعل في عملية ديمومة الفعاليات المجتمعية وتحقيق الاستقرار لسكان المجتمع، فضلا عن الكشف عن أبعاد التعايش السلمي في السكان.

منهجية البحث

يعد البحث من البحوث الوصفية التحليلية التي تعتمد على أكثر من منهج لبلوغ النتائج وتحقيق الأهداف ، لذا عمد الباحث توظيف المناهج التالية (المنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي) .

هيكلية البحث

تضمن البحث الى جانب المقدمة ثلاثة فصول، ضم الفصل الأول (الإطار النظري والمنهجي للبحث) ، الذي تناول (موضوع البحث، وأهداف البحث ، وأهمية البحث، ومنهجية البحث ، وهيكلية البحث) ، أما الفصل الثاني (عوامل فقدان التعايش السلمي بين السكان) الذي ضم آليات فقدان التعايش السلمي في المجتمع العراقي ، وأخيرا الفصل الثالث (البعد الديموغرافي للتعايش السلمي) الذي ضم محورين محور الأبعاد في حالة التعايش السلمي ، والمحور الثاني في حالة فقدان التعايش السلمي ، ومن ثم أهم النتائج واهم التوصيات ، والمصادر .

الفصل الثاني : عوامل فقدان التعايش السلمي بين السكان .

تكمن عوامل عديدة على فقدان التعايش السلمي في المجتمع العراقي الواحد، منها ما تكون عوامل داخلية كـ (التمييز العنصري والمذهبي، فقدان الأمن الداخلي (انهيار القانون))، وعوامل خارجية (التدخل الخارجي (الاحتلال)). وللأسف لعب العاملين دورا بارزا على انهيار وهدم التعايش السلمي بين أطراف المجتمع العراقي مما انعكس سلبا على حياة السكان من كافة النواحي (الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.... وغيرها) ، بل تعدى ذلك إلى القتل العمدى .

أولا : العوامل الداخلية.

1 - التمييز العنصري والمذهبي

إن ما يميز سكان المجتمع العراقي التنوع الأثني والثقافي فيسكن العراق ،(العرب، والكرد، والتركمان، والايزيدية، والمسيحية وطوائف أخرى)، هذا التنوع العرقي والأثني جعل من العراق ارض خصبة للتعايش السلمي فلم يشهد العراق الحديث تفرقة طائفية أو عرقية أو دينية، بل كان سكان العراق يعيشون في مبدأ واحد وهو الوطنية الواحدة (العراقية)، فالملاحظ للمجتمع العراقي إن هناك الكثير من التلاحم الاجتماعي بين أطرافه، ومكوناته، فانتشار ظواهر الزواج بين مكوناته، وحسن التعامل والأخوة والجيرة ، والتعاون في الضراء والسراء،

إلا أن التغيير الذي أحدثته الحرب في إفرازاتها السامة استهدفت جسد (الوطنية الواحدة_ العراقية) بسمومها التي حاولت تفسيح هذا الجسد الواحد الى أشلاء متنافرة (1).
فمع احتلال الأمريكي للعراق عام 2003، ظهرت على الساحة الاجتماعية والسياسية مصطلحات لم يعرفها القاموس الاجتماعي في العراق سابقا، كـ(العرب السنة، والشيعية، والأكراد)، ومن ثم ظهرت مفاهيم أخرى كـ (الأقليات الثقافية، والايديوية، والكلد آشوريين.. وغيرها)، تلك المفاهيم كانت بمثابة النقطة الأولى لتفسيخ العراق وتقسيمه من جانب، وشرارة التمييز العنصري بين فئاته من أجل إنهاء المشروع الوطني للمواطنة العراقية وترسيخ الولاء الطائفي والعنصري، هذا بدوره خلق جوا من الشد النفسي والعنصري بين فئات الشعب العراقي بسبب التمايز الذي خلقه الاحتلال منذ اليوم الأول من دخوله إلى العراق.

2 - فقدان الأمن الداخلي (انهيار القانون).

إن الأمن صمام الحياة لسكان المجتمع، وإن فقدان الأمن بسبب الظروف التي ألمت بالعراق بعد 2003، كانت عاملا مساعدا على فقدان التعايش السلمي بين فئات الشعب العراقي، فاستهدف الناس على الهوية وانتشر القتل الطائفي، فضلا عن استهداف طقوس والعادات فكانت هذه الأحداث بمثابة رصاصة التفارقة في الجسد الموحد.
ومع غياب القانون الذي يضمن حقوق الآخرين ويعاقب القاصي والداني انتشرت مظاهر السرقة والتعدي على الحقوق والاعتقالات على الهوية والمذهب، هذه الأحداث كلها زرعت بذرت التفارقة بين سكان المجتمع العراقي، ودخل الحزن الى بيوتهم بسبب العنف الذي غزى المجتمع بدون سبب وهددت باندلاع حرب أهلية لولا صحوه العراقيين .

3 - النفوس الضعيفة.

في كل مجتمع هناك فئة من السكان أصحاب النفوس الضعيفة التي تصطاد في الماء العكر من أجل تحقيق مصالحها على حساب الآخر وفي بعض الأحيان على حساب المجتمع وتارة على حساب البلد بأكمله، وعادة ما يكون لهؤلاء التأثير البالغ على عملية التعايش السلمي والتكاتف الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي بين سكان المجتمع الواحد، وللأسف نرى ذلك بوضوح في وقتنا الحاضر في المجتمع العراقي إن هناك من يريد إيذاء الناس وتدمير المجتمع، من خلال تضليل الناس، أو من خلال عبث الفوضى بين سكان المجتمع، أو من خلال إلحاق الأذى بالسكان مباشرة، أو بالواقع

(1) مجموعة من الباحثين، استر اتيحية التدمير ” اليات الاحتلال الامريكي للعراق ونتائجه “، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (49)، بيروت، 2010 ص 58.

الخدمي والإداري لمؤسسات المجتمع ، وتارة ما يستهدفون البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي ومؤسساته ، وهذا ما ينعكس سلباً على حياة المجتمع ويمنعه من العيش الرغيد وتحقيق التفاعل الإنساني والعيش سوية.

ثانياً: العوامل الخارجية (التدخل الخارجي "الاحتلال")

لا ضير أن المحتل عندما يدخل أي بلد يعمل على تغييرات ، وان التغييرات التي قام بها المحتل أثرت سلباً على سكان العراق، كانت آثارها جسيمة على الواقع الديموغرافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي على المجتمع العراقي بكافة مكوناته.

وان عملية تقسيم العراق الى ثلاث ولايات كانت ومازالت من مشاريع وغايات الاحتلال، ولعل إن غالبية قرارات المحتل أثرت سلباً على الوضع الداخلي لسكان العراق ، فقرارات بريمر بحل القوى العسكرية كانت كفيلة في تحقيق الفوضى وخاصة فتحت الحدود أمام القوى الخارجية في تحويل العراق لساحة حرب للانتقام من أعداءها على حساب حياة سكان العراق ، ورغم البناء الحكومي في وقتنا الحاضر من مؤسسات أمنية وعسكرية وغيرها إلا إن مازال العراق يتعرض للتدخل الخارجي الذي يهدد استقراره وطبيعة حياة سكاته (2) .

إذ مازالت دور الجوار تخطط في جعل التنوع الأثني والعربي في العراق هدفاً لها في تدمير المجتمع العراقي المتماسك في أصوله ومازالت تصدر ألينا الآفات القاتلة والمدمرة فمرة تلعب ورقة الطائفية ، ومرة تحرك ورقة القومية ، ومرة الورقة الاثنية وهكذا والخاسر الأكبر سكان العراق لأنه تنصب عليه الولايات الخارجية دون ذنب فقط لأنه يعيش في بلد متعدد الأطياف والقوميات .

الفصل الثالث : البعد الديموغرافي للتعايش السلمي.

1. البعد الديموغرافي لمظاهر التعايش السلمي.

1 - الزواج

يعد الزواج بين الثقافات والأعراق المختلفة مظهر رئيسي من مظاهر التعايش السلمي، لأنه يقرب العلاقات ويقوي دعائم التآزر بين أفراد المجتمع الواحد. فالقراية بالمصاهرة سمة رئيسية في المجتمع العراقي، على الرغم من انتشار زواج الأقارب في المجتمع العراقي بشكل كبير جداً إلا إن ذلك لا يعد

(2) طارق محمد طيب ، وطارق محمد ذنون ، اثر العامل الخارجي في المواطنة ، مجلة دراسات اقليمية ، العدد 5، مركز الدراسات الاقليمية ، جامعة الموصل ، 2012، ص123 .

عائقا إمام الزواج الخارجي (خارج القرابة) وان المجتمع العراقي ينتشر فيه هذا النوع من الزواج ، لعدة أسباب حسب رأينا أهمها :-

1 - الوعي الصحي لدى أبناء المجتمع، في انتشار إمراض الطفولة الزرية بسبب زواج الأقارب ك (مرض اليرقان الدائم، ومرض الثلاسيميا وغيرها)، مما يؤثر في التكوين البيولوجي والجسمي للطفل ويؤدي الى العاهات المستديمة ومن ثم الموت.

2 - الوعي التعليمي والثقافي .

3 - التملص من بعض العادات والتقاليد القديمة السائدة في الزواج (3).

هذه العوامل كانت نقلة في أسلوب الزواج في المجتمع العراقي، على الرغم من إن الحرب أثرت في انتشار أعمال العنف الدموي بين سكان العراق إلا إننا نجد ظاهرة الزواج بين أطراف المجتمع العراقي سائدة بشكل كبير وان تأثرها في المظاهر الجديدة والاستثنائية للمجتمع كانت محدودة ومقتصرة على فئات من السكان الجاهلين والمتعصبين نوعا ما.

فمازالت الأعراس تتم بين الجيران على الرغم من اختلاف العادات والتقاليد والأعراف بينها ، إن ذلك لا يقف عائقا إمام التعايش السلمي بين فئات المجتمع العراقي .

2 - الجيرة

تعد علاقات الجيرة السائدة في المجتمع العراقي بكافة فئاته مظهر من مظاهر التعايش السلمي الحقيقي، فالتعاون سائد بين الجيران ، في كافة المناسبات (الأفراح، والأحزان)، فضلا عن التواصل المستمر بين الجيران في الزيارات اليومية والزيارات الخاصة في المناسبات.

بل وان الكثير من الجيران تحدث بينهم حالات الزواج كما أسلفنا ، هذا دليل الوعي الاجتماعي والأخلاقي بين سكان المجتمع العراقي ، فضلا عن فان المجتمع العراقي أكثر من (96%) من سكانه هم من الديانة الإسلامية التي تنص في شرائعها وأحكامها على حسن الجيرة والتعاون والتآخي بين الجيران. ولا يختلف الحال عند باقي الديانات الأخرى فالدين المسيحي هو أيضا ينص في تشريعاته وتعليماته على حسن الجوار والتعامل والمحبة.

فمن يدخل المجتمع العراقي يرى جنود الجيرة الحسنة ممتدة من جيل إلى آخر فالعادات الاجتماعية تقتضي بمساعدة الجار وحسن التعامل وتبادل الزيارات بعض النظر عن الانتماء القومي والعربي.

(3) فراس عباس فاضل ألبيتي ، الحرب والسكان ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان ، 2014، ص154.

3 - المشاركة في الأفراح والأحزان

سمة أخرى من سمات المجتمع العراقي التي تجسد أجمل صور التعايش السلمي بين مكونات هذا المجتمع ، فطبيعة العادات الاجتماعية تقتضي على المشاركة المتبادلة في الأفراح والأحزان ، فنرى في أي مراسيم كان (الزواج ، أو الوفاة) تجتمع النساء في بيت صاحب المناسبة ، ويقومون بمساعدتهم في الطبخ وتقديم الخدمات للحاضرين ، وكذلك الرجال أيضا يقدمون المساعدات الخدمية ، بل وحتى البعض منهم يتبرع في فتح بيته للناس الحاضرين للمشاركة في المناسبة ويقوم بتقديم كافة الخدمات الى الحاضرين. هذا الاندماج الاجتماعي ينقل صورة المجتمع الواحد المتعدد الطوائف والأعراق من خلال تبادل المشاركات في المناسبات السعيدة، أو الحزينة ، وخاصة في السنوات الأخيرة زادت هذه الظاهرة بشكل كبير وخاصة من انتشار حالات الحزن بسبب القتل الذي حصد الكثير من أرواح الأبرياء.

2. البعد الديموغرافي لمظاهر فقدان التعايش السلمي.

يبدو أن الأمر أكثر صعوبة في هذا الجانب فعدم تقبل الآخر في المجتمع الواحد ، فما هو سائد الآن في المجتمع العراقي يعدا مأساة إنسانية لفقدان التعايش السلمي من بعض الجماعات السكانية وعدم تقبله للآخر كما هو أثرا سلبا على المظاهر الاجتماعية والديموغرافية وفي أدناه إيجاز لأهم بعدين ديموغرافيين لفقدان التعايش السلمي في المجتمع العراقي .

1 - ارتفاع معدلات الوفيات

تشير الأدبيات الديموغرافية والاجتماعية أن المجتمعات التي تعيش مظاهر المحبة وقبول الآخر والتكاتف (التعايش السلمي) هي المجتمعات تمتاز بانخفاض معدلات الوفيات فيها مقارنة في المجتمعات التي تفتقد لهذا النوع من التعايش ⁽⁴⁾ .

ويمكن للمتتبع للأوضاع التي يشهدها المجتمع العراقي يرى وبوضوح إن هناك ارتفاع في معدلات الوفيات وخاصة وفيات بالقتل العمدى أو الطائفي أو العرقي ، عن معدلات العقود السابقة في هذا المجال

(4) فراس عباس فاضل البياتي ، الامن البشري حقيقة ام زيف ، دار غيداء للطباعة والنشر ، عمان ، 2011، ص167.

فتشير إحدى الدراسات الى ارتفاع مؤشرات الوفيات في العراق في العقد المنصرم وتعزو الدراسة الأسباب الى مايلي :

1. عدم قبول الآخر بقوميته وثقافته ومعتقداته .

2. الاقتتال الطائفي .

3. عدم حماية الأقليات (5)

وبعد عام 2003 اخذ العنف الاجتماعي والاقتصادي يفتك بسكان العراق وما نتج عن العنف السائد في العراق نتيجة لغياب الأمن إلى جانب التدهور في الخدمات المقدمة إلى السكان في سد حاجاتهم اليومية أخذت الأوضاع السائدة تحصد أرواح السكان سواء بشكل جماعي نتيجة لقصف عسكري أو انفجار سيارات مفخخة أو القتل العمدى وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الوفيات في العراق بعد عام 2004 الى 2,4% عن عام 2000، أعربت بعثة منظمة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) عن قلقها إزاء التصعيد الأخير لأعمال العنف والتي أدت إلى تشريد أعداد كبيرة من السكان في مناطق مختلفة من البلاد(6).

تبدوا المشكلة في أساسها كارثة اجتماعية خطيرة في ظل الأعداد غير المحصورة برقم معين فكل يوم ييتم طفل وترمل امرأة ليترك الأب خلفه عشرات الضحايا تفرسهم الأيدي الخفية والوطن المفتوح على كل الاحتمالات تؤكد التقارير بأن عددهم بالملايين وأشارت مصادر أخرى بتقدير النسبة لغاية شباط 2002 بـ أكثر من 5 ملايين و200 ألف طفلاً يتيماً أتراها كم تكون النسبة إلى 2007 يعيشون في كنف أرامل وتكلى لا حول لهم ولا معيل، معظمهم يعاني من سوء التغذية، والأمراض المزمنة، والانتقالية، وقسم كبير منهم من ذوي الاحتياجات الخاصة. وتضم بعض دور الأيتام عدداً قليلاً وهي بدورها فقدت مصداقيتها بعد الصور المرعبة التي تسربت من إحدى الدور الحكومية لوسائل الإعلام وكشفت حقيقة الانتهاكات لصور أطفال أبرياء بالإمكان تعداد فقرات أجسادهم النحيلة المرمية في زاوية ما هنا وهناك نتيجة المعاملة السيئة، والقسم الأكبر من الأطفال اليتامى يعيشون بلا مأوى حفاة، عراة تحتضنهم شوارع غير آمنة وعصابات الجريمة المنظمة في العراق انتزعوا براءة الطفولة وأشارت بعض وسائل الإعلام إلى استخدام بعض من الأطفال اليتامى أو أطفال الشوارع في عمليات التفخيخ التي تستهدف الأبرياء من العراقيين، هؤلاء هم أيتام العراق.

(5) لمياء الركابي، العنف في العراق، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 76، 2007، ص 272 .

(6) جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، مسح الأحوال المعيشية في العراق، الجزء الثاني، 2004، ص 51.

2 - الهجرة

مما لا شك فيه أن الظروف السياسية التي شهدتها العراق في العقود الثلاثة الأخيرة ، أدت إلى حركات سكانية استثنائية داخلية وخارجية ، وتتباين مصادر المعلومات في تقديراتها لحجم واتجاهات هذه الحركات ، ولا يمكن رصد وتوثيق حركة السكان وقياس تأثيرها على نمو وتركيب ، وتوزيع السكان ما لم تتوفر بيانات التعداد الرسمي المزمع انعقاده في عام 2011، (تم تأجيل التعداد السكاني للعام 2010 ، إلى العام 2011). لذا إن البيانات المعتمدة في هذا الموضوع ستقتصر على وزارة الهجرة والمهجرين وتقارير المفوضية العليا لشؤون اللاجئين.

0 - النزوح الداخلي

النزوح الداخلي أو ما يسمى في الأدبيات السكانية (الهجرة الداخلية)، يعد النزوح الداخلي سمة سكان العراق خلال السنوات الأخيرة والتي أصبحت مشكلة سكانية نتيجة لتبعاتها ومخلفاتها وأثارها على الخريطة الديموغرافية للمجتمع العراقي التي أصابها الكثير من التعرجات والانتساض بسبب ظاهرة النزوح الداخلي ، وإن ما يلفت النظر هو التباين في الأرقام المعبرة عن حجم الظاهرة وتطورها، وتوزيعها الجغرافي ، وبحسب لاما أوردته منظمة الهجرة الدولية (IOM) في تقريرها الصادر عام 2007، إن عدد النازحين داخليا في العراق وصل الى (45029) عائلة ، إي نحو (270202) نازح⁽⁷⁾، حيث شكلت بغداد وحدها ثلث هذا العدد، وعلى الرغم من إن المعطيات الإحصائية الكمية المتوفرة حول النزوح الداخلي في العراق متناقضة، وغير مبنية على منهجيات علمية موثقة، يمكن الإشارة إلى بعض الإحصائيات أخرى من المنظمات المهتمة بالظواهر السكانية وعلى النحو التالي.

الجدول رقم (4) إحصائيات بعض المنظمات حول النزوح الداخلي في العراق (8)

المنظمة	عدد الأسر	عدد السكان
المفوضية العليا لشؤون اللاجئين	37604	1.5 مليون نازح
منظمة المجموعات الطبية الدولية IMC	91013 عائلة مهجرة	وبلغ عدد السكان 546078 نازحا
بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق UNAMI	78349 عائلة نزحت في العراق	470094 نازحا عراقيا

(8) الجدول من عمل المؤلف .

وتشير إحصائيات أخرى إلى أن حوالي (1.5) مليون نسمة نزحوا من ديارهم في العراق خلال عامي 2006_2008، وان أغلبهم يعانون من مشكلات تمثلت بهشاشة الغذاء وان أغلبهم صنفوا من الفئات الهشة في المجتمع نتيجة للظروف القاهرة التي يعيشونها بعد تركهم لمساكنهم والنزوح الى أماكن جديدة، وأشارت الدراسة إلى إن هناك تباين في حركة السكان داخل العراق وإنها تختلف من محافظة إلى أخرى نتيجة للظروف السائدة في تلك المحافظة⁽⁹⁾.

لعل ما حدث في العراق في ما مضى كان له الأثر البالغ في الخارطة السكانية في العراق فالنزوح والهجرة غيرت معالم المدن من حيث مايلي :

- 1 - تغير الوضع الايكولوجي للمدن المستقبلية للنازحين ، ومدن الأصل التي كانوا ساكنين فيها ، ففي الأولى (المستقبلية) توسعت المدن وظهرت مظاهر ايكولوجية جديدة فيها ، أما في الثانية (موطن الأصل) فقد اصابها الركود الايكولوجي بسبب الأوضاع السيئة فيها .
- 2 - تغير الموقف الديموغرافي للمدن المستقبلية ، ومدن الأصل التي كانوا ساكنين فيها ، ففي الأولى (المستقبلية) ارتفع حجم السكان فيها _ فالمعروف أن الهجرة الوافدة من أهم عوامل النمو السكاني _ أما مدن الأصل فقد انخفض فيها حجم السكان بسبب ترك السكان لها

O - النزوح الخارجي (الهجرة الخارجية)

ليست الهجرة ظاهرة جديدة ، غير أنها أخذت بالتسارع المتزايد في العقود الأخيرة لتصبح جزءا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي، وأصبحت أنماط الهجرة تعبر عن التغيرات التي طرأت على العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، ونتيجة لهذه الظروف وغيرها تنامت ظاهرة الهجرة الخارجية في العراق لتصبح ظاهرة تستحق البحث فيها وإيجاد الحلول المناسبة للحد من هذه الظاهرة .

ليس معروفا كم فقد العراق من موارده البشرية لكن من المؤكد انه خسر الكثير ، فقد واجه العراق في السنوات الأخيرة ، وأخرى لأسباب اجتماعية نفسية)، إلا أن الموجه الأخيرة بعد عام 2003 كانت هروبا من العنف الذي تلا احتلال العراق والحرب والعمليات العسكرية وأعمال العنف المتصاعدة ، والجريمة المنظمة والعنف الطائفي والتهجير القسري، ليست هناك إحصائيات دقيقة أو أرقام كمية موثقة لأعداد اللاجئين العراقيين، كما انه ليست هناك أرقام

(9) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، التحليل الشامل للأمن الغذائي والفئات الهشة في العراق، بغداد، 2008، ص30.

رسمية من قبل المؤسسات العراقية المهمة بهذا الموضوع، بل إن وزارة المهجرين والمهاجرين المسؤولة عن جميع الأمور المتعلقة باللاجئين والمبشرين العراقيين، كما ينص على ذلك أمر إنشائها لم تصدر أي بيانات أو إحصاءات عن اللاجئين العراقيين، كما كانت تفعل أحيانا فيما يتعلق بالنازحين داخليا، ولا تقدم لنا الدول المستقبلة للعراقيين أيضا أية أرقام دقيقة لأعداد اللاجئين إليها، أما المنظمات الدولية المعنية بشؤون اللاجئين، فإنها تقدم أرقاما تقريبية لعدد اللاجئين العراقيين، حيث لم تقدم المنظمات بإجراء إحصاء دقيق لهم، فالمفوضية العليا لشؤون اللاجئين قدرت عدد اللاجئين العراقيين في عام 2006 بنحو (1.6) مليون عراقي، ثم وصل الرقم في عام 2007 إلى (2) مليون عراقي،

لذا فإن تصاعد عدد اللاجئين العراقيين يعد مؤشرا خطيرا على سوء الأوضاع داخل العراق (10).

التهجير القسري انتهاك مضاعف

الهجرة، والجوع، والتهجير القسري، والنزوح، صور متعددة لوجه واحد كنيب الملامح لمأساة تزداد تفاقمًا، وتنعكس سلبيًا على البنية الديموغرافية والاجتماعية والسياسية، لذا يمكن النظر إلى التهجير القسري بوصفه انتهاكا فظا لآمن الإنسان وحقه في الأمن والخصوصية وفي السكن مكانا وملكية، ونسيج علاقات اجتماعية وتاريخا من الخبرات والمصالح المشتركة، وانتماءا للمكان بكل ما يعنيه من رموز وذكريات، تشكل جميعا رصيد الإنسان الثقافي والروحي والذي لم يصل مفهوم التنمية البشرية بعد إلى دليل لقياسه. بلغ التهجير في العراق مستوى من الخطر، جعل المجتمع الدولي ينتبه إلى حقيقة أن كارثة إنسانية كبرى يمكن أن تقع وان تأثيرها لن يبقى في حدود العراق، بل يتعداه إلى دول أخرى، خصوصا مع استمرار الظاهرة وتساعد أرقامها،

ولم يكن التهجير القسري مجرد نتائج عرضة للنزاع بل كان نتاجا لمحاولة عزل قائم على أساس الهوية، ولفتت الأمم المتحدة في تقريرها الانتباه إلى التناقض الصارخ بين شهرة الحرب في العراق، والتي نعد من أشهر النزاعات العسكرية في العالم في الوقت الحاضر ووضع اللاجئين والنازحين بسبب هذه الحرب، والذي يجهله العالم إلى درجة كبيرة حيث لم يبدأ المجتمع الدولي مؤخرا بالالتفات والانتباه إلى مدى وحجم أزمة التهجير والنزوح الناتجة عن هذا الصراع

(10) الأمم المتحدة، اللجنة الوطنية للسياسات السكانية في العراق، حالة سكان العراق 2010، المصدر السابق، ص26.

والتي تشكل النسب الأكبر في تاريخ الشرق الأوسط ، ووفقا لأحدث البيانات الصادرة عن مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين يبلغ عدد النازحين في داخل العراق بين محافظاتهِ إلى (1,7) مليون نازح داخليا، إضافة إلى (2,2) مليون لاجئ خارجيا ⁽¹¹⁾. وفي أدناه إحصائيات المفوضية العليا لشؤون اللاجئين حول هجرة سكان العراق نحو الخارج .

الجدول رقم (4) إحصائيات المفوضية العليا لشؤون اللاجئين حول النزوح
الخارجي في العراق ⁽¹²⁾

المنظمة	السنة	عدد السكان
المفوضية العليا لشؤون اللاجئين	2006	1.6 مليون نازح
	2007	1.8 مليون نازح
	2008	2 مليون نازح
	2009	2,2 مليون نازح

أن النزوح الخارجي اثر في الوضع الداخلي للمجتمع العراقي من نواحي عديدة يمكن أن نخلصها حسب وجهة نظرنا الى ما يلي :

- 1 - تغير الوضع السكاني في العراق ، فترك المواطن الاصلي (البلد) والهجرة الى البلدان المجاورة يعد خسارة ديموغرافية للعراق .
- 2 - تغير التوليفة السكانية للعراق ، إذ ارتفعت معدلات الاناث عن الذكور بسبب أن غالبية المهاجرين هم من الذكور .
- 3 - انخفاض مؤشرات الزواج بسبب انخفاض معدلات الذكور مقارنة مع الاناث .
- 4 - خسارة الكوادر العلمية والخبرات والمختصين بسبب الهجرة الى الخارج .
- 5 - ضعف ثقة المواطن بالمستقبل في البلد والتفكير بالجوء الى الهجرة .

(11) وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية 2008 ، بغداد ، 2009، ص77 وما بعدها.

(12) الجدول من عمل المؤلف .

أهم نتائج البحث

1. يعد المجتمع العراقي من المجتمعات ذات تنوع طيفي في سكانه وهذا ما يميزه عن باقي المجتمعات .
2. عاش ويعيش غالبية سكان المجتمع العراقي مظاهر التعايش السلمي بين أطيافه .
3. إن حالات فقدان التعايش السلمي بين بعض الفئات السكانية للمجتمع اثر سلبي على الواقع الديموغرافي .
4. ارتفعت معدلات الوفيات في المجتمع العراقي خلال العقد المنصرم نتيجة لفقدان مظاهر التعايش السلمي.
5. ارتفعت معدلات الهجرة والنزوح بسبب فقدان مظاهر التعايش من قبل البعض .

أهم التوصيات .

1. تعزيز روابط التعايش السلمي بين أطياف المجتمع العراقي .
2. تفعيل الجانب الديني والحث على إن التعايش السلمي غاية الاديان المختلفة في المجتمع العراقي .
3. زيادة الوعي بين سكان المجتمع باهمية التعايش السلمي من خلال وسائل الإعلام والبرامج المسموعة والمرئية.
4. عقد المؤتمرات والندوات العلمية لبيان أهمية التعايش السلمي في الحياة البشرية وانعكاساتها على الفرد والمجتمع .

المصادر

- 1 - الأمم المتحدة، اللجنة الوطنية للسياسات السكانية في العراق، حالة سكان العراق 2010، مكتب صندوق دعم العراق ، بغداد ، 2011.
- 2 - جمهورية العراق ، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، مسح الأحوال المعيشية في العراق، الجزء الثاني، 2004.
- 3 - طارق محمد طيب ، وطارق محمد ذنون ، اثر العامل الخارجي في المواطنة ، مجلة دراسات إقليمية ، العدد 5، مركز الدراسات الإقليمية ، جامعة الموصل ، 2012.
- 4 - فراس عباس فاضل ألبياتي ، الأمن البشري حقيقة أم زيف ، دار غيداء للطباعة والنشر ، الأردن، عمان ، 2011.
- 5 - فراس عباس فاضل ألبياتي ، الحرب والسكان ، دار غيداء للطباعة والنشر ، الأردن، عمان ، 2014.
- 6 - لمياء الركابي ، العنف في العراق ، مجلة الآداب ، جامعة بغداد ، العدد 76 ، 2007.
- 7 - مجموعة من الباحثين، إستراتيجية التدمير ” آليات الاحتلال الأمريكي للعراق ونتائجه ”، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي ، بيروت ، 2010
- 8 - وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، التحليل الشامل للأمن الغذائي والفئات الهشة في العراق، بغداد، 2008.
- 9 - وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية 2008 ، بغداد ، 2009.



العراق

من إرهاب الأنظمة إلى إرهاب الجماعات

داعش أنموذجاً

بحث في إشكالية إستيطان العنف

الاستاذ المساعد الدكتور رائد عبيس
في جامعة الكوفة / كلية الآداب

(توطئة)

تزامن التفكير في إعداد هذا المؤتمر مع مناسبة مئوية الدولة العراقية، يعطيه أهمية استثنائية، لبحث وتدارس، إشكالية العنف والتطرف، المنتج للإرهاب الفكري والممارساتي، وعلى كافة المحاور المشكلة والمؤثرة فيها. وهو ما قد تبلورت عليه فكرة بحثنا حول إشكالية إستيطان العنف في تاريخ الدولة العراقية الحديثة ومجتمعها. ولعل الحقائق المعروفة عن تاريخ العراق القديم والحديث، جعلت من أسباب ظهور العنف، والتطرف، والإرهاب، متذبذبة بين فعل الأنظمة، وفعل الجماعات. ولعل الأولى هي سبب في وجود الثانية، أو الثانية هي سبب في وجود الأولى. وهنا الإشكالية تزداد تعقيداً؛ لأن ما يتركه كل عامل من هذان العاملين من أثر على إستيطان العنف، قد يكون مباشراً أو غير مباشر، منظور أو غير منظور. يُسمح بالتصريح به، أو يكون مستوراً، بفعل الإيديولوجيات التي لا يخدمها ذلك. وربما إستيطان العنف، قد يكون سبباً مشجعاً لتوريد العنف، أو إدخاله إلى العراق بفعل اقليمي، أو دولي، أو محلي منفتح على جماعات، وأنظمة التطرف.

هذا البحث يحاول جاهداً الوقوف على كوامن الأسباب، أو مظاهرها لبحث هذه الإشكالية، بأبعاد مختلفة، وهي :

- 1 - أثر العوامل التاريخية في إستيطان العنف اجتماعياً.
- 2 - استغلال الأنظمة لهذا الموروث وقيامها عليه، من غير العمل على إزالته، أو العمل على تذويبه بفعل ثقافي أو حضاري واعي.
- 3 - لجوء أنظمة الحكم (الاحزاب) إلى العنف، كوسيلة لتغيير أنماط الحكم في العراق.
- 4 - ظهور جماعات مقهورة تستخدم العنف والأرهاب لاسترجاع حقوقها الزعومة.
- 5 - ظهور جماعات متطرفة تؤمن بشمولية الحكم، وتوسعه على أسس النعمة، والإستبدال، والتجديد

المظلل، ومثالها: داعش.
وما تقدم ينطلق من ثلاثة عوامل
الأول؛ هو وجود الأرضية المناسبة للعنف.
ثانياً؛ الاستغلال السياسي لهذا العنف، وترسيخ المستوطن منه.
ثالثاً؛ ظهور الجماعات المتطرفة، كردة فعل على الموروث والمستوطن السياسي منه.

المحور الأول: تاريخانية العنف

تحتم علينا موضوعية هذا البحث من الاقتراب من معنى التاريخانية ⁽¹⁾ الباحث عن طبيعة السلوك الإنساني، ولعل أبرز ما يستحق التفحص، هو ظاهرة العنف الناتج من السلوك الاجتماعي، أو السلوك الفردي الجماعي، أو الجماعي الفردي. وجود هذا الفعل بصفته الجماعية أو الفردية، هو من يستحق الدراسة بكل الأبعاد المعرفية والعلمية.

قد يشكل هذا الفعل خليط من الأفكار المنتجة له، منها السايكولوجية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والدينية. تساهم كل هذه العوامل في إنتاج ظاهرة لواحدة منها، معلنة الدوافع أو مخفية الدوافع. وهنا تأتي أهمية المعرفة في ربط، وتحليل، وتفكيك، وفلسفة كل هذه المعطيات. تمثل داعش وهي حركة إسلامية متطرفة، انموذج هذه الدراسة، وهذا يعني أننا نخوض في فلسفة الإرهاب الديني، أو العنف الديني، وهذا ما يتطلب البحث تاريخانياً، في ظاهرة العنف، بصفته الدينية، على وجه التحليل، ولكن في الوقت نفسه، لا يمكن فك ارتباط كل العوامل المساعدة على إنتاج حركة داعش، بما فيها موروثات العنف الديني وتأريخه. عن ما تسبب في ظهور هذه الحركة المتطرفة. لا سيما وهي من جاءت بشعارات، وأحكام، ومواقف، ومسميات، ومبادئ السلف الديني، والسياسي من تاريخ الإسلام.

أكدت بها إنها تحتكم إلى كل الأفكار التي قيلت بشأن طبيعة الخلافة الدينية، بوصفها نظام حكم. عرف وأمتد طيلة قرون طويلة في الحكم، باسم الإسلام وصولاً إلى الخلافة العثمانية.
والسؤال الذي يثار هنا؛ هو لماذا لجأت هذه الجماعات التي يقودها حلم وطموح الحكم باسم الخلافة إلى العنف، والعنف الديني على وجه التحديد؟

(1) التاريخانية: تشير التاريخانية في أكثر وجه استعمالها إلى تصور فلسفي يطرح من حيث المبدأ أنه حتى تكون الظواهر الإنسانية قابلة للفهم، فيجب أن تكون ظواهر تاريخية... تعتبر التاريخانية ردة فعل على الوضعية، وبالفعل، تؤكد التاريخانية أن معرفة الماضي لا تتحقق الا عبر التجربة الذاتية عند من يقوم بدراسته. جان فرنوا دورتييه، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة: جورج كتورة، دار مجد، ط1، 2009، ص 185-186.

قد يختصر الجواب ابتداءً على الأسباب الظاهرة، والمعروفة، لنشوء هذه الحركة تاريخياً، أو واقعياً، على طبيعة الإنتاج أو الدوافع التي ساعدت على وجودها، قبل التعامل معها، على إنها بذرة نتجت في تربة دينية انطلقت منها لأول وهلة. أو أن التفكير المساعد والقريب من السهولة و المقبولية، أنهى باللجوء إلى البيئة الدينية، بكونها عامل مشترك لمحيط، يستوطن التطرف في تفكيره، ويظهره بين فينه وأخرى.

فالعنف المتطرف، والتطرف العنيف، وما ينتج منهما من إرهاب منظم أو عشوي، هو ممكن الخطورة في تطور الفعل العنفي، فتطور أدوات العنف قد لا يتناسب مع غرضيته التي يتكون بسببها. وقد يتجاوز حدود الفعل التقليدي للعنف؛ وهو القتل، بل يتبلور في سلوكيات متعددة، ومظاهر مختلفة. فعمق الإشكال بهذا التشخيص هو غالباً ما نجده يتداخل بين الهوية التاريخية، والهوية الدينية، التي يربطهما خيال مشترك من الفضاء الإسلامي، عبر استعارة واسترجاع نماذج من تجارب الحكم بالخلافة من تاريخ الأمة، وهذا بحد ذاته يعزز شمولية غير واضحة المعالم في جوهر الخطاب.

فتاريخانية العنف في حدود الهوية العراقية، يختزل كثيراً من هذا الاسترجاع. ويظهر حقيقة قوة العنف الذي وقع على أرض العراق تاريخياً، منذ مقتل الحسين ابن علي بن ابي طالب عليهما السلام وإلى اليوم، ففضاءات العنف تدور بنفس الأفق، وبمخيل أوسع لحجم العنف الذي وقع عليه وآل بيته وأصحابه عليهم السلام. أنبثق هذا العنف بدوافع أنظمة تارة، وبدوافع جماعات تارة أخرى. بين تسخير السياسة لهذه الجماعات، أو تسخير الجماعات للسياسة. لصالح مبرراتها، هذا التبادل في أدوار ممارسة العنف لم ينفك عن بيئة العراق، منذ خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وإدارة حكمه في العراق وإلى زمننا الحالي. هذا الأمر عزز ما أسميناه أستيطان العنف بين الممارسة المُعَنَف وبين الممارس عليه المُعَنَف.

فثقافة التعنيف حاضرة، وظاهرة، ومؤثرة على سلوك الفرد العراقي، وعلى أكثر من مستوى في شخصيته. فالمواطن العراقي يعيش فوبيا على الدوام، فوبيا الفقر، خوفاً من العنف الاقتصادي، وفوبيا سياسية خوفاً من البطش، والاضطهاد، وفوبيا اجتماعية خوفاً من التغالب بسبب غياب العدالة الاجتماعية، وفوبيا من الإرهاب الديني وعنفه الذي يحمل صورة قاسية عنه، وهي فاجعة كربلاء، فما زال التخوف من الآخر الطائفي خطر يهدد العراق، سواء كان محلياً أو اقليمياً، ولعل حرب اليمن اليوم هي نموذج قائم يعزز القول بتلك المخاوف العُنفية، وبين الذوات، والجماعات المختلفة طائفيًا، والمتجاوزة سياسياً.

فهناك استيطان تاريخي لفعل العنف، وفكرته، قد سبق مرحلياً وعلى المدى القريب ظهور داعش، لا سيما بعد زوال سيطرة الدولة العثمانية،

وخروج العراق من الانتداب البريطاني، ومجيء الملكية وزوالها بالدم، وكذلك ثورة عبد الكريم قاسم، وتدايعات أعتياله، وتوالي الانقلابات السياسية العنيفة، وحتى حكم البعث وسقوطه، وما بعد سقوطه، تغيرت أساليب العنف، وتحولت من عنف الأنظمة إلى عنف جماعات، وتبلورت بتنظيم القاعدة، وغيرهم، فالبيئة التي كانت تحتضن تنظيم القاعدة، وفلول عناصر حزب البعث،

وجماعات ناقمة على التغيير، وأحقاد اجتماعية، ساعدت بشكل أو آخر الترحيب بمظاهر العنف في السلطة والتي جسدها لهم داعش، وأرضى طموحهم العنفي في الحكم، والسلطة، وإدارة الشؤون العامة في المجتمع. "هيمنت الجماعات القومية بقيادة عدد من ضباط النظام السابقين، والشخصيات الدينية السنية، وأعضاء حزب البعث،

على التمرد خلال أوائل عام 2004، وحتى معركة الفلوجة الأولى في أوائل نيسان (إبريل 7) على الرغم من أن جماعة التوحيد والجهاد لم تكن بالضرورة، هي الجماعة المسيطرة المتمردة بين منتصف 2003 وأوائل 2004،

فإنها جعلت من نفسها الأكثر قسوة، والأكثر تركيزاً، بين منافسيها الأقران، في حين سعت، بشكل أساسي، جماعات متمردة سنية أخرى، مثل كتائب ثورة العشرين، والجيش الإسلامي، إلى طرد قوات الاحتلال الأمريكية واستعادة السلطة المفقودة".⁽²⁾

فقد كانت مسميات هذه الحركات المتطرفة، مثل: جماعة التوحيد والجهاد، وأنصار السنة، وسراياهم العسكرية مثل: أبو عبيدة، خالد بن الوليد، وغيرها. تمثل استعارة كبيرة للتاريخ، تختزل المخيال الطائفي وممارساته العنيفة،

المهيمن على فكر هذه الجماعة، ومن يواليهم ويؤيدهم. وكذلك تختصر تاريخ العنف في الحكم باسم الإسلام، تحت عنوان الخلافة، والأمانة، والأمة. بل وحتى طريقة قتالهم وتنظيمهم، ومدتهم المادي عبر نظام الخراج، وغيرها من مصادر التمويل التقليدي.

(2) بن كونيال، وآخرون. التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية: اختيار استراتيجية جديدة للعراق وسوريا، تقرير مقدم لمصالح وزير الدفاع الأمريكي. راند منيكا، كاليفورنيا، 2017. https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR1500/RR1562/RAND_RR1562z1.arabic.pdf ص 9.

هذا الحضور، والظهور، التاريخي، لحركات عاشت، ونمت، في بيئات مستوطنة للعنف ومشجعة عليه، جعلت منها بيئة جذب لمن يستهوي العنف، والقتال، والقتل الاستعراضي، الذي فعلته داعش وأخواتها بحق ضحاياها. ودليل ذلك خريطة داعش التوسعية، وانضمام الأفراد المتطرفين لها من كل دول العالم، سهل عملياتها الإرهابية في أغلب هذه البلدان.

فموجة العنف وقوته وإندفاعاته دليل آخر على استيطانية العنف في جغرافية التطرف، والشعوب المقهورة، والواقعة تحت تأثير المخيال التاريخي الطائفي الذي سرعان ما يتحول إلى ردود أفعال عنيفة تمثل تاريخ العنف.

المحور الثاني : الفعل السياسي العنيف

يمثل الفعل السياسي العنيف عنوان أوسع من العنف الأنظمة، بكونه فعل ممكن ان يقوم به أي سياسي اتجاه خصومه، خارج حدود الأنظمة الحاكمة أو القائمة، بصفة حزبية، أو فردية. لا شك أن العنف السياسي يأتي نتيجة طبيعية لعنف اجتماعي متقوم بأبعاد مختلفة للعنف. يمارس فردياً أو جماعياً، و يتخذ أشكال شتى بين عنف الخطاب ولغته، وبين رمزيته و إيماءاته، وبين التصريح والتلويح به، وبين ممارسته بطرق مختلفة. من تهديد، وخطف، وقتل، وتهجير، وحبس، وملاحقات، وغيرها. فبين صفة العنف وفعله، يجب أن تدخل إشكاليته ميدان الدراسة، والتقصي، والتحليل، لمعرفة مستبطنات الفعل وكيفية إظهاره.

سرعان ما يتبلور فعل العنف بصفته السياسية، عندما يكون هناك خلل في بنية المجتمع، وأزمات تمس هويته القومية، أو الدينية، أو الطائفية، أو حقوقه المادية، والفكرية.

المجتمع العراقي كغيره من المجتمعات، مر بهذه الأزمات ونتج عنها عنف مؤسسي تمثل بموقف الحكومات من كل تلك الحقوق، سواء الحكومة الملكية، أو الجمهورية، أو الاشتراكية، أو الدكتاتورية، أو الديمقراطية، كل هذا التنوع في البيئة السياسية العراقية، لم يغير من واقع العنف السياسي، وجذوره وبيئته. قد يكون هناك تفاوت بين قوته أو تراجع، ولكن لا يغير من أنماطه، وحاجة تلك الأنظمة لاستخدامه ضد الخصوم بين فينه وأخرى.⁽³⁾

(3) ينظر: حنة أرندت، في العنف، دار الساقي، ط2، 2015، ص 37.

” وفي العراق الذي اصطبغ تأريخه بالعنف الدموي ، تطرح هذه الظاهرة نفسها كأحد التحديات التي لازمت تأريخه ، إذ نجد إن هذه الظاهرة هي سمة لصيقة للمجتمع العراقي ، فلا تكاد تنطفئ نار العنف الأتلية حتى تشتعل مرة أخرى ، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى توصيف المجتمع العراقي بأنه مجتمع بدوي ، يتسم بالعنف والقسوة ، أو انه مجتمع متنوع ومفكك ومتناذب وغير منسجم في بنيته الاجتماعية ، وان هذا التنوع هو سبب عدم الاستقرار السياسي الذي يشهده تاريخ ارض الرافدين“ (4) .

لا نعتقد ان التنوع دائما هو سبب الصراع, بل قد تكون الوحدة في التنوع احيانا، وهناك مجتمعات متنوعة, ومنسجمة سياسياً, ومستقرة اقتصادياً وتنموياً, مثل : سلطنة عمان, عربياً, وأمريكا غربياً وغيرهما من الدول في العالم (5) .

فكثيراً ما يدفع ” المجتمع العراقي جريمة ” تنوعه ” بالقتل, والإبادة الجماعية, واسقاط الجنسية والتهميش, والإقصاء, والإبعاد ، وليكون هو الجاني والمجني عليه ، وليكون دائما مادة العنف ووقوده ، والغريب من كل ذلك إن محاكمة التاريخ للمجتمع العراقي، لم تأت من منطق ” الفعل ورد الفعل الذي يحكم كثير من الظواهر الاجتماعية ومنها العنف ، لا بل كان هناك فقط اتهام فئات التنوع بالعمالة, والخيانة, والتسقيط) وأهل البيعة, وأهل الغدر, والخيانة (وغيرها من المقولات المسيسة) (6) .

خطورة العنف السياسي أو العنف الديني, الذي يعد من أكثر أنواع العنف المستغل سياسياً في العراق, والأكثر التصاقاً به , تكمن في أنه عنف مستوطن من جهة, و مستغل بإظهاره وممارسته من جهة أخرى, والتخطيط له, واستثماره من جهة ثالثة.

مستثمرة فيه الأنظمة أو الجماعات تخطيطاً لاستغلال كل انهيار سياسي أو اضطراب سياسي وما يتبعه.

وهذا الأمر اعتادت عليه الساحة العراقية منذ قيام دولته الحديثة والى اليوم.

(4) أنظر : مجموعة باحثين ، الطائفية والاثنية في العراقي وتأثيرها على الهوية الوطنية ، مجلة شؤون مشرقية (المسألة الطائفية والاثنية ، الع ارق أنموذجا) ، مركز دراسات المشرق . العربي ، العدد الأول ، بيروت ، 2008 ، ص 56.

(5) وتشير الدراسات الى انحسار ظاهرة العنف في المجتمعات المنفتحة والمتمدنة بشكل يختلف كثيراً عن المجتمعات المغلقة التي تعاني من الكبت والحرمان وانعدام الثقافة والأخلاق. جان فرنوا دورتيه. معجم العلوم الإنسانية. ترجمة: جورج كتورة. دار مجد، ط1، 2009، ص 767.

(6) حسين ,عدي فالح, العنف السياسي في العراق بعد 2003, 2010, ص 23.

السؤال الجوهرى هنا؛ هل العنف السياسي ينتج بسبب العنف الديني على وفق هذا الاستبطان العنفي التاريخي، بكون الحكومات، وأنظمتها في العراق، تتراوح بين توجهين مذهبيين، سني وشيعي في الغالب؟

أم أن العنف الديني ينتج بسبب العنف السياسي، بكون حتى الأنظمة العلمانية منها، تضيق على التوجهات الدينية حريتها، وتمارس عليها الاضطهاد والتعسف؟

نعتقد أن تاريخ العراق الإسلامي وتاريخه الحديث، لا يفصل بين الاثنين في ممارساته السياسية ولا الدينية، فتاريخ الاضطهاد السياسي باسم الدين قد خلف تركة ثقيلة من القلق الوجودي عند الفرد العراقي، وهو اجس ريبة وشك في الأنظمة الحاكمة، وقدرتها على تعزيز الاطمئنان تحت عنوان المواطنة وحقوقها.

وهو ما يمكن أن نطلق عليه (العنف السياسي – المذهبي) وفيه تنتمي الجماعات المتصارعة إلى دين واحد أساس ، ولكن يتباينون من حيث انتسابهم لمذهب دون آخر من مذاهب ذلك الدين ، والصراعات، في إطار الأديان مشهورة بين الكاثوليك – البروتستانت، في إطار الدين المسيحي وبين الشيعة والسنة، في إطار الدين الإسلامي ، وتختلف تلك الجماعات المتصارعة بين جماعات ممسكة بالسلطة، و أخرى تسعى أليها أو مشاركة فيها، وبطبيعة الحال فإن كلاً منها ترى الدين الصحيح متمثلاً في المذهب الذي تنتمي إليه.

وهو ما يمكن أن نطلق عليه العنف السياسي الديني الداخلي، بمعنى أنه يدور في هذه الحالة بين جماعات تتفق في الانتماء للدين نفسه، وللمذهب نفسه ، ومع ذلك يظل الصراع على السلطة مستعار من حيث ترى الجماعة الراغبة في الحصول على السلطة ، أن الممسكين في السلطة قد خرجوا عن صحيح الدين، والمذهب معاً ، في حين يرى هؤلاء أنهم ملتزمون بالدين التزاماً صحيحاً. مثل : حال كثير من الحركات الإسلامية الشيعية وأبرزها ما دار بين حزب الله وحركة أمل في لبنان، من حرب أهلية وانتماءات سياسية، أو بين حركة الأخوان، وحركات دينية أخرى على مستوى المذهب السني. فالعنف السياسي الديني يتوجه من جماعة دينية إلى جماعة دينية أخرى داخل المذهب الواحد ، أو تنتمي إلى دين مختلف، ويدور هذا العنف حول السلطة في العادة، وإن كان دور السلطة في هذا النوع من العنف مخفياً، وهذا العنف على الرغم من توجهه إلى جماعة مختلفة دينياً، فإن مثل تلك الجماعة قد لا تكون مستهدفة لذاته، بل لكونها تعيش في كنف السلطة التي يستهدفها العنف، وإن هذه السلطة ملتزمة بحماية هذه الجماعة الدينية أو قد يكون الهدف من هذا العنف، هو احراج النظام السياسي الذي يقوم بحماية هذه الجماعة الدينية” (8).

(7) حسين ، عدي فالح ، العنف السياسي في العراق بعد 2003، 2010، ص 24.

(8) المصدر نفسه، ص 25.

وهذا ما كان في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، وتحول بعض الجماعات الدينية باتجاه معارضة نظام الحكم الجديد، وصراعها مع الجماعات المؤيدة له الدينية منها والاجتماعية. كصراع القاعدة، و” داعش“ مع جماعات الصحوات العشائرية، والجماعات الدينية المعتدلة.

المحور الثالث: أئقعة التطرف والتطرف الأكثر عنفاً ”داعش“

لقد ساعد سقوط نظام البعث البائد على ظهور كوامن العنف ومستبطناته بصيغ مختلفة، جاء بعضه بتخطيط مسبق، ليكون بديل عن نظام يعزز وجوده وسياسته من خلال تلك الأفعال، أو جاء بعضها الآخر بقصد استغلال فراغ السلطة، و انهيار الدولة، ليكون وجوده حالة طبيعية مستغلة للفوضى الموجودة نتيجة غياب السلطة، أو قد تكون عوامل دولية أوجدت بعد الاحتلال الأمريكي، لتكن عامل اللا استقرار للمشهد العراقي بغرضية العبث بأمن العراق وشعبه.

قد نجحت حسابات المغرضين في ارتداء ائقعة، أو إظهار حقيقة أئقعة، كانت قد خدعت كثير من أبناء المجتمع العراقي، بها بكل طوائفه وأئنياته، في غربه، وشرقه، وجنوبه، وشماله. وبرزت لهم مجاميع متطرفة، ووجهات سياسية سائدة، تحاول أن تعيد الأحقاد التاريخية وممارساتها العنيفة إلى الوجود، تحت عناوين، وشعارات، وعقائد، ترسخ ثقافة القتل أو النصر على الخصم أي كان، لاسيما الطائفي منه. كانت داعش تتبنى مشروع قتل الشيعة، وقتل السنة الذين انخرطوا في دولة يحكمها الشيعة، أو غير الملنزم بمظاهر الشريعة التي تريدها داعش نفسها، أو غير المتعاون والمتعاطف معهم.

اتبعت داعش كل سياسة العنف التي تريد أن تحقق بها أهدافها المزعومة بالشرعية، تحت مفهوم الأمة الإسلامية، ونظامها بالخلافة، والبيعة، والولاء، والإيمان، والطاعة. فكان الإرهاب سبيل لتحقيق كل ذلك، لأنها استعجلت فرض سلطتها، وتنفيذ حكمها، وهذا ما فسر اختلافها مع جبهة النصرة، وغيرها من جماعات القاعدة، التي تجمعهم أصول عقائدية، ومبادئ جهادية، عدت الأساس لمفهوم وعمل الجهاد الديني عندهم.

ومع ذلك فكثيراً ما يختلط الإرهاب بالعنف السياسي؛ بسبب التقارب الشديد القائم بينهما، حيث ذهب العديد من الباحثين إلى تعريف الإرهاب بأنه العنف السياسي، والواقع أن الإرهاب أحد أشكال العنف السياسي، ويشمل العنف السياسي فضلاً عن الإرهاب، الثورة، والانتقال، والتمرد، والعصيان، والانتفاضة وغيرها من الأشكال الأخرى التي تم ذكرها، ومن هنا كان الواجب تقديم مفهوم واضح للإرهاب

والتمييز بينه وبين العنف السياسي ، بما ينفي عنه الإبهام ، والغموض، والاختلاط، وكذلك تعريف فرويند) بأنه ” استعمال العنف من دون تقدير أو تمييز بهدف تحطيم كل مقاومة ، وذلك بإنزال الرعب في النفوس ، يبدو إذا أن فعله سيكولوجي بجوهره ، فهو لا يرمي فقط، وكما يفعل العنف إلى القضاء على أجساد الكائنات ، وتدمير الممتلكات المادية ، بل يستعمل العنف بشكل منسق ليخيف النفوس ويرهقها ، أي انه يستعمل جثث العنف ليزرع اليأس في قلوب الأحياء.

وهكذا يتضح أن ما يميز العنف عن الإرهاب هو أن الأول لا يجعل من الجانب السيكولوجي عنصراً مقوماً في فعل العنف ، بل يقوم موضع الاهتمام على تحقيق الأهداف ، أما في حالة الإرهاب، فإنه يعول على الجانب السيكولوجي ، ولكن يؤخذ على هذا التعريف أنه يجعل من الإرهاب مقتصرأ على العامل السيكولوجي فقط ، في حين إن هذا العامل ما هو إلا وسيلة لبث الرعب في الدولة والأفراد وإن هذا العامل ليس هو المقصود بذاته ، وإنما من أجل تحقيق أهداف معينة بكونه ”فعل رمزي يقوم على الاستخدام المنظم للعنف أو التهديد باستخدامه ، بشكل يترتب عليه حاله سيكولوجية من الخوف ، والرغبة، وعدم الشعور بالأمان، لدى المستهدفين لتحقيق أهداف سياسية⁽⁹⁾.

وبناءً على هذه العلاقة بين الإرهاب والسياسة، فهنا نود أن نقول أن الحركات الإسلامية المتطرفة التي تتخذ من الإرهاب سبيل لتنفيذ أجندتها ولا سيما داعش ، هي حركات عقائدية سياسية وليست عقائدية فقط كما يذكر، ودليل ذلك أن مشروع هذه الحركات هو مشروع خلافة، وحاكمية، وإمارة، بها يتم تنفيذ الشريعة وبحكمها.

وهذا على العكس من رأي الباحث هشام الهاشمي الذي يقول فيها أنها حركة عقائدية فقط⁽¹⁰⁾. فالصورة الواقعية لتنظيم داعش؛ هي العمل على تعميق فعل العنف كوسيلة إزالة للخصوم، فمشروع الفتح اقتصر على هذه الممارسة الإرهابية التي لم تتسق حتى مع قناعات أعضائها فيما بعد.

(9) حسين ، عدي فالج، العنف السياسي في العراق بعد 2003، 2010، ص 26.

(10) الهاشمي ، هشام ، عالم داعش، ص 14.

وهذا ما جعل كثير من قياداته وأعضائها يهربون بعد كل ضغوط عنفية عليهم لممارسة فعل أمر بقتل أو غيره.

تجريم المختلف وقتله، هي سياسة اتبعت بأنماط عدة قام بممارستها، من يتعطش للدماء، والقتل، والرغبة بالانتقام من أفراد المجتمع، ولعل وجود داعش كظاهرة لا يتخلف عن داعش المستبطن في مجتمع رحب جله في كثير من أفعاله، وهذا المستبطن هو ما يزيد من نمو الخلايا النائمة أو الخلايا المتعاطفة، والمتوارية خلف عناوين رسمية، أو عشائرية، أو تنظيمية معينة (11).

ولعل أبرز ما تمثل به عنف داعش القتلي هو جريمة سبايكر (12) وما تبعها من جرائم لهذا التنظيم، جاءت مكملة لتلك الجريمة وتداعياتها. فضلاً عن عمليات الاغتيالات، والهجوم على المنازل، والاعتقال، والتصفية، وتفخيخ البيوت، وتهديد العوائل بنسائهم بأخذهم لما يعرف بجهاد النكاح. وكذلك العروض المشروطة للأنظام، أو دعوات الإنظام المقرونة بالتهديد والملاحقة. وكذلك سبي النساء الايزيديات، وبيعهن، أو تزويجهن قسراً، أو اغتصابهن، أو تحويلهن إلى عاملات خدمة قسراً.

مثل هذه الأفعال التي قام بها داعش، ولدت فكراً موازياً بضرورة الدعوة لقيام شريعتهم الاسلامية المزعومة، مع تربية، وتعليم نظام العنف، كجزء من أسس قيام دولتهم (13). فمصادر العنف لم تأت من النص إلى الواقع مباشرة، من دون تعزيز القناعات بأهمية الفعل، أو خلق أهميته بعد جعله واقع حال عند قناعات المغفلين اتباعهم. الذين وجدوا فيها فعل مغامرة، ورغبة انتقام كامنة في نفوسهم. ولتلمس هذا الواقع عندما نجد مثلاً: بقال ينخرط معهم لأجل ممارسة فعل القتل، أو انخراط طالب جامعي في صفوفهم لرغبة في القتل لديه. أو تحمس بعض النساء للقتل أو التحريض على القتل بدوافع شتى أبرزها الدافع الطائفي (14).

(11) أنظر: فرحان محمد حمزة، العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسييل الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2001، ص 75.

(12) سبايكر: وهو المعسكر الذي خرج منه المتطوعين العسكريين، الذين تم أسرهم وقتلهم على يد المجاميع المسلحة من عناصر دحل الإهابي، بطريقة إبادة جماعية وحشية. بين قتل جماعي رمياً بالرصاص ودفنهم بالشغلات، وبين قتلهم ورميهم بنهر دجلة، وبين قتلهم وتغيب جثثهم، أو دفنهم بطريقة عشوائية.

(13) أنظر: ناهدة عبد الكريم حافظ، المشهد العراقي، جدلية العنف والتسامح، من وقائع المؤتمر المركزي الذي عقده بيت الحكمة (ثقافة اللاعنفي في التعامل مع الآخر)، بيت الحكمة، بغداد، 2008، ص 47.

(14) أنظر: محمد محمد الحيدري، الطائفية في العراق حقيقة أم وهم، الطبعة الثانية، مجموعة العدالة للطباعة والنشر، بيروت، 2008، ص 36.

فالبينة الحاضنة والمتفاعلة لفعل داعش لا تختلف عن حقيقة داعش، بل أظهرت الحاجة إليها، وهذه الحاجة فسرتها سرعة الاستجابة بالانظام الى تنظيم داعش بعد تلقي الدعوات منهم أو طلب منهم ذلك. وهذا لا يعني أن هناك تبعية عقائدية لداعش بقدر ما هو تفاعل مع حياة مضطربة ومنهارة كمحاولة لاستغلال غنائمها. مثلاً: بعض العشائر كانت تتفرج على عمليات القتل الجماعي بحق جنود معسكر سبايكر، ولكنهم لم يبقوا كذلك اتجاه غنائم يتحصل عليها أبناء هذه العشائر من المنتمين لداعش. أو نهب وتسليب معسكرات، وسيارات، وآليات الجيش العراقي ووحده (15).

فهبت العنف الداعشي، قابلتها هبت غالبية مجتمع متعطش للفوضى، وأساليب الانتقام، واستغلاله للتصفيات العشائرية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو العرقية، أو الطائفية، أو القومية. وهذا التصنيف هو السبب في تكوين مجاميع عنف مضاد، لرد العنف، فالجماعات العنيفة تتكون بالعادة من ردود الأفعال المهددة لوجودها وكيانها. لا سيما تلك المتصارعة على مكاسب ذات بعد سياسي، أو المتصارعة وجودياً على حقيقة عقائدية أو دينية معينة، كالتى أدعت بها داعش برفع شعار إبادة "الروافض"، الشيعة، وهذا سبب رئيس وراء إعدام جنود معسكر سبايكر أو تصفيت غيرهم من هذه الطائفة أو من يشك أنه منها (16).

فالحاكمية العنيفة التي جاءت بها جماعات الإرهاب من القاعدة إلى داعش، وما تقوم بها من جماعات ومسميات أخرى، لا تنطلق في الغالب من فكرة البديل عن نظام دولة، أو إرهاب نظام، بل هي من تؤسس لإرهاب نظام، لفرض أساليبها سلطتها.

كالتى حدث مثلاً: في العراق، وسوريا، وليبيا، تمثل بها الإرهاب بين تحدي للأنظمة القائمة، أو محاولة إقامة نظام بنفس الأبعاد السياسية لتلك الأنظمة. وهذه مفارقة عقائدية كبيرة، تنطلق منها داعش، وغيرها من الجماعات المسلحة العنيفة، في المنطقة العربية أو الإسلامية لا سيما في الشرق الأوسط، وجنوب أفريقيا، وأفغانستان وغيرها.

وعنف الجماعات هذه وأرهابها تتقوم من نفس المصادر التي تنطلق منها السياسة، وجماعاتها البديلة، فالأرهاب الديني كثيراً ما يُستثمر سياسياً، وكذلك السياسة تستثمر الإرهاب الديني لصالح أجندها المتضادة مع المختلف الأيديولوجي معها، كحال السعودية و إيران.

(15) أنظر: لهاشمي، هاشم. عالم داعش من النشأة الى عالم الخلافة، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، 2015. ص

الخلاصة:

قد لا نجد خلاصة لما تنطوي عليه إشكالية البحث القائمة والراهنة, في محيطنا العربي والإسلامي وشأننا العراقي الداخلي, بقدر ما يمكننا أن نلخص ما تقدم من عرض في هذه المحاور من أفكار, وموضوعات, قد تكون مختصرة لفحواها. فتاريخانية العنف تتطلب منها دراسة كاملة لتاريخنا, وتحليله لتجنب كوارث عنفية مشابهة, تعود علينا بنفس الأسباب. سياسية, واقتصادية, واجتماعية, نتقمص فيها تجارب الماضي لحاضرنا وهذا الارتهان, هو سبب خيبة أمل لكل الأجيال التي تكون أسيرة لتلك التاريخانية وقوانينها, جاءت داعش وهي نتاج طبيعي لهذا التوقع على مفاصل تاريخية, حجت فيها معيار الحقيقة المطلقة التي تحكم مسار التاريخ, وتجعل الحق بين وواضح في كل زمان.

”المسؤولية الوطنية والمجتمعية تجاه التطرف وسبل مواجهته“

أ.م.د.حسين يوسف حازم جامعة الموصل

hussin1974aa@gmail.com

(ملخص)

يعد التطرف أحد مظاهر الانحراف في المسار الديني والفكري والمجتمعي لما له من تأثيرات ونتائج سلبية بالغة الخطورة على المجتمع وأفراده وهو يمثل آفة خطيرة جداً كونه يمس أفكار وعقول ويقود إلى مسارات هدامة تؤدي إلى تدمير المجتمع وكياناته ونسيجه الداخلي ولحمته الوطنية ويزرع أفكار متطرفة خاطئة تؤسس لبناء جيل يحمل تلك الأفكار والعقائد تترسخ في أذهانه وعقله وتساهم في تعزيز الجهل والظلامية وتمحو القيم والمبادئ ومواكبة التغيير والتطور ليصبح المجتمع في دائرة منعزلة ومغلقة ترجع عجلة التطور ومواكبة إلى الوراء في ظل الجهل والتخلف بعيداً عن الحضارة والتطور والمدنية.

ومن هذا المنطلق تحتم على المجتمع وأفراده مع جهود الدولة ومؤسساتها الأخذ بالمسؤولية الوطنية والمجتمعية لمكافحة ومواجهة التطرف الذي يمس الجميع دون استثناء ويهدد مستقبلهم وكيانهم وأجيالهم ويتظافر جميع تلك الجهود يمكن محاربة هذه الآفة والقضاء عليها ونبذها واجتثاثها جذرياً. ومن هذا المنطلق ولأهمية الموضوع وتأثيراته العميقة والمباشرة في عصرنا الراهن والتحديات التي تفرضها هذه الظاهرة على المجتمع وأفراده توالدت فكرة البحث ومحاورة التي تناولناها من ثلاث مباحث مثّلت عناصره الرئيسية إذ تضمن المبحث الأول: عرض وتعريف لمفاهيم التطرف والإرهاب، فيما تناول المبحث الثاني: منهج وموقف الاسلام من التطرف، وتطرق المبحث الثالث: سبل مواجهة ومكافحة التطرف وأشكاله.



National and societal responsibility to-“ “wards extremism and ways to confront it

Assistant professor Hussein Y. Hazim

College of archaeology

University of Mosul

(Abstract)

Extremism in one of the manifestations of deviation in the religious, intellectual and societal path because of its very dangerous negative effects on society and its members and it represents a very dangerous scourge. It touches ideas and minds and leads to destructive paths that lead to the destruction of society, its entities, its internal fabric and national cohesion, and it implants wrong extremist ideas. Its established to build ideas and beliefs that are rooted in their minds and mind and contribute to strengthening ignorance and obscurantism, erasing values and principles and keeping pace with development and urbanization. From this point of view, it's imperative for society and it's members, a long with the effects of the state and it's institutions, to take on the national confront extremism that effects everyone without exception and threatens their future, their entity and their generations. From this point of topic and its deep and direct effects in our times and the challenges that this phenomena on imposes on society and its members, the idea of research and its themes, which we dealt whit in three sections. The first topic included: a presentation and definition of the concepts of extremism and terrorism, while the second topic dealt with the approach and position of Islam on extremism, and the third topic dealt with ways to confront and combat extremism and its forms

المقدمة:

يعد التطرف ظاهرة تكاد تشغل الناس في مجتمعاتنا وفي مجتمعات أخرى بما فيها مجتمعات متقدمة لأنها أصبحت لا تهدد السلم المجتمعي والحياة العامة والعلاقات بين الناس فحسب بل السلم والأمن الدوليين خصوصاً إذا ما تحولت من الفكر والتنظير إلى الفعل والتنفيذ واستخدام الدين ذريعة المتطرف لاسيما من خلال التكفير للآخر وذلك بتأثيره ومن ثم تحريمه وبالتالي تجريمه وبلوغ الأمر من الخطورة إذا ما استخدم العنف أو الإرهاب وسيلة لفرض ذلك خارج نطاق القانون والقضاء والتي كان من نتائج رد فعل التطرف والتكفير انتشار ظاهرة الإرهاب والعنف. والتي مثلت أحد أوجه التطرف الخطيرة والبالغة والتي أصبحت ظواهر عالمية لم تسلم منها البلدان والشعوب بمختلف أديانها وطوائفها وأعراقها مهددة كياناتها ومجتمعاتها وأبنائها.

ومن هذا المنطلق ولأهمية الموضوع وتأثيراته البالغة وتهديده الجسيم على مجتمعاتنا وأبنائنا وكياناتنا توالدت فكرة البحث ومحاورة التي حاولنا من خلالها عرض الموضوع بكافة جوانبه وتفاصيله الرئيسية ومرتكزاته الأساسية التي نستعرض من خلالها إلى توصيل فكرته وبيانها للباحثين والمختصين والعامة من أبناء المجتمع وبيان خطورة هذه الظاهرة وتأثيراتها والسبل الكفيلة لمواجهتها ومقاومتها والدور الملقى على الدولة والمجتمع والأفراد تجاهها.

تضمن البحث ثلاث مباحث مثلت محاوره الرئيسية. إذ تضمن المبحث الأول عرض وتعريف لمفاهيم التطرف والإرهاب وما يرتبط بهما من مفصل وعناصر هامة مثلت أشكالها وأسسها ثم عرضها في البحث. فيما تناول المبحث الثاني: منهج وموقف الإسلام من التطرف ودوره في مكافحة ومجابهة هذه الظاهرة وأشكالها. وتطرق المبحث الثالث: سبل مواجهة ومكافحة التطرف وأشكالها والتي تضمنت عدد من السبل والإجراءات الهامة والكفيلة في مجابهة هذه الظاهرة والحد منها والحفاظ على كيان الدولة والمجتمع وأفراده.

اعتمد البحث في عرضه ومنهجيته على عدد من المصادر المتخصصة التي تناول باحثوها والمختصون بهذا الجانب هذه الظاهرة والمعلومات المتعلقة بها والتي شكّلت مادة البحث ومباحثه والتي أثرت بقيمة تلك المعلومات وأهميتها.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا وعرض الموضوع بالصورة الجلية والواضحة وبما يواكب أهميته بالوقت الحاضر وتقديمه بالمنهج العلمي والبحثي الرصين سائلين الله (عز وجل) سداد العون والتوفيق.

المبحث الأول مفاهيم التطرف، الارهاب تعريف التطرف: المعنى اللغوي للتطرف:

التطرف هو مجاوزة الغلو في الدين وهو التصلب فيه والتشدد حتى مجاوزة الحد فهو مجاوزة الاعتدال في الأمر والطرف بالتحريك: الناحية من النواحي وتطرف الشيء صار طرفاً وطرف كل شيء منتهاه وأصله في السياق كالتطرف في الوقوف والجلوس ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك. وعلى هذا فالغلو والتشدد والتطرف مجاوزة حد الاعتدال والنأي عن التوسط في الأمور والنصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة تؤكد النهي عن ذلك وتحذر من الوقوع في هاويته وإن البون شاسع والفرق واضح بين المظاهر الفكرية والسلوكية بين الشخص المتدين والمتطرف⁽¹⁾.

المعنى الاصطلاحي للتطرف:

مصطلح يستخدم للدلالة على كل ما يناقض الاعتدال زيادةً أو نقصاناً ونظراً لنسبية حد الاعتدال وتباينه من مجتمع لآخر وفقاً لقيم وثقافة وعادات كل منها، فقد تعددت مفاهيم التطرف إلى حد جعل من الصعوبة بمكان تحديد أطرها⁽²⁾.

وبوجه عام يعد التطرف الخروج عن قيم ومعايير وعادات المجتمع وبني ما هو مخالفته لها كما يمثل من جانب آخر اتخاذ الفرد أو الجماعة موقفاً متشديداً أزاء فكر أو (ايدولوجيا أو قضية) قائم أو يحاول أن يجعله مكان في بيئة هذا الفرد أو الجماعة. وقد يكون التطرف ايجابياً يتمثل بالقبول التام لهذا الفكر (الايدولوجيا، القضية) أو سلبياً يتمثل بالرفض التام له، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بين القبول والرفض⁽³⁾. وقد يتحدد مفهوم التطرف عند العديد من الباحثين والمختصين واخذ مناحي وأطر محددة ما بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي له إلا أنه في النهاية يحمل في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الاخلاقية يتجاوز مداها (أي الحركة) الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها الجميع وأنه مجموعة من المعتقدات والافكار التي تتجاوز المتفق

(1) حسن محمد النصر، "التربية الوقائية للمؤسسات التربوية في مواهة التطرف الفكري"، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، العدد الحادي والثلاثون، 2015، ص 264.

(2) المرهون، عبد الجليل زيد: التطرف الفكري: خلفياته وسبل معالجته: <http://www.alriyadh.com>؛ وينظر أيضاً: النصر، المصدر السابق، ص 264.

(3) الزيات منتصر، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، من أبحاث المؤتمر الدولي الثالث لمنندى الوسطية للفكر والثقافة، عمان-الأردن، 10-8 سبتمبر 2007.

عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً ويكون دائماً مرتبطاً بما هو فكري بالأساس⁽⁴⁾. ويعد التطرف من أكثر القضايا إثارة للجدل والاهتمام من قبل رجال الفكر والتربية والثقافة والدين ذلك ان نحو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة ربما لم تكن موجودة من قبل والذي يحتم ويدعو إلى قراءة أكثر عمقاً بعيداً عن التبسيط الذي قد يخل بالتحليل الدقيق لتلك الظاهرة بل محاولة لفهم الظاهرة بأبعادها الشاملة وتشخيص المشكلة بصورتها الحقيقية⁽⁵⁾.

ويمثل التطرف ظاهرة راهنة وإن كانت تعود إلى الماضي لكن خطورتها أصبحت شديدة في ظل العولمة ولها تجاذبات داخلية وخارجية لأن التطرف أصبح كونياً وهو موجود في مجتمعات متعددة ولا ينحصر في دين أو دولة أو أمة أو شعب أو لغة أو ثقافة أو هوية أو منطقة جغرافية أو غير ذلك وإن اختلفت الاسباب باختلاف الظروف والأوضاع لكنه لا يقبل الآخر ولا يعترف بالتنوع ويسعى إلى فرض الرأي بالقوة والعنف والتنفيذ⁽⁶⁾.

وتعرف مشكلة التطرف من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمعات في مختلف بلدان العالم سواءً كانت هذه البلدان تعتنق الديانة الإسلامية أو المسيحية أو أي ديانة أخرى وينعكس هذا على النسيج الاجتماعي للمجتمع ويؤثر بشكل قوي وسلبي على العلاقات الانسانية والاجتماعية والسلوكية بين فئات وطوائف المجتمع الواحد والمجتمعات المتعددة⁽⁷⁾.

وقد عرفت كافة المجتمعات ظاهرة التطرف ولكن بصورة مختلفة، وترجع أسباب اختلاف تعرّف المجتمعات على ظاهرة التطرف إلى وجود آليات وأساليب فعالة للتعامل مع هذه الظاهرة من عدمه، ومن ثم فالتطرف ليس كلمة لصيقة بمجتمع معين دون غيره من المجتمعات أو الشعوب⁽⁸⁾.

(4) السلطاني، نسرین حمزة، "دور التربية والتعليم في تحصين عقول الناشئة من التطرف والارهاب"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد (23)، جامعة بابل، 2015، ص 572.

(5) الجندى، أمنية، "التطرف بين الشباب: دراسة ميدانية"، مجلة المنار، العدد (51)، القاهرة، 1989.

(6) شعبان، عبد الحسين، التطرف والإرهاب- إشكاليات نظرية وتحديات عملية، الإسكندرية، 2017، ص 7.

(7) الطنطاوي، رمضان عبد المجيد محمد-كمال، محمود عبد الحميد حسين-عبد العال، السيد محمد عبد المجيد-زيدان، أسامة محمود-النجيري، معتز المرسي-الطنطاوي، محمد رمضان عبد الحميد، "أسباب ظاهرة التطرف لدى طلاب الجامعة وأساليب الحد منها من وجهة نظرهم (دراسة ميدانية)"، المجلة العلمية-جامعة دمياط، العدد (71)، 2016، ص 2.

(8) إبراهيم، حسنين توفيق، "ظاهرة العنف السياسي في مصر"، مجلة المستقبل العربي، العدد (117)، القاهرة، 1988، ص 26؛ وينظر: الطنطاوي وآخرون، المصدر السابق، ص 2.

ولم تعد ظاهرة تقتصر على جماعات محدودة بل أن تهديدها وصل إلى أساسات الدولة والهوية وخصوصاً في مجتمعاتنا التي غالباً ما تلجأ إلى العنف في حل الخلافات الأمر الذي يحتاج إلى حوار فكري وثقافي ومعرفي ليس بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب فحسب بل بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة داخل كل بلد وعلى مستوى اقليمي لتحديد ضوابط وأسس توافقية لمواجهة هذه الظاهرة التي لا يمكن القضاء عليها أو محاصرتها إلا بنقيضها ونعني بذلك أفكار المناهج واللاعنف وقيم العدل والمساواة والتأخي والتضامن بين الأمم والشعوب واحترام الهويات الفرعية وتلبية حقوقها⁽⁹⁾. والتطرف بمستوياته وأشكاله ظاهرة ليست وليدة العصر الحاضر بل لها جذور تاريخية قديمة قدم التاريخ، فعلى مر العصور ظهرت العديد من الملل والنحل والفرق التي حاول نشر أفكارها وكسب التأييد الشعبي والاطاحة ببعضها مهما كلف الأمر من تخطيط وتدبير وتدمير للنفس والاقتصاد والأرض والعرض ومن ثم ظهرت الاغتيالات السياسية والدينية والتصفيات البدنية وسبب ذلك يعود إلى ظهور اتجاهات تعصبية دينية أو حزبية أو قومية أو عرقية متطرفة فكرية أو سلوكية⁽¹⁰⁾. وقد أخذ التطرف أشكالاً ومظاهر متعددة بمختلف مستوياته وصوره ومن أبرز مظاهره:

1 - التطرف الديني:

الذي يكون الفرد من خلاله متديناً عادياً يأخذ نفسه بتعاليم الدين ومبادئه، ويدعو إلى الأخذ بذلك وهو حتى هذه اللحظة يدعو إلى شيء لا يملك المجتمع ازاءه إلا تعبيراً عن الرضا والتشجيع⁽¹¹⁾. والتطرف الديني يمثل الظلام الاسود الذي يسود العالم اليوم وخاصة الشرق الأوسط وأوروبا، والتطرف الديني موجود في كل الديانات وبالذات خاصة في الديانات السماوية وبالأخص في المسيحية والإسلام. وفي المجتمعات الغربية ظهرت أيضاً أحزاب وجماعات يمينية متطرفة اختلطت في مفاهيمها الافكار العنصرية والدينية والسياسية مستغلة تطرف بعض الاسلاميين لأعمالهم الإرهابية للترويج لأفكارها وتحقيق مكاسب سياسية⁽¹²⁾. ومن الأسباب التي تؤدي إلى التعصب أو التطرف الديني الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية، اشكالية عدم تقبل الآخر، وسواس الفرقة الناجية وإيمان المتعصبين دينياً أينما كانوا بإيمانهم قطعياً بأن فنتهم هي الفئة الناجية من دون البشر، عدم التفرقة بين النص الإلهي وأقوال العلماء⁽¹³⁾.

(9) شعبان، المصدر السابق، ص 8.

(10) صبحي، احمد محمود، "النظرية السياسية لدى الفرق الإسلامية"، مجلة عالم الفكر، المجلد (22)، العدد (2)، 1993، ص 135-134؛ وينظر: طنطاوي وآخرون، المصدر السابق، ص 2.

(11) المعاينة، حمز الزعبي، مخد، "الإرهاب والتطرف الفكري المفهوم، الدافع، سبل المواجهة"، المجلة العربية للنشر العلمي (AJSP)، العدد (23)، 2020، ص 11.

(12) الجسمي، سلطان حميد، "التطرف الديني-أسبابه وتداعياته"، مجلة البيان، 2015.

(13) الجسمي، المصدر نفسه.

2 - التطرف الفكري:

لم يرد مفهوم التطرف في الكتاب ولا في السنة بمفهوم اللفظ ولكن ورد بمعنى الغلو الذي يشكل أحد أوجه التطرف الفكري، وعليه فإن هذا التطرف لسي له أصول شرعية انما استعمل للتعبير عن مفهوم الغلو في الدين والانحياز إلى طرفي الأمر فيشتغل الغلو وهو تجاوز الاعتدال وعدم التوسط⁽¹⁴⁾. ومن أهم أسباب وعوامل التطرف الفكري: الفقر، الجهل والامية، مناهج التعليم المتشددة، وجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف⁽¹⁵⁾. وقد أخذت ظاهرة التطرف الفكري أشكالاً مختلفة على هيئات تعمل خارج الإطار القانوني للدولة مثل الانتلافات الاسلامية والمسيحية⁽¹⁶⁾. وبشكل عام تنحصر ظاهرة التطرف ووفق ما تم ذكره آنفاً إلى العوامل الآتية:

الافراط في التدين لإثبات الذات وإظهارها بأنها مميزة عن الآخرين. التفريط الذي يؤدي إلى الكفر والاحاد فلا يبقى للإنسان فضيلة في نفسه وقد يلجأ للهروب من الواقع ويتعاطى المخدرات والمسكرات كعلاج لهذا الواقع المرير. التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر مما يؤدي إلى الزام الناس بما لم يلزمهم الله تعالى به، وقد يؤدي ذلك إلى الغلظة والخشونة وايداء الآخرين⁽¹⁷⁾.

وتقف وراء التطرف وظواهره أسباب وعوامل تساهم في حدوثه وتطوره وشعبه واتخاذها أشكالاً ومظاهره متعددة ومتنوعة أجمع العديد من الباحثون المختصون على تحديدها وتفسيرها وفق منظور تأثيراتها وأبعادها ومسبباتها. إذ حدد بعض الباحثين وارجعوا ظاهرة التطرف إلى الأسباب الآتية:

1 - أسباب اجتماعية:

من أبرز مظاهرها ومسبباتها: انتشار المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثرة النزاعات والمشاكل الأسرية وازدياد حالات الطلاق بين الأزواج وبالتالي حرمان الأبناء من رعاية الأبوين أو أحدهما في سن مبكر، الانحلال الاخلاقي والتربوي وضعف الدور الأسري في الحد منها، وجود بعض الاضطرابات النفسية عن البعض، كحالات الاكتئاب والقلق والاصابة بالانفصام والهلوسة والعقد على المجتمع، انتشار المخدرات والمشروبات المسكرة المذهبة للعقل.

(14) حسن، المصدر السابق، ص 248-249.

(15) حسن، المصدر نفسه، ص 267-268.

(16) الأشقر، رباب رمضان، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في ترويج التطرف الفكري وأثارها على الأمن الاجتماعي"، المؤتمر العلمي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر-شرم الشيخ، 2019، ص 18.

(17) عبد المجيد، السيد محمد، "اتجاهات طلاب الجامعة نحو التطرف الفكري والاجتماعي"، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي، العدد (5)، 1996، ص 172؛ وينظر أيضاً:

الطنطاوي وآخرون، المصدر السابق، ص 9.

1 - أسباب اجتماعية:

من أبرز مظاهرها ومسبباتها: انتشار المنكرات والفساد والظلم في المجتمعات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثرة النزاعات والمشاكل الأسرية وازدياد حالات الطلاق بين الأزواج وبالتالي حرمان الأبناء من رعاية الأبوين أو أحدهما في سن مبكر، الانحلال الأخلاقي والتربوي وضعف الدور الأسري في الحد منها، وجود بعض الاضطرابات النفسية عن البعض، كحالات الاكتئاب والقلق والاصابة بالانفصام والهلوسة والعقد على المجتمع، انتشار المخدرات والمشروبات المسكرة المذهبة للعقل.

2 - أسباب اقتصادية:

ومن أبرز مظاهرها ومسبباتها: انتشار البطالة والفقر والجوع على حد كبير، كثرة الضرائب والالتزامات على أفراد المجتمع، قلة المشاريع التي تسهم في زيادة الانتاج ورفع المستوى الاقتصادي في الدوحة، غلاء المعيشة مع كثرة الديون والالتزامات المادية والاقتصادية التي تزهق جيب المواطن.

3 - أسباب دينية:

ومن أبرز مظاهرها ومسبباتها: قلة البضاعة في الفقه الصائب للدين وأخذ العلم على غير منهجه السليم وتلقي العلم من أهل الفتنة ودعاة السوء وأتباعهم وتصديق كل ما يقولون، عدم احترام العلماء الاجلاء اصحاب العلم المعتدلين المخلصين لعلمهم، ضعف المناهج التعليمية والخطاب الديني التي تدعوا إلى الوسطية والاعتدال ونبذ التطرف والارهاب، استفزاز المشاعر الدينية من خلال الاستهزاء بالمعتقدات والشعائر والقيم والأخلاق سواء بالقول أو الفعل دون جود موقف ورد على ذلك.

4 - أسباب سياسية:

ومن أبرز مظاهرها ومسبباتها تبرير المتطرفين ممارساتهم الارهابية إلى أسباب سياسة تتبعها دولتهم أو دول أخرى، رافضين الانظمة والقوانين والتشريعات التي تطبق كوجود غير المسلمين في بلادهم وصدور بعض الانظمة التي يزعمون انها تخالف شرع الله تعالى وانها حكم بغير ما انزل الله تعالى واشترك الدولة في بعض الانظمة الدولية والقرارات والمواقف والمنظمات والعقود والعهود المخالفة للشرع على اعتبار ان الحل الوحيد هو التطرف والغلو والقتل والاغتيال كما يدعون.

5 - الاعلام:

ومن أبرز مظاهرها ومسبباتها نشوء أفكار متطرفة وموقفه سلبي اتجاه الاحداث المتطرفة ومشاركة في نشرها وتعزيز موقفها وغياب الخطاب الاعلامي الفعلي في مواجهة التطرف وعدم وجود لها موقف ايجابي في كثير من الاحيان للمشاركة في الحد منها وخصوصاً مع سرعة انتشار الاخبار والاحداث والفيديوهات في وسائل التواصل الاجتماعي⁽¹⁸⁾.

فيما حدد باحثون آخرون أسباباً أخرى للتطرف وفق صيغ وأطر تنطلق من منظور مسبباتها الروحية والاجتماعية ومنها:

الجهل وعدم معرفة حكم الله تعالى مع الغيرة على الدين وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله تعالى. الهوى المؤدي للتعسف في تأويل النصوص ولي الحناق الآيات والأحاديث طلباً للشهرة والزعامة. أسباب تتعلق بالقيم والأخلاق.

الأوضاع الاقتصادية ومنها الحرمان والفقر والجوع والبطالة.

الفراق الروحي الذي يحيط بالشباب⁽¹⁹⁾.

فيما تناول باحثون مختصون آخرون أسباباً تندمج من الأسباب السابقة وتضيف أسباباً جديدة منها:

1 - التعليم والتنشئة الاجتماعية على ثقافة الاستعلاء ورفض الآخر والتسفيه وتراجع التفكير النقدي وانتقاء المشاركة.

2 - الخطابات الدينية المتعصبة التي تستند إلى تأويلات وتفسيرات خطأ مخالفة لصحيح الاسلام ومجافية لروح الديانات كلها والناعبة من الحفاظ على القيم الروحية البديلة التي تعتمد على المحبة والرحمة والتسامح وتنبذ التعصب والكرامية.

3 - الفقر والامية والجهل التي تدفع الشخص إلى الانسياق وراء خطاب ديني مشوه وفتاوى وتأويلات مغلوطة وآراء ضيقة الأفق ومناخ معادٍ لثقافة الاختلاف.

4 - الشعور بالقهر نتيجة المعايير المزدوجة في العلاقات الدولية تجاه قضايا العرب والمسلمين.

5 - تنامي دور قوى فاعلة سواء كانت دولاً وجماعات في اذكاء التطرف ورصد الموارد المادية والبشرية لتأجيج العنف.

6 - غياب قادة ورموز الفكر القادرين على مواصلة مسيرة سابقهم من رواد النهضة والتنوير.

(18) الغنايم، إيمان علي، "الغلو والتطرف أسباب وحلول في ضوء الاسلام"، مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، ملحق (2)، 2019، ص 208-207.

(19) الطنطاوي وآخرون، المصدر السابق، ص 9.

انتشار العديد من المنابر الاعلامية المحلية والاقليمية التي تبث رسائل تخص على التطرف والكرهية وشيء إلى وسطية الفكر الديني المعتدل.

الآثار السلبية للموروثات والعادات الاجتماعية والقيم الثقافية التي انتجت تشوهات ثقافية واجتماعية تذكي نغرات الاستعلاء ضد المختلف وتشعل نيران الطائفية العرقية والمذهبية (20).

ويرجع بعض الباحثون المختصون عوامل وأسباب التطرف إلى أمور جانبية ذات تأثير بالغ وخطير ومنها الفتاوى والارشاد والمواقع الالكترونية المرتبطة بها والتي تروج من خلالها لظاهرة التطرف، إذ تعد الفتاوى، أحد أشكال مصادر المعلومات ذات الأهمية البالغة والتي تركز على بيان مراد الله (عز وجل) من الاحكام الشرعية ويتحتم على من يتولى اصدار الفتاوى أن يكون على إحاطة كاملة بالكتاب والسنة وعلى علم تام بالحكم الشرعي المفتى به نصاً واستنباطاً لقوله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (سورة النحل، الآية 43). وتأخذ الفتاوى عدة أشكال منها المطبوعة التي تنشر بالكتب والصحف والمجلات ومنها المذاعة بالبرامج التلفزيونية والاذاعية ومنها المتاح الكترونياً عبر المواقع الالكترونية والتي أضحت محل اهتمام جمهور عريض من مستخدمي شبكة الانترنت (21).

تعريف الارهاب:

ان مفهوم الإرهاب قديم في تداوله ومرتبطة بأشكال وأنواع مختلفة من الأنشطة والجماعات التي مارست عمليات اعتبرت إرهابية مثل خطف الطائرات والرهائن والهجوم المسلح على مناطق معينة ومع ذلك ثمة اختلاف إقليمي ودولي أولاً على تعريف الإرهاب وثانياً على قوائم تصنيف الجماعات الإرهابية. وعلى الصعيد الإسلامي فقد عرف المجتمع الفقهي الإسلامي الإرهاب بأنه العدوان الذي يقوم به فرد أو جماعة أو دولة ضد الانسان (النفس/الدين/المال/العرض/العقل) ويكون ذلك بالتهويل والأذى والتعذيب والقتل بغير الحق (22). ووردت تعاريف أخرى للإرهاب من قبل بعض الباحثين المختصين وحددوا مفهومه إذ عرفوا الإرهاب بأنه استخدام القوة ضد الغير بأساليب متنوعة من الأسلوب اللفظي أو التهديد أو العنف أو الدمار أو أي ارتكاب لجريمة مخالفة للمجتمع والقانون المتفق عليه في مجتمع ما. ويعد مفهوم الإرهاب فعل ويجب أن لا يخلط بالأشكال الأخرى والإرهاب يمكن أن يكون محلياً أو دولياً أو حكومياً أو سياسياً. ومع تباين الوصفات للفعل يبقى الجوهر واحد.

(20) الزيات، المصدر السابق؛ وينظر أيضاً: حسن، المصدر السابق، ص 267-268.

(21) دنيا، هبة فتحي، "المواقع الالكترونية العربية للفتوى والارشاد: دراسة تحليلية مقارنة لمعمارياتها ومحتواها المعلوماتي"، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر-شرم الشيخ، 2019، ص 13.

(22) أبو رمان، محمد، "جهود مكافحة الإرهاب، جدلية المدخلات والمخرجات"، مؤتمر وسائل منع ومكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط وشمال افريقيا وفي الغرب، عمان، الاردن، 2016، ص 9، 11.

يرجع الإرهاب إلى التهديد باستخدام العنف أو استخدامه مع نية التخويف أو اجبار المجتمعات أو الحكومات ويمكن أن يقوم به فرد أو جماعة وغالباً ما يكون مدفوعاً بأهداف أيديولوجية أو سياسية. ويعد فعل الإرهاب فعل خاص في هذا السياق من حيث أنه يضم مستهدف محدد من الجمهور العريض بينما غالبية أفعال العنف تستهدف كياناً واحداً لإيذائه أو تدميره⁽²³⁾. ويعرف الإرهاب لغوياً من الرهبة أي الخوف أو بمعنى التخويف وإشاعة عدم الاطمئنان وبث الرعب والفرع والهدف منه خلق عدم استقرار لتحقيق غايات وأهداف معينة والإرهاب هو العنف المخيف المرعب الذي يستخدم ضد الإنسان وضد حقوقه الأساسية في الحياة⁽²⁴⁾. وبالرغم من وجود تعريفات عديدة ومتنوعة للإرهاب إلا أن ثمة توافقاً بين أغلب التعريفات القانونية والدولية والسياسية متمثلاً بالمظاهر الآتية:

- 1 - استخدام العنف أو التهديد به.
- 2 - تحقيق أهداف سياسية غير مشروعة.
- 3 - هو عملية غير قانونية.
- 4 - هناك إرهاب داخلي يخالف القانون الداخلي.
- 5 - هناك إرهاب خارجي مرتبط بعمليات ضد مصالح دول أخرى يخالف القانون الدولي.
- 6 - لا يقتصر الفعل الإرهابي على العمل المباشر مثل الخطف والقتل والتفجير بل يشمل التخطيط والتدبير والتحريض والإشاعة والترويع⁽²⁵⁾.

ويشكل الإعلام الإلكتروني أحد أهم وسائل دعم الإرهاب الإلكتروني فالإعلام الإلكتروني سلاح ذو حدين وأداة يمكن توظيفها لتكون دعم للإرهاب وتمير صوته عبر شكل جمالي موظفاً ثقافة الصورة بأدواتها ومؤشراتها البصرية عالية الجودة كي تستخدم لخداع المتلقي والبلاغة الإلكترونية تمثلها شبكة الانترنت تأتي كي تعزز براعة الصورة المرئية التقليدية التي تلف الكون من خلال تغطيته بشبكاتها المتعاطمة ومن خلال ذلك تحمل العديد من التحديات من خلال الخيارات التي تروج لها والتي تقنع بالبراءة والاعتراف وهي تخلق واقع جديد تصوغه عاصفة الصورة هذا الواقع المختلف مع إمكانيات مزجه تكنولوجياً مع الواقع الفعلي ليخلق عالماً جديداً له قوة تأثيره⁽²⁶⁾.

(23) المعاينة، الزعبي، المصدر السابق، ص 4-5.

(24) السلطاني، المصدر السابق، ص 573.

(25) أبو رمان، المصدر السابق، ص 11.

(26) الهبط، مي أسامة، "ثقافة الصورة ودعم الإرهاب الإلكتروني لدى الشباب: رؤية تحليلية لصورة الإرهاب الرقمي على الانترنت"، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر شرم الشيخ، 2019، ص 17.

الفرق بين الإرهاب والتطرف:

إن التفريق بين الإرهاب والتطرف هو مسألة جداً شائكة وذلك ليشوع التطرف والإرهاب كوجهين لعملة واحدة، ومع ذلك فالتعريف حروزي ويمكن رسم أوجه الاختلاف بينهما، إذ يرتبط التطرف بالفكر والإرهاب بالفعل.

فالتطرف يرتبط بمعتقدات وأفكار بعيدة عما هو معتاد ومتعرف عليه سياسياً واجتماعياً ودينياً دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع دون أن ترتبط تلك المعتقدات والأفكار بسلوكيات مادية عنيفة في مواجهة المجتمع أو الدولة أما إذا ارتبط التطرف بالعنف المادي أو التهديد بالعنف فإنه يتحول إلى إرهاب، فالتطرف دائماً في دائرة الفكر أما عندما يتحول الفكر المتطرف إلى أنماط عنيفة من السلوك من اعتداءات على الحريات أو الممتلكات أو الأرواح أو تشكيل التنظيمات المسلحة التي تستخدم في مواجهة المجتمع والدولة فهو عندئذ يتحول إلى إرهاب⁽²⁷⁾.

والتطرف يمكن أن يكون دينياً أو طائفياً أو قومياً أو لغوياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو سياسياً، كما يمكن أن يكون التطرف علمانياً حدثياً مثلما يكون محافظاً وسلفياً فلا فرق في ذلك سوى بالمبررات التي يتعزز عليها لإلغاء الآخر باعتباره مخالفاً للدين أو خارجاً عليه أو منحرفاً عن العقيدة السياسية أو غير ذلك. أما الإرهاب فإنه يتجاوز التطرف أي أنه ينتقل من الفكر إلى الفعل وكل إرهاب هو عنف جسدي أو نفسي مادي أو معنوي ولكن ليس كل عنف إرهاباً خصوصاً إذا ما كان دفاعاً عن النفس واضطراباً من أجل الحق ومقاومة العدوان ويعتبر البعض من الباحثين المختصين أن كل إرهاب تطرف ولا يصبح الشخص إرهابياً إلا إذا كان متطرفاً ولكن ليس كل متطرف إرهابياً كما يشيرون فعلى حد رأيهم أن الفعل تتم معالجته قانونياً وقضائياً وأمنياً لأن ثمة عمل إجرامي تعاقب عليه القوانين أما التطرف ولا سيما في الفكر فله معالجات أخرى مختلفة وهنا يتحتم كما يعتقد هؤلاء الباحثين قرع الحجة بالحجة ومعالجة الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي وإن كانت قضايا التطرف عويضة ومتشعبة وعميقة وخصوصاً في المجتمعات المختلفة، كما أن بعض التطرف الفكري قد يعود إلى العنف أو يحرض على الإرهاب بما فيه عن طريق الاعلام بمختلف أوجهه على حد رأيهم⁽²⁸⁾.

(27) السلطاني، المصدر السابق، ص 573.

(28) شعبان، المصدر السابق، ص 13-14.

المبحث الثاني منهج وموقف الإسلام من التطرف

جاء الإسلام بحفظ الضرورات الخمس التي منها (حفظ العقل)، والعقل من نعم الله تعالى التي فضل الله تعالى بها الإنسان على سائر المخلوقات يعرف به صاحبه الحسن من القبح والنافع من الضار والخير من الشر والحق من الباطل والخطأ من الصواب والشباب أسرع تأثراً من غيرهم وأكثر طواعية في الانقياد لما يبيت في عقولهم من السموم والأفكار الزائفة بشتى الوسائل المسموعة والمرئية والمقروءة مما يجعل شباب المسلمين معول هدم لقيم الإسلام وأخلاقه. وقد اتفق أكثر الفقهاء المسلمين على تحريم التطرف والغلو بجميع صورته وأنواعه وبيّنوا ذلك عبر أساليب مختلفة تارة بالنهي عن ذلك وتارة بالتحذير من مشابهة الكفار في الغلو وتارة ببيان أن الغلو سبب للهلاك قال تعالى: **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ** (سورة المائدة، الآية 77). وقال رسول الله

(صل الله عليه وسلم): (يا أيها الناس اياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم يغلو في الدين). وأنه بالالتفات إلى النصوص الشريفة التي جاءت عن النبي (صل الله عليه وسلم) خصوصاً في آخر حياته الشريفة نجد أنه كان يكثر التحذير من الفتن التي ستحدث من بعده حتى أنه كان يؤكد المكان الذي ستجري فيه فتنة معينة أو صفات الأشخاص الذين سيشعلون الفتن. وإن من تلك الفتن التي حذر منها النبي

(صل الله عليه وسلم) فتنة التطرف في الدين التي تعيش الأمة تداعياتها اليوم⁽²⁹⁾. لقد جاء الإسلام في بيئة يسودها التطرف والغلو والعصبية لينقل الحرب إلى الاعتدال والوسطية، وقد أودع الله تعالى كتابه الكريم الشفاء من كل داء والنور والضياء لكل ظلماء والمخرج من كل فتنة عمياء.

وتعتبر ظاهرة التكفير من أخطر القضايا في الوقت المعاصر وقد جاء الإسلام متشدداً وضابطاً بمنهج العدالة فتجددت مشكلة الغلو متخذة صوراً متعددة واتجاهات شتى في ظل غياب

الفهم الصحيح لمقاصد الشرع الحنيف وجهل شديد بأحكام الشريعة المطهرة مع هوى متبع وبُعد عن الأخذ بمنهج العلماء الاجلاء المعتدلين أهل التقوى والورع والرسوخ في العلم، فالغلو والتطرف مصطلحات دخيلة على الدين الإسلامي الحنيف وتعد من أهم أسباب ودوافع تشويه صورة الإسلام من الأعداء والحاquدين على الدين الاسلامي⁽³⁰⁾.

(29) حسن، المصدر السابق، ص 271-272.

(30) الغنائم، المصدر السابق، ص 210-211.

المبحث الثالث

سبل مواجهة ومكافحة التطرف وأشكاله

شكلت ظاهرة التطرف وأشكالها ظاهرة خطيرة وراثة لم يعد تأثيرها يقتصر على الأفراد والمجتمعات بل وصل إلى مناحي وأساسات الدل وأصبحت ظاهرة عالمية تركت تأثيرات ونتائج سلبية وخيمة بشقيها الفكري والميداني الذي شكّل أسباباً مباشرة ورئيسة لسقوط العديد من المجتمعات والدول وأنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية وحرقت ورسخت قيم وأفكار ومبادئ العديد من فئات المجتمع وبشكل خاص الشباب الذين يعدون الفئة الأكثر تأثراً بأفكار ومبادئ هذه الظاهرة. ونتيجة لذلك فإن على الدول والمجتمعات والأفراد كلٌّ من موقعه ودوره أن يعمل على مواجهة ومقاومة ومكافحة هذه الظاهرة والآفة الخطيرة والحد منها وتلافيها قدر الإمكان للمحافظة على كيان الدولة والمجتمع والأفراد. واتباع السبل الكفيلة لذلك والتي من شأنها تحقيق ذلك الهدف من تلك السبل والتي نحاول ذكرها وحصر الأبرز والأهم منها والأكثر تأثيراً وفعالية في مواجهة هذه الظاهرة والتي طرحها العديد من الباحثين المختصين بهذا الشأن ما يلي:

1 - إيجاد حوار فكري وثقافي ومعرفي بين أتباع الديانات والثقافات المختلفة داخل كل بلد وعلى مستوى إقليمي لتحديد ضوابط وأسس توافقية لمواجهة هذه الظاهرة التي لا يمكن القضاء عليها أو محاصرتها إلا بنقيضها وذلك من خلال بث ونشر أفكار التسامح واللاعنف وقيم العدل والمساواة والتآخي والتضامن بين الأمم والشعوب واحترام الهويات الفرعية وتلبية حقوقها(31).

2 - قيام المجتمع بأخذ دوره الفعال، إذ يعد الدور البارز للمجتمع في الحد من التطرف كبير ومهم، إذ أن المتطرف والمغالي يكون متأثراً من بيئة وعاداته وتقاليده التي عاش عليها، فإذا كانت البيئة سليمة من الأفكار المنحرفة والمشوهة ساعدت في وجود شباب واعٍ معتدل، يبدأ المجتمع من الأسرة وتماسكها وتربيتها، ثم المدرسة وتوجيه الجيل إلى الانتماء وحب الوطن والإخلاص والخوف على أمنه وسلامته(32).

3 - دور التربية والتعليم في مواجهة ومكافحة ظاهرة التطرف، إذ شكّل التعليم ساحة معركة للحركات السياسية والأيدولوجية التي تسعى إلى عرض وفرض وجهات نظرهم وقيمهم في المجتمع ودخول حركات التطرف ضمن تلك الساحات من خلال التعليم أو التلاعب والتجنيد على أساس الهويات الإنسانية الأساسية والتي من أبرزها الأصل المعرفي والدين ونشر تفسيرات مترممة للدين والثقافة التي تسهم في زيادة عدم تقبل الآخر وفي بعض الحالات العنف مما يتطلب القيام باتخاذ إجراءات فاعلة لمجابهة هذه الظاهرة ومنها مراجعة شاملة لمناهج الدولة لتمكين التغييرات في المضمون

(31) شعبان، المصدر السابق، ص 9.

(32) الغنائم، المصدر السابق، ص 209.

وأساليب التدريس لضمان أفضل انعكاس للتنوع المجتمعي والاهتمام بإدماج القيم الإيجابية والمهارات والعرفة الضرورية لضمان احترام السلام والمساواة في الحقوق والتعددية في كل مجتمع وإعطاء الأولوية للاستثمار في التعليم وضمان تحديد قيم ومعايير السلام والمساواة والحقوق والتعددية في مجال التعليم على أنها روح وغرض المنهج الشامل⁽³³⁾.

ويبدأ دور التربية والتعليم من المدارس ومناهجها التي تركز على الفكر السليم والمعتدل في شتى جوانب الحياة العملية وكذلك وجود مواد تدرس في الجامعات تركز على السلوكيات المتزنة ونبذ التشدد والعصبية وتساهم في الحد من إثارة الفتن والنعرات والعنف وكذلك مواد عملية تنمي المهارات الفكرية والعلمية والاجتماعية وغيرها مما تمنع الفراغ والسلوكيات المنحرفة لدى هذه الفئة المهمة في المجتمع⁽³⁴⁾.

كذلك مساهمة البحث العلمي في الجامعات في معالجة قضايا التطرف والإرهاب، إذ يعد النشر العلمي إنتاج باحث نظرية وتطبيقية تسعى لحل المشكلات ومعالجة القضايا المختلفة التي يعاني منها المجتمع ووسيلة لتقدم المجتمع وتحقيق مستويات عالية من التطور والرخاء⁽³⁵⁾.

4 - دور الخطاب والاعلام الديني في مواجهة ومقاومة ظاهرة التطرف، إذ يشكل الخطاب الإسلامي المعتدل أهمية كبيرة وبالغة ومؤثرة وله أثر حساس ومؤثر على بناء المجتمع من خلال البرامج الدينية على قنوات التلفاز والراديو ووسائل التواصل الاجتماعي المتعددة والذي يصدر عن أهل العلم المقربين من قلوب الناس ومؤثرين في خطاباتهم المقنعة والصادقة والمستندة إلى الأدلة والبراهين الواضحة وكذلك في خطب الجمعة التي تساهم في التأثير الإيجابي على افراد المجتمع المختلفة⁽³⁶⁾.

ويمثل الخطاب الديني وسيلة وحاجة ماسة في مواجهة ومكافحة ظاهرة التطرف نتيجة لمقتضيات العصر المتغيرة وتداعياته الناتجة من ظهور هذه الظاهرة وتأثيراتها المتعددة والبالغة ويتضمن مفهوم الخطاب لديني احياء التشريع الإسلامي والاقتداء والالتزام بمنهجه الصحيح والدعوة إلى الدين ومبادئه وقيمه الصحيحة ومراعاة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم ومستوياتهم الفكرية⁽³⁷⁾.

(33) اندرليني، سانام، التعليم والهوية ومنع التطرف، 2017.

(34) الغنايم، المصدر السابق، ص 209.

(35) البسيوني، بدوية محمد، "دور البحث العلمي بالجامعات في معالجة قضايا الإرهاب والتطرف: دراسة تحليلية لقضايا البيانات العامة"، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر- شرم الشيخ، 2019، ص 11.

(36) الغنايم، المصدر السابق، ص 209-208.

(37) الشاذلي، محمد محمود، "الخطاب الديني بين التحديات والحلول"، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر- شرم الشيخ، 2019، ص 52.

5 - دور الخطاب الإعلامي في مجابهة ظاهرة التطرف ومكافحة الإرهاب، إذ يلعب الخطاب الإعلامي دوراً كبيراً وبارزاً في تعزيز الأمن الفكري والوقاية من التطرف والإرهاب والحد من انتشارها، إذ تقع على عاتقه الدور التنويري والتوعوي من خلال تبنيه وتفعيله لخطابات تنويرية وتوعوية هادفة للتوعية المبكرة الوقائية لفئات المجتمع من الإرهاب وفكره المتطرف وكذلك كشف وفضح أساليبه الخطابية المضللة المنتهجة لاستمالة فئات المجتمع خاصة فئة الشباب لتجنيدهم داخل الجماعات والتنظيمات الإرهابية، خاصة أن تلك التنظيمات توظف خطاباً سياسياً دينياً تبريرياً يعمل على إضفاء الشرعية الإسلامية على الممارسات الإرهابية التي تنتهجها إلا أنه يقوم أساساً على الفهم المتطرف والتأويل الخاطئ والمنحرف للنصوص القرآنية والكتابات والمصادر الفقهية⁽³⁸⁾.

الخاتمة :

شكلت ظاهرة التطرف آفة وظاهرة خطيرة وبالغة على الكيانات والمجتمعات والأفراد ولها امتدادات وجذور عميقة ترسخت وانبثقت وتفرعت وتشعبت إلى الوقت الحاضر تاركةً تأثيرات عميقة وجسيمة تهدد حياة الشعوب ومجتمعاتها وترسخ بأشكالها المنبثقة منها كالإرهاب والغلو والتعصب والتشدد بكافة مظاهره الدينية والفكرية مظاهر العنف والجريمة والتدمير وغسل عقول الشباب وتحويل مسارات حياتهم وتوجهاتهم ليكونوا معول هدم وتخريب لمجتمعاتهم وسيادة قانون الغاب والمشاعبة الاجتماعية الهدامة التي تبتعد عن منهج الدين والشرعية ومبادئها التي أرستها الكتب السماوية وما جاء به الأنبياء والمسلمين ودعاة الحق والفضيلة حتمت على الجميع دون استثناء وكل حسب موقعه ودوره العمل وبذل الجهود لمكافحة ومقاومة ومجابهة هذه الظاهرة للحفاظ على كيان المجتمع وأفراده واستمرار ديمومة حياته ومستقبل أجياله وتنويره وتوضيح الحقائق للعيش بسلام وأمان وطمأنينة.

(38) الحاجة سعود، "دور الخطاب الإعلامي في تعزيز الأمن الفكري ومكافحة الإرهاب في المنطقة العربية"، المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الآداب، جامعة طنطا، مصر- شرم الشيخ، 2019، ص 24.

الإرهاب وعدم الإستقرار السياسي: دراسة حالة تنظيم داعش في العراق

م.د زهراء عباس هادي

كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

Zahraa.abbas.humlec6@uobabylon.edu.iq

(ملخص)

انتشرت ظاهرة الإرهاب على نطاق واسع في دول مختلفة من العالم والمنطقة العربية ومنها العراق وتزايدت وتيرته بعد ظهور تنظيم داعش الإرهابي في الموصل عام ٢٠١٤ ثم سرعان ما امتد نفوذه في محافظات أخرى متمثلة بالأنبار واجزاء من صلاح الدين وديالى وكركوك وهذا التنظيم يُشكل تهديداً لأمن العراق واستقراره السياسي .

(مقدمة)

الارهاب هو ظاهرة عالمية أصبحت تهدد الأمن والسلم الدوليين والإستقرار السياسي لجميع الدول والمجتمعات ، وبالرغم من قدم وجودها الا انها اصبحت اكثر خطورة في الآونة الأخيرة؛ الأمر الذي ادى الى تزايد الأهتمام بها من قبل المجتمع الدولي باتخاذ اجراءات لردع هذه الظاهرة والحد من انتشارها .

والعراق واحدة من الدول التي عانت وما زالت تعاني من الإرهاب في ظل عدم الإستقرار السياسي الذي يسهم في تنامي هذه الظاهرة وهو السبب الرئيسي وراء ظهور الإرهاب في الدولة ، ففي عام 2014 تمكنت داعش من السيطرة على معظم محافظات العراق وقامت باعمالها التخريبية والانتهاكات بحق افراد المجتمع وموارد العراق ، وبتطافر الجهود وتكاتف القوات المسلحة العراقية مع الحشد الشعبي في خوض الحرب على تنظيم داعش تمكنوا من الإنتصار عليه والحد من انتشاره في العراق .

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في طرح التساؤلات الآتية :

1. هل يؤثر عدم الاستقرار السياسي في انتشار الإرهاب ؟
2. ماهي العلاقة بين عدم الاستقرار السياسي والإرهاب ؟
3. كيف أثر عدم الاستقرار السياسي في العراق على ظهور داعش وانتشاره ؟

فرضية البحث :

تتمحور فرضية البحث فيما يأتي :

1. يمثل عدم الاستقرار السياسي السبب الرئيسي في انتشار ظاهرة الإرهاب ، لأن الدول غير المستقرة تساعد على نمو الإرهاب فيها وانتشاره بسهولة .
2. كلما كانت الدولة غير مستقرة سياسياً ، كلما ساعد ذلك في تهينة بيئة حاضنة للإرهاب .
3. أثر عدم الاستقرار السياسي في العراق على ظهور داعش وانتشاره عام 2014 في معظم محافظات العراق ، كما استثمر عدم الاستقرار الحالي في إعادة تنظيم صفوفه مرة أخرى وتمكن من تنفيذ عمليات إرهابية جديدة (2021) ، مما أدى إلى المزيد من الإرباك السياسي والأمني والاجتماعي والاقتصادي .

منهجية البحث :

يعتمد البحث على المنهج التاريخي في استعراض بعض المحاور التي تخص بداية ظهور تنظيم داعش الإرهابي في العراق والحرب عليه ، فضلاً عن منهج تحليل القوة .

هيكلية البحث :

يتناول هذا البحث أربعة محاور تتمثل بالمحور الأول : مفهوم الإرهاب والمحور الثاني : عدم الاستقرار السياسي والمحور الثالث : العلاقة بين عدم الاستقرار السياسي والإرهاب ، والمحور الرابع والأخير المتمثل بتنظيم داعش وانتشاره في العراق

أولاً : مفهوم الإرهاب

أثار مفهوم الارهاب جدل كبير في الأوساط الثقافية والأكاديمية مما أثار اهتمام المجتمع الدولي، خاصة بعد قيام الجماعات الإرهابية المسلحة الإخلال بالأمن والسلم الدولي في مناطق عديدة ، وبعد أن تم طرح مفاهيمه التوسعية الداعية الى إحتلال دولاً بكاملها من أجل إقامة دولتهم الكبرى، ولأن ظاهرة الإرهاب معقدة ومركبة تحتوي على جملة من الأسباب المتداخلة ، وجد الباحثون صعوبة في تحديد تعريف موحد وثابت يُبين الأسباب والتداعيات للإرهاب (1).

والإرهاب من الناحية اللغوية كما نجدها في اللغة العربية مأخوذة من ”الفعل الماضي رَهَبَ بالكسرة والفعل المضارع يَرَهَبُ رَهَباً أي خاف ، وَرَهَبَ الشيءَ رَهَباً وَرَهَبَةً أي خافه(2). وفي المعاجم المترجمة الى اللغتين الانجليزية والفرنسية ورد لفظ الارهاب بما يفيد انه وسيلة لنشر الذعر والتخويف باستعمال وسائل عنيفة لتحقيق اهداف سياسية ، مشيرة في ذلك الى استخدام العنف من قبل الحكومة او الأفراد ، أَرَهَبَ او رَوَّعَ او نشر الذعر والإرهاب ، يُفِيد معنى -Terroris Terrorize (er-) استعمال القوة للتهديد والإخضاع سواء ضد الشيء او الإنسان وإرهاب بمعنى الرعب والهلع ، وفي القاموس السياسي تعني ارهاب نشر الذعر والفزع لإغراض سياسية بمعنى يُخيف او يفزع او يشيع هلعاً ، واشتقت اللغة الإيطالية لفظ (Tterire) في الوقت الذي ترجمت فيه اللغة الألمانية Terror - شديداً من اللفظ اللاتيني Terrorisums ، لأنها لم تعرف لفظاً مرادفاً وفي اللغة الفرنسية يمكن اشتقاقه (3) (Terrorisme) .

وفي مصطلحات العلوم الإجتماعية عُرف بأنه بث الرعب الذي يُثير الخوف، والفعل اي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة او حزب ان يحقق اهداف عن طريق استخدام العنف ، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص سواء اكانوا افراد او ممثلين للسلطة ممن يعارضون اهداف هذه الجماعة(4).

(1) اثير ناظم الجاسور ، ”الإرهاب ومرتكزات الأمن الوطني العراقي“ ، المجلة السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، المجلد 28 ، العدد 28 - 29 ، 2015 ، ص329

(2) ابو الفضل جمال الدين ابن منظور ، لسان العرب ، طدار المعارف ، 2007 ، ص1748 .

(3) حمد جاسم محمد الخزرجي ، ”العلاقة بين الإرهاب والطائفية واثرها في التعايش السلمي في العراق بعد عام 2003“ ، مجلة رسالة الحقوق ، جامعة كربلاء ، العدد 1 ، 2016 ، ص244 .

(4) ميسون عباس حسين ، ”الارهاب : جذوره - اسبابه - اشكاله _ آليات مكافحته“ ، مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، 2020 ، ص144 .

بدأ استخدام كلمة ارهاب (Terrorism) في نهاية القرن الثامن عشر للتعبير بشكل اساسي عن اعمال العنف التي تقوم بها الحكومات لضمان خضوع الشعوب لها ثم تطور الامر واصبحت الكلمة تطلق بشكل اساسي على ارهاب التجزئة الذي يقوم به افراد وجماعات في حين هناك من يعتبر افعالا محدودة عملا ارهابيا من قبيل القاء القنابل واختطاف الطائرات والافراد واحتجازهم كرهائن الى غير ذلك من اشكال الاعتداء على الارواح والاموال والممتلكات العامة او الخاصة بالمخالفة لاحكام القانون الدولي لاسباب سياسية او بهدف الحصول على فدى⁽²⁵⁾.

لهذا هناك تعاريف مختلفة للارهاب من قبل الباحثين والمختصين بها حيث يعرف الباحث الالماني Waldman Peter الارهاب انه ضربات عنف اعدت بصورة مخططة ومفزعة موجهة خفية : من وراء الستار ضد نظام سياسي ما لتنتشر الخوف وعدم الاستقرار وكذلك لكسب التأييد والمساندة⁽³⁶⁾. وتعرفه موسوعة Encarta الألكترونية الأمريكية بأنه استعمال العنف او التهديد باستعمال العنف ، من اجل احداث جو من الذعر بين اناس معينين ، ويستهدف العنف الإرهابي مجموعات اثنية او دينية او حكومات او احزاب سياسية او شركات او مؤسسات اعلامية وتعرفه الأمم المتحدة على إنه تلك الاعمال التي تعرض للخطر ارواحاً بشرية برينة تُهدد الحريات الأساسية وتنتهك كرامة الإنسان⁽⁴⁷⁾.

أما الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب في القاهرة عام 1998 فعرفت الارهاب بـ“ كل فعل من افعال العنف والتهديد به ايا كانت بواعثه او اغراضه ويقع تنفيذاً لمشروع اجرامي فردي او جماعي ، ويهدف الى القاء الرعب بين الناس او ترويعهم بايذاءهم او تعريض حياتهم او حريتهم او أمنهم للخطر او الحاق الضرر بالبيئة او باحد المرافق او الاملاك العامة او احتلالها او الاستيلاء عليها او تعريض احد الموارد الوطنية للخطر⁽¹⁸⁾“

(25) انعام عبد الرضا سلطان ، تصعيد الارهاب في العراق وتأثيره على منطقة الشرق الأوسط ، المجلة السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ص108

(36) المصدر نفسه ، ص109 .

(47) حمد جاسم محمد الخزرجي ، ” الارهاب وتأثيره على التعايش السلمي بين المذاهب والأديان ” ، مجلة الباحث، جامعة كربلاء ، العدد30 ، 2019 ، ص95 .

(18) الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، القاهرة ، 1998 ، ص2 .

ومن الناحية القانونية فقد ظهرت الكثير من المحاولات لتعريف هذا المفهوم إذ عرفه (اليكس شميد) بأنه، "أسلوب من أساليب الصراع يقصد من ورائه استخدام صورة من صور القتال غير المباشر بهدف شل حركة وإرباك وإذعان الحكومة لمطالب فئة أو جهة معينة، ولفت انتباه وسائل لحشد الرأي العام حول قضايا تلك الفئة في سبيل تحقيق مطالبهم"⁽²⁹⁾.

وقانون مكافحة الإرهاب في العراق رقم 13 لسنة 2005 في المادة الأولى يُعرف الإرهاب على أنه كل فعل إجرامي يقوم به فرد أو جماعة منظمة استهدف فرداً أو مجموعة أفراد أو جماعات أو مؤسسات رسمية أو غير رسمية أوقع الإضرار بالمتلكات العامة أو الخاصة بغية الإخلال بالوضع الأمني أو الاستقرار والوحدة الوطنية أو إدخال الرعب أو الخوف والفرع بين الناس أو إثارة الفوضى تحقيقاً لغايات إرهابية⁽³⁰⁾. وتعد الأفعال الآتية من الأفعال الإرهابية⁽⁴¹⁾:

1. العنف أو التهديد الذي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو تعرض حياتهم وحياتهم وأمنهم للخطر وتعريض أموالهم وممتلكاتهم للتلف أياً كانت بواعثه وأغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إرهابي منظم فردي أو جماعي .
2. العلم بالعنف والتهديد على تخريب أو هدم أو إتلاف أو اضرار عن عمد مباني أو أملاك عامة أو مصالح حكومية أو مؤسسات أو هيئات حكومية أو دوائر الدولة والقطاع الخاص أو المرافق العامة والأماكن العامة المعدة للاستخدام العام أو الاجتماعات العامة لارتياح الجمهور أو مال عام ومحاولة احتلال أو الاستيلاء عليه أو تعريضه للخطر أو الحيلولة دون استعماله للغرض المعد له بباعث زعزعة الأمن والاستقرار .
3. من نظم أو ترأس أو تولّى قيادة عصابة مسلحة إرهابية تمارس وتخطط له وكذلك الإسهام والاشتراك في هذا العمل .
4. العمل بالعنف والتهديد على إثارة فتنة طائفية أو حرب أهلية أو اقتتال طائفي وذلك بتسليح المواطنين أو حملهم على تسليح بعضهم بعضاً وبالتحريض أو التمويل .
5. الاعتداء بالأسلحة النارية على دوائر الجيش أو الشرطة أو مراكز التطوع أو الدوائر الأمنية أو الاعتداء على القطاعات العسكرية الوطنية أو إمداداتها أو خطوط اتصالاتها أو معسكراتها أو قواعدها بدافع إرهابي .

⁽²⁹⁾ رنا مولود سبع ، " ماهية الإرهاب وتأثيره على واقع حقوق الإنسان : فرنسا وبريطانيا إنموذجاً " ، دراسات دولية ، مركز الدراسات الدولية – جامعة بغداد ، العدد 9 ، 2011 ، ص160

⁽³⁰⁾ قانون مكافحة الإرهاب رقم 13 لسنة 2005 ، المادة الأولى .

⁽⁴¹⁾ المصدر نفسه ، المادة الثانية .

7 . استخدام بدوافع إرهابية أجهزة متفجرة أو حارقة مصممة لإزهاق الأرواح وتمتلك القدرة على ذلك أو بث الرعب بين الناس أو عن طريق التفجير أو إطلاقه أو نشر أو زرع أو تفخيخ آليات أو أجسام أياً كان شكلها أو بتأثير المواد الكيماوية السامة أو العوامل البايولوجية أو المواد المماثلة أو المواد المشعة أو التوكسنات .

8 . خطف أو تقييد حريات الأفراد أو احتجازهم أو للابتزاز المالي لأغراض ذات طابع سياسي أو طائفي أو قومي أو ديني أو عنصر نفعي من شأنه تهديد الأمن والوحدة الوطنية والتشجيع على الإرهاب .

والإرهاب : هو الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد به بواسطة فرد أو مجموعة أو دولة ضد فرد أو جماعة أو دولة ينتج عنه رعبا يعرض للخطر أرواحا بشرية أو يهدد حريات أساسية ويكون الغرض منه الضغط على الجماعة أو الدولة لكي تغير سلوكها تجاه موضوع ما⁽¹⁾¹².

مما تقدم يتضح إنه إختلفت الإراء في إيجاد تعريف محدد للإرهاب ولم يتم التوصل الى ذلك ، لكن مهما كان هذا الاختلاف فإن كل التعاريف تتفق على فكرة واحدة وهي إن الإرهاب يتمثل بكونه حالة من الخوف او الرعب يبثها فاعلها لفرض سيطرته على جهة معينة لتحقيق هدف ما سواء أكان هذا الهدف سياسي ، اقتصادي او اجتماعي .

ثانياً: عدم الاستقرار السياسي

تعد ظاهرة عدم الاستقرار السياسي من الظواهر الحديثة في دراسة العلوم السياسية على اعتبارها لم تأخذ حيزها من الاهتمام بشكل أكاديمي إلا بعد النصف الثاني من القرن العشرين حيث ظهرت الدول الحديثة الاستقلال في العالم النامي وظهرت معها في الوقت ذاته إشكالات وأزمات عدم الاستقرار السياسي بسبب جملة من العوامل التي ترد إلى طبيعة التكوين الثقافي والاجتماعي لهذه الدول، أضف إلى ذلك أن بعض الدول التي تتميز بدرجة أقل من التنوع (السوسيو - ثقافي) أخذت تعاني أيضا من مظاهر عدم الاستقرار السياسي وهي في طور الانتقال من المجتمع التقديدي الى المجتمع الحديث⁽¹⁾¹³ ، وإن عدم الاستقرار السياسي يعبر عن عن التبدل المستمر أو غياب الثبات في الإطار المؤسسي للدولة أو النظام السياسي أو غياب الثبات في منظومة السلم الاجتماعي⁽²⁾¹⁴ .

⁽¹⁾¹² محمد عبد المحسن سعدون ، مفهوم الإرهاب وتجريمه في التشريعات الجنائية الوطنية والدولية ” ، مركز دراسات الكوفة ، مج5 ، العدد 7 ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مركز دراسات الكوفة ، النجف ، 2008 ، ص136 .

⁽¹⁾¹³ حسين احمد دخيل السرحان ، “ اثر عدم الاستقرار السياسي على مؤشرات التنمية البشرية في العراق بعد عام 2003 ” ، مجلة اهل البيت ، كربلاء ، العدد 8 ، 2015 ، ص18 .

⁽²⁾¹⁴ المصدر نفسه ، ص19

العالم السياسي الأمريكي (لوسيان باي- Lucian W. pye) يرى أن عدم الاستقرار السياسي “يرتبط بالتغيير أو عدم التغيير الذي يفشل في إرضاء أو إشباع المطالب الاجتماعية للأفراد و يترك عدداً كبيراً من أفراد الشعب يشعرون بالإحباط” ، أي ان عدم الاستقرار السياسي يأتي نتيجة ارتفاع سقف التوقعات الاجتماعية والطموحات عبر فترة من الزمن من دون أن يتحقق منها ما يكفي لإرضاء هذه الشرائح بالدرجة المرضية من الإشباع في ضوء التغيير أو عدم التغيير السياسي الحاصل⁽¹⁾¹⁵.

يعرف (جونسون ويستيفنسون) حالة عدم الاستقرار السياسي بأنها (حالة تصيب النظام بانهيار الإطار المؤسسي وحلول العنف مكان الخضوع للسلطة بهدف تغيير أشخاص أو سياسيات أو الوصول إلى السلطة من خلال أعمال تتخطى الطرق الشرعية للتغيير السياسي)⁽²⁾¹⁶.

ويعرف بأنه استخدام العنف لأغراض سياسية ولجوء القوى والجماعات السياسية إلى أساليب غير دستورية في حل الصراعات، وعدم قدرة المؤسسات في النظام السياسي الاستجابة للمطالب المقدمة إليه والنابعة من البيئة السياسية الداخلية والخارجية⁽³⁾¹⁷.

ويعرفه صموئيل هنتنغتون بدلالة المعادلة مفادها عدم الاستقرار يساوي المطالب السياسية مقسومة على المؤسسات السياسية ، إي ببساطة إن عدم الاستقرار السياسي يزداد بزيادة المطالب السياسية وعدم قدرة المؤسسات السياسية عن الاستجابة⁽⁴⁾¹⁸.

يعرف (كير - Curr) عدم الاستقرار السياسي هو ” وضع مرادف للعنف السياسي، والنظام السياسي غير المستقر هو ذلك النظام الذي يفقد السلم وطاعة القانون والذي تحدث فيه التغييرات السياسية والاجتماعية وتتم عملية اتخاذ القرارات ليس وفقاً لأجراءات مؤسسية دستورية بل لإعمال العنف الجماعي“ ويصف Curr عدم الاستقرار السياسي بأنه عنف موجه من قبل الأفراد باتجاه النظام السياسي⁽⁵⁾¹⁹.

⁽¹⁾¹⁵ جونا صبحي جميل ، ” في مفهوم عدم الاستقرار السياسي ” ، الحوار المتمدن-العدد: 6249 ، 3/6 / 2019 مقال على الموقع : <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=639251>

⁽²⁾¹⁶ ناصر صالح ، ” عدم الاستقرار السياسي: المفهوم والمؤشرات“ ، دراسات سياسية ، المعهد المصري للدراسات ، 2019 ، ص16

⁽³⁾¹⁷ المصدر نفسه ، ص 17 .

⁽⁴⁾¹⁸ أحمد فاضل جاسم داود ، ((عدم الاستقرار المجتمعي في العراق ما بعد ٢٠٠٣ دراسة تحليلية في التحديات المجتمعية ... والأفاق المستقبلية)) ، مجلة السياسة والدولية ،

الجامعة المستنصرية ، العدد 25 ، 2014 ، ص184 .

ثالثاً : العلاقة بين عدم الإستقرار السياسي والإرهاب

إن عدم الإستقرار السياسي يعد سبب كبير في الإرهاب لمختلف الدول وعلى مر الزمان ، أي إن عدم الإستقرار السياسي الداخلي له اثر من الدرجة الأولى في تكوين الهجمات الإرهابية ، وبدرجة اقل المستوى المتدني من التطور السياسي والإقتصادي ، وبشكل ادق تتضح العلاقة بينهما بما يأتي⁽¹²⁰⁾ :

إن عدم الإستقرار السياسي هو السبب الرئيس في الإرهاب ، فالإرهاب يتطلب مهارات عسكرية وتنظيمية في الغالب يمكن أن تتوفر في الدول غير المستقرة سياسياً او التي شهدت عدم الإستقرار السياسي .

يتم اكتساب مهارات الإرهاب بسهولة في ظل عدم الإستقرار السياسي مثل (حرب العصابات ، الحرب الأهلية ، وظروف الثورات المسلحة) ويصعب ذلك في اشكال اخرى من عدم الإستقرار السياسي الداخلي مثل اعمال الشغب والمظاهرات المناهضة للحكومة والاضرابات العامة .

ان اكتساب مثل هذه المهارات في مختلف الدول ، قد تؤدي الى تزايد الهجمات الارهابية بمرور الوقت والتي ينتج عنها العديد من الضحايا.

ويشكل الإرهاب واحد من أهم مظاهر عدم الإستقرار السياسي في العراق ، فمنذ الإحتلال الأمريكي للعراق ، بات الإرهاب سمة ملازمة للتطور السياسي ، حيث أصبح العراق ملاذاً لبعض التنظيمات التي تحركها أيديولوجيات دينية وبالأخص (تنظيم القاعدة) التي وسعت من نطاق عملها الميداني تحت غايات محاربة الإحتلال الأمريكي وإقامة نظام إسلامي في العراق وفق فقه الخلافة الراشدة،

لكن عمليات هذه التنظيمات بلغت حد إستهداف المجتمع بأعنف الطرق والأساليب وهو ما أكد فعلاً إن هذه الجماعات تسعى الى تحقيق غايتها عن طريق إثارة الرعب والرغبة في نفوس الجميع⁽²¹⁾.

Nauro F. Campos , Martin Gassebner , International Terrorism, Political Instability and the Escalation Effect , IZA – Institute of⁽¹²⁰⁾ Labor Economics , Germany , 2009 , p.10

⁽²¹⁾ حسين احمد دخيل السرحان ، مصدر سابق ، ص 23 .

كما جاء تنظيم الدولة الإسلامية وهو عبارة عن جماعة إرهابية متمردة هجينة ، إنها قوة متمردة واسعة النطاق وشبه تقليدية ، استولت على مساحة كبيرة من العراق وسوريا ، إضافة لكونها منظمة إرهابية دولية تشجع على القيام بهجمات وعمليات سرية في جميع أنحاء العالم أو تشنها بذاتها ومنذ منتصف عام 2016 يتولى قيادة الجماعة أبو بكر البغدادي بقصد بناء الخلافة الإسلامية التي تمتد على جزء كبير من الشرق الأوسط وتوسيع رقعتها ، وظهر هذا التنظيم من التكرارات السابقة لما يسمى القاعدة في العراق ويتنافس مع القاعدة للهيمنة على مختلف الشبكات السلفية الجهادية المتطرفة إقليمياً وعالمياً ، وهو منظم بشكل هرمي في العراق وسوريا ولكن مع شبكات خالية إرهابية محلية ودولية متداخلة. وينقسم ما يسمى بالخلافة إلى إمارات، أو ولايات، سواء داخل العراق أو سوريا أو في مواقع تابعة لها في نيجيريا وليبيا وأفغانستان وأماكن أخرى⁽¹⁾22.

رابعاً : تنظيم داعش وانتشاره في العراق

داعش تنظيم مسلح يتبنى الفكر " السلفي الجهادي " تعود جذوره الى جماعة التوحيد والجهاد التي أسسها الأردني أبو مصعب الزرقاوي بالعراق عام 2004 عقب الاحتلال الأمريكي عام 2003م، وفي عام 2006 أعلن الزرقاوي مبايعته لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن وأصبح اسمها " تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين " وبعد مقتله في منتصف 2006 أعلن التنظيم عن قيام الدولة الإسلامية في العراق التي أصبحت تسمى بـ " الدولة الإسلامية في العراق والشام " في عام 2012م بعد إنضمام جبهة النصرة في سوريا اليه⁽²⁾23،

وفي يوم 29 حزيران 2014 أعلن أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي باسم داعش عن إعلان الخلافة الإسلامية وتنصيب أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين وإلغاء مسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام ليصبح " الدولة الإسلامية " وسيطر التنظيم على مساحة جغرافية واسعة من سوريا والعراق ، واستولى على مخازن أسلحة يمتلكها الجيشان السوري والعراقي ، يبلغ عدد مقاتليه بين

10 آلاف و 35

⁽¹⁾22 بن كوناوبل ، ناتاشا لاندن ، وكيمبرلي جاكسون ، التغلب على تنظيم الدولة الإسلامية : اختيار استراتيجية جديدة للعراق وسوريا ، مؤسسة رند ، كاليفورنيا ، 2017 ، ص 7 .
⁽²⁾23 سامان عبد الله عزيز ، ريبوار جبار شيخه ، " التكيف القانوني لجرم داعش ضد الكورد الأيزيديين " ، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، مج 10 ، العدد 38 ، 2021 ، ص 251 .

ألف مقاتل ينتمون الى جنسيات مختلفة عربية واجنبية⁽¹⁾²⁴.

ومن ابرز خطوات التنظيم في النشأة والإنتشار ، إنه يستغل وجود الإضطرابات والخلافات وبؤر التوتر الحاصلة بين الحكومات وشعوبها ، وقد تحقق ذلك في العراق بسبب الفجوة الأمنية التي حدثت بعد الإحتلال الامريكي للعراق عام 2003 والظروف التي توافرت للتنظيم نهاية عام 2013 جراء الحراك السياسي والشعبي وساحات الإعتصام ضد الحكومة في بغداد ، مما ادى الى إنهيار المدن العراقية وتوغل عناصر العنف المتطرف ، حيث سقطت مدينة الفلوجة في 28 كانون الأول 2013 ومن ثم الموصل في 10 حزيران 2014 وبعدها اعلن ابو بكر البغدادي عن خلافته للدولة الإسلامية في العراق والشام⁽²⁾²⁵ .

عقب استيلاء داعش على مدينة الموصل ومقتل أكثر من 1500 جندي من قوات الأمن العراقية في مجزرة سبايكر ، أصبح هذا النوع من العنف المتطرف السمة المميزة لعمليات تنظيم الدولة الإسلامية ، وسرعان ما سيطر تنظيم الدولة الإسلامية على مناطق اخرى في العراق ، واستولى على حقول النفط، والقواعد العسكرية، ومراكز الشرطة، ومصفاة بيجي الحيوية. كما سيطر على المعابر الحدودية السورية العراقية.

وبحلول منتصف عام 2014، تمكن تنظيم الدولة الإسلامية في تجميع المئات وربما الآلاف من الأعضاء السابقين في جماعات التمرد القومية في صفوفه؛ وعكس هذا النهج تكتيكات تنظيم القاعدة في العراق خلال العقد السابق. وأفادت تقارير أن تلك الجماعة كانت قادرة على جمع مئات الملايين من الدولارات نقدا في تلك اللحظة التي استغلت فيها تجارة النفط في السوق السوداء وقامت بزيادتها، الأمر الذي أدى إلى زيادة قدرتها على التمويل الذاتي بدرجة كبيرة ، وفي 2015 سيطر التنظيم على محافظة الانبار واجزاء كبيرة من العراق⁽³⁾²⁶ .

وبدءا من منتصف عام 2016، أثبتت قوات الأمن العراقية أنها أكثر فعالية خاصة بعد الضربات الجوية الأمريكية الموجهة لداعش ، والإفراط في استخدام القوات الخاصة لجهاز مكافحة الإرهاب، وقد فقد تنظيم الدولة الإسلامية مناطق كبيرة، بما في ذلك مدن الرمادي

(1)24 سامان عبد الله عزيز ، ربيعار جبار شنيخه ، مصدر سابق ، ص 252 .

(2)25 فاضل محمد البدراني ، ” أساليب تنظيم داعش في الحرب النفسية ضد المجتمع العراقي ” ، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، جامعة الأنبار ، العدد 1 ، 2019 ،

ص 244 .

(3)26 بن كونيال ، مصدر سابق ، ص 13 .

وبدءاً من منتصف عام 2016، أثبتت قوات الأمن العراقية أنها أكثر فعالية خاصة بعد الضربات الجوية الأمريكية الموجهة لداعش، والإفراط في استخدام القوات الخاصة لجهاز مكافحة الإرهاب، وقد فقد تنظيم الدولة الإسلامية مناطق كبيرة، بما في ذلك مدن الرمادي والفلوجة، ذكرت وزارة الدفاع أنه بدءاً من منتصف عام 2016، فقد تنظيم الدولة الإسلامية 47% من المناطق التي كان يسيطر عليها في العراق⁽¹⁾²⁷.

كما تصدت المرجعية الدينية العليا بالعراق فوراً لظاهرة هجوم داعش حينما أعلن المرجع السيد السيستاني فتوى تشكيل قوات الحشد الشعبي للتصدي لتقدم داعش، وبعد ذلك شنت القوات العراقية والحشد الشعبي العديد من العمليات العسكرية ضد داعش لتحرير المدن العراقية التي كان يسيطر عليها، منها عمليات لبيك يا رسول الله وعمليات لبيك يا حسين، وخاضت معارك عنيفة مع التنظيم، وفي 31 مارس 2015 سيطرت على مدينة تكريت بالكامل بعد معارك عنيفة مع مسلحي داعش. وتم رفع العلم العراقي فوق مبنى المحافظة وسط المدينة وأعلن رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي تحرير مدينة تكريت بالكامل⁽²⁾²⁸.

وفي 18 نوفمبر 2017 أعلن الجيش العراقي عن سقوط ما يسمى بخلافة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، بعد استعادته لبلدة راوة الحدودية آخر بلدة تحت سيطرة التنظيم داخل العراق. وفي يوم السبت المصادف 9 ديسمبر 2017 أعلن رئيس الوزراء العراقي، انتهاء تطهير كامل جزيرة نينوى والانباء من بقايا عناصر تنظيم داعش الإرهابي والسيطرة بالكامل على طول الحدود العراقية السورية، وأعلنت القوات المسلحة العراقية تمكّنها من تطهير 10 قرى على طول الشريط الحدودي بين العراق وسوريا، وهي (ام العظام - الكويته - الصخيرات - بير المراسنة - وادي الطويل - الخرار - ابو حايظ - الكعيدين - سريب - البصالة)، كما تمكنت من تطهير مساحة أكثر من 7 آلاف كيلومتر مربع، ضمن عمليات المرحلة الثانية من عمليات تطهير الجزيرة وأعلى الفرات، مؤكداً استمرار القوات العراقية بعمليات التطهير وملاحقة فلول داعش الإرهابية⁽¹⁾²⁹. يُنظر (شكل 1)

(1)27 بن كونيال، ناتاشا لاندز، كيمبرلي جاكسون، مصدر سابق، ص 14.

(1)28 الوفاق أونلاين، "داعش في العراق: من الإنتشار الى التفتت والزوال"، 30 حزيران 2017 على الموقع: <https://al-vefagh.ir/News/196777.html>

(1)29 موسوعة هذا اليوم للاخبار، "العراق يعلن السيطرة على الشريط الحدودي السوري من قبضة داعش"، 9 / 12 / 2017 على الموقع: <https://hathalyoum.net/articles/1428343-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B7%D8%B1%D8%A9%D8%B9%D9%84%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D9%82%D8%A8%D8%B6%D8%A9->

اماكن سيطرة التنظيم على المدن العراقية منذ 2014 - 2017



المصدر : قيادة العمليات المشتركة ، خلية الاعلام الحربي ، نوفمبر 2017 ، نقلاً عن موقع مباشر ، “ الجيش العراقي : انتهت داعش إلى الأبد وبدأ عهد العراق ” ، 18 نوفمبر 2017 على الموقع :

<https://www.mubasher.info/news/3189875/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%87%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%D8%A5%D9%84%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%AF-%D9%88%D8%A8%D8%AF%D8%A3-%D8%B9%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82>

يتضح من خلال ما تقدم إن حالة عدم الاستقرار السياسي في الدولة التي خلفها الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003م ، جعلت من العراق بؤرة لنمو وظهور التنظيمات الإرهابية ومنها تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) حيث تمكن هذا التنظيم من السيطرة على ثلثي مساحة العراق وبتظافر جهود ابناءه والقوات الأمنية بمختلف فصائلها تمكن العراق من دحر هذا التنظيم واسترجاع اراضيهِ وتحريرها من سيطرته.

الخاتمة :

يعد الارهاب ظاهرة خطيرة تهدد العالم عامة والعراق خاصة بسبب عدم الاستقرار السياسي فيه ، خاصة بعد احتلال تنظيم داعش لمدينة الموصل عام 2014 ومدن اخرى من العراق ، حيث بلغت المساحة التي خضعت لسيطرة التنظيم ثلثي مساحة العراق ، مارس فيها ابشع انواع العنف حتى

ارتبط كل فعل عنيف بتسمية داعش .
تمكنت القوة العراقية بتكاتف كل تشكيلاتها العسكرية والشعبية والعشائرية من التخلص من سيطرة
هذا التنظيم وتحرير ارض العراق بالكامل .

المصادر

أولاً : المصادر باللغة العربية

1. الوثائق :

1. الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب ، القاهرة ، 1998\
2. قانون مكافحة الإرهاب رقم 13 لسنة 2005 ، المادة الأولى والثانية

2. الكتب :

3. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ط دار المعارف ، 2007 .
4. كونوبال ، بن ، ناتاشا لاندر ، كيمبرلي جاكسون ، التغلب على تنظيم الدولة الاسلامية : اختيار
استراتيجية العراق وسوريا ، مؤسسة رند ، سانتا مونيكا ، كاليفورنيا ، 2017.

3. المجالات والبحوث :

5. البدراني ، فاضل محمد ، ” أساليب تنظيم داعش في الحرب النفسية ضد المجتمع العراقي ” ،
مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية ، جامعة الأنبار ، العدد 1 ، 2019.
6. الجاسور ، اثير ناظم ، ”الإرهاب ومرتكزات الأمن الوطني العراقي“ ، المجلة السياسية والدولية
، الجامعة المستنصرية ، المجلد 28 ، العدد 28 - 29 ، 2015 .
7. حسين ، ميسون عباس ، ”الإرهاب : جذوره - اسبابه - اشكاله _ آليات مكافحته ” ، مجلة كلية
التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، 2020 .
8. الخزرجي ، حمد جاسم محمد ، ”العلاقة بين الإرهاب والطائفية واثرها في التعايش السلمي في
العراق بعد عام 2003 ” ، مجلة رسالة الحقوق ، جامعة كربلاء ، العدد 1 ، 2016 ، ص 244 .
9. داود ، أحمد فاضل جاسم داود ، ”عدم الاستقرار المجتمعي في العراق ما بعد ٢٠٠٣ دراسة
تحليلية في التحديات المجتمعية ... والآفاق المستقبلية ” ، مجلة السياسة والدولية ، الجامعة
المستنصرية ، العدد 25 ، 2014.

10. سبع ، رنا مولود ، ” ماهية الإرهاب وتأثيره على واقع حقوق الإنسان : فرنسا وبريطانيا إنموذجاً ” ، دراسات دولية ، مركز الدراسات الدولية – جامعة بغداد ، العدد 9 ، 2011
11. السرحان ، حسين احمد دخیل ، “ اثر عدم الاستقرار السياسي على مؤشرات التنمية البشرية في العراق بعد عام 2003 ” ، مجلة اهل البيت ، كربلاء ، العدد 8 ، 2015.
12. سعدون ، محمد عبد المحسن ، مفهوم الإرهاب وتجريمه في التشريعات الجنائية الوطنية والدولية ” ، مركز دراسات الكوفة ، مج5 ، العدد 7 ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، مركز دراسات الكوفة ، النجف ، 2008.
13. صالح ، ناصر ، ” عدم الاستقرار السياسي: المفهوم والمؤشرات “ ، دراسات سياسية ، المعهد المصري للدراسات ، 2019 .
14. عزيز ، سامان عبد الله ، ربيوار جبار شيخه ، ” التكيف القانوني لجرائم داعش ضد الكورد الأيزيديين ” ، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية ، مج 10 ، العدد 38 ، 2021 .

ثانياً : المصادر الأجنبية :

15. Nauro F. Campos , Martin Gassebner , International Terrorism, Political Instability and the Escalation Effect , IZA – Institute of Labor Economics , Germany , 2009 , p.10

ثالثاً : شبكة الانترنت والمعلومات الدولية :

16. الوفاق اونلاين ، ” داعش في العراق : من الإنتشار الى التقهقر والزوال ، 30 حزيران 2017 على الموقع : <https://al-vefagh.ir/News/196777.html>
17. قيادة العمليات المشتركة ، خلية الاعلام الحربي ، نوفمبر 2017 ، نقلاً عن موقع مباشر ، “ الجيش العراقي: انتهت داعش إلى الأبد وبدأ عهد العراق ” ، 18 نوفمبر 2017 على الموقع :

<https://www.mubasher.info/news/3189875/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%87%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%D8%A5%D9%84%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%AF%D9%88%D8%A8%D8%AF%D8%A3-%D8%B9%D9%87%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82>

18. موسوعة هذا اليوم للاخبار ، ” العراق يعلن السيطرة على الشريط الحدودي السوري من قبضة داعش ” ، 9 / 12 / 2017 على الموقع :

<https://hathalyoum.net/articles/1428343%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%B7%D8%B1%D8%A9%D8%B9%D9%84%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%85%D9%86-%D9%82%D8%A8%D8%B6%D8%A9>

19. جميل ، جونا صبحي ، ” في مفهوم عدم الاستقرار السياسي ” ، الحوار المتمدن-العدد: 6249 ، 3/6 / 2019 مقال على الموقع : <https://www.ahewar.org/debat/show.art.as-p?aid=639251>

القوة الناعمة الاداة الانسب للمقاومة

الناعمة ضد التطرف

أ.م.د. علي جاسم محمد التميمي
كلية العلوم السياسية / المستنصرية

(المقدمة)

لا يعد مصطلح المقاومة بالجديد او الحديث على المسرح السياسي او الاجتماعي ، إذ ان مفهوم المقاومة وجد مع وجود الاعتداء ومع وجود المخاطر التي تهدد الانسان منذ وجوده. لكن ما نريد توضحه في هذا البحث عن الفرع الجديد او المفهوم المستحدث للمقاومة وهو (المقاومة الناعمة) والذي جاء لمواجهة الحرب الناعمة وادواتها (القوة الناعمة) التي تمثل اخر مرحلة من تطور مفهوم القوة في الفكر السياسي والتي صاغها العالم الامريكي واستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد (جوزيف. س ناي) الذي قسم القوة الى قوة ناعمة واخرى صلبة، ويقصد بالأولى (القوة الناعمة) قدرة الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدل عن الارغام او دفع الاموال، وبأدوات القوة الاعلامية والمعلوماتية والثقافية والتكنولوجية وغيرها، اي قوة الجذب وتغيير السلوك لدى الطرف الاخر، اما (القوة الصلبة) التي يقصد بها القوة العسكرية والاقتصادية المتمثلة بالعقوبات التي تفرض على الدول والتنظيمات الأخرى.

وتعد المقاومة الناعمة واشكالها وادواتها التي تتناسب مع مقتضيات التطور العلمي والتكنولوجي هي الاسلوب الانجح لمواجهة الاعتداء الخارجي وخاصة الحروب الناعمة والانحرافات في سلوكيات السلطة والمجتمع، ولها مصاديق كثيرة عبر التاريخ وهذا ما وجدناه في سيرة اهل البيت عليهم السلام وكيفية مواجهتهم للنظام السياسي الاموي والعباسي وكذلك التجارب المعاصرة وخاصة تجربة الحشد الشعبي ودور المرجعيات الدينية الفاعل في المحافظة على تلك التجربة، لذلك ان مواجهة القوة الصلبة أي العسكرية لا تكون الا بالمقاومة العسكرية المسلحة التي اثبتت التجارب نجاحها في كثير من المواطن. وبعد ما وصل اليه العالم من تطور تكنولوجي والثورة المعلوماتية أصبح هناك توجه دولي للابتعاد عن الحروب العسكرية المكلفة بالأرواح والاموال وتوجه نحو التأثير في المقابل وجذبه دون خوض الحروب الخشنة، وخاصة إذا كان الدولة المؤثرة والفاعلة تمتلك ادوات التأثير والجذب وهذا ما أدى الى تسميتها بـ «القوة الناعمة» الموجهة ضد الشعوب والدول لتحقيق ما لم تحققه الحروب العسكرية لكن الهدف يبقى واحداً في جميع الاحوال.

ان حداثة طرح موضوع المقاومة الناعمة على المستوى الاكاديمي وحتى اصبحت تبحث في المؤسسات التعليمية ومراكز الابحاث وتقدم دراسة موضوع المقاومة الناعمة بروية تحليلية مقارنة لأثر القوة الناعمة في طبيعة التفاعلات الدولية والاسلوب الذي يجب ان لا يخرج عن هذه المعادلة للحفاظ على التوازنات الدولية والتصدي لتلك الحروب الناعمة التي سوف نعد الى تبين مفهوم الحرب الناعمة بشكل واضح في متن الدراسة وجذور ذلك المفهوم بأسلوب مفصل، كما ان نجاح القوة الناعمة والمقاومة الناعمة وخاصة تجربة الحشد الشعبي المنبثقة من البناء الناعم لائمة اهل البيت عليهم السلام وعلمانا الاعلام لابد ان تبرز في الاعلام وتبحث في الدراسات لتعميم التجربة على الحالة الاسلامية.

المقاومة الناعمة/ سياق مفاهيمي:

ان مفهوم المقاومة الناعمة قد يكون اول مرة يطرح في الحقل الأكاديمي (كدراسة)، لذا سعيانا ان يكون هذا المفهوم دقيق ومتكامل من حيث توضيح المقصد من المقاومة الناعمة بشكل دقيق وتبيان ادواتها بشكل واضح وتميزها عن غيرها من المفاهيم المقاربة لها ليكون بداية انطلاقه وقابل للتوسع فيه لكتابات أخرى مستقبلية، لذلك يتوجب علينا ان نرجع قليلاً الى مفهوم المقاومة بشكل عام وخاصة بعدما شهد العالم من التطور الهائل في مفهوم القوة وادواتها وصورها توجب علينا تطوير دفاعتنا وأدوات مقاومتنا لتكون بمستوى التحدي.

مفهوم المقاومة:

ان تعريف المقاومة ما زال محل خلاف اصطلاحي فقهي لذا لا يوجد اتفاق واضح إزاء تعريف المقاومة فيطلق عليه البعض (guerilla) والبعض الآخر (Resistance movement) فالمصطلح الأول يطلق على جماعات المقاومة السرية التي يقودها المدنيون المقاومون للاحتلال او للدلالة على طوائف المقاتلين من الثوار، واما ما يتعلق بالوصف الثاني انه استخدم من قبل العديد من الفقهاء بمعنى المقاومة التي تقوم بها قوات تابعة او ملحقة بالقوات النظامية في حروب التحرير⁽¹⁾.

(1) د. علي جاسم محمد التميمي، المقاومة والإرهاب في القانون الدولي - دراسة مقارنة بحث منشور في مجلة كلية الرافدين الجامعة العدد (28) لسنة 2011.

لقد وضحت تجارب الأمم والشعوب في مقاومة الاحتلال بتعدد صورها من حالة المقاومة السلبية للاحتلال التي تبناها الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) في مقاومة الاحتلال البريطاني في لبلاده، الى حالة المقاومة المسلحة التي تستخدم القتال والعنف في مواجهة المحتل كما في ثورة العشرين العراقية ضد المحتل البريطاني في 1920، ومقاومة الاحتلال الأمريكي من قبل المقاومة الإسلامية العراقية بعد عام 2003، ومقاومة حزب الله في لبنان، وحركة حماس في فلسطين وغيرها⁽²⁾.

عرّفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر (C.L.C.R) المقاومة المسلحة تحت وصف (Guerilla) بانها وسيلة خاصة من وسائل شن الحرب وليس طائفة من طوائف النزاع المسلح). وعرفها كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة (الأسبق) بأنها (حروب تحرير او صراعات وطنية ايدولوجية مناهضة للاستعمار)⁽³⁾.

ويعرفها سماحة السيد علي خامنئي رعاه الله في أحد خطبه، اذ يقول المقاومة بمعنى ان يختار الانسان طريقا يعده الطريق الحق والطريق الصحيح ويسير فيه ولا تستطيع الموانع والعقبات صده عن السير في هذا الدرب وايقاف مسيرته، وقد يكون التعريف الاكثر وضوحا للمقاومة دون غموض او لبس في المعاني.

وقد عرفها عدد من الباحثين بانها (قيام شخص بمفرده او بالاشتراك مع جماعة عن طوعية وبوازع الدفاع عن النفس والوطن في عمليات الاشتباك المسلح العدائية ضد قوات الاحتلال). وهي عمليات القتال التي تقوم بها عناصر وطنية من غير افراد القوات المسلحة النظامية دفاعاً عن تلك المصالح الوطنية او القومية ضد قوى اجنبية سواء كانت تلك العناصر تعمل في إطار تنظيم يخضع لأشراف وتوجيه سلطة قانونية او واقعية ام كانت بناء على مبادراتها الخاصة⁽⁴⁾.

ومن خلال مفهوم المقاومة العام أعلاه يتبين لنا ان المفهوم كان يركز على الجانب العسكري واستخدام القوة في مواجهة الاعتداء على النفس او الوطن او الدين وغير ذلك كون ان الحرب او الاعتداء كان يختصر على القوة العسكرية واستخدام السلاح فكما كان مفهوم القوة عام ولم يعرف من قبل مصطلح القوة الناعمة كذلك المقاومة في مفهومها العام (عسكرية) لا يعرف مفهوم المقاومة الناعمة.

(2) د.علي جاسم محمد التميمي، المقاومة والإرهاب في القانون الدولي، دراسة مقارنة، مصدر سبق ذكره، ص152.

(3) د.باسم كريم الجنابي: مجلس الامن والحرب على العراق 2003 دراسة في وقائع النزاع ومدى مشروعية الحرب، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2006، ص200.

(4) د.خليل إسماعيل الحديثي، تنازع مشرعيه بين الاحتلال والمقاومة في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، 2005، ص61.

لذلك علينا تطوير مفهوم المقاومة كما هي التطورات التي حصلت على مفهوم القوة والحرب لكي نستطيع ان نواجه الحرب اذا ما حصلت كما ذكر السيد حسن نصر الله مراراً بقوله (ان ما نحتاجه اليوم في لبنان وفلسطين والعراق والامة عموماً هو مواجهة الحرب النفسية التي يشنها العدو بأدوات ووسائل وأساليب مشابهة لما نحارب به، ومبتكرة أحياناً ومنسجمة مع قيمنا وثقافتنا وأخلاقنا)⁽⁵⁾.

وهذا يدعم ما نؤكد عليه في بحثنا هذا من ان الأدوات لابد ان تكون مشابهة لأدوات وأساليب الهجوم حتى نستطيع تحقيق الهدف. وكذلك تأكيداً ودعملاً لرأينا ما قاله الامام الخميني (قدس) (كما أوضحت مراراً ان أخطر أنواع تبعية الشعوب المستضعفة للقوة العظمى والمتكبرين هي التبعية الفكرية والداخلية لان بقية التبعيات تنبع منها وما لم يتحقق الاستقلال الفكري لشعب ما لن يتحقق الاستقلال السياسي والخروج من سجن التبعية للأخر يجب ان نستيقظ من الغفلة التي فرضت على العلماء والمفكرين والمثقفين (وان نعي هويتنا ومأثرنا الوطنية والقومية والثقافية)⁽⁶⁾.

مفهوم المقاومة الناعمة:

كما نتمكن من التأصيل والتأسيس لمفهوم المقاومة الناعمة، فإننا بحاجة ملحة لبيان مختصر وسريع للحرب الناعمة، إذ ان الاخيرة تعبر عن (الفعل) الذي لا يمكن فهم ردة الفعل تجاهه دون بيانه، ويعود الفضل في نحت مصطلح الحرب الناعمة الى سماحة السيد علي الخامنئي الذي طرحه في سياق الاشارة الى اسلوب مواجهة جديد بعد تبين مخاطر تلك الحروب التي تختبئ تحت مفاهيم براقة كحقوق الانسان والديمقراطية والحرية وغيرها وبأدوات مؤثرة وجميلة كالسوشيال ميديا والتكنو معلوماتية والهواتف الذكية وغيرها، وإنَّ الوسائط والأدوات المستخدمة فيها وصلت للجميع بعد أن تخطت حدود الدول، وأسوار البيوت، وتحدثت الأطر التربوية والأخلاقية.

ان الحرب الناعمة حالة تخريبية تعرض قيم الشعوب والمجتمعات للخطر، وتركّز بأساليبها على الاستمالة والإغواء والجذب، لتخلط الحق بالباطل، وترجح الطالح على الصالح، من دون أن تظهر للعيان، لذا لابد من مقاومتها ومواجهتها بما يتناسب مع أدواتها ووسائلها، وكما ان أساليب الحرب الناعمة كثيرة ومتعددة لذلك أساليب المواجهة كثيرة ومتعددة ايضاً ويمكن الحديث عن أساليب المواجهة في نوعين

(5) نقلاً عن محمد حمدان، الحرب الناعمة، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 2010، ص 61.

(6) نعيم قاسم، كيف نواجه الحرب الناعمة، مصدر سبق ذكره، ص 24.

الأول: تأسيسي يهدف الى توعية الأفراد والمجتمعات، وتحصينهم، وحماية قيمهم الأصيلة وترسيخها، وكل مجموعة ذات أفكار وعقائد وقيم خاصة تعمل وبشكل أساس على تربية اتباعها على تلك الأمور ليصبحوا حقيقة من المنتمين الى تلك المجموعة والمدافعين عن أصالتها.

الثاني: - هو الذي يراد منه الحيلولة دون تأثير الأساليب التي يستعملها العدو ويتطلب الامر في هذا النوع تتبع مخططات العدو والكشف عنها ومن ثم الرد عليها⁽⁷⁾.

من هنا يمكن القول ان (المقاومة الناعمة) تعني استخدام جميع الوسائل المتاحة لمواجهة الحرب الناعمة بدون القوة العسكرية، والخطوة الأولى تكون بإشاعة الوعي لتبيان الحق، وتمييز العدو وفضح خططه والوسائل التي يستخدمها في حربه الناعمة، يقول سماحة السيد الخامنئي (رعاه الله): "الحرب الناعمة ترفع شعارات ودعايات محقة بالظاهر ولكنها باطلة في الباطن وتخلط الحق بالباطل، وللأسف فإن البعض يكرر دعايات وشائعات العدو عن قصد أو عن جهل"، وبعد التوعية وتبيين الحق تبدأ عملية التحصين، وتبيين وسائل العدو وفضحها، ومنع وصولها للأفراد قدر المستطاع، والإسراع في معالجة آثارها وتبعاتها.

المفاهيم المقاربة للمقاومة الناعمة:

1 - القوة الناعمة:

يعد مصطلح القوة الناعمة مصطلحاً معاصراً قام بنحته الأمريكي جوزيف ناي الذي عرفه بقدرة الحصول على ما تريد عن طريق الجاذبية بدلاً من الإغرام أو دفع الأموال.

وتنشأ من جاذبية ثقافة بلد ما، ومثله السياسية، وسياساته، فعندما تبدو سياستنا مشروعة في عيون الآخرين، تتسع قوتنا الناعمة. وترتكز هذه القوة على قدرة جذب الآخرين والتحكم بتفصيلاتهم.

يقول ناي هناك طرق عديدة للتأثير في سلوك الآخرين، فمن لم تستطع ارغامهم بالتهديدات تستطيع اغرائهم بدفع الأموال، او ان تجذبهم وتقنعهم بان يريدوا ما تريد.

اننا نستطيع أحيانا الحصول على النتائج التي نبتغيها بالتأثير على السلوك دون اصدار الأوامر، فإذا كنت تعتقد بان اهدافي مشروعة فاني سأتمكن من اقناعك بأن تفعل من أجلي شيئاً دون ان استخدم التهديدات او الاغراءات، ومن الممكن الحصول على الكثير من النتائج المرغوبة دون ان تكون للمرء قوة ملموسة او كبيرة وواضحة على الآخرين.

(7) مركز الحرب الناعمة للدراسات، مدخل الى الحرب الناعمة، الطبعة الأولى، بيروت 2014، ص 43.

أما التعريف الذي يتبناه مركز تاج الحضارة الثقافي للقوة الناعمة⁽⁸⁾ فيشير الى انها القدرة على جذب المستهدفين، أو تغيير مساراتهم، بغية التحكم بالسلوك، والتأثير في القيم، إقناعاً أو إيهاماً، ولا تتضمن العنف، والإرغام.

وقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية لامتلاك اعلى قدر من القوة لتحقيق حلمها في التفرد والهيمنة بالقرار الدولي والنظام الاقتصادي العالمي عبر منظمات أممية تم تأسيسها لهذا الغرض، وجمعت لأجل ذلك حلفاء ومناصرين لمواجهة الخصوم والمناوئين، والأعداء. وكانت القوة العسكرية وإلى زمن قريب خياراً متقدماً في أولوياتها؛ لتحقيق أهداف سياستها الخارجية، إلا أن متغيرات حصلت في العالم أدت إلى تقدم خيار القوة الناعمة على بقية الخيارات عند صانع القرار الأمريكي ضمن استراتيجية العولمة التي تتطلب نشر القيم الأمريكية والسيطرة على المواقع الأولى في العالم باختيار الوسائل والأدوات التي تحقق قدراً عالياً من الجاذبية والقبول لدى الفئات المستهدفة بكلفة مالية منخفضة بما يخفف من أعباء الميزانية المالية المخصصة للسياسة الخارجية مع سعة الأهداف المتحققة، مما دفع لتصاعد الاهتمام بالقوة الناعمة عند رسم الخطط الاستراتيجية كما جاء بتقرير مجلس الاستخبارات الوطني الصادر عام 2012 عند تحديد الأولويات الاستراتيجية للولايات المتحدة لعام 2030.

2 - المقاومة الثقافية:

تمثل الثقافة تعبيراً عن السمات والأفكار والعقائد التي تميز بين الشعوب والحضارات وهي مركب متجانس من الذكريات والتطورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل امة او في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تصرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والعطاء⁽⁹⁾.

أما المقاومة الثقافية فهي ردة الفعل التي مارسها الانسان او يمارسها عند تعامله مع المستجدات التي تطرأ على البيئة الاجتماعية بما يضمن الاستمرارية والتواصل الحضاري للهوية الاصلية. تختلف المقاومة الناعمة عن الثقافية، كونها تواجه المشاريع ذات الأبعاد الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ولم تقتصر على البعد الثقافي، وتشكل حاجز ضد تبدل الهوية الثقافية والنموذج السياسي الموجود وأسباب مشروعية النظام فهي أوسع من المقاومة الثقافية وأشمل، وتعد المقاومة الثقافية واحدة من أدوات المقاومة الناعمة وجزء منها⁽¹⁰⁾.

(8) يُنظر الدراسة الصادرة عن مركز تاج الحضارة الثقافي بعنوان: (خلاصتك في القوة الناعمة) ضمن سلسلة (كُن واعياً) تأليف: حسن طعمة الربيعي، ط1 2021، بغداد.

(9) فارس شكرى حميد، المقاومة الثقافية في البيئة الحضرية، دراسة تحليلية، دار البيروتي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، ص10.

(10) المصدر نفسه، ص13.

كان التهديد الثقافي لأي بلد من اعقد وأصعب اشكال التهديد التي تطال الامن القومي للبلاد والامن الثقافي وهو من أكثر الابعاد غير الملموسة للأمن ومن الصعوبة بمكان مساءلة القادة بسبب اقوالهم وشعاراتهم اذ يمكن اعتبار الامن الثقافي على انه بيئة تستطيع من خلالها امة ما ان تجتاز مسيرتها التكاملية بالتزامن مع حفظ هويتها الثقافية وبدون التصادم مع الموانع البشرية.

وهو بذلك يختلف عن الامن السياسي الذي يعرف بأنه (هو ظروف تكون فيها الامة قادرة من خلالها على توزيع ثرواتها وقيمها بشكل مثل وعلى تحديد السياسات التي تحتاجها واتخاذ القرارات اللازمة بهدف الحصول على الفضيلة والكمال ومنع التحولات التي تغير من هويتها).

3 - المقاومة الذكية:

المقاومة الذكية هي المقاومة التي تجمع بين الاسلوب الناعم للمقاومة والاسلوب الخشن/الصلب للمقاومة، وربما من الاهمية بمكان الاشارة الى ان دلالة الذكاء في هذا النوع من المقاومة لا يرتبط بالجمع وحده، وإنما في انتهاز الاساليب الذكية في تحديد الاولويات ومنهجية اعتماد الاسلوبين الناعم والخشن للوصول الى الاهداف المرجوة، وقد يتم الارتكان الى اعتماد الناعم اكثر من الخشن في عملية الجمع هذه، وربما العكس ايضاً، غاية ما في الامر ان معيارية الذكاء المندرجة في هذه المقاومة تبقى الفاعلة والاساسية للوصول الى الغايات المرجوة.

المقارنة بين المقاومة الناعمة والمقاومة الصلبة:

تعد المقاومة الصلبة من المفاهيم المقاربة/المتقابلة مع مفهوم المقاومة الناعمة، وحتى تتبين أبعادها الدلالية قمنا بعمل مقارنة منهجية بين هذين النوعين من المقاومة وفقاً للجدول أدناه:

المقاومة الناعمة	المقاومة الصلبة
1 لا يعلن عنها رسمياً ويمكن التنصل منها.	يعلن عنها رسمياً ولا يمكن انكارها.
2 لا تحتاج الى ذرائع معقدة لتسويقها شعبياً.	لها إجراءات معقدة لتسويقها داخلياً وخارجياً وإقناع المجتمع بها.
3 ميزانية المقاومة الناعمة غير ضخمة.	ميزانية المقاومة العسكرية ضخمة جداً ومكلفة مادياً.

(8) يُنظر الدراسة الصادرة عن مركز تاج الحضارة الثقافي بعنوان: (خلاصتك في القوة الناعمة) ضمن سلسلة (كُن واعياً) تأليف: حسن طعمة الربيعي، ط1 2021، بغداد.

المقاومة الناعمة	المقاومة الصلبة
1	لا يعلن عنها رسمياً ويمكن التنصل منها. يعلن عنها رسمياً ولا يمكن انكارها.
2	لا تحتاج الى ذرائع معقدة لتسويقها شعبياً. لها إجراءات معقدة لتسويقها داخلياً وخارجياً وإقناع المجتمع بها.
3	ميزانية المقاومة الناعمة غير ضخمة. ميزانية المقاومة العسكرية ضخمة جداً ومكلفة مادياً.
4	لا تقع خسائر بشرية على الأغلب. لكنها تكلف الكثير من الخسائر البشرية، والدماء قد يكون الالف القتلى والجرحى والمعوقين والارامل والايتام وغير ذلك.
5	تستخدم الأدوات المدنية والعلمية: التكنولوجيا، الهواتف الذكية، الانترنت، الجامعات، المطاعم، الأسواق، مراكز الأبحاث، الصحف، المكتبات، المنظمات غير الحكومية، الناشطين والاعلام وغيرها.
6	أهدافها تحرير الانسان وزيادة الوعي ، وتبيين الحق، ورصف الصفوف والتغلب على الازمات الداخلية وحل الصراعات بالطرق السلمية وغيرها.
7	بعد المقاومة الناعمة لا يوجد إعادة اعمار ولا تدمير للبنى التحتية. اما يتم إعادة بناء وتوجيه الانسان.
8	بعد المقاومة الصلبة يجب لابد ان تبذل جهود لإعادة الاعمار، وتأهيل البنى التحتية والفوقية التي دمرت من جراء العمليات العسكرية وحل الازمات الاقتصادية.
9	قد تشن المقاومة الناعمة على عدة جبهات في وقت واحد وعلى كل الاعتداءات الموجهة من الخارج.
9	لا تتصف بالعنف ولا تستفز الاخر ولا تؤثر على أصحاب الرأي المخالف لها في الداخل.
	تتصف بالعنف وقد تستفز البعض، وغالبا تكون لها تأثيرات مادية ومعنوية، وربما ينتمز منها من لم يشارك فيها.

	قيامها او اندلاعها.	
11	استعداداتها تكون متدرجة وصامتة وسرية. يصعب إخفاء الاستعدادات العسكرية ويكون العدو على علم بموعد اندلاعها.	
12	لا تسجل وقائعها في الذاكرة التاريخية لأجل السرية التي تكتشف أحداثها. تبقى أحداثها وصورتها ماثلة بطرق مختلفة لان استمرارها وخسائرها مادية حسية ونحن نعيشها اليوم حيث صور الشهداء تملأ الطرقات وإيتام المقاومة العسكرية في التقاطعات.	
13	خسائر المقاومة الناعمة لا تؤدي الى تبعات سياسية تؤثر في نظام الحكم او الإدارة القائمة. المقاومة الصلبة العسكرية تؤدي الى تبعات سياسية ضخمة خاصة اذ كانت من دون موافقة السلطة القائمة لذلك سوف تجابه وتحارب من قبل الحكومات المحلية كذلك لان كلفتها باهظة نفسها.	

الجدول من عمل الباحث مع الاستفادة من المصدر:

((مركز الحرب الناعمة للدراسات (الحرب الناعمة الاسس والنظرية والتطبيق) الطبعة الاولى، بيروت، 2014، ص78))

مجالات وأدوات المقاومة الناعمة:

سيتم في قادم الصفحات بيان اهم المجالات والادوات التي يتم العمل وفقها في المقاومة الناعمة، والتي تعتمد على المجموعات الفاعلة والواعية، وبعد ذلك نوجز اهم علامات المفاضلة بين المقاومة الصلبة والمقاومة الناعمة ليكون للقارئ والمتابع المفهوم واضحاً لا يشوبه غموض.
مجالات المقاومة الناعمة:

عندما نطالع المجالات الثلاث الرئيسية التي يضعها جوزيف ناي للقوة الناعمة الامريكية وهي

- 1 - تعزيز القيم والمؤسسات الامريكية وازعاف موارد منافسيها واعداء امريكا.
- 2 - توسيع مساحة وجاذبية الرموز الثقافية والتجارية والاعلامية والعلمية الامريكية وتقليص نفوذ منافسيها واعدائها.
- 3 - بسط وتحسين وتلميع جاذبية امريكا وصورتها وتثبيت شرعية سياستها الخارجية وصدقية تعاملاتها وسلوكياتها الدولية وضرب سياسات اعدائها.

يتبين بعد الاطلاع على المجالات اعلاه ان هناك تسويق غير عادل للرموز والمؤسسات والقيم والثقافة الامريكية الى مجتمعاتنا وبأسلوب ناعم جذاب مؤثر على حساب مبادئنا وقيمنا ورموزنا التي نعتز بها ويشهد لها العدو قبل الصديق في تفانيهم للدفاع عن حقوق الانسان واحترام الاخر والايثار والتواضع والتضحية بالنفس كالشهيد الحاج قاسم سليمان والشهيد ابو مهدي المهندس رحمهم الله، الذين لا منافس لهم في تلك الصفات لكن كان عملهم لله والدين لا من اجل التسويق وتسقيط الاخرين او التأثير عليهم، وهذا ما يميزنا عن اعدائنا اذ انهم يملكون الادوات التسويقية المبنية على الكذب والخداع للسيطرة والهيمنة الفكرية والسياسية، لذا نحتاج الى ادوات لمواجهة الحرب الناعمة، وبفس الاسلوب نحتاج لتسويق مؤسساتنا وقيمنا وعاداتنا ورموزنا بالصدق والواقعية دون تجني او كذب وابرار مواطن الجذب لدينا لندافع عن مجتمعاتنا اولا ونشر ثقافتنا وقيمنا وتعريف المجتمعات بتضحيات رموزنا .

أدوات المقاومة الناعمة:

ان المقاومة الناعمة تتطلب من العاملين بها صفات معينة لا يمكن القيام بها غير من يمتلكها، والتي ذكرت أعلاه والا كانت العملية عكسية قد تؤدي الى تحقيق نتائج الحرب الناعمة. فقد تكون واحدة من صور المقاومة الناعمة الرد على الشبهات التي تطرح من قبل العدو من خلال مراكز الأبحاث او تأليف الكتب والبحوث وكتابة المقالات والاعلام الصادق الواعي للهجمة وقد تكون صورها الرد الالكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي (فيس بوك، يوتيوب، تويتر) لذا يتطلب من المقاوم الوعي والخبرة الالكترونية وكيفية الرد من خلالها على الهجمات الموجهة.

ويمكن القول ان من اهم أدوات المقاومة الناعمة في الوقت الحاضر هي الدبلوماسية الرقمية الدبلوماسية الالكترونية، التي نظر لها أعضاء في لجنة تخطيط السياسات في الخارجية الامريكية أمثال أليك روس مستشار الابتكار والمعلومات وجارد كوهين المدير السابق لقسم غوغل للأفكار ومدير ملف المنظمات الشبابية واريك شيدت المدير التنفيذي لشركة غوغل ومستشار أوباما (الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الامريكية) للشؤون التقنية. وتقوم استراتيجية الدبلوماسية الرقمية على بناء علاقات واتصالات مباشرة مع قطاع الشباب والناشطين وكافة فئات وشعوب العالم خاصة في الشرق الأوسط بعيدا عن الدبلوماسية التقليدية الرسمية التي تمارسها السفارات والقنصليات التي يمكن ان تسميها بالدبلوماسية الجغرافية المكانية. فالعالم الافتراضي لشبكات الانترنت والتكنولوجيات الجديدة يعتبر امتداداً فعالاً للواقع السياسي وفق ما بين (غارد كوهين) حيث ان 60%

من أبناء الشرق الأوسط هم من فئة الشباب لذلك ينبغي الاتصال بالقوة السياسية الناشئة والجديدة من الناشطين والمدونين والصحفيين والشباب واجتذاب ملايين المشتركين على شبكات الانترنت من سائر الدول العربية والإسلامية نحو المشروعات والأهداف والسياسات الأمريكية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والتعرف على نخبة الناشطين وإشراكهم في برامج تدريبية مقدمة لتوظيف هذه الطاقات لاحقاً عبر عملية تضخيم سياسي للأصوات المطالبة بالحرية والديمقراطية والتغيير السياسي بعد توضيفها نحو تحقيق الأهداف والسياسات الأمريكية⁽¹¹⁾.

المقاومة الناعمة في ضوء مدرسة اهل البيت (عليهم السلام):

إن الاقرار بان مصطلحات ومفاهيم من قبيل القوة الناعمة والحرب الناعمة والمقاومة الناعمة مصطلحات ومفاهيم معاصرة لم تكن مبتكرة أو مستخدمة في القرون السابقة، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أن بعض مضامينها وتجلياتها لم تكن موجودة كجذور منهجية ولو بشكلها الجنيني البسيط، إذ ان الاسلوب (الناعم) من الآخرين وجد منذ القدم، ويؤيد كلامنا كتاب الله الذي يبين لنا القوة الناعمة منذ بدء الخليقة وكيف كان ابليس يستخدم هذا المفهوم كثيرا يذكر في الحوار الذي جرى بين الله جل وعلا، وبين ابليس الذي رفض السجود لادم عليه السلام فطرد من الجنة عندما طلب ابليس طلبا واحده من الله قال(”ربي فأظنني الى يوم يبعثون“)⁽¹²⁾ استجابة الله تعالى له يبقى حيا الى نهاية الحياه الدنيا إذ (قال فانك من المنظرين (37) الى يوم الوقت المعلوم)⁽¹³⁾.

ثم أعلن ابليس عن الاسلوب الناعم للوسوسة والفساد والاغواء قال (ربي بما اغويتني لا زين لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين (39) الا عبادك منهم المخلصين)⁽¹⁴⁾ اذ يعمل ابليس على الاغواء والتزيين والتدليس والوسوسة فلا يقوم بعمل مادي مباشر (عسكري واقتصادي) فكل اعماله تدور حول التدليس والتزيين الاسلوب الغير مادي في اغواء الناس لاتباع خطواته وتوسيع النفوذة والسيطرة على سلوكيات الافراد التي تؤدي الى النتيجة التي يريدها ويتحمل الناس مسؤولية الاختيار في اعمالهم اذ يكون تأثيره على الذين يستجيبون له انما المؤمنون المخلصين فلن يستجيبوا له لتمسكهم بطريق الله دون الشيطان⁽¹⁵⁾.

(11) مركز الحرب الناعمة للدراسات، الحرب الناعمة (الأسس، النظرية، والتطبيقية)، بيروت، 2014، ص 100.

(12) سورة الحجر، الآية (26)

(13) سورة الحجر، الآيتان (37، 38)

(14) سورة الحجر الأيتان (39, 40)

(15) نعيم قاسم، كيف نواجه الحرب الناعمة، مركز قيم للدراسات، سلسلة الندوات الفكرية، لبنان بيروت، 2012 ص 11

توظيف مفهوم القوة الناعمة كان فاعل في سلوكيات الانبياء والمرسلين والائمة الاطهار عليهم السلام وذلك لأنه الأسلوب الانجح لل جذب والتأثير دون اسلوب الجبر والتهديد ولا نريد ان نطيل في هذا الموضوع فالقران الكريم ينقل هنا صورته عن ذلك و آيات كثيرة تؤكد على اتباع الأسلوب الناعم كما في قوله تعالى (وجادلهم بالتتي هي احسن) وكذلك (اذهبوا الى فرعون فقولا له قولا لينا) وكذلك (لا اكراه في الدين) وغيرها الكثير مما يشير الى ذلك وانه اسلوب الهي للتعامل وهذا ما سنبينه من الأسلوب الناعم لدى الرسول الاكرم (ص) وائمة اهل البيت (ع).

كما تنقل لنا الأحاديث النبوية صوراً كثيرة تدل على الأسلوب الناعم المتبع من الرسول الاكرم (ص) وصور تعاملاته مع المجتمع رغم خوضه الكثير من الحروب لكن كانت الحروب الخيار الاخر. وقد كانت تمثل سلوكاً ناعماً لل جذب، كذلك عند محاربته قطاع الطرق والمنافقين. وفي حديث المباهلة كانت فيها رسالة للمجتمع سوّقها رسول الإنسانية (ص) يعبر عنها ان بيت النبوة هم (علي وفاطمة والحسن والحسين) واجب الطاعة لهم، وهم من سيحمل الرسالة من بعده وهم الوجه الحقيقي للإسلام اذ لما نزلت الآية الكريمة (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتلهم فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ⁽¹⁶⁾ دعى رسول الله (ص) علياً وفاطمة والحسن والحسين وقال امام جمع من الناس (اللهم هؤلاء اهلي) فاراد بذلك ان يعلم الامة ان بيت الزهراء (ع) هو بيت النبوة وان هذا البيت لا يجوز دخوله دون استئذان حتى الانبياء فضلاً عن غيرهم حتى رسول الله كان يستأذن من فاطمة الزهراء (ع) في حالة الدخول الى بيتها وكان امام الصحابة وجمع غفير من الامة ليكونوا شاهدين على ذلك. ⁽¹⁷⁾

مقاومة انحراف الحكومات:

بعد مرحلة التثقيف والعمل بالأسلوب الناعم لتغيير المجتمع الاسلامي والنهوض به لتصحيح المسار وانعاش المنهج الرسالي الأصيل وبما ان المجتمع لم يستجيب لنداء الاصلاح الذي رفعه اهل البيت عليهم السلام بعد الرسول الاكرم (ص) بما يساعدهم على ارجاع العالم الى ما كان عليه لذا جاءت مرحلة جديده اتخذها اهل البيت كمنهج عمل وهو مقاومة انحراف الحكومات وبث علوم اهل البيت و حمايتها من التزوير والتحريف والحفاظ على المنهج الصحيح والتراث الاسلامي المحمدي بأدوات عدة واساليب كثيرة كما يذكرها الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) تعدد ادوار ووحدة هدف.

(16) سورة ال عمران اية (61)

(17) محمد رضا التمناني، فاطمة والخلافة، مكتبة الامام الصادق (ع)، الطبعة الاولى، ايران، قم، دت، ص 61

لذلك نرى عمل ائمة اهل البيت بالمقاومة الثقافية والمقاومة الناعمة لتلك الانحرافات الصادرة عن السلطات مرة في العمل على مقاطعة تلك الحكومات المنحرفة وعدم اعانتها على الظلم والباطل باي شكل من الاشكال وهذا ما رواه الكشي في كتاب الرجال عن صفوان بن مهران الجمال قال:- (دخلت على ابي الحسن الاول (ع) فقال لي يا صفوان كل شيء فيك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا: قلت: جعلت فداك اي شيء هو؟

قال: اكراؤك جمالك من هذا الرجل يقصد (هارون الرشيد) قال صفوان أكريته لطريق مكة ولا اتولاه بنفسي ولكن ابعت معه غلماني فقال لي: - يا صفوان أيقع كراؤك عليهم: قلت: نعم فقال: - تحب بقائهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: - نعم. قال (ع) من أحب بقائهم فهو منهم ومن كان منهم كان ورد النار) قال صفوان فذهبت وبعث الجمالي عن اخرها فبلغ ذلك الى هارون فدعاني وقال لي اني لا اعلم من اشار عليك لبيع جمالك اشار عليك موسى بن جعفر فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك)) (18) وغيرها من الحوادث التي تروى عنه عليهم السلام لمنع اي دعم او مساعدة للسلطة المنحرفة.

اما الموقف الثاني الذي كان يتخذه الائمة عليهم السلام هو العمل على اسقاط تلك الحكومات المنحرفة ولكن بأسلوب غير مباشر تبعد الانظار عنهم من خلال دعمهم ومساندتهم للحركات الجهادية التي تخرج ولو بقوة السلاح ضد تلك الحكومات، والحفاظ على هذه القوة العسكرية للمساندة عند الضرورة.

والشواهد على ذلك كثيرة نختصر منها دعم ومساندة الامام الصادق عليه السلام لثورة زيد الشهيد من خلال رواية عيص بن القاسم عن الامام الصادق (ع) اذ يقول (ع) ((ان زيدا كان عالما وكان صدوقا ولم يدعوكم الى نفسه وانما دعاكم الى الرضا من ال محمد (ص) ولو ظهر لوفي بما دعاكم وانما اخرج الى سلطان مجتمع لينقضه....)) وكذلك واقعة الحسين بن علي صاحب الفخ الذي خرج على حكومة بني العباس آنذاك واستشهد واصحابه فيها وكان كذلك بتأييد واسناد الائمة الذين عاصروا عليهم السلام ذلك كان موقف الائمة مساند طوال الوقت لجميع الحركات المناهضة لتلك الحكومات وداعمة للأعمال الجهادية التي يقوم بها المسلمون (19) وكذلك ما رواه الكليني في الكافي عن ابي بصير قال سألت ابا جعفر الصادق عليه السلام

(18) فؤاد كاظم المقدادي، الاسلام بين الاصلالة و التغريب، كتاب التفتلين (10)، سلسلة كتب صادرة عن مجتمع التفتلين العلمي، الطبعة الثانية، العراق - بغداد، 2007 ص227

(19) فؤاد كاظم المقدادي ، المصدر سبق ذكره ، ص 230

عن اعمال الحكومات الأموية والعباسية المنحرفة فقال لي:- (يا ابا محمد لا ولا مدة قلم ان أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئا حتى يصيبوا من دينه مثله)⁽²⁰⁾.

لذلك عندما اراد بنو العباس ان يوقعوا الخلاف بين الامام الصادق وعمه زيد الشهيد لكي يجردوا ثورته من المشروعية وكثرت الاقاويل حتى بين اطراف من الشيعة ان الامام الصادق (ع) لم يرضى بفعل عمه زيد والا لماذا لم يخرج معه لكن رد على ذلك الامام الصادق (ع) و الشهيد زيد بن علي عليه السلام حين قال الامام الصادق (رحم الله عمي زيدا لو ظفر لوفى انما دعا الى الرضا منها ال محمد وانا الرضا) وكذلك قال زيد قبل شهادته (ع) (من اراد الجهاد فالي ومن اراد العلم فالي ابن اخي جعفر (ع)) فكانا كجناحي طائر لا يا طير الا بهما ويسقط اذا كان احدهما مفقود. فان قيام الامام الصادق (ع) في نشر العلوم الإسلامية كان ضروريا لاستمرار دعوه زيد ووجود جسد زيد مصلوبا في كناسة الكوفة وقيام ابنه يحيى بالدعوة كان ضروريا لاستمرار الامام الصادق (ع) في نشر الفقه الاسلامي وهذا ما عبر عنه الامام الصادق ع في كلمته اذ قال ((...ولا يزال شيعتي بخير ما خرج الخارجي من ال محمد، ولوددت ان الخارجي من ال محمد خرج وعلي نفقة عياله)) وكان يقصد عليه السلام انه لو لم تكن حركة زيد ولم تستمر لكان على الانمة (عليهم السلام) بحاجة الى ايجاد هذه الحركة لانهم كانوا يحتاجون الى وقاية وضلال يعملون تحتها⁽²¹⁾.

لذا كان التكتيك الذي يتبعه الانمة (عليهم السلام) في تبليغ الرسالة والمحافظة عليها في ظل الأنظمة المنحرفة تحتاج الى الكثير من الكتمان والسرية كانوا يقولون (عليهم السلام) (كتمان امرنا جهاد) وذلك لأنه لو عرف النظام الحاكم آنذاك طريقة قيام الانمة المعصومين ع في توجيه الامة لقام بتدبير المؤامرات المضادة وعرقلة اعمالهم فلو عرف المنصور الدوانيقي طريقة قيام الامام الصادق (ع) بإدارة المجتمع وتوجيهه وقيادته لاستطاع ان يستفيد من هذه المعرفة في حرب الامام موسى الكاظم فهو وريث الامام الصادق (ع) وهكذا باقي الانمة عليهم السلام كانوا يشجعون المتمردين على الأنظمة السياسية آنذاك ومثال دعبل الخزاعي والسيد الحميري والكميت والفرزدق وغيرهم، اذ عندما سمع الامام علي ابن الحسين (عليهم السلام) ان الفرزدق قد سجن بسبب قصيدته المشهورة في مدح الامام (ع) امام الطاغية الاموي بعث اليه بألاف الدراهم تشجيعا اليه على موقفه، وكذلك الامام الصادق (ع) كان يشجع الحميري والكثير من الحركات المناهضة حتى حركه الخوارج عندما ثاروا ضد النظام لم يصدر ضدهم شيء.

(20) محمد مهدي الأصفي، الحكومة الإسلامية للامام الخميني (قدس سره) بحث ولاية الفقيه منشور في مجلة رسالة الثقلين العدد (38) ص230

(21) محمد تقي المدرس، التاريخ الاسلامي، دار اسماء للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، العراق- كربلاء، ص124

والامام الرضا (ع) كان يشجع دعبل الخزاعي معنويا وماديا لإظهار فضائل اهل البيت وذب النظام الحاكم. (22)

لذلك تعد مدرسة الامام الصادق (ع) أبرز مدرسة على مرور الدعوة الإسلامية بالرغم من اختلاف الناس حول امامته استطاع الامام الصادق (ع) ان يفرض عظمته وعلمه وكل القيم المتمثلة فيه على رجالات عصره رغم التحريف والتزوير والتسقيط من قبل رجال السلطة آنذاك ومن وعاض السلاطين لكن لم يستطيعوا مجارات الامام الصادق (ع) اذ يقول مالك بن انس (ما رات عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وعباده وورعا) (23).

وقد سئل ابو حنيفة عن افقه الناس في زمانه فقال:- جعفر بن محمد و كان يقول عنه:- (ليس ان اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس) وقد قال ابو حنيفة ذلك عندما اقدم الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي الى الامام الصادق (ع) وطلب من ابي حنيفة مناظرته، وهي واحدة من الحركات التي تقوم بها السلطات الحاكمة الأموية منها والعباسية لأحراج اهل البيت (ع) والانتقاص منهم من خلال الاستعانة بفقهاء اعلام لمناظرتهم من مسلمين ويهود ومسيح كما فعل كذلك المأمون في زمن الامام الرضا (ع) وقال المنصور ((يا ابا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، هيئ لنا من مسائلك الشداد، فهيئات له اربعين مسألة (يقول ابو حنيفة) ثم بعث الي ابو جعفر المنصور واجبته ودخلت مجلسه وجعفر الصادق جالس على يمينه وقال لي المنصور (يا ابا حنيفة الق على ابا عبد الله من مسائلك).

فجعلت ألقى عليه فيجيب فيقول:- أنتم تقولون كذا واهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا حتى اثبت على الاربعين مسألة فما أهمل منها شيء).

وهكذا استطاع الامام الصادق (ع) ان يجعل مدرسته المفتوحة على كل الناس مدرسة تتحرك لتعطي الثقافة الإسلامية أكثر الاساليب والوسائل شمولاً وسعة واتخذ من مسجد الكوفة ولفتره زمنية معينة معهداً للتدريس وبهذا يقول حسن بن علي الوشا الكوفي من مشايخ رواة الحديث (أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد) (24).

(22) محمد تقي المدرس، التاريخ الاسلامي، دار اسماء للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، العراق- كربلاء، ص179

(23) محمد حسين فضل الله، في رحاب اهل البيت (ع) الجزء الثاني، دار التوحيد، الطبعة الاولى، لبنان - بيروت، 2001، ص123

(24) محمد حسين فضل الله، في رحاب اهل البيت (ع) الجزء الثاني، دار التوحيد، الطبعة الاولى، لبنان - بيروت، 2001، ص122

لذلك نرى من سيره الامام الصادق عليه السلام انه كان مستعدا دائما لخوض عمل مسلح ضد انحراف الحكام اذا وجدت لديه القناعة بوجود الانصار والقدرة على تحقيق الاهداف الإسلامية من وراء ذلك العمل المسلح غير ان ملابسات وظروف عصره كانت غير ملائمة ولا تشجع على الدخول في صراع مكشوف مع السياسة الحاكمة فهي قضية غير مضمونة النتائج كونه عاصر مرحلة انتقالية في التاريخ الاسلامي مرحلة انتقال الحكم من ايد الامويين الى العباسيين بعد ان عاش ظروف انحلال واضمحلال الحكم الاموي ثم سقوطه نهائيا في عام 132 للهجرة وبداية الحكم العباسي الذي كان يرفع شعار بدعوة للرضا من آل محمد كذبا وبهتاناً وبعد القضاء على الدولة الأموية تفرغوا بني العباس للمواجهة مع العلويين وعميدهم الامام الصادق (ع) لكن المواجهة مع العباسيين تختلف جذريا عما كان عليه في الحقبة الأموية وذلك لادعاء العباسيين القرب من رسول الله وبالتالي ادعوا انهم جزء من اهل البيت ولهم الشرعية في تسلم ميراث رسول الله (ص) وهو ما لم يكن الامويين ليستطيع ادعائه.

وقد ادرك الامام الصادق (ع) ان الظروف السياسية والاجتماعية والعسكرية لا تسمح له بالثورة على العباسيين⁽²⁵⁾.

وقد كان مدركا ان اي ثورة او قيام ضد الحكم ما لم يكن في أداته وزمان سوف يأتي بنتائج عكسية تفضي الى ضياع الرسالة والمذهب وادرك ان المرحلة التاريخية تقتضي الابتعاد قدر الامكان عن الظهور السياسي والعمل بالتقية ودعم الحركات والاشخاص المناهضين للدولة بصورة غير مباشرة من خلال توظيف الاساليب والادوات الناعمة المؤثرة في الخصم والجاذبة للموالي للحفاظ على مكانته العلمية والحفاظ على جمهور وعدم التفريط بالقيادة وكان واضحا في اظهار معارضته للحكم العباسي واعلن وجوب مقاطعة الظالمين وحرمة معاونتهم وامر اتباعه بذلك ليحد من نشاطهم في انتهاك حقوق الناس والاستيلاء على مقدراتهم⁽²⁶⁾.

كذلك سار على نهج اهل البيت عليهم السلام العلماء الاعلام الذين استطاعوا بجهدهم وعلمهم الحفاظ على القيم الإسلامية والحوزات العلمية في النجف الاشرف وقم المقدسة. ونذكر بعض الاعلام المعاصرين كالسيد الامام الخميني (قدس) الذي كان معارض شرس للنظام الحكم في ايران وتحمل الكثير من اجل دينه او مذهبه و عقيدته وكان قبل استلام السلطة دائما يقول

(25) علاء عبد الرزاق، المقاومة السياسية لائمة اهل البيت (ع) من الصادق وحتى الهادي، دار أمجد للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، 2017، ص24

(26) عبد الرسول الواعظي، اشعة من بلاغة الامام الصادق (ع)، طهران، دار الهداية للنشر، الطبعة الثانية، 1983، ص29

(كما اوضحت مرارا ان اخطر انواع تبعيه الشعوب المناهضة للقوى العظمى والمستكبرين هي التبعية الفكرية، والداخلية لان بقية التبعيات تنبع منها ما لم يتحقق الاستقلال الفكري لشعب ما لن يتحقق الاستقلال في الأبعاد الاخرى وكي يتسنى لنا تحقيق الاستقلال الفكري والخروج من سجن التبعية للأخر يجب ان نستيقظ من الغفلة التي فرضت بعض فئات الشعب ولا سيما العلماء والمفكرين (والمثقفين) فكان دائما يدعو الى التحرر الفكري للشعب بكل طوائفه لأن تحرر الشعب فكريا ومن التبعية الفكرية لدول اخرى سوف ينهض الشعب على كل الانحرافات لدى النظام السياسي وهذا ما حصل فعلا من خلال الثورة الإسلامية التي قادها الامام الخميني (قدس) في عام 1979 على نظام الشاه المنحرف والتي تكللت بالنجاح نتيجة التحرر من التبعية الفكرية والتي تبعها التحرر من التبعية السياسية لأمريكا وإسرائيل⁽²⁷⁾).

وان الشعب الايراني اختار النظام الاسلامي بعد أسقاط الشاه بمحض ارادته عن طريق التصويت المباشر بنسبه 98% وهو اقر الدستور الاسلامي الذي اعلنته لجنة من العلماء والمثقفين واخره مجلس الشورى الاسلامي بأغلبية ساحقة تجاوزت ثلاثة ارباع أعضائه⁽²⁸⁾.

ولا يخفى علينا ما قام به شهيدنا الصدر الاول (قدس) من ثورة علمية ثقافية حركية استنهضت الشعب العراقي ضد النظام البعثي الصدامي المجرم بعد ان أصبح مقصدا للعلماء من جميع انحاء العالم ومقصدا للنوار والمجاهدين والمثقفين من طلبة الجامعات العراقية واساتذتها مما هز اركان النظام السياسي من خلال خطبه ومؤلفاته وعلمه وحركته ومنطقه وقد تعرض للسجن والتعذيب واخيرا الاعدام لكن لم يرضخ لإرادة النظام لأنه ادرك مسبقا انه نظام دموي لا يسعى لخدمة شعبه وانما لقتل الشعب وتدميره.

بعد اصرار النظام في ذلك الوقت على وجوب وقوف السيد الشهيد معهم ضد الحزب الشيوعي واصدار فتوى تؤيد الانتماء لحزب البعث وذلك اقرار واعتراف من قبل النظام السابق لنقله الجماهيري وثقة الناس بالسيد الصدر الا ان رد السيد كان قاسيا عليهم وأطلق قولته المشهورة (لو كان إصبعي بعثي لقطعته) مما دفع حياته مع اخته فداء للدين والمذهب والعقيدة.

(27) نعيم قاسم، كيف نواجه الحرب الناعمة، سلسلة نوات فكرية تصدر عن مركز قم للدراسات، الطبعة الاولى، بيروت، 2012 ص24

(28) نعيم قاسم، كيف نواجه الحرب الناعمة، سلسلة نوات فكرية تصدر عن مركز قم للدراسات، الطبعة الاولى، بيروت، 2012 ص24

كما ان حركة الشهيد الثاني محمد صادق الصدر (قدس) ليست بعيدة عنا وقد عايشناها وكانت صورة واضحة للمقاومة الثقافية والمقاومة الذكية للنظام الصدامي القمعي فبعد ان ربط المجتمع بالحوزة العلمية وكان يؤكد دائما (الا تفعلوا فعلا ولا تقولوا قولاً الا بعد الرجوع للحوزة الشريفة) اصبح المجتمع مطيعاً لأمر مولاه ومرجعه وقائده الديني والحوادث كثيرة لا مجال لسردها هنا من خلال اقامة صلاة الجمعة وخطبه المطالبة بالخدمات ودعوته للمسير نحو كربلاء المقدسة، والمنع بعد ذلك وغيرها الكثير.

كذلك الدور المهم الذي قام به السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) في انتهاج المنهج الناعم ضد الاحتلال الامريكي عبر بياناته ومواقفه، فضلاً عن المقاومة الصلبة من خلال فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقها بُعيد سيطرة تنظيم داعش الارهابي على جزء كبير من الاراضي العراقية، هذه الفتوى التي تأسس وفقها الحشد الشعبي الذي لعب دوراً مهماً في تحرير الارض وحماية الناس من شر هذا التنظيم الوحشي.

من كل ما سبق نلاحظ ان مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) كانت لها اليد الطولي في الجمع بين اكثر من نوع من انواع المقاومة، وتنبع هذه التعددية في المنهج المقاوم الى تغير الظروف والاحوال وتبدلها، لذا كان أئمة اهل البيت (ع) والشيعية يتخذون المنهج المناسب للمقاومة تبعاً للموقف والوضع الذي امامهم، الامر الذي اسهم في بلورة سياق مقاومة تمكن من حفظ بيضة الاسلام والتشيع لقرون عديدة.

الخاتمة والاستنتاجات:

عملنا في هذا البحث على دراسة ماهية المقاومة الناعمة والمقاومة الذكية، والتي يختلف وقت العمل بها حسب الظروف الدولية والمحلية وحسب مقتضيات المصلحة الوطنية والادوات المستخدمة في المواجهة لذا نرى ان المقاومة العسكرية قد تكون هي الحل الامثل في التعامل مع الاحتلال العسكري كما هي حالة المقاومة العراقية للاحتلال الامريكي بعد عام 2003 وقد تكون المقاومة الناعمة هي الاسلوب الانجح لمواجهة الحرب الناعمة والثقافية الموجهة ضد المجتمع وهذا ما يجب ان يدركه صانع القرار في المقاومة اي ان الجانب الادراكي ان يكون عالي لديه وذو وعي لما يدور على الساحة الاقليمية والدولية اضافة الى المحلية حتى يستطيع المواجهة حسب الاسلوب الانسب لذلك، وهذا ما يسمى بالمقاومة الذكية التي يستفيد فيها صانع القرار من ادوات العدو ويجيرها لنفسه ويكون قارئ فطن لسلوكيات المواجهة مستفيداً من السيرة التاريخية لأئمة اهل البيت عليهم السلام في طريقة مواجهتهم لانحرافات السلطات المتعاقبة والعنوان الخارجي وكيفية الحفاظ على المنهج

الرسالي عبر العصور في ظل تلك التحديات والاستفادة كذلك من مصاديق علمائنا الاعلام كالشهيد الاول والشهيد الثاني وطرق المواجهة مع انحراف السلطة البعثية آنذاك، ومصاديق واضحة، ومعاصرة ما بعد 2003 من خلال دور المرجعيات الشيعية البارزة في النجف الاشرف بقيادة السيد علي السيستاني وقم المقدسة بقيادة السيد علي خامنئي وطريقة مواجهة التحديات التي عرفت بالحوزات العلمية والمقدسات بصورة عامة من خلال صناعة جناح مسلح (الحشد الشعبي) للدفاع عن العقيدة والمذهب وازافة ادوات اخرى للمواجهة كالاسلوب الناعم والثقافي والاخلاقي للحفاظ على العقيدة الحققة في المجتمع وتنشأت مجتمع صالح واع، وعلى قدر المسؤولية الدينية والوطنية والحضارية للدفاع عن كرامة الأمة ومقدساتها.

الاستنتاجات:

- 1 - المقاومة الناعمة أسلوب مهم ومتقدم، وخيار ضروري في عصر الحرب الناعمة.
- 2 - تركز المقاومة الناعمة على الوعي وتبيان الحقائق.
- 3 - المقاومة الذكية التي تجمع بين ادوات ووسائل القوتين الصلبة والناعمة، هي الاسلوب الانجح لصانع قرار المقاومة.
- 4 - التنوع في ادوات المقاومة وحسب مقتضيات المرحلة وادوات المواجهة عنصر ضروري لتحقيق الهدف.
- 5 - الاستفادة من التجارب التاريخية لائمة اهل البيت عليهم السلام والتجارب المعاصرة للمرجعيات الدينية.
- 6 - البناء الناعم لائمة اهل البيت عليهم السلام كان له دور مهم في الحفاظ على المنهج الرسالي المحمدي الاصيل. والاحتفاظ بقوة عسكرية خاصة، ضروري للدفاع عن الدين ومقدساته عندما يتطلب الأمر ذلك.
- 7 - تجربة الحشد الشعبي في الدفاع عن العراق والمقدسات تجربة ذكية ومتنوعة الادوات. لابد من تطوير ادواته للمقاومة الناعمة، والاستفادة منها في مواجهة التحديات المعاصرة.
- 8 - توظيف القوة الكامنة التي يمتلكها المذهب الشيعي في استراتيجية المقاومة.
- 9 - ضرورة التعاون والتنسيق بين قوى محور المقاومة، فيما يخص المقاومة الناعمة لتطوير العمل بمواجهة الحرب الناعمة المعادية.



حل النزاعات وإشاعة السلام في العالم العربي المتأزم: دراسة في الركائز الاستراتيجية الثلاثية (الجامعات-منظمات المجتمع المدني-العشائر)

أ.د. حازم حمد موسى

كلية العلوم السياسية/ جامعة الموصل

Email: hazim@uomosul.edu.iq

(ملخص)

ركز البحث على أهمية السلام بروية استراتيجية، والتعريف به وبيان دور الجامعات ومنظمات المجتمع المدني، والعشائر، كركائز استراتيجية ثلاثية يشيد عليها، وكيفية قدرتها على حرف مسارات النزاع، مسلطاً الأضواء على الإشكالية الدائرة فيما يتعلق: كيفية استخدام الركائز الاستراتيجية الثلاثية ((الجامعات-منظمات المجتمع المدني-العشائر)) في بناء السلام بتناغم، لاحتضان المواقف التهديد (التآزم-النزاع - الصراع) وتحجيمه؟

ولحل تلك الإشكالية تطلب تبني الفرضية الآتية: « كلما بنيت مشاريع السلام في عالم العربي المتأزم على الركائز الاستراتيجية الثلاثية: «الجامعات-منظمات المجتمع المدني-العشائر؛ أزداد حرف مسار التهديد الثلاثي : النزاع -الصراع -التآزم، وافراغه من قوته؛ ليكون السلام أكثر هيمنة من النزاع فيذعن النزاع للسلام))، وحلاً لتلك الإشكالية واثباتاً لتلك الفرضية، وتحقيقاً لمتطلبات البحث، استخدمنا المنهج الوصفي الذي يركز على وصف تجارب تلك الثلاثية التي يثيرها موضوع البحث، والتطرق الى اهم أدوارها لصناعة السلام، وكيفية فهمها لحراك العالم العربي المتأزم.



Resolving conflicts and promoting peace in the troubled Arab world: A study in the tripartite strategic phase (Universities - Civil Society Organizations – Clans)

(Abstract)

the definition of it and the role of universities, civil society organizations and clans, as pillars of a tripartite strategy, and how they can characterize conflict paths, highlighting the problematic nature of how to use the three strategic pillars Civil Society-Clans) in peace-building in harmony, ?(to embrace and mitigate the threats (The Crisis- Controversy-Conflict To solve this problem, the following hypothesis is needed: “The more peace projects in the Arab world are built on the three strategic pillars:” Universities, civil society organizations, tribes ... Azad characterizes the triple threat path: The Crisis- Controversy-Conflict, and emptiness of power; In order to achieve the research requirements, we used the descriptive approach, which focuses on describing the experiences of the trilogy raised by the subject of the research, addressing the most important role of the peace industry, and how to understand the mobility of the Arab world Crisis

المقدمة:

إن البحث في تشكيل التجاوب المحلي لتحقيق السلام، وطرق حل النزاعات في مرحلة «ما بعد التغيير العربي»، يركز على الركائز الاستراتيجية الثلاثية، لكن من الضروري أن نذكر بعض المفردات المهمة قبلولوج في تفاصيل البحث لتكون لنا دليلاً مرشداً، ولعل أهم تلك المفردات.

الأهمية: تكمن في المكانة التي احتلتها الركائز الاستراتيجية الثلاث (الجامعات، منظمات المجتمع المدني، العشائر) في صناعة التجاوب المحلي لتشكيل السلام في العالم لعربي المتأزم.

الإشكالية: تكمن بطبيعة العلاقة بين الجامعات والمنظمات والعشائر ودورها في صناعة التجاوب المحلي للسلام في العالم العربي المتأزم؟

التساؤلات: تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: هل يمكن للركائز الاستراتيجية الثلاثية حل النزاعات وإشاعة السلام في العالم العربي المتأزم؟ وينبثق من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية: (ما هو التجاوب المحلي؟ ماهي الركائز الاستراتيجية للتجاوب المحلي؟ هل يمكن للركائز الاستراتيجية ان تحقق التجاوب المحلي وتشكل السلام؟

الفرضية: استند البحث على فرضية مفادها: «كلما بنيت مشاريع السلام في عالم العربي المتأزم على الركائز الاستراتيجية الثلاثية:» الجامعات-منظمات المجتمع المدني-العشائر... ازاد حرف مسار التهديد الثلاثي: النزاع -الصراع -التأزم، وافراغه من قوته؛ ليكون السلام أكثر هيمنة من النزاع، فيذعن النزاع للسلام».

الاهداف: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الآتية:

- 1 - ينشد البحث إلى إبراز دور التجاوب المحلي في تشكيل السلام.
- 2 - التعرف على دور الجامعات ومنظمات المجتمع المدني والعشائر في تشكيل السلام.
- 3 - الوقوف على الأسباب الدافعة إلى النزاع لتشخيص الخلل علاجه.
- 4 - التعرف على دور الركائز الاستراتيجية في الوقاية والعلاج من ظاهرة التهديد النزاع.

النطاق: يتحدد البحث بـ:

موضوعياً: بظاهرة التجاوب المحلي من حيث الركائز الاستراتيجية الثلاث (الجامعات، منظمات المجتمع المدني، العشائر)، وشكلياً اقتصرت على تشكيل السلام في بؤر النزاع.

1 - الحدود المكانية: اقتصر البحث على الساحة العربية المتأزمة وبالتحديد الدول التي شملها التغيير.

2 - الحدود الزمانية: ركز البحث على حقبة ما بعد التغيير العربي (الربيع العربي).

المنهجية: استخدمنا المنهج الوصفي الذي يركز على وصف تجارب تلك الثلاثية التي يثيرها موضوع البحث، والتطرق الى اهم أدوارها لصناعة السلام، وكيفية فهمها لحراك العالم العربي المتأزم.

الهيكليّة: اعتمدنا في خطة البحث (مقدمة ومبحثين وخاتمة واستنتاجات)، وكالاتي:

المبحث الأول: حمل عنوان: السلام: الماهية والفلسفة المنطقية، وبدوره انقسم إلى مطلبين: الأول: ماهية السلام، أما الثاني: فلسفة السلام، وتناغماً مع ما مضى، جاء المبحث الثاني فعنون بـ: الركائز الاستراتيجية للتجاوب المحلي، لينشطر إلى ثلاث مطالب: الأول: جاء تحت عنوان: الجامعات كركيزة استراتيجية لبناء السلام، والثاني: منظمات المجتمع المدني كركيزة استراتيجية لبناء السلام والثالث: العشائر كركيزة استراتيجية لبناء السلام، والذي ركز على دور الركائز الاستراتيجية في تشكيل السلام، لنختم البحث بجملة من الاستنتاجات وبعض التوصيات.

توطئة:

انطلاقاً من القراءة التي انفراد بها التجاوب المحلي، وما أفرزته تفاعلاته الثلاثية (الجامعات، المجتمع المدني، العشائر)، من إنجازات، يمكن القول: لا يمكن لأي داعي للسلام، أن يتغاضى عن التجاوب المحلي الذي ولد التناغم بين تلك الثلاثية، وفي ضوء تضارب الرؤى والطروحات وتحول إمكانات التجاوب المحلي، جهد الباحث نفسه لصياغة فلسفة لبلورة ما ينبغي أن يكون عليه دعاة السلام بعد أن ساد نوع من الاهتمام والتركيز على سر نجاح بعض التجارب المحلية، الذي عده الكثير لغز يصعب حله، وكيفية ترجمة لغة العنف إلى لغة لتشكيل السلام، لهذا ارتئينا شطر البحث إلى مبحثين وكالاتي:

المبحث الأول

السلام: الماهية والفلسفة المنطقية

بداية، لابد من التعريف بالمفاهيم وتحديدّها، والوقوف على الفلسفة التي تحاكي وبمنطقية التفاعلات المحركة للسلام في ظل هيمنة النزاعات، وهنا، تدعونا دراستنا إلى تحديد القصد من السلام وفلسفته وهو يتعامل مع الأزمات/ النزاعات / الصراعات وكيفية توظيف الأحداث إلى مكاسب تقتنص من الآخر الخصم (دعاة العنف)، وإبانة ذلك عمّد الباحث لتقسيم المبحث إلى مطلبين وكالاتي:

المطلب الأول

ماهية السلام

لا حد يمكنه أن يتأمل بالعالم العربي بما يمر به من ارتباكات واضطرابات ونوبات خانقة وأزمات حادة تكاد تطيح بقواه وتهز هيكله بعيداً عن السلام،

فهو المفضي إلى التناقص والتناغم، ولعله أفضل ما يفسر لنا سر حل النزاعات في العالم العربي المتأزم، كونه غني بالمفاوضات ومحمل بالتجاوبات والمفضي للمصالحات، فأصبح لدعاة السلام فرضية أدائية للحراك النزاعي افرز حاجة ملحة،

لا بل ضرورة لأدراك حقيقة تشكيل السلام لا التسليم الأعمى بمنطق النزاع، وحتمية تفوق صناع العنف، لتتقلب كفة البقاء للأسلم فمحاكاة الذات وشحن طاقات العقل ورسم هوامش الحركة والحوار تفضي إلى جو من المكاسب التي تحرك شهوة صناع السلام وتجذبهم نحوه، ففعلوا فعلهم فأحدثوا خلل توازني مولد "سلام الصراع" لإرباك حراك دعاة العنف،⁽¹⁾

فالسلم خيار وضرورة محلة ولعله المخرج الوحيد من الأزمات.⁽²⁾

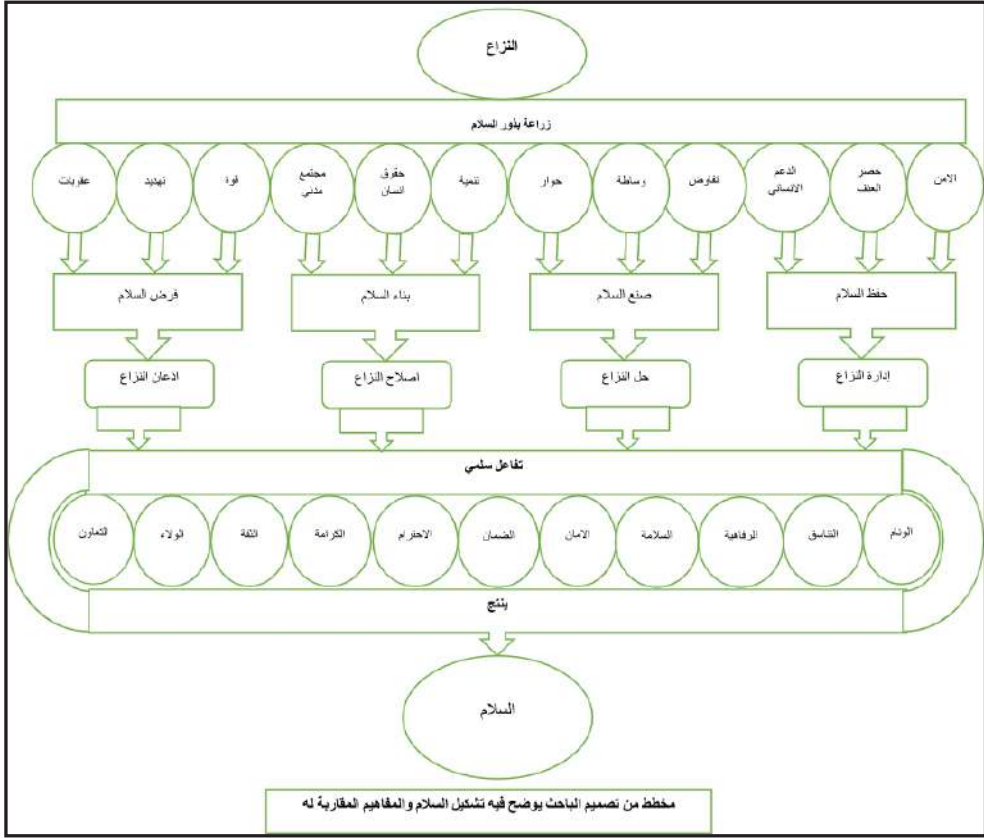
وفيما اثار مفهوم السلم من جدل وتباين وتضارب في التصورات، يمكن وصفه بأنه: حالة من الهدوء، والتحرر من الأفكار أو المشاعر المقلقة، والكمال والرضا، والانسجام في العلاقات، والتوافق العام بين الفئات الاجتماعية.

والحقيقة، ان السلم له العديد من المفاهيم الفرعية المتقاربة المتكاملة التي تتحد لتفكك النزاع وتشكل السلم.⁽³⁾ ويمكن ان نوضح ذلك بالمخطط الاتي: رقم: (1)

⁽¹⁾ Pugh M. & et al (Eds.) , Whose Peace? Critical Perspectives on the Political Economy of Peacebuilding, New Security Challenges (United Kingdom: Palgrave Macmillan, 2008), p.34

⁽²⁾ Leigh Thompson, "Negotiation Behavior and Outcomes: Empirical Evidence and Theoretical Issues", Psychological Bulletin, American Psychological Association Clark Atlanta University ,United States, Vol. 108, No. 3, (1990), pp.515-532

⁽³⁾ Ivan F. Pacheco, Conflict, Post -Conflict, and the Functions of the University: Lessons from Colombia and other Armed Conflicts, Dissertation Director: Philip G. Altbach, Boston College Electronic Thesis or Dissertation,(2013), p.24



المطلب الثاني فلسفة السلام

لم تكن مهمة إتقان فلسفة السلام سهلة على الإطلاق، بل بدت من أصعب المهام التي صادفت ذوي الشأن الذين ينون بحمل مصير مجتمعاتهم والتقدم خطوة للأمام، فالعالم العربي مليء بدعاة السلام الذين أبدعوا في إظهار أروع الصور لهذا المفهوم كاشفين الغطاء عن مكامن أسرار قوته، من خلال الاجابة على أسئلة الصراع الخمس (كيف يشخص؟ ما هي أنواعه؟ من يحركه؟ ما هي آلياته؟ وما هي التوقعات (النتائج) له؟

أن السلام يحتوي عدة احتمالات تقود إلى تراكم معرفي يقود بطبيعة الحال إلى “تفجر تجمعي” للطاقة الذهنية فتشكل العديد من الصور للموقف لبناء النسق الاجتماعي طريق الجذب والاستقطاب لإشارات السلام المتسربة على شكل إيماءات وعلامات حركية وهذا يتطلب إتقان لغة السلام في تلك المجتمعات.(4)

فعلى باني السلام تطوير قدراته الفكرية وتحصين "تصوراته الإدراكية"، "لتفسير الصور"، المتكونة في ذهن الخصم والخصم الآخر (المتنازعين)، وفقاً للطرق المنهجية والقواعد العلمية التي تحملها استراتيجية السلام لیتسنی له تفسير الإيماءات المجتمعية التي تخرج على شكل رموز أساسية، معبرة عن نوايا الفرق المتضادة. (5)

فسعى الكثير من المفكرين لتشخيص لغة السلام، لتكون مرشد في "العمليات الاستدلالية"، التي تفيد في تحديد مسارات التجاوب المجتمعي، فبمجرد قراءة أو سماع أي نص يمكن فهمه من الإيماءات التي ترافقه، والتي تقارب وجهات النظر وتفصح عن رغبتين: الأولى: لسلمة الاجتماعية، وتتضمن التثقيف والتسويق للسلام، (6) والثانية: امنية المجتمعية، التي تتضمن ربط المعضلة المتنازع عليها بالأمن المجتمعي. (7)

وإذا ما سار السلام على النحو الثاني "يحرر من السياق"، ويخرج من المؤلف، لاعتماده، التحليل الخطأ للاستفسارات المطروحة، الناتجة عن، بناء جمل،، تصعيديه وفقاً للقواعد أو السياقات والتراكيب والاعتبارات المبنية على التعالي ولتعامل وفقاً لـ، "مبدأ اللعبة الصفرية"، وان تزودت بالعبارات، التطريزية. (8)

وإذا ما حاولنا تتبع حيثيات هذا التحفز نجدها كامنة في،، برامج التعرف على الخطاب، في عملية تشكيل السلام، للتعرف على "الظواهر النفسية"، وفك شفراتها القابعة في ذهن قادة الحركات الاضداد، (9) التي تعلل أسباب الدافعة، وتظهر مكون صانع العنف الاجتماعي لفتح ممر لكشف "الرؤى السوسيولوجية له، (10) ولكن هذا مشروطة بـ، المعرفة البنائية "و"، الوظيفية لكتلته المجتمعية، (11) فمعرفة القدرات البنائية والوظيفية لذهن قادة العنف تحفز مدرك دعاء السلام لترجمة الحقائق إلى صور عديدة مشبعة بالإيهام تعرقل اتخاذ بتحفيز الضمير، فـ، فكرة التباين، (12)

(5) Glenn H. Snyder, "Prisoners Dilemma and Chickens Models in International Politics", International Studies Quarterly, Oxford University Press, United kingdom, Vol 15, Issue 1, (1 March 1971), pp. 89- 87

(6) Glenn H. Snyder & Paul Diesing, Conflict Among Nations: Bargaining, Decision Making, and System Structure in International Crises, (United States: Princeton University Press 1977), p. 33

(7) Barry Buzan, "The 'War on Terrorism' as the New 'Macro-Securitisation'?" Oslo Workshop. Oslo, (2-4 February 2006), p. 1 & other pages

(8) Kathleen Archibald, Strategic Interaction and Conflict, (United States: Institute of International Studies, University of California, 1966), p.116

(9) Roger Fisher & Ury William, Getting to Yes: Negotiating Agreement without Giving in, Second edition, (United kingdom: Random House Business, 1988), p.3

(10) Gerard I. Nierenberg, Gerard, Fundamentals of Negotiating, First Edition, (United States: Harper and Row, 1973), p.34

(11) Herb Cohen, You Can Negotiate Anything, (United States: Bantam, 1980), p.34

(12) Patrick Forsyth, How to Negotiate Successfully (United kingdom: Sheldon Press, 1991), p.7

نابعة من كيفية فهم المردود الصدامي (المنفعة) ، والذي يفضي بطبيعة الحال لاستخدام “النهج العقائدي” للتعامل مع “دعاة السلام”، تلك الطريقة ليست منهجاً، بل أسلوب “برجماتي” “تجريبي” أساسه الربحية العالية. (13)

وهذا يدفع بدعاة السلام خطوة الى الامام لتبني نهج “العقلانية” التي تقود إلى الصواب في الرأي وهي “العقلانية المحضة” والذي يتبناها يكون محصناً وبعيداً عن الانزلاق إلى “اللاعقلانية”، “العقل” حاضنة كل قرار ومبرمج لكل سلوك، وان أراد البعض إضافة له “النزعة الجمالية”، لتقبل صعوبة الحقيقة، فمهما كان وجه القرار قاسي فالتزين والتقنع مطلوب للجذب الفكري ومن ثم الأدائي للأخر، (14) “ف” الاختراق للعقول،، يولد لغة “الجدل”، (15)

ويحرك، ويحفز الاكتشاف “نزعة الخير”، (16) التي تمهد لهيمنة نزعة التسوية، وتفسير الخلافات، (17) فيعمل على بث “إشارات السلام” التي تركز على المصالح، بيد إن، تلك الإشارات وتفسيرها أو ما يسمى “فك الترميز” لها، (18)

يراد له حنكة إدارية، ومعرفة “نفسية” و “تجهيز معلوماتي، لفك “التراكيب” الصورية، والتوصل إلى “الخطوط الدلالية، التي ترسل بالتخاطب اللفظي أم “غير اللفظي”، ففهم “الإشارات”، أو “برمجتها”، تجعل دعاة السلام يخترقون كل التحصينات ويستنزفون طاقات الطرف الثاني، (19) وهذا الحال يراد له “عبقرية” في إدارة النزاع وتشكيل السلام بمزجها بالخبرة و “القدرة على التحليل”، (20) “ف” الارتباط المؤجل التقاربي، بين عقول المتنازعين، إذا استنهض كان “مؤشراً للخطر”، فلا بد من العزل والتحيد، باستخدام “النهج”، أو “النزعة الاستقرائية”، المطعمة بـ “العقلانية الاستقرائية”، (21)

Wageih H. Hassan, A Linguistic Analysis of Mechanisms Underlying Power, International Political Negotiations A Dissertation, (13)
(United States: Georgetown University, 1989), p.23

David Bell, International Negotiation & Political Linguistics Unpublished Paper, (Canada: York University, 1988), p.118 (14)

John Carroll, Language Thought and Reality, (United States: The MIT Press Cambridge, Massachusetts Institute of Technology, 1984), p.89 (15)

William, M. Habeeb, Power and Tactics in International Negotiation, (United States: The Johns Hopkins University Press, 1988), pp.155-170 (16)

Fred C. Ikle, How Nations Negotiate, Institute for Diplomacy, (United States: Georgetown University, 1988), pp.26-43 (17)

Jeweled Salacious, Making Global Deals: Negotiating in the International Market (United States: Houghton Mifflin Harcourt, Massachusetts 1991), p87 (18)

Gerard I. Nierenberg, Gerard Fundamentals of Negotiating, Second Edition (United States: Harper & Row, 1987), p. 151 (19)

Thomas S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions, International Encyclopedia of Social Sciences, Second Edition, (United States: Enlarged, Chicago University, 1970), p.74 (20)

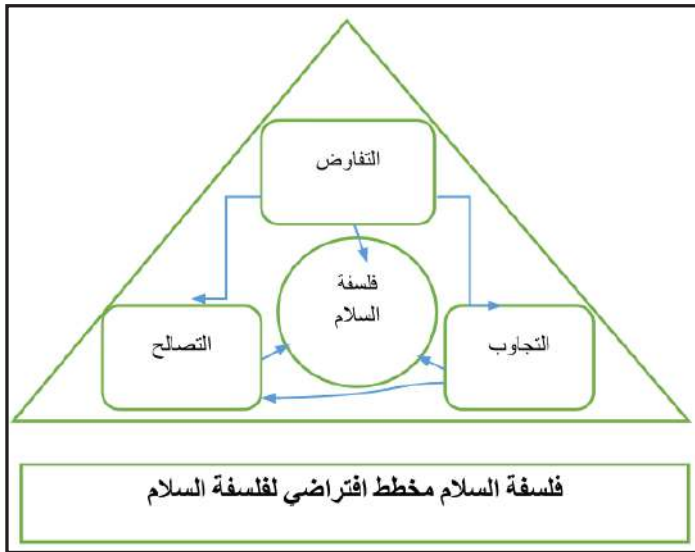
LW H. Hull, History and Philosophy of Science, (United Kingdom: Longman, 1965), p.213 (21)

والتي تستند على أساس "فرض الفروض"، وتبني "الميكانيزمات"، التي يغلب عليها التفسير "النفسي- الوجداني"، (22)

ذات "مردودات الدافعية"، تجذب المعنى لاتخاذ موقفه، لذا لا بد أن يعرض إلى المثير المؤثر-الاستجابة إي الخضوع لكن بـ"الاشتراط الاستجابي"، والتي تبني إدراكاً مفاده أن "التأثيرات الإيجابية"، تكون سبباً لنتيجة هي تفادي "المعززات السلبية"، التي تحفز على "إجراءات الهروب"، أو على الأقل "إجراءات التجنب"، التي تجر نحو "تعزيز الفارق" الخاص بتلك الاستجابات الإذعانبة برغبة طواعية محسوبة نتائجها مسبقاً من قبل الطرف الخاضع، (23)

فـ"التشكيل" الإدراكي، والتقارب المتعاقب، الذي يقود إلى سلسلة من "الاستجابات" تفكك بناء النزاع المتصدع، (24)

تلك هي فلسفة السلام في ظل هيمنة النزاع والتي تعتمد على ثلاثية إدراكية تبدأ بالتفاوض وهي هرمها، وتنتهي بالتجاوب والتصالح وهما قاعدتا السلام، وهو ما نوضحه بالمخطط الآتي: رقم : (2)



G. Buchdahl, "History And Philosophy of Science At Cambridge", in: History of Science, Vol.I., W. Heffer & Sons, Cambridge, United Kingdom, (1962), pp.62-66 (22)

Francisco Guerra, "Aztec Science and Technology", In: History of Science: An Annual Review of Literature, Research And Teaching, Cambridge, United Kingdom, Vol.8, (1969), pp.32-52 (23)

Beals R.L. & et al, An Introduction to Anthropology, 5th edition, (United Kingdom: Macmillan Ltd, 1977), pp. 174-176 (24)

المبحث الثاني

الركائز الاستراتيجية الثلاثية للتجارب

أن أفضل ما يفسر لنا السر القابع في السلام هو الوقوف على ركائزها التي عدها الباحث ثلاثية، فلا احد يمكن له ان يدرك التجارب بعيداً عن تلك الابعاد التي حصرها الباحث بـ(الجامعات، المجتمع المدني، العشائر)، هي الركائز الاستراتيجية الثلاثية التي تدور فيها المعلومات وتنضج فيها الخطط وتحدد نقاط الاختراق أطراف النزاع، فتلك الركائز تعمل بانتظام وسلم تسلسلي تبدأ من التثقيف والتسويق وتنتهي بالتطبيع، ولتوضيح تلك الإلية المتناغمة قسمنا المبحث إلى ثلاثة مطالب وكلاتي:

المطلب الأول

الجامعات ركيزة استراتيجية للتجارب

ان جدلية النزاع والسلام جدلية متشابكة ومعقدة، بين هذا التشابك وذاك التعقيد شق المنظرين والمحللين والباحثين في الجامعات لهم طريق لرسم استراتيجية للسلام تجعل التجارب مبرمج، وهذا يفضي إلى القدرة على تحديد الأساليب والوسائل اللازمة لتحقيق الأهداف المنشودة من السلام، بعد التنبؤ بالمعضلة المجتمعية، وإعداد العدة له لتجنب النزاع. (25)

ومن الضروري، أن لا يتم التعامل مع النزاع على أنه حدث طارئ أو مفاجئ، فالأكاديميون هم المرشدون والموجهون الحقيقيون للسلام، إذ يرسمون الأهداف المرجو تحقيقها من التجارب، ويوفرون المعرفة العلمية لتنمية القدرة الإدراكية لأبناء للمجتمعات المتنازعة لاستيعاب الوضع الخطر، وتحديد ما ينبغي القيام به أو ما لا ينبغي القيام به قبل الخوض بالعملية بناء التجارب، وتحديد البرامج التي سيتم استخدامها في المجتمعات المعقدة. (26)

وإن أهمية رسم استراتيجية لعملية التجارب تنبع من مقتربات إدراكية اختراقية تستهدف مكامن فكر الطرف الخصم، لان السلام نشاط فكري/ادائي هادف، فبناء الاستراتيجية تعد من الأساسيات الضرورية لتحقيق المكاسب، ولكن رسم الاستراتيجية للتجارب يحتاج ثلاثية هي خطة ومعلومة ووقت وهذا يستوجب ضرورة تحديد المحفزات التي تساعد على نجاح التجارب والتي تبلورت على شكل استراتيجيات فرعية منشطرة من الاستراتيجية الشاملة. (27)

Zsuzsanna Kacsó, Peace Consolidation Strategy Building: From Analysis to Approach Selection, CPCA, November 2014, (p25) (25)

Lloyd J. Matthews, Winning the war by winning the peace strategy for conflict and post-conflict in the 21st century, Fifteenth Annual Strategy Conference, Carlisle Barracks, Pennsylvania (April 13-15, 2004), p.6-7 (26)

Michael Edwards, Building peace in Libya, Supervisor: Manuela Nilsson Examiner: Anders Nilsson, Social Sciences, Linnaeus University, Master thesis in Peace and Development Studies, (20th January 2014), p.11 (27)



ولا يختلف اثنان على ان للجامعات دور بارز وواضح في بناء السلام ومقاومة العنف،⁽²⁸⁾ فالتعليم دور فاعل في التأثير على النزاع بخلق قناعة فكرية بضرورة تشكيل السلام،⁽²⁹⁾ فضلاً عن انشاء مراكز للسلام في الجامعات التي تضع رؤى للسلام وهذا ما شهدته العديد من الجامعات العراقية على سبيل المثال جامعة بغداد ودهوك والسليمانية،⁽³⁰⁾ وهذا حال الجامعات التونسية كذلك،⁽³¹⁾ كما للجامعات الليبية دور في تشكيل السلام.⁽³²⁾ ولحق يقال: ان الجامعات بنت جسوراً للسلام ولم يؤشر لها إنها بنت جدراناً تعزل السلام، أو تصد تقدمه.

المطلب الثاني

منظمات المجتمع المدني ركيزة استراتيجية للتجاوب

يوصف المجتمع المدني بأنه: هو المجتمع الذي لا يتبع الهياكل الحكومية في الدولة، فهو يوازن المجتمع السياسي فالمجتمع المدني هو الذي افراده تتكون من مؤسسات لا حكومية ولا برلمانية ولا حزبية ولا تمت للسياسة بصلة، ويأخذ عليه بعض المأخذ ومنها: (حاجته للنضج المجتمعي، ويتأثر بالتسييس، ويتعرض للطائفية).⁽³³⁾ هذا ما اتاحته الديمقراطية للموازنة بين المجتمعين وحفزت دوره عن طرق كثيرة منها: (المؤتمرات الدولية والإقليمية، الاعلام والتسويق، الدور التعويضي، لعب دور البديل عن بعض المؤسسات)، لكن وعود الربيع العربي أصبحت خطرة كونها استجابت للتهديد لا للسلام، وهنا على المجتمع المدني السير الحذر.⁽³⁴⁾

Juliet Millican, "Universities and Conflict: The Role of Higher Education in Peacebuilding and Resistance", Routledge Studies in Peace and Conflict Resolution, Forthcoming, George Routledge, United Kingdom, November 14, (2017),p.7& other pages ⁽²⁸⁾

Alan Smith, The hidden crisis: Armed conflict and education, The influence of education on conflict and peace building, Education for All Global Monitoring , (2011),p3 & other pages ⁽²⁹⁾

Thomas E. Hill, Establishing Peace and Conflict Studies Programs in Iraqi Universities: Necessary Conditions and Short-Term Implications, University of Pennsylvania Scholarly Commons, (1-1-2014),pp.75-...& other pages ⁽³⁰⁾

Jamil Chaabouni, The role of Tunisian universities in regional development: Sub theme: University in regional innovation and social development,(2011),p5-6 ⁽³¹⁾

Michael Edwards, Building peace in Libya, Op.Cit, p15 ⁽³²⁾

Charles K. V. Dyck, Concept and Definition of Civil Society Sustainability, (United States: Center for Strategic and International Studies, Georgetown University, 2017),p.23 ⁽³³⁾

Valentine M. Moghadam , "What is democracy? Promises and perils of the Arab Spring", Current Sociology Monograph, Northeastern University, United States, Vol.61, No.4, (2013),pp. 393-408 ⁽³⁴⁾

يكاد الرأي يتفق على ان هناك طريقة لمعرفة هل ان المجتمع المدني ومنظماته ميسرة ام لا ؟
وهي إمكانية الإجابة عن الأسئلة الخمس وهي: هل منظمات المجتمع المدني مستقلة؟
هل أدائها ثابت؟ هل هي مرتبطة بمعرقلي السلام؟

هل ينظر لها بنظرة شك من المجتمع؟ هل تخضع للرقابة والضوابط الشرعية؟

ويجب ان يكون الجواب: ان المجتمع المدني مستقل عن المجتمع السياسي، وادائه انساني -خيري-
تنموي، وكامل الإرادة، وغير مرتبط بمعرقلي السلام، والموثوق بها من قبل المواطنين، وتخضع
للقابة والضوابط والشفافية، وهذا يفرض مخالفة دعاء العنف ويعزز دورهم في تشكيل السلام.
ان الذي يتناول هذا الموضوع في محمل من الجد، يجده محمل بجملة من الإشكاليات تترجم الى تحديات
لا بد من تجاوزها لتشكيل السلام منها: (تفاقم الانقسامات، ازدياد الخطر الذي يواجه المشاركين في
أنشطة السلام، تاجع العنف عمودياً وافقياً، تجريد دعاء السلام من مصادر الفاعلية، ازدياد الحقن،
اجهاض إمكانات الأشخاص المحليين). (35)

وان الذي يتتبع سلوك منظمات المجتمع المدني في العالم العربي المتأزم يجدها تفننت في الاتي:
(التعامل البناء مع احزان الماضي، وابدعت في تعليم السلام، واقامت رش الحوار، اوجدت المشاريع
ذات النفع لذوي الدخل الحدود، ودعت وساندت المعنفين والمستضعفين، ولعبت دور في تعليم
المرأة، ووثقت الانتهاكات، وراقبت الانتخابات، وكافحت الفساد، تقصت عن الحقائق). (36)

ولعل الذي يراقب بحرص وامعان يجد ان لمنظمات المجتمع المدني معايير الفاعلية يقاس عليها
تشكيل السلام وهي: (إيقاف حركات العنف، خلق قوة دافعة للسلام، تمكين المشاركين، تفعيل
معالجات المظلومين، مقاومة العنف، رفع الإحساس بالأمن الإنساني). (37)
وما يزيد من التأثير تأثيراً هو كثر منظمات المجتمع المدني وتزايدها اذ بلغ فقط بالعراق 1050
منظمة مرخصة تابعة للمجتمع المدني، وهذا بطبيعة الحال تأثر بالتغيير الديمقراطي وشمل كل من
تونس وليبيا ومصر واليمن وسوريا.

Peter Weber, "Modernity, Civil Society, And Sectarianism: The Egyptian Muslim Brotherhood And The Takfir Groups, International Journal of Voluntary and Nonprofit Organizations, Berlin, Heidelberg, Germany, Vol. 24, Issue 2, (June 2013), pp. 509-527 (35)

Danielle Meltz, "Civil Society in the Arab Spring: Tunisia, Egypt, and Libya", University of Colorado, United States, (March 29, 2016), p.3 & other pages (36)

Martin, A. P. "Do Tunisian Secular Civil Society Organizations demonstrate a process of Democratic learning?", The Journal of North African Studies, United Kingdom, Vol 20, No.5, (2015), pp. 797-812 (37)

المطلب الثالث

العشائر كركيزة استراتيجية لبناء السلام

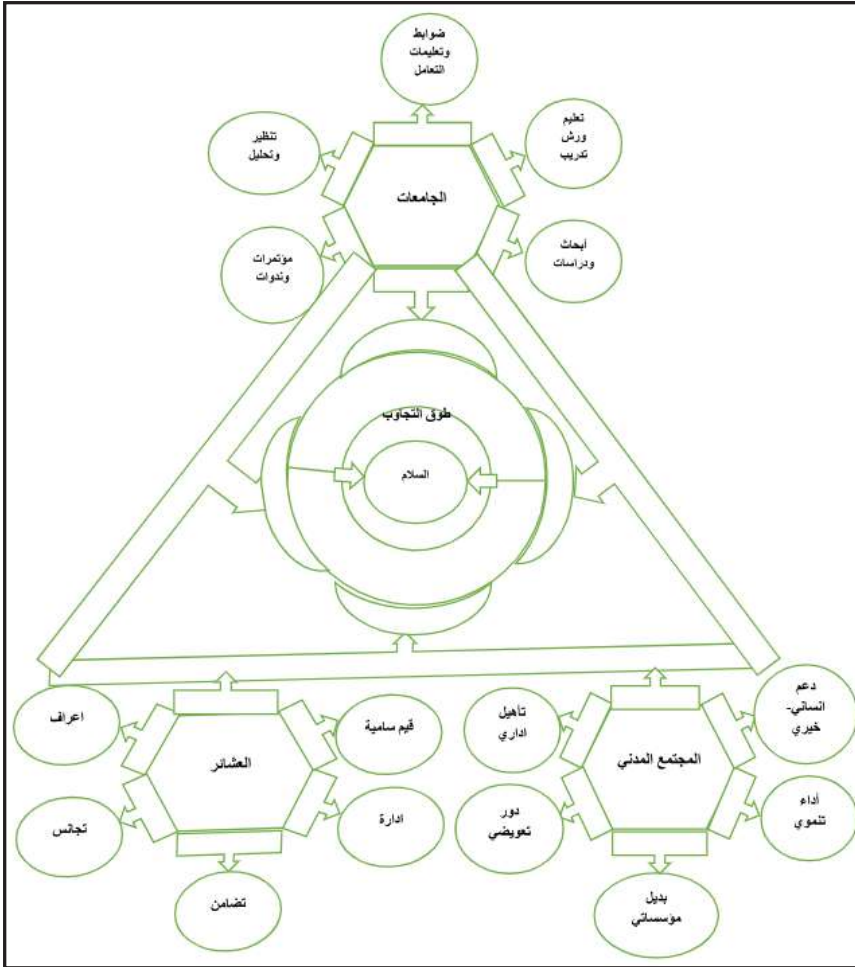
ان العشائر هي نسيج متماسك حافظ على عنوانه الاجتماعي، ودافع عنه فهي حملة صفات البداوة والريف ودمجتها فأنتجت الاصاله فأبناءها يحترمون التاريخ والانتماء ولا يوجد في قاموسها الاقصاء والتهميش والتهجير لأبنائها الا من يتخذ العنف منهجاً له، ولهذا منهجها العام السلام، فتشكل القبيلة رقماً يصعب تجاله في تشكيل السلام.

والعشائر على مر حقب التاريخ هي ضد العنف، واساس تعاملها السلام، فهي تمكنت من ضبط السلام العشائري، لكن كثيراً ما تجر لمواجهة دعاة العنف بعد استنفاد طرق السلام، ولهذا نجدها خسرت العديد من ابناءها، فعشائر العراقية في المدن التي شهدت نزاعات مسلحة خسرت اعداد كبيرة من ابناءها من ونذكر منها عشائر الوسط والجنوب والغرب ويمكن القول لا توجد عشيرة من عشائر العراق لم تفقد من ابناءها في النزاعات المسلحة التي حدثت في العراق والتي كان اشدها أحداث (2005-2006) و(2014-2016) ، اذا قاتلت العشائر العراقية المسلحين وتمكنت من بناء منظومة السلام العشائري في العراق ، ونجد العديد من أبناء القبائل في اليمن راحوا ضحية النزاع الدائر منذ 2014 التي راح ضحيتها اكثر من 20000 مواطن اغلبهم العشائر ونزح وهجر اكثر من 3.6 مليون مواطن كان اشدها في تعز والمهرة والجوف وحضرموت وصعدة ، لكن كانت مدونة السلوك المهرية من النماذج العشائرية الناجحة لبناء السلام، وتعرضت عشائر الشيعيات في سوريا، وفي ليبيا أعلنت المنظمات الحقوقية مناطق رشفانة وتاجوراء مناطق منكوبة، بعدما استهدفهم المسلحين المتطرفين في ليبيا.

وهذه الإشكالية: ميل العشائر للسلام وجرها للعنف التي تتفرع منها مشاكل كثيرة على شكل أسئلة منها: كيف تمارس العشائر التجاوب؟ وماهي طقوسه؟ كيف لنا عزل او تحييد معرقلي السلام العشائري ومن هم المؤثرين ومنهم صناع للعنف المجتمعي؟ ولماذا العشائر تتبنى استراتيجية تفسير الخلافات لبناء السلام؟ فكيف يعاد نسج البنية العشائرية من جديد بعد ما انجر جزء منها للعنف؟

إجابة لكل تلك التساؤلات، واختصاراً لها، ولكي نقف على أرضية خصبة تسعفنا في تشكيل السلام بجعل العشائر انموذجاً للتعايش السلمي يمكن القول: يقع على عتق العشائر نقل تجاربها المحملة بالتجانس والتضامن والتعاطف والتراحم والتساند والتكاتف والتعشق العلاقاتي ونشرها في مساحة أوسع عن طريق تعمير العلاقات بين العشائر لاسيما التي انضم ابناءها الى العنف بعد استضعافهم واذعانهم لدعااته العنف.

واختصاراً يمكن القول: ان الجامعات ومنظمات المجتمع المدني والعشائر ركائز استراتيجية ناجحة لتشكيل السلام، فان فعل دور الجامعات والمجتمع المدني والعشائر، صنع التجاوب المحلي وتفكك سلوك النزاع وضبط سلوك التوازن وهيمن، وأصبح السلام أكثر شيوعاً، والاجابة نخترها في بالمخطط الاتي: رقم: (3).

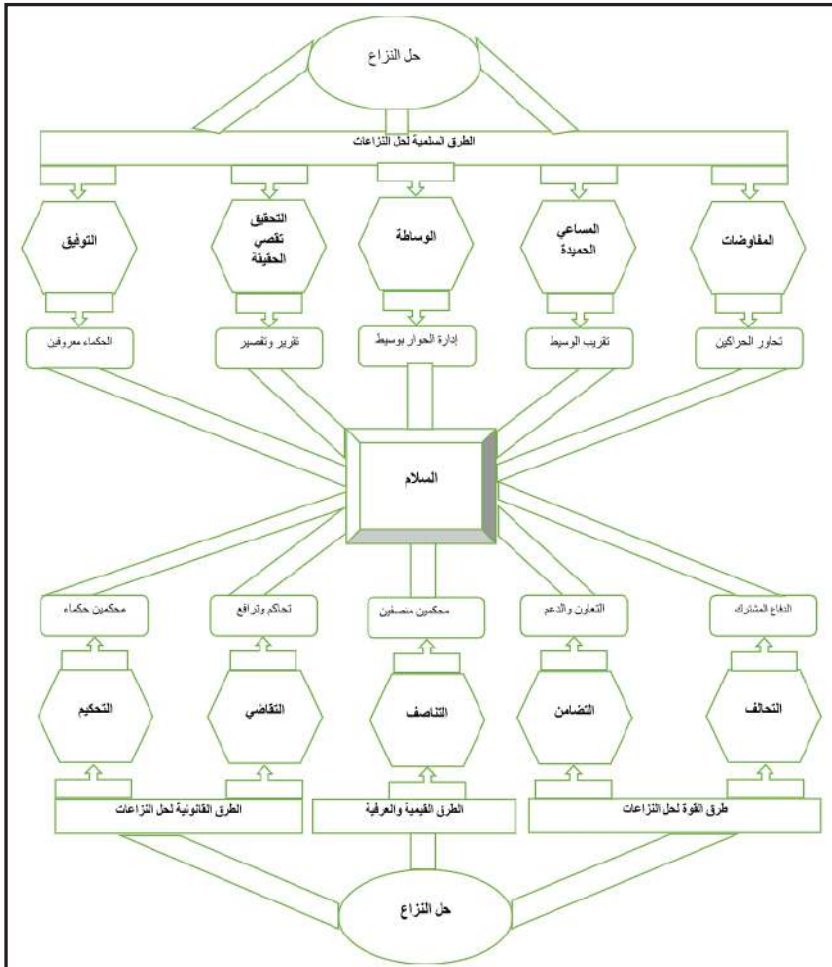


وهذا المخطط يسعفنا بعد ان اعترض طريقنا تساؤل: هل يمكن أن يحقق "التجاوب المحلي" طفرة في بناء السلام في العالم العربي المتأزم من خلال تحويل مسارات الازمات والنزاعات والصراعات وامنتها اجتماعياً؟

والاجابة: نعم يمكن للتجاوب المحلي ان يحقق طفرة في بناء السلام في العالم العربي المتأزم من خلال الاتي: ان التجاوب هو سلوك يأتي كردة فعل لمثير ما، وهذا يتطلب كيفية الاستثارة وتوليد الدافعية

لدى الفئات المجتمعية المعنفّة بـ: تركيز انتباه المتضررين على لذة السلام (الاثارة)، وحفاوة الاهتمام بالسلام (التشويق)، والسرد القصصي لتجارب السلام وابتاءة دورها في التعايش المجتمعي (التسويق)، وربط بناء السلام مع الحاجة (الدوافع الحقيقية) المجتمعية (الانتماء)، إيجاد العلاقة بين السلام وميول المجتمع وضروراته (الاستعداد).

وهذا يفضي الى الإجابة على الكثير من الأسئلة منها: كيف يحل الصراع في العالم العربي المتأزم؟ وكيف يهرب رأسمال (مستثمري) الصراع؟ واختصاراً تتم المفاضلة لسلوك احدى طرق حل النزاع ليسلكها دعاة السلام لتفكيك النزاع،⁽³⁸⁾ وتلك الطرق كثيرة يمكن ايضاحها بالمخطط الاتي:
رقم: (4).



Ruth Lapidoth , Some Reflections on Peaceful Means for the Settlement of inter-state Disputes , Georgetown University, Washington,(2011),pp9-22

(38)

الخاتمة:

ان هناك علاقة عكسية بين السلام والنزاع، وهذا الامر يعتمد كثيراً على اتجاه التجاوب المحلي الذي يتضمن بداخله اليات عدة ركائز للمفاضلة، وهذا إن دل على شيء فانه يدل على الاهمية للركائز الاستراتيجية الثلاثية التي يحملها التجاوب في المدركات المجتمعية. ومن هذا كله خرجنا من هذه التجارب التجاوبية بجملة من النتائج التي اثبتت صحة الفرضية منها:

- 1 - للسلام فروع تتكامل فتشكل السلام.
- 2 - ثبت ان للجامعات دور فاعل ومؤثر في بناء السلام وهي تعتبر نموذج مصغر للتعايش السلمي.
- 3 - ثبت ان لمنظمات المجتمع المدني دور فاعل ومؤثر في بناء السلام وهي تعتبر نموذج مصغر للتعايش السلمي.
- 4 - ثبت ان للعشائر دور فاعل ومؤثر في بناء السلام وهي تعتبر نموذج مصغر للتعايش السلمي.
- 5 - تنهى النزاعات بعدة طرق أفضلها الطرق السلمية، واسطها الطرق القانونية وأقصاها طرق الفرض بالإكراه.

كما خلصت هذه الدراسة إلى التوصيات الآتية:

- 1 - تبني استراتيجية تصفير الخلافات لبناء السلام.
- 2 - إعادة كتابة العلاقات المجتمعية بتبويضها وطي صفحاتها السوداء.
- 3 - تأسيس مراكز دراسات السلام.
- 4 - تفعيل دور الجامعة في تشكيل السلام.
- 5 - تفعيل دور منظمات المجتمع المدني في تشكيل السلام.
- 6 - تفعيل دور العشائر في تشكيل السلام.
- 7 - توجيه طلبت الدراسات العليا لتخصص في مجالات السلام وإدارة الصراع.
- 8 - ن تنقل تجربة الجامعة والعشيرة في التعايش والسلام الى المجتمع لتأهيله بعد الصدمة.
- 9 - إقامة ندوات وورش وحلقات حول السلم المجتمعي من قبل منظمات المجتمع المدني.



قائمة المصادر والمراجع (List of Sources & References)

First: Books

- 1 - Kathleen. Archibald, Strategic Interaction and Conflict, (United States: Institute of International Studies, University of California, (1966
- 2 - Bell .David, International Negotiation & Political Linguistics Unpublished Paper, (Canada: York University, 1988
- 3 - Carroll .John, Language Thought and Reality, (United States: The (MIT Press Cambridge, Massachusetts Institute of Technology, 1984
- 4 - Dyck .Charles K. V., Concept and Definition of Civil Society Sustainability, (United States: Center for Strategic and International Studies, Georgetown University, 2017
- 5 - Cohen .Herb, You Can Negotiate Anything, United States: Bantam, (1980
- 6 - Fisher .Roger & William. Ury, Getting to Yes: Negotiating Agreement Without Giving in, Second edition, (United kingdom: Random (House Business, 1988
- 7 - Forsyth .Patrick, How to Negotiate Successfully (United kingdom: (Sheldon Press, 1991
- 8 - Habeeb .William, M., Power and Tactics in International Negotiation, (United States: The Johns Hopkins University Press, 1988



- 9 - Hassan .Wageih H., A Linguistic Analysis of Mechanisms Underlying Power, International Political Negotiations A Dissertation,(United (States: Georgetown University, 1989
- 10 - Ikle .Fred C., How Nations Negotiate, Institute for Diplomacy,(United (ed States: Georgetown University,1988
- 11 - Hull .LW H., History and Philosophy of Science, (United Kingdom: (Longman, 1965
- 12 - M.Pugh, et al. (Eds.) , Whose Peace? Critical Perspectives on the Political Economy of Peacebuilding, New Security Challenges (United (Kingdom: Palgrave Macmillan, 2008
- 13 - Gelfand .Michele J. & Brett .Jeanne M., The Handbook of Negotiation and Culture, (United States: Stanford University Press Stanford, 2004
- 14 - Nierenberg .Gerard I., Gerard Fundamentals of Negotiating, Second (Edition (United States: Harper & Row, 1987
- 15 - Nierenberg .Gerard I., Gerard, Fundamentals of Negotiating, First (Edition,(United States: Harper and Row, 1973
- 16 - R.L. Beals, et al An Introduction to Anthropology, 5th edition,(United (ed Kingdom: Macmillan Ltd, 1977



- 17 - Salacious .Jeweled, Making Global Deals: Negotiating in the International Market (United States: Houghton Mifflin Harcourt, Massachusetts 1991
- 18 - Snyder .Glenn H. & Diesing. Paul, Conflict Among Nations: Bargaining, Decision Making, and System Structure in International Crises, United States: Princeton University Press 1977
- 19 - Brams .Steven J., Game Theory and Politics, (United States: Free (Press, 2011
- 20 - Kuhn .Thomas S., The Structure of Scientific Revolutions, International Encyclopedia of Social Sciences, Second Edition, (United (States: Enlarged, The University of Chicago,1970

Second: Magazines & Periodicals

- 1 - Meltz .Danielle, “Civil Society in the Arab Spring: Tunisia, Egypt, (and Libya”, University of Colorado, United States,(March 29, 2016
- 2 - Guerra .Francisco, “Aztec Science and Technology”, In: History of Science: An Annual Review of Literature, Research And Teaching, (Cambridge, United Kingdom ,Vol.8, (1969
- 3 - Buchdahl .G., “History And Philosophy of Science At Cambridge”, in: History of Science,Vol.I,W. Heffer & Sons, Cambridge, United (Kingdom,(1962



- 4 - Millican .Juliet, “Universities and Conflict: The Role of Higher Education in Peacebuilding and Resistance”, Routledge Studies in Peace and Conflict Resolutio, Forthcoming, George Routledge, United Kingdom, November 14,)2017
- 5 - Thompson .Leigh, “Negotiation Behavior and Outcomes: Empirical Evidence and Theoretical Issues”, Psychological Bulletin, American Psychological Association Clark Atlanta University ,United States, (Vol. 108, No. 3,)1990
- 6 - A. P. Martin, “Do Tunisian Secular Civil Society Organizations demonstrate a process of Democratic learning?”, The Journal of (North African Studies, United Kingdom, Vol 20,No.5, (2015
- 7 - Moghadam .Valentine M., “What is democracy? Promises and perils of the Arab Spring”, Current Sociology Monograph, Northeastern (University, United States, Vol.61, No.4, (2013
- 8 - Snyder .Glenn H.,” Prisoners Dilemma and Chickens Models in International Politics”, International Studies Quarterly, United King-(dom, Vol 15, Issue 1, (1 March 1971
- 9 - Weber .Peter, “Modernity, Civil Society, And Sectarianism: The Egyptian Muslim Brotherhood And The Takfir Groups, International Journal of Voluntary and Nonprofit Organizations, Berlin,Heidel-(berg, Germany,Vol. 24, Issue 2,(June 2013



Third: Master's Thesis and Ph.D

- 1 - Pacheco .Ivan F., Conflict, Postconflict, and the Functions of the University: Lessons from Colombia and other Armed Conflicts, Dissertation Director: Philip G. Altbach, Boston College, Dissertation, (2013**
- 2 - Edwards .Michael, Building peace in Libya, Supervisor: Manuela Nilsson Examiner: Anders Nilsson , Social Sciences ,Linnaeus University, Master thesis in Peace and Development Studies,(20th January 2014**

Fourth: Reports

- 1 - Smith .Alan, The hidden crisis: Armed conflict and education, The influence of education on conflict and peace building, Education for All Global Monitoring,(2011**
- 2 - Matthews .Lloyd J., Winning the war by winning the peace strategy for conflict and post-conflict in the 21st century , Fifteenth Annual Strategy Conference, Carlisle Barracks, Pennsylvania (April 13-15, (2004**
- 3 - Chaabouni .Jamil. el.al. “The role of Tunisian universities in regional (development, (2011**
- 4 - Lapidoth .Ruth, Some Reflections on Peaceful Means for the Settlement of inter-state Disputes, Georgetown University, United States,2011**



5 - Barry Buzan, “The ‘War on Terrorism’ as the New ‘Macro-Securitization’?” Oslo Workshop. Oslo,(2-4 February 2006

Fifth: Conferences, Workshops & Seminars

- 1 - Hill .Thomas E., Establishing Peace and Conflict Studies Programs in Iraqi Universities: Necessary Conditions and Short-Term Implications, University of Pennsylvania Scholarly Commons,(1-1-2014**
- 2 - Kacsó. Zsuzsanna, Peace Consolidation Strategy Building: From (Analysis to Approach Selection,CPCA, (November 2014**



ظاهرة الارهاب وانعكاساته على المجتمع وطرق معالجتها

زينب خالد حسين

جامعة بغداد

dr_zainabkhalid@yahoo.com

(المقدمة)

ان شيوع اعمال العنف والارهاب والقتل الفردي والجماعي ظاهرة تجتاح عالم اليوم ولا يكاد يخلو يوم من الايام دون ان نسمع او نشاهد عبر وسائل الاعلام من هذه الجرائم الخطيرة والعنيفة والمدمرة .

للارهاب مسارات عدة تتبناها مختلف الجماعات ، سياسية كانت ام دينية او غيرها حيث لها اساس فكري تنطلق منه في تبريراتها ، ومع شديد الاسف ان الاضواء تسلط اليوم على الارهاب الديني بعيداً عن الاضواء التي لم تسلط على ارهاب الدول واحتلالها لدول اخرى ، وتشاهد اليوم على الساحة العربية الإرهاب الديني ، مع العلم ان هذا النوع من الارهاب لا يمكن اطلاقه فقط على الدين الاسلامي ، وانما يشمل كل الديانات الاخرى ، فالارهاب ليس له دين معين او دولة معينة او حزب معين او قومية معينة او طائفة معينة ، وهذا ما نشاهده من عمليات ارهابية في مختلف دول العالم وفي مختلف بقاع الارض .

الاعمال الارهابية لا يعيرون اي اهتمام لحجم الارواح البرينة التي تزهق ، وقيمة الاموال التي تدمر ، والشعور بالأمن والطمأنينة الذي يفقد في سبيل تحقيق اهدافهم وذلك بسبب اصرار اولئك الاشخاص على تحقيق تلك الاهداف النابعة عن اساس عقائدي ارتبطوا به ويستمدون افكار منه .

أهمية البحث :

تعتبر دراسة ظاهرة الارهاب وانعكاساته ، أحد الجهود لألقاء الضوء على خطورة الارهاب المنظم اذ وجد انه يفوق خطورة الارهاب العشوائي او التقليدي ، اذ ان التنظيمات والتخطيط المسبق للوصول الى غاياتها وتكمن اهمية البحث كونها تعالج ظاهرة خطيرة تعاني منها دول كثيرة سواء المتقدمة منها او النامية .

اشكالية البحث :

شهدت نهايات القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين مصطلحاً جديداً سمي الارهاب ، مع العلم ان هذا المصطلح ليس جديداً في معناه بل في مسماه ، وبغض النظر عن عمقه التاريخي والاساليب العنيفة المتبعة في تنفيذه ، فقد اصبح الارهاب ظاهرة تستحق البحث والدراسة من قبل التخصصات المختلفة ، فقد خلص عدد من علماء النفس والاجتماع الى ان ظاهرة الارهاب ترتبط في اغلب الاحوال بالمتغيرات الاجتماعية المحيطة بها ، وفي بحثنا هذا سوف نبث الامور التالية:-

اشكالية ظاهرة الارهاب

ماهي انعكاسات الارهاب

كيفية معالجة الانعكاسات الناجمة عن الارهاب .

هيكالية البحث :

في ضوء اشكالية البحث ، فسيتم تناول البحث وفق المحاور التالية :

المحور الاول : تعريف مصطلح الإرهاب .

المحور الثاني : الانعكاس الديني للإرهاب وطرق معالجته

المحور الثالث : الانعكاس الاجتماعي للإرهاب وطرق معالجته

المحور الاول :- ظاهرة الارهاب (Terrorism)

لاشك ان الارهاب يرتبط في اذهاننا جميعاً بالمتفجرات وطلقات الرصاص وخطف الرهائن . او بعبارة مختصرة بأسلوب فريد للعنف ، وعلى الرغم من وضوح هذا المعنى فإن الارهاب كمصطلح يثير صعوبات عند محاولة الاقتراب منه وتحديد ماهيته ، واذ يبدو ان لهذا المصطلح استعمالات مختلفة فرضها تباين وجهات النظر حول ما يدخل تحت مصطلح الارهاب وما لا يدخل في اطاره ، والواقع ان اساءة استعمال مصطلح الارهاب ومحاولة كل طرف في الصراع تبرئة نفسه من تهمة الارهاب (1) . ويمكن تعريف الارهاب بشكل عام ، على أنه استعمال غير شرعي للقوة او العنف او التهديد باستعمالهما بقصد تحقيق اهداف معينة ، والارهاب في هذا الاطار هو الذي يتعدى العمل المخالف للقوانين الداخلية للدولة ، او حتى ذلك الذي لا يخالفها ، الى كونه مخالفاً لمبادئ القانون الدولي وقواعده (2).

(1) طارق عبدالعزيز صمدي ، المسؤولية الجنائية والمدنية عن جرائم الارهاب الدولي ، دار الكتب القانونية ، مصر 2008 ، ص 8 .

(2) شفيق المصري ، مكافحة الارهاب في القانون الدولي ، شؤون الاوسط ، العدد 74 ، تموز 1998 ، ص 15 .

((مصطلح الارهاب في القرآن الكريم))

لم ترد كلمة (الارهاب) بمعناها الصريح في القرآن الكريم ، ولكنها وردت تحت الفاظ اخرى في عدد من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الارهاب منها :

قوله تعالى في سورة البقرة الآية (40) : [وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ] (3) ، هنا وردت لفظة فأرهبون بمعنى فخافوني من نقضكم العهد (4) ، ووردت في قوله تعالى في سورة الانفال الآية (60)

[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] ، أي كونوا اشداء على الكافرين (5)

وقوله تعالى في سورة الاعراف الآية (154) [أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] أي يخافون ويتحززون من غضبه (6) وجاء في قوله تعالى من سورة الحشر الآية (13) (لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله) والرهبة هنا مخافة مع تحرز واضطراب . (7)

ووردت مشتقات كلمة رهب في القرآن الكريم ثمان مرات بصيغ مختلفة مثل (يرهبون ، استرهبوم الرهب ، رهبة ، رهباً)

المعنى السوسولوجي للارهاب:

تعد ظاهرة الارهاب من اخطر الظواهر الاجتماعية التي تواجهها المجتمعات الحديثة ، ذلك لما تتجاوز البعد الشخصي الى حد جعل الظاهرة حالة اجتماعية تؤثر في جماعة سواء اكانت صغيرة او كبيرة في داخل المجتمع .

ويمكن ان نجد في الدراسات المتعلقة بميدان علم الاجتماع الجديد ما يناسب تحليل ظاهرة الارهاب وعليه فتحليل الارهاب بوصفه جريمة اجتماعية ينتهي بنا الى ادراجه ضمن ميدان الاجتماع الجنائي (8) ، اذ يعرف الارهاب بأنه : كل تصرف او سلوك بشري ينزع الى استعمال قدر من القوة القسرية بما في ذلك الاكراه والاذى الجسدي لتحقيق غايات معينة وهذا السلوك البشري القسري غير سلمي يحدث بين الافراد او اجماعات او السلطات بعضها تجاه بعض داخل مجتمع معين (9) .

(3) سورة البقرة ، آية (40)

(4) العلامة السيوطي : الباب الاول القول في اسباب النزول ، تذييل حسين محمد مخلوف ، بغداد (1988) ، ص 8 .

(5) القرآن الكريم : سورة الانفال : الآية 60 .

(6) العلامة الطباطبائي ، مختصر تفسير الميزان ، إعداد كمال مصطفى شاكل ، بغداد ، 2006 ، ص 208 .

(7) العلامة السيوطي : الباب القول في اسباب النزاهة : مصدر سبق ذكره ، 264 .

(8) فضل عباس فرج الله ، الارهاب ، الايديولوجية والسلطة ، مجلة مدارك ، السنة الاولى ، العدد (3) عام 2006 ، بغداد ، ص 155 .

(9) ياسر خالد بركات ، الارهاب في المنظور الاقتصادي وتداعيات الحلول ، مجلة النبأ ، العدد (78) سنة (11) ، 2005 ، بغداد ، عدد خاص عن العنف والارهاب .

المعنى السيكولوجي :

يعد الارهاب من الناحية النفسية النزعة الارهابية او المذهب الارهابي بث الرعب الذي يثير الجسم والعقل أي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة او حزب تحقيق اهدافها عن طريق استعمال العنف والقوة وتوجه الاعمال الارهابية ضد الاشخاص سواء اكانوا افراداً او ممثلين سلطة ، ممن يعارضون اهداف الجماعة ويعد هدم العقارات واتلاف المحاصيل في بعض الاحوال شكلاً من اشكال النشاط الارهابي ، ومن الناحية النفسية يحدث هذا الرعب في الحروب , Terror of combat وفي اثناء الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والسيول والاعاصير والعواصف وقد يشعر الناس من جراء الارهاب بالالام المصحوب بالخوف الشديد (10) والارهاب بوصفه مذهب يشير الى الذعر الناشئ عن ممارسة الارهاب بترويع الناس واكراههم على امر بطريقة الارهاب اي اخضاع الناس لارادة الارهابي وهي ارادة شاذة ومنحرفة فالارهابي خارج عن القانون والجماعة التي ينتمي اليها (11).

ويقول (برنو) ان الدافع الذاتي عامل مهم ومؤثر في الفعل الارهابي فاذا ما حمل الانسان غريزة عدوانية في ذاته يكون لديه ميل الى العمل الارهابي ولديه الاستعداد للانخراط في صفوف المنظمات الارهابية (12) .

المعنى القانوني للارهاب :

يتضمن الارهاب من الناحية القانونية كل السلوكيات المخالفة للقانون ، والتي تهدف بالأساس الى تخويف الناس وارهابهم لتحقيق اهداف سياسية او عرقية او دينية . ويعرف د. عبدالعزيز سرحان الارهاب بقوله هو كل اعتداء على الارواح والممتلكات العامة او الخاصة بالمخالفة لاحكام القانون الدولي بمصادره المختلفة ، وهو بذلك يمكن النظر اليه على اساس انه جريمة دولية اساسها مخالفة القانون الدولي ... ويعد الفعل ارهاباً دولياً ومن ثم جريمة دولية سواء قام به فرد او جماعة او دولة كما يشمل اعمال التفرة العنصرية التي تبشرها بعض الدول (13)

(10) عبدالرحمن محمد العيسوي : سيكولوجية الارهاب ، ط1 ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت - لبنان (2005) ، ص159 .

(11) فضل عباس فرج الله ، الارهاب الايديولوجية والسلطة ، مصدر سبق ذكره ، ص99-100 .

(12) حسن طوالة ، الارهاب الثوري والكفاح المسلح ، مجلة الحكمة ، العدد 21 ، السنة الرابعة ، بغداد ، 2001 ، ص78 .

(13) محمد عوض الترتوري و اغادير عرفات جويحان ، الاسس الفكرية والنفسية والاجتماعية والتربوية لدراسة الارهاب ، ط1 ، دار ومكتبة الحامد للنشر ، عمان ، الاردن ، 2006 ، ص33 .

لهذا فإن القانون له وجهة نظر معينة تجاه الارهاب ، اذ يعرفه على انه : جريمة مقصودة ذات دافع سياسي ، اما في زمن الحرب ، فيمكن ان تكون مجرد تقنية عسكرية من فرد او اكثر لصالح جماعة ما او منظمة ما او نظام حاكم يمثل دولة ، وتهدف فضلاً عن خلق الذعر ، زعزعة نظام سياسي قائم او في طور القيام او محاولة القضاء عليه (14) .

وبناء على التعريفات السابقة نستطيع صياغة التعريف الاجرائي الاتي الارهاب : هو كل فعل عنيف سواء اكان مادياً او معنوياً من شأنه اثارة الرعب والقلق بين المواطنين في مجتمع معين ، وفي وقت معين يقوم به افراد او جماعات معينة تتخذ من العامل السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي او الديني غطاءً لها لتنفيذ تلك الاعمال وصولاً الى غاياتها .

المحور الثاني:- الانعكاس الديني للإرهاب وطرق معالجته

يتعرض الاسلام الى حملات تستهدف تشويه صورته واظهاره الى العالم بصورة الداعي الى التطرف والارهاب ، هذه الحملات ليست جديدة ، انما تتخذ اشكالاً بين حين وآخر ، وهي في هذا الوقت تتخذ شعار ” الارهاب ” ، فأصبح الارهاب في ذهن الكثيرين يرتبط بالعروبة والاسلام . (15)

ان ارتهان العالم العربي والاسلامي للغرب غير المسلم والمعادي في تطلعاته وتوجهاته للإسلام هذه التسويغات وتسويغات اخرى كثيرة غيرها اتخذت منها الحركات الاصولية شعارات لإثبات وجودها ولكسب المناصرين لها ووجدت ان تنفيذها لا يكون بالحكمة والموعظة الحسن بل باللجوء الى القوة .

ودأبت على ايجاد التفسيرات التي تخدمها معتمدة في ذلك تأويل آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة ، بما يخدم أغراضها . (16)

ان للمؤسسة الدينية دوراً مهماً وحساساً في عملية التنشئة الاجتماعية في جميع المجتمعات ، فالدين من أهم النظم الاجتماعية لما يقوم به من وظائف في حياة الناس ومن تقرير الاستقرار والنظام ولا توجد عاطفة او شعور انساني اقوى تأثيراً من العاطفة والشعور الديني (17) .

(14) امل يازجي : ومحمد عزيز شكري : الارهاب الدولي والنظام العالمي الراهن ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق – سوريا (2002) ، ص70 .

(15) علي موسى الددا ، موقف الاسلام من العنف والارهاب الدولي ، دار البداية ، عمان ، 2010 ، ص12 .

(16) عقيل يوسف عيدان ، اثر التربية والتعليم في نمو ظاهرة الارهاب ، العدد 78 ، آب 2005 ، بغداد ، ص11 .

(17) احمد ابو زيد : البناء الاجتماعي / الانساق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1977 ، ص538 .

ويمكننا القول ان للإرهاب اتجاهات عدة تتبناها الجماعات والتيارات والتنظيمات السياسية المختلفة التي توصف بها ، فهناك الإرهاب الديني على سبيل المثال ، وهذا يعني منطلق أيديولوجي تنطلق منه تلك الجماعات في تنظيراتها وتشكيلاتها وتبنيها للمسلك الذي تنتهجه ، ان الارهاب الديني هو اوضح انواع الإرهاب انتشاراً في العالم ، وهذا لا يعني ان الانواع الاخرى غير موجودة مثل (الإرهاب القومي والارهاب السياسي ... الخ) ، ولا يمكننا القول أن الدين أو المذهب المعين ، يحرضان على الارهاب ، ولكن أتباع الدين هم الذين يستغلون نصوصاً يعتقدون أنها تسوغ أفعالهم ، فالدين بهذه الحال يصبح سلاحاً ذا حدين .

واذا اردنا التماس اثر الدين في ظاهرة الاجرام يتبادر الى الاذهان للوهلة الاولى ان الدين عامل مضاد للأجرام ، فالدين يقف من الجريمة موقف العداء ، فجميع الاديان تحض على فعل الخير وترك المنكر ، فلا يعقل ان يكون الدين احد عوامل ارتكاب الجريمة .

وبما ان الارهاب نوع من الجريمة ، يستغل الدين للوصول الى اهدافه وهذا ما تطرق اليه علماء النفس من حيث الغاية والمعنى وقد يعني الاتفاق بين مجموعة من الافراد من ذوي الاتجاه الديني الواحد في حكم قبول شخص او جماعة ، هذا الحكم يكون سابقاً لوجود دليل منطقي او من دون دليل اطلاقاً في اصدار الاحكام التكفيرية على الآخرين⁽¹⁸⁾ ، لا لشيء إلا للاختلاف في وجهة النظر فقط فيما هو احق بالاتباع مما هو ليس بحق في اتباعه ، وكان من الطبيعي ان تلقى دعوات الحركات الاصولية الاسلامية او الاسلام السياسي او الأسلاموية (كما يفضل ان يطلق عليها معظم المراقبين الاكاديميين) قبولاً من الافراد ولو بنسب قليلة .

ولقد شهد العالم العربي والإسلامي في الأعوام القليلة الماضية ظاهرة لافتة تمثلت في تصاعد نمو الارهاب والتطرف الديني الامر الذي اثر في الاستقرار العام وانعكس سلباً في التنمية والتقدم ، كما اظهرت الانسان المسلم / العربي امام المجتمع الدولي وكأنه كائن متخلف يمارس القتل والترهيب من دون رادع ديني او اخلاقي او انساني ، يعود السبب في ذلك الى ان المتطرف قد تستر وراء الدين لتسويق افعاله ، وبالعودة الى تاريخ نشوء هذه الظاهرة يتبين ان لها جذوراً عبر التاريخ ، اذ دائماً كانت تقوم جماعات بممارسة العنف ظناً منها انها بذلك تحاول تغيير الواقع انطلاقاً من رفضها للصيغ السياسية القائمة او لأنماط العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة ، وتفاقت هذه الظاهرة بشكل لافت للنظر في الربع الاخير من القرن العشرين⁽¹⁹⁾

(18) اقبال الغربي : مقارنة نفسية لفهم التطرف الديني ، موقع شفاف الشرق الاوسط (2005)

(19) عقيل يوسف عيدان ، اثر التربية والتعليم في نمو ظاهرة الارهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص3.

ان ايجاد المسوغ الديني لأي عمل عنيف او ارهاب امر ليس بالصعب ذلك أنه يكفي لأقناع المتدين الساذج بعمل ما هو تحفيز جانب التعصب للدين عنده وسوف ترى انه ينطلق بلا هوادة ، والغريب ان هذه العاطفة كما يمكن أن تكون سلبية في حالة الارهاب كما نشهده الان فهي يمكن ان توجه وجهة ايجابية نحو القيم الصالحة وأحترام الآخر والتكافل الاجتماعي وغيرها من النواحي الايجابية في حياة الناس ، ولكننا نجد من يتحكم او يملك التحكم بهذه العاطفة وهم عادة القادة الدينيين والسياسيين في كثير من الاحيان لا يوجهونها الوجهة المناسبة ومن ثم فإنها سوف تتوجه من الجماعات المتطرفة بالاتجاه السلبي كنتيجة للتخلي عن المسؤولية الانسانية التي يجب ان يتحملها هؤلاء القادة السالفين وهنا يجب ان يؤدي المفكر النهضوي المعاصر دوره في ايجاد التوافق بين ما هو صالح فكرياً وقيماً وبين الواقع المعاش (20) .

ويقول د. عزت سيد اسماعيل في كتابه (سيكولوجيا التطرف الارهاب) ما نصه : (وفي الواقع ، فإن اهتمامنا بعملية (غسيل المخ) انا ينبع اساساً - في رأينا - من ان الكثيرين يمارسون صور الارهاب المختلفة ، قد خضعوا لعمليات غسيل المخ بحيث اصبحوا مدفوعين في سلوكهم بدوافع عنيفة املتتها عليهم تلك المؤثرات الانفعالية الهائلة التي خضعوا لها) ، وعلى هذا الاساس فإن المتفكرين يستغلون الاوضاع الاقتصادية والسياسية ليبنوا على وفقها نظرياتهم ويدعموا آراءهم التي هي في فحواها نقد للواقع ورفض له مع الحرص دائماً على تقديم البديل على ان يكون البديل ذا ثوب اسلامي لكي يلقي استقطاباً من الجماعات التي تعد نفسها متضررة من الواقع الاقتصادي أو السياسي ، والمعلوم ان هناك علاقة متينة ما بين الدين والسياسة من حيث أن الإسلام في الفكر الجمعي للمسلمين دين ودنيا ، إيمان وسياسة ، إدارة الحياة الدنيا والارتباط بالحياة الآخرة معاً (21) . وفي التاريخ الإسلامي أمور كثيرة كانت مثار خلافات سياسية أدت إلى نشوء فرق وأحزاب ذات أغراض سياسية أمتزج فيها الديني والسياسي ولاسيما حينما كان الامر يتعلق بالأمامة والخلافة وأصول الحكم وفلسفته .

وعلى هذا الأساس تستمد الحركات الإسلامية بعض عناصر تكوينها من طبيعة الثقافة المسيطرة في المجتمعات العربية الإسلامية ، وهي ثقافة يغلب عليها الطابع التقليدي وتحكمها المعايير الدينية سواء على مستوى القيم الفردية أو الجماعية ، وفي هذا المحيط الثقافي تتضح فعالية الخطاب السياسي الإسلامي الذي تقدمه الحركات الإسلامية ، ولا ترجع هذه الفعالية إلى المهارة التنظيمية لهذه الحركات ، بقدر ما ترجع إلى طبيعة البيئة الثقافية التقليدية التي تتجاوب مع الخطاب ، لهذا

(20) فضل فرج الله عباس ، الارهاب (الايديولوجية والسلطة) ، مصدر سبق ذكره ، ص2 .

(21) عزت سيد اسماعيل ، سيكولوجيا التطرف والارهاب ، حوليات كلية الاداب ، الكويت ، 1996 ، ص25 .

فليس ضرورياً دائماً أن تقدم تلك الحركات برامج سياسية واجتماعية تعبر عن ثقافة سائدة وتستغل أفكاراً ومفاهيم معينة فيها تفسرها تفسيراً يتلائم مع غاياتها ووسائلها وتوظفها من أجل تلك الغايات وتسويغ وسائل العنف ، من هنا فإن مواجهة الطروحات السياسية الأصولية تكمن في نشر ثقافة سياسية تسهم في توعية المواطنين وفي إتاحة المجال لهم لمناقشة قضاياهم والمساهمة في معالجة معاناتهم لكونهم المعنيين الاساسيين ولأن أي أزمة سياسية واقتصادية حاصلة فإنها تمسهم قبل غيرهم ولذلك عندما يشعرون بأنهم مغيبون فأنهم يلجأون الى التعبير عن امتعاضهم بطرق غير مشروعة وأقلها عبر الإنتماء إلى تنظيمات أصولية تملك كل مقومات أستغلالهم (22).

مما لاشك فيه ان شيوع الجرائم الارهابية الوحشية في غمار عمليات مخططة بغير تمييز ، وسقوط عشرات الضحايا من أفراد الشعب البسطاء ، كل ذلك أوجد إجماعاً شعبياً على الأستنكار الشديد لجرائم العنف ولاسيما بعد ما تبين أن هناك شبكات دولية تمول وتتصل بالعناصر الإرهابية .

وقد عمل رواد الفكر بعمق وعقلانية لتحديث وعصرنة المفاهيم الاسلامية ولم يستهدفوا نشر الاسلام بالقوة بل تحويله الى رافعة تحمل المجتمعات العربية والاسلامية في سبيل تمكينها من مواجهة التحديات من الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة ولقد وعى هؤلاء الرواد مثلاً قضية المرأة واسهموا فعلاً في تحريرها وشجعوا مشاركتها الفعالة في نواحي الحياة المختلفة ودافعوا عن الرأي والرأي الآخر ، اما الأصولية السلفية فتستهدف تقييد حركة المجتمع وجعله أسير الماضي وللأسف ليس الماضي المشرق وتسعى بأسم الاسلام لتمييز نسيج المجتمع الواحد وملاحقة الآخر بسبب انتمائه الديني او المذهبي والطائفي ، فالحركة الأصولية السلفية ، واقتصد بها الاسلام السياسي تقدم اليوم برنامجاً ناجزاً للخراب العام ومن ثم لإلغاء المجتمع (23) .

ان حضور المشروع التكفيري الارهابي لاشك فيه بحكم نزوعه الى العنف والذي يؤدي الى سقوط عشرات الضحايا غير انه يمكن القول بأن الذي ساعد على حضوره بقوة في السنوات الاخيرة هو غياب المشروع الديني المعتدل وفي وسط الموجات والتيارات المتطرفة في العالم ظهر التطرف والغلو في المجتمعات الاسلامية ، والاسلام دين يسر ووسطية فقد قال الله تعالى (قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) (المائدة : 77) ، وقد حذر رسول الله (ص) من الغلو في الدين فقال (اياكم والغلو في الدين فأنما اهلك من قبلكم الغلو في الدين) وفي حديث اخر (لا تتشددوا في الدين فيشد الله عليكم فأن قوماً شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم) .

(22) عقيل يوسف عيدان ، اثر التربية والتعليم في نمو ظاهرة الارهاب ، مصدر سبق ذكره ، ص 12 .

(23) احمد ابراهيم مصطفى ، الارهاب والجريمة المنظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص 248 .

فالارهاب المرتبط بالتطرف العقائدي ليس مقصوراً على دين معين او مذهب محدد ، وانما هو مشكلة تعاني منها اغلب الاديان وكثير من المجتمعات في الوقت العالي وبعض المساجد لم تزل تجري على وتيرتها التقليدية من توجيه النصائح والارشادات الدينية بصفة عامة من دون الاهتمام بمشاكل الحياة الاساسية ،

والتوترات القائمة في المجتمع نتيجة الآراء الخاطئة والافكار السلبية السائدة فيه ويتولى الخطابة فيها من لا يحسنونها او يدركون ما قد يكون فيها من دوافع للتطرف والإرهاب ، ومن هنا كانت الحاجة ملحة لتدخل الدولة والاقواق للتصدي للآراء والفتاوى التي تبث الأفكار المتطرف في عقول الشباب من هذه المساجد وإخضاعها لأئمة ودعاة وعلماء متخصصين يصحون الرؤيا ويرشدون الشباب الى المبادئ الصحيحة للدين الاسلامي الحنيف ، ويحصنونهم ضد محاولات جذبهم للجماعات المتطرفة من كشف دعاواها الزائفة وفضح اهدافها البطالة (24) يتضح مما تقدم ان المؤسسة الدينية تلعب دوراً اساسياً في المجتمعات التي تعاني من انهيار المؤسسة السياسية ، اذ تأخذ على عاتقها مسؤولية المحافظة على الوضع الامني من خلال توعية افراد المجتمع ضد أفكار التطرف والإرهاب .

المحور الثالث :- الانعكاس الاجتماعي للارهاب وطرق معالجته :

لا يخفى على احد خطورة الجرائم الارهابية حتى اصبحت الجرائم العادية امامها اقل وطأة ، ويزيد من خطورة الجرائم الارهابية نسيج العمران الحديث واكتظاظ الناس واجتماعهم بكثرة داخل الاسواق والمجتمعات والادارات والمواصلات الجوية والبرية والبحرية واتحاد مصالحهم ومرافقهم ، لذلك صار العنف الارهابي يحدث خسائر كبيرة ويحدث ذعراً فضلاً عن شدة الفتك الذي تحدثه الاسلحة الحديثة والمتفجرات والقنابل التي يمتلكها الارهابيين (25) ،

ومن زاوية اخرى فإن تفكك المجتمع وعدم ترابطه يؤدي الى الشعور بعدم المسؤولية امام هذا المجتمع والحرص عليه ، فال فراغ العقلي والنفسي ، ارض خصبة لقبول الافكار الهدامة ، تؤدي في نهاية المطاف الى ايجاد فنة ضالة تسعى لأشباع هذه الاحتياجات وتعويضها بطرائق غير شرعية وعدوانية (26) .

(24) احمد ابراهيم مصطفى ، الارهاب والجريمة المنظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص249 .

(25) محمد المدني بوساق ، الارهاب واخطاره والعوامل المؤدية اليه واساليب مكافحته ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، الدوحة ، 2004 ، ص19 .

(26) تركي حسن عبدالله ابو العلا ، الخدمة الاجتماعية في مجال الارهاب ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة ، 2010 ، ص58 .

ويمكن تقسيم الآثار الاجتماعية التي يسببها الارهاب الى :

1 - الجناية على الابرياء : تضرر كثير من الابرياء ، فربما ليس لبعضهم ذنب الا انه عرف احد منهم او زاملهم او استضافه من دون علم بحقيقة مقصده ، فتكون تلك الرفقة شؤماً عليه ، وقد يعاني الولايات حتى تثبت براءته .

2 - تخويف الآمنين : من آثار الارهاب على المجتمع ادخال الرعب على المسلمين وتخويف للآمنين والقلق للهانئين ، واذا كان الدين ينهى عن ترويع المؤمن حتى لمجرد المزاح فكيف بمن يروع قلبه ويخوف اهله ويقض مضجعه بلا ذنب جناه او خطأ ارتكبه .

3 - صرف الناس عن الطاعة : اي انها تصرف الناس عن الطاعة وتشغلهم عن العبادة وتصرف جهد العلماء واقلام الدعاة ، افكار الولاة عن السعي لمنافع المؤمنين والسير لمصالح المسلمين والاشتغال بهم وصرف كل الجهد للسلامة (27).

4 - الاحراج القبلي والعائلي : على الرغم من ان الارهاب ليس له جنس ولا وطن ولا مكان معين وعلى الرغم انه من يزر وازرة وزر اخرى ، الا ان بعض من وقعوا في شباكه ممن ينتسبون الى قبائل معروفه سببوا حرجاً كبيراً لهم واصبحوا يرونهم نقطاً سوداء في سجلاتهم ، اذ ان استعمال القوة وسيادة العنف من شأنه عرقلة المساعي لبناء المواطنة وتعزيزها كمبدأ معروف بديل عن انماط العلاقات الاولى - العشائرية - القبلية - الطائفية . والمجتمعات التي تدير اوجه الاختلاف سلمياً بدل ان تترك امور الاختلاف تفجر صراعات مدمرة في جنباتها (28).

ومن التأثيرات السلبية التي يتعرض لها المجتمع جراء الارهاب المنظم (29) :

1 - تضائل الشعور بالامن لدى المواطنين مع شيوع جو من القلق والتوتر والاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة تفشي الاعمال التخريبية والاعتداءات المتكررة .

2 - يهدد الارهاب الاستقرار الاقتصادي ويؤثر في معدلات الانتاج وعجلة التنمية وموارد الدولة والدخل من السياحة والاستثمار الاجنبي ، وانعكاس ذلك كله سلباً على الاستقرار الاجتماعي وتماسك المجتمع .

3 - تنال الاعمال الارهابية من سمعة وهيبة المجتمع وبث الدعاية المضادة والمغرضة واستغلال الظروف في تنفيذ المخططات المعادية ضد مجتمعنا .

(27) تركي حسن عبدالله ابو العلا ، الخدمة الاجتماعية في مجال الارهاب ، مصدر سبق ذكره ، 75 .

(28) علي الكواري ، حوار من اجل الديمقراطية ، دار الطليعة بيروت ، ط1 ، 1996 ، ص143 .

(29) عبدالناصر حريز ، الارهاب السياسي ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1996 ، ص143 .

الخسائر المادية التي تنجم عن اصابة المنشآت الحيوية ومؤسسات المجتمع والبنى التحتية فيه. الامراض النفسية والالام الاجتماعية والمآسي الانسانية التي تنجم عن الاعتداء على الافراد وذويهم وفقد الابرياء في هذه الاعمال .

انعكاس تصرفات العناصر الارهابية على الاجيال المقبلة من تعاملهم العنيف مع الافراد والدولة في حال قصور البناء الاجتماعي عن التصدي لهذه التجاوزات واقتداء الاجيال القادمة بهذا الاسلوب الارهابي المنحرف وعجز وظائف المؤسسات الاجتماعية (الاسرة ، المدرسة ، الدين ، الاعلام الخ) من التصدي للارهاب ومواجهته بامكانياتها المتواضعة مقابل الامكانيات التي يمتلكها الارهاب بشكل متواصل .

عدم تواكب معظم افراد العناصر الارهابية مع حركة المجتمع الايجابية ونشاطه ، الامر الذي ينعكس على تصرفاتهم الشخصية تجاه المجتمع .

فبقدر ما يؤثر الارهاب في الاسرة فدورها يجب ان يسهم في الوقاية من الجريمة بصفة عامة والارهاب بصفه خاصة وبقدر ما تكون العناية بالاسرة تكون قدرتها على مواجهة الانحراف واصلاح اعوجاج الابناء والوقاية من الجريمة فالاسرة اقوى سلاح يستعمله المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي وهي البودقة التي تنصهر فيها شخصيات افرادها وتكتسب فيها القيم والعادات والتقاليد الحميدة (30) .

كما ان لرب الاسرة دوراً في توعية ابنائه في بناء اخلاقياتهم وتوجيه سلوكياتهم توجيهاً يتفق مع مبادئ وقيم المجتمع ، فالطفل الذي يربى في جو يسوده الود والتفاهم والثقة والمحبة والتوازن بين التقيد والتحرر يصبح من الاصحاء والاسوياء ، فبقدر ما لرب الاسرة من دور في الحد من السلوك الارهابي الذي يكتسبه الابناء جراء التنشئة الخاطئة فقد يكون للارهاب اثاراً سلبية في الاسرة من حصد ارواح هذه الاسر وترك الابناء للشارع وما فيه من افكار بعيدة عن المبادئ والقيم السائدة في المجتمع والذين يكونون اسرع تائراً بهذه الافكار بسبب انعدام الرقابة والتوجيه السليمين وقد يدفع ذلك الى انخراطهم في المجاميع الارهابية (31).

(30) احمد ابراهيم مصطفى ، الارهاب والجريمة المنظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص260 .

(31) محمد نيازى حنّانة ، حماية الامن العام ومكافحة الجريمة على المستوى الوطني والاقليمي والدولي ، مطبعة كلية الشرطة ، مصر ، 1995 ، ص41 .

كما للمؤسسة التعليمية دور بالغ الأهمية في تهذيب النفس للحد من التصرفات الإجرامية للفرد ، وإذا اجتمع للفرد العلم والالتزام الديني صح سلوكه وظهرت دوافعه ونوازعه الصالحة ، في هذا السياق نصت الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب في البند أولاً :

أ / 2 على أهمية تضمين المناهج التعليمية القيم الروحية والأخلاقية والتربوية كتدبير من تدابير الوقاية من الإرهاب ، فقد اثبتت الاحداث الارهابية انها نفذت بأيدي طلبة جامعيين ، لذلك فالاهتمام بطلبة المدارس والجامعات سيقضي على كثير من مشكلات تجنيدهم واستعمالهم ادوات تنفيذ في ايدي المتطرف والارهاب (32) .

ونلمس خطورة الارهاب المنظم ليس من كونه ظاهرة سياسية فحسب ، بل هو ظاهرة اجتماعية دفعت جانباً من الشباب الى الدخول في دائرة الاديان في البداية ، ومن ثم الدخول في دائرة التطرف هروباً من الصراع النفسي واليأس والفشل والبطالة ، كل ذلك شكل نسيجاً محسوساً من الاحباط العام يسري في صفوفهم ، وجعلهم اما هدفاً سهلاً امام مروجي الفكر المتطرف والارهاب ، وأما منطويين على أنفسهم .

تعد البطالة عاملاً أساسياً في الجريمة ولاسيما حينما تنتشر بين الشباب الذين قد لا يجدون وسيلة مناسبة لتلبية احتياجاتهم وتطلعاتهم المستقبلية في الحياة بطريقة مناسبة ، فيميلون الى تحقيقها من الجريمة ، ويؤدي بهم الى الوان مختلفة من الانحراف منه الارهاب والتطرف (33) ، فالعلاقة الايجابية بين الارهاب والبطالة تدفعنا الى مرحلة بناء وتطوير واصلاحات اقتصادية من وسائل عدة في مقدمتها ايجاد فرص عمل للشباب والقضاء على الامية ورفع المستوى التعليمي للشباب (34) بعد الأنهيـار السريع لنظام الحكم في العراق في 9/4/2003 ودخول القوات الامريكية بإعداد كبيرة وانعدام الاستقرار العام في البلد ، دخلت جماعات كانت ترى في الولايات المتحدة عدواً لها ، وبدأت تستهدف أفراد الجيش الأمريكي والقوات الاجنبية المتحالفة معه والمنشآت العسكرية التابعة لهم ومن هذه الجماعات جماعة تنظيم القاعدة التي جعلت العراق ساحة معركة ضد الولايات المتحدة الامر الذي ادى الى حدوث مصادمات كثيرة ومداهمات واسعة بحثاً عن افراد هذه الجماعة واعتقال اعداد كبيرة من الاشخاص ووضعهم في مراكز وسجون امريكية ولمدد طويلة على الرغم من ان الاغلبية منهم ابرياء ، فأن تعرضهم لأساليب العنف المهينة ، ادت الى احتمال تحويلهم مؤيدين او معارضين مع افراد هذه الجماعات (35).

(32) ابراهيم حماد ، سبل تعزيز التعاون بين الاجهزة المعنية لمكافحة الارهاب وبين المواطنين ، الامانة العامة لمجلس وزراء الداخلية العرب ، المؤتمر العربي الثالث لرؤساء اجهزة مكافحة الارهاب ، تونس ، 2000 ، ص 43 .

(33) احمد ابراهيم مصطفى ، الارهاب والجريمة المنظمة ، مصدر سبق ذكره ، ص 291 .

(34) المصدر نفسه ، ص 291 .

(35) مجلة الكلمة ، منتدى الكلمة للدراسات والبحوث ، العدد 18 ، بيروت ، 1998 .

كما هناك مصادر داخلية مثل اطلاق سراح السجناء ، وفيهم من هو محترف خطير وجد في انهيار مؤسسات الضبط الرسمي فرصته لإيذاء المجتمع وتشير الشواهد على ان كثيراً من هؤلاء ربما نظموا نشاطهم وارتكبوا عمليات قتل وسرقة وخطف متخذين لانفسهم صفات دينية او وطنية وتكمن الخطورة هنا عندما ينجحون باختراق اجهزة الامن والشرطة . (36)

كما ان ضعف بناء مؤسسات الضبط الرسمي التي تشكلت بعد انهيار النظام 9/4/2003 استندت الى نظام المحاصصة القومية والطائفية فهي بتكوينها هذا انقسامية الولاء سواء القبلي منها او الطائفي او الحزبي ، وهذا ما هيأ الظروف الملائمة لكي تخترق من من المجرمين الهاربين من السجن . كما ان غياب البرنامج الوطني الموحد ، ادى الى عدم توافق فرقاء العملية السياسية في العراق الى وضع برنامج وطني يجمع ويعمل بهدي بنوده السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الى زعزعة الثقة وتعميق الهوة والخلافان بينهم ، مما ادى ببعض فرقاء العملية السياسية الى طلب العون والتدخل من الدول الاقليمية والدولية التي تعمل على وفق برامجها ومصالحها الخاصة ، الامر الذي حفز عمليات العنف باشكالها كافة ما تأخير تشكيل الحكومة العراقية لمدة سبعة اشهر بعد الانتخابات التي جرت في 7/3/2010 الادليلاً على تلك التدخلات الخارجية (37).

ان الارهاب عندما يستهدف المؤسسات يؤدي الى عدم توفير الحد الأدنى من الخدمات الضرورية للأفراد ، فالافتقار الى الخدمات الاساسية مثل الكهرباء والماء والمجاري وطرق المواصلات ... الخ يدمر حياة الافراد ويرفع مستوى التدمير ويخفض مستوى معنوياتهم مما ينعكس سلباً على انشطتهم في المجالات كلها ، من هذا نفهم ان للخدمات صلة وثيقة بالمواطنة الصالحة وهنا يتحدث الامام النورسي مبيناً أهمية تقديم الخدمات ، مخاطباً اهل السياسة والحكومة قائلاً (فأنتم يا اهل السياسة والحكومة لا تنشغلوا بنا على الظنون والاهام ، بل عليكم ان تذللوا المصاعب لنا وتسهلوا الطريق امامنا ، لان خدمتنا تؤسس الامن ، الاحترام والرحمة ، فتسعى لانقاذ النظام والامن والحياة الاجتماعية من الفوضى والارهاب ، فخدمتنا ترسي ركائز وظيفتكم الحقيقية وتقويها وتؤيدها) (38) ان اوضح انواع الارهاب الذي يمثل في جانب منه فشل مؤسسات الدولة في تقديم الخدمات الضرورية للمجتمع هو هو العنف (الحواسم) الذي يعني : عنف الافراد ضد مؤسسات الدولة وملكيتهارموزها فضلاً عن لفساد الاداري فهو من الظواهر الخطيرة التي تفشت بشكل اكبر بعد احتلال العراق ، واخذ ينخر فيحسم مجتمعنا مبتدئاً بتبذير الموارد المالية ، وتهجير الموارد البشرية ،

(36) فريد جاسم حمود ، فتنة العنف في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص 96 .

(37) المصدر نفسه ، ص 97 .

(38) توفيق الغليزوري ، الاسلام والعنف من منظور رسائل النور على الموقع .

وتدمير البنى التحتية ووصلت الى الامن وما يتبعه من شلل في عملية البناء والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم عجز الدولة على مواجهته واعادة اعمار وبناء البنى التحتية اللازمة للتنمية . (39)

ان انتشار مظاهر الرشوة والمحسوبية ، المحاباة ، الوساطة ، الابتزاز والتزوير ونهب المال العام يدل على زعزعة القيم الاخلاقية القائمة على الصدق والامانة والعدل والمساواة وتكافؤ الفرص ، كما يميل الى احلال المصالح الخاصة بدل من المصالح العامة ، مما يؤدي الى زيادة الصراعات والخلافات بين الافراد والجماعات وانتشار الجرائم ، لهذا يعد الفساد الاداري بحق عنفاً وارهاباً موجهاً ضد المجتمع ومؤسساته كافة . (40)

الخاتمة

أن الارهاب ظاهرة خطيرة تعاني منها المجتمعات الانسانية التي يجد فيها بينتها بيئة خاصة وملامنة بسبب ظروف تراكمية كثيرة منها : الانظمة الشمولية وتلك التابعة لأجندات عالمية ، وأفكار متطرفة تصب معظمها في خدمة الأجندات التي تعمل على وفق منظومة عالمية ومذهبية تصب جل جهودها لتدمير الفكر الإسلامي بعد احتواء مجتمعاته والهيمنة على تربته بما يحقق إستراتيجية الاحتواء المزدوج ،

الذي أسهم في إيجاد التخلخل الاجتماعي على صعيد البنية الاجتماعية في المجتمع ، وبما يعكسه من سلوك همجي غالباً ما يتسم بالعشوائية حتى اصبحت المنظمات الارهابية الضالعة فيه تمثل قوى سياسية لها إيديولوجيتها الخاصة بها ، على الرغم من أن اعتقاداتها لا تمثل سوى توجه تحكمه سلوكيات منحرفة لا تخضع لمعطيات او محددات تحكم ذلك وهو امر يجعل من الصعوبة بمكان القضاء عليها او احتوائها كلياً بسبب استقطاب للشباب غير تزايد نشاطاتها وتفاقمها نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي زاد تأثيرها في أهم حلقات المؤسسة المجتمعية ومنها الحلقة الاولى التي تمثلها الأسرة التي تديرها المرأة عصب تلك اللبنة الأساسية وعمومها لقيام المجتمع بحسب التحليل الاجتماعي لقيام المجتمعات ، ومن هنا فإن ظاهرة الارهاب في مجتمع الدراسة لها انعكاساتها على جميع مؤسسات البناء الاجتماعي متمثلة بانعكاسات اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية .

(39) شاكر الانباري ، ثقافة ضد العنف ، ط1 ، بيروت ، 2007 ، ص147

(40) فريد جاسم حمود ، فتنة العنف في العراق ، مصدر سبق ذكره ، ص96

دور الإعلام في الحد من التطرف والإرهاب (العراق أنموذجاً)

إعداد الدكتورة / جيهان جاسب داود / الدكتور المساعد في كلية الآمال
الجامعة قسم الإعلام / التخصص: اللغة العربية

(ملخص)

يعد الإرهاب ظاهرة اجتماعية قديمة ، ظهرت منذ ظهور فكرة الدولة، وربما قبلها، منذ ظهور فكرة السلطة والصراع على النفوذ، ولكن باختراع التكنولوجيا، وزيادة الاتصال والتقارب والتعاون المتبادل بين الدول، أصبح الفعل الإرهابي أداة للترويع، ليس على المستوى المحلي أو الإقليمي فقط ، وإنما على المستوى العالمي أيضاً، ومع ظهور العولمة، وتصاعد وتيرتها، واتساع نفوذها وتأثيرها، وازدياد توحشها وهيمنتها، أخذ الفعل الإرهابي أبعاداً جديدة، واتخذ الإرهاب أشكالاً حديثة، لم يعرفها العالم من قبل، وبما يتلائم مع هذه المرحلة التاريخية التي تسيطر عليها العولمة . وعند حدوث مثل هذه العمليات الإرهابية تستنفر الحكومات كل طاقاتها وجهودها لمحاصرتها والتقليل من أثرها ومحاصرة ما قد ينتج عنها من أخطار، وتمثل هذه الأزمات حالة استثنائية في المجتمعات تتوجه لها جهود المؤسسات السياسية والأمنية، وتنشط فيها برامج التغطية الإعلامية الاستثنائية لتتكامل مع الجهود الرسمية في تقديم المعلومات للرأي العام عن طبيعة العمل الإرهابي، ومواقع حدوثه، والخسائر البشرية والمادية المترتبة عليه ، وتنوير جمهور الوسيلة الإعلامية بآثاره ومخاطره بهدف تشكيل رأي عام تجاهه .

لقد أصبح الإعلام لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، ما يتطلب فهمها واستيعابها عن طريق امتلاك مقوماتها وعناصرها ومواكبة التطورات التي تشهدها ووسائله المختلفة، حيث تعددت أدوات الإعلام وتنوعت، وأصبحت أكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات التي يفرضها الواقع الإعلامي الذي بات مفتوحاً على كل الاحتمالات في ظل ما تشهده أدواته ووسائله المختلفة من تطورات وابتكارات نوعية ، بررت تناوله وطرحه العديد من القضايا التي أحدثت اهتماماً واسعاً ولافتاً في مختلف الميادين وعلى الأصعد كافة، وإذا كان من حق الرأي العام أن يعرف الحقيقة ويتابع ما يجري من أحداث على الساحة المحلية والإقليمية والدولية، فإن التعاطي مع هذه الأحداث ونشرها ومتابعة ما يجري منها يصل بنا إلى عين الحقيقة .



(Abstract)

Terrorism is an old social phenomenon that has appeared since the emergence of the idea of the state, and perhaps before it, since the emergence of the idea of power and the struggle for influence, but with the invention of technology, and the increase in communication, rapprochement and mutual cooperation between states, the terrorist act has become a tool for intimidation, not only at the local or regional level. , but also at the global level, and with the emergence of globalization, the escalation of its pace, the expansion of its influence and effects, and the increase in its brutality and dominance, the terrorist act took on new dimensions, and terrorism took modern forms, which the world did not know before, and in a manner that is compatible with this historical stage dominated by globalization. When such terrorist operations occur, governments mobilize all their energies and efforts to besiege them, reduce their impact and besiege the dangers that may result from them. These crises represent an exceptional case in societies to which the efforts of political and security institutions are directed, and in which exceptional media coverage programs are active to integrate with official efforts in providing information To public opinion about the nature of the terrorist act, the locations of its occurrence, the human and material losses resulting from it, and to enlighten the mass media about its effects and dangers with the aim of forming a public opinion towards it. The media has become a modern and civilized language that cannot be dispensed with or ignored, which requires understanding and absorbing it by owning its components and elements and keeping abreast of developments taking place in its various means, as the media tools have multiplied and diversified, and they have become more capable of responding to the circumstances and challenges imposed by the open media reality. In all possibilities, in light of the qualitative developments and innovations witnessed by its various tools and means, it justified its handling and presentation of many issues that have generated wide and remarkable interest in various fields and at all levels, and if the public opinion has the right to know the truth and follow up on what is happening in the local arena It is necessary to deal with

these events, publish them, and follow up on what is happening from them. The two researchers believe that the Iraqi media had a prominent role in establishing comprehensive coverage of the acts of genocide, killing, violence and thefts perpetrated by the elements of (ISIS) on the Iraqi arena, and they also had a guiding role in alerting Iraqis of all their sects and governorates to the dangers that ISIS poses to their Iraqi brothers who have fallen victim

المقدمة

تعد أعمال العنف من أخطر التهديدات التي تواجه المجتمعات ؛ لكونها تمس كياناتها الداخلي وتهدد أمن المجتمع و استقراره، وتصنف كإحدى أنواع الأزمات الأمنية التي بدأت تظهر في المجتمعات العربية والإسلامية خاصة وفي معظم بلدان العالم عامة، وتتسع دائرة خطر هذه الأزمة والتي من أخطر ظواهرها حالياً الإرهاب الذي تعاني منه بلدان العالم جميعها، والذي بدأ التوغل في أعماق المجتمع بصورة أو بأخرى بدأ من الحرب العالمية الثانية التي دفعت إلى ظهور الحركات اليسارية في أوروبا الغربية واليابان وفرنسا وإيطاليا وغيرها من البلدان نتيجة ظهور أفكار وإيديولوجيات تهدف إلى التغيير السياسي لاسيما مع نهاية ستينيات القرن العشرين التي شهدت نمواً لظاهرة الإرهاب وامتداد تأثير هذه الظاهرة ونمو الجماعات الإرهابية التي امتدت أنشطتها خارج حدودها الوطنية مما أدى إلى اتساع نطاق الإرهاب في ما يعرف بالإرهاب الدولي .

يعد الإرهاب ظاهرة اجتماعية قديمة، ظهرت منذ ظهور فكرة الدولة، وربما قبلها، منذ ظهور فكرة السلطة والصراع على النفوذ، ولكن باختراع التكنولوجيا، وزيادة الاتصال والتقارب والتعاون المتبادل بين الدول، أصبح الفعل الإرهابي أداة للترويع، ليس على المستوى المحلي فقط ، وإنما على المستوى العالمي أيضاً، ومع ظهور العولمة، وتصاعد وتيرتها، واتساع نفوذها وتأثيرها، وازدياد توحشها وهيمنتها، أخذ الفعل الإرهابي أبعاداً جديدة، واتخذ الإرهاب أشكالاً حديثة، لم يعرفها العالم من قبل، وبما يتلائم مع هذه المرحلة التاريخية التي تسيطر عليها العولمة (هارون، 2006: 3) .

إن الغلو في الدين في العصر الحديث شوه الدين الإسلامي الحنيف، ونفر الناس منه، وفتح الأبواب للطعن فيه، فتجراً أناس على أفعال وأقوال لم يكونوا ليجرؤوا عليها لولا وجود الغلو والغلاة ، فسمع الطاعنون في الشريعة (اللوحيق، 1998: 693) ، وهذا ما أدى إلى انطلاق جحافل الأجهزة السياسية والإعلامية والفكرية في الغرب نحو المسلمين وحدهم بتهمة الإرهاب من دون كل البشر، والإسلام من دون كل الملل والنحل، ليس هذا فحسب وإنما وُجد من يحاول تأصيل التهمة، بجعل

عقيدة الإسلام وشريعته مصدراً للإرهاب، لكي يثبتوا أن الإسلام يربي كائنات بشرية إرهابية، وأن المسلم الحق هو مشروع إرهابي جاهز للقتل، وبهذا يتحقق ترهيب الناس من الإسلام وإبعادهم عنه (الشهراني، 2004: 4).

لقد جاء دين الإسلام محققاً مقاصد عظيمة يجب أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة، هي حفظ الضرورات الخمس، والتي يُسميها العلماء مقاصد الشريعة حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وما فتى العلماء العارفون يبنون الأحكام والمسائل المرتبطة بهذه المقاصد العظيمة، فلما غاب العلم وتفشى الهوى والجهل وآثرت الشبهات، ظهرت الفتن والقتل، من دون مراعاة لهذه المقاصد، ومن أجل ذلك فإنَّ كلَّ عملٍ تخريبي يستهدف الأمنين مخالف لأحكام شريعة رب العالمين، والتي جاءت بعصمة دماء المسلمين والمعاهدين، فكيف إذا كان ذلك في بلدٍ مسلم آمن، هو مهبط الوحي والرسالة والنور الذي يشع في جنبات الأرض كلها!! لا شك أن ذلك أشدَّ حرمة بإجماع علماء المسلمين العارفين، فضلاً عما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس والأموال المعصومة، وهتك لحرمة الأمنين المطمئنين في مساكنهم، وإشاعة الفوضى وعدم الاستقرار (البدر، 2004: 4).

والعمليات الإرهابية هي أحد أنواع الأزمات الأمنية، وقد شهد العالم نمو وتزايد المنظمات الإرهابية كالألوية الحمراء والمافيا في إيطاليا والجيش الجمهوري الأيرلندي، واليمين المتطرف أو النازية الجديدة في ألمانيا ومتمردي إقليم الباسك في إسبانيا واليمين المتطرف في فرنسا، بالإضافة إلى العديد من المنظمات الإرهابية في أمريكا الجنوبية والوسطى وآسيا وأفريقيا التي تتعدد فيها بؤر العنف والحركات الانفصالية.

وبدأت العمليات الإرهابية تظهر في المجتمعات العربية والإسلامية من حين لآخر، إذ يشهد العالم العربي تنامي ظاهرة العنف والإرهاب وتعدد منظمات العنف السياسي الديني التي تختلف عن غيرها من التيارات العنيفة في المناطق الأخرى من العالم.

ويعظم خطر العمليات الإرهابية إذا كانت تنطلق من توجهات فكرية أو مصالح اقتصادية تخدم فئة معينة وتتسع دائرة تأثيرها على أفراد المجتمع بحيث تزهق فيها أرواح بريئة وأنفس معصومة وتتلف بسببها الممتلكات الخاصة والعامة وتنتشر الرعب والهلع في المناطق التي تنشط فيها؛ إذ أصبح التيار الإسلامي الثوري في المنطقة العربية ينظر إلى الأمة العربية كطليعة لجماعة جهادية تمتد إلى العالم الإسلامي، مهمتها نقل الدعوة والرسالة الإسلامية إلى العالم وتؤدي هذه الأعمال الإرهابية إلى زعزعة الأمن والاستقرار وانتشار الرعب والخوف في نفوس الأفراد وتتسبب في سقوط أعداد كبيرة من الضحايا الأبرياء.

أهمية البحث والحاجة إليه :

يشكل الإرهاب أحد أخطر الظواهر الإجرامية التي عرفتھا المجتمعات الحديثة لما يمثله من تهديد خطير للفكر والعقيدة والكيان السياسي للشعوب، وهو بأتساع مفهومه أضحي من أبرز المهددات الأمنية لما له من تأثيرات بعيدة المدى والخطورة على الإنسانية كافة، كما يعد الإرهاب من الظواهر البارزة وذات الصلة القوية بمستحدثات العصر (من تقدم تكنولوجيا) في مجال المعلومات والاتصال، ومما لا شك فيه أن وسائل الإعلام تقوم بدور بارز ومهم إزاء هذه الظاهرة لاسيما في مجال التأثير على الرأي العام وتوعيته وتوجيهه، فالإعلام لم يعد مجرد ناقلاً للأخبار والأحداث فقط وإنما أضحي وسيلة لصناعة العقول وتنمية الأفكار، لذلك ينبغي الاستفادة القصوى منه عبر تقنياته وآلياته الفعالة بغية تقديم رسالة بناءة تقوى على مواجهة الأعمال الإرهابية الهدامة وتسهم في وضع لبنات متينة للحس والوعي الأمني لدى أفراد المجتمع كافة (احمد، 2009: 43) .

الإطار النظري للبحث

الإرهاب: المفهوم:

تتولد وفي ظل البيئة العالمية الحالية أشكال عديدة للعنف أهمها الآن هي ظاهرة (الإرهاب)؛ هذه الظاهرة التي طغت بشكل واضح وملحوظ في عصرنا الراهن، ويعكس واقع تطور ظاهرة الإرهاب إشكالية الخلط بين الأعمال الإرهابية وبين استخدام القوة المسلحة للدفاع عن النفس والنضال الوطني وسياسات الإكراه السياسي والاقتصادي، وهي إشكالية كانت دائماً مثاراً للجدل بين الجهات المعنية بدراسة ظاهرة الإرهاب والتصدي لها سواء على المستوى الوطني أو الدولي، إذ لحد الآن لم تفلح الأمم المتحدة في إعطاء مفهوم محدد للإرهاب يتفق عليه المجتمع الدولي بشكل دقيق.

وعند حدوث مثل هذه العمليات الإرهابية تستنفر الحكومات كل طاقاتها وجهودها لمحاصرتها والتقليل من أثرها ومحاصرة ما قد ينتج عنها من أخطار، وتمثل هذه الأزمات حالة استثنائية في المجتمعات تتوجه لها جهود المؤسسات السياسية والأمنية، وتنشط فيها برامج التغطية الإعلامية الاستثنائية لتتكامل مع الجهود الرسمية في تقديم المعلومات للرأي العام عن طبيعة العمل الإرهابي، ومواقع حدوثه، والخسائر البشرية والمادية المترتبة عليه، وتنوير جمهور الوسيلة الإعلامية بآثاره ومخاطره بهدف تشكيل رأي عام تجاهه (البشر، 2004: 3) . ومن الأمور التي أصبحت عامل هدم كبير وخطير في جدار العمل الدعوي انفلات مسألة الفتوى، فقد تصدر كثير من الشباب لموضوع الفتوى بغير علم، عن طريق أشرطة يستمعون إليها أو حلقات علم حضروها أو كتيبات اطلعوا

عليها، ثم تشددوا وغلوا في آرائهم وأفكارهم، حتى وصل بعضهم إلى مرحلة تكفير كل من خالفهم الرأي، وهؤلاء هم أخطر فئة على المجتمع وأمنه واستقراره، لأنهم مثل الفعل المتعدي، فقد ضلوا وأضلوا، والنتيجة انسياق عدد من الشباب خلفهم من دون علم أو هدى من كتاب منير، فقد أصبحت الواجهة والمكانة الاجتماعية التي يتيحها التصدي للفتوى أهم من محتواها وعمق التفكير في آثارها ومدلولاتها (خوجة، 2004: 6).

لذا يلعب الإعلام دورا هاما ومؤثرا في توجهات الرأي العام واتجاهاته، وصياغة مواقفه وسلوكياته من خلال الأخبار والمعلومات التي تزوده بها وسائل الإعلام المختلفة، إذ لا يستطيع الشخص تكوين موقف معين أو تبني فكرة معينة من خلال المعلومات والبيانات التي يتم توفيرها له، ما يؤكد قدرة الإعلام بصوره وأشكاله كافة على أحداث تغييرات في المفاهيم والممارسات الفردية والمجتمعية عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين الرأي ونشر المعلومات والقضايا المختلفة، وفي الوقت الذي أصبحت فيه وسائل الإعلام جزءا أساسيا من حياة الشعوب والمجتمعات (الدعجة، 2005: 7).

لقد جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، ومبادئه القويمة، ومقاصده العظيمة، ليحفظ للناس دينهم، ويوفر كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم وضروراتهم، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولما كان الإرهاب اعتداء على نفوس الناس وأموالهم بغير حق وانتهاكاً لحرماتهم، وأمنهم ومصالحهم، كان لزاما أن تتضافر الجهود لمدافعة والقضاء عليه، صيانة لضرورات الناس، وأمنهم ومصالحهم، وحماية لهم من تبعات الإرهاب وآلامه وشروره، إذ إن فهم ظاهرة من الظواهر يتوقف على معرفة أسبابها وبواعثها، فبتلك المعرفة نتمكن من التحكم فيها، بتنميتها، والمحافظة عليها إن كانت ظاهرة إيجابية، والحد منها،

أو القضاء عليها إن كانت سلبية (لعمروا، 2004: 2) لقد أصبح الإعلام لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، ما يتطلب فهمها واستيعابها عن طريق امتلاك مقوماتها وعناصرها ومواكبة التطورات التي تشهدها وسائله المختلفة، حيث تعددت أدوات الإعلام وتنوعت، وأصبحت أكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات التي يفرضها الواقع الإعلامي الذي بات مفتوحا على كل الاحتمالات في ظل ما تشهده أدواته ووسائله المختلفة من تطورات وابتكارات نوعية، بررت تناوله وطرحه العديد من القضايا التي أحدثت اهتماما واسعا ولافتا في مختلف الميادين وعلى الأصعدة كافة،

وإذا كان من حق الرأي العام أن يعرف الحقيقة ويتابع ما يجري من أحداث على الساحة المحلية والإقليمية والدولية، فإن التعاطي مع هذه الأحداث ونشرها ومتابعة ما يجري منها، يجب أن يتم وفقاً لضوابط مهنية ومعايير أخلاقية وإنسانية وموضوعية تراعي ظروف المجتمع ومزاج الرأي العام، ما يعني ضرورة التوازن بين حق الجمهور بالمعرفة،

وبين مرجعيته الثقافية والأخلاقية والدينية على أساس إن المعايير الفاصلة بين إعلام وآخر هي في النهاية معايير مهنية وأخلاقية، تجسد أطراً مرجعية يمكن الاستناد إليها في التمييز بين السلوك الإيجابي والسلوك السلبي، وبالتالي التفريق ما بين ظواهر سلوكية مقبولة و أخرى مرفوضة (الدعجة، 2005: مصدر انترنت)

وقد وُجّهت الاتهامات إلى الإسلام بأنه المسؤول عن خلق الإرهاب، ونظر العالم الغربي إلى المجتمعات الإسلامية وكأنها معمل تفريخ للإرهاب والإرهابيين، وأصبحت المجتمعات الإسلامية، بل والإسلام نفسه، في قفص الاتهام فور الإعلان عن وقوع أية عملية إرهابية في أية بقعة على وجه الكرة الأرضية، قبل إجراء أية تحقيقات للكشف عن الفاعل الحقيقي وراء هذه العملية أو تلك، وشعر المسلمون في البلاد غير الإسلامية، لاسيما في الغرب، بالخوف والفرع بعد أية عملية إرهابية، لأنهم يدركون أن سهام الاتهام سوف تُوجّه نحوهم، مما يعرضهم للاضطهاد والتمييز العنصري في المجتمعات التي يعيشون فيها،

لقد زادت الأعمال الإرهابية حدة على مستوى العالم منذ أواخر الستينات، ومما لا شك فيه أن الإرهاب لا دين له، ولا نستطيع أن نقول إن هناك إرهاباً إسلامياً وإرهاباً مسيحياً وإرهاباً يهودياً وإرهاباً بوذياً، ولكن الإرهاب ظاهرة عالمية تجتاح العالم كله، ولها أهداف سياسية، ويلجأ الإرهابيون إلى ارتداء عباءة الدين في معظم الأحوال لتحقيق أهدافهم السياسية (تشارلز، 2005: 100).

وقد يُعزى الإرهاب إلى أسباب دينية أو أيديولوجية أو سياسية، وقد يولد الإرهاب في أوساط من يتخصصون بتصفيات البشر لقاء مبالغ مالية، وقد ينشأ الإرهاب بسبب الظلم أو الإحساس به، وقد يكون لأسباب اقتصادية، وقد ينسب إلى السياسة الأمريكية في الخارج ومع كل هذه الأسباب فليس هناك سبب يدعو إلى الإرهاب وقتل المدنيين .

(John & Ronfeldt, 2001: 41)

يرى فليب إن الإرهاب يهدد العالم ولا توجد دولة تستطيع أن تتجنب هذا الخطر رغم الحملات الإعلامية المستمرة والتعاون الدولي العسكري والمالي لتعقب الخلايا الإرهابية والنتيجة قتل الأبرياء

في المدارس والجامعات والقطارات والمباني، ولقد أصبحت الهجمات الإرهابية أكثر قتلاً وترويعاً للمدنيين، وقد كانت في السبعينات والثمانينات أقل حدة وكانت لدى المنظمات الإرهابية أهداف سياسية واضحة الأهداف تلجأ إلى إراقة الدماء من أجل استدعاء الانتباه إليهم معتمدين على مصادر هائلة من التمويل والدعم اللوجستي من أجل القيام بنشاطاتهم الإجرامية بحق الإنسانية مستخدمين الاختطاف والمنظمات غير الحكومية والإنترنت للاتصال فيما .

Philip, 2005: 31 بينهم ونشر تلك الجرائم للعالم للحصول على المزيد من الترويع لا شك أن القضية المركزية التي باتت تهدد أمن مجتمعاتنا الإسلامية في الصميم، وستهدد استقرارها في القريب العاجل إن لم تجد تخطيطاً استراتيجياً لإبطال مفعولها، وربما سنجد أنفسنا تحت تهديد المباشرة في ظل قصور الرؤية الرسمية لمواجهتها هي ما يتعلق بتنامي وزيادة حدة الفكر الإرهابي في هذه المرحلة من حياة الأمة العربية والإسلامية، وما يشكله ذلك من خطر داهم على صورة الإسلام التاريخية، وهو الذي كان أنجز بناء المجتمع المدني عندما غرقت الأمم والشعوب في وحشيتها. (السند، 2015: 5)

لقد أوضحت دراسات عديدة نقطة هامة عند السعي لمواجهة الإرهاب والمجموعات وإرهاب الدول والأنظمة، بأن الأعمال الإرهابية لا يمكن تبريرها، وإنما يمكن تفسيرها والوقوف على الأسباب التي تدفع من يقف وراءها. مما بدأت التفسيرات والتساؤل عن الكيفية الناجحة في ممارسة الإعلام من دون الوقوع في خدمة الإرهاب ومن ذلك التسرع لدى بعض وسائل الإعلام في إطلاق التهمة بالإرهاب على بعض الجهات أو الأشخاص من دون تثبيت ذلك، فيتبين لنا أن المعالجة الشاملة للإرهاب لا ترتبط بالسياسات الإعلامية لوحدها بل تعود إلى أسباب متشابكة سياسية واقتصادية وثقافية تتفاعل في إطار سنة التدافع بين الأمم والشعوب (الشريف، 2015: 19).

وبعد أحداث 11 أيلول 2001 دخل مصطلح الإرهاب إلى دائرة الضوء مرة أخرى وأكتسب بعداً دولياً وأصبح محور الحديث في وسائل الإعلام العربية والأجنبية كافة ومحوراً لتعليقات السياسيين؛ كما أثارت مجدداً الاهتمام بمتابعة هذه الظاهرة نظراً لضخامة تأثير هذا الحدث واتساع حجم الخسائر المادية والبشرية والمعنوية التي منيت بها الولايات المتحدة الأمريكية في ظل تشكيلها التحالف الدولي لمواجهة الإرهاب استناداً إلى قراري مجلس الأمن رقم (1368) في 12 أيلول عام 2001، والقرار رقم (1373) في 1 أكتوبر 2001 وما أدى إليه من تداعيات نتيجة إعلان الولايات المتحدة الأمريكية حربها على الإرهاب.

أن تحديد معنى كلمة الإرهاب ليس بالبساطة التي يوحي بها ظاهر الكلمة بعد أن كثر استعمالها في وسائل الإعلام، ذلك أن الإرهاب يتداخل مع معانٍ كثيرة كالصراع والجريمة والحرب والعنف، الأمر الذي ظهرت معه تعريفات عديدة للإرهاب منها ما اعتبره بأنه في شكله ومضمونه: نوع من أنواع العنف (المرضي) ويقترب في الكثير من صوره ودوافعه وأهدافه من السلوك الإجرامي؛ ويمكن تعريف (العنف) انطلاقاً من أبسط معانيه الاجتماعية بأنه الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي أو البدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو اجتماعية أو دينية أو سياسية.

وتم تعريفه بأنه "هو الممارسة المنظمة لأعمال العنف بأشكالها ومستوياتها المختلفة (اغتيال، تهريب، ترويع، تهديد، استخدام القوة، إلقاء متفجرات...) والتي تصيب أيّ كان من أفراد الشعب الآمن مما يؤدي إلى حالة من عدم الإحساس بالأمان والطمأنينة والاستقرار وزيادة مشاعر التوتر والقلق فينجم عن ذلك حالات من الخوف الجماعي كرد فعل لتلك الأعمال الإجرامية المنظمة والمخططة". كما تم تعريف الإرهاب بأنه: "العنف الذي تمارسه جماعات تساندها دول معينة ويستهدف أفراداً وجماعات لغرض ترويعهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً بهدف تحقيق غايات هذه الجماعات بغض النظر عن توافقها أو عدم توافقها مع غايات وأهداف المجتمع التي تدور فيه أحداث العنف". وقد خلصت أغلب التعريفات إلى أن الإرهاب هو: "عنف منظم تمارسه جماعة منظمة يهدف إلى خلق حالة من التهديد العام الموجه إلى دولة أو جماعة سياسية معينة لتحقيق أهداف سياسية أو غير سياسية وإن كان الإطار السياسي هو الذي تتم فيه موجة العنف".

الإعلام المرئي والعنف

يعد موضوع الإعلام المرئي والعنف من أكثر الموضوعات التي حركت بحوث وسائل الاتصال الجماهيري، واتسمت بالاتساع والتعقيد والجدل، وذهب بعض هذه البحوث إلى أن تراكم هذا العدد الكبير من المعطيات والدراسات المتخصصة في هذا الموضوع يبرهن على صحة فرضية وجود علاقة سببية بين العنف في الإعلام المرئي والسلوك العدواني .

وتؤدي وسائل الإعلام دوراً محورياً في تكوين الاتجاهات والميول وتؤثر على عملية اكتساب الجمهور للمعارف والمعلومات، لاسيما وقت الأزمات، إذ تزداد درجة اعتماد الجمهور على هذه الوسائل في ظل حالات عدم الاستقرار والصراع وانتشار أحداث العنف والإرهاب، وذلك بهدف خلق معانٍ ثابتة للأحداث وإيجاد التفسيرات الملائمة لها نظراً لما تتسم به حوادث الإرهاب من عنف ومفاجأة واضطراب للمعايير والقيم المستقرة في المجتمع.

ولم يحضَ موضوع العلاقة بين الإرهاب ووسائل الاتصال بصورة عامة وبين الإرهاب والتلفزيون بصورة خاصة الذي ينفرد من بين وسائل الإعلام الأخرى بميزة الاستعمال الأكثر من قبل الجمهور وبتأثر هذا الجمهور بالمضمون التلفزيوني بشكل غير واع؛ إلا باهتمام قليل من الباحثين وعلى الرغم من ذلك أن المختصين بدراسة علوم الإعلام والاتصال والمهتمين بشؤون الإرهاب، يتفقون على أن هناك علاقة متبادلة بين الإعلام والإرهاب، ويرون أن هذه العلاقة أصبحت الآن تشبه شراكة بين مؤسستين أحدهما تقوم بصنع الحدث والأخرى تسوّقه، مع اتساع نطاق التأثيرات والتداعيات المتلاحقة لها ونقص المعلومات المتوفرة عنها، وكل هذه العوامل تبرز وسائل الإعلام كمصدر رئيسي للحصول على المعرفة والمعلومات المتعلقة بالأحداث الإرهابية، وبالتالي التأثير في اتجاهات الجمهور إزاءها، لاسيما في ظل وصف الإعلاميون والصحفيون لهذه الأحداث بأنها ذات قيمة إخبارية كبيرة، لكونها تحتوي على قدر متزايد من الصراع .

حتى تستطيع وسائل الإعلام العراقية من تحقيق هدفها في مواجهة الإرهاب، كان لا بد لها من الالتزام بالأمور الآتية :-

- 1 - الاستقرار السياسي : إذا ضمن أفراد المجتمع التمتع بحقوقهم الدستورية وعاشوا حياة كريمة تتكافأ فيها الحقوق والواجبات تقل الجريمة بصورة عامة والإرهاب علي وجه الخصوص .
- 2 - لن يكون مرسل رسالة التوعية ذو قدرات إستراتيجية وتفكير إستراتيجي ينطلق من منظور عالمي لمكافحة الجريمة بصورة عامة وجريمة الإرهاب على وجه الخصوص يتصف بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم .
- 3 - استخدام الوسائل المناسبة من حيث المواصفات ونطاق إرسال الرسالة الإعلامية الخاصة بالتنوعية الأمنية والوقاية من الجريمة .
- 4 - إرسال رسائل تراعي التباين في المجتمعات العراقية بما في ذلك مستوى التقنيات والقوانين والنظم الخاصة بطوائفه .
- 5 - تقديم مستوى من الرسائل تناسب مستقبل متباين من حيث الدين والثقافة والعادات والتقاليد والأعراف والسلوك الاجتماعي .

وتمتلك وسائل الإعلام، لاسيما التلفزيون، إمكانيات مهمة تستطيع عن طريقها التأثير على الجمهور المتلقي، فهي تستطيع تكوين قنوات جديدة وتفنيد أخرى قائمة وإضفاء الشرعية على أمر ما عن طريق الإقناع وحشد الطاقات باتجاهه، كما أن هذه الوسائل تستطيع أن تخلق نوعاً معيناً من الجمهور يؤمن بما تطرحه حتى وإن كان يخالف قناعاته، إذ إن الاتساق بين ما يتم طرحه وتكراره

يُرسخان الفكرة المطروحة ويجعلانها مقبولة للتصديق والإيمان بها من قبل الجمهور المستهدف 1. وبما إننا نعيش زمن العولمة والقرية الكونية الواحدة وعصر الفضاءات المفتوحة فقد أصبح للكلمة (المرئية) تأثيرها المباشر على المجتمع؛ لاسيما في ظل زحام خريطة البث التلفزيوني بكم هائل من القنوات الفضائية التي تتنوع برامجها من جانب الشكل والمضمون، ومع ما تعرضه بعض القنوات الفضائية للأفراد والجماعات المروجة للإرهاب، إذ إن عدداً من هذه الفضائيات توقع المشاهد في شرك نفسي وعقلي لا يقدر معه على الفصل أو التمييز بين الواقع والوهم أو بين الحقيقة والخيال والخير والشر، بين الممكن وغير الممكن 2.

وقد أصبح التلفزيون في أحيان كثيرة عاملاً مساعداً في صنع الأحداث وفي أحيان كثيرة مشاركاً فيها، والجمهور المتلقي قد لا يصغي إلى أية وسيلة إعلامية أخرى إذا كان ما تقوله مخالفاً لما تقوله الصورة التلفزيونية؛ إضافة إلى أن الإفراط في التغطية الإعلامية يجعل الحدث مهماً وحقيقة قائمة، وما دام ما يُقدم ويُعرض هو الحقيقة في نظر الجمهور المتلقي أو الأقرب إليها، فإنه ليس على المتلقين، خصوصاً إذا كانوا أميين أو أنصاف متعلمين إلا أن يصدقوا ما ينقله التلفزيون من صور بسيناريو مُحكم ومضمون معقول تستطيع أن تجمع آراء هؤلاء المتلقين حول المشكلة أو القضية 3. ومن الواضح أن التنظيمات المسلحة وهي تقوم بالتخطيط لتنفيذ هجماتها تأخذ بالحسبان دور الإعلام باعتباره المنفذ الذي تطل من خلال مؤسساته، وعلى رأسها التلفزيون، للتعريف بما تقوم به، وذلك من خلال التغطية المجانية التي يقدمها التلفزيون للعمليات الإرهابية؛ إذ إن اقتطاع التلفزيون مساحة زمنية من مدة بثه لكي يعرض الإرهابيين وما يقومون به وتوفيره التغطية الإعلامية اللازمة.

السيد بهنسي حسن. استخدام نموذج الاهتمام ودوافع المشاهدة في اتخاذ القرارات الخاصة بتقييم موضوعات برامج الأطفال في التلفزيون المصري، مؤتمر الطفل المصري بين الخطر والأمان، جامعة عين شمس، 1995. ص 22.

. جان ميران كرم. الإعلام العربي إلى القرن الحادي والعشرين، دار الجيل بيروت، 2002، ص 61. حسن السوداني: أثر العرض البصري القائم على خصائص الصورة التعليمية التلفزيونية في عملية التعرف لدى طلبة كلية الفنون الجميلة: رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة بغداد، 1996، ص 11.

ويؤكد (نيومان) أن التغطية المركزة من قبل وسائل الإعلام لقضايا الإرهاب عبر مدة زمنية ممتدة، يضع هذه القضايا في بؤرة اهتمام الرأي العام وهذا التأثير هو الذي يعطي لوسائل الإعلام أهمية خاصة في مجال معالجة المشكلات الاجتماعية بما في ذلك تلك التي تتميز بالسيطرة والتوجيه الفكري.

ويرى المختصون بقضايا الإرهاب أن التغطية الإعلامية المكثفة والمستمرة للإرهاب تخلف إرهاباً وإرهابيين أكثر، إذ أن تأثير التغطية التلفزيونية للإرهاب هو حافز يولد استجابة؛ لما لها من تأثير على أفراد المجتمع المتمثل في إزهاق الأرواح وتدمير الممتلكات العامة والخاصة ونشر الرعب والهلع بين أفراد المجتمع.

وفي ظل العمليات الإرهابية تنشط التغطية الإعلامية الاستثنائية لوسائل الإعلام كافة لاسيما القنوات التلفزيونية الفضائية من أجل تقديم المعلومة وعرض الحدث للجمهور بتفاصيله كافة مما يخلق الوعي والمعرفة لدى جمهور الوسيلة الإعلامية بآثار ومخاطر العمل الإرهابي والذي بالتالي يؤدي إلى تشكيل رأي عام تجاهه

وانطلاقاً من فرضية أن التلفزيون يمارس تأثيراً هاماً على تشكيل وتحديد موقف الجمهور وسلوكه فإن من هذه المواقف والسلوكيات ما يتعلق بالتحريض على أعمال العنف، أو على تقليد ما تمت مشاهدته على شاشة التلفزيون؛ هذا التقليد الذي يعني في علم النفس التربوي اكتساب السلوك والتصرف عن طريق تقليد نموذج مثالي، إنساني أو غير إنساني يعجب به المتلقي لاسيما الطفل فيسير على منواله ؛ وبذلك فإن العنف الذي نشهده في التلفزيون إنما يرتبط بالعنف في المجتمع ولا يمكن أن نضع ظاهرة استشراف العنف في أكثر من بقعة في العالم على (شماعة) التلفزيون فقط، إذ إن التلفزيون لا يمكن أن يكون المؤثر لوحده في انتشار ظاهرة العنف، وإنما هناك أمور تساعد في ذلك منها (الأمية، البطالة، التطرف الديني، الصراع السياسي) وقد اختلفت درجة العلاقة بين التلفزيون وزيادة معدلات العنف بين دولة وأخرى، لكن الواضح أن للإعلام المتلفز تأثير على جمهور المتلقين بدرجات متفاوتة بسبب الخلفيات الثقافية والعوامل الاقتصادية والتعليمية.

وفي العراق الذي شهد ومنذ عام 2003 وما يزال عدداً كبيراً من العمليات الإرهابية المختلفة والتي تخالف تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وثقافة المجتمع العراقي؛ وقد حازت هذه الأعمال الإرهابية على تغطية إعلامية واسعة ومكثفة من وسائل الإعلام سواء المحلية أو العربية أو الأجنبية وبمختلف أنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية، وكان لهذه التغطية الإعلامية آثارها الواضحة والكبيرة

داخل المجتمع العراقي وخارجه، لاسيما أن بعض وسائل الإعلام والظروف السياسية والفكرية والأمنية أسهمت في تصعيدها واتساع دائرة انتشارها. وتأتي هذه الدراسة لمعرفة العلاقة بين القنوات الفضائية العراقية والتغطية الإعلامية لقضايا الإرهاب الذي يشهده وما يزال بشكل يومي المجتمع العراقي، بصفتها إحدى الوسائل الإعلامية الرئيسية التي يتعرض لها أفراد المجتمع ويستقي منها معلوماته، ومعرفة مدى إسهام هذه القنوات الفضائية في تشكيل اتجاهات الجمهور العراقي إزاء ظاهرة الإرهاب، وكذلك التعرف على دور القنوات الفضائية العراقية في وقت الأزمات الناجمة عن التفجيرات والأحداث الإرهابية التي حدثت في جميع أنحاء العراق.

الإطار المنهجي للبحث أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة من ندرة الدراسات التي تناولت العلاقة بين التغطية الإعلامية لوسائل الإعلام وبين ظاهرة الإرهاب التي يعاني منها اغلب المجتمعات لاسيما المجتمع العراقي، كما يتناول بحثنا الكيفية التي تتعامل بها القنوات الفضائية العراقية عن طريق تغطيتها الإعلامية لقضايا الإرهاب في العراق والذي ظهر حديثاً في المجتمع العراقي وتحديدأ بعد الاحتلال الأمريكي عام 2003 بغض النظر عن الأسباب والجهات والدوافع التي تقف وراءها.

والتغطية الإعلامية لمثل هذه الأزمات يمثل حالة استثنائية في العمل الإعلامي اليومي، إذ تستنفر الوسيلة الإعلامية لاسيما القناة الفضائية المتلفزة كل طاقاتها وتحشد جهودها لمتابعة الأحداث الناجمة عن العمل الإرهابي وتقدم التقارير الحية من قلب الحدث عن وقائعه ومستجداته فضلاً عن التحليل والتفسير للحدث الإرهابي، والذي بالنتيجة يؤدي إلى نجاح القناة الفضائية بتغطيتها الإعلامية لقضايا الإرهاب وغيرها من الأزمات وبالتالي يؤدي إلى اكتسابها لجمهور واسع عن طريق حصولها على ثقتهم ومتابعتهم لموادها وبرامجها مما يزيد من شعبيتها الجماهيرية ومصداقيتها لديهم؛ لاسيما في ظل تعددية وسائل الإعلام العراقية وغياب القوانين والمحددات والمواثيق الأخلاقية الإعلامية التي تنظم عملها لاسيما في أوقات الأزمات؛ إذ تشكل عملية تقديم المعلومة الصادقة للجمهور ومستوى المعالجة المهنية للتغطية الإعلامية من أولويات العمل الإعلامي الذي يُشبع حاجات ذلك الجمهور عن طريق التعرض للوسيلة الإعلامية.

وفي ظل وجود التباين في التغطية الإعلامية بين وسائل الإعلام المختلفة لقضايا الإرهاب، فإن للوسيلة المرئية ميزة تكاد تنفرد بها عن وسائل الإعلام الأخرى المقروعة والمسموعة، إذ يقدم التلفزيون تغطية إخبارية للأحداث في أوقات الأزمات بطريقة آنية وفورية بالصوت والصورة ومن موقع الأحداث عن طريق تقنية البث المباشر وبمختلف الجوانب، منها التحليل والتفسير.

وبذلك فإن أهمية هذه الدراسة تنطلق من تأثير ظاهرة الإرهاب على المجتمع العراقي، والكيفية التي تعاملت بها القنوات الفضائية العراقية مع هذه الظاهرة الخطرة التي ضربت نسيج المجتمع وهددت كيانه عن طريق تغطيتها الإعلامية للقضايا والأحداث ذات الصلة بالإرهاب، انطلاقاً من الدور الفاعل والأساس الذي يؤديه الإعلام بوسائله المتنوعة لاسيما المرئي منها وتأثيره في الجمهور وصناعة الرأي العام تجاه القضاء على هذه الظاهرة الطارئة على مجتمعنا بوسائل منها البرامج والمواد الإعلامية عن طريق ما تقدمه من مواد التي تتناول ظاهرة الإرهاب بالتحليل والتفسير والذي يؤدي بالنتيجة إلى تضيق دائرة تأثيرها على أفراد المجتمع وتقليل تأثيرهم بالأفكار المتطرفة والخاطئة. وفي ظل التعددية والحرية التي يعيشها الإعلام العراقي ومنها القنوات الفضائية والانتشار الواسع الذي حققته هذه الفضائيات بشكل يفوق التوقعات، لذا تأتي هذه الدراسة لتحديد دور التغطية الإعلامية لتلك القنوات لقضايا الإرهاب في تشكيل اتجاهات الجمهور نحوه.

أهداف الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى معرفة جملة من الأهداف ومنها:
معرفة العلاقة التي تربط بين الجمهور العراقي وقنواته الفضائية ومدى تفضيله ومتابعته لها وثقته فيما تقدمه له من برامج متنوعة.
التعرف على مدى تعرض الجمهور العراقي للرسائل الإعلامية عبر القنوات الفضائية العراقية والخاصة بقضايا الإرهاب .
معرفة العلاقة بين درجة تعرض الجمهور لهذه المواد والرسائل ودرجة الوعي والمعرفة بقضايا الإرهاب عن طريق ما تقدمه من مواد وبرامج وإعلانات تخص هذه الظاهرة.

منهج الدراسة :

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تهدف إلى اكتشاف الوقائع ووصف الظواهر وصفاً دقيقاً وتحديد خصائصها تحديداً كميّاً أو كميّاً؛ وانسجماً مع مقتضيات البحث وطبيعته الإجرائية وتحقيقاً لأهدافه فقد استعملت الباحثة المنهج المسحي الالكتروني بواسطة بعض برامج التواصل ومنها

الفيسبوك للوصول إلى النتائج المرجوة . لاسيما أن الدراسة تهدف إلى وصف الاهتمام والتفضيل لمحتوى وسائل الإعلام في إطار الدراسات الخاصة بتأثيرات وسائل الإعلام، والذي يتم الوصف فيه عن طريق اعتماد الوصف الكمي والذي يعد من سمات منهج المسح في الإطار الوصفي، لاسيما أن البحث يتعامل في إجراءاته مع عدد كبير من المفردات يصعب معها استخدام الوصف الكيفي .

مجتمع الدراسة :

يتضح من عنوان البحث أن مجتمع البحث هو الجمهور العراقي، لكن يتم عادة في البحوث الاجتماعية ومنها بحوث الاتصال حصر مجتمع البحث والذي يعد أمراً ضرورياً وذلك لتسويق الاختصار على العينة بدلاً من تطبيق البحث على الأصل كله، وهذا عندما يكون مجتمع البحث كبيراً كما هو الحال في عينة هذا البحث، وأن إمكانية تطبيقه على كل مفردة من المجتمع الأصل يتطلب مالياً ووقتاً وجهداً كبيراً؛ إضافة إلى معرفة مدى قابلية تعميم نتائج البحث، فتعميم النتائج يقتضي معرفة الإطار العام لمجتمع البحث الذي لا يتجاوز تعميم النتائج لذا فإن تحديد عينة البحث أمر ضروري ومهم لاختصار المال والوقت والجهد الكبير في حال لو طبق البحث على المجتمع الأصل؛ وهنا يمثل عينة البحث جمهور محافظة بغداد المجتمع الأصل للبحث الذين تتراوح أعمارهم من 18 سنة فما فوق دون سواهم، وبلغ عدد مفردات عينة البحث (200) مبحوثاً من محافظة بغداد، التي تتسم بالتنوع ووجود الشرائح المختلفة للجمهور بخصائصها المختلفة مما يمكن من الوصول إلى تمثيل دقيق للرأي العام في المجتمع لكونها المدينة العاصمة، كما تتفاوت أحياءها في مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية وكذلك تتفاوت بالمستويات التعليمية .

تعريف المصطلحات:

هناك ثلاثة تعريفات لمصطلحات رئيسة تدور حولها الدراسة:

الإرهاب: هو الممارسة المنظمة لأعمال العنف بأشكالها ومستوياتها المختلفة (اغتيال، تهريب، تهديد، استخدام القوة، إلقاء متفجرات...الخ) والتي تصيب أيّاً كان من أفراد المجتمع الأمن مما يؤدي إلى حالة من عدم الإحساس بالأمان والطمأنينة والاستقرار وزيادة مشاعر التوتر والقلق فينجم عن ذلك حالات من الخوف الجماعي كرد فعل لتلك الأعمال الإجرامية المنظمة والمخططة .

الأزمة الأمنية: وتعني هنا حالة عدم الأمن والاستقرار في المجتمع نتيجة حدوث تهديدات أمنية أو وقوع أعمال إرهابية.

إعلام الأزمات: والمقصود بهذا المصطلح هو الحالة الاستثنائية التي تعيشها المؤسسات الإعلامية استجابة لأزمة سياسية أو أمنية أو اقتصادية في المجتمع وتنشط بواسطة برامج التغطية الإخبارية ويرتفع فيها اهتمام الجمهور بالوسيلة الإعلامية.

ويعد إعلام الأزمات أحد المجالات البحثية التي نالت اهتمام الباحثين والمتخصصين في الجامعات ومراكز البحث منذ أكثر عدة عقود وتبلورت مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، إلا أن الدراسات العربية في مجال علاقة الإعلام بالأزمات السياسية والأحداث الأمنية والاجتماعية والاقتصادية لم تظهر بشكل ملحوظ إلا بعد عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وحتى بعد ظهور هذا النوع من الدراسات الإعلامية المتخصصة فإن ما هو موجود منها يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، وما هو موجود في الواقع إنما هو امتداد طبيعي لما هو سائد في نظريات ونماذج التأثير الإعلامي التي سبقت هذا النوع من الدراسات المتخصصة.

نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام :

يشير أنموذج الاعتماد على وسائل الإعلام إلى أن أفراد الجمهور يعتمدون على المعلومات التي توفرها وسائل الإعلام رغبة منهم في إشباع حاجاتهم وتحقيق رغباتهم وأهدافهم في إطار وجود تفاعلات تسير في اتجاهات ثلاثة بين وسائل الإعلام وأفراد الجمهور ثم النظام الاجتماعي؛ ويقصد بالاعتماد على وسائل الإعلام درجة الاعتماد على وسيلة معينة كمصدر عن الأحداث والقضايا المثارة، ولا يرتبط الاعتماد على وسيلة باستعمالها، فالاستعمال يعني معدل المتابعة، أما الاعتماد فيعني درجة أهمية هذه الوسيلة للفرد كمصدر لمعلوماته واختياره وتفضيله.

وتتصدر نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام نظريات التأثير الإعلامي في هذا النوع من الدراسات ولا شك أن هذه النظرية تقدم تفسيراً علمياً قوياً في تطبيقها على إعلام الأزمات إذ تفترض هذه النظرية أن الجمهور يلجأ إلى وسائل الإعلام لتلبية حاجاته المعرفية وبلورة مواقفه السلوكية في ظروف معينة وكلما زادت درجة عدم الاستقرار في المجتمع زاد تعرض الجمهور لوسائل الإعلام.

ويمثل الفرض الرئيسي لنموذج الاعتماد على وسائل الإعلام في أن الاعتماد على وسائل الإعلام يزيد القدرة على استقبال المعلومات المطلوبة من المصادر الشخصية مع مراعاة وفرة المعلومات المطلوبة وتقييمها ومقارنتها بالمصادر الشخصية لدى الجمهور، وكلما ازدادت المجتمعات تعقيداً ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام خارج مجموعاتهم؛ وقد ربط النموذج بين هذا الفرض

الرئيسي وبين بعض المتغيرات التي تزيد من حجم هذا الاعتماد ومنها مرور المجتمع بحالات من عدم الاستقرار ومدى قدرة البناء الاجتماعي عن طريق نظامه الإعلامي على تلبية احتياجات الأفراد من المعلومات.

وبسبب تناسب هذه النظرية لمجال البحث في إعلام الأزمات فقد تعرضت معظم الدراسات العربية لهذه النظرية وجعلتها مرتكزاً للبحث في عدد من الأزمات السياسية والأمنية التي حدثت في عدد من المجتمعات العربية.

نتائج الدراسة:

أوضحت نتائج الدراسة إن هناك أهمية كبيرة لدور وسائل الإعلام لاسيما القنوات الفضائية بمختلف توجهاتها وأنماطها عن طريق اعتماد الجمهور عليها للحصول على المعلومات بينت نتائج الدراسة إن القنوات الفضائية العراقية تحضّ بنسب مشاهده عالية من قبل الجمهور عينة البحث بالأخص المواد والبرامج التي تقدمها حول قضايا الإرهاب .

أشارت نتائج الدراسة إن أسباب اعتماد الجمهور عينة الدراسة على القنوات الفضائية العراقية في مشاهده المواد والبرامج الخاصة بالإرهاب جاء نتيجة استخدام هذه الفضائيات أسلوب التحليل والتفسير للأحداث الخاصة بالإرهاب مما يسهم في جذب المشاهد، فضلا عن تعريفه وتثقيفه حول موضوعات الإرهاب.

أشرت نتائج الدراسة إن المواد والبرامج الإخبارية التي قدمتها القنوات الفضائية العراقية قد أسهم إلى حد ما في التعريف بمفهوم الإرهاب ومخاطره.

أوضحت نتائج الدراسة إن هناك علاقة بين التغطية الإعلامية للقنوات الفضائية وبين متابعة الجمهور لهذه القضايا.

أشرت نتائج البحث إن القنوات الفضائية العراقية لم تتمكن من جلب اهتمام المتلقي نحو قضايا وبرامج محددة لتعريف بقضايا الإرهاب، مما دفع أغلبية المبحوثين نحو تحديد البرامج الإخبارية والسياسية كوسيلة لتعرف على قضايا الإرهاب.

الهوامش والمصادر

- 1 - أحمد جلال عز الدين، الإرهاب والعنف السياسي، كتاب الحرية رقم 10، القاهرة، دار الحرية للطباعة والطباعة والنشر، 1986.
- 2 - حسن علوان، موضوعة الإرهاب في الفضائيات العربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008.
- 3 - هويدا مصطفى، دور الفضائيات العربية في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحو الإرهاب. اتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، 63، تونس، 2008.
- 4 - السيد بهنسي حسن. استخدام نموذج الاهتمام ودوافع المشاهدة في اتخاذ القرارات الخاصة بتقييم موضوعات برامج الأطفال في التلفزيون المصري، مؤتمر الطفل المصري بين الخطر والأمان، جامعة عين شمس، 1995.
- 5 - جان ميران كرم. الإعلام العربي إلى القرن الحادي والعشرين، دار الجيل بيروت، 2002.
- 6 - حسن السوداني: أثر العرض البصري القائم على خصائص الصورة التعليمية التلفزيونية في عملية التعرف لدى طلبة كلية الفنون الجميلة: رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة بغداد، 1996.
- 7 - ملفين ل. ديفلير، ساندرا بول روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1994.
- 8 - نزهة الخوري، أثر التلفزيون في تربية المراهقين، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1997.
- 9 - محمد شومان. إشكاليات في مسار تطور إعلام الأزمات والكوارث. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام. كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثالث، 2001.



توظيف مواقع التواصل الاجتماعي المرئية لمواجهة ثقافة العنف والتطرف (من وجهة نظر النخب الأكاديمية)

أ.م.د. مدين عمران محمود
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

أ.م.د. معد عاصي علي
كلية الاعلام / جامعة كركوك

E mail: dr.median1976@uomus- E mail: ma_ali@uokirkuk.edu.iq
tansiriyah.edu.iq Mobile Cell: +9647707523635
Mobile Cell: +9647712983000

(ملخص)

تتحدد أهمية البحث في كونه يتناول موضوع الإرهاب الإلكتروني وما يفرضه من تهديدات على الأمن الوطني للعديد من دول العالم التي كانت تنحصر في الأعمال التخريبية، وأصبحت تشمل أنشطة أكثر خطورة تمثلت في الاستخدام اليومي للإنترنت وتطبيقات التواصل الاجتماعي من قبل المنظمات الإرهابية لتنظيم وتنسيق عملياتهم المتفرقة والمنتشرة حول العالم. يتحدد الهدف الرئيسي للبحث في التعرف على توظيف مواقع التواصل الاجتماعي المرئية لمواجهة ثقافة العنف والتطرف من وجهة نظر النخب الأكاديمية، يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تستهدف تحليل خصائص مجموعة معينة، وتعتمد هذه الدراسة على المنهج المسحي لقياس مدى تعرض المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي يتناول الباحثان في هذا المبحث نتائج الدراسة المسحية حيث وزع الباحثان (120) استمارة على عينة عشوائية من النخب الأكاديمية لجامعة بغداد وكان عدد المبحوثين المستجيبين للدراسة (100) مبحوثا، وخلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج:

- 1 - بينت نتائج البحث ان اغلب النخب الأكاديمية يقومون بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية بشكل منتظم وبنسبة بلغت (67%)، وهذا يوضح انهم يستخدمون تلك الوسائل بشكل مستمر وقد يرجع ذلك لاهتمامهم بما تقدمه من مواضيع متنوعة ومهمة بالنسبة لهم.
- 2 - الاستخدام الكبير والعالي للفيس بوك ضمن مواقع التواصل الاجتماعي المرئية من قبل النخبة الأكاديمية مقابل مستوى اقل بالنسبة للوسائل الأخرى.

- 3 - التعود الكبير من غالبية النخب الأكاديمية على الاستخدام اليومي والمكثف لمواقع التواصل الاجتماعي المرئية وهذا يوضح مدى أهمية هذه الوسائل لهم بما تقدمه من معلومات ومضامين متنوعة واستخدامهم لها بشكل منظم ومقصود.
- 4 - الإشارة الواضحة من قبل المبحوثين التي كشفتها نتائج البحث إلى أنهم يكتفون بالاطلاع على الموضوعات التي تتضمن مضامين متطرفة، مقابل نسبة بسيطة جدا تقوم بالتفاعل مع تلك المضامين وهذا يوضح عدم اهتمام النخبة الأكاديمية بتلك المضامين لمعرفةهم بالأهداف التي تسعى إليها الجماعات المتطرفة من بث التطرف والتفرقة بين أبناء الشعب العراقي.
- 5 - الإشارة الواضحة من قبل النخبة الأكاديمية على أن الجماعات المتطرفة تعتمد وبشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي المرئية في بث افكارهم المتطرفة والمسمومة، وذلك للتواصل مع الجماعات المتطرفة في الدول والمناطق الاخرى.
- التأكيد الواضح من قبل النخبة الأكاديمية ان من بين اهم الاسباب في متابعتهم للأفكار المتطرفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية هو الحصول على معلومات كافية عن الجماعات المتطرفة والحذر منها وبنسبة بلغت (30,9%) وهذا يوضح اهتمام المبحوثين بمعرفة ما يدور في ذهن الآخرين من افكار ارهابية من اجل وضع الحلول المناسبة للحذر منهم.



Employing visual social media sites to counter the culture of violence and extremism ((From the point of view of academic elites))

(Abstract)

The importance of the research is determined by the fact that it deals with the subject of electronic terrorism and the threats it poses to the national security of many countries in the world, which were limited to subversive activities. They include more dangerous activities, such as the daily use of the Internet and social networking applications by terrorist organizations to organize and coordinate the world. The main objective of the research is to identify the employment of social media sites to counter the culture of violence and extremism from the point of view of the academic elites. This research is descriptive research aimed at analyzing the characteristics of a particular group. This study is based on the survey method to measure the exposure of the subjects to social networking sites (120) questionnaire on a random sample of the academic elites of the University of Baghdad; the number of respondents to the study (100) was studied, the study concluded with a set of results

- 1 - The results of the research show that most of the academic elites follow the social networking sites on a regular basis (67%). This indicates that they are using these methods continuously, which may be due to their interest in the various topics that are important to them
- 2 - The large and high use of Facebook in the social networking sites by the academic elite compared to a lower level for other means
- 3 - The great habit of the majority of academic elites on the daily and intensive use of social networking sites and this shows how important these means to them by providing information and various contents and use them in an orderly and intended



- 4 -The clear indication by the respondents revealed by the results of the research that they are satisfied with the topics that contain the content of extreme, compared to a very simple proportion to interact with those content and this shows the lack of interest of the academic elite of those contents to know the objectives of extremist groups to broadcast extremism and discrimination Among the Iraqi people
- 5 -The clear indication by the academic elite that extremist groups rely heavily on social networking sites to broadcast their extremist and poisoned ideas, in order to communicate with extremist groups in other countries and regions
- 6 -The clear assertion by the academic elite that among the most important reasons to follow the extremist ideas through social networking sites is to obtain sufficient information about extremist groups and be careful about them (30.9%) and this shows the interest of respondents to know what is going on in the minds of others terrorist ideas in order to develop appropriate solutions to warn them

المقدمة

شبكات التواصل الاجتماعي هي مصطلح يشير إلى تلك المواقع على شبكة الإنترنت والتي ظهرت مع ما يعرف بالجيل الثاني للويب (Web2) حيث تتيح التواصل بين مستخدميها في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم وفقاً لاهتماماتهم أو انتماءاتهم، بحيث يتم ذلك عن طريق خدمات التواصل المباشر كإرسال الرسائل أو المشاركة في الملفات الشخصية للآخرين والتعرف على أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض. وتتنوع أشكال وأهداف شبكات التواصل الاجتماعي فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام وتكوين الصداقات حول العالم، وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين شبكات اجتماعية في نطاق محدود ومنحصر في مجال معين مثل شبكات المحترفين والمصورين والإعلاميين وغيرها.

(النجار، رضا؛ ، 2005، صفحة 118) فالاهتمام البالغ الذي تحظى به هذه المواقع قد اضحى مسألة تهدد الامن الفكري لأفراد المجتمعات المختلفة ليس في بلادنا فحسب وإنما في كل بلدان العالم وهو ما يجعل التحولات السلوكية التي قد تحدث في بلد ما تؤثر بشكل قد يكون متنامي على بلدان أخرى بحسب الاستعداد الفكري والنفسي لأفراد ذلك المجتمع وبخاصة الشباب منهم لسرعة تأثرهم بالأحداث واندفاعهم نحو الجديد ، كما ان ضعف الثقافة الدينية والحصانة الثقافية والفكرية ونقص الوعي وبخاصة لدى المراهقين وهم اغلب مستخدمي تلك المواقع يجعل تأثير ما يتم تداوله من خلالها اشد تأثيراً وضرراً لذا فان تأثير تلك المواقع على الامن الفكري لأفراد المجتمع محل اهتمام ومتابعة.

(موسى، المراقبة الالكترونية عبر شبكة الانترنت، 2003، صفحة 227)

أصبح الإرهاب ظاهرة خطيرة تهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول وتعوق خطط التنمية بكافة أشكالها، ما جعل الدول تستنفر كل طاقاتها وجهودها لمحاصرة هذه الظاهرة والعمل على الحد من آثارها ،وبنظرة اشمل على مفهوم التطرف نجد أنه بحسب بعض المصادر كل ما يؤدي إلى الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع، مُعبّراً عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب، أو تبني قيم ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي أو سلوك جماعي منظم، بهدف إحداث التغير في المجتمع وفرض الرأي بقوة على الآخرين. وبهذا التوصيف فلا أحسن من شبكة الانترنت لمخالفة القيم والتعبير عن هذه المخالفات والدعوة لها من خلال البث الصوتي والنصوص والأفلام واحداث الضجيج للتعبير عن الأفكار التي يرى صاحبها اهمية ايصالها للناس (عبدالرزاق ، التطرف في الدين دراسة شرعية، 2004، صفحة 5_6).

ومن نتائج تداول وتناقل الأفكار والمفاهيم المغلوطة بين الأفراد من خلال مواقع التواصل الاجتماعي اختلاط وتداخل المفاهيم بين متصفحي تلك المواقع حيث يتم استخدام العديد من المصطلحات والمدلولات دون معرفة معناها الحقيقي، وسبب استخدامها حيث يتم اضافة اطار مطاط لتلك المصطلحات فيتم تفسيرها واستخدامها وفقا لأيديولوجيات معينة لتحقيق غايات معينة تغذي النزعات الطائفية والفكر المتطرف كالجهد في بلاد الاسلام وغيرها من الأفكار الهدامة للمجتمعات.

(الشهري ف، 1429 هـ، صفحة 43)

وهو ما يتطلب التكاتف لوضع استراتيجية لدراسة وتحليل مضمون تلك المواقع وما يدور فيها من حوارات وما يتم تبادله من معلومات واخبار لمنع الاضرار التي تترتب عليها وطرح المعلومات الصحيحة لإنقاذ شبابنا وبناتنا من براثن الارهاب والقوي السياسية المعادية التي تستهدف هدم مجتمعاتنا بتدمير فكر شبابنا، وكذا العمل على ارساء استراتيجية واضحة تقطع الطريق امام الاشاعات وحملات الدعاية والتشوية من خلال تصميم صفحات الكترونية تقدم المعلومات الصحيحة والرسمية. (بغريز، وسائل الاتصال الجديد والامن القومي دراسة في دور مواقع التواصل الاجتماعي في امن واستقرار الدول، 2014م، صفحة 93_106).

الاطار المنهجي للبحث

أولاً: مشكلة البحث: نظرا لما تشهده المجتمعات الحديثة من ظاهرة تنامي استخدام تقنيات الاتصال الإلكتروني وتنامي اعتماد الأفراد على المواقع الاجتماعية للتواصل المرئية مع مجتمع افتراضي، فقد ظهر جيل جديد لم يعد يتفاعل مع الإعلام التقليدي بقدر ما يتفاعل مع الإعلام الإلكتروني يسمى بجيل الأنترنت، وأصبحت هذه المواقع تتسم بعناصر الفورية، والتفاعلية، وتعدد الوسائط، والتحديث، والذي جعلها مصدرا رئيسا للحصول على المعلومات، وعلى ذلك يمكن القول ان مواقع التواصل الاجتماعي قد اصبحت اليوم من أقوى الوسائل المستخدمة لتحقيق اهداف سياسية فعلى الرغم مما لها من ايجابيات في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الا ان تأثيرها السلبي على استقرار الدول والمجتمعات قد بات واضحا حيث تم استخدامها ولا زالت لإثارة الفوضى والفتن وخاصة في مجتمعاتنا العربية وكذلك الغير عربية. أصبح الإرهاب ظاهرة خطيرة تهدد الأمن والاستقرار الداخلي للدول وتعوق خطط التنمية بكافة أشكالها، ما جعل الدول تستنفر كل طاقاتها وجهودها لمحاصرة هذه الظاهرة والعمل على الحد من آثارها، ومن هنا تتحدد مشكلة البحث من خلال توظيف مواقع التواصل الاجتماعي لمواجهة ثقافة العنف والتطرف.

ثانياً: أهداف البحث: يتحدد الهدف الرئيسي للبحث في التعرف على توظيف مواقع التواصل الاجتماعي لمواجهة ثقافة العنف والتطرف من وجهة نظر النخب الأكاديمية، وهناك مجموعة من الأهداف الفرعية التي تنبثق من الهدف الرئيس وهي: -

- 1 - الكشف عن معدل وحجم تعرض المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي المرئية.
- 2 - التعرف على أكثر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية استخداماً.
- 3 - محاولة الوصول الى أسباب ودوافع تعرض المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي المرئية.
- 4 - التعرف على مدى ثقة المبحوثين بالمعلومات التي يحصلون عليها عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي المرئية.
- 5 - معرفة ترتيب مواقع التواصل الاجتماعي المرئية من حيث درجة اعتماد المبحوثين عليها في الحصول على المعلومات.
- 6 - التعرف على علاقة المتغيرات الديموغرافية بالبحث عن المعلومات من خلال مواقع التواصل الاجتماعي المرئية.

ثالثاً: أهمية البحث: تتحدد أهمية البحث في كونه يتناول موضوع الإرهاب الإلكتروني وما يفرضه من تهديدات على الأمن الوطني للعديد من دول العالم التي كانت تنحصر في الأعمال التخريبية، وأصبحت تشمل أنشطة أكثر خطورة تمثلت في الاستخدام اليومي للإنترنت وتطبيقات التواصل الاجتماعي من قبل المنظمات الإرهابية لتنظيم وتنسيق عملياتهم المتفرقة والمنتشرة حول العالم، ويتسم الوجود الإرهابي النشط على الشبكة العنكبوتية بالتنوع الكبير، فهو في حالة تجديد دائم، بصورة تجعل أي عمل إرهابي يطال هذه الشبكة يمكن أن يخلف دماراً كبيراً كما يلاحظ أن المواقع الإلكترونية لتلك المنظمات لا تخاطب أعوانها ومموليها فحسب وإنما توجه رسائلها أيضاً للإعلام والجمهور الخاص بالمجتمعات التي تقوم بترويجها لما لذلك من أهمية في الكشف عن تلك الأفكار وطرحه أمام الرأي العام ومن ثم الحاجة العلمية لمعالجة هذا الموضوع وتحليل أبعاده.

رابعاً: نوع البحث ومنهجه: يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تستهدف تحليل خصائص مجموعة معينة، أو موقف معين، أو دراسة حقائق ظاهرة ما، أو مجموعة من الناس أو الأحداث للحصول على بيانات كافية عنها. فضلاً عن تصنيف هذه البيانات وتحليلها لاستخلاص مجموعة من النتائج التي تتيح لنا إصدار أحكام بشأن الظاهرة موضع الدراسة. (حسين، 1995، صفحة 147) وتعتمد هذه الدراسة على المنهج المسحي لقياس مدى تعرض المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي.

خامساً: أداة جمع البيانات: تعد عملية جمع البيانات من اهم المراحل لأي بحث علمي، وبالنظر لطبيعة مجتمع وعينة البحث، فقد ارتأى الباحثان استخدام استمارة الاستبيان اداة للبحث للحصول على معلومات دقيقة وصحيحة من افراد العينة. إذ ان هذه الطريقة تعد (من اكثر الأدوات المستخدمة في جمع البيانات بخاصة في العلوم الاجتماعية والتي تتطلب الحصول على معلومات او تصورات او آراء الأفراد). (دويريدي، 2000، صفحة 33) كما إنها من اكثر طرق جمع البيانات في الدراسات الإعلامية نظراً لتنوعها، وتعدد أشكالها مما يجعلها تستخدم في أغراض متعددة من البحوث. (حسين، 1999، صفحة 178) ولما كان الاستبيان لا يشترط المواجهة بين الباحثان والمبحوث اذ يمكن للباحث ان يوزع الاستمارة على المبحوثين اما في مكان واحد او في اماكن عدة كما يمكن إرسالها للمبحوثين بريدياً، يتولى المبحوثون الإجابة عنها وإعادتها مرة اخرى الى الباحثان. (عويس، 2003، صفحة 194).

سادساً: اختبار الصدق والثبات:

أ- اختبار الصدق: من بين الاجراءات الواجب توافرها في تصميم الاستمارة هي تهيئة الثقة في بياناتها المستخرجة من المبحوثين للتأكد من توافر الصدق فيها. ولقياس الصدق استخدم الباحثان أسلوب الصدق الظاهري، إذ عرضت الاستمارة على مجموعة من المحكمين*. في مجال الإعلام والقانون للحكم على مدى صلاحية الأسئلة لقياس استخدامات المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي، وبناء على ما أشاروا به من ضرورة إجراء تعديلات معينة على بعض فقراتها وقد قام الباحثان بإجراء التعديلات اللازمة.

ب- الثبات: ويقصد به التوصل الى النتائج نفسها بتطبيق استمارة الاستقصاء في وقت لاحق لتطبيقها الاول ، وللتأكد من ثبات البيانات استخدم الباحثان أسلوب إعادة الاختبار على عينة مقدارها (30) مفردة اي على عينة قوامها (10%) من مجموع افراد العينة، وذلك بعد شهر من التطبيق الأول، وتم حساب معامل الثبات وكانت قيمت (89,4) وهي نسبة جيدة على الرغم مرور مدة زمنية على إجابتهم الأولى، اذا اخذنا في الاعتبار ان الدراسة تتعامل مع دوافع وآراء واتجاهات تتسم بالتغيير وعدم الثبات .

سابعاً: حدود البحث:

أ. المجال المكاني والزمني: ارتأى الباحثان تطبيق الدراسة في جامعة بغداد وعلى النخبة الأكاديمية، وقد استغرق العمل الميداني الذي قام به الباحثان في توزيع الاستمارة على المبحوثين واسترجاعها إليه مدة شهر وهي المدة الواقعة بين (1/9/2021م إلى 1/12/2021م) هو المجال الزمني الذي أجريت فيه الدراسة.

ب. المجال البشري: لقد قام الباحثان بتوزيع (120) استمارة بشكل عشوائي على النخبة الأكاديمية في جامعة بغداد وقد بلغ عدد الاستمارات الصالحة التي تمت أعادتها الى الباحثان (100) استمارة اذ ان (12) استمارة لم يتم إرجاعها الى الباحثان و(8) استمارة كانت غير صالحة لذلك ارتأى الباحثان استبعادها حفاظاً على دقة البيانات في العينة المبحوثة.

عينة البحث: يتناول الباحثان في هذا المبحث نتائج الدراسة المسحية حيث وزع الباحثان (120) استمارة على عينة عشوائية من النخب الأكاديمية لجامعة بغداد وكان عدد المبحوثين المستجيبين للدراسة (100) مبحوثاً، وفيما يأتي أهم خصائص المبحوثين وسماتهم، انظر جدول(1) ادناه.

جدول (1) بحسب خصائص المبحوثين وسماتهم

السمات	البيانات	التكرار	النسبة المئوية %	المجموع	
النوع	ذكور	50	50%	100	100%
	إناث	50	50%		
متغير العمر	30 الى 40	41	41%	100	100%
	41 الى 50	27	27%		
	51 الى 60	19	19%		
	اكثر من 60	13	13%		
التخصص	إنساني	50	50%	100	100%
	علمي	50	50%		
اللقب العلمي	مدرس مساعد	37	37%	100	100%
	مدرس دكتور	30	30%		
	استاذ مساعد دكتور	22	22%		
	استاذ دكتور	11	11%		

الإطار النظري للبحث:

أولاً: مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي : تعرف شبكات التواصل الاجتماعي بأنها: ”عبارة تستخدم لوصف أي موقع على الشبكة العنكبوتية يتيح لمستخدميه وضع صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحات. يضاف الي ذلك أن مواقع شبكات التواصل الاجتماعي يمكن أن تستخدم لوصف المواقع ذات الطابع الاجتماعي، مجموعات النقاش الحي، غرف الدردشة وغيرها من المواقع الاجتماعية الحية.

ويوجد حالياً على الإنترنت آلاف مواقع التواصل الاجتماعي المرئية ، ومن أهم تلك المواقع هي المدونات والمنديات، إضافة إلى الفيسبوك وتويتر ، ومواقع عديدة مثل الويكي ، يضاف الي ذلك التطبيقات التي قدمتها بعض الشركات الكبرى لدعم الفكر الاجتماعي في التفكير والمشاركة مع مستخدمي مواقعها مثل جوجل وياهو ، ومواقع خدمات وتخزين الصور وإعادة عرضها وإرسالها مثل فليكر واليوتيوب وغيرها من الخدمات والتقنيات التي تجد اهتماماً فردياً مع تبادل المشاركة والنشر بين المستخدمين.

ثانياً: مفهوم التطرف عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: التطرف مصطلح لم يعرف في الكتب والمراجع العربية قديماً بمعناه المنضبط اصطلاحاً في الوقت الراهن وان كان بعض العلماء قديماً استخدموا كلمة التطرف الديني على القائل المخالف للشرع، وعلى القول المخالف للشرع وعلى الفعل المخالف للشرع. فهو فهم النصوص الشرعية فهماً بعيداً عن مقصود الشارع وروح الإسلام فالتطرف في الدين هو الفهم الذي يؤدي إلى إحدى النتيجتين المكروهتين، وهما الإفراط أو التفريط. والمتطرف في الدين هو المتجاوز حدوده والجافي عن أحكامه وهديه، وبمنظرة اشمل على مفهوم التطرف نجد أنه كل ما يؤدي إلى الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع، مُعبّراً عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب، أو تبني قيم ومعايير مختلفة قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف وبهذا التوصيف فلا أحسن من شبكة الانترنت لمخالفة القيم والتعبير عن هذه المخالفات والدعوة لها من خلال البث الصوتي والنصوص والأفلام واحداث الضجيج للتعبير عن الأفكار التي يرى صاحبها اهمية ايصالها للناس (عبدالرزاق، 2004، صفحة 5_6).

وهنا يمكن ان نعرف التطرف الالكتروني أنشطة توظيف شبكة الانترنت والهواتف المتنقلة والخدمات الالكترونية المرتبطة في نشر وبث واستقبال وانشاء المواقع والخدمات التي تسهل انتقال وترويج المواد الفكرية المغذية للتطرف الفكري وخاصة المحرض على العنف أياً كان التيار او الشخص او الجماعة التي تتبنى او تشجع او تمويل كل ما من شأنه توسيع دائرة ترويج مثل هذه الأنشطة. (Union ، 2010 ، صفحة 13_19).

ثالثاً: العنف عبر مواقع لتواصل الاجتماعي: العنف في اللغة: قال ابن منظور: العنف الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق. عُنْفَ به وعليه يَعُفُ عَفْاً وعَفَافاً ، وأعنفه ، وعَنَفَه تعنيفاً وهو عنيف ، إذا لم يكن رفيقاً في أمره . واعتنف الأمر: أخذ به عنف، والتعنيف: التعيير واللوم تعريف العنف في الاصطلاح: الشدة والقسوة ضد الرفق والاسلام دين رفق وحسن مع المخالف وقد قال تعالى لنبيه: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (125) (النحل) ويرى بعض الباحثين اهمية التمييز بني نوعين من العنف: العنف المادي والعنف الرمزي، فالأول يلحق الضرر بالموضوع) الذي يمارس عليه العنف (سواء كان في البدن أو في الحقوق، أو في المصالح أو في الأمن وغير ذلك. أما العنف الرمزي فيلحق ذلك الضرر بالموضوع على المستوى النفسي بأن يكون في الشعور الذاتي بالأمن والطمأنينة والكرامة والاعتبار والتوازن.

والعنف الالكتروني باستخدام تطبيقات الانترنت والخدمات المرتبطة بها يتحقق من خلاله كلا النوعين العنف المادي، والعنف الرمزي فمن جهة العنف المادي نجد أن المحتوى المتطرف يمس الناس بالتهديد المباشر وبخاصة الرموز السياسية وهو ايضا ينتقص حقوق فئات معينة) مثل المهاجرين في الغرب، الأقليات الدينية في الشرق (ويضرر بمصالح فئات ومجموعات ويهدد الأمن الوطني، وفي جهة العنف الرمزي فطول ادمان المواقع المتطرفة يقود اما الى التوتر والخوف، او يستهوي الانسان فيجتاح الانسان الى تبني افكار متطرفة تأثرا بالغرس الثقافي الذي يتعرض له من خلال شاشة الحاسوب أمامه. (عزوزي، 2004، صفحة 8_10).

رابعاً: تأثيرات مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: تؤثر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية في امن الدول واستقرارها وهو ما دعا العديد من المؤسسات المتخصصة بالأمن الي دراستها ووضع الخطط الاستراتيجية للتعامل معها وذلك لان ما يتم نشره عبر تلك المواقع من اخبار ومعلومات في الغالب ما تكون مفقدة للصدق والدقة والمهنية وغالبا ما تكون موجهة لتحقيق غايات خاصة ، فعند

التركيز في خلفيات مديري هذه المواقع الفكرية والسياسية نجد ذلك جليا بالإضافة الي ان المحتوي المعلوماتي لهذه المواقع هو من اكثر المعلومات تداولاً بين الجمهور وبخاصة الشباب حيث ان هذه المواقع تمكنت من جذب اعداد هائلة من المتصفحين في مدة زمنية بسيط متجاوزة بذلك قدرات اجهزة الاعلام التقليدية الأخرى بفارق كبير وهو ما منحها قدرة كبيرة على التأثير في الساحة السياسية واتجاهات الرأي العام وكذا في بث الافكار والاعتقادات المتطرفة وبخاصة لدي الشباب مما أدى الى تغيير سياسي وامني كبير ومن ثم فقد اصبحت هذه المواقع تستخدم لتهديد امن الدول وزعزعة استقرارها وهو ما سوف نتناوله من خلال عناصر على النحو التالي :

1 - ضعف الثقافة الدينية والحصانة الثقافية والفكرية ونقص الوعي وبخاصة لدي المراهقين وهم اغلب مستخدمي تلك المواقع يجعل تأثير ما يتم تداوله من خلالها اشد تأثيراً وضرراً لذا فان تأثير تلك المواقع على الامن الفكري لأفراد المجتمع محل اهتمام ومتابعة (موسى، 2003، صفحة 227).

2 - تداول وتناقل الافكار والمفاهيم المغلوطة بين الافراد من خلال مواقع التواصل الاجتماعي أدى الى اختلاط وتداخل المفاهيم بين متصفح تلك المواقع حيث يتم استخدام العديد من المصطلحات والمطلوبات دون معرفة معناها الحقيقي، فيتم تفسيرها واستخدامها وفقاً لأيديولوجيات معينة لتحقيق غايات معينة تغذي النزعات الطائفية والفكر المتطرف كالجهد في بلاد الاسلام وغيرها من الافكار الهادمة للمجتمعات (الشهيري، 1429 هـ، صفحة 44).

3 - استغلال الجماعات المتطرفة سذاجة المتصفحين لتلك المواقع في تجنيدهم لارتكاب الاعمال الارهابية والتفجيرات الانتحارية بدعوى اقامة الدين والجهاد في سبيل الله. وعلى ذلك يرى الباحثان ان مواقع التواصل الاجتماعي قد اصبحت اليوم من أقوى الوسائل المستخدمة لتحقيق اهداف سياسية فعلى الرغم مما لها من ايجابيات في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الا ان تأثيرها السلبي على استقرار الدول والمجتمعات قد بات واضحاً حيث تم استخدامها ولا زالت لإثارة الفوضى والفتن وخاصة في مجتمعاتنا العربية والغير عربية.

وهو ما يتطلب الى التعاون والتكاتف لوضع استراتيجية لدراسة وتحليل تلك المواقع وما يدور فيها من حوارات وما يتم تبادلها من معلومات واخبار لمنع الاضرار التي تترتب عليها وطرح المعلومات الصحيحة لإنقاذ شبابنا من براثن الارهاب والقوى السياسية المعادية التي تستهدف هدم مجتمعاتنا بتدمير فكر شبابنا، من خلال تصميم صفحات الكترونية تقدم المعلومات الصحيحة والرسمية (بعزيز، مصدر سابق، صفحة 93_106).

خامساً: دور مواقع التواصل الاجتماعي المرئية على نشر العنف والتطرف: إن الجماعات المتطرفة كانت من أوائل الجماعات الفكرية التي دخلت العالم الإلكتروني حتى قبل أن تظهر شبكة الانترنت بسنوات. وقد تعاقب ظهور مواقع تابعة لجماعات متطرفة من الولايات المتحدة وأوروبا وبشكل خاص بريطانيا وأستراليا ثم بقية دول العالم.

وفي العالم الإسلامي أسهمت شبكة الانترنت بشكل واضح في بسط نفوذ التطرف الفكري لمختلف التيارات من خلال المواقع والمنديات التي تديرها الجماعات والرموز المتطرفة التي تقدم منتجاتها الفكرية وفق خطاب جاذب مستغلين في ذلك الواقع المتردي في كثير من مجتمعات العالمين العربي والإسلام ومع أن التطرف لا دين له ولا جنس، إلا أن ما أصاب المسلمين من ضرر التطرف في العقود الماضية (Phyllis، 2003، صفحة 29_44).

ومن جهة أخرى نجد أن الدول الغربية تضغط على الدول الإسلامية بين الحين والآخر تحت بند تشديد الرقابة على المواقع المتطرفة لنجد أن معظم هذه المواقع تنطلق بدعم واستضافة شركات غربية. وقد كشف رئيس معهد أبحاث وإعلام الشرق الأوسط ميمري ومقره واشنطن أن جميع المواقع الإلكترونية التابعة لتنظيم القاعدة والجماعات الجهادية الأخرى موجودة في الولايات المتحدة ودول الغرب الأخرى.

ومع التوسع في توظيف شبكات المعلومات بات الحديث عن توظيف الفضاء الإلكتروني من قبل المتطرفين ونجم عن ذلك ما يعرف بالإرهاب الإلكتروني الذي أصبح واقعاً فرضته الحوادث اليومية، التي كانت تقنيات الاتصال الحديثة طرفاً فيها أو ضحية لها في ظل حقيقة أن المجرمين والإرهابيين نجحوا في استثمار فرص تطور التقنية وإمكاناتها غير المحدودة، لتوظيفها لخدمة أغراضهم، إلا أن هذا لا يعني أن الظاهرة الإرهابية التقليدية ومحفزاتها اختلفت كثيراً عن الإرهاب في عصر الانترنت فكلا النمطين تحركهما نفس الدوافع ويسعيان لتحقيق ذات الأهداف. (الشهيري، 2007، صفحة 3_9)، إذ وعت حكومات الدول لمخاطر هذا الشكل الجديد من تجنيد الإرهابيين للقيام بالعمليات الإرهابية فقد سعت بالمقابل إلى الشروع في حرب "رقمية" لاسيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي في دعاية مضادة تهدف من ورائها إلى كسب الحرب على "الإرهاب" عبر رصد فعاليات الجماعات المسلحة ومتابعة تمددها ومراقبة أساليب تجنيدها للشباب في (بسيوني، 2008، صفحة 39_43).

سادساً: مواقع التواصل الاجتماعي وجاذبية للإرهابيين: مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة جماهيرية ووسيط تمنح قدرا كبيرا من السرية والخصوصية لمستخدميها. وتعود بعض اسباب جاذبيتها للمتطرفين وغيرهم الى خصائصها التالية:

- 1 - عدم وجود رقابة على التواصل بين أطراف الاتصال.
- 2 - قدرتها على تحقيق التواصل الاجتماعي مع الآخرين بكل اللغات والثقافات لمختلف شعوب العالم.
- 3 - إقبال الشباب على هذه الوسيلة بشكل كبير.
- 4 - تشكل المنتديات الحوارية المتطرفة وقود الصراع الفكري للفكر المتطرف مع خصومه
- 5 - انتشار المواقع الفكرية لرموز الفكر التكفيري وتواصلها بخطاب تحريضي جذاب مع زوارها ومعتنقي هذه الأفكار.

سابعاً: اسباب ظاهره العنف والتطرف في مواقع التواصل الاجتماعي

أ- اسباب سياسية : من اهم الدوافع لظاهرة العنف والتطرف هي الاسباب السياسية اذا تلجا الجماعات التي وراء الظاهرة لتحقيق اهداف منها :

- 1 - التطلع والاستحواذ على السلطة .
- 2 - اقامة كيان سياسي وفرض مذهب او رؤية سياسية معينة.
- 3 - الاضطهاد الطائفي والديني والقومي من مكون ضد مكون اخر داخل الدولة.
- 14 - السياسات القمعية والاستبدادية التي تنتهجها بعض الدول ضد مواطنيها، والتي تؤدي الى النقمة الشعبية والاستياء مما يؤدي الى عمليات ارهابية كرد فعل على تلك الممارسات (زيدان، 2007، صفحة 122) .

ب- الاسباب الاجتماعية والنفسية

- 1 - التفكك الاسري والاجتماعي يؤدي الى انتشار الانحراف والامراض النفسية والعنف والتطرف .
 - 2 - فشل منظومة التربية والتعليم بكل مستوياته في المجتمع يؤدي الى تفشي العنف والتطرف.
- الاحباط واقتقاد الشخص لاهمية دوره في المجتمع وفشله في مرحلة المراهقة والرشد يساعد على تشجيعه للتطرف وابعاده في العن (بوادي، 2007، صفحة 122).

ج- الاسباب الاقتصادية

- 1 - غلاء المعيشة وانتشار الفقر وزيادة في اسعار المواد والسلع الاساسية .
- 2 - زيادة العاطلين عن العمل وانتشار البطالة وعدم توفر فرص العمل من العوامل المساهمة في ازدياد العنف والتطرف.

- د- **غياب الحدود الجغرافية:** ان غياب الحدود المكانية للانترنت بالاضافة الى عدم معرفة هوية المستخدم يساعد على المتطرف على ان يقدم نفسه بالهوية والصفة التي يريد .
- هـ- قلة التكلفة وسهولة الاستخدام
- و- عدم السيطرة وغياب القانون والفراغ التنظيمي والرقابه على مواقع التواصل الاجتماعي .

ثامناً: العنف والتطرف وصورها في مواقع التواصل الاجتماعي

أ- **القصف الالكتروني:** وهي عملية تلجا اليه المنظمات الارهابية للهجوم على شبكة المعلومات عن طريق توجيه كم كبير من الرسائل الالكترونية الى مواقع هذه الشبكات ممايزيد الضغط على قدرتها في استقبال رسائل المتعلمين معها وبالتالي يؤدي الى وقف عمل الشركة التي تقدمها باستخدام الانترنت (الشوابكة، 2009، صفحة 170).

ب- **التهديد الالكتروني:** اي زرع الخوف في النفس وذلك بالضغط على ارادة الانسان وتخويله بالضرر الذي سيلحق به .

ج- **الاتصالات واعطاء التعليمات** تساعد مواقع التواصل الاجتماعي المنظمات الارهابية في الاتصال فيما بينهم (موسى، 2009، صفحة 236).

د- **الحصول على التمويل:** تقدم مواقع التواصل الاجتماعي فرصا كبيرة للتنظيمات الارهابية في الحصول على التمويل من خلال استعطاف الافراد ودغدغة مشاعرهم لدفع التبرعات للمحتاجين (james , 2002, p. 8).

هـ- **الدعاية وتجنيد اراهييين:** يعد مواقع التواصل الاجتماعي من الوسائل الاكثر فاعلية في ديمومه التنظيمات الارهابية من خلال تجنيد عناصر جديد لها باستخدام تلك المواقع.

تاسعاً: **مواقع التواصل الاجتماعي المرئية ومميزات للجماعات الارهابية:** إن مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة فعالة للغاية للجماعات الارهابية حيث سيبقي المحتوى الالكتروني هو قضية القضايا نظراً لوضوح تكثيف توظيف الجماعات المتطرفة لتقنيات الانترنت الاتصالية.

ومن جهة التمويل فقد حدثت تحولات واضحة في طريقة تلقي الأموال باستخدام التقنية، إذ تشير التقارير الى وجود مؤشرات لاستخدام نظام M-payment، وبعض خدمات الدفع بالهواتف المحمولة لنقل الأموال إلكترونياً، علاوة على إمكانية توظيف امكانات نقل وتخزين الأموال عبر انظمة دفع الكترونية وهناك دلائل على امكان حدوث بعض هذه العمليات في بعض الدول التي لا يوجد فيها نظام مالي صارم، خاصة في مجال استخدام الهواتف الجواله التي تبدو أكثر جاذبية لتحويل الأموال وبصورة عامة فقد كانت الإنترنت ذات أثر واضح في تسهيل الحصول على التمويل بالنسبة للإرهابيين، حين وفرت الشبكة وسائل رخيصة وسريعة وأقل خطورة للمرسل والمستقبل. وأشارت أيضاً إلى أن التكنولوجيا قد مكنت الجماعات الصغيرة الاتصال ببعضها، وتوفير الموارد اللازمة للهجمات دون الحاجة إلى تكوين منظمة إرهابية ومن هنا يتضح عدد من الإيجابيات التي تقدمها شبكات المعلومات والإنترنت لمجموعات التطرف وبخاصة ما يندرج تحت مفهوم العنف والتطرف وهي مما يمكن النظر إليها من خلال مزايا شبكة الإنترنت نفسها التي تساعد وتقدم مزايا مذهلة مثل:

- 1 - **المرونة:** حيث توفر مواقع التواصل الاجتماعي إمكانية القيام بالترويج والدعوة للعنف وحتى بعض العمليات التخريبية الفنية.
- 2 - **الكلفة:** يمكن تنسيق وترتيب شن عمليات إرهابية عبر مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت دون ميزانية كبيرة وتحدث خسائر كبرى عند الخصم (الشهري ف، مصدر سابق، صفحة 22_27).
- 3 - **المخاطرة:** عدم حاجة الإرهابي الذي يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت لتعريض نفسه لمخاطر ترصد أمني أو حمل متفجرات أو تنفيذ مهمة انتحارية تؤدي بحياته.
- 4 - **التخفي:** الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص غابة مترامية الأطراف ولا تتطلب عملية الإرهاب الإلكتروني وثائق مزورة أو عمليات تنكر فالفقاع الإلكتروني والمهارة الفنية كفيلا بإخفاء الأثر حتى عن عين الخبير (B.Hofman، 2006، صفحة 4).
- 5 - **الدعاية:** تحظى عمليات الإرهاب الإلكتروني اليوم بتغطية إعلامية كبيرة وتقدم بذلك خدمة كبرى للإرهابيين (الحمصي، صفحة 5_9).
- 6 - **التدريب:** تعد مواقع تواصل الاجتماعي وسيلة مهمة لتدريب الإرهابيين واعوانهم متجاوزة حدود الزمان والمكان والرقباء.
- 7 - **الاتصال:** تسهل الخدمات الاتصالية التي تقدمها شبكة الإنترنت مواقع التواصل الاجتماعي الاتصالات المختلفة بين المجموعات الإرهابية.

عاشراً: مواقع التواصل الاجتماعي المرئية وخصائصه بتجنيد الإرهابيين: ان السمات الفنية للمواقع التواصل الاجتماعي المرئية تكاد تتشابه وان كانت تتطور تبعا لتطورات التطبيقات الخاصة بالنشر الالكتروني على الشبكة العالمية، ولكن ما يميز الكثير من المواقع التي تروج للإرهاب وثقافته انها دائمة التجديد وتلاحق الحدث ويعود ذلك الى ايمان العاملين عليها بأنهم في جهاد وانهم يسدون ثغرا ويساندون شباب الجهاد وهذا الاقتناع يبدو واضحا في اللامسات الشخصية في التصميم واختيار العناوين المشحونة بالشحن والدفق العاطفي مثل ذكر ”الثواب” و” الجنة” و” الحور العين” ونحو ذلك. وبشكل عام يمكن تمييز عدد من السمات المشتركة بين هذه المواقع على النحو الآتي:

- 1 - الشكل الفني المبدع في التصميم والحرفية الواضحة في تقسيم الموضوعات والصور والمحتويات.
- 2 - توفير خدمات تتجاوز حجب المواقع وترسل بصورة منتظمة للأعضاء وتقدم كل جديد من خلال التواصل المنتظم مع الأعضاء.
- 3 - تقديم مجموعة من الخيارات الثقافية المصاحبة مثل خدمة تحميل الكتب والاستشارات في شئون الأسرة والصحة وغيرها.

1 - جاذبية خطاب التحريض على العنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي حيث أن للخطاب العنيف ذي الروح السياسية الدينية جاذبية خاصة لأنه يلامس الضعف الانساني حيال المشكلات التي يتعرض لها الانسان في حياته الشخصية او ما يراه في عالم تسوده الصراعات والفتن ، كما أن الأحداث والصراعات العنيفة والمؤلمة ومظاهر التكالب العالمي على موارد العالم العربي والاسلامي تشعل الانفعالات وتثري العواطف ولا يجد مستخدمو الانترنت من الشباب صدى لهذه الانفعالات للتنفيس في وسائل الاعلام الخاضعة لسياسات ومصالح الدول ، من هنا يظهر الاعلام الالكتروني بالمحتوى البديل على مواقع ومنتديات الانترنت وخاصة المتشددة منها مستفيدة من المتغيرات التالية: قوة استهداف الشباب بالمحتوى الإلكتروني الملائم لسنهم وطموحاتهم.

- 2 - المتاجرة بمشاعر المحبطين وتقديم الوعود بمستقبل أفضل.
- 3 - اغراء اللغة الحماسية التي هي جزء من شخصية الشباب.
- 4 - تقديم البديل عن المراجع الفكرية الغائبة أو المغيبة (اللبان، 2000، صفحة 126).
- 5 - لا يخضع محتوى مواقع التواصل الاجتماعي للرقابة وهو ما يتناسب مع الفئات العمرية المتمردة على كل رقابة.
- 6 - الافراد بمستخدم الانترنت وعزله عن محيطه الأسري والاجتماعي ضمن مجتمع افتراضي لا مثيل له في الواقع.

الاطار الميداني للبحث:

1 - مدى متابعة المبحوثين مواقع التواصل الاجتماعي: بهدف الكشف عن مدى انتظام المبحوثين في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، تشير النتائج الى ان المتابعة الكثيفة حصلت على المعدل الأعلى، إذ أكد (67) مبحوثاً وبنسبة بلغت (67%) أنهم يقومون بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي (دائماً) لتشكل هذه الفئة المرتبة الأولى من مدى المتابعة، بينما أكد (23) مبحوثاً وبنسبة بلغت (23%) انهم (أحياناً) ما يقومون بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي لتشكل هذه الفئة المرتبة الثانية، اما بالنسبة للمتابعة العرضية جاءت بالمرتبة الثالثة في نتائج الإجابات؛ إذ أكد (10) مبحوثين وبنسبة بلغت (10%) أنهم (نادراً) ما يتابعون مواقع التواصل الاجتماعي. (انظر جدول 2) أدناه.

جدول (2) المبحوثين حسب درجة متابعتهم مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

متابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية	التكرارات	النسبة المئوية%
دائماً	67	67%
أحياناً	23	23%
نادراً	10	10%
المجموع	100	100%

2 - مواقع التواصل الاجتماعي المرئية الأكثر استخداماً: لأجل الكشف عن مواقع التواصل الاجتماعي التي يستخدمها المبحوثون طرح السؤال عن ذلك، وكانت الإجابة تشير إلى إن (57%) من المبحوثون يستخدمون (الفيس بوك) من بين مواقع التواصل الاجتماعي، اذ احتلت المرتبة الاولى وبلغ عدد الذين عبروا عن ذلك (75) مبحوثاً، فيما بلغ عدد المبحوثين الذين يستخدمون (يوتيوب) من بين مواقع التواصل الاجتماعي (21) مبحوثاً وبنسبة بلغت (21%) وجاءت في المرتبة الثانية، فيما حلت (الصحافة الالكترونية) بالمرتبة الثالثة وبلغ عدد الذين اكدوا على ذلك (13) مبحوثين وبنسبة بلغت (13%)، بينما جاء (تويتر) بالمرتبة الرابعة وبلغ عدد الذين اكدوا على ذلك (9) مبحوثين وبنسبة بلغت (9%). (انظر جدول 3) أدناه.



جدول (3) يبين أكثر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية استخداماً

مواقع التواصل الاجتماعي المرئية	التكرار	النسبة المئوية
فيس بوك	57	57%
يوتيوب	21	21%
الصحافة الالكترونية	13	13%
تويتر	9	9%
المجموع	100	100%

3 - مستوى تفضيل المبحوثين مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: لأجل التعرف على مستوى تفضيل الجمهور للفيس بوك (بشكل كبير أو متوسط أو قليل)، تشير النتائج الى ان تفضيل الجمهور لمواقع التواصل الاجتماعي (بشكل كبير) جاء بالمرتبة الأولى إذ بلغ عدد المبحوثين الذين أشاروا إلى ذلك المستوى من التفضيل (53) مبحوثاً وبنسبة بلغت (53%)، بينما جاء التفضيل (بشكل متوسط) بالمرتبة الثانية إذ بلغ عدد المبحوثين الذين أشاروا إلى ذلك المستوى من التفضيل (29) مبحوثاً وبنسبة بلغت (29%)، كما احتل مستوى التفضيل (بشكل قليل) على المرتبة الثالثة من حيث شدة المتابعة؛ إذ بلغ عدد المبحوثين الذين أشاروا إلى ذلك المستوى من التفضيل (18) مبحوثين وبنسبة بلغت (18%). (انظر جدول 4) في أدناه.

جدول (4) المبحوثين حسب تفضيلهم مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

مستوى تفضيل الجمهور	التكرارات	النسبة المئوية %
أفضلها بشكل كبير	53	53%
أفضلها بشكل متوسط	29	29%
أفضلها بشكل قليل	18	18%
المجموع	100	100%

4 - الوقت الذي يقضيه المبحوثين في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: بهدف الكشف عن معدل الزمن الذي يقضيه الجمهور في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي أشارت النتائج ان غالبية المبحوثين يقضون (ساعتين الى اربع ساعات) إذ بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا على

ذلك (59) مبحوثاً من إجمالي الإجابات وبنسبة بلغت (59%)، بينما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا أنهم يقضون (ساعة إلى ساعتين) في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي (27) مبحوثاً وبنسبة بلغت (27%)، كما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا أنهم يقضون (ساعتين إلى أربع ساعات) في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي (10) مبحوثين وبنسبة بلغت (10%) بينما بلغ عدد المبحوثين الذين شاركوا إلى أنهم يقضون (أكثر من أربع ساعات) في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي (4) مبحوثين وبنسبة بلغت (4%). (انظر جدول 5) أدناه.

جدول (5) المبحوثون حسب المدة التي يقضونها في متابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

النسبة المئوية	التكرارات	المدة التي يقضيها المبحوثين في المتابعة
71%	59	ساعتين إلى أربع ساعات
27%	27	ساعة إلى ساعتين
10%	10	أقل من ساعة
4%	4	أكثر من أربع ساعات
100%	100	المجموع

5 - مدى انتظام المبحوثين في التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي المرئية: لأجل التعرف على مدى انتظام المبحوثين في التعرض لمواقع التواصل الاجتماعي تم طرح التساؤل عن ذلك، وكانت الإجابات المستخرجة من الإجابات قد أشارت إلى أن أكثر من نصف عينة البحث يتعرضون (يوميًا) لمواقع التواصل الاجتماعي إذ بلغ عدد المبحوثين الذين أشاروا إلى ذلك (73) مبحوثاً وبنسبة بلغت (73%)، أما بالنسبة للذين يتعرضون (بشكل غير منتظم عند الرغبة والحاجة) فبلغ عدد الذين أشاروا إلى ذلك (15) مبحوثاً وبنسبة بلغت (15%)، بينما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا إلى أنهم يتعرضون (في أوقات الفراغ) لمواقع التواصل الاجتماعي (9) مبحوثين وبنسبة بلغت (9%)، كما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا أنهم يتعرضون (أسبوعياً) لمواقع التواصل الاجتماعي (3) مبحوثين وبنسبة بلغت (3%). (انظر جدول 6) أدناه.

جدول (6) المبحوثون حسب مدى انتظام متابعتهم مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

النسبة المئوية %	التكرارات	معدل المتابعة
73%	73	يومية
15%	15	بشكل غير منتظم
9%	9	في أوقات الفراغ
3%	3	أسبوعياً
0	0	شهرياً
100%	100	المجموع

6 - الموضوعات التي يفضل المبحوثين مناقشتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: بهدف التعرف على أهم الموضوعات التي يحب المبحوثين مناقشتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي من عينة البحث عبر مواقع التواصل الاجتماعي، جرى السؤال عن ذلك وكانت الإجابات تدل على أن (موضوعات سياسية) جاء بالمرتبة الأولى من حيث التفضيل، إذ أكد على ذلك (95) مبحوثاً وبنسبة بلغت (20,2%) واحتلت (افكار ارهابية محلية ودولية) المرتبة الثانية من حيث التفضيل، إذ أشار إلى ذلك (88) مبحوثاً وبنسبة بلغت (18,7%) في حين حازت (الفساد في اجهزة الدولة) على المرتبة الثالثة من حيث التفضيل، إذ أكد على ذلك (71) مبحوثاً وبنسبة بلغت (15,1%) وجاءت (الامن) بالمرتبة الرابعة من حيث التفضيل، إذ عبر عن ذلك (60) مبحوثاً وبنسبة بلغت (12,8%) وحصلت (الافكار التكنولوجية) على المرتبة الخامسة إذ أكد على ذلك (54) مبحوثاً وبنسبة بلغت (11,5%) وحازت (انتهاك حقوق الانسان) على المرتبة السادسة من حيث تفضيل المبحوثين إذ أشار إلى ذلك (49) مبحوثين وبنسبة بلغت (10,4%) في حين احتلت (الرياضية) المرتبة السابعة إذ عبر عن ذلك (22) مبحوثاً وبنسبة بلغت (4,7%)، واحتلت (الاقتصادية) المرتبة الثامنة من حيث التفضيل، إذ أشار إلى ذلك (17) مبحوثاً وبنسبة بلغت (3,6%) في حين حازت (الموضوعات الترفيهية) على المرتبة التاسعة من حيث التفضيل، إذ أكد على ذلك (9) مبحوثين وبنسبة بلغت (1,9%)، وجاءت (اخرى) بالمرتبة العاشرة من حيث التفضيل إذ اشار الى ذلك (5) مبحوثين وبنسبة بلغت (1,1%). (انظر جدول 7) أدناه.

(1) يحق للمبحوث اختيار أكثر من خيار.

جدول (7) المبحوثون حسب تفضيلهم للموضوعات التي يناقشونها عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

الموضوعات	التكرارات	النسبة المئوية%
موضوعات سياسية	95	20,2%
افكار اراهبية محلية ودولية	88	18,7%
الفساد في أجهزة الدولة	71	15,1%
الأمن	60	12,8%
الافكار التكنولوجية	54	11,5%
انتهاك حقوق الانسان	49	10,4%
الرياضية	22	4,7%
الاقتصادية	17	3,6%
الترفيهية	9	1,9%
أخرى	5	1,1%
المجموع	470	100

دوافع متابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية²: لأجل التعرف على دوافع التعرض للفيديوهات، جرى السؤال عن ذلك وكانت الإجابات تدل على إن (التعرف على اهم المستجدات السياسية) جاءت بالمرتبة الأولى، إذ أكد على ذلك (92) مبحوثاً وبنسبة بلغت (20,1%) واحتلت (التسليية والترفيه) المرتبة الثانية، إذ أشار إلى ذلك (78) مبحوثاً وبنسبة بلغت (17,1%) في حين حازت (متابعة بعض البرامج المحببة لي) على المرتبة الثالثة، إذ أكد على ذلك (73) مبحوثاً وبنسبة بلغت (15,9%) وجاءت (ترفع من مستوى الشعور بالوطنية) بالمرتبة الرابعة، إذ عبر عن ذلك (65) مبحوثاً وبنسبة بلغت (14,2%) وحصلت (تساعد على تعزيز الانتماء للوطن) على المرتبة الخامسة إذ أكد على ذلك (57) مبحوثاً وبنسبة بلغت (12,5%) وحاز (لقضاء وقت الفراغ) على المرتبة السادسة من حيث تفضيل المبحوثين إذ أشار إلى ذلك (49) مبحوثين وبنسبة بلغت (10,7%) في حين احتل (الحصول على المعلومات) المرتبة السابعة إذ عبر عن ذلك (43) مبحوثاً وبنسبة بلغت (9,5%). (انظر جدول 8) أدناه.

(2) يحق للمبحوث اختيار أكثر من خيار .

جدول (8) المبحوثين حسب دوافعهم من متابعة مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

النسبة المئوية%	التكرارات	الدوافع
20,1%	92	التعرف على اهم المستجدات السياسية
17,1%	78	التسلية والترفيه
15,9%	73	متابعة بعض البرامج المحببة لي
14,2%	65	ترفع من مستوى الشعور بالوطنية
12,5%	57	تساعد على تعزيز الانتماء للوطن
10,7%	49	لقضاء وقت الفراغ
9,5%	43	الحصول على المعلومات
100%	457	المجموع

8 - الاهتمام بالتطرف والعنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية: بهدف الكشف عن مدى اهتمام المبحوثين في متابعة افكار المتطرفة التي تدعو الى العنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تشير النتائج الى ان (48) مبحوثاً وبنسبة بلغت (48%) انهم (يهتمون إلى حد ما) بالافكار المتطرفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي لتشكل هذه الفئة المرتبة الاولى، بينما حصل (الاهتمام بشكل نادر) على المرتبة الثانية إذ اشار الى ذلك (41) مبحوثاً وبنسبة بلغت (41%) ، اما بالنسبة الى (الاهتمام بدرجة كبيرة) جاء بالمرتبة الثالثة في نتائج الإجابات؛ إذ أكد على ذلك (11) مبحوثاً وبنسبة بلغت (11%). (انظر جدول 9) أدناه.

جدول (9) المبحوثين حسب درجة اهتمامه بالتطرف والعنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

النسبة المئوية%	التكرارات	الاهتمام
48%	48	مهتم إلى حد ما
41%	41	نادرا ما أهتم
11%	11	مهتم بدرجة كبيرة
100%	100	المجموع

5 - ثقة المبحوثين بمواقع التواصل الاجتماعي المرئية عبر ما يبثه من أفكار متطرفة:

بهدف الكشف عن درجة ثقة المبحوثين بمواقع التواصل الاجتماعي عبر ما ينشر من افكار متطرفة تدعوا الى العنف، كانت النتائج المستخرجة تشير الى درجة الثقة بشكل متفاوت (احياناً) وأشار إلى ذلك (46) مبحوثاً من المبحوثين وبنسبة بلغت (46%)، اما بالنسبة للذين كانت اجاباتهم (اثق به قليلاً) فبلغ عدد الذين أكدوا على ذلك (23) مبحوثاً وبنسبة بلغت (23%)، بينما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا أنهم (دائماً) ما يثقون بمواقع التواصل الاجتماعي (17) مبحوثاً وبنسبة بلغت (17%)، كما بلغ عدد المبحوثين الذين أكدوا أنهم (لا يثقون) بمواقع التواصل الاجتماعي (14) مبحوثاً وبنسبة بلغت (14%). (انظر جدول10) أدناه.

جدول (10) المبحوثون حسب درجة ثقتهم بمواقع التواصل الاجتماعي المرئية

درجة الثقة	التكرارات	النسبة المئوية%
اثق به أحياناً	46	46%
اثق به قليلاً	23	23%
اثق به دائماً	17	17%
لا اثق به	14	14%
المجموع	100	100%

10 - التفاعل مع الموضوعات التي تتضمن مضامين ذات افكار متطرفة: اتضح عن طريق

نتائج الدراسة الميدانية إن (42) مبحوثاً من عينة البحث (يكتفون بالاطلاع) على الموضوعات التي تتضمن افكار ذات طبيعة متطرفة تدعوا الى العنف اذ احتلت المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (42%) فيما بلغ عدد المبحوثين الذين يقومون (بحظر من ينشر) موضوعات ذات افكار متطرفة (33) مبحوثاً وبنسبة بلغت (33%) وجاءت في المرتبة الثانية، فيما حلت موضوعة (لا اشاهدها مطلقاً) بالمرتبة الثالثة وبلغ عدد المبحوثين الذين اشاروا الى ذلك (23) مبحوثاً وبنسبة بلغت (23%)، اما الذين يضعون تعليقاً على الموضوعات بلغ مبحوثين اثنين فقط وبنسبة بلغت (2%). (انظر جدول 11) أدناه.

جدول (11) يبين مدى التفاعل مع الموضوعات التي تتضمن افكار متطرفة

النسبة المئوية	التكرار	مدى التفاعل مع الموضوعات
42%	42	اكثفي بالاطلاع
33%	33	احظر من ينشره
23%	23	لا اشاهدها مطلقاً
2%	2	اضع تعليقاً
صفر %	صفر	اشارك المنشور
صفر %	صفر	اضع اشارة اعجاب
100%	100	المجموع

11 - مواقع التواصل الاجتماعي المرئية اداة لنشر الافكار المتطرفة: افرزت نتائج الدراسة الميدانية نسباً متباينة عن مدى اعتبار مواقع التواصل الاجتماعي كأداة في نشر الافكار المتطرفة التي تدعوا الى العنف، اذ بلغ عدد الذين اشاروا الى ان مواقع التواصل الاجتماعي (دائماً) ما تكون اداة في نشر الافكار المتطرفة (60) مبحوثاً وبنسبة بلغت (60%)، فيما بلغ عدد المبحوثين الذين اكدوا ان مواقع التواصل الاجتماعي (احياناً) ما تكون اداة لنشر الافكار المتطرفة (25) مبحوثاً وبنسبة بلغت (25%)، بينما بلغ عدد الذين عبروا عن رفضهم (ابداً) (10) مبحوثين وبنسبة بلغت (10%) الى ان مواقع التواصل الاجتماعي اداة في نشر الافكار المتطرفة، فيما بلغ عدد الذين اشاروا الى ان مواقع التواصل الاجتماعي (نادراً) ما تكون اداة اساسية في نشر الافكار المتطرفة (5) مبحوثين وبنسبة بلغت (5%). (انظر جدول 12) أدناه.

جدول (12) يبين مدى اعتبار مواقع التواصل الاجتماعي أداة لنشر الافكار المتطرفة

النسبة المئوية	التكرار	أداة لنشر الأفكار المتطرفة
60%	60	دائماً
25%	25	احياناً
10%	10	ابداً
5%	5	نادراً
100%	100	المجموع

12 - اسباب متابعة المبحوثين للأفكار المتطرفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي3:

بهدف التعرف على اسباب متابعة المبحوثين للأفكار المتطرفة التي تدعوا الى العنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي، جرى السؤال عن ذلك، وكانت الإجابات تدل على أن احد الاسباب هو(الحصول على معلومات كافية عن الجماعات الارهابية والحذر منها) وجاءت بالمرتبة الأولى؛ إذ أكد على ذلك (92) مبحوثاً وبنسبة بلغت (30,9%)، واحتل (النقاش مع من يقومون بالنشر ومحاولة اقناعهم بضرورة عدم نشر هذه الافكار المتطرفة) المرتبة الثانية؛ وأشار إلى ذلك (76) مبحوثاً وبنسبة بلغت (25,5%) في حين حاز (زادت من معرفتي بحقيقة الكثير من الامور عن الافكار الارهابية فلم أعد أشعر بالخوف) على المرتبة الثالثة؛ إذ أكد على ذلك (64) مبحوثاً وبنسبة بلغت (21,5%)، وجاء بالمرتبة الرابعة (اصبح لدي معلومات بشأن الافكار المتطرفة المنشورة مما زاد من ثقتي بضعف هذه المنشورات)، إذ عبر عن ذلك (43) مبحوثاً وبنسبة بلغت (14,4%)، وحصل (التعرف على الطرق الحديثة التي يستخدمها الجماعات المتطرفة) على المرتبة الخامسة، وأكد على ذلك (19) مبحوثاً وبنسبة بلغت (6,4%)، وحاز السبب(التعود على متابعة مثل هذه الافكار) على المرتبة السادسة؛ إذ أشار إلى ذلك (4) مبحوثين وبنسبة بلغت (1,3%). (انظر جدول 13) أدناه.

جدول (13) يبين اسباب متابعة المبحوثين للأفكار الارهابية عبر مواقع التواصل الاجتماعي المرئية

النسبة المئوية	التكرار	الأسباب
30,9%	92	الحصول على معلومات كافية عن الجماعات المتطرفة والحذر منها
25,5%	76	النقاش مع من يقومون بالنشر ومحاولة اقناعهم بضرورة عدم نشر هذه الافكار المتطرفة
21,5%	64	زادت من معرفتي بحقيقة الكثير من الامور عن الافكار المتطرفة فلم أعد أشعر بالخوف
14,4%	43	اصبح لدي معلومات بشأن الافكار الارهابية المنشورة مما زاد من ثقتي بضعف هذه المنشورات
6,4%	19	التعرف على الطرق الحديثة التي يستخدمها الجماعات المتطرفة
1,3%	4	التعود على متابعة مثل هذه الأفكار
100%	298	المجموع

(3) يحق للمبحوث اختيار أكثر من خيار .

13 - اسباب اعتماد بعض الجماعات المتطرفة على مواقع التواصل الاجتماعي المرئية لبث افكارها: تهدف هذه الفقرة إلى التعرف على اسباب اعتماد الجماعات المتطرفة التي تدعوا الى العنف على مواقع التواصل الاجتماعي من وجهة نظر المبحوثين، وجرى طرح السؤال عن ذلك وكانت إجابات المبحوثين تشير إلى أن (25) مبحوثاً من أفراد عينة البحث البالغة (100) يعتقدون ان الجماعات الارهابية تعتمد على مواقع التواصل الاجتماعي لبث افكارها بسبب (عدم خضوعها للرقابة) اذ احتلت المرتبة الاولى وبنسبة بلغت (25%)، فيما جاءت بالمرتبة الثانية (استخدامها كمنصات للدعاية والاعلام) وبلغ عدد الذين عبروا عن ذلك (22) مبحوثاً وبنسبة بلغت (22%) ، فيما حلت (انخفاض التكاليف المادية مقارنة بوسائل أخرى) بالمرتبة الثالثة وبلغ عدد الذين اشاروا الى ذلك (20) مبحوثاً وبنسبة بلغت (20%)، تلتها في المرتبة الرابعة (سهولة بناء المواقع) وبلغ عدد الذين عبروا عن ذلك (18) مبحوثاً وبنسبة بلغت (18%)، اما بالمرتبة الخامسة جاءت (ايجاد مجتمعات يتشارك فيها الاعضاء الافكار والنشاط) وبلغ عدد الذين اكدوا على ذلك (15) وبنسبة بلغت (15%)، (انظر جدول 14) أدناه.

جدول (14) يوضح اسباب اعتماد الجماعات الارهابية على مواقع التواصل الاجتماعي لبث افكارها

اسباب الاعتماد على مواقع التواصل الاجتماعي	التكرار	النسبة المئوية
عدم خضوعها للرقابة	25	25%
استخدامها كمنصات للدعاية والاعلام	22	22%
انخفاض التكاليف المادية مقارنة بوسائل أخرى	20	20%
سهولة بناء المواقع	18	18%
ايجاد مجتمعات يتشارك فيها الاعضاء الافكار والنشاط	15	15%
المجموع	100	100%

14 - توظيف مواقع التواصل الاجتماعي في مواجهة الافكار المتطرفة: بهدف التعرف على دور المستخدمين في توظيف مواقع التواصل الاجتماعي لمواجهة الافكار المتطرفة التي تدعوا الى العنف جرى طرح التساؤل عن ذلك، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

أ- حث المستخدمين على الوقف ضد الافكار الارهابية المنشورة: أجاب المبحوثين عن أهمية حث المستخدمين على الوقف ضد الافكار المتطرفة المنشورة، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

- 1 - (موافق): وافق (81) مبحوثاً ونسبتهم (81%) من مجموع الإجابات عن الفكرة.
 - 2 - (محايد): لم يشر (17) مبحوثاً ونسبتهم (17%) من مجموع الإجابات إلى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.
 - 3 - (معارض): عارض (2) مبحوثين ونسبتهم (2%) من مجموع الإجابات عن الفكرة المطروحة.
- ب- الرد على الافكار المتطرفة التي تسعى الى زعزعة امن واستقرار الدولة: أجاب المبحوثين عن فكرة الرد على الافكار المتطرفة التي تسعى الى زعزعة امن واستقرار الدولة، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): أشار إلى ذلك الموقف (78) مبحوثاً وبنسبة مئوية شكلت (78%).
 - 2 - (معارض): بلغ عدد المبحوثين الذين عبروا عن ذلك الموقف (12) مبحوثاً وبنسبة مئوية شكلت (12%).
 - 3 - (محايد): أشار إلى ذلك الخيار (10) مبحوثين وبنسبة مئوية شكلت (10%).
- ج - حث المستخدمين على الوقوف مع المنشورات التي تدعو الى مواجهة الافكار المتطرفة: أجاب المبحوثين عن فكرة أن حث المستخدمين على الوقوف مع المنشورات التي تدعو الى مواجهة الافكار المتطرفة، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): وافق على ذلك (79) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (79%) من مجموع الإجابات عن الفكرة.
 - 2 - (محايد): لم يشر (19) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (19%) إلى معارضتهم أو موافقتهم للفكرة المطروحة.
 - 3 - (معارض): عارض (2) مبحوثين ونسبتهم (2%) من مجموع الإجابات عن الفكرة المطروحة.
- د - التعريف بخطورة الافكار الارهابية على المستخدمين: أجاب المبحوثين عن فكرة التعريف بخطورة الافكار المتطرفة على المستخدمين ، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): أشار إلى ذلك الموقف (65) مبحوثاً وبنسبة بلغت (65%).
 - 2 - (محايد): أشار إلى ذلك الخيار (23) مبحوثاً وبنسبة بلغت (23%).
 - 3 - (معارض): عارض (12) مبحوثاً ونسبتهم (12%) من مجموع الإجابات عن الفكرة المطروحة.
- هـ- دعم المنشورات التي تركز على المحبة والمساواة: أجاب المبحوثين عن فكرة أن دعم المنشورات التي تركز على المحبة والمساواة، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

- 1 - (موافق): وافق (82) مبحوثاً وبنسبة مئوية شكلت (82%) على الفكرة.
- 2 - (محايد): لم يشر (15) مبحوثاً وبنسبة مئوية شكلت (15%) على موافقتهم أو معارضتهم الفكرة.
- 3 - معارض: عارض (3) مبحوثين وبنسبة مئوية شكلت (3%) للفكرة المطروحة.
- و- الرد على الأفكار التي تصف الشعب العراقي بالمتطرف: أجاب المبحوثين عن فكرة الرد على الأفكار التي تصف الشعب العراقي بالمتطرف، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): وافق (91) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (91%) على الفكرة.
- 2 - (محايد): لم يشر (7) مبحوثين وبنسبة مئوية شكلت (7%) إلى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.
- (معارض): عارض (2) مبحوثين وبنسبة مئوية شكلت (2%) للفكرة المطروحة.
- ز - الوقوف بوجه ما يؤدي إلى التضليل عبر الأفكار الإرهابية وبث روح اليأس: أجاب المبحوثين عن فكرة (الوقوف بوجه ما يؤدي إلى التضليل عبر الأفكار الإرهابية وبث روح اليأس)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): أشار إلى ذلك الخيار (69) مبحوثاً وبنسبة شكلت (69%).
- 2 - (محايد): لم يشر (25) مبحوثاً وبنسبة شكلت (25%) إلى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.
- 3 - (معارض): أشار إلى ذلك الخيار (6) مبحوثين وبنسبة شكلت (6%) من مجموع الإجابات.
- ح - السعي إلى تشكيل مجموعات تدعو إلى مواجهة الأفكار الإرهابية: أجاب المبحوثين عن فكرة (السعي إلى تشكيل مجموعات تدعو إلى مواجهة الأفكار الإرهابية)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): وافق (53) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (53%) على الفكرة.
- 2 - (معارض): عارض (26) مبحوثاً وبنسبتهم (26%) من مجموع الإجابات عن الفكرة المطروحة.
- 3 - (محايد): لم يشر (21) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (21%) من مجموع الإجابات إلى موافقتهم أو معارضتهم الفكرة.
- ط - دعم الحوار مع مختلف الانتماءات وشرح وتفسير أفكار حقوق المواطنة وواجباتها: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (دعم الحوار مع مختلف الانتماءات وشرح وتفسير أفكار حقوق المواطنة وواجباتها)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:
- 1 - (موافق): وافق (61) مبحوثاً وبنسبتهم (61%) من إجمالي المبحوثين على الفكرة.
- 2 - (محايد): لم يشر (30) مبحوثاً وبنسبتهم (30%) من إجمالي المبحوثين على موافقتهم أو معارضتهم الفكرة.

معارضتهم الفكرة.

3 - (معارض): عارض (9) مبحوثين ونسبتهم (9%) من إجمالي المبحوثين على الفكرة.

ي - الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية عبر توحيد الصف الوطني لمحاربة التطرف: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية عبر توحيد الصف الوطني لمحاربة الارهاب)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

1 - (موافق): وافق (77) مبحوثاً ونسبتهم (77%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.

2 - (معارض): عارض (17) مبحوثاً ونسبتهم (17%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.

3 - (محايد): لم يشر (6) مبحوثاً ونسبتهم (26%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.

ك - دعم قيم التسامح والتعايش السلمي بين الأديان المختلفة: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (دعم قيم التسامح والتعايش السلمي بين الأديان المختلفة)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

1 - (موافق): وافق (85) مبحوثاً ونسبتهم (85%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.

2 - (معارض): عارض (11) مبحوثاً ونسبتهم (11%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.

3 - (محايد): لم يشر (4) مبحوثين ونسبتهم (4%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.

ل - الرد على الافكار المتطرفة التي تحاول زرع الافكار المتطرفة بين ابناء الشعب: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (الرد على الافكار الارهابية التي تحاول زرع الافكار المتطرفة بين ابناء الشعب)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

1 - (موافق): وافق (68) مبحوثاً ونسبتهم (68%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.

2 - (معارض): عارض (27) مبحوثاً ونسبتهم (27%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.

3 - (محايد): لم يشر (5) مبحوثين ونسبتهم (45%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.

م - دعم القيم التي تنمي روح الولاء للوطن بعيدا عن التطرف: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (دعم القيم التي تنمي روح الولاء للوطن بعيدا عن التطرف)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

1 - (موافق): وافق (59) مبحوثاً ونسبتهم (59%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.

2 - (محايد): لم يشر (32) مبحوثاً ونسبتهم (32%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.

3 - (معارض): عارض (9) مبحوثين ونسبتهم (9%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.

ن - دعوة الأجهزة الامنية المختصة بمراقبة المنشورات الارهابية والرد عليها بأسلوب مخطط: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (دعوة الأجهزة الامنية المختصة بمراقبة المنشورات المتطرفة والرد عليها بأسلوب مخطط)، وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

- 1 - (موافق): وافق (83) مبحوثاً ونسبتهم (83%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.
- 2 - (معارض): عارض (10) مبحوثين ونسبتهم (10%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.
- 3 - (محايد): لم يشر (7) مبحوثين ونسبتهم (7%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة.

س - تكثيف المنشورات الوطنية وبصورة دورية كي لا تكون هناك مساحة للمنشورات المتطرفة: أجاب المبحوثين عن فكرة أن (تكثيف المنشورات الوطنية وبصورة دورية كي لا تكون هناك مساحة للمنشورات المتطرفة وكانت النتائج على وفق ما يأتي:

- 1 - (موافق): وافق (57) مبحوثاً ونسبتهم (57%) من إجمالي الإجابات على تلك الفكرة.
- 2 - (معارض): عارض (30) مبحوثاً ونسبتهم (30%) من إجمالي الإجابات الفكرة المطروحة.
- (محايد): لم يشر (13) مبحوثاً ونسبتهم (13%) من إجمالي الإجابات الى موافقتهم أو معارضتهم للفكرة المطروحة. (انظر جدول 15) في أدناه.

جدول (15) يوضح توظيف المبحوثين لمواقع التواصل الاجتماعي لمواجهة الافكار المتطرفة

الموضوعات		موافق		محايد		معارض		المجموع	
		التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%	التكرار	%
حث المستخدمين على الوقف ضد الافكار المتطرفة المنشورة		81	81%	17	17%	2	2%	100	100%
الرد على الافكار المتطرفة التي تسعى الى زعزعة امن واستقرار الدولة		78	78%	10	10%	12	12%	100	100%
حث المستخدمين على الوقوف مع المنشورات التي تدعو الى مواجهة الافكار المتطرفة		79	79%	19	19%	2	2%	100	100%
التعريف بخطورة الافكار المتطرفة على المستخدمين		65	65%	23	23%	12	12%	100	100%
دعم المنشورات التي تركز على المحبة والمساواة.		82	82%	15	15%	3	3%	100	100%

100%	100	2%	2	7%	7	91%	91	الرد على الأفكار التي تصف الشعب العراقي بالمتطرفة والمتطرف
100%	100	6%	6	25%	25	69%	69	الوقوف بوجه ما يؤدي الى التضليل عبر الأفكار المتطرفة وبث روح اليأس.
100%	100	26%	26	21%	21	53%	53	السعي الى تشكيل مجموعات تدعو الى مواجهة الأفكار المتطرفة.
100%	100	9%	9	30%	30	61%	61	دعم الحوار مع مختلف الانتماءات وشرح وتفسير افكار حقوق المواطنة وواجباتها.
100%	100	6%	6	17%	17	77%	77	الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية عبر توحيد الصف الوطني لمحاربة التطرف.
100%	100	11%	11	4%	4	85%	85	دعم قيم التسامح والتعايش السلمي بين الأديان المختلفة.
100%	100	27%	27	5%	5	68%	68	الرد على الأفكار المتطرفة التي تحاول زرع الأفكار المتطرفة بين أبناء الشعب
100%	100	9%	9	32%	32	59%	59	دعم القيم التي تنمي روح الولاء للوطن بعيدا عن التطرف.
100%	100	10%	10	7%	7	83%	83	دعوة الأجهزة الامنية المختصة بمراقبة المنشورات المتطرفة والرد عليها بأسلوب مخطط
100%	100	30%	30	13%	13	57%	57	تكثيف المنشورات الوطنية وبصورة دورية كي لا تكون هناك مساحة للمنشورات المتطرفة

قراءة في اهم النتائج:

- 1 - بينت نتائج البحث ان اغلب النخب الاكاديمية يقومون بمتابعة مواقع التواصل الاجتماعي بشكل منتظم وبنسبة بلغت (67%)، وهذا يوضح انهم يستخدمون تلك الوسائل بشكل مستمر وقد يرجع ذلك لاهتمامهم بما تقدمه من مواضيع متنوعة ومهمة بالنسبة لهم.
- 6 - الاستخدام الكبير والعالي للفيس بوك ضمن مواقع التواصل الاجتماعي من قبل النخبة الاكاديمية مقابل مستوى اقل بالنسبة للوسائل الاخرى.
- 7 - التفضيل الكبير والواضح من قبل أكثر من نصف النخب الاكاديمية في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي وهذا يوضح أهمية مواقع التواصل الاجتماعي لدى النخب الاكاديمية.
- 8 - التعود الكبير من غالبية النخب الاكاديمية على الاستخدام اليومي والمكثف لمواقع التواصل الاجتماعي وهذا يوضح مدى أهمية هذه الوسائل لهم بما تقدمه من معلومات ومضامين متنوعة واستخدامهم لها بشكل منتظم ومقصود.

- 9 - بشأن الموضوعات الأكثر تفضيلاً لدى النخب الأكاديمية أبرزت النتائج إلى أن موضوعة (السياسة) كانت الأعلى في سلم الاهتمام على مستوى النشر والتعليق والإعجاب من قبل المبحوثين وهو ما قد يرتبط بخصوصية التوقيت الذي وزعت فيه الاستمارة بالتزامن مع وقت تحرير الموصل والاستجوابات التي يقوم بها البرلمان العراقي.
- 10 - التأكيد من قبل النخب الأكاديمية على أن أبرز الدوافع لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي كان يرتبط بهدف (التعرف على أهم المستجدات السياسية) في محاولة منهم للتواصل والتعرف على أهم القرارات والمستجدات على الساحة السياسية العراقية عبر هذه الوسائل التي تتمتع بإمكانات عالية لتحقيق هذا الهدف.
- 11 - اوضحت نتائج البحث ان النخب الأكاديمية (أحياناً) ما تضع ثقتها بمواقع التواصل الاجتماعي وذلك بحسب نوع المواضيع المطروحة والادلة التي ترافق تلك الافكار عبر تلك الوسائل
- 12 - الاشارة الواضحة من قبل النخبة الأكاديمية على أن الجماعات المتطرفة تعتمد وبشكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي في بث افكارهم المتطرفة والمسمومة، وذلك للتواصل مع الجماعات المتطرفة في الدول والمناطق الاخرى.
- 13 - التأكيد الواضح من قبل النخبة الأكاديمية ان من بين اهم الاسباب في متابعتهم للأفكار المتطرفة عبر مواقع التواصل الاجتماعي هو الحصول على معلومات كافية عن الجماعات المتطرفة والحذر منها وبنسبة بلغت (30,9%) وهذا يوضح اهتمام المبحوثين بمعرفة ما يدور في ذهن الآخرين من افكار ارهابية من اجل وضع الحلول المناسبة للحذر منهم.
- 14 - تشير نتائج البحث الى ان الجماعات المتطرفة تعتمد على مواقع التواصل الاجتماعي في بث افكارها المسمومة والمتطرفة بالدرجة الاساس أكثر من غير ها من الوسائل بسبب عدم خضوعها الى الرقابة.
- 15 - التأكيد الكبير والواضح من النخبة الأكاديمية على ضرورة أن يكون للجمهور دور في توظيف مواقع التواصل الاجتماعي عبر ما تقدمه من امكانية في مواجهة الافكار المتطرفة ومحاربة من يحاول الترويج لتلك الافكار المسمومة والمتطرفة عبر تنشيط ، حث المستخدمين على الوقف ضد الافكار المتطرفة المنشورة و الرد على الافكار التطرفية التي تسعى الى زعزعة امن واستقرار الدولة و حث المستخدمين على الوقوف مع المنشورات التي تدعو الى مواجهة الافكار التطرفية وكذلك التعريف بخطورة الافكار المتطرفة ودعم المنشورات التي تركز على المحبة والمساواة والوقوف بوجه ما يؤدي الى التضليل عبر الأفكار المتطرفة وبث روح اليأس ودعم الحوار مع مختلف الانتماءات وشرح وتفسير افكار حقوق المواطنة وواجباتها والالتزام بالمسؤولية الأخلاقية عبر توحيد الصف الوطني لمحاربة التطرف دعم قيم التسامح والتعايش السلمي بين الأديان المختلفة

والعمل على الرد على الأفكار المتطرفة التي تحاول زرع الأفكار المتطرفة بين أبناء الشعب.

المراجع

- Gertstenfeld B Phyllis. (2003). Sites In Analysis of Social Issues صفحة 44_29
- lewis A james . (2002). assessing the risks of cyber terrorism. Washing-
ton
- B.Hofman. (2006). The Use of the Internet By Islamic Extremists testimony Presented to the
Telecommunication Union . (2010). The Information Society. 13_19
- ابراهيم بعزیز. (2014م). وسائل الاتصال الجديد والامن القومي دراسة في دور مواقع التواصل الاجتماعي في امن واستقرار الدول. مجلة استراتيجيا، العدد الاول، صفحة 93_106.
- ابراهيم بعزیز. (بلا تاريخ). مصدر سابق. صفحة 93_106.
- النجار , رضا; . (2005). تكنولوجيا الاتصال والمعلومات . تونس: اليونسكو.
- حسن بن ادريس عزوزي. (2004). قضايا الارهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة. موقف الاسلام من الارهاب (صفحة 8_10). الرياض: جامعة الملك محمد بن سعود.
- حسين المحمدي بوادي. (2007). العالم بين الارهاب والديمقراطية. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.
- رجاء وحيد دويريدي. (2000). البحث العلمي اساسياته النظرية وممارساته العلمية. دمشق: دار الفكر.
- رولا الحمصي. (بلا تاريخ). ادمان الانترنت عند الشباب وعلاقتة بمهارات التواصل الاجتماعي. مؤتمر الملتقى الطلابي الابداعي الثاني عشر (صفحة 5_9). مصر: جامعة اسيوط.
- سمير محمد حسين. (1995). دراسة في مناهج البحث العلمي القاهرة. القاهرة: عالم الكتاب.
- سمير محمد حسين. (1999). بحوث الإعلام. القاهرة.
- شريف درويش اللبان. (2000). تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية. القاهرة: دار المصرية اللبنانية.
- عبدالحميد بسيوني. (2008). ، الديمقراطية الالكترونية. القاهرة : دار الكتب الوطنية.
- فايز عبدالله الشهيري. (2007). التطرف الالكتروني رؤية تحليلية لاستخدامات شبكة الانترنت في تجنيد الاتباع. تقنية المعلومات والامن الوطني، (صفحة 3_9). الرياض.
- فايز عبدالله الشهيري. (1429 هـ). الخطاب الفكري على شبكة الانترنت رؤية تحليلية لخصائص

- وسمات التطرف الالكتروني. الرياض: جامعة الملك سعود.
- فائز الشهري. (مصدر سابق). الانترنت والحوار الوطني "قراءة تحليلية في العلاقة بين المضمون والوسيلة.
- فائز عبدالله الشهري. (1429 هـ). الخطاب الفرقي على شبكة الانترنت رؤية تحليلية لخصائص التطرف الالكتروني. الرياض: جامعة الملك سعود.
- محمد امين الشوابكة. (2009). جرائم الحاسوب والانترنت الجريمة المعلوماتية. عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- محمد بن عبدالرزاق . (2004). التطرف في الدين دراسة شرعية. تونس: وقائع مؤتمر موقف الاسلام من الارهاب.
- محمد بن عبدالرزاق. (2004). التطرف في الدين دراسة شرعية. موقف الاسلام من الارهاب، (صفحة 5_6).
- محمد عويس. (2003). البحث العلمي في الخدمة الاجتماعية. القاهرة: دار النهضة العربية.
- مسعد عبدالرحمن زيدان. (2007). الارهاب في ضوء احكام القانون الدولي العام. القاهرة: دار الكتب القانونية.
- مصطفى محمد موسى. (2003). المراقبة الالكترونية عبر شبكة الانترنت. بغداد: دار الكتب والوثائق القومية.
- مصطفى محمد موسى. (2003). المراقبة الالكترونية عبر شبكة الانترنت. دار الكتب والوثائق القومية.
- مصطفى محمد موسى. (2009). ، الارهاب الالكتروني، دراسة قانونية امنية نفسية اجتماعية. القاهرة: مطابع الشرطة.

الأطر الإعلامية للحد من التطرف في خطاب المرجعية العليا ، خطبة النصر نموذجاً.

حازم فاضل ابو صخر

مركز وطن الفراتيين

hmfh2013@gmail.com

(ملخص)

هذه الدراسة تحاول ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي من معرفة الأطر الإعلامية التي تبنتها المرجعية العليا وركزت اليها الأنظار في خطبة النصر على داعش من الصحن الحسيني الشريف لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة فضيلة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (26/ ربيع الأول/1439هـ) الموافق (15/12/2017م) حيث ان الأطر الإعلامية المستخرجة من الخطبة كانت عبارة عن طرق لتصدي الى التطرف والإرهاب اجتماعيا وسياسيا وعسكريا ودينيا واعلاميا لذا فهذه الدراسة سلطة الضوء على الطريقة الأمثل للتصدي حسب رؤية آية الله السيد علي الحسيني السيستاني .

(Abstract)

This study attempts, through the descriptive-analytical approach, to know the media frameworks adopted by the supreme religious authority and focused on them in the sermon of victory over ISIS from the holy Hussein shrine to the representative of the supreme religious authority in Holy Karbala, the eminent scholar Sheikh Abdul Mahdi al-Karbala'i in (26/ Rabi` al-Awwal/1439 AH). Corresponding to (15/12/2017 AD), as the media frameworks extracted from the sermon were methods of confronting extremism and terrorism socially, politically, militarily, religiously and in the media, so this study sheds light on the best way to address according to the vision of Ayatollah Sayyed Ali Al-Husseini Al-Sistani

المقدمة:

كان التحدي الأكبر امام العراقيين في يوم 10/6/2014 هو انقاذ مايمكن إنقاذه من كرامة وحضارة ومقدسات العراق ، ووسط إخفاقات أمنية كبيرة بدأت المنظومات والأجهزة الأمنية بحل نفسها ورغم مساندة المرجعية العليا لها والتعبير هن قلقها ومصارحة السياسيين بذلك من خلال بيان دعاهن على التوحد وللقات الامنية حثهم على الصبر والثبات الا ان الاستجابات بقية مخيبة للامال بقيت مخيبة للامال (1) فاصدرت المرجعية العليا فتواها التاريخية بتاريخ 13/6/2014 الموجهة للعراقيين ضد العنف باقسي اشكاله وهو الإرهاب (2) من من منبر الجمعة، واعيدة للعراق كرامته وحرية وطوال أيام المعارك الضارية كان هنالك تواصل واتصال بين الراي العام العراقي والمرجعية العليا من خلال خطب صلاة الجمعة والبيانات وزيارات معتمديها لجبهات القتال ، وكان التصدي الإعلامي للممثليها واضحا فاطرت هذه المسيرة المعطاء من خلال خطبة اطلق عليها خطبة النصر. هذه الخطبة اطرت إعلاميا لما يجب ان يكون من تحرك للحد من التطرف والارهاب وعبرت عن الخطاب الاعلامي للمرجعية العليا لذا فهذه الورقة البحثية ستحاول ان تحلل هذه الخطبة بصورة دقيقة علمية .

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من ان خطبة النصر وضحت السبيل للحد من العنف والإرهاب باطر إعلامية، وانها كتبت من المرجعية العليا في النجف الاشرف ، والتي لها تأثير كبيرا في الراي العام العراقي والدولي ، فضلا عن هذه الأطر الإعلامية التي ستتجهها الدراسة ستمكن الباحثين او الإعلاميين من سلك الطريق الأمثل للحد من التطرف والإرهاب كما تراه المرجعية العليا لاسيما بعد ان استعرضت الخطبة التجربة العراقية لتصدي للارهاب الداعشي .

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى معرفة كيفية التصدي الأمثل الإعلامي والسياسي والاقتصادي للتطرف والإرهاب حسب منظور المرجعية العليا.

التساؤلات

التساؤل الأهم ماهي الأطر الإعلامية التي ركزت عليها المرجعية العليا للحد من التطرف والإرهاب ؟
كيف تصدى الشعب العراقي للتطرف والإرهاب في معركته ضد داعش ؟
ماهي الأدوات والطرق التي تمكن من الحد على التطرف والإرهاب ؟

المنهج

اعتمد الباحث المنهج الوصفي بتحليل المضمون وهو تحليل المفردات والرموز والعبارات والمصطلحات ودراستها تحليلًا استدلالياً.

النظرية

استثمر الباحث نظرية الإطار الإعلامي وتفترض هذه النظرية "أن الأحداث لا تنطوي بحد ذاتها على مغزى معين، إنما تكتسب مغزاها من خلال وضعها في إطار يحددها وينظمها، ويضفي عليها قدرا من الاتساق من خلال التركيز على بعض الجوانب وإغفال جوانب أخرى "كما يعرف "ويعرف الإطار من المنظور الإعلامي بأنه "الحديث عن موضوع أو قضية ما من خلال طرق وأساليب تحدد مجالا معيناً أو أفكاراً بعينها في هذا الموضوع، وفي هذا الوقت ذاته تتجاهل مجالات وأفكار أخرى (3) حيث حاول الباحث الإضاءة على مآرته المرجعية العليا المتمثلة بسماحة آية الله السيستاني من ضروريات إعلانه والاهتمام به للتصدي للعنف والإرهاب .

أداة الدراسة

قام الباحث باتشاء استمارة خاصة لتحليل المضمون سمية بـ "استمارة التحليل"، لتحليل الخطبة السياسية لصلاة الجمعة الخاصة بالمرجعية العليا والتي القية إبان النصر على تنظيم داعش الإرهابي.

فئات التحليل

بعد تطبيق التحليل على ما طرح في تلك الخطبة تم اختيار الفئة الرئيسية هي الفكرة والموضوع والشخصية

وحدات التحليل اهتم الباحث من خلال تحديد الفئات الرئيسية بـ "الأطر الإعلامية المستخدمة" أما فئات التحليل الفرعية لا طر الإعلامية فهي:

- 1 - عوامل النصر على داعش .
- 2 - الوطن والمواطنة
- 3 - ادوات وطرق الحد من التطرف مستقبلا
- 4 - تعويضات المتضررين .
- 5 - الجهات المستهدفة

التحليل الكمي

اجرى الباحث تحليلاً للمضمون لخطبة النصر وتم استخراج التكرارات والنسب المئوية بهدف الإجابة عن الأسئلة الدراسة .

أولا : فئة الأطر الإعلامية.

المرتبة	النسبة المئوية	التكرار	الفئة الفرعية للأطر الإعلامية
الأولى	38%	65	عوامل النصر على داعش
الثانية	27%	48	الوطن والمواطنة
الثالثة	21%	36	ادوات وطرق الحد من التطرف مستقبلا
الرابعة	11%	19	تعويضات المتضررين
الخامسة	4%	7	الجهات المستهدفة
	100%	173	المجموع

ثانيا : فئة الهدف من الفقرة

خطبة النصر قسم الى فقرات حسب ما نشرته المرجعية حيث ابتداء بتقديم لما حدث من نصر ثم حدد أمور مهمه وعددها

المرتبة	النسبة المئوية	التكرار	الفئة الهدف
الأولى	61%	67	التذكير (التوثيق)
الثانية	29%	32	الشكروالتقدير
الثالثة	10%	11	التحذير
	100%	110	المجموع

نتائج التحليل الكمي

النتائج أعلاه مبنية على مفردات ومعاني ومصطلحات وليس على المفردات فقط حيث تبين الأطر الإعلامية كيف وزع آية الله السيستاني خطابه بعد الانتصار بين شرح لكيفية الحد من الإرهاب والعنف كعوامل بالمرتبة الأولى وبين الحديث عن الوطن والمواطنة بالمرتبة الثانية ومن ثم عن كيفية طرق الحد من التطرف مستقبلاً كادوات وطرق وبعدها جاء كيف يتم تعويض المتضررين؟ وحسب الرتب التي أمام كل فئة في استمارة التحليل الكمي أعلاه وشكل الجانب التوثيقي في الخطبة الهدف الأكبر والأهم والأوضح في خطبة جاءت بعد نصر كبير ثم جاء بالمرتبة الثانية الشكر والتقدير وأقل مرتبة التحذير من المخاطر المستقبلية .

التحليل النوعي

اعتمد هذا التحليل على استدلال للجمل والمفردات والمصطلحات والمقاصد للحصول إلى الإجابة على أسئلة الدراسة ومنتج هذا الجدول للتحليل النوعي .

الفئة الفرعية للإطار الإعلامي	المفردات والجمل
عوامل النصر على داعش	1 - بعد مايزيد من ثلاث سنوات من القتال الضاري 2 - وبذل الغالي والنفيس 3 - ومواجهة مختلف الصعاب والتحديات 4 - انتصرتم عليها بإرادتكم الصلبة 5 - وعزيمتكم الراسخة 6 - انتصرتم عليها بتضحياتكم الكبيرة 7 - قدمتم أنفسكم وقلذات أكبادكم 8 - وكل ما تملكون فداءً للوطن الغالي 9 - ووقف العالم مذهوئاً أمام صلابتكم وصبركم 10 - واستبسالكم وإيمانكم بعدالة قضيتكم 11 - ان المرجعية الدينية العليا صاحبة فتوى الدفاع الكفائي التي سخرت كل امكاناتها وطاقاتها وبعثت بخيرة ابنائها من اساتذة وطلاب الحوزة العلمية الى الجبهات 12 - وقدمت العشرات منهم شهداء في هذا الطريق..

الفئة الفرعية للإطار الإعلامي

عوامل النصر على داعش

المفردات والجمل

- 13 - فلولا استجابتكم الواسعة لفتوى المرجعية وندائها واندفاعكم البطولي الى جبهات القتال وصمودكم الاسطوري فيها بما يزيد على ثلاثة اعوام لما تحقق هذا النصر المبين.
- 14 - وبوركت تلك السواعد الكريمة التي قاتلتكم بها وبوركت تلك الحجور الطاهرة التي ربيت فيها. استرخصتم ارواحكم وبذلتهم مهجكم
- 15 - نستذكر .. شهداءنا الابرار... فكانوا نماذج عظيمة للتضحية والفداء
- 16 - ونستذكر .. الجرحى .. الشهداء الاحياء الذين شاء الله تعالى ان يبقوا بيننا شهوداً على بطولة شعب واجه اشرار العالم فانتصر عليهم بتضحيات ابنائهم.
- 17 - نستذكر بابكار وامتنان جميع المواطنين الكرام الذين ساهموا في رفد ابنائهم المقاتلين في الجبهات بكل ما يعزز صمودهم .. كانوا خير نصير وظهير لهم، في واحدة من اروع صور تلاحم شعب بكافة شرائحه ومكوناته
- 18 - ونستذكر بشكر وتقدير كل الذين كان لهم دور فاعل ومساند في هذه الملحمة الكبرى من المفكرين والمثقفين والاطباء والشعراء والكتاب والاعلاميين وغيرهم
- 19 - نقدم الشكر والتقدير لكل الاشقاء والاصدقاء الذين وقفوا مع العراق وشعبه في محنته مع الارهاب الداعشي
- 20 - إن المنظومة الامنية العراقية لا تزال بحاجة ماسة الى الكثير من الرجال الابطال الذين ساندوا قوات الجيش والشرطة الاتحادية خلال السنوات الماضية وقاتلوا معها في مختلف الجبهات وأبلوا بلاءً حسناً .. وأثبتوا أنهم أهل للمنازلة
- 21 - لم يشاركوا فيه لدنياً ينالونها أو مواقع يحظون بها، فقد هبوا الى جبهات القتال استجابة لنداء المرجعية واداءً للواجب الديني والوطني، دفعهم اليه حبهم للعراق والعراقيين وغيرتهم على اعراض العراقيات من أن تنتهك بأيدي الدواعش وحرصهم على صيانة المقدسات من أن ينالها الارهابيون بسوء... كانت نواياهم خالصة من أي مكاسب دنيوية .. فكانت له مكانته
- 22 - والعراقيون الشرفاء الذين استبسلوا في معركة الارهاب

الفئة الفرعية للإطار الإعلامي

المفردات والجمل

الوطن والمواطنة

- 1 - قبل ايام أعلن رسمياً عن تحرير آخر جزء من الاراضي العراقية
- 2 - ايها العراقيون الشرفاء
- 3 - انتصرتم على اعنى قوة ارهابية استهدفت العراق بماضيه وحاضره ومستقبله
- 4 - انتصرتم ..في الحفاظ على وطنكم وكرامتكم ومقدساتكم
- 5 - قدمتم .. للوطن الغالي فسطرتم اسمى صور البطولة والايتار وكتبتم تاريخ العراق الحديث
- 6 - حتى تحقق هذا النصر الكبير .. فحفظتم به كرامة البلد وعزته وحافظتم على وحدته ارضاً وشعباً، فما اعظمكم من شعب.
- 7 - ما أسعد العراق وما أسعدنا بكم لقد استرخصتم أرواحكم وبذلتهم مهجكم في سبيل بلدكم وشعبكم ومقدساتكم
- 8 - نستذكر بمزيد من الخشوع والاجلال شهداءنا الابرار الذين رَوّوا ارض الوطن بفيض دمايهم الزكية
- 9 - ونستذكر بعزة وشموخ اعزاءنا الجرحى ..الذين شاء الله تعالى ان يبقوا بيننا شهوداً على بطولة شعب واجه اشرار العالم فانتصر
- 10 - ونستذكر .. جميع المواطنين الكرام ..، حيث كانوا خير نصير وظهير لهم، في واحدة من اروع صور تلاحم شعب بكافة شرائحه ومكوناته...
- 11 - نقدم الشكر والتقدير لكل الاشقاء والاصدقاء الذين وقفوا مع العراق وشعبه في محنته مع الارهاب الداعشي
- 12 - فاعتنقوا الفكر المتطرف .. ولا يتورع عن الفتك بالمدنيين الابرياء وسبي الاطفال والنساء وتدمير البلاد للوصول الى اهدافه الخبيثة .
- 13 - والخلايا النائمة التي تتربص الفرص للنيل من أمن واستقرار البلد
- 14 - إن المنظومة الامنية العراقية لا تزال بحاجة ماسة الى الكثير من الرجال الابطال
- 15 - وأثبتوا أنهم أهل للمنازلة في الدفاع عن الارض والعرض والمقدسات ولا سيما الشباب منهم .. واكتسبوا خبرات قتالية وفنية مهمة وكانوا مثلاً للانضباط والشجاعة والاندفاع الوطني

الفئة الفرعية للإطار الإعلامي

الوطن والمواطنة

المفردات والجمل

- 16 - ان من الضروري استمرار الاستعانة والانتفاع بهذه الطاقات المهمة .. وترسم المسار الصحيح لدور هؤلاء الأبطال في المشاركة في حفظ البلد وتعزيز أمنه حاضراً ومستقبلاً،
- 17 - ضمن الأطر الدستورية والقانونية التي تحصر السلاح بيد الدولة
- 18 - والوقوف بوجه أي محاولات جديدة للإرهابيين بغرض النيل من العراق وشعبه ومقدساته..
- 19 - إن الشهداء الأبرار الذين سقوا ارض العراق بدمانهم الزكية وارتقوا الى جنان الخلد مضرجين بها لفي غنى عنا جميعاً
- 20 - ولكن من أدنى درجات الوفاء لهم (الشهداء) هو العناية بعوائلهم من الارامل واليتامى وغيرهم، ان رعاية هؤلاء وتوفير الحياة الكريمة لهم .. واجب وطني وهذه المهمة هي بالدرجة الاولى واجب الحكومة ومجلس النواب
- 21 - (الجرحي) فلولاهم لما تحررت الارض وما اندحر الإرهاب .. ويلزم الحكومة ومجلس النواب أن يوفر المخصصات المالية اللازمة لذلك، وترجيحه على مصاريف أخرى ليست بهذه الاهمية
- 22 - (الملبون) هبوا الى جبهات القتال استجابة لنداء المرجعية واداءً للواجب الديني والوطني، دفعهم اليه حبهم للعراق والعراقيين وغيرتهم على اعراض العراقيات من أن تنتهك بأيدي الدواعش
- 23 - وأصبح لهم مكانة سامية في مختلف الاوساط الشعبية
- 24 - والعراقيون الشرفاء الذين استبسلوا في معركة الارهاب قادرون - بعون الله - على خوض غمار معركة الفساد
- 25 - نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع الى ما فيه خير العراق وصلاح أهله إنه سميع مجيب

المفردات والجمل	الفئة الفرعية للإطار الإعلامي
1 - إن النصر على داعش لا يمثل نهاية المعركة هذه المعركة ستستمر وتتواصل 2 - فحذار من التراخي في التعامل مع هذا الخطر المستمر 3 - والتغاضي عن العناصر الارهابية المستترة والخلايا النائمة التي تتربص الفرص للنيل من أمن واستقرار البلد. 4 - ان مكافحة الارهاب يجب ان تتم من خلال التصدي لجذوره الفكرية 5 - والدينية 6 - وتجفيف منابعه البشرية والمالية والاعلامية 7 - ويتطلب ذلك العمل وفق خطط مهنية مدروسة 8 - والعمل الامني والاستخباري وإن كان يشكل الاساس في مكافحة الارهاب الا ان من الضروري أن يقترن ذلك بالعمل التوعوي .. متزامناً مع نشر وترويج خطاب الاعتدال والتسامح في المجتمعات التي يمكن أن تقع تحت تأثير هذا الفكر المنحرف، 9 - ضرورة العمل على تحسين الظروف المعيشية في المناطق المحررة 10 - وإعادة اعمارها 11 - وتمكين اهلهما النازحين من العود اليها بعزة وكرامة 12 - وضمان عدم الانتقاص من حقوقهم الدستورية 13 - وتجنب تكرار الاخطاء السابقة في التعامل معهم. 14 - المنظومة الامنية العراقية لا تزال بحاجة ماسة الى الكثير من الرجال الابطال الذين ساندوا قوات 15 - ان من الضروري استمرار الاستعانة والانتفاع بهذه الطاقات المهمة ضمن الأطر الدستورية والقانونية التي تحصر السلاح بيد الدولة وترسم المسار الصحيح لدور هؤلاء الأبطال في المشاركة في حفظ البلد وتعزيز أمنه حاضراً ومستقبلاً، 16 - والوقوف بوجه أي محاولات جديدة للإرهابيين بغرض النيل من العراق وشعبه ومقدساته.. 17 - إن معظم الذين شاركوا في الدفاع الكفائي ومن الضروري المحافظة على هذه المكانة الرفيعة والسمعة الحسنة وعدم محاولة استغلالها لتحقيق مآرب سياسي	مقومات الحد من التطرف مستقبلاً

المفردات والجمل	الفئة الفرعية للإطار الإعلامي
18 - ان التحرك بشكل جدي وفعال لمواجهة الفساد والمفسدين يعدّ من اولويات المرحلة المقبلة، فلا بد من مكافحة الفساد المالي والاداري بكل حزم وقوة من خلال تفعيل الاطر القانونية وخطط عملية وواقعية 19 - إن المعركة ضد الفساد - التي تأخرت طويلاً - لا تقلّ ضراوة عن معركة الارهاب إن لم تكن أشد وأقسى، والعراقيون الشرفاء الذين استبسلوا في معركة الارهاب قادرون - بعون الله - على خوض غمار معركة الفساد والانتصار فيها أيضاً إن أحسنوا ادارتها بشكل مهني وحازم.	مقومات الحد من التطرف مستقبلاً
1 - من أدنى درجات الوفاء لهم هو العناية بعوائلهم (الشهداء) من الارامل واليتامى وغيرهم، 2 - ان رعاية هؤلاء (عوائل الشهداء) وتوفير الحياة الكريمة لهم من حيث السكن والصحة والتعليم والنفقات المعيشية وغيرها واجب وطني واخلاقي وحق لازم في اعناقنا جميعاً، ولن تفلح أمة لا ترعى عوائل شهدائها 3 - واجب الحكومة ومجلس النواب بان يوفر ا مخصصات مالية وافية لتأمين العيش الكريم لعوائل شهداء الارهاب الداعشي بالخصوص، مقدماً على كثير من البنود الأخرى للميزانية العامة. 4 - إن الحرب مع الارهابيين الدواعش خلفت عشرات الآلاف من الجرحى والمصابين في صفوف الابطال المشاركين في العمليات القتالية، وكثير منهم بحاجة الى الرعاية الطبية وآخرون اصابوا بعوق دائم، والعوق في بعضهم بالغ كالشلل الرباعي وفقدان البصر وبترا الاطراف، 5 - وهؤلاء الاعزة هم الاحق بالرعاية والعناية ممن سواهم 6 - ومن هنا فان توفير العيش الكريم لهم وتحقيق وسائل راحتهم بالمقدار الممكن تخفيفاً لمعاناتهم واجبٌ وأيّ واجب، 7 - ويلزم الحكومة ومجلس النواب أن يوفر المخصصات المالية اللازمة لذلك، وترجيحه على مصاريف أخرى ليست بهذه الاهمية.	تعويضات المتضررين

الفئة الفرعية للإطار الإعلامي	المفردات والجمل
الجهات المستهدفة	1 - أيها الأخوة والأخوات 2 - أيها المقاتلون الميامين.. يا أبطال القوات المسلحة بمختلف صنوفها وعناوينها 3 - أيها الأخوة والأخوات 4 - اننا اليوم نستذكر شهداءنا الأبرار الذين رَوّوا أرض الوطن بفيض دماهم الزكية 5 - إن المنظومة الأمنية العراقية 6 - لدور هؤلاء الأبطال في المشاركة في حفظ البلد وتعزيز أمنه حاضراً ومستقبلاً

نتائج التحليل النوعي

ان نتائج التحليل النوعي الخاص بدراسة ” الأطر الإعلامية للحد من التطرف في خطاب المرجعية العليا ، خطبة النصر نموذجاً ” وبعد الانتهاء من فرز واسنطاق النص وايجاد هذه المفردات المتقاربة وجد الباحث جملة من النتائج التي تتشارك في اطار معين وقد يكون اكثر من اطار وهذا يدل وحدة الموضوع الكبيرة وكانت لموضوع التوثيق والتذكير الهدف الاهم لدى المرجع الاعلى مع ان سماعته لم يترك الامور الاخرى لاسيما التحذير من التطرف والشكر والتقدير للشعب العراقي ومن هذه النتائج سندرجهها حسب عناوينها تسهيلا للقارئ .

اولاً: عوامل النصر على داعش

يختلف داعش كثيراً عن الجهات الارهابية التي سبقت من حيث الامكانية والسلطة فهو بسط سلطته على ثلث العراق واعلن دولته الخاصة بل ان جهات توقعت سيطرته على العراق واشتياحه لدول مجاورة اذا ماقلنا الشرق الأوسط برمته (4) حتى ان اية الله العظمى السيد السيستاني يمثله بـ ” اعنى قوة ارهابية استهدفت العراق بماضيه وحاضره ومستقبله“ وهذه العبارة التي تعني بان الدواعش هم اكبر قوة ارهابية تجاوزت الحد في الاستكبار (5) واستهدفت العراق فهي اعنى من المغول او الاقوام الاخرى التي غزت العراق في ماضي العراق او حاضره بل يستشرف السيد السيستاني بان في المستقبل لن تكون هنالك قوى اعنى منها في المستقبل ، هذا العدو عبر عنه السيد السيستاني بـ ”اشرار العالم“ وهنا كان سماعته دقيقاً لم يقل من اشرار العالم بل اشرار العالم فياله من قوة شيطانية بجذورها وفروعها وادواتها وكم تحمل من العنف والتطرف .

فهذا العدو الموعول بالتكبر والعنف والتطرف لو عرفنا عوامل النصر عليه لتمكنا من التصدي لامثاله في العالم او على اقل تقدير في العراق توصل الباحث بعد تحليل اطار عوامل النصر على داعش والتي هي :

- 1 - مركزية القرار بالمواجه ونموذجية صاحبه
- 2 - الاستجابة الواسعة من العراقيين لفتوى الدفاع الكفائي
- 3 - الاندفاع البطولي الى جبهات القتال وتقديم الاضاحي.
- 4 - الاستمرارية والصمود الاسطوري .
- 5 - المساندة الكبيرة .

1. مركزية القرار بالمواجه ونموذجية صاحبه.

يعد اية الله السيستاني ملهما للكثير من العراقيين وتوجيهاته تعد من اكبر المؤثرات على الراي العام العراقي بل الاقليمي وهذا ماشهد له به الكثير من السياسيين الدوليين والاقليميين والمحليين (6) فهو كنموذج لمرجعية عليا تحمل فكرا متناقلا عبر الازمام وترتبط بالامامة التي تعد من اصول الدين لدى الشيعة الامامية (7) فعندما يتضمن الخطبة السياسية بمناسبة النصر على داعش جملة "المرجعية العليا" فهذا يؤكد سماحته للمخاطبين العراقيين ومن يتابعه من العالم بان مايتحدث عنه ليس مفاخرة بنفسه او استكبارا على العلماء الاخرين بل تأكيدا وتوثيقا لان هنالك مؤسسة عليا لدى الشيعة هي من افنت وهي من قادت المعركة و دخلت مباشرة بعا وشاركت واعطت الشهداء والجرحى حيث يقول المرجع الاعلى من خلال ممثله في كربلاء الشيخ عبد المهدي الكربلائي مخاطبا جميع المقاتلين بجميع الصنوف والعناوين " ان المرجعية الدينية العليا صاحبة فتوى الدفاع الكفائي التي سخرت كل امكاناتها وطاقاتها في سبيل إسناد المقاتلين وتقديم العون لهم، وبعثت بخيرة ابنائها من اساتذة وطلاب الحوزة العلمية الى الجبهات دعماً للقوات المقاتلة وقدمت العشرات منهم شهداء في هذا الطريق... " يتوضح لنا التالي :

- 1 - ان القيادة الحكيمة التي كان ندائها مؤثرا هي المرجعية العليا، وهي من افنت بفتوى الدفاع الكفائي، والتي اطلق عليها اعلاميا الجهاد الكفائي خطأ والذي قد يكون متعمدا !!!
- 2 - ان المرجعية العليا هي نظام او مؤسسة عليا تتشارك مع المجتمع العراقي وتتدخل معه بهومومه واحزانه وافراحه فهي بالنص اعلاه تؤكد على ان لها امكانيات وطاقات وهي قد سخرتها لغرض ما افنت من اجله .

3 - والمرجعية العليا شاركت ايضا بالجهد البشري من خلال ابتعاثها بخيرة ابناءها وأساتذة الحوزة العلمية الى الجبهات لغرض دعم القوات المقاتلة بل اعطت عشرات الشهداء منهم.

هذه الامور الثلاث التي اثبتتهن الخطبة وسلطت المرجعية العليا الاضواء عليها قد تكون السبب في اتباعها وايمان العراقيين برأي المرجعية العليا فمن يريد ان يكون متصديا للتطرف والارهاب عليه ان يكون مع المتصدين صفا واحدا ويضحى كما يضحون ويعطي الشهداء والجرحى ويجازف بتواجهه او من يمثله في جبهات المواجهة .

2. الاستجابة الواسعة من العراقيين لفتوى الدفاع الكفائي

من اهم العوامل التي ساهمت بشكل فاعل في الانتصار على التطرف والارهاب الداعشي كما تراه المرجعية العليا هو استجابة العراقيين الواسعة للمرجعية العليا وندائها لما تحقق النصر المبين ،والذي يعني الواضح الذي لاغبار عليه ”فلولا استجابتكم الواسعة لفتوى المرجعية وندائها واندفاعكم البطولي الى جبهات القتال وصمودكم الاسطوري فيها بما يزيد على ثلاثة اعوام لما تحقق هذا النصر المبين.“

وهنا يتطرح على ان من يريد التصدي للعنف والإرهاب ان لا يكون وحيدا عليه ان يدرس الموقف وان يكون حذرا متى يطلق إشارة البدء ومن يطلقها ؟ وكيف يطلقها ؟ والاهم من سيستجيب ؟ للنداء فلو وضعنا محاكات إعلامية ماذا لو لم تحصل الاستجابة من قبل العراقيين مالذي يحصل ؟ إجابة اية الله السيستاني بان النصر لايتحقق .

3. الاندفاع البطولي الى جبهات القتال .

قرنت خطبة النصر الاستجابة الواسعة بالاندفاع البطولي للذان كانا سببا في النصر معجم المعاني الجامع يخبرنا عن الاختلاف بين الاستجابة وبين الاندفاع فيقول صاحب المعجم بان معنى ”اندفع اندفاعا هو طوعا من تلقاء النفس“ ويذهب الى انه في علم النفس يدل على ”ميل تلقائي إلى الفعل ويطلق بوجه خاص على ذلك الميل الشَّدِيد الذي تسيطر عليه الإرادة فتصدر عنه حركات اندفاعية طبع اندفاعي“

وهنا يكون جليا بان من يريد ان يقاتل التطرف وبصورته الاعنف الارهاب لاسيما الداعشي عليه ان يتحلى باندفاع صادر من النفس وبمقتضى السيطرة العقلية لا العاطفة هكذا تبين المرجعية العليا.

4. الاستمرارية والصمود الاسطوري

من العوامل المهمة التي ساهمة في النصر على داعش هو الصمود الاسطوري على الملمات اي الاستمرار في تقديم ما هو خارق للعادة من وقوف مع الحق امام العنف والارهاب ولاكثر من ثلاث سنوات من القتال الضاري اي القتال العنيف الشرس .

واجبه فيه الملبون مختلف الصعاب والتحديات كما تعبر عنهم خطبة النصر هذه الخطبة التي وثقت صفات المجاهدين المقاتلين للتطرف والارهاب ومن هذه الصفات التي جعلتهم هكذا يصمدون انهم :

1 - اصحاب ارادة صلبة

2 - اصحاب عزيمة راسخة

3 - مضحون بشكل كبير بالغالي والنفيس قدموا انفسكم وفلذات اكبادهم وكل ما يملكون فداءً للوطن الغالي مسترخسين ارواحكم فكانوا شهداء ويعدهم المرجع الاعلى نماذج عظيمة للتضحية والفداء كما يعد الجرحى شهداء احياء وينبه الى ان مشيئة الله سبحانه من بقاءهم احياء قد ليكونوا شهود على تضحيات الشعب العراقي .

نواياهم خالصة من أي مكاسب دنيوية هذه احدى صفات المجاهدين العراقيين الملبين لنداء المرجعية العليا وسبب قتالهم للدواعش كما جاء في الخطبة المباركة هو

1 - استجابة لنداء المرجعية .

2 - واداءً للواجب الديني والوطني.

3 - حبهم للعراق والعراقيين .

4 - غيرتهم على اعراض العراقيات من أن تنتهك بأيدي الدواعش.

5 - حرصهم على صيانة المقدسات من أن ينالها الارهابيون بسوء

5 - استبسالهم في صناعة النصر وبه اثبتوا انهم اهل للمنازلة الذين ساندوا قوات الجيش والشرطة الاتحادية خلال السنوات الماضية وقاتلوا معها في مختلف الجبهات وأبلوا بلاءً حسناً ..

6 - مؤمنون بعدالة قضيتهم

ادارتهم ملتزمة بالمهنية والحزم اشترطت المرجعية العليا على العراقيين الالتزام بشرط ” ادارت المعركة ضد الفساد بشكل مهني وحازم“ لتحقيق نصر مؤزر كما الذي حصل ضد داعش وهذا يدل ان من قاتل داعش كان يتميز بالحزم والمهنية إدارياً وبصورة أخرى ان من يحارب التطرف يجب ان يمتاز بالمهنية والحزم

8 - بعضهم اساتذة وطلاب الحوزة العلمية

5. المساندة الكبيرة .

الصراع بين الحق والباطل لابد ان يحتاج فيه الحق للمساندة للوصول الى الغايات واهمها النصر على العنف لذا فالمرجعية العليا حددت ذلك واعدته احد اهم العوامل لتحقيق النصر ومن هؤلاء المساندون .

1 - الامهات حيث دعت المرجعية العليا لجميع امهات الملبون للفتوى حيث جاء بالنص ” وبوركت تلك الحجور الطاهرة التي ربّيت فيها“ وهي اشارة للتربية والاستعداد النفسي وحب المقدسات التي ربّتهم عليه الامهات اللاتي كنا سنداً لابنائهن .

2 - المجهزون او كما اطلق عليهم مواكب الدعم اللوجستي حيث اشارت المرجعية لهم بل شكرتهم ” نستذكر بأكبار وامتنان جميع المواطنين الكرام الذين ساهموا في رفق ابنائهم المقاتلين في الجبهات بكل ما يعزز صمودهم“ كانوا خير نصير وظهير لهم، في واحدة من اروع صور تلاحم شعب بكافة شرائحه ومكوناته ” عادة ذلك اهم الادلة على وحدة العراقيين شرائح ومكونات

3 - الطبقات المثقفة كالمفكرين والمثقفين والاطباء والشعراء والكتاب والاعلاميين قدمت المرجعية العليا شكرها لهم لدورهم الفاعل والمساند في هذه الملحمة الكبرى اي النصر على داعش .

4 - الاشقاء والاصدقاء وثبتت المرجعية العليا بان الصدقاء والاشقاء كان لهم دور بالوقوف مع العراق وشعبه في محنته مع الارهاب الداعشي وهذه الجملة قد تنطبق على كل من اعلنت الحكومة العراقية تنطبق عليه ذلك بانه صديق اما الاشقاء فهم يختلفون عن الاخوة والمرجعية العليا شكره الاشقاء اي الذين نرتبط معهم ابا واما والمرجح هنا الدول العربية او الجارة ايران اقرب والله اعلم

2. الوطن والمواطنة في خطاب المرجعية العليا

من خلال البحث بالمفردات والجمال والمصطلحات التي ذكرتها المرجعية العليا وحديثها عن الوطن والمواطنة تتبين نقاط مهمه بعضها يفسر بعضه وكما جمعناها بالاستمارة المقدمة سلفا ومن بين تلك الأمور :

1 - المرجعية العليا عندما تتحدث عن الوطن والمواطنة فهي تتحدث عن بلد معين هو العراق بحدوده وقيمه واخلاقه ودولته وحكومته وسلطاته الثلاث ،ومكوناته أي ليس جزء من كل ولا كلا ينتمي له الآخرون وهذا واضح جدا ،حيث ان الجميع كان ينتظر من المرجعية العليا اعلان النصر الا انها قالت ” قبل ايام أعلن رسمياً عن تحرير آخر جزء من الاراضي العراقية“ هذه الجملة وان كانت خطبة النصر بدعت بها كافتتاحي طبيعية الا انها في قمة الاحترام للدولة العراقية وكياناتها فكانت المرجعية العليا تخاطب الجميع بان الجهات الرسمية هي من اعلنت والمرجعية اعتمدت ذلك الإعلان

مع ان العراقيين والراي العام كان ينتظر الإعلان من المرجعية العليا ”

2 - المرجعية العليا كانت تبين للشعب العراقي المنتصر امكانياته وقدرته وتوصفه باوصاف عديدة بل تعبره لديه إمكانيات اسطورية وكأنها تحاول ان تنمي المواطنة في نفوسهم فتخاطب العراقيين بـ(أيها العراقيون الشرفاء) وانتصاركم كان محافظة على الوطن والمقدسات والكرامة وما قدمتموه للوطن الغالي ونصركم حافظ على الوحدة ارضا وشعبا ثم ما اعظمكم من شعب ولم تقل دولة او حكومة كم بليغة تلك الكلمات حين يقول سماحته ”ما أسعد العراق وما أسعدنا بكم لقد استرخصتم أرواحكم وبذلتهم مهجكم في سبيل بلدكم وشعبكم ومقدساتكم“ هنا ملاحظة يجب ان لاتفوت التحليل كل تلك الجهود من اجل ماذا كانت ؟ المرجعية العليا تقول من اجل وطنكم شعبا وارضاً ومقدسات وليس أمور أخرى !! فالجهد بهذه الطريقة الأسطورية جاء ” استجابة لنداء المرجعية واداءً للواجب الديني والوطني، دفعهم اليه حبهم للعراق والعراقيين وغيرتهم على اعراض العراقيات من أن تنتهك بأيدي الدواعش“

فالذي واجهه الإرهاب الداعشي الشعب العراقي حسب ماتراه المرجعية العليا بل واجهه اشرار العالم والآخرين ساندوا ووقفوا ومشكورين على ذلك حيث جاء في الخطبة ” ونستذكر بعزة وشموخ اعزاءنا الجرحى ..الذين شاء الله تعالى ان يبقوا بيننا شهوداً على بطولة شعب واجه اشرار العالم فانتصر“

3 - ان اقل واجبات الحكومة ومجلس النواب بعد هذا النصر الكبير كما تراها المرجعية العليا هو ا العناية بعوائل الشهداء ارامل وايتامهم وتوفير الحياة الكريمة و هو واجب وطني والمسؤول الأول هو مجلس النواب والحكومة ويلزمهما أن يوفر المخصصات المالية اللازمة لعلاج الجرحى، وترجيحها على مصاريف أخرى ليست بهذه الأهمية.

4 - التمسك بالدستور : المرجعية العليا في هذه الخطبة التي توقع الكثير بانها ستفتي باتهاء فتوى الدفاع الكفائي وقد تحل قوات الحشد الشعبي تمسكت المرجعية العليا ببقاء الدستور حاكماً وبقاء الاعتماد على الملبين للفتوى لاسيما الشباب منهم بشرط ان يحصر السلاح بيد الدولة وقد يكون حصر السلاح بيد الدولة اجراء وقائياً لحدوث أي تطرف ما عندما يقع بغير يد الدولة

5 - تحدثت المرجعية العليا على القضاء على الفساد وتتكلم مع جميع العراقيين ويبدو ان الكلام لم يوجه هذه المرة الى السياسيين وهذا تأكيداً على مقاطعتها لهم بسبب اخطائهم المتكررة بل وتؤكد ان العراقيون قادرون على الانتصار كما انتصروا في مقاتلة الإرهاب حيث جاء ما نصه ”العراقيون الشرفاء الذين استبسلوا في معركة الارهاب قادرون - بعون الله - على خوض غمار معركة الفساد“ بشرط ” أحسنوا ادارتها بشكل مهني وحازم.

3. أدوات وطرق الحد من التطرف مستقبلا

المرجعية العليا ومن خلال خوضها معركة ضروس والتفاف الشعب العراقي من حولها بتلبية النداء هذه التجربة بعد ان فسرت أسباب النصر وسلطة الأضواء على المواطنة الصالحة باتت تعطي أدوات وطرق للحد من التطرف في العراق والعالم ومنها :

1 - التأكيد على استمرارية المعركة مع الإرهاب و الإرهابيين بل وانها ستتواصل والسبب الفكر المتطرف ومدام هنالك معتنقوه ولايتعايشون سلميا مع الآخرين فهم لايفكوا بفتكهم بالمدنيين والابرياء والأطفال وسببهم للحرائر .

2 - عدم التراخي والتغاضي : المرجعية العليا اكدت على الحذر من التراخي في التعامل مع الإرهاب والإرهابيين عادة الخطر بانه خطر مستمر ومحذرة من التراخي عن العناصر الارهابية المستترة والخلايا النائمة التي تتربص الفرص للنيل من أمن واستقرار البلد.

3 - التصدي للجذور : المرجعية العليا بينت ان مكافحة الارهاب يجب ان تتم من خلال التصدي لجذوره الفكرية والدينية وتجفيف منابعه البشرية والمالية والإعلامية

4 - التخطيط المهني : ترى المرجعية العليا ان مكافحة الإرهاب يتطلب خطط مهنية مدروسة

5 - العمل الامني والاستخباري : ترى المرجعية العليا ان العمل الأمني والاستخباري يشكل الاساس في مكافحة الإرهاب.

6 - التوعية : ترى المرجعية العليا ان يقترن العمل الأمني والاستخباري بالعمل التوعوي ونشر خطاب الاعتدال والتسامح بالمجتمعات التي تقع تحت تاثير الفكر المنحرف .

7 - رعاية الرعاية : المرجعية العليا توصي بمساعدة المتضررين ضرورة تحسين الظروف المعيشية في المناطق المحررة واعمارها وعودة النازحين بعزة وكرامة وضمن عدم الانتقاص من حقوقهم الدستورية وتجنب أخطاء الماضي هذه الأدوات ضرورية برئي المرجعية .

8 - توفير رجال جاهزون للقتال فالمرجعية حتى بعد النصر تقول ”المنظومة الامنية العراقية لا تزال بحاجة ماسة الى الكثير من الرجال الابطال الذين ساندوا قوات.... والوقوف بوجه أي محاولات جديدة للإرهابيين بغرض النيل من العراق وشعبه ومقدساته.“.

9 - استقلالية المقاتلين : المرجعية العليا تجد ان من الضروري مقاتلي الإرهاب لايحاول استغلالهم سياسيا حيث جاء بالخطبة ”ومن الضروري المحافظة على هذه المكانة الرفيعة والسمعة الحسنة وعدم محاولة استغلالها لتحقيق مآرب سياسي“

توجيه الخطاب

لو تقلبنا خطبة النصر لرئينا الخطاب موجه لعامة البشر في أماكن واكثره موجه الى العراقيين وابتداءً أيها الاخوة والاخوات أي عندما نتحدث عن الصمود والبطولات والتحديات فان المرجعية العليا الغايات الثلاثة التي هي الاستدكار او التوثيق والتحذير والشكر والتقدير كان حديثها تارة للعالم اجمع بلا تحديد عندما نقول أيها الاخوة والاخوات وتارة نتحدث مع العراقيين بشكل عام ومرة أخرى نتحدث مع المجاهدين او البرلمانيين او الحكومة وكأنها تقول ان خطابات التطرف والقضاء عليه او النصر عليه تشمل جميع الأطراف

المصادر

”بيان صادر من مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف الأشرف حول التطورات الأمنية الأخيرة في محافظة نينوى (10/6/2014)“ موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني، 10/6/2014، (تاريخ الدخول 30/12/2021)

[/https://www.sistani.org/arabic/archive/24905](https://www.sistani.org/arabic/archive/24905)

”ما ورد في خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (14/ شعبان 1435هـ) الموافق (13/6/2014م“، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الاعلى السيد علي الحسيني السيستاني، 13/6/2014، (تاريخ الدخول 30/12/2021)

[/https://www.sistani.org/arabic/archive/24918](https://www.sistani.org/arabic/archive/24918)

جمال أحمد (2009)، (أطر إنتاج الخطاب الخبري في المواقع الإلكترونية في الأزمات الدولية: دراسة حالة لموقعي BBC -العالم“، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الرابع والثلاثون، جامعة القاهرة، يوليو- أكتوبر 2009، ص 54.

”كيف ظهر تنظيم ”داعش“؟ ومن المستفيد من ذلك؟“، 1 يونيو/حزيران 2015 (تاريخ الدخول 30/12/2021) https://web.archive.org/web/20190723004829/http://www.bbc.com/arabic/interactivity/2015/06/150601_comments_is_birth_beneficiants

لسان العرب (ط. صادر) المؤلف: ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) حالة الفهرسة: غير مفهرس. الناشر: دار صادر - بيروت. عدد المجلدات: 15.

”بان كي مون : تشرفت بلقاء السيد السيستاني والسيد يتمتع بالحكمة والتسامح والالهام لاتباعه وللعالم“ وكالة برنا، 24/7/2014، 243178 <http://burathanews.com/arabic/news/243178> 6289

السيستاني، علي، الفتاوى الميسرة ، الفتاوى الميسرة للسيد السيستاني ص -37 38



توظيف تنظيم داعش الارهابي للأساليب الدعائية في المحتوى الاعلامي الرقمي
اليوتيوب نموذجاً (دراسة تحليلية)

The Terrorist Organization(ISIS) Use of Propaganda
styles in Digital Media Content YouTube As a Model

م. حسين سعدي الفتلاوي (1) / جامعة كربلاء

Dr Megat Al Imran / Malaysia UPM⁽²⁾

Dr Nul Widaya Mohamed Nawi / Malaysia UPM⁽³⁾

جامعة كربلاء / كلية العلوم الانسانية

(Abstract)

Research topic: Propaganda is an effective tool in wars, and that terrorist groups' use of the digital network and satellite channels for their propaganda purposes to show their strength and give a false aura to their criminal activities, amplify their capabilities and show them more than their real size and spread an atmosphere of terror and fear is an attempt to demoralize and collapse individuals. Terrorism tries to influence public opinion and promote its ideology and propaganda for it. It addresses people with extremist tendencies or resorts to deception and fraud methods to lure them into its ranks, using propaganda as a method for it to spread its ideas, which is a building element for its terrorist activity, making use of the Internet and some Arab and international television channels. In the past five years, extremist groups (ISIS) have actively "digital" activity to market their data and photos of their activities through social media

Research Methodology: This research falls within the descriptive research method, which is concerned with the analytical study

Keywords: Propaganda methods, terrorist organizations (ISIS), sophistication media content, social networking sites (YouTube)

المبحث الاول / الاطار المنهجي

اولاً : مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في الكشف عن ما وظفته المجاميع الارهابية من وسائل دعائية من اجل بلوغ اهداف تدعم تفسيرات منهجها الدعائي الموجه الى دولة العراق , وعليه وجد الباحث ان مشكلة هذا البحث تتطلب الاجابة عن التساؤلات الآتية :

- 1 - ما نوع الاساليب الدعاية التي وظفتها العصابات الارهابية في مواقع التواصل الاجتماعي مثل اليوتيوب ؟
- 2 - كيف وظف التنظيم الارهابي الاستمالات التي انطوت عليها الاساليب الدعائية في مواقع التواصل الاجتماعي ؟
- 3 - اسكشاف وتفسير طبيعة الخطاب الدعائي الداعشي في ضوء الاساليب الدعائية ؟
- 4 - ما ابرز الاهداف التي سعت عصابات داعش الارهابية الى بلوغها وتحقيقها بواسطة نشاطها الدعائي الموجه الى دولة العراق ؟
- 5 - ما اكثر المضامين الدعاية المستخدمة من قبل المجاميع الارهابية ؟ وما ابرز تلك الاساليب في تلك المضامين الدعائية ؟
- 6 - ما هي امكانيات توظيف المجاميع الإرهابية لمقاطع الفيديو في مواقع التواصل الاجتماعي الى لغة خاصة ذات اغراض دعائية ؟

ثانياً : أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث من مضمونه كونه سلط الضوء على دراسة الوسائل والاساليب الدعائية التي وظفتها التنظيمات الارهابية (داعش) في مختلف شبكات التواصل الرقمي , اذ أن اعتماد الجمهور بشكل كبير على تلك المواقع الإلكترونية اتاح فرصة لعصابات داعش الارهابية من ان تركز على الاساليب الدعائية التي تسهم بشكل كبير في نجاح الدعاية بهدف استمالة الجمهور والتأثير فيهم والتلاعب بقناعاتهم واستدراجهم اليها عن طريق توظيف رسائلها التي تحمل اساليب ذات مضمون دعائي في مواقع التواصل الاجتماعي بواسطة مقاطع الفيديو التي تنشر في قنواتها وصفحاتها الالكترونية المنتشرة في الشبكات الرقمية , مكنت وسائل التواصل الاجتماعي تلك التنظيمات والعصابات من استخدام وتوظيف اساليب دعائية متعددة لتزييف وتضليل الجمهور وايهاهم عن طريق غرس الفتنة الطائفية لغرض افتعال ازمات داخلية وخارجية لزعة امن المنطقة واستقرارها , ومن هنا وجد الباحث أهمية دراسة هذا الموضوع لخطورته على وحدة العراق وتماسكه من جانب وتهديده للأمن والسلم في المنطقة من جانب اخر .

ثالثاً : أهداف البحث :

يهدف البحث الى:

- 1 - معرفة الاساليب والوسائل الدعاية التي وظفتها التنظيمات الارهابية في مواقع التواصل الاجتماعي .
- 2 - تحديد الاستمالات الدعاية التي اعتمدت عليها التنظيمات الارهابية في مقاطع الفيديو المنشورة في اليوتيوب .
- 3 - الكشف عن طبيعة الخطاب الدعائي للتنظيمات الارهابية في ضوء تلك الاساليب .
- 4 - معرفة الاهداف التي سعت عصابات داعش الى تحقيقها عن طريق نشاطها الدعائي الالكتروني الموجه الى دولة العراق .
- 5 - كشف اكثر الاساليب الدعاية التي استخدمتها وركزت عليها عصابات داعش الارهابية عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي (اليوتيوب) .

رابعاً : نطاق وحدود البحث :

استناداً للمناهج العلمية الرصينة اذ يتحتم على كل باحث أن يحدد مجال بحثه ضمن أطر معينة ، إذ إنه لا يمكن في البحث الواحد الإحاطة بكل المتغيرات وعواملها المختلفة ، ومن هنا نحدد نطاق هذا البحث وحدوده على النحو الآتي :

- 1 - **الحدود المكانية :** تمثلت بموقع اليوتيوب , وهو يعد من أبرز مواقع التواصل الاجتماعي التي استخدمتها عصابات داعش الارهابية إعلامياً لتوظيف اساليبها الدعاية من خلالها .
- 2 - **الحدود الزمانية :** تمثلت في المدة الزمنية التي خضعت للدراسة والتحليل ، إذ تم اختيار 1 / 1 / 2017 لغاية 31 / 1 / 2017 كمدة زمنية للدراسة ، اي شهر واحد فقط ، تابع فيها الباحث على نحو يومي المادة الاعلامية المنشورة على شكل مقاطع فيديو في (اليوتيوب) فخرج بعدد وحصيلة جيدة من المواد ذات المضامين الدعاية التي اخضعها الباحث للدراسة و التحليل , والسبب في اختيار هذه المدة بالتحديد هو ازدياد النشاط الاعلامي في الترويج الدعائي للتنظيم الارهابي (داعش) تزامنا مع عمليات تحرير القوات العراقية المشتركة للأراضي العراقية المحتلة من قبل عصابات داعش في الآونة الاخيرة .
- 3 - **الحدود الموضوعية :** تمثلت بمقاطع الفيديو المنشورة في موقع اليوتيوب ، اذ اخضع الباحث (64) مقطع فيديو للدراسة والتحليل ، وتتراوح هذه المقاطع من حيث المدة الزمنية بين ثلاث إلى عشرين دقيقة ، نشرت بواسطة وكالات وجهات اعلامية تابعه لتنظيمات الارهابية .

خامساً : منهج البحث ونوعه :

يندرج هذا البحث ضمن البحوث الوصفية , إذ أن اختيار المنهج في البحث العلمي ليس أمراً اعتباطياً بل هو مسار علمي واضح , لذلك اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي في بحثه ؛ لأنه يقوم على دراسة ظاهرة المشكلة كما هي في الواقع ووصف وضعها الراهن ، كما يعنى بالتعرف على المشكلة عن طريق وصف ظواهرها وخصائصها وطبيعتها ، ومعرفة أسبابها وسبل التحكم فيها معتمداً على جميع البيانات وتحليلها ، ومن ثمّ استخلاص النتائج بفرض معالجة المشكلة ثم تعميم النتائج طبقاً لمجموعة من القواعد الخاصة بجمع المعلومات والحقائق وتصنيفها ومقارنتها وتفسيرها (1) . كما استخدم الباحث طريقة تحليل المضمون لجمع البيانات وتسجيلها وتحليلها عن طريق استمارة أعدت لهذا الغرض ، وتضمنت الفئات الرئيسة والفرعية الملائمة للبحث ومشكلته وأهدافه .

المبحث الثاني / الاطار النظري العلاقة بين الدعاية والارهاب :

فسرت العديد من الدراسات التي اختصت بمتابعة عمليات الارهاب (أيأ كان مصدرها), اي أن هناك علاقة تخدام بين الدعاية باعتبارها صيغة من صيغ التوجيه ، هدفها دفع المتلقي الى استجابة معينة باتجاه الهدف الذي خطط له صاحب الرسالة الدعائية وبين الارهاب الذي يحاول اصحابه ايصال رسالة معينة ولكن باستخدام العنف (2) , كما أن استخدام الدعاية لاستعراض قوته واضفاء هالة مزيفة على فعالياته الاجرامية وتضخيم قدراته واطهارها بشكل اكبر من حجمها الحقيقي ونشر اجواء الرعب والخوف إنما هو محاولة لإحباط معنويات الافراد وانهيارهم . فالإرهاب يحاول التأثير في الرأي العام والترويج لأيديولوجيته والدعاية لها فهو يخاطب اصحاب العقول ذات الميول المتطرف او اللجوء الى اساليب الخداع والاحتيال لاستدراجهم في صفوفه متخذاً من الدعاية اسلوباً له لنشر افكاره ، وهي عنصر بناء لنشاطه الارهابي , من خلال انشاء الرسائل التبشيرية (3).

(1) المحكمين

أ . د علي جبار الشمري / جامعة بغداد / كلية الاعلام .

أ . د رياض خمات العتايي / جامعة واسط / كلية الاعلام .

أ . م . د نزهت محمود الدليمي / جامعة بغداد / كلية الاعلام .

أ . م . د عبد السلام احمد السامر / جامعة بغداد / كلية الاعلام .

أ . م . د حيدر شلال متعب / جامعة كربلاء / كلية العلوم الانسانية .

- محمد عوض العايدى ، إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية مع دراسة عن مناهج البحث ، القاهرة ، شمس المعارف ، 2005 .

(2) عبد الرزاق محمد الدليمي ، الدعاية والارهاب ، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2010 ، ص20 .

(3) خالد حبيب علي الراوي ، اساليب الدعاية الاجنبية الموجهة الى الوطن العربي ، عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، 2010 ، ص 175 .

أساليب الدعاية :

تنوعت الأساليب التي تستخدم في الدعاية , الا ان هذه الأساليب يختلف بعضها عن بعض باختلاف اهداف الدعاية والجمهور الموجه اليه , كما ان تكتيكات الدعاية تختلف عما يستخدمه القائمون على الدعاية نظراً لصعوبة تغيير الآراء والافكار , ونظراً إلى أن الدعاية لها كيان ووجود , وهدفها الاساسي احداث تغيير او تأثير في السلوك , فهي لابد من ان تتبع في ذلك اساليب ذات فاعلية وتأثير كالتى تم استخدامها عبر العصور⁽⁴⁾ , فيمكن تعريف الاسلوب الدعائي بانه ” مجموعة من العناصر القادرة على خلق رد فعل معين مقصود لدى المستقبل بحيث يؤدي من خلال التأثير العاطفي والمنطقي الى اقناع الجمهور المستهدف⁽⁵⁾ ” . ولتحديد بعض الطرق والاساليب الدعائية سنعرضها بشكل موجز , فقد حصر جان ماري دوميناك طرق وأساليب الدعاية عبر صياغتها بخمسة قوانين رئيسة هي⁽⁶⁾ :

1 - التبسيط والعدو الأوحـد.- 2- التضخيم والتشويه.- 3- التوزيع.- 4- التحويل.- 5- الإجماع والعدوى.
بينما استطاع كل من براون وهولستي في مؤلفاتهما تحديد أساليب الدعاية بعدد من النقاط يمكن إيجازها بالآتي⁽⁷⁾ :

1 - استخدام القوالب النمطية.- 2- إطلاق التسميات.- 3- الاختيار.- 4- التكرار.- 5- الحزم في الطرح ومستوى الجمهور المتلقي.- 6- التحول.- 7- الدلالة بالاقتران.- 8- اللحاق بالركب والإحباط.- 9- كبش الفداء .

انواع الاساليب الدعائية :

للدعاية اساليب عدة ومتنوعة يصعب تحديدها بشكل دقيق , فقد تم تناول البعض من تلك الاساليب والتي اعتمدت عليها الدعاية على مر العصور بغية التعرف الى معانيها والغاية من استعمالها , وهي على النحو الآتي :

1 - اسلوب التكرار : يقصد به اعتماد الدعاية الموجهة على اسلوب التكرار بموضوعها الرئيس والذي يعد القاعدة الاساسية في عملية كسب وتوجيه الراي العام على ان لا يؤدي ذلك الى اىصال المتلقي الى مرحلة الملل من الرسائل الدعائية من خلال التنوع في عرض موضوعات الدعاية وتتولى مهمة تكرار موضوع معين وايصاله بصورة مشوقة ومنسقة الى كل الاوساط الجماهيرية⁽⁸⁾ .

(4) منال هلال مزاهرة , الدعاية اساليبها ومدارسها , عمان , دار المسيرة للنشر والتوزيع , 2012, ص 111 .

(5) حميدة سميسم , الحرب النفسية مدخل , بغداد دار الكتب للطباعة , 2000, ص .

(6) سحر خليفة سالم الجبوري , مصدر سابق , ص 31 .

(7) المصدر نفسه , ص30.

(8) عبد الرزاق محمد الدليمي , مصدر سابق , ص 42.

2 - الاسلوب الديني : يوظف هذا الأسلوب في الرسائل الدعائية التي تتضمن الأفكار ذات الطابع الديني والعقائدي بما يتناسب مع معتقدها ووجهة نظرها ، وتوظيف النصوص الدينية والاحاديث المقدسة ، ويعد مثل هذا الاسلوب خطر جداً اذ ينفذ الى اعماق الامة وعقائدها ويحاول ضربها ونسف كيانه العقائدي وتحقيق مصالحهم على وفق ما يشتهون⁽⁹⁾.

3 - اسلوب التخويف : يعد الخوف أحد أكثر العواطف بدائية في الروح الإنسانية ، وتجمع المصادر القديمة والحديثة في ميدان الإقناع والدعاية على أهمية الجوانب العاطفية و الشعورية كعوامل أساسية في تحريك وتوجيه السلوك الإنساني، وقد أشار أرسطو إشارة واضحة وصريحة الى أهمية إثارة الخوف لدى الجمهور من اجل إقناعهم وهذه الخبرة بالنفس البشرية ومحركاتها هي التي جعلت السياسيين والدعاة يتوسلون بمشاعر الخوف لدفع الجماهير للسير بالاتجاه المرسوم قبل آلاف السنين⁽¹⁰⁾.

4 - اطلاق التسميات : يقصد به قيام الخبير الدعائي بربط مفهوم معين بكلمة او عبارة تعكس إنموذجاً للتوفيق وتثير شحنة انفعالية تقود الى نوع من التمييز ضد من يوصف بهذه الكلمة⁽¹¹⁾.

5 - الشخصية العدائية : تحديد الخصم في فرد او عدة أفراد بدلا من ان يكون جماعات كبيرة او كتلاً اجتماعية او قومية , ان مهاجمة شخص واحد او جهة واحدة اسهل بكثير من تعدد جبهات القتال، ومواجهة قوى واضحة اسهل بكثير من مجابهة قوى غريبة او غامضة او غير محددة بل ان الأمر يصبح اسهل من هذا بكثير اذ إن الدعاية الناجحة هي التي تحدد لنفسها هدفا رئيسا واحدا تركز عليه في مدة محددة، وكان ذلك أساس التكنيك في الدعاية النازية⁽¹²⁾.

(9) فيصل محمد ابو عيشة , الدعاية والاعلام , عمان , دار اسامة للنشر والتوزيع , 2011, ص140.

(10) علي حسين طوينه , بعض محاور التضليل الاعلامي التي اعتمدتها وسائل الاعلام والإدارة الامريكية قبل ام المعارك واثناءها, بغداد, مركز أبحاث أم المعارك, 1994, ص24.

(11) حميدة سميسم , الحرب النفسية المضادة في أزمة الخليج , مجلة افاق عربية , العدد 11, بغداد , دار الشؤون الثقافية , 1990, ص77.

(12) كرم شلبي, الإعلام والدعاية في حرب الخليج: وثائق من غرفة العمليات, القاهرة, مكتبة التراث الإسلامي, 1992.

6 - اسلوب الكذب والتضليل : عادةً ما تلجأ الدعاية الى اسلوب الكذب بدرجات مختلفة وذلك لتحقيق هدف ما , وترافق الكذب غالباً تقديم معلومات غير صحيحة او اختلاق وقائع لم تحدث , وبغض النظر عن حجم ومستوى الكذب فانه يظل خداعاً وتلاعباً بالحقائق , فالكذب اذا ما استخدم بطريقة ماهرة وبكفاءة عالية يؤدي الى ان يترسخ في اذهان الناس (13) .

7 - اسلوب الترغيب : يعتمد هذا الاسلوب على الأفكار التي تقدم وعود وعهود باستغلال الحاجات النفسية للمتلقين الذين توجه اليهم الدعاية لغرض التأثير بهم وكسب ودهم وتأييدهم وبالتالي اقناعهم .

8 - اسلوب التبرير : يتمثل هذا الاسلوب بتقديم الاسباب المقبولة والمنطقية للأفعال التي يقوم بها (القائم بالدعاية) مع اخفاء الاسباب الحقيقية لنشاطاته على الصعيد الداخلي والخارجي، وتستخدم هذا الاسلوب الدول التي تتدخل بمصائر الشعوب كإعلان الحرب على دولة ما اذ يعتمد هذا الاسلوب لتبرير هذه المواقف (14) .

9 - اسلوب التضخيم والمبالغة : يعتمد هذا الاسلوب على تضخيم الاخبار والحقائق وتشويهها لينعكس سلباً على الدولة الخصم واجهزتها (15) , اي تضخيم وتوجيه الخبر لخدم اغراض الدعاية (16) .

10 - اسلوب اثارة الانفعالات العاطفية : التأثير في الجانب العاطفي من النفس الانسانية , باثارة الانفعالات الاكثر بدائية عند الجمهور كالخوف والكرهية والحسد والغرور بحيث تكون مرتبطة اشد الارتباط بالمستوى الأدنى للسيكولوجية الانسانية , فالاستجابة الانفعالية عند الناس تكون اسرع من الادراك الواعي, وبذلك فان الدعاية تعتمد على المبدأ القائل بالاستقلال المصطنع للعواطف (17) .

(13) منال هلال المزاهرة , مصدر سابق , ص 112 - 113 .

(14) أدبي خضور , الإعلام والأزمات , الرياض , مركز الدراسات والبحوث , الأكاديمية العربية للعلوم الأجنبية , 1999 , ص 22.

(15) هادي فليح حسن , حامد مجيد فار , نشأة وتطور الدعاية السياسية (المداخل النظرية) بحث منشور في مجلة جامعة ذي قار , العدد 3 , المجلد 3 , 2007 , ص 148 .

(16) جمال عسكر مضحي , ياسين طه موسى , الدعاية تعريفاً ومفهوماً واسلوباً (دراسة تحليلية عن الدعاية الاسرائيلية) خلال حربها الاخيرة على غزة , بحث منشور في مجلة اداب الفراهيدي , العدد 1 , 2009 , ص 562.

(17) احمد عبد المجيد , استمالة العاطفة , فيالق الدعاية الامريكية التي مهدت لغزو العراق , بيروت , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , 2008 , ص 84 .

مواقع التواصل الاجتماعي والتنظيمات الارهابية (داعش) :

استطاعت العصابات الارهابية داعش من تأسيس ما يشبه الدولة الحقيقية تحت مسمى "دولة الخلافة"، على أراضٍ عراقية وسورية (18)، بعد سيطرتها على أجزاء واسعة من تلك الدول وبايعتها بقايا تنظيم القاعدة في ليبيا ونيجيريا وغيرهما ، وبدت كأنها كيان لا يقهر بعد أن صورتها بعض وسائل الإعلام بأنها وحش كاسر، مستعرضة قوة التنظيم في نشراتها الإخبارية (19)، كما يتفق أغلب الباحثين ممن تناول موضوع الإرهاب على ارتباطه بأهداف سياسية حيث يقول (Walter La-queur) " الإرهاب لوحده لا شيء ، نشره عبر وسائل الإعلام هو كل شيء " ، وبذلك فليس من الغريب أن نرى اهتمام التنظيمات الإرهابية في العراق بالجانب الاعلامي بشكل كبير حتى أصبح لها فرق كاملة مختصة بنشر أعمالها الاجرامية (20)، مستغلة وسائل الاعلام الالكتروني وعلى راسها شبكات التواصل الاجتماعي (يوتيوب ، فيسبوك ، تويتر الخ) كمنابر لبث افكارها واخبارها وتنفيذ اجندتها بسبب الانتشار الواسع لمواقع التواصل الاجتماعي وسهولة استخدامها وامكانية تخطي الحواجز السياسية والجغرافية في عملية الاتصال وايصال رسائلهم التي تحمل في طيات مضامينها شتى انواع الاساليب الدعائية التي تحقق اهدافهم ، وهكذا نرى أن الإرهابيين أصبحوا يستغلون بشكل منهجي ومنظم وسائل الإعلام الالكترونية ، وهم يعرفون كيف يحصلون على افضل النتائج من الانفعالات الطبيعية لدى الجمهور (21).

وكذلك سخرت الجماعات الارهابية الشبكة الرقمية والفضائيات لأغراضها الدعائية ، منذ شرع تنظيم القاعدة قبل نحو عقد من الزمن في بث بياناته عبر الانترنت وبعض القنوات التلفزيونية العربية والعالمية ، حتى برزَ في السنوات الخمس الاخيرة، نشاط "رقمي"، فعال للجماعات المتطرفة (داعش) ، لتسويق بياناتها وصور فعاليتها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ولا سيما الـ "يوتيوب" و "فيسبوك" و "تويتر"، في سعيها لتعزيز استراتيجية دعائية لا تهدف الى نشر ثقافتها المتطرفة و"التكفيرية"، فحسب، بل الى شن حرب نفسية، للتأثير في الخصوم، والسعي الى استقطاب الشباب، للتطوع في صفوفها والقتال في البلدان التي تحارب فيها مثل افغانستان والعراق وسوريا واليمن ودول اخرى ،

(18) محمد علوش ، داعش واخواتها من القاعدة إلى الدولة الاسلامية ، بيروت ، رياض الريس للكتب والنشر ، 2015 ، ص 166 .

(19) كامل القيم ، حرب الرموز وتسويق مثيرات الإرهاب ، رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش ، بغداد ، مجلة حمورابي للدراسات ، العدد 10 ، 2014 ، ص 94 .

(20) مسلم عباس هاشم ، المعالجة الاخبارية لموضوعات الارهاب في الفضائيات العراقية ، بغداد ، مركز العراق للدراسات ، 2016 ، ص 133 .

(21) اسماعيل محمود عبد الرحمن ، الإعلام والإرهاب والثقافة البديلة ، الاسكندرية ، مكتبة الوفاء القانونية ، 2014 ، ص 81 .

وإذا كانت حكومات الدول قد وعت مخاطر هذا الشكل الجديد من تجنيد الإرهابيين للقيام بالعمليات الإرهابية ، فقد سعت بالمقابل الى الشروع في حرب "رقمية" لاسيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي في دعاية مضادة تهدف من ورائها الى كسب الحرب على "الإرهاب" عبر رصد فعاليات الجماعات المسلحة ومتابعة تمددها ومراقبة أساليب تجنيدها للشباب في صفوفها (22) .

المبحث الثالث / الاطار الميداني

اجراءات البحث الميداني :

من اجل إتمام البحث نظريا وعمليا ، اهتم الباحث باتخاذ إجراءات عدة ومتنوعة ارتبطت بموضوعة البحث والمنهج المستخدم ، ومن هذه الإجراءات :

1 - متابعة موقع اليوتيوب (عينة البحث) خلال المدة الزمنية المحددة بشهر واحد كما هي مبينه في مجالات البحث ، وسحب المواد الإعلامية (مقاطع الفيديو) وتفرغ ما يخص البحث منها في استمارة تحليل الفئات المحددة التي لجأ الى تصميمها الباحث كخطوة اولية قبل البدء بإجراءات التحليل النهائي , وهذي الخطوة هي القيام بتحليل كفي لعينات صغيرة من مادة التحليل (دراسة استطلاعية) , لغرض معرفة خطوات التحليل النهائي التي ستتخذ اساسا للتصنيف .

وقد تم اختيار عينة عشوائية صغيرة من مقاطع الفيديو التي نشرتها عصابات داعش الإرهابية على موقع التواصل الاجتماعي (يوتيوب) مثلت بنسبة 10% من مجموع العينة الكلية , حيث تمت مشاهدتها والانصات اليها بدقة وامعان من اجل الالمام بالاطار العام .

2 - تصميم استمارة تحليل المضمون التي استعملت في الإطار الميداني الخاص بتحليل المادة الاعلامية المنشورة في اليوتيوب عينة البحث ، وتضمنت الاستمارة عددا من الفئات الرئيسية والفرعية ، وتم عرضها على عدد من الخبراء* ، لغرض اخذ الآراء الصائبة بخصوص الفئات المستخدمة فيها من اجل الخروج بنتائج دقيقة وعلمية ، وقد تم إخضاع هذه الاستمارة لرأي الخبراء من اجل صدقها وصلاحياتها ، وأجريت تعديلات عليها بناء على آراءهم .

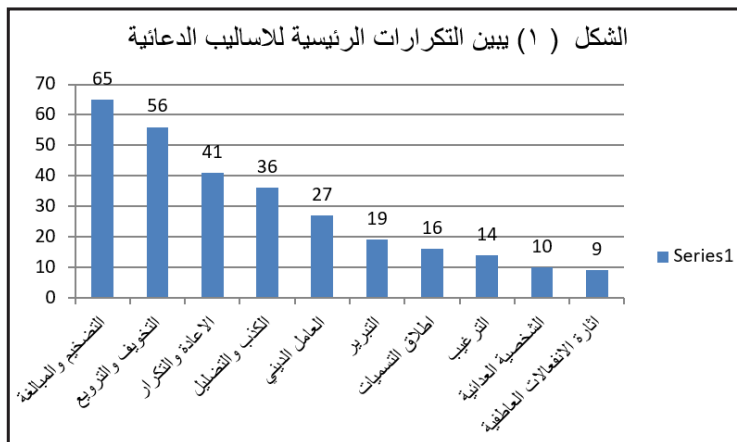
(22) عبد الحميد بسيوني , الديمقراطية الالكترونية , دار الكتب العلمية , القاهرة , 2008, ص39ص43 .

وقد حدد الباحث في هذا البحث (10) فئات رئيسة. وندرج فيما يأتي الفئات الرئيسية (الاساليب) التي ظهرت اثناء التحليل مع توضيح المعنى المراد بكل اسلوب اذ ان مثل هذا الاجراء يساعد في التعريف بالفئات بشكل دقيق:

ت	الفئة	التعريف
1	لإعادة والتكرار	وهي الفئة التي تتضمن إعادة تكرار الأفكار في اوقات مختلفة ومتواصلة لجذب الانتباه وترسيخ مضامينها في المتلقي والتأثير به .
2	العامل الديني	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار ذات الطابع الديني والعقائدي وتوظيفها لما يتناسب مع معتقدها ووجهة نظرها بالاستعانة بآيات القرآن الكريم والحديث الشريف .
	خوف والترديد	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار او المضامين التي يقصد منها التحذير او الإبلاغ او الإنذار بالعقاب بهدف إشاعة الرعب والفرع .
4	للاق التسميات	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي تستخدم مفردات مثيرة لوصف شخصيات الخصم او سلوكياته والذي يؤدي تكرارها الى إثارة مشاعر معينة كالكرهية والاستخفاف وإثارة النعرات الطائفية .
5	خصية العدائية	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي تحصر الخصم في شخصية فرد يكون الهدف الرئيس في تركيز العداء والكره نحوه.
6	كذب والتضليل	وهي الفئة التي تتضمن أفكار تحتوي على معلومات مختلفة او مشوهة او محرفة.
7	الترغيب	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي قدمت وعود وعهود باستغلال الحاجات النفسية للمتقين الذين توجه اليهم الدعاية .
8	التبرير	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي تقدم اسباب وحجج للأفعال والمواقف المتخذة من اجل تحقيق القناعة عند المتلقي بهذه الأفعال والمواقف.
9	ضخيم والمبالغة	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي منحت قيمة اضافية بغية التهويل والتضخيم .
10	للافعالات العاطفية	وهي الفئة التي تتضمن الأفكار التي تستغل العناصر النفسية والعاطفية بصورة كبيرة بغية التأثير او كسب التأييد نحو قضايا معينة.

ومن خلال الدراسة الميدانية سيبين الباحث بشكل كمي ونسبي الاساليب الدعائية التي استعملتها عصابات داعش عن طريق مقاطع الفيديو التي نشرتها على موقع اليوتيوب الالكتروني كما هي مبينه في الجداول الاتية :

الشكل (1) يبين تكرارات الفئات الرئيسية للأساليب الدعائية التي استخدمتها التنظيمات الارهابية (داعش) .



جدول (1) يبين النسب المأوية للفئات الرئيسية للأساليب الدعائية التي استخدمتها التنظيمات الارهابية (داعش) .

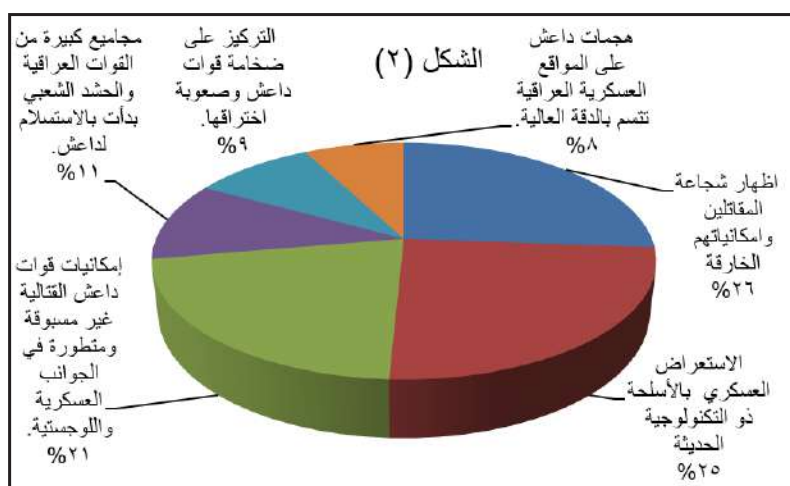
النسبة	الفئات	
22.18%	التضخيم والمبالغة	1
19.11%	التخويف والترجيع	2
13.99%	الاعادة والتكرار	3
12.28%	الكذب والتضليل	4
9.21%	العامل الديني	5
6.48%	التبرير	6
5.46%	اطلاق التسميات	7
4.77%	الترغيب	8
3.41%	الشخصية العدائية	9
3.07%	اثارة الانفعالات العاطفية	10
99.96%	المجموع	

ان قراءة البيانات المبينة في جدول (1) يظهر الفئات الرئيسية للأساليب الدعائية التي استخدمتها عصابات داعش الارهابية اذ يتضح ان فئة التضخيم والمبالغة اكثر الاساليب توظيفا حيث حصلت على اعلى النسب محققه ما نسبته (22.18%) بواقع تكرار (65) , تليها في المرتبة الثانية فئة التخويف والترجيع وبتكرار (56) ما نسبته (19.11%) , بينما في المرتبة الثالثة جاءت فئة الاعادة والتكرار بواقع (41) تكراراً ونسبة (13.99%) , وجاءت فئة الكذب والتضليل في المرتبة الرابعة بتكرار (36) ونسبته (12.28%) , اما فئة العامل الديني جاءت في المرتبة الخامسة بعدد تكرار (27) ونسبته (9.21%) , في حين جاءت في المرتبة السادسة فئة التبرير بتكرار (19) ونسبة (6.48%) , واثت فئة اطلاق التسميات لتحل المرتبة السابعة بتكرار (16) ونسبة (5.46%) , بينما فئة الترغيب جاءت في المرتبة الثامنة بتكرار (14) ونسبة (4.77%) , وجاءت فئة الشخصية العدائية في المرتبة التاسعة بتكرار (10) ونسبة (3.41%) , اما فئة اثارة الانفعالات العاطفية جاءت في المرتبة الاخيرة بواقع تكرار (9) ونسبة (3.07%) , تشير هذه النتائج ان التنظيم الارهابي (داعش) اعتمد على اسلوب التضخيم والمبالغة بالدرجة الاولى فضلا عن اسلوب التخويف والترجيع في حربها الاعلامية مع العراق و نستدل من هذه النتائج انهم يحاولون من خلال تركيزهم على هذه الاساليب الى ابراز وجودهم وحجم وحشيتهم.

جدول (2) يبين تكرارات الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التضخيم والمبالغة .

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (التضخيم والمبالغة)	التكرار
1	اظهار شجاعة المقاتلين وامكانياتهم الخارقة .	17
2	الاستعراض العسكري بالأسلحة ذو التكنولوجيا الحديثة	16
3	إمكانيات قوات داعش القتالية غير مسبوقة ومتطورة في الجوانب العسكرية واللوجستية.	14
4	مجاميع كبيرة من القوات العراقية والحشد الشعبي بدأت بالاستسلام لداعش.	7
5	التركيز على ضخامة قوات داعش وصعوبة اختراقها.	6
6	هجمات داعش على المواقع العسكرية العراقية تتسم بالدقة العالية.	5
	المجموع	65

الشكل (2) يبين النسب المئوية للفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التضخيم والمبالغة .

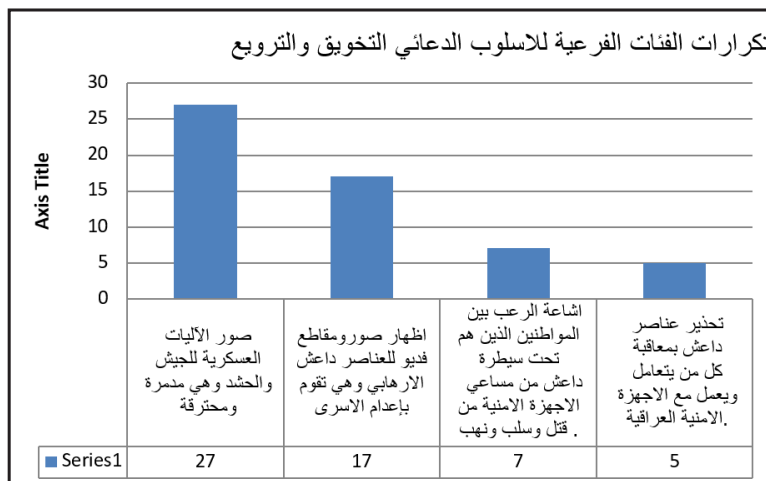


يبين الجدول (2) نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التضخيم والمبالغة حيث احتلت المرتبة الاولى فئة اظهار شجاعة المقاتلين وامكانياتهم الخارقة بواقع تكرار (17) وما نسبته (26.15%) , بينما احتلت المرتبة الثانية فئة الاستعراض العسكري بالأسلحة ذو التكنولوجيا الحديثة بتكرار (16) ونسبة (24.61%) , في حين جاءت فئة إمكانيات قوات داعش القتالية غير مسبوقة ومتطورة في الجوانب العسكرية واللوجستية في المرتبة الثالثة بعدد (14) تكراراً ونسبة (21.53%) , اما في المرتبة الرابعة جاءت فئة مجاميع كبيرة من القوات العراقية والحشد الشعبي بدأت بالاستسلام لداعش بتكرار (7) ونسبة (10.76%) , حيث جاءت في المرتبة الخامسة فئة التركيز على ضخامة

قوات داعش وصعوبة اختراقها بتكرار (6) وبنسبة (9.23%) , اما في المرتبة الاخيرة فجاءت فئة هجمات داعش على المواقع العسكرية العراقية تتسم بالدقة العالية بتكرار (5) وبنسبة (7.69%) , يتضح من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش سعى من خلال الاساليب الدعائية الى تصوير امكانيات المقاتل الداعشي الخارقة وصعوبة اختراقه مستعرضين هذه الامكانيات باستخدام الاسلحة الحديثة المتطورة تكنولوجياً محاولة منه للتاثير في نفسية القوات العراقية وفصائل المقاومة والاحباط من عزيمته .

جدول (3) يبين النسب المئوية للفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التخويف والترجيع

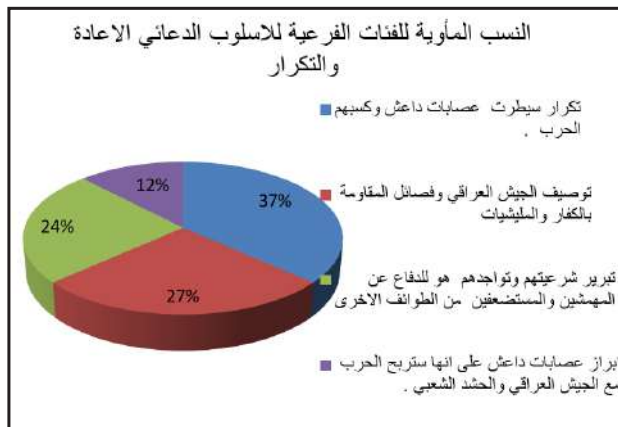
النسبة	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (التخويف والترجيع)	ت
48.21%	اظهار صور الآليات العسكرية للجيش والحشد وهي مدمرة ومحتركة .	1
30.35%	اظهار صور ومقاطع فيديو للعناصر داعش الارهابي وهي تقوم بإعدام الاسرى.	2
12.5%	اشاعة الرعب بين المواطنين الذين هم تحت سيطرة داعش من مساعي الاجهزة الامنية من قتل و سلب ونهب .	3
8.92%	تحذير عناصر داعش بمعاينة كل من يتعامل ويعمل مع الاجهزة الامنية العراقية.	4
99.98%	المجموع	



يظهر جدول وشكل (3) نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التخويف والترويع حيث حصلت فئة اظهار صور الآليات العسكرية للجيش والحشد وهي مدمرة ومحتركة على المرتبة الاولى بواقع تكرار (27) وبنسبة (48.21%) , بينما نالت فئة اظهار صور ومقاطع فيديو للعناصر داعش الارهابي وهي تقوم باعدام الاسرى على المرتبة الثانية بعدد (17) تكراراً ما نسبته (30.35%) , في حين جاءت فئة اشاعة الرعب بين المواطنين الذين هم تحت سيطرة داعش من مساعي الاجهزة الامنية من قتل وسلب ونهب في المرتبة الثالثة بتكرار (7) وبنسبة (12.5%) اما في المرتبة الاخيرة فجاءت فئة تحذير عناصر داعش بمعاقبة كل من يتعامل ويعمل مع الاجهزة الامنية العراقية بواقع تكرار (5) وبنسبة (8.92%) , نستدل من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش استعان بأسلوب التخويف والترويع عند اظهاره لصور ومقاطع الفيديو لآليات عسكرية تابعة لجيش العراقي ومشاهد اعدام مروعة وبطرق وحشية مختلفة سعياً منه لتقليل من عزيمة القوات الامنية في القتال وزرع الخوف في داخلهم وانهيارهم نفسياً .

جدول (4) يبين تكرارات الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (الاعداء والتكرار)

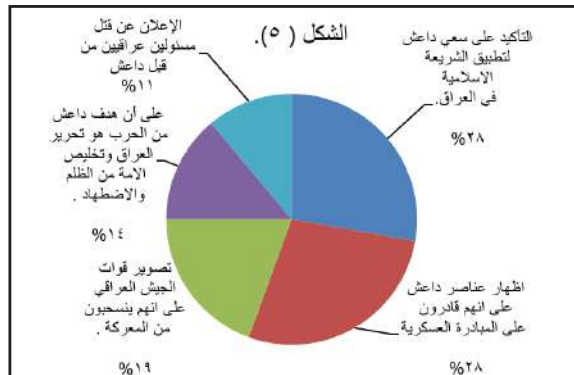
ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (الاعداء والتكرار)	تكرار
1	سيطرت عصابات داعش وكسبهم الحرب .	15
2	توصيف الجيش العراقي وفصائل المقاومة بالكفار والمليشيات .	11
3	تبرير شرعيتهم وتواجدهم هو للدفاع عن المهمشين والمستضعفين من الطوائف الاخرى .	10
4	ابراز عصابات داعش على انها ستريح الحرب مع الجيش العراقي والحشد الشعبي .	5
	المجموع	41



توضح نتائج جدول والشكل (4) الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الاعادة والتكرار, اذ حصلت فئة تكرار سيطرت عصابات داعش وكسبهم الحرب المرتبة الاولى بعدد (15) تكراراً ونسبة (36.58%) في حين حصلت فئة توصيف الجيش العراقي وفصائل المقاومة بالكفار والمليشيات على المرتبة الثانية محققة ما نسبته (11) وبواقع تكرار (26.82%) , اما فئة تبرير شرعيتهم وتواجدتهم هو للدفاع عن المهمشين والمستضعفين من الطوائف الاخرى جاءت في المرتبة الثالثة بتكرار (10) ونسبة (24.39%) , بينما جاءت في المرتبة الرابعة فئة ابراز عصابات داعش على انها ستربح الحرب مع الجيش العراقي والحشد الشعبي بواقع تكرار (5) ونسبة (12.19%) , اما فئة خلق تصور حول فقدان الجيش العراقي للقيادة والسيطرة لم تحصل على اي نسبة تذكر , تشير هذه النتائج الى ان عصابات داعش ركزت في اسلوب التكرار على خلق تصور حول سيطرت عصابات داعش وكسبهم الحرب فضلا عن توصيف الجيش العراقي وفصائل المقاومة بالكفار وتبرير شرعيتهم هو للدفاع عن المستضعفين والمهمشين لترسيخ هذه المبادئ لدى المتعاونين والمتعاطفين معهم ومن يوالونهم .

جدول (5) يبين الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الكذب والتضليل

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (الكذب والتضليل)	التكرار	النسبة	المرتبة
1	التأكيد على سعي داعش لتطبيق الشريعة الاسلامية في العراق.	10	27.77%	1
2	اظهار عناصر داعش على انهم قادرون على المبادرة العسكرية	10	27.77%	2
3	تصوير قوات الجيش العراقي على انهم ينسحبون من المعركة .	7	19.44%	2
4	على أن هدف داعش من الحرب هو تحرير العراق وتخليص الأمة من الظلم والاضطهاد .	5	13.88%	3
5	الإعلان عن قتل مسئولين عراقيين من قبل داعش.	4	11.11%	4
	المجموع	36	99.97%	



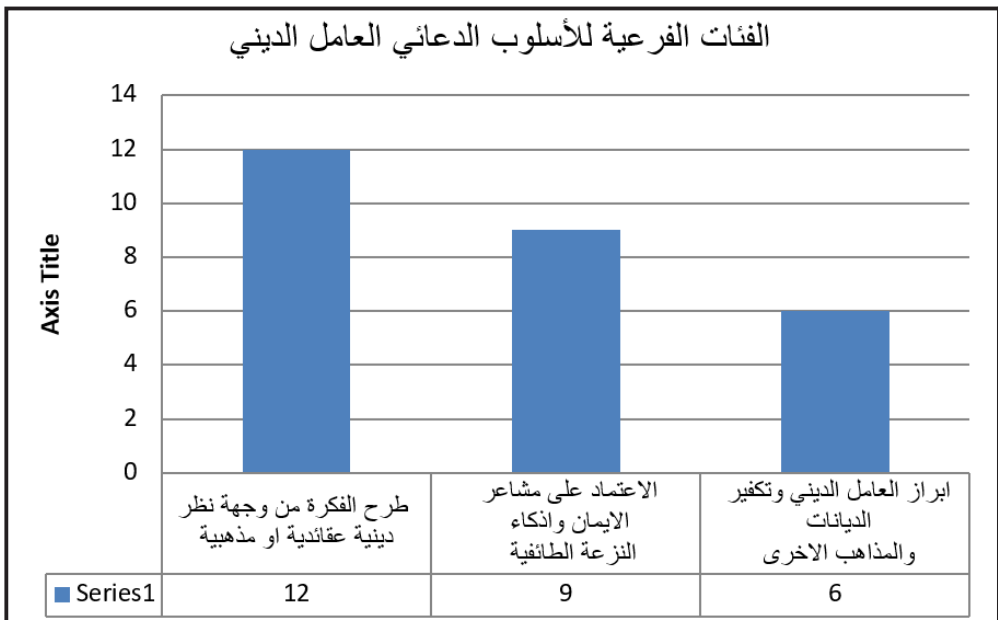
يظهر جدول وشكل (3) نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التخويف والترويع حيث حصلت فئة اظهار صور الآليات العسكرية للجيش والحشد وهي مدمرة ومحترقة على المرتبة الاولى بواقع تكرار (27) وبنسبة (48.21%) ,

بينما نالت فئة اظهار صور ومقاطع فيديو للعناصر داعش الارهابي وهي تقوم باعدام الاسرى على المرتبة الثانية بعدد (17) تكراراً ما نسبته (30.35%) ,

في حين جاءت فئة اشاعة الرعب بين المواطنين الذين هم تحت سيطرة داعش من مساعي الاجهزة الامنية من قتل وسلب ونهب في المرتبة الثالثة بتكرار (7) وبنسبة (12.5%) اما في المرتبة الاخيرة فجاءت فئة تحذير عناصر داعش بمعاينة كل من يتعامل ويعمل مع الاجهزة الامنية العراقية بواقع تكرار (5) وبنسبة (8.92%) ,

نستدل من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش استعان بأسلوب التخويف والترويع عند اظهاره لصور ومقاطع الفيديو لآليات عسكرية تابعة لجيش العراق ومشاهد اعدام مروعة وبطرق وحشية مختلفة سعياً منه لتقليل من عزيمة القوات الامنية في القتال وزرع الخوف في داخلهم وانهيارهم نفسياً .

الشكل (6) يبين تكرارات الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي العامل الديني



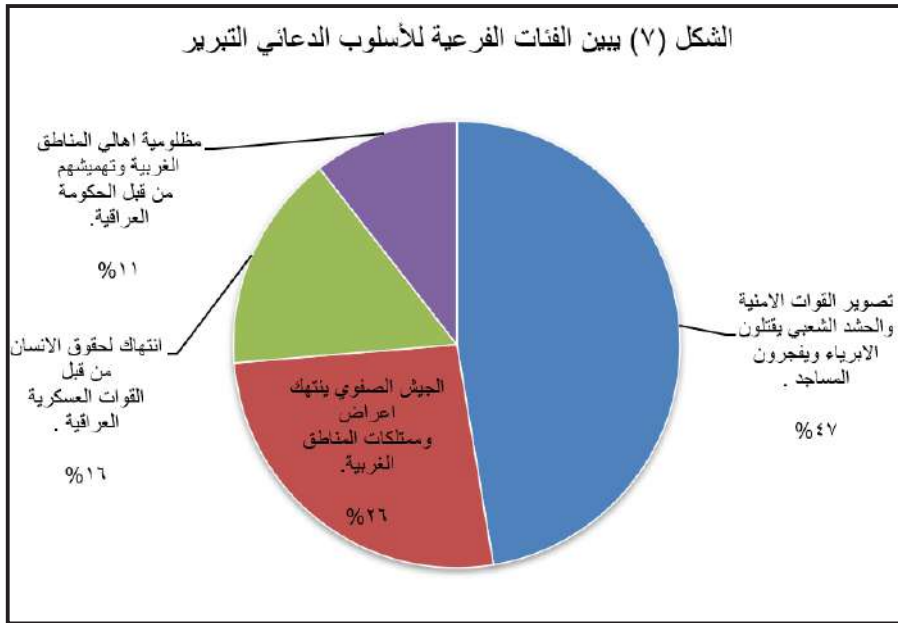
جدول (6) يبين النسب المئوية الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي العامل الديني .

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (العامل الديني)	النسبة
1	طرح الفكرة من وجهة نظر دينية عقائدية او مذهبية	%44.44
2	الاعتماد على مشاعر الايمان واذكاء النزعة الطائفية .	%33.33
3	ابرار العامل الديني وتكفير الديانات والمذاهب الاخرى .	%22.22
	المجموع	%99.99

افرز كل من الشكل (6) والجدول اعلاه نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي العامل الديني فقد جاءت في المرتبة الاولى فئة طرح الفكرة من وجهة نظر دينية عقائدية او مذهبية بواقع تكرار (12) وبنسبة (%44.44) , تليها بالمرتبة الثانية فئة الاعتماد على مشاعر الايمان واذكاء النزعة الطائفية بواقع تكرار (9) وما نسبته (%33.33) , اما في المرتبة الاخيرة فجاءت فئة ابرار العامل الديني وتكفير الديانات والمذاهب الاخرى بعدد (6) تكراراً وبنسبة (%22.22) , يتبين لنا من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش لجأ الى توظيف العامل الديني في توجيه الراي العام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً فضلاً عن الاعتماد على مشاعر الايمان في اذكاء النزعة الطائفية لتفكيك وحدة المجتمع .

جدول (7) يبين النسب المئوية للفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التبيري

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (التبيري)	النسبة
1	تصوير القوات الامنية والحشد الشعبي يقتلون الابرار ويفجرون المساجد .	%47.36
2	الجيش الصفوي ينتهك اعراض وممتلكات المناطق الغربية.	%26.31
3	انتهاك لحقوق الانسان من قبل القوات العسكرية العراقية .	%15.78
4	مظلومية اهالي المناطق الغربية وتهميشهم من قبل الحكومة العراقية.	%10.52
	المجموع	99.97

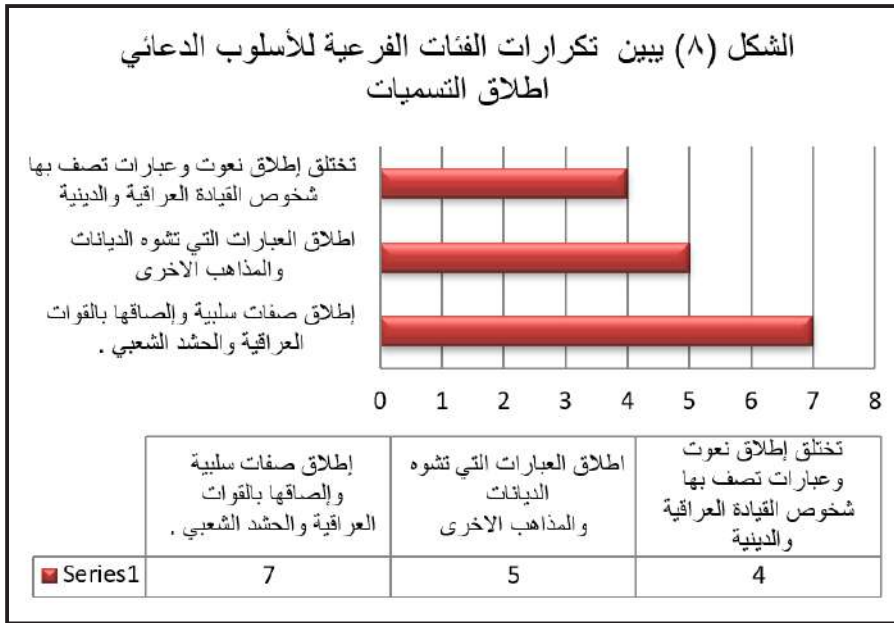


يظهر كل من جدول (7) والشكل اعلاه نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي التبرير اذ حصلت فئة تصوير القوات الامنية والحشد الشعبي يقتلون الابرياء ويفجرون المساجد المرتبة الاولى بواقع تكرار (9) ونسبة (47.36%) ,

اما في المرتبة الثانية جاءت فئة الجيش الصفوي ينتهك اعراض وممتلكات المناطق الغربية بتكرار (5) وما نسبته (26.31%) , في حين جاءت في المرتبة الثالثة فئة انتهاك لحقوق الانسان من قبل القوات العسكرية العراقية بعدد (3) تكراراً ونسبه (15.78%) ,

بينما جاءت في المرتبة الاخيرة فئة مظلومية اهالي المناطق الغربية وتهميشهم من قبل الحكومة العراقية بتكرار (2) ونسبة (10.52%) ,

يتضح لنا من خلال هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش برر افعاله الوحشية من خلال استخدامه للأساليب الدعائية لخلق تصور لدى الراي العام وبالأخص من يتعاطفون معه بان القوات الامنية والحشد الشعبي يقتلون الابرياء ويفجرون المساجد وينتهكون الاعراض ويسرقون الممتلكات متخذ من هذا الاسلوب وسيله لإثبات شرعية وجوده وأفعاله في المناطق الغربية .



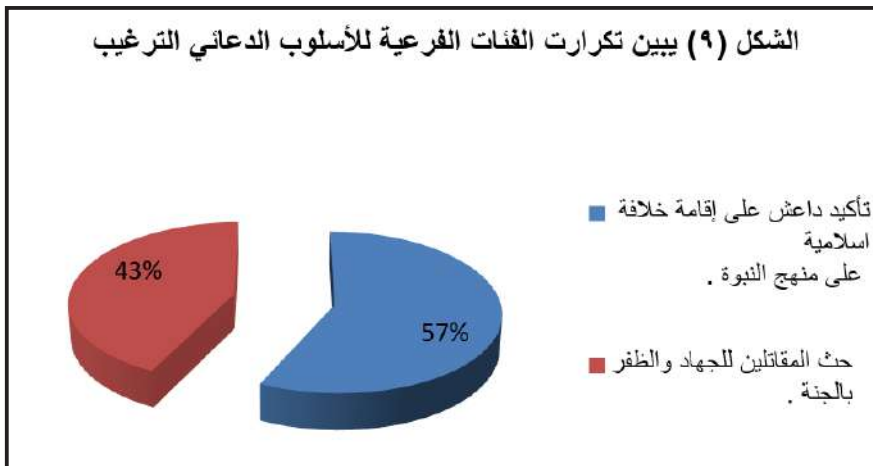
جدول (8) يبين النسب المئوية للفئات الفرعية للأسلوب الدعائي اطلاق التسميات

النسبة	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (اطلاق التسميات)	ت
43.75%	إطلاق صفات سلبية وإصاقها بالقوات العراقية والحشد الشعبي .	1
31.25%	اطلاق العبارات التي تشبه الديانات والمذاهب الأخرى .	2
25%	تخلف إطلاق نعوت وعبارات تصف بها شخص القيادة العراقية والدينية .	3
100%	المجموع	

يوضح جدول (8) نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي اطلاق التسميات حيث حصلت فئة إطلاق صفات سلبية وإصاقها بالقوات العراقية والحشد الشعبي على المرتبة الاولى بواقع تكرار (7) وبنسبه (43.75%) , بينما جاءت في المرتبة الثانية فئة اطلاق العبارات التي تشبه الديانات والمذاهب الأخرى بتكرار (5) مانسبته (31.25%) , في حين جاءت في المرتبة الأخيرة فئة تخلف إطلاق نعوت وعبارات تصف بها شخص القيادة العراقية والدينية بعدد تكرار (4) وبنسبه (25%) نستدل من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش كرس جهوده الحثيثة في إطلاق تسميات للتقليل من شان وهيبة القوات العراقية والحشد الشعبي و تشوه الديانات والمذاهب الأخرى من خلال وصفهم بعبدة الاصنام ,مجوس , سراق ومغتصبين وغيرها الكثير من النعوت والعبارات والإصاقها بهم.

جدول (9) يبين تكرارات الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الترويجي

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (الترويج)	لتكرار
1	تأكيد داعش على إقامة خلافة اسلامية على منهج النبوة .	8
2	حث المقاتلين للجهاد والظفر بالجنة .	6
	المجموع	14



بين كل من الجدول (9) والشكل اعلاه نتائج الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الترويجي اذ احتلت المرتبة الاولى فئة تأكيد داعش على إقامة خلافة اسلامية على منهج النبوة بتكرار (8) ونسبة (57.14%) , بينما جاءت في المرتبة الثاني فئة حث المقاتلين للجهاد والظفر بالجنة بتكرار (6) وما نسبته (42.85%) , في حين لم تحصل فئة اسناد المناصب القيادية للمقاتلين الاجانب لاستقطابهم في ادارة المعارك على اي نسبة تذكر , يتضح لنا من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش لجأ الى ترغيب الجمهور في إقامة خلافة اسلامية على منهج النبوة فضلا عن اقناعهم بان عند القتال في صفوفهم والاستشهاد هو اقصر الطرق الى الجنة , والجدير ذكره ان في هذه الفترة لم تقم داعش باي ترغيب لاستقطاب الاجانب في صفوفها ووعدهم بمناصب قيادية كما كانوا يفعلون في اوقات سابقة كونهم منشغلون في خساراتهم التي حقوها بهم القوات العراقية وتذليل نفوذهم في العراق .

جدول (10) يبين الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الشخصية العدائية

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (الشخصية العدائية)	التكرار	النسبة	المرتبة
1	تحميل الحكومة العراقية السبب الأساس في معاناة الشعب وتهميش الآخر.	7	70%	1
2	التركيز على أن الجيش العراقي والحشد الشعبي صفويون وليس عراقيين .	3	30%	2
	المجموع	10	100%	

ان قراءة نتائج البيانات التي أفرزها جدول (10) الخاصة بالفئات الفرعية للأسلوب الدعائي الشخصية العدائية تبين ان فئة تحميل الحكومة العراقية السبب الأساس في معاناة الشعب وتهميش الآخر حصلت على المرتبة الاولى بواقع تكرار (7) وبنسبة (70%) , تليها في المرتبة الثانية فئة التركيز على أن الجيش العراقي والحشد الشعبي صفويون وليس عراقيين بعدد تكرار (3) وما نسبته (30%) , يتبين من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش سعا جاهداً الى ان يجعل من الحكومة العراقية هي الخصم والعدو الذي كان السبب في اقصاء وتهميش ومعانات الشعب هكذا ركز العداء والكره نحوه .

جدول (11) يبين الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي اثاره الانفعالات العاطفية

ت	الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي (اثاره الانفعالات العاطفية)	التكرار	النسبة	المرتبة
1	تضحي داعش بأبنائها من اجل الاسلام .	7	77.77%	1
2	رغبة داعش بمساعدة الشعب العراقي .	2	22.22%	2
	المجموع	9	99.99%	

تظهر نتائج جدول (11) الفئات الفرعية للأسلوب الدعائي اثاره الانفعالات العاطفية اذ اتت في المرتبة الاولى فئة تضحي داعش بأبنائها من اجل الاسلام بتكرار (7) وبنسبة (77.77%) , اما في المرتبة الثانية جاءت فئة رغبة داعش بمساعدة الشعب العراقي بواقع تكرار (2) وما نسبته (22.22%) , يتضح من هذه النتائج ان التنظيم الارهابي داعش حاول ان يثير انفعالات الجمهور العاطفية من خلال تصوير تضحياتهم بانفسهم هي من اجل الاسلام .

النتائج والاستنتاجات :

- 1 - اوضحت النتائج التي افرزتها الدراسة التحليلية ان الاساليب الدعائية التي استخدمها التنظيم الارهابي (داعش) في موقع اليوتوب اثناء مدة الدراسة هي : اسلوب (التضخيم والمبالغة , التخويف والترويع , الاعادة والتكرار , الكذب والتضليل , العامل الديني , التبرير , اطلاق التسميات , الترغيب , الشخصية العدائية و اشارة الانفعالات العاطفية) , اذ ان عصابات داعش اولت اهتمامها بالدرجة الاولى على اسلوبي التضخيم والمبالغة والتخويف والترويع في حربها الاعلامية مع العراق .
- 2 - يتضح من خلال الدراسة التحليلية ان الاستمالات التي انطوت عليها الاساليب الدعائية التي استخدمتها التنظيمات الإرهابية في مواقع التواصل الاجتماعي (اليوتوب) هي استمالات ذات طابع ديني واخرى عاطفية مستخدمة خطاب ذو صبغة مذهبية طائفية هدفها تمزيق وحدة العراق وتلاحمه .
- 3 - ان اهم الاهداف التي سعت عصابات داعش الى تحقيقها عن طريق نشاطها الدعائي الموجه الى العراق من خلال مواقع التواصل الاجتماعي (اليوتوب) هي:
 - اظهار مقاتليه وهم قادرون على المبادرة العسكرية .
 - تصوير امكانيات المقاتل الداعشي الخارقة وصعوبة اختراقه .
 - ايهام الراي العام بان القوات العسكرية وفصائل المقاومة بدأت بالانسحاب من المعارك .
 - خلق تصور حول سيطرت عصابات داعش وكسبهم الحرب .
 - تبرير شرعية تواجدهم هو للدفاع عن المستضعفين والمهمشين وترسيخ هذه المبادئ لدى المتعاونين والمتعاطفين معهم ومن يوالونهم .
 - ان التنظيم الارهابي داعش سعا جاهداً الى ان يجعل من الحكومة العراقية هي الخصم والعدو الذي كان السبب في اقصاء وتهميش ومعانات الشعب .
- 4- ان غالبية مضامين رسائله الدعائية غايتها تضليل الجمهور وايهامهم في تطبيق الشريعة الاسلامية واقامة خلافة على منهج النبوة .

التوصيات :

- 1 - على الجهات الحكومية المعنية ان تواجه الاساليب الدعائية التي يوظفها تنظيم داعش الارهابي في مواقع التواصل الاجتماعي وتفندوها من خلال تقديم الادلة الدامغة .

- 2 - تفعيل نظام الحوكمة الالكترونية ومراقبة ومنع انتشار مقاطع الفيديو التي تبثها مصادر اعلامية سواء كانت تابعة لداعش او متعاطفة معه .
- 3 - انشاء مراكز بحوث عراقية متخصصة في مجال الدعاية والاعلام لتكون قاعدة اساسية يركز عليها الباحثون في هذا المجال بغية الارتقاء بهذه الحقل المهم.

الهوامش والمصادر :

*المحكمين

- أ. د علي جبار الشمري / جامعة بغداد / كلية الاعلام .
 - أ. د رياض خماط العتابي / جامعة واسط / كلية الاعلام .
 - أ. م. د نزهت محمود الدليمي / جامعة بغداد / كلية الاعلام .
 - أ. م. د عبد السلام احمد السامر / جامعة بغداد / كلية الاعلام .
 - ا. م. د حيدر شلال متعب / جامعة كربلاء / كلية العلوم الانسانية .
- 1 - محمد عوض العائدي ، إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية مع دراسة عن مناهج البحث ، القاهرة ، شمس المعارف ، 2005 .
 - 2 - عبد الرزاق محمد الدليمي ، الدعاية والارهاب ، عمان، دار جرير للنشر والتوزيع ، 2010 ، ص20 .
 - 3 - خالد حبيب علي الراوي ، اساليب الدعاية الاجنبية الموجهة الى الوطن العربي ، عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، 2010 ، ص 175 .
 - 4 - منال هلال مزاهرة ، الدعاية اساليبها ومدارسها ، عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، 2012 ، ص 111 .
 - 5 - حميدة سميسم ، الحرب النفسية مدخل ، بغداد دار الكتب للطباعة ، 2000 ، ص .
 - 6 - سحر خليفة سالم الجبوري ، مصدر سابق ، ص 31 .
 - 7 - المصدر نفسه ، ص30 .
 - 8 - عبد الرزاق محمد الدليمي ، مصدر سابق ، ص 42 .
 - 9 - فيصل محمد ابو عيشة ، الدعاية والاعلام ، عمان ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، 2011 ، ص140 .
 - 10 - علي حسين طوينه ، بعض محاور التضليل الاعلامي التي اعتمدتها وسائل الاعلام والإدارة الامريكية قبل ام المعارك واثناءها، بغداد، مركز أبحاث أم المعارك، 1994، ص24.

- 11 - حميدة سميسم ، الحرب النفسية المضادة في أزمة الخليج ، مجلة افاق عربية ، العدد 11 ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، 1990 ، ص77.
- 12 - كرم شلبي، الإعلام والدعاية في حرب الخليج: وثائق من غرفة العمليات، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، 1992.
- 13 - منال هلال المزاهرة ، مصدر سابق ، ص 112 - 113 .
- 14 - أديب خضور، الإعلام والأزمات ، الرياض ، مركز الدراسات والبحوث، الأكاديمية العربية للعلوم الأجنبية ، 1999 ، ص22.
- 15 - هادي فليح حسن ، حامد مجيد فاره ، نشأة وتطور الدعاية السياسية (المداخل النظرية)، بحث منشور في مجلة جامعة ذي قار، العدد3، المجلد 3، 2007، ص148 .
- 16 - جمال عسكر مضحي ، ياسين طه موسى ، الدعاية تعريفًا ومفهومًا واسلوباً (دراسة تحليلية عن الدعاية الاسرائيلية) خلال حربها الاخيرة على غزة ، بحث منشور في مجلة اداب الفراهيدي ، العدد 1 ، 2009 ، ص562.
- 17 - احمد عبد المجيد ، استمالة العاطفة ، فيالق الدعاية الامريكية التي مهدت لغزو العراق ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 2008 ، ص 84 .
- 18 - محمد علوش ، داعش واخواتها من القاعدة إلى الدولة الاسلامية ، بيروت ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، 2015 ، ص166 .
- 19 - كامل القيم ، حرب الرموز وتسويق مثيرات الإرهاب ، رؤية في تسويق الدعاية والحرب النفسية لتنظيم داعش ، بغداد ، مجلة حمورابي للدراسات ، العدد 10 ، 2014 ، ص94 .
- 20 - مسلم عباس هاشم ، المعالجة الاخبارية لموضوعات الارهاب في الفضائيات العراقية ، بغداد ، مركز العراق للدراسات ، 2016 ، ص133.
- 21 - اسماعيل محمود عبد الرحمن ، الإعلام والإرهاب والثقافة البديلة ، الاسكندرية ، مكتبة الوفاء القانونية ، 2014 ، ص81 .
- 22 - عبد الحميد بسيوني ، الديمقراطية الالكترونية ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 2008 ، ص39 ص43 .

منع التطرف بنشر الوعي الاعلامي

الباحث	الباحث	الاستاذ الدكتور
عبد الله سالم غائب	علاء حازم جار الله	يسرى وليد ابراهيم
جامعة الموصل/ كلية الادارة والاقتصاد	جامعة الموصل/ كلية الادارة والاقتصاد	جامعة الموصل/ كلية الحقوق
المقوم اللغوي		
الاستاذ المساعد الدكتور		
فنن نديم دحام		
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الانسانية		

(ملخص)

تعد وسائل الاعلام تحديا ثقافيا وتربويا لفئة الشباب, خاصة في العصر الالكتروني الرقمي من خلال منصات التواصل الاجتماعي المتنوعة التي لم تقتصر على التعارف وبناء الصداقات اذ اصبحت منصة لتبادل الاراء والمعلومات في المجالات كافة سواء كانت ثقافية او علمية او اجتماعية او فنية, اذ جمعت هذه المنصات العديد من الافراد من خلفيات دينية وثقافية مختلفة, هذه المميزات سهلت للتطرف الديني او الفكري للانتشار في ظل هذه المنصات التي استخدمت لغرض الحوارات والاختلاف والاجتهاد في امور تضليلية ونشر الفكر التعصبي وقدرتها على ترويج افكارها الهدامة وتجنييد الشباب في صفوفها. تهدف الدراسة الى بيان التوظيف الاعلامي لمنصات التواصل الاجتماعي لمنع الافكار الهدامة والمتطرفة عن طريق استخدام محو الامية الالكترونية لمواجهة الافكار المتطرفة الهدامة في المدارس, وتعزيز الوعي الاعلامي الخاص باستخدام الانترنت ومعرفة مصدر المعلومات, ومدى صحتها, وتمييز المفاهيم الخاطئة عن الصحيحة, وخطابات الكراهية العصبية, وتوفير الاندماج الاجتماعي للشباب التي تعد من الطرق العملية لدرء التطرف العنيف عن طريق محو الامية الاعلامية والاستفادة من البعد العالمي للانتفاع بالانترنت وشبكته المتنوعة.



Preventing extremism by spreading media awareness

(Abstract)

The media is a cultural and educational challenge for young people, especially in the digital electronic age through various social media platforms that were not limited to acquaintance and building friendships, but also became a platform for exchanging opinions and information in all fields, whether cultural, scientific, social or artistic, where these platforms were collected Many individuals from different religious and cultural backgrounds, these features facilitated religious or intellectual extremism to spread under these platforms that were used for the purpose of dialogues, disagreement, diligence in misleading matters and the dissemination of intolerant thought and its ability to promote its destructive ideas and recruit young people into its ranks. The study aims to demonstrate the media use of social media platforms to prevent destructive and extremist ideas about the use of cultural literacy in schools, and to enhance media awareness of the use of the Internet and knowledge of the source of information, and its validity, distinguishing misconceptions from the correct, and nervous hate speech, and providing social inclusion for young people that It is considered one of the practical ways to prevent violent extremism through media literacy and to take advantage of the global dimension of access to the Internet and its diverse network

المقدمة:

القرية الصغيرة هو المصطلح الذي يطلق على العالم اليوم، نتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة والتي ساهمت مخرجاتها في تطور الاتصالات وشبكة الانترنت، اذ وصلت الى ابعد نقطة في هذا العالم، واصبحت في متناول الجميع، مما زاد من اهميتها. ولا تقتصر مهمة شبكة الانترنت على تبادل المعلومات فحسب اذ اخذت منحى اخر يتعلق في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية. وظهرت منصات للتواصل الاجتماعي على هذه الشبكة مثل الفيسبوك و الواتس اب والتويتر، والتي تتيح لمستخدميها تبادل الصور ومقاطع الفيديو، كذلك ارسال الملفات واجراء المحادثات الفورية. اتسمت هذه المنصات بحرية التعبير لروادها في مختلف المجالات ومن ضمنها التوجهات السياسية، والاصلاح السياسي، اذ لها القدرة على تعبئة وصياغة الرأي العام ضد سياسات الدول، وتعزيز قيم المشاركة السياسية وصنع القرار السياسي عن طريق المدونين والصحفيين. كما استغلت هذه المنصات من قبل التنظيمات الارهابية لنشر افكارها والتجنيد والتمويل والدعاية والتدريب والتحريض على ارتكاب اعمال ارهابية والدفع باتجاه التطرف، ونظرا لضعف الوازع الديني والحصانة الثقافية والفكرية، ونقص الوعي لدى الشباب والمراهقين مكنت هذه التنظيمات الارهابية من تجنيدهم للانضمام الى صفوفها عبر هذه المنصات، اكثر بكثير من تلك التي تتم داخل السجون والمساجد. لذا نسعى في هذه الدراسة لجعل هذه المنصات اداة لمنع انحراف الشباب الى هذه الافكار المضللة.

1. مشكلة البحث

ان التطور الحاصل في وسائل الاتصالات، والانتشار السريع لشبكات الانترنت في جميع انحاء العالم، وازدياد المستخدمين لمنصات التواصل الاجتماعي بشكلها كافة لخص تكلفتها وسرعة وصولها جعل من المجاميع الارهابية اكثر المستخدمين لها لترويج افكارهم الهدامة واستقطاب اكبر عدد من الشباب الى منصاتهم عبر فيدوهات كأن تكون على شكل العاب الكترونية او افلام كرتونية قصيرة او من خلال مدونات، لذا تكمن مشكلة الدراسة بكيفية استخدام منصات التواصل الاجتماعي لنشر الوعي الديني، وتحسين صورة الاسلام والمسلمين بصورة حضارية، ودفع الشباب للتعرف على امور دينهم وديانهم، والتعرف على القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من منظور معتدل بعيدا عن التطرف عبر صفحات ثقافية رسمية ملتزمة بهذا الاطار.

2. هدف البحث

يهدف البحث الى:

1. توضيح مفهوم التطرف ونطاقه وابعاده, والفئات العمرية والمجتمعية الأكثر استعدادا لتقبل الافكار المتطرفة.
2. تحديد المقصود بمنصات التواصل الاجتماعي, وكيف يتم توظيفها من قبل المجاميع الارهابية لتحقيق اهدافهم غير المشروعة.
3. توضيح كيفية استخدام منصات التواصل الاجتماعي لنشر الفكر المعتدل بين مستخدمي هذه المنصات لمحاربة الافكار المتطرفة وضمان سلامة البنى الفكرية للشباب.
4. محاولة ايجاد الحلول والاقتراحات المناسبة الخاصة بموضوع البحث بصيغ علمية مناسبة للتطور الحاصل في مجال الاتصالات الحديثة.

3. اهمية البحث

1. العناية بالشباب كاساس لبناء المجتمعات المعتدلة الخالية من الافكار المتطرفة.
2. استخدام منصات التواصل باعتبارها افضل الوسائل التي تحارب الافكار المتطرفة بين هؤلاء الشباب. وذلك عبر نشر الوعي المجتمعي, وضرورة التركيز على بناء المجتمع المتوازن والمعتدل.

4. فرضية البحث

يرتكز البحث على فرضية مفادها ان مواقع التواصل الاجتماعي متاحة للجميع ويمكن استخدامها بسهولة لترويج مختلف المواضيع سواء كانت اجتماعية, سياسية, ثقافية, علمية واقتصادية, لذا من المهم التصدي للافكار المتطرفة عبر هذه المواقع عن طريق نشر برامج توعوية لنشر الافكار المعتدلة.

5. منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي, والذي يصف انتشار الافكار التطرفية بمواقع التواصل الاجتماعي, والاعتماد على بيانات دراسات سابقة, وتقارير الانترنتبول وتقارير مركز الامم المتحدة لمكافحة الارهاب.

6. هيكلية البحث

اتخذ البحث الشكل الآتي:

المبحث الأول: مفهوم التطرف.

المبحث الثاني: مفهوم منصات التواصل الاجتماعي.

المبحث الثالث: دور منصات التواصل الاجتماعي في الترويج للأفكار المتطرفة.

المبحث الأول

مفهوم التطرف

من المفاهيم التي يصعب علينا تحديدها بدقة (التطرف)، لارتباطه بالتغيرات التي تصيب المجتمع على اختلاف أشكالها كان تكون ثقافية أو دينية وتصل إلى حد التغيرات السياسية التي يمر بها المجتمع. والتطرف نقيضه الاعتدال الذي يكون بمستويات مختلفة، من زمان إلى آخر ومن تغيير حالة إلى حالة أخرى، لذا لكي نتمكن من معرفة مفهوم التطرف يجب علينا توزيع هذا المبحث إلى المطلوبين الآتيين:

المطلب الأول

تعريف التطرف

لتعريف التطرف ينبغي لنا الرجوع إلى اللغة أولاً، ومن خلال بحثنا لم نجد هذه الكلمة في بعض المعاجم العربية القاموس المحيط والصاحح، وتمكننا من إيجادها معاجم أخرى، وتم التطرق إلى تعريف التطرف اصطلاحاً ومن وجهة علم الاجتماع وعلم النفس وكما يأتي:

أولاً: التعريف اللغوي.

تَطَرَّفَ تَطَرُّفاً. (ط ر ف) 1. جاوز حد الاعتدال: ((تَطَرَّفَ آرائه، تطرف في أعماله)) 2. أتى الطرف 3. ت الشمس: مالت للغروب. 4. الشيء: صارت طرفاً. 5. الشيء: أخذ من أطرافه. 6. الشيء: عده طريفاً. 7. الشيء: اختاره. (1)

تطرف: أتى الطرف ويُقال تطرفت الشمس دنت للغروب ومنه تنحى وفي كذا جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط والشيء أخذ من أطرافه وعده طريفاً واستفاده حديثاً. (2)

تَطَرَّفَ

(ط ر ف). (ف: خمأ. لازم. م. بحرف). تَطَرَّفْتُ، أَتَطَرَّفُ، مص. تَطَرَّفَ رَأْيَ خِصَاماً فِي الشَّارِعِ فَتَطَرَّفَ جَانِباً: ابْتَعَدَ إِلَى الطَّرَفِ، الْجَانِبِ الْآخَرَ تَطَرَّفَتِ الْمَاشِيَةُ جَوَانِبَ الْمَرْعَى: صَارَتْ بِأَطْرَافِهِ تَطَرَّفَتِ الشَّمْسُ: دَنَتْ إِلَى الْغُرُوبِ تَطَرَّفَ الْحَدِيثُ: عَدَّهُ طَرِيفاً يَتَطَرَّفُ فِي أَفْكَارِهِ: يَتَجَاوَزُ حَدَّ الْإِعْتِدَالِ وَالْحُدُودِ الْمَعْقُولَةِ، يُبَالِغُ فِيهَا.

تَطَرَّفَ

(ط ر ف). (مص. تَطَرَّفَ) التَّطَرُّفُ إِلَى الشِّمَالِ: الْإِبْتِعَادُ تَطَرَّفَ الشَّمْسُ: دُنُوها إِلَى الْغُرُوبِ مَا هَذَا التَّطَرُّفُ فِي الْمَوَاقِفِ: الْمُبَالَغَةُ وَالْإِفْرَاطُ وَتَجَاوَزُ حَدَّ الْإِعْتِدَالِ. "تَطَرَّفَ تَطَرُّفاً لَا حَدَّ لَهُ عِنْدَمَا كَانَ يُدَافِعُ عَنْ آرائِهِ. (3)

ثانياً: التعريف اصطلاحاً:

سنحاول في هذه النقطة تحديد تعريف التطرف من وجهات مختلفة من خلال الاتي:
التطرف (الشطط في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر، والغلو في التعصب لذلك الفهم، وتحويله إلى حاكم لسلوك الفرد أو الجماعة التي تنصف به، والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنها العنف والإكراه). (4)

(1) ينظر: الرائد معجم لغوي عصري، مسعود (جبران)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1967م، ص 219-218.

(2) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة 1972م، ص 282.

(3) ينظر: معجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم، 2013، دار الكتب العلمية، ص 302.

(4) التطرف خبز عالمي، راشد المبارك، ط1 (دمشق، دار العلم، 2006)، ص 21.

والتطرف (الافراط والغلو والتشدد والتزمت, سواء في الفكر او السلوك او كليهما, ومن ثم فالتطرف هو مجاوزة حد الاعتدال مع الافراط, بمعنى تجاوز الاطر الفكرية او المعايير السلوكية في المجتمع). (5)

التطرف (اسلوب مغلق في التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل اي معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص او الجماعة او التسامح معها, ويتسم هذا الاسلوب بنظرة الى المعتقد تقوم على ان المعتقد صادق صدقا مطلقا وابديا, يصلح لكل زمان ومكان, لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن ادلة تؤكده او تنفيه, على ادانة كل اختلاف عن المعتقد, وفرض المعتقد على الآخرين بالقوة والرجوع الى المعتقد عند تفسير اي قضية في الكون, ومواجهة الاختلاف في الراي او التفسير بالعنف). (6)

1. تعريف التطرف في علم الاجتماع:

التطرف (حالة من التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه بوجود الآخرين, وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق ولا مقاصد الشرع, ولا ظروف العصر, ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين وموازنة ما عنده بما عندهم والاخذ بما بعد ذلك يراه انصح برهانا وارجح بيانا). (7)

والتطرف (ليس مجرد مجاوزة حد الاعتدال او الخروج عن المألوف, وانه مرتبط بالجمود العقلي, والانغلاق الفكري, وهذا هو في الواقع جوهره الاتجاه العام الذي تتمحور حوله كل الجماعات المسماة المتطرفة اذ ان التطرف بهذا المعنى هو اسلوب مغلق للتفكير الذي يتسم بعدم القدرة على تقبل اي معتقدات او اراء تختلف عن معتقدات الشخص او الجماعة). (8)

2. تعريف التطرف في علم النفس:

التطرف (دراسة السلوك المتطرف الغير طبيعي والغير مقبول من الناس والذي يظهر على الشخص تجاه الآخرين في صورة عقلية او انفعالية او سلوكية من خلال فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه). (9)

(5) امينة حمزة الجندي, " التطرف بين الشباب, دراسة ميدانية على عينة من القيادات الطلابية بالجامعة ", رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الاداب, جامعة الاسكندرية, 1987.

(6) سمير أحمد نعيم, محندات التطرف الديني في مصر, مجلة المستقبل العربي عدد 131/ 1990.

(7) علي ليلة (1990): الشباب في مجتمع متغير, تأملات في ظواهر الأحياء والعنف, القاهرة, مكتبة الحرية الحديثة, ص 111.

(8) ليلي عبد الستار (1992): تنمية التفكير السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف, دراسة تحليلية, مجلة دراسات تربوية, المجلد السابع, الجزء 43, رابطة التربية الحديثة, ص 191 - 192.

(9) محمد محبوب حبيب, علم نفس التطرف وسيكولوجية التطرف الالكتروني وكيفية التعامل الامثل معه, ط1, الموسوعة النفسية في القضايا الاجتماعية 2021, ص 23, الحديثة,

ص 191 - 192.

ان التطرف هو (اتخاذ الفرد موقفا يتسم بالتشدد والخروج عن الحد العام، والبعد عن المألوف، وتجاوز المعايير الفكرية والسلوكية والقيم الاخلاقية التي حددها وارتضاها افراد المجتمع، وقد يكون التطرف ايجابيا في الاتجاه بمعنى الموافقة التامة، او سلبيا في الاتجاه بمعنى الرفض التام، اما حد الاعتدال فيقع في وسط المسافة بين الموافقة التامة والرفض التام). (10)

المطلب الثاني

اسباب التطرف والفئات العمرية المستهدفة

لا يقتصر التطرف على فئة او مذهب او دين او بلد معين، اذ اصبح التطرف ظاهرة عامة تظهر في مختلف المجتمعات، تتحكم فيها اسباب عدة، كأن تكون اقتصادية او اجتماعية او اقتصادية او سياسية او ثقافية. ومن الاسباب الرئيسة للتطرف هي:

1. الازمات السياسية وهي من ابرز الاسباب التي تدعم تفشي التطرف.

ان الفراغ السياسي الكبير الذي يعانيه الشباب، وان التنظيمات السياسية والشعبية تكاد تكون حركتها شبه غائبة في اسقطاب الشباب، وضعف فاعلية وتأثير الاحزاب السياسية على الساحة الشبابية نتيجة عدم القدرة على الجذب والاستقطاب او اهتمام بعض القيادات السياسية بالانشغال والتفكير في الامور الشخصية والتطلعات القومية، والاكتفاء بعقد المؤتمرات ورفع الشعارات والشجب والتصفيق وكتابة التقارير لرصد الظاهرة دون المشاركة الايجابية. (11)

وينضح أن المجتمع لا يتيح الفرصة الكافية والسهولة للشباب، لكي يشاركوا في معترك الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والاشراف العلمي والمهني للمختصين، كذلك فالمجتمع لا يعطي الفرصة للشباب للتعبير عن رأيهم والإسهام في صنع القرارات التي تخصهم كشباب. (12)

ان غياب الدافعية الوطنية والانتماء عند الشباب، وانتشار ما يسمى بالفراغ الفكري وعدم تفعيل الاحزاب السياسية وعدم مشاركة الشباب سياسيا ادى الى ظهور الافكار المتطرفة المختلفة. (13)

(10) الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجة للامن النفسي لدى عينه من العاملين وغير العاملين- هشام ابراهيم، مجلة الارشاد النفسي، العدد الخامس، ص 29.

(11) احمد حسائين (1992): دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب، مجلة كلية التربية، جامعة اسيوط، العدد الثامن، المجلد الاول، ص 337.

(12) عبد الرحمن محمد العسوي، سيكولوجية الراهبي، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان، دت، ص 282.

(13) محمد احمد البيومي (2004): ظاهرة التطرف الاسباب والعلاج، القاهرة: دار المعرفة الاجتماعية، ص 146.

2. الازمات الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها البلد تساهم في نشوء التطرف.

تتمثل الاسباب الاقتصادية والاجتماعية للتطرف في ازمة التنمية والتي من ابرز مؤشرات التضخم، وتدني مستوى معيشة قطاعات واسعة من المواطنين وعدم التناسب بين الزيادة في الدخل وارتفاع الاسعار.⁽¹⁴⁾

لقد مر المجتمع العراقي بالعديد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، اثرت في اتجاه وسلوك الافراد ومن ابرز مؤشرات البطالة وتدني المستوى الاقتصادي وعدم توفر فرص العمل المناسبة للخريجين، وزيادة حجم العائلة وتوسعها، مقابل ذلك انخفاض مستوى الخدمات المقدمة للأسرة، مما ولد كره للمجتمع والوطن وانعكس ذلك على الشعور بالهوية الوطنية والانتماء، وهذا يؤدي الى الانخراط الى الجماعات المتطرفة والايمان بافكارهم.⁽¹⁵⁾

3. الاسباب الفكرية والثقافية لها دور كبير في انتشار التطرف.

الأفكار والقيم التي تبثها الجماعات الارهابية في عقول الشباب تتلخص في كلمة واحدة هي سيكولوجية الكراهية ازاء كل مظاهر الحياة الحديثة والمعاصرة ورموزها، و طاقة التدمير والاغتيال ضد المجتمع ومؤسساته، وثقافة الكراهية والمنظار الاسود الذي يرى بها هؤلاء الشباب صغار السن كل مظاهر حياتنا، يكشف لنا عن اخطاء متعددة وقعت فيها مؤسساتنا التعليمية والثقافية والسياسية والاجتماعية.⁽¹⁶⁾

نتيجة لهذه الانعكاسات الاقتصادية والسياسية اثرت بشكل مباشر على فكر وسلوك الفرد، وطبيعة واتجاه المجتمع معا، مما ساهم في شيوع ظاهرة التطرف في ضوء غياب دور الاسرة، وتضائل دور المدرسة، وثورة المعلومات، وسرعة الاتصالات.⁽¹⁷⁾

4. الاسباب الدينية

ويتمثل في القيام بفرض تعاليم دينية بالاكراه على افراد المجتمع، سواء من نفس دينه او دين مغاير، والنفور من اهانة من يعتقدون دينا اخر، والتشفي والتلذذ في انهيارهم وظلمهم، وعدم الموافقة على اقامة علاقات او تعاملات مع افراد الدين الاخر.⁽¹⁸⁾

(14) ايمان جابر شومان (1987): الحركة الاجتماعية والسياسية مع الاشارة الى الحركة المالية في العصر الحديث، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا.

(15) منتهى مطشر، اقبال مطشر، "التطرف لدى طلبة الجامعة وعلاقته في انماط الشخصية"، المؤتمر التربوي الثاني لكليات التربية في اقليم كردستان، المجلد التكميلي 23، رقم العدد 3، 2019، ص 440.

(16) ابراهيم نافع (1994): كابوس الارهاب وسقوط الاقنعة، القاهرة: دار الاهرام للترجمة والنشر، ص 79.

(17) احمد حسنين (1992): مصدر سابق، ص 352.

(18) محمد محبوب حبيب، مصدر سابق ص 46

5. المناهج التعليمية والعوامل المساهمة في تعزيز التطرف

ترتكز المناهج الدراسية الوطنية القائمة وسياسات التعليم المدرسي غالباً على الهوية التاريخية لبلد ما، أو الهوية الدينية أو اللغوية أو القومية العرقية التي سعت الدول إلى صياغتها. سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد وفي العديد من البلدان لم تتطور المناهج التعليمية لتتوافق مع الظروف الاجتماعية المتغيرة والطبيعة المتنوعة بشكل متزايد للسكان الذين تهدف إلى خدمتهم. ونتيجة لذلك فإن استبعاد الأقليات أو قطاعات المجتمع الأخرى وتهميشها أمر سائد. (19)

والتطرف يستهدف فئة الشباب إذ تستفيد الجماعات المتطرفة العنيفة من التقدم التكنولوجي لإيجاد طرائق جديدة للتعامل مع الشباب الساخطين، مستفيدة من مواقع التواصل الاجتماعي وقنوات الفيديو على الانترنت وغرف الدردشة المتشددة. (20)

وقد ينجذب الشباب على وجه الخصوص إلى الحركات المتشددة والعنيفة من خلال أساليب تلاعب مقصودة وعمليات تقارب اجتماعي مختلفة، وهي غالباً ما تيسرها عوامل شخصية أو عاطفية أو نفسية، مثل الاغتراب والريبة والبحث عن الهوية والاحترام والرغبة في الانتقام عن اساءة سابقة، وهذا يتجلى غالباً عبر المجتمعات الافتراضية والمنصات الرقمية التي تستهدف الشباب. (21)

المبحث الثاني

مفهوم منصات التواصل الاجتماعي

خلال حقبة زمنية مضت، زاد الاقبال على وسائل التواصل الاجتماعي لزيادة أهميتها في التواصل مع بعضنا البعض، إذ ظهرت منصات رقمية جديدة لها اقبال واسع من قبل مستخدمي الانترنت مثل الفيس بوك والتويتر و اليوتيوب، كما ان طريقة البحث عن المعلومات تغيرت على نحو جذري من خلال مستخدميها. وافسحت المعلومات من مصادرها الرسمية عبر قنوات اتصال من اتجاه واحد المجال لمستخدميها من الافراد او الجماعات بان يصبحوا منتجين نشيطين لهذه المعلومات بقدر ما هم متلقين سلبيين لها، في هذا المبحث سوف نتعرف على مفهوم منصات التواصل الاجتماعي وانواعها.

(19) سانام اندرليني، "التعليم والهوية ومنع التطرف"، وصلة، 2017 (تاريخ الدخول: 9/12/2021)

<https://icanpeacework.org/wp-content/uploads/2018/06/PVE-and-Education-Arabic.pdf>

response s'EU the strengthening: extremism violent and terrorism to radicalisation Preventing, "Commission European 1 0941/2013/COM document

diversity for respect and tolerance, development inclusive promoting through extremism violent Preventing, "UNDP "

المطلب الاول

تعريف منصات التواصل الاجتماعي

تبنى منصات التواصل الاجتماعي على قواعد عملاقة لتؤمن التواصل بين مختلف المستخدمين، وتتيح تبادل الملفات وإجراء المحادثات الفورية فضلا عن العديد من الخدمات الأخرى، وهناك حوالي 200 موقع عالمي يصنف ضمن منصات التواصل الاجتماعي. (22)

لوسائل التواصل الاجتماعي تعريفات عديدة، إلا أن جميع وسائل التواصل الاجتماعي في مفهومها الأساسي، هي منصات على الإنترنت أو الهاتف المحمول تتيح التفاعل ثنائي الاتجاه عبر محتويات ينتجها المستخدمون أنفسهم، فضلا عن التواصل بين المستخدمين. ومن ثم فوسائل التواصل الاجتماعي ليست كوسائل الإعلام التي لا تخرج إلا من مصدر واحد أو من موقع شبكي ثابت، وإنما هي وسائل للتواصل عبر منصات صممت خصيصا لتتيح للمستخدمين إيجاد المحتويات بأنفسهم والتفاعل مع المعلومات ومع مصدرها. (23)

كما تعرف بأنها "مجموعة من المواقع الإلكترونية التي تتيح للمستخدمين إنشاء مواقع خاصة بهم، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الميول والهوايات نفسها أو جمعه مع أصدقاء الجامعة أو الثانوية". (24)

منصات التواصل الاجتماعي: هي خدمات تعتمد على الإنترنت وتسمح للأفراد ببناء ملف شخصي عام أو شبه عام ضمن إطار محدد، وتظهر لائحة المستخدمين الذين يتشاركون مع بعضهم البعض، وعرض قائمة الاتصال وما قام به الآخرون داخل نفس النظام. (25)

ويمكن تعريفها أيضا بأنها خدمات تؤسسها وتبرمجها شركات كبرى لجمع المستخدمين والأصدقاء ومشاركة الأنشطة والاهتمامات لدى الأشخاص الآخرين ومعظم الشبكات الموجودة حاليا هي عبارة عن مواقع "ويب" تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين مثل المحادثة الفورية، والرسائل الخاصة، البريد الإلكتروني، الفيديو، التدوين ومشاركة الملفات وغيرها. ومن الواضح أن تلك الشبكات الاجتماعية تجمع الملايين وتبادل المعلومات. (26)

(22) فتحي حسين عامر: وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيسبوك، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص203.
(23) Social Media: A Practical Guide for Electoral Management Bodies International IDEA 2014, pa 11

(24) راضيو زاهر (2003) : استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي. مجلة التربية. عدد 15 ، جامعة عمان الأهلية. عمان. ص2.

(25) وائل مبارك خضر فضل الله : أثر الفيسبوك على المجتمع ، ط1، مدونة شمس النهضة ، الخرطوم، 2010، ص 6.

(26) دهمي زينب : موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد26، جوان، 2012، ص254.

كذلك يمكن ان نعرف منصات التواصل الاجتماعي: هي مواقع تمكن مستخدميها من نشر اي محتوى سواء كان نصي او صوتي او مرئي او بيانات, لكي يستفيد منها كل شخص يرغب في ذلك, وبكل سهولة.⁽²⁷⁾

المطلب الثاني

اهمية منصات التواصل الاجتماعي وانواعها
الكلام عن اهمية منصات التواصل الاجتماعي وانواعها يوجب علينا ان نقسم هذا المطلب على الفرعين الاتيين:

الفرع الاول

انواع منصات التواصل الاجتماعي

1. موقع الفيس بوك face book.com

يعد موقع الفيس بوك واحدا من اهم مواقع التشبيك الاجتماعي, وهو لا يمثل منتدى اجتماعي فقط, وانما اصبح قاعدة تكنولوجية سهلة بامكان اي شخص ان يفعل بواسطتها ما يشاء.⁽²⁸⁾ ويتكون الموقع من مجموعة من الشبكات تتالف من اعضاء, وتصنف المجموعات على اساس الاقليم ومكان العمل والجامعة والمدرسة, وبامكان المشترك الجديد ان يختار احد تلك التصنيفات, ثم يبدأ بالتصفح واختيار مجموعة للاشتراك فيها.⁽²⁹⁾

2. موقع: تويتر twitter.com

موقع تويتر هو شبكة اجتماعية يستخدمها ملايين الناس في جميع انحاء العالم للبقاء على الاتصال مع اصدقائهم واقاربهم وزملاء العمل, عبر اجهزة الحاسب الالي الخاصة بهم, والهواتف النقالة, وتسمح واجهة تويتر بنشر رسائل قصيرة تصل الى 140 حرفا, ويمكن القراءة من قبل مستخدم الموقع, ويمكن للمستخدم ان يعلن متابعته لاحد الشخصيات, وفي هذه الحالة يبلغ هذا الشخص في حال ما اذا هذه الشخصيات قد وضعت مشاركة جديدة.⁽³⁰⁾

⁽²⁷⁾ vapAdmin, ماهي منصات التواصل الاجتماعي, vapulus, 2019 (تاريخ الدخول: 10/12/2021), <https://www.vapulus.com/ar>

⁽²⁸⁾ صادق, عباس مصطفى, 2008: العام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات, مكتبة الشروق, القاهرة ص21.

⁽²⁹⁾ الدليمي, عبد الرزاق محمد, 2011: العام الجديد والصحافة الإلكترونية, دار وائل للنشر, الأردن ص1.

⁽³⁰⁾ Bernardo A. Huberman and al (2008): Social networks that matter: Twitter under the microscope, Social Computing Lab, Cornell University, http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1313405

3. موقع اليوتيوب You tube

هو موقع الكتروني متخصص بمشاركة الفيديوهات وتخزينها وانشاء صفحات متخصصة داخل الموقع لكل راغب في ذلك.⁽³¹⁾

الفرع الثاني اهمية منصات التواصل الاجتماعي

لمواقع التواصل ومنصات نشر المحتوى بأنواعه، اهمية مختلفة لمستخدميها.

1. تقوم مواقع التواصل بتسهيل التواصل بين الافراد والمجتمعات، اذ أن بواسطتها يستطيع المستخدم معرفة معلومات عن كافة الشخصيات كافة وحتى البعيدة عنه من خلال تلك المواقع.

2. الاستفادة من تجارب الآخرين، اذ أنه عبر منصات التواصل الاجتماعي قد يدون مستخدم تجربة له في اي مكان ما، ليستفيد منها بشكل غير مباشر مستخدم آخر وبذلك تكون الاستفادة من تجارب الآخرين متبادلة.

3. تبادل الخبرات وتنمية المهارات، اذ أن مواقع التواصل جعلت العالم قرية صغيرة، يمكن من خلالها التعرف على مهارات لشخصيات مختلفة وعن عادات وتقاليد الدولة التي نعيش فيها، ويمكن ان نتبادل الخبرات فيما بيننا ايضا.⁽³²⁾

4. سهلت عملية نقل المعلومات بالبريد الالكتروني واستقبالها عبر برنامج نقل او نسخ الملفات.

5. تعمل على تهيئة خدمة وضع المحاضرات الجامعية من خلال تحديد احد المواقع التعليمية في الشبكة. والتي تمنح للطلاب الفرصة للاستفادة من تلك الخدمات بمراجعة المادة الدراسية، والاجابة على الاستفسارات التي طرحها استاذ المقرر وهي توطد العلاقة بين الطالب واستاذ المادة عن طريق المراسلة بالبريد الالكتروني.

6. لها دور فاعل في جهود الاغاثة الدولية لضحايا الزلازل، وذلك من خلال نشر رسائل الاستغاثة والدعوة الى التبرع.

7. تساعد متصفحها على انشاء صداقات جديدة وتكوين علاقات في مجالات عديدة، بتبادل الاخبار والمعلومات وتطور الاحداث الطبيعية والسياسية والاجتماعية، وان هذه المواقع هي نتاج للثورة التكنولوجية، وضعت اساسا لخدمة مستخدميها، ولا يمكن ان تفقد جماعة او افرادا الى عوالم اخرى

(31) بارش اشرف الدين، استخدام الطلبة الجزائريون لليوتيوب والاشباعات المتحققة منه، (رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي _ ام البواقي_2016)، ص 64.

(32) vapAdmin، مرجع سابق، (تاريخ الدخول: 11/12/2021).

من دون رغبتهم او ارادتهم، فتأثر سلبي في الواقع الاجتماعي لهؤلاء الناس، فهي كاي اداة صالحة للاستخدام يقرر مستخدمها الفعل الذي سوف تؤديه، فاما ان يكون فعلا حسنا يستفيد منه الفاعل ومن حوله، او فعلا سيئا يضر بالفاعل وبمن حوله، وهذا ينطبق بالفعل على شبكة التواصل الاجتماعي، وسر انتشارها يمكن في حيوية وفعالية مستخدميها والهدف من استخدامها. (33)

المبحث الثالث

منصات التواصل الاجتماعي تساعد في ترويج الافكار المتطرفة

المواقع الالكترونية للفكر المتطرف وغير المتطرف المكان المناسب والقناة المثلى للنشر والتواصل مع مستخدمي الشبكات العنكبوتية من دون قيود رقابية او مادية، اذ لا تكلف انشاء موقع او بناء منتدى حوارى الامبالغ زهيدة.

والشبكة العنكبوتية ولا شك هي الناقل الاول لبيانات و وثائق اصحاب الفكر المتطرف لسرعة انتشار مايطرح من خلالها من جهة، ومن جهة ثانية استغلال هؤلاء لخدمات الشبكة الفنية التي تمكنهم من التخفي عن عيون رجال الامن، بل لقد باتت الشبكة وسيطا مغريا لهذه المجموعات المتطرفة لنقل بياناتها وخططها وتهديداتها الى وسائل الاعلام التقليدية.

بل ان هذه المجموعات نجحت في وضع مواقع خاصة بما يضمن مواقع الاستضافة المجانية العالمية، وقدرتها على الانتقال اذا اكتشفت من مضيف الى اخر وكيف تروج لنفسها ومواقعها الجديدة عبر المنتديات الشهيرة التي لا تخلو من متعاطفين مع اطروحاتها، او مؤيدين لرموز هذه الجماعات. (34)

وسوف نتطرق في هذا المبحث على فرضية ان وسائل التواصل سلاح ذو حدين، اذ يمكن استخدامها في نشر الافكار والقيم والتعاليم الدينية بصورة صحيحة، او الاستخدام السيء لها من قبل الجماعات المتطرفة لنشر الافكار والخطابات التي تحرض على العنف واثارة الكراهية من خلال المطلبين الاتيين:

(33) اسامة غازي المندي، " دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الراي العام لدى طلبة الجامعات السعودية "، مجلة كلية الاداب والعلوم الاجتماعية، (جامعة السلطان قابوس كلية الاداب والعلوم الاجتماعية، سلطنة عمان، المجلد 3، العدد 2، 31 / اب / 2016)، ص 401-400.

(34) عسيري، علي بن عبد الله، الاثار الامنية لاستخدام الشباب للانترنت، (السعودية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، 31/7/2004)، ص 50.

المطلب الاول

قوة وسائل التواصل الاجتماعي لنشر التطرف بين الشباب

يتم جذب الشباب من قبل المجاميع المتطرفة باستخدام استراتيجية جذابة، والتي بواسطتها تستطيع الحصول على تعاطفهم، وتستهدف هذه المجاميع فئة الشباب في مختلف مستوياتهم العلمية والدراسية عن طريق استخدام منصات التواصل الاجتماعي، ويتم استدراجهم وتجنيدهم ضمن تلك المجموعات الارهابية.

وسنتعرف في هذا المطلب على كيفية استخدام هذه المجاميع لوسائل التواصل الاجتماعي لتجنيد الشباب وانضمامهم لها.

يتم نشر المعلومات والافكار بين انصار تنظيم الجماعات الارهابية المتطرفة الحاليين والمحتملين، ومواجهة الدعاية السلبية للعدو، وذلك بنشر اخبار المعارك وخلق صورة جذابة لشكل الحياة اليومية، فضلا عن نشر الافكار التي تستخدم في الدعاية، كتعظيم الرغبة بالشهادة والاحتفاء بها باعتبارها طريقا للجنة.

ويتم استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في التجنيد، سواء عن طريق وسطاء، او عن طريق ارسال الشخص بنفسه رسائل الى حسابات خاصة بالجماعات الارهابية عبر حسابات الفيس بوك والتويتر، او يتم التواصل مع الشخص الكترونيا عبر قريب او صديق من داخل تلك الجماعات يدعوه الى الانضمام اليهم، ويوفر له التعليمات المطلوبة.

تقوم الجماعات الارهابية بتكوين خلية التجنيد والتي مهمتها اغراء المستهدفين، اذ يعتمد عناصر الخلية على شفرة معينة في حديثهم، وكل كلمة لها مدلول مختلف لاختيار المجندين الشباب الجدد في التنظيمات المسلحة، بعيدا عن الخطوات التقليدية القديمة التي كانت تعتمد على المساجد، ويتم جذب الهدف بعد معرفة حالته النفسية.⁽³⁵⁾

(35) نورا بنداري عبد الحميد فايد، " دور وسائل التواصل الاجتماعي في تجنيد اعضاء التنظيمات الارهابية "، نقلا عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، بيرلين، ألمانيا، على الرابط <https://democraticac.de/?p=34268> (تاريخ الدخول 13/12/2021)

المطلب الثاني

محاربة الأفكار المتطرفة عبر منصات التواصل الاجتماعي

من طرق مواجهة التطرف التركيز على الجانب الإعلامي بمختلف جوانبه، فإذا كانت الجماعات المنحرفة تستخدم الإعلام الجديد لنشر باطلها فلا بد علينا من مواجهة هذه الجماعات بنفس سلاحها، وتكون هذه الحملات الإعلامية بإشراف حكومي مباشر، فتُطبع الكتب، وتُنشر المقاطع، وتكتب المقالات والتغريدات لمحاربة الغلو والتطرف، وبهذا سيعرف الناس الوجه القبيح والمظلم لتيارات الغلو وجماعات العنف وسفك الدماء. وكذلك نستخدم هذه الوسائل لظهور محاسن الدولة، والمشاريع الخيرية الكبيرة التي تقوم بها الدولة، فلو قام متطرف وتكلم على الدولة لعرف الناس كلهم أنه كاذب، فهم يعرفون جهود ولاية الأمر في نشر الخير، وإذا كانت هذه التنظيمات تنشط في حلقات تحفيظ القرآن الكريم والمساجد في بعض الدول، فلا بد أيضاً من مواجهة هذا الفكر بعمل حكومي منظم في مجال تحفيظ القرآن الكريم وحلقات المساجد، توجيه الناشئة بأسلوب يناسب ثقافتهم بضرورة الحذر من هذه الأفكار، وإذا عرف الناس العلماء رجعوا إليهم ولم يرجعوا للمجاهيل في تويتر وفيس بوك ومواقع التواصل الأخرى، فربط الناس بالعلماء الثقاة ضروري جداً لمحاربة التطرف، وعلى العلماء واجب محتم في تنفيذ شبه الغلاة، وبيان طريقة الدعوة إلى الله، وأن الأسلوب الأمثل في الدعوة يقوم على الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة لا التطرف والغلو.

اذن طرق مواجهة التطرف من خلال منصات التواصل الاجتماعي هي الآتي:

1. استخدام برامج الذكاء الصناعي، بهدف رصد وإزالة المحتويات والصفحات المخالفة، وباستخدام تلك البرامج يمكن تحديد وحظر عدد ضخم من الأشخاص والجماعات باستخدام طرق حديثة للتعرف عليهم.

2. تحديث البنود الخاصة بالمنظمات والأشخاص الخطرة، بهدف ضمان سلامة المستخدمين، والحيلولة دون التخطيط لأي جرائم مستقبلية عبر صفحاتها.

3. الاستعانة بذوي الخبرات في مجالات: التجسس، ومكافحة الإرهاب، وحرب المعلومات.

4. التعاون مع كبرى الشركات التكنولوجية لوضع إطار محدد لمواجهة إساءة استخدام الإنترنت والمحتوى المتطرف.

5. تطبيق سياسة "الفرصة الوحيدة" لاستخدام ميزة البث المباشر.

وبموجبها، يُمنع من البث المباشر كل مستخدم سبق له أن واجه إجراءات تأديبية بسبب خرق قواعد الشركة لفترات زمنية محددة.⁽³⁶⁾

(36) رغبة البهي، "مكافحة المحتوى المتطرف على وسائل التواصل الاجتماعي: الآليات والفعالية"، العين الاخبارية، 13/10/2019، (تاريخ الدخول: 15/12/2021).

<https://al-ain.com/article/facebook-terrorism>

الخاتمة

أولاً: الاستنتاجات

1. منصات التواصل الاجتماعي هي شبكات تفاعلية استطاعت بمدة زمنية قصيرة ان تؤثر على اكبر عدد من المستخدمين والاتصال فيما بينهم في مختلف مناطق العالم دون قيد او شرط لذلك اصبحت اداة لاستخدامها من قبل المجاميع المتطرفة.
2. تستقطب منصات التواصل الاجتماعي فئات عمرية مختلفة, واكثر المستخدمين لها من فئة المراهقين والشباب.
3. تتميز هذه المنصات بسهولة استخدامها والوصول اليها وتحميل البيانات منها واليها.
4. استغلت المجاميع المتطرفة وسائل التواصل الاجتماعية للدعاية لها عن طريق نشر اشربة الفيديو وعلى الاغلب في منصة التويتر للترويج لافكارها المتطرفة وتحركاتها, وذلك للحصول على الدعم المعنوي والمادي لها.
5. اهداف المجاميع المتطرفة لاستخدام منصات التواصل الاجتماعي كثيرة, الا ان الهدف الرئيس لها جميعا هو تجنيد الشباب للانخراط في صفوفهم لاستخدامهم كقوة عسكرية لها.

ثانياً: التوصيات:

1. استخدام منصات التواصل الاجتماعي لزرع قيم المواطنة بين الافراد, وكذلك نشر التعاليم الدينية الصحيحة بعيدا عن العنف والتطرف.
2. انتاج فيديوهات تعليمية عن استخدام منصات التواصل الاجتماعي بصورة صحيحة, وتعميق الفهم الصحيح عن الاثار الناجمة من الاستخدام السيء لهذه المنصات.
3. حظر المواقع الالكترونية التي تحرض على العنف والفساد, والمواقع التي تتبنى الفكر المتطرفي.
4. القضاء على البطالة, وتحصين الشباب من التطرف عن طريق الاندماج الاجتماعي, ونبذ التهميش, واستخدام ثقافة الحوار والتسامح.
5. نشر الوعي الفكري والتكنولوجي بين الشباب حول الاستخدام الامثل للانترنت ومنصات التواصل الاجتماعي, واستخدامها لاغراض الدراسة والبحث العلمي.

6. الاستعانة بالكوادر الفنية التي لها القدرة على نشر رسائل اعلامية لتعريف مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي لتجنب المواقع التي تعمل على نشر الافكار المتطرفة والمحرضة على العنف.
7. توجيه الاسرة على متابعة اولادهم ومراقبة المواقع التي يرتادوها خوفا من ان يقعوا فريسة للمجاميع المتطرفة.
8. ايجاد طرق لنشر الحصانة الفكرية بين فئات المجتمع ضد التطرف.
9. على مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي, الانتباه من الحسابات التي تنشر الافكار المتطرفة, ومراقبتها وحجبها من هذه المنصات.

المصادر:

اولا: المصادر العربية:

1. ابراهيم نافع (1994): كابوس الارهاب وسقوط الاقنعة, القاهرة, دار الاهرام للترجمة والنشر.
2. الاتجاه نحو التطرف وعلاقته بالحاجة للامن النفسي لدى عينه من العاملين وغير العاملين- هشام ابراهيم, مجلة الارشاد النفسي, العدد الخامس.
3. احمد حسنين (1992): دور التربية في علاج مشكلة التطرف بين الشباب, مجلة كلية التربية, جامعة اسيوط, العدد الثامن, المجلد الاول.
4. اسامة غازي المدني, ” دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الراي العام لدى طلبة الجامعات السعودية ” , مجلة كلية الاداب والعلوم الاجتماعية, (جامعة السلطان قابوس كلية الاداب والعلوم الاجتماعية, سلطنة عمان, المجلد 3, العدد 2, 31/ اب/ 2016).
5. امينة حمزة الجندي, ” التطرف بين الشباب, دراسة ميدانية على عينة من القيادات الطلابية بالجامعة ” , رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الاداب, جامعة الاسكندرية, 1987.
6. ايمان جابر شومان (1987): الحركة الاجتماعية والسياسية مع الاشارة الى الحركة المالية في العصر الحديث, رسالة ماجستير, كلية التربية, جامعة طنطا.

7. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة 1972م.
8. بارش اشرف الدين، استخدام الطلبة الجزائريون لليوتيوب والاشباعات المتحققة منه، (رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي _ ام البواقي_2016).
9. الدليمي، عبد الرزاق محمد، 2011: الإعلام الجديد والصحافة الإلكترونية، دار وائل للنشر، الاردن.
10. دهيمي زينب: موقع التواصل الاجماعي الفيسبوك، مجلة العلوم الانسانية، عدد26، جوان، 2012.
11. راشد المبارك، التطرف خبز عالمي، ط1 (دمشق، دار العلم، 2006).
12. راضيو زاهر (2003) : استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، مجلة التربية، عدد 15 , جامعة عمان الأهلية، عمان.
13. الرائد معجم لغوي عصري، مسعود (جبران)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1967م.
14. سمير أحمد نعيم، محددات التطرف الديني في مصر، مجلة المستقبل العربي عدد 131/ 1990.
15. صادق، عباس مصطفى، 2008: الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، مكتبة الشروق، القاهرة.
16. عبد الرحمن محمد العيسوي ، سيكولوجية الرهابي ، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت – لبنان ، د.ت.
17. عسيري، علي بن عبد الله، الاثار الامنية لاستخدام الشباب للانترنت، (السعودية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، 31/7/2004).
18. علي ليلة (1990) : الشباب في مجتمع متغير، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف، القاهرة، مكتبة الحرية الحديثة.
19. فتحي حسين عامر: وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة الى الفيسبوك، ط1 ، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.



20. ليلي عبد الستار (1992): تنمية التفكير السليم لدى الشباب الجامعي لمواجهة التطرف، دراسة تحليلية، مجلة دراسات تربوية، المجلد السابع، الجزء 43، رابطة التربية الحديثة.
21. محمد احمد البيومي (2004): ظاهرة التطرف الأسباب والعلاج، القاهرة، دار المعرفة الاجتماعية.
22. محمد محبوب حبيب، علم نفس التطرف وسيكولوجية التطرف الالكتروني وكيفية التعامل الامثل معه، ط1، الموسوعة النفسية في القضايا الاجتماعية 2021.
23. منتهى مطشر، اقبال مطشر، "التطرف لدى طلبة الجامعة وعلاقته في انماط الشخصية"، المؤتمر التربوي الثاني لكليات التربية في اقليم كوردستان، المجلد التكميلي 23، رقم العدد 3، 2019.
24. وائل مبارك خضر فضل الله: أثر الفيسبوك على المجتمع، ط1، مدونة شمس النهضة، الخرطوم، 2010.
25. ينظر: عبد الغني ابو العزم، 2013، معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية.

ثانيا: المصادر الاجنبية

26. Bernardo A. Huberman and al (2008): Social networks that matter: Twitter under the microscope, Social Computing Lab, Cornell University, http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1313405 & http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1313405
27. diversity for respect and tolerance, development inclusive promoting through extremism violent Preventing, "UNDP
28. response s'EU the strengthening: extremism violent and terrorism to radicalisation Preventing, "Commission European", 1 0941/2013/COM document
29. Social Media: A Practical Guide for Electoral Management Bodies International IDEA 2014

ثالثاً: مصادر الانترنت

30. سانام اندرليني, "التعليم والهوية ومنع التطرف", وصلة , 2017 (تاريخ الدخول: 9/12/2021), <https://icanpeacework.org/wp-content/uploads/2018/06/PVE-and-Education-Arabic.pdf>
31. نورا بنداري عبد الحميد فايد, " دور وسائل التواصل الاجتماعي في تجنيد اعضاء التنظيمات الارهابية ", نقلا عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية, بيرلين, المانيا, على الرابط <https://democraticac.de/?p=34268> (تاريخ الدخول 13/12/2021)
32. رغبة البهي, "مكافحة المحتوى المتطرف على وسائل التواصل الاجتماعي: الاليات والفعالية", العين الاخبارية, 13/10/2019, (تاريخ الدخول: 15/12/2021), <https://al-ain.com/arti-cle/facebook-terrorism>
33. vapAdmin, ماهي منصات التواصل الاجتماعي, 2019, vapulus, (تاريخ الدخول: 10/12/2021), <https://www.vapulus.com/ar>

الفهرست

المحور النفسي

- 5 الإرهاب النفسي وانعكاساته على المنظومة المجتمعية
- 15 تشيؤ المرأة في الرواية العراقية ما بعد 2014 قراءة في نماذج مختارة
- 35 سيكولوجية العنف في الاعلام المرئي للجماعات الإرهابية وتأثيرها النفسي على المجتمع العراقي " تنظيم داعش أنموذجاً

محور الآثار

- 55 تخريب (داعش) الاماكن الاسلامية في العراق – محافظة نينوى مثالا
- 72 دراسة استقصائية ((مكتشفات أثرية من القرن الثالث الهجري في منطقة أسواق الموصل القديمة
- 105 رغم الارهاب)) كشف تجاوزات داعش على المواقع الأثرية باستخدام صور الطائرات المسييرة ونظم المعلومات الجغرافية
- 118 استخدام الأقمار الاصطناعية في مراقبة المواقع الأثرية وتقدير اثار الدمار فيها
- 128 العوامل المؤدية تدمير وتلف المباني الأثرية تحقيق نفانس أثرية بالمدرسة النظامية في الموصل
- 145 جُرِفَتْ في 24/7/2014 من قبل داعش تقييم اضرار النسيج الحضري لمدينة الموصل القديمة باستخدام تقنيات التحسس النائي ونظم المعلومات الجغرافية
- 161 انتهاكات تنظيم داعش لمواقع التراث الحضاري في العراق
- 176 مرقد السيدة زينب الصغرى (ستنا زينب) في سنجار أنموذجاً

محور التاريخي

- 185 الغزو الوهابي لكربلاء في عام (1216هـ/1802م) دراسة تاريخية
- 209 جذور الارهاب الداعشي في التاريخ الإسلامي – الخوارج الازارقة انموذجاً
- 236 الجذور التاريخية لظاهرة الارهاب - الاسباب والمعالجات -

- 257 التطرف في المجتمع البغدادي في العصر العباسي ابن الجوزي انموذجاً
- 264 ظاهرة الإرهاب دراسة في الجذور التاريخية حتى عام 41هـ/662م
- 281 العامل المذهبي واثره في مجزرة كسروان في بلاد الشام خلال العصر المملوكي

المحور السياسي

- 301 الهجرة من سنجار عام 2014 م ومن ثم العودة واللاعودة
- 316 الطائفية السياسية في العراق بعد عام 2003 واستراتيجية الحل
- 332 الخطاب الطائفي وأثره على الامن الوطني العراقي
- 348 دور الحشد الشعبي في مواجهة الارهاب الداعشي
- 361 الارهاب وتأثيره على الاوضاع السياسية في العراق
- البعد السوسيوديمغرافي للتعايش السلمي دراسة سوسيوديموغرافية
- 376 في النزوح والتعايش
- العراق من إرهاب الأنظمة إلى إرهاب الجماعات داعش أنموذجاً
- 389 بحث في إشكالية إستيطان العنف
- 401 "المسؤولية الوطنية والمجتمعية تجاه التطرف وسبل مواجهته"
- 417 الإرهاب وعدم الإستقرار السياسي: دراسة حالة تنظيم داعش في العراق
- 432 القوة الناعمة الاداة الانسب للمقاومة الناعمة ضد التطرف
- حل النزاعات وإشاعة السلام في العالم العربي المتأزم:
- 451 دراسة في الركائز الاستراتيجية الثلاثية (الجامعات-منظمات المجتمع المدني-العشائر)
- 473 ظاهرة الارهاب وانعكاساته على المجتمع وطرق معالجتها

محور العلاقات والإعلام

- 487 دور الإعلام في الحدّ من التطرف والإرهاب (العراق أنموذجاً)
- توظيف مواقع التواصل الاجتماعي المرئية لمواجهة ثقافة العنف والتطرف
- 505 ((من وجهة نظر النخب الاكاديمية))
- 540 الأطر الإعلامية للحد من التطرف في خطاب المرجعية العليا ، خطبة النصر نموذجاً
- توظيف تنظيم داعش الارهابي للأساليب الدعائية في المحتوى الاعلامي الرقمي
- 558 اليوتيوب نموذجاً (دراسة تحليلية)
- 582 منع التطرف بنشر الوعي الاعلامي

